جامعة الأزهر
كلية الدراسات الإسلامية والعربية للبنات بالمنصورة
الدراسات العليا - شعبة أصول الدين
قسم العقيدة والفلسفة

فتح الله كولن
وآراؤه الكلامية والفلسفية

رسالة مقدمة

لنيل درجة العالمية "الدكتوراه"

إعداد

نوسه السيد محمود السعيد
المدرس المساعد في قسم العقيدة والفلسفة
بكلية الدراسات الإسلامية والعربية للبنات بالمنصورة

إشراف

الأستاذة الدكتورة
أحلام إبراهيم محمد
أستاذ العقيدة والفلسفة
في كلية الدراسات الإسلامية والعربية
للبنات بالمنصورة
مشرفا(أساسيا)

الأستاذة الدكتورة
ناهد يوسف رزق يوسف
أستاذ ورئيس قسم العقيدة والفلسفة
في كلية الدراسات الإسلامية والعربية
للبنات بالمنصورة
مشرفا (مشاركا)

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ وَسِيقَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوۡاْ رَبَّهُمۡ إِلَى
ٱلۡجَنَّةِ زُمَرًاۖ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُوهَا وَفُتِحَتۡ أَبۡوَٰبُهَا
وَقَالَ لَهُمۡ خَزَنَتُهَا سَلَٰمٌ عَلَيۡكُمۡ طِبۡتُمۡ
فَٱدۡخُلُوهَا خَٰلِدِينَ ﴾ الزمر: ٧٣

شكر وتقدير

أتقدم بخالص شكري وعظيم عرفاني إلى أستاذتي الكريمة الأستاذة
الدكتورة/ أحلام إبراهيم الصياد
على ما شملتني به من عطفها، وثقتها، وكريم خصالها، وما أمدتني به من علم ونصح ، وما بذلته من وقت وجهد، فأشهد الله أنها كانت من العلماء الأوفياء للعلم وطلابه، تمتاز بعفة العلماء، ووقار الحكماء، وإخلاص الأتقياء، ورحمة الأمهات فلها علي أياد
سابغة يكافئها الله عز وجل بها، فلها منه المثوبة، ولها مني الدعاء، فجزاها الله عني، وعن طلبة العلم خير الجزاء.
كما أتوجه بجزيل الشكر، ووافر التقدير إلى أستاذتي الكريمة الأستاذة
الدكتورة /ناهد يوسف رزق
على ما أولتني به من كريم خلقها، وواسع فضلها، فأشهد الله أنها كانت من العلماء الخلصاء، تمتاز بخشية العلماء، وتدقيق النجباء، فكم من نصح أسدت، وكم من خلل سدت، وكم من وقت بذلت، فلها على آياد سابغة أعجز عن شكرها، فلها من الله المثوبة، ولها مني الدعاء، فجزاها الله عني، وعن طلاب العلم خير الجزاء.
كما أتقدم بخالص شكري وجزيل امتناني إلى أسرتي الثانية
أعضاء قسم العقيدة والفلسفة بالكلية
كل باسمه ولقبه، وجميع زميلاتي بالقسم حيث كان دعمهن وعونهن من أكبر النعم التي من الله بها علي، فسهل بها الصعب، وعبد الطريق، فجزاهن الله خير الجزاء، ومتعهن بموفور الصحة والعافية.
كما أتقدم بالشكر والعرفان إلى كل من مد لي يد العون والمساندة من داخل كليتنا العامرة من إدارة، وهيئة تدريس، وزملاء، ومن خارجها من أهل، وصحب، وزملاء فجزاهم الله خير الجزاء

إهداء

إلى من أحب الدين والعلم فدفعني إلى رحاب الأزهر، وما بخل علي بوقت، أو جهد، أو نصح، أو دعاء إلى أبي أمد الله في عمره وبارك في ولده.

وإلى اليد الحانية ذات القلب الشفوق التي ربت، وتعبت، وسهرت ، وما زالت إلى أمي الحبيبة أدعو الله أن يمد في عمرها ويرزقها سعادة الدارين.

وإلى زوجي رفيق دربي وأجل نعم ربي بعد الإسلام إلى من ساندني في رحلة طلب العلم مشجعا، ومعاونا، وما بخل علي بوقت، أو جهد، أو نصح، فجزاه الله من صاحب خير، ومتعه الله بالصحة والعافية.

ثم إلى فلذات كبدي بناتي الحبيبات اللائي سرن معي، وصابرن، وتحملن انشغالي عنهن، وأستميحهن عذرا في تقصير في حقهن بارك الله فيهن وأنبتهن نباتا صالحا.

ثم إلى أخي وأخواتي الكريمات سندي في الحياة ورفقائي في الشدائد والملمات دمتم لي صحبة وسندا ومتعكم الله بالسعادة في الدارين

المقدمة

(المقدمة)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله حمد الشاكرين بجميع محامده كلها، على جميع نعمائه كلها، حمدا كثيرا طيبا مباركا فيه كما ينبغي لجلال وجهه وعظيم سلطانه، والصلاة والسلام على سيدنا محمد المصطفى نبي الهدى الذي تركنا على المحجة البيضاء ليلها كنهارها لا يزيغ عنها إلا هالك، صلاة دائمة إلى يوم الدين، وعلى آله وصحبه الميامين، ومن تبعهم، وسار على نهجهم بإحسان إلى يوم الدين .

أما بعد

فإن أرفع العلوم، وأعلاها، وأنفعها، وأجداها، وأحراها بعقد الهمة بها، وصرف الزمان عليها – علم الكلام– المتكفل بإثبات الصانع وتوحيده وتنزيهه عن مشابهة الأجسام، واتصافه بصفات الجلال والإكرام، وإثبات النبوة التي هي أساس الإسلام، وعليه مبنى الشرائع والأحكام، وبه يترقى الإيمان باليوم الآخر من درجة التقليد إلى درجة الإيقان، وذلك هو السبب للهدى والنجاح والفوز والفلاح.

وعلم أصول الدين – أو علم الفقه الأكبر– موجود مع وجود الإسلام بأركانه التي نص عليها النبي (ﷺ) في حديثه مع جبريل(عليه السلام)، وهي الإيمان بالله، وملائكته، وكتبه، ورسله، واليوم الآخر، والقدر، وظل في عهده الأول عقيدة صافية، أصولها ومسائلها من القرآن والسنة، وتتقبلها الأمة بالإذعان والقبول.

ولما دخل القرن الثاني ظهر الجدل في العقائد؛ نتيجة مستجدات العصر، واتصال المسلمين بغيرهم من الأمم، فظهرت المعتزلة، وجاهدت وناضلت في الزود عن حياض الإسلام، وإثبات العقائد بالعقل والحجة، واستخدمت المنطق والفلسفة في دفاعها، ولكنها اشتطت في تقديس العقل فأوقعت الأمة في الفتن، فبدأ نجمها في الأفول ومنهجها في الزوال، فقيد الله للأمة الإسلامية من حمل الأمانة ورفع الراية مقارعا ومحجاجا بالسمع والعقل معا، فكان (أبو الحسن الأشعري) في العراق و(أبو منصور الماتريدي) في بلاد ما

وراء النهر، فقاما بالأمر خير قيام، ثم خلف من بعدهما خلف توسعوا في بحث العقائد بحثا عقليا، وخلطوها بالفلسفة والمقدمات المنطقية حتى صارت كتبا فلسفية لا كتبا في الأصول و العقائد، ثم اقتفى الخلف نهج السلف، فنقلوا وعرضوا ما كتبه السلف دون تجديد أو تطوير.

وإذا جئنا إلى الفلسفة وعلومها فقد انتهجها المسلمون مع اشتغالهم بعلم الكلام منذ ترجمة كتب اليونان إلى العربية، واعتنقها بداية المتكلمون؛ للرد على نظرائهم من أهل الأديان الأخرى بنفس حجتهم، ثم ظهر روادها الأوائل: الكندي، والفارابي، وابن سينا، وابن رشد، وغيرهم في المشرق والمغرب، فاستفادوا مما خلفه اليونان وتأثروا به، وانفردوا عنهم ببعض المباحث الإسلامية، ثم خلف من بعدهم خلف كانت بضاعتهم النقل والتقليد، ثم آلت الفلسفة في العصر الحديث إلى ترديد لأفكار هؤلاء الرواد، ودراسة لترجماتهم، ومسائلهم، منفصلة عن قضايا العصر والأفهام والمستجدات.

وهكذا صار الحال مع علم الكلام والفلسفة حتى وصلا إلينا تقليدا لما قدمه السابقون، بل بنفس لغتهم ونفس مسائلهم في عصر بعد فيه كثير من الناس عن الدين، ومطالعة العلوم، وانصرفوا عن رحابهما؛ بسبب الصورة النمطية التقليدية التي تؤلف عليها العلوم، وكأن الزمن متوقف عند قرون سبقت، ولم يلحظ المشتغلون بهما إلى تغير الزمان، والمكان، والأفهام، إضافة إلى ظهور مستجدات وقضايا جديدة تتطلب النظر، والرأي، والمعالجة على المستوى الداخلي، وإلى ذيوع شبه وأباطيل تتطلب الدفع والرد داخليا وخارجيا.

لذا كان التجديد مطلبا ضروريا على كل المستويات وفي كل العلوم؛ حتى نعيد الروح إلى هذه الأمة ويسري الرواء من جديد في علومها قاطبة وفي علم الكلام والفلسفة على وجه الخصوص، فيكتسي علم الكلام بحلة روحية عقلية تؤثر في الوجدان، وتقنع العقول، وتواكب العصر بموضوعات ومسائل يحتاجها، ويتطلبها، وبلغة يفهمها، وتتسربل الفلسفة برداء العصر كذلك، فتبحث قضاياه المحلية والعالمية، وتساهم في وضع المعالجات والحلول لها بلغة عصرية يفهمها الخاصة والعامة.

ولذا كانت أطروحتي تلك مساهمة ولبنة في بناء هذا الصرح المأمول- صرح التجديد- عن أحد هؤلاء المجددين في علمين من أهم العلوم الإسلامية، والعقلية هما علم الكلام والفلسفة، وجاء البحث بعنوان:

(فتح الله كولن وآراؤه الكلامية والفلسفية)

والأستاذ (فتح الله كولن) عالم ومفكر تركي معاصر أسس رؤية متميزة لنهضة العالم الإسلامي إلى الحد الذي يعقد فيه مؤتمر في جامعة الدول العربية بالقاهرة؛ لبحث محاور التجديد والإصلاح في فكره ومقارنتها بحركات الإصلاح في العالم الإسلامي وسبل الاستفادة من طريقته وتطبيقها (مؤتمر مستقبل الإصلاح في العالم الإسلامي خبرات مقارنة مع حركة فتح الله كولن التركية عام ٢٠٠٩م)، إلى جانب ثناء وإشادة كبار علماء مصر ومفكريها بفكره وجهوده وعلى رأسهم الإمام الأكبر شيخ الأزهر، إضافة إلى أن بعض كتب الأستاذ تدرس في بعض أروقة الأزهر الشريف، وقد نشرت مجلة الأزهر سلسلة من مقالات الرجل، كما تضم مدارس صلاح الدين التابعة له في مصر في مجلس إدارتها بعض علماء الأزهر الشريف، وكذلك فقد نوقش في الجامعات المصرية (ومنها جامعة الأزهر) عدد من الرسائل العلمية في فكر الرجل وجهوده في مجالات الدعوة والتربية وغيرها.

وسبب بروز الأستاذ (كولن) كمفكر إسلامي أمور عديدة منها:

أنه جمع في فكره بين الأصالة والمعاصرة فألم بالتراث القديم واطلع واستفاد من جل العلوم والمذاهب والفلسفات الحديثة، فاستفاد من العلوم الحديثة في خدمة وتدعيم قضايا العقيدة، فساهم بذلك في وضع لبنة في بناء علم الكلام الجديد الذي تركز قضاياه على النص والواقع معا فمسائله تتوزع بين عدة أمور منها قضايا عقدية إلهية كالبحوث الخاصة بأصول الدين، وقضايا التربية الروحية والأخلاقية، وقضايا حقوق الإنسان والتوفيق مع العصر.

وكذا تفاعل (كولن) مع مشكلات وتحديات العصر المحلية والعالمية فشارك برؤاه في وضع حلول لها فساهم بذلك في وضع لبنة في صرح الفلسفة الإسلامية المعاصرة والتي تشمل كل المحاولات الفكرية التي جاءت إجابات على تحديات العصر ابتداء من القرن التاسع عشر ولا تقتصر على الحقل الفلسفي الأكاديمي ولا على المشتغلين بالفلسفة حرفة، بل يتسع المجال ليشمل كل المحاولات التي بدأها أصحابها من حقول معرفية اخرى لكنهم في النهاية استطاعوا تقديم رؤية لطبيعة الموقف الذي ينبغي اتخاذه تجاه تحديات العصر ومشاكل الأمة على المستوى المعرفي والمستوى السياسي والاقتصادي والاجتماعي، فالفلسفة مرآة العصر ومع ذلك فهي ليست فهما مجردا للعالم، بل سعيا متواصلا نحو تغييره إلى الأفضل وهنا تتحول من النظر إلى العمل، وتنتقل من علم للتفسير إلى علم لتغيير النفس والمجتمع على كافة المستويات.

وهذا مما تميز به (كولن) أيضا فقد حول الأفكار والرؤى إلى واقع مشاهد فجميع الأفكار التي دعا إليها طبقها وأقرها واقعا تشهد على ذلك المؤسسات التعليمية، والتربوية، والإغاثية، ومؤسسات الحوار التي تنتشر في أكثر من مائة وستين دولة على مستوى العالم.

أولا: أسباب اختيار الموضوع:

١- التعرف على شخصية رائدة في العصر الحديث في مجال العلوم الشرعية، والعقلية كشخصية الأستاذ (فتح الله كولن) المفكر التركي المعاصر.

٢- الاطلاع على صورة من صور التجديد في علم الكلام، والذي يتمسك بالرجوع إلى الكتاب والسنة بأسلوب يتناسب مع روح العصر.

٣- الاطلاع على صورة من صور التجديد في العلوم الفلسفية، تهتم بالواقع والقضايا المعاصرة .

ثانيا: منهج البحث:

لقد اعتمدت في بحثي هذا على تطبيق عدة مناهج علمية لمعالجة قضاياه ومسائله، منها:

١- المنهج التاريخي:

عند عرض حياة وعصر (فتح الله كولن)، وكذا عند جمع النصوص الكلامية من الوثائق وفحصها، قدمت نصوص المتقدمين على المتأخرين ممن استشهدت بأقوالهم.

٢- المنهج الاستقرائي:

قمت بجمع المادة العلمية ذات الصلة بموضوعها من خلال إنتاج (كولن)، ثم فحص الآراء، وتحليلها، واستخراج النتائج من خلالها.

٣- المنهج المقارن:

حيث قمت بالمقارنة بين آراء (كولن) وغيره من المتكلمين، والفلاسفة، والمفكرين؛ للوقوف على مدى الاتفاق والاختلاف في الرؤى.

وهذا إلى جانب مناهج أخرى اقتضتها طبيعة البحث.

أما منهجي وعملي في البحث :

١- الترجمة للفرق، و الأعلام، والمذاهب ما أمكن.

٣- جمعت المادة العلمية الخاصة بفتح الله كولن - وهي متناثرة في عدة كتب ومقالات- وقمت بتنسيقها وتوظيفها، ووضع العناوين لها سواء في الآراء الكلامية أو الفلسفية.

٤- صدرت أي مسألة كلامية بعرض رأي المتكلمين فيها، ثم رأي (كولن)؛ لبيان أوجه الاتفاق، والاختلاف، والتأثر، أو التجديد.

٥- عرضت لرأي (النورسي) خاصة من العلماء الأتراك؛ لكون (فتح الله كولن) تتلمذ على رسائله، واعتنق أفكاره؛ لبيان أوجه الاتفاق بينهما، ومدى تأثر (كولن) به.

٦- وكذا عرضت لبعض المعاصرين وآرائهم، وخاصة في القضايا الفكرية والفلسفية؛ لأقف على أوجه الاتفاق، والتأثر بينهم وبين (كولن).

ثالثا: صعوبات البحث:

١- في البداية كان أصعب ما واجهني هو أن كتب (فتح الله كولن) كانت باللغة التركية وترجمت لعدة لغات، وكان المترجم منها للعربية عددا قليلا فكنت شديدة المتابعة على مدى بضعة أعوام لما يترجم من كتب جديدة، وربما لجأت إلى دار النشر (دار النيل) بالقاهرة لأحصل على الجديد كل مرة، إلى جانب زيارات ميدانية لما يتصل بكولن من مشاريع في مصر، فقد قمت بزيارة (دار النيل) أكثر من مرة والتقيت القائمين عليها، والتقيت صحفيين من جريدة زمان التركية، وزرت مدرسة (صلاح الدين الدولية)، وجمعية رجال الأعمال المصرية التركية(ETBA)، وقطعت شوطا في طريق تعلم اللغة التركية ولكن لم أصل إلى نهايته لضيق الوقت.

٢- المادة العلمية كانت متفرقة، ما بين كتب مترجمة، ومقالات تنشر في مجلة حراء، أو مقالات على موقع (فتح الله كولن) على شبكة الأنترنت، أو موقع(herkul)، والذي كنت أتابعه كل أسبوع حيث يترجم له حديثه الشفهي الذي يلقيه على تلاميذه في مقر إقامته في (بنسلفانيا) بالولايات المتحدة الأمريكية .

٣- الصعوبة الحقيقة أن جل كتب (فتح الله كولن) كانت عبارة عن أحاديث، أو خطب، أو فتاوى، أو مقالات متفرقة جمعت ونسقت في عدة كتب؛ ولذا لم يكن هناك ترابط في الكتاب أو وحدة موضوعية أو استبعاد المكرر من المضامين من أجل ذلك فإني قد أجد ، المعلومة مكررة في ذات الكتاب، وفي كتب أخرى؛ ولذا لم يكن استجلاء فكره سهلا، فعندما أبحث عن فكرة أضطر لمطالعتها في أكثر من مكان حتى خيل لي في بعض المسائل عدم وضوح الرؤية في مذهبه، أو التناقض في موقفه.

٤- لم يكن له كتاب جامع لآرائه الكلامية أو الفلسفية، ومن ثم قمت بقراءة كل ما كتب أو قال، وأحيانا تكون المعلومة ناقصة حتى أجد بعد فترة قد تصل إلى عام أو أكثر كلاما في ذات الموضوع فأضمه إلى ما سبق؛ وقد قمت بجمع المادة العلمية من عدة موارد،

وتنسيقها، ووضع العناوين في كل البحث وفي كل القضايا – حسب ما تراءى لي–، و إذا كان له مسمى خاص أذكره، وأشير إلى ذلك.

٥– من المشكلات الحقيقية التي واجهتها عدم وجود كتابات محايدة موضوعية عن (فتح الله كولن)، فما وجدته إما كتابات مغرقة في التقديس والإطراء لشخص الرجل وأفكاره من جانب أتباعه، وإما كتابات مغرقة في العداوة والاتهامات من جانب خصومه، ومن ثم لم اعتمد هذا ولا ذاك– إلا بقدر–؛ لمنافاتهما للموضوعية والحياد العلمي الذي ينبغي أن يتمتع به الباحث.

رابعا: الدراسات السابقة:

هناك عدة دراسات سبقت عن (فتح الله كولن) ولكنها في مجالات أخرى كالتربية والدعوة، منها:

١– المنهج الإصلاحي للمفكر التركي محمد فتح الله كولن من خلال أعماله مع ترجمة كتاب من البذرة إلى الدوحة: الباحث/ أحمد عبد الحليم إسماعيل، رسالة ماجستير بكلية الآداب جامعة عين شمس، قسم اللغات الشرقية ٢٠١٠م.

٢– مفاهيم تربية الإنسان الجديد عن فتح الله كولن ومخرجاتها العملية: الباحثة/ سارة علي الوهيدي إسماعيل، رسالة ماجستير بكلية التربية، جامعة المنصورة، قسم أصول التربية ٢٠١٦م.

ومن ثم فالدراسة التي بين أيدينا أول دراسة عن الرجل في مجال العقيدة والفلسفة– على حد علمي– .

خامسا: خطة البحث:

اقتضت طبيعة البحث تقسيمه إلى مقدمة، و تمهيد، وبابين، وخاتمة.

أما **المقدمة** فقد عرضت فيها لأسباب اختيار الموضوع، والدراسات السابقة، وصعوبات البحث، وخطته.

أما **التمهيد (التعريف بفتح الله كولن)** فقد بحثت فيه ثلاثة أمور :

أولا: حياة فتح الله كولن ويشتمل على:

(أصوله – مولده ونشأته – رحلته العلمية – عمله).

ثانيا: عصر فتح الله كولن، ويشتمل على:

١– نظرة عامة على تركيا قديما وحديثا.

٢– الحالة الدينية والسياسية.

٣- الحالة الفكرية والعلمية.

ثالثا: مصطلحات فتح الله كولن.

الباب الأول: آراء فتح الله كولن الكلامية، ويشتمل على تمهيد وثلاثة فصول:

الفصل الأول: الإلهيات: ويشتمل على عدة مباحث:

المبحث الأول: ذات الله تعالى.

المبحث الثاني: صفات الله تعالى.

المبحث الثالث: الأسماء والأحكام.

المبحث الرابع: القدر.

المبحث الخامس: رؤية الله تعالى.

الفصل الثاني: النبوات ويشتمل على:

المبحث الأول: النبوة حكمها وغايتها.

المبحث الثاني: عدد الأنبياء و صفاتهم.

المبحث الثالث: عصمة الأنبياء.

المبحث الرابع: بعثته- ﷺ-.

المبحث الخامس: دلائل نبوته- ﷺ-.

الفصل الثالث: السمعيات:

المبحث الأول: الروح.

المبحث الثاني: الموت والقبر:

المبحث الثالث: علامات الساعة.

المبحث الرابع: اليوم الآخر.

المبحث الخامس: الرُّوحَانِيون.

الباب الثاني: آراء فتح الله كولن الفلسفية.

وجاء في تمهيد وعدة فصول:

الفصل الأول: المعرفة وفيه مباحث:

المبحث الأول: حقيقة المعرفة.

المبحث الثاني: مصادر المعرفة.

المبحث الثالث: العلم والدين في فكر كولن.

الفصل الثاني: الأخلاق. وفيه مباحث:

المبحث الأول: حقيقة الأخلاق ومصدرها.

المبحث الثاني: الفضائل والرذائل.

المبحث الثالث: إصلاح النفس.

المبحث الرابع: أركان النظرية الخلقية.

الفصل الثالث: التصوف. وفيه مباحث :

المبحث الأول: هل فتح الله كولن صوفي؟.

المبحث الثاني: مفهوم التصوف عند كولن.

المبحث الثالث: المنازل الروحية عند كولن.

المبحث الرابع: موقف كولن من مظاهر التصوف ونظرياته.

ثم **الخاتمة** وفيها النتائج وأهم التوصيات، ثم ثبت المصادر والمراجع، ثم فهرس الأعلام، والفرق، والموضوعات.

هذا كان غاية جهدي وعصارة الفكر، فما كان من توفيق فمن الله، وما كان من خطأ أو زلل، فهذا من جملة النقص الذي استولى على البشر، والله ورسوله منه براء، داعية الله أن يكون هذا البحث خالصا لوجهه، وان لا يضيع جهدي فيه، وأن ينال القبول في الأرض والسماء.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

الباحثة:

نوسه السيد محمود السعيد

التمهيد

التعريف بفتح الله كولن

أولا: حياة فتح الله كولن.

ثانيا: عصر فتح الله كولن.

ثالثا: مصطلحات فتح الله كولن

أولا: حياة فتح الله كولن

١- أصوله:

تنحدر أصول (فتح الله كولن) من مدينة (أخلاط) التركية في منطقة شرق (الأناضول)، ورحلت الأسرة لظروف خاصة إلى مركز باسينلر(حسن قلعة سابقا)، ثم إلى قرية بين (باسينلر) و(أرضروم) تدعى (قوروجق)، ثم هاجروا مرتين نتيجة الحروب، ثم استقروا مرة أخرى في قوروجق[١].

كان أجداد الأستاذ (فتح الله) لهم حياة روحية خاصة، منهم جده لأبيه (شامل أغا)، وجدته لأبيه السيدة (مؤنسة) كانت دائمة البكاء من خشية الله والصيام، وكان أجداده لأمه كذلك لا تختلف حياتهم عن ذلك، فكان جده (أحمد أغا) يختم القرآن كل أسبوع وجدته لأمه السيدة (خديجة) كذلك، وكان له خال اسمه(عبد الرزاق طوب) قضى عنده الأستاذ فترة من طفولته وهو من أهل القرآن.

أما والده (رامز أفندي)، فقد حالت هجرة الأسرة، وما فيها من عقبات في استمراره في طلب العلم إلا أنه بعزيمته شغف بالقرآن، فتعلم وحفظ القرآن، وشغف بالقراءة والعلم، فتعلم العلوم الشرعية، وعين إماما في أحد المساجد، وكان يستثمر وقته في القراءة وفي حفظ النظم بالعربية والفارسية، وكان بيته لا يخلو من الأضياف والعلماء، وكان متعلقا بالصحابة كأنهم أهل بيته يكثر الحديث عنهم و تعلم (كولن) على والده القرآن الكريم.

أما والدة الأستاذ فتح الله فهي (السيدة رفيعة) وكانت معلمه الأول، وهي من أسرة عريقة، فعمها هو مفتي الشام حينئذ، كانت ربة منزل فيه خمسة عشر فردا، ومع ذلك تقوم بتعليم نساء القرية القرآن رغم الأخطار في هذه الفترة التي حظرت فيها قراءة القرآن وتعليمه، وبدأت تعلم ولدها القرآن، وهو في الرابعة، فكانت لها أكبر الأثر في حفظه للقرآن و مداومته على العبادة منذ الصغر.

كان له عشرة من الأخوة توفي ثلاثة منهم وهو طفل، والأخوة على الترتيب: نور الحياة، ثم فضيلة ووافتها المنية وهي طفلة، ثم الأستاذ فتح الله، فصبغة الله، ثم المسيح، ثم فقير الله وتوفي وهو طفل، ثم حسبي، فصالح، وفضيلة، ثم نظام الدين توفي وهو طفل أيضا، ثم قطب الدين أصغرهم[٢].

٢- مولده ونشأته :

اسمه إلى جده الرابع هو: محمد فتح الله، بن رامز أفندي، بن شامل، بن الملا أحمد، ابن خورشيد بن خليل الأناضولي موطنا، و(كولن) هو لقب عائلته ومعناه بالعربية، (البسام) ويلقبه أنصاره بلقب ثان هو (خوجه أفندي) بمعنى(السيد الأستاذ أو حضرة الأستاذ)، ويشتهر باسم ثنائي هو (فتح الله كولن) جريا على ما فرضه أتاتورك من

١- يراجع: أرطغرول حكمة: فتح الله كولن قصة حياة ومسيرة فكر ص ١٢- ١٤ ترجمة: عبد المولى علي جربيع- خالد جمال عبد الناصر، دار النيل، الطبعة: الأولى ٢٠١٣م- ١٤٣٤هـ..

٢- السابق ص ١٦- ١٩.

إجراءات اجتماعية بأن يقتصر تسجيل الأسماء على اسم الشخص ولقبه فقط تقليدا للنظم الأوربية الحديثة[١].

ولد (فتح الله كولن) في ٢٧ إبريل ١٩٤١م وفقا لبطاقته الشخصية لكن تاريخ ميلاده الحقيقي قبيل هذا بنحو عامين أو ثلاثة كما يذكر هو، فلم تكن المواليد في بيئته تقيد على الفور[٢]؛ ولذا ورد في أحد المصادر مولده في تاريخ ١٧ رمضان ١٣٥٧هـ الموافق ١٩٣٨/١١/١٠م في قرية (كوروجك) التابعة لمدينة (حسن قلعة) في محافظة (أرضروم)[٣].

قضى طفولته في مجالسة العلماء والمشايخ الذين كان يستضيفهم والده، بل إنه قد حفظ بردة البوصيري[٤] من كثرة استماعه لوالده وهو ينشدها، وكذا حفظ عنه أشعارا أخرى بالعربية والفارسية، والمواعظ التي يلقيها في المساجد وحلقات العلم[٥].

وبدأ من الرابعة في تعلم القرآن الكريم، ثم التحق بالمدرسة الابتدائية في قريته عامين أو ثلاثة، ولكنه تركها ١٩٤٩م عندما عين والده إماما في قرية (ألوار)، ثم استكمل الابتدائية في (أرضروم) بالانتساب.

حفظ القرآن عام ١٩٥١م، ثم أخذ التجويد عن الحاج (صدقي أفندي) في (حسن قلعة)، ثم بدأ في قراءة الكتب لاسيما عن حياة الصحابة، وأخذ عن والده اللغة العربية والفارسية، وظهرت موهبته في الخطابة فألقى أول مواعظه وهو في سن الرابعة عشر.

أتم دراسته في (ألوار)، وبدأ بتعلم اللغة العربية في (أرضروم) على يد الأستاذ (سعدي أفندي)، ثم عين والده إماما في قرية(أرتزو)[٦]فاستقر (فتح الله) في (أرضروم) وراح

١- ينظر: الدكتور ابراهيم البيومي غانم : بحث معالم في سيرة خوجه أفندي محمد فتح الله (البسام) الأناضولي مؤتمر مستقبل الإصلاح في العالم الإسلامي ٢٠٠٩م ص ٢٢٠- ٢٥٢، دار النيل، ط: الأولى ٢٠١١م.

٢- يراجع: أرطغرول حكمة: فتح الله كولن قصة حياة ومسيرة فكر ص ٢٢.

٣- ينظر: الدكتور/ ابراهيم البيومي غانم : بحث معالم في سيرة خوجه أفندي ص ٢٢٠ .

٤- البوصيري: صاحب البردة محمد بن سعيد بن حماد الدلاصي المولد، المغربي الأصل البوصيري المنشأ. ولد بناحية دلاص من قرى بني سويف بمصر في يوم الثلاثاء أول شوال سنة ثمان وستمائة. ثم انتقل إلى بوصير، ونسب إليها. برع بالخط والإنشاء والنظم. أخذ التصوف على الطريقة الشاذلية عن الشيخ أبي العباس المرسي الشاذلي، تولى مديرية الشرقية. توفي بالإسكندرية عام ٦٩٧ هـ/ ١٢٩٧ م. على أن سبب شهرة البوصيري هي قصيدة البردة التي تعتبر أهم القصائد بين المدائح النبوية، إذ أنها أصبحت مصدر الوحي لكثير من القصائد التي أنشئت بعد البوصيري في مدح الرسول ﷺ. تقع البردة في اثنين وستين ومائة بيت. ينظر: محمد أحمد درنيقة: معجم أعلام شعراء المدح النبوي ص ٣٥٤/١ تقديم: ياسين الأيوبي ،الناشر: دار ومكتبة الهلال ،الطبعة: الأولى، وينظر: عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي (المتوفى : ٩١١هـ): حسن المحاضرة في تاريخ مصر والقاهرة ص ٥٧٠/١، المحقق : محمد أبو الفضل إبراهيم، الناشر، دار إحياء الكتب العربية - عيسى البابي الحلبي وشركاه- مصر، الطبعة : الأولى ١٣٨٧ هـ - ١٩٦٧ م.

٥- ينظر: الدكتور/ إبراهيم غانم: بحث (معالم في سيرة خوجه أفندي) ص ٢٢٤.

٦- ينظر: أرطغرول حكمة: فتح الله كولن قصة حياة ومسيرة فكر ص ٢٢- ٣٣

يدرس بمسجد (قرشنلو) في مدرسة صغيرة سقفها خشب يقيم فيها خمسة طلاب أو ستة، وقد عاني فيها الكثير من شظف العيش ، ثم انتقل إلى مدرسة (كمخان)، وبعد ستة أشهر

التحق بمدرسة (طاش مسجد)، ثم غادرها، وبدأ يبحث عن مأوى له في (أرضروم) وكان المأوى له ولزميله كوخ آيل للسقوط في مسجد مهجور استمر فيه أثناء دراسته في (أرضروم)، ثم بعد الدراسة على الأستاذ (سعدي أفندي) ذهب إلى الأستاذ (عثمان بكتاش)، فدرس عليه قرابة عامين في النحو والصرف، والفقه وأصوله، وغيرها من علوم الشريعة، ثم رقاه الأستاذ إلى مستوى أعلى.

كانت علاقته بمدرسته وطيدة غير أنه لم يغفل الزوايا بتاتا، فكان مع الشيخ (ألوارلي أفه)[١]، فلما توفي لحق بزاوية الشيخ (القادري)[٢]، واستمر طيلة حياته على آداب الطريقة الصوفية وتربيتها[٣].

عرف (رسائل النور) لبديع الزمان النورسي[٤] وهو طالب بأرضروم عن طريق تلامذة (النورسي) أو طلاب النور كما يسمون ، وكانت لها أثر بالغ في حياته، وكان النورسي من أبرز من أثروا في حياته، فلا تخلو موعظة أو مقال إلا ويستشهد برسائل النور وبصاحبها وحياته .وحدث انقلاب ٢٧ مايو ١٩٦٠م واستدعي للخدمة العسكرية في نوفمبر ١٩٦١م وصدرت أوامر بمنع مغادرة الكتيبة التي يعمل فيها مدة شهرين فاستغلها في العبادة والتزكية كما يحكي عن نفسه[٥].

١- ألوارلي أفه : محمد لطفي أفندي عرف ب "الإمام الألوارلي" نسبة إلى قرية ألوار. برز الشيخ في طليعة علماء عصر الجمهورية فنشأته شهدت أفول الدولة العثمانية وظهور الجمهورية، وكان له تأثير كبير على (كولن) وأسرته. وكان والد الشيخ من آل البيت، وكان من كبار الصوفية، وأخوه وهبي أفندي من أهل العلم والتصوف، أما الشيخ فكان نقشبنديا قادريا، وكان سلطانا في الكلام، ويذهب مذهب أهل العروض في شعره الذي يترنم فيه بإلهامات روحه. ينظر: فتح الله كولن: مهندس القلوب فضيلة الشيخ ألوارلي أفه كتاب شد الرحال لغاية سامية ص ٢٢٧ ترجمة: عبد الله محمد عنتر – د/ عبد الرزق أحمد دار النيل ٢٠١٤م. ينظر: دكتور/ محمد جكيب: أشواق النهضة والانبعاث قراءات في مشروع الأستاذ فتح الله كولن ص ١٤٢ ، دار النيل ٢٠١٣م.

٢- القادرية: من أبرز الطرق الصوفية في القرنين السادس والسابع الهجري نسبة إلى الشيخ عبد القادر الجيلاني(٤٧٠- ٥٦١هـ) وكان فقيها عالما بالأصول ، ثم سلك طريق التصوف، وكان يربط التصوف بالكتاب والسنة، ولذا امتدحه ابن تيمية، ويغلب على أقواله الطابع الخلقي، ونشر تلاميذه طريقته في عدة بلدان كاليمن ومصر وسوريا، ولا تزال موجودة في مصر، وفي كثير من بلدان آسيا وأفريقيا. ينظر: أبو الوفا التفتازاني: مدخل إلى التصوف الإسلامي ص ٢٨٦ دار الثقافة للطباعة والنشر – القاهرة ١٩٧٤م.

٣- ينظر: أرطغرول حكمة: فتح الله كولن قصة حياة ومسيرة فكر ص٣٣، ٣٤.

٤- بديع الزمان سعيد النورسي: ولد عام١٨٧٦م في تركيا، ومنذ عام ١٨٨٥م بدأ خطواته الأولى في تلقي العلم العلم على يد المشايخ حتى حصل عام ١٨٩٢ على لقب بديع الزمان، اشترك في الحرب ضد الروس، وشكل فرقة متطوعين عام ١٩١٥م، وأسره الروس، وتمكن من الهرب من الأسر ١٩١٨م، وظل طيلة حياته بين محاكمة واعتقال، ونفي بسبب نشاطه الدعوي، وجهره بالحق ضد ظلم الحكام واستبداد الإنجليز، وهو في كل ذلك حريص على تربية الشباب من أطلق عليهم (شباب النور)؛ لأنه كان يربيهم على رسائل النور التي قام بتأليفها ونشرها رغم معارضة السلطات وسعيها لمصادرتها، فكان تلاميذه ينشرونها سرا. توفي ١٩٦٠م، ودفن في (أروفة)، ثم نبشت السلطات قبره بعد ذلك وحملت جثمانه إلى جهة مجهولة. ينظر إحسان قاسم الصالحي: مقدمة كتاب سيرة ذاتية لبديع الزمان النورسي الجزء التاسع من كليات رسائل النور، إعداد وترجمة: شركة سوزلر- القاهرة، ط: الثالثة ٢٠٠٠م.

٥- ينظر: أرطغرل حكمة: فتح الله كولن قصة حياة ص ٣٥- ٤٧.

اعتقل عدم مرات لفترات قصيرة وذلك في فترات الانقلابات كعام ١٩٦١م وعام ١٩٧١م وعقب انقلاب سبتمبر ١٩٨٠م نتيجة لنشاطه الدعوي رغم بعده عن السياسة[١].

بعد ذلك وفي عام ١٩٩٩م سافر إلى أمريكا طوعا، واستمر هناك إلى الآن، مقيما في ولاية (بنسلفانيا)، ومستمرا في نشاطه الدعوي والمجتمعي في تركيا وخارجها.

٣- رحلته العلمية:

أ- شيوخه:

١- أول من تلقى عنهم العلم والديه، فقد تلقى عنهما القرآن الكريم، واللغة العربية، والفارسية.

٢- الشيخ (أَلوارلي أفه):

فقد تأثر به (كولن) روحيا، وكان كثير التردد عليه في صغره؛ لأنه كان مقربا للأسرة ومحل تقديرهم وإعجابهم، بل كان جميع أفراد الأسرة من مريديه[٢].

٣- الشيخ وهبي أفندي:

شقيق الشيخ (الألوارلي) الأكبر كان من مشايخ الصوفية، ومن أهل العلم أيضا، وكان جد (كولن) ووالده أيضا متأثرين به روحيا [٣].

٤- سعدي أفندي:

حفيد الشيخ (الألوارلي) درس عنده (فتح الله كولن) اللغة العربية[٤].

٥- الشيخ صدقي أفندي البزاز:

تلقى عنه علم التجويد، وكان الشيخ يسكن في (حصن قلعة)، وكان (كولن) يقطع كل يوم أربعة عشر كيلو مترا سيرا على الأقدام صباحا ومساءً حتى يذهب للشيخ [٥].

٦- عثمان بكتاش:

١- أرطغرل حكمة: فتح الله كولن قصة حياة ص ٤١ ،٥٠ ، ٥٥ ،٨٠ ،٩٨. وينظر: فريد الأنصاري: رواية عودة الفرسان سيرة محمد فتح الله كولن ص .١٥٣، دار النيل، ط: الثالثة ١٤٣٣هـ- ٢٠١٢م.
٢- ينظر: شد الرحال لغاية سامية ص ٢٢٨، ترجمة: عبد الله محمد عنتر- د/ عبد الرازق أحمد، دار النيل- القاهرة٢٠١٤م. ينظر: فتح الله كولن قصة حياة ص ٢٠- ٢١.

٣- ينظر: فريد الأنصاري: رواية عودة الفرسان سيرة محمد فتح الله كولن ص ٥٦.

٤- ينظر: فريد الأنصاري: عودة الفرسان ص ٧١.

٥- ينظر: فريد الأنصاري: رواية عودة الفرسان سيرة محمد فتح الله كولن ص ٧٠ ، ٧١. ينظر: د/ محمد جكيب: أشواق النهضة والانبعاث قراءات في مشروع الأستاذ فتح الله كولن ص ١٤٣، دار النيل- القاهرة ٢٠١٣م.

درس عليه (كولن) العلوم العربية من نحو، وصرف، وبلاغة، والفقه وأصوله، وعلوم الشريعة[١].

٧- بديع الزمان سعيد النورسي:

كان أكثر من تأثر به دون أن يلقاه مباشرة، ولكنه تتلمذ على كتبه المسماة (رسائل النور) واللقاء بتلاميذه المقربين.

ثم بعد رحلة الدرس على الأساتذة والمشايخ أخذ في القراءات الحرة، وكانت مصدرا رئيسا من مصادر بنائه المعرفي، فقد كان شغوفا منذ صغره بالقراءة وتحصيل المعرفة من مصادر متنوعة[٢].

ب- ثقافته وعلمه:

اهتم (كولن) بالعلوم الإسلامية، فهي الأصل عنده، فقرأ، وألف في تفسير القرآن الكريم، وبلاغته، وأسراره، فله كتاب: (خواطر حول سورة الفاتحة)، وله كتاب (خواطر قرآنية)، إلى جانب كتبه الأخرى.

واهتم بالحديث الشريف، فحلل الأحاديث النبوية، واستشهد بها، واستخلص منها العبر والدروس، وله كتاب في السنة النبوية ضمه إلى كتابه النور الخالد.

واهتم بالعقيدة كثيرا فقرأ لعلماء الكلام ولا سيما الماتريدية وهضم آراءهم جميعا وصاغها بأسلوب عصري، وقيمها، واختار منها ونقد بعضها.

وكذا تحدث عن الحياة الإسلامية، وخصائص الإسلام، وتاريخه الخالد.

وله إلمام كبير بالعلوم الحديثة ومعطياتها، يوظفها في خدمة العقيدة، وإقناع غير المسلمين، والرد على الشبهات المثارة ضد الإسلام.

وله معرفة واسعة بالفلسفات القديمة والحديثة، يتعرض لنقد الباطل منها، والاستفادة بالنافع الصالح.

أما التصوف فله في حياته وفكره الكثير - بل هو كل حياته وفكره- ما تكلم كلمة، ولا خط خطا، ولا أقنع بمادة، ولا نقد فكرة إلا كان التصوف قرينه وصاحبه، يمزجه بكل ما يكتب غير مزجه له في حياته ومعاملاته، كتب عن مقاماته وأحواله، - كتابه التلال الزمردية- وعن أهميته، وانتصر لأربابه، ونقد ما يستحق النقد من نظرياته وأفكاره.

١- ينظر: فريد الأنصاري: عودة الفرسان ص ٨٤.

٢- ينظر: د/ إبراهيم غانم: بحث في سيرة خوجه أفندي ص ٢٤٠.

درس اللغة العربية بفروعها[١]، وأتقنها، وله كتاب في تعليم اللغة العربية من خمس مجلدات بعنوان(تعليم اللغة العربية بطريقة حديثة)، وله اهتمام كبير بالأدب والشعر بل

له ديوان شعر[٢]، ومقتطفات شعرية وضعها في كتاب تحت اسم (ألوان ومرايا) إلى جانب حفظه لتراث كبير من الشعر، وخاصة الصوفي لكبار الشعراء الأتراك، وغيرهم مثل: (جلال الدين الرومي)[٣]و(نجيب فاضل)[٤]، و(البوصيري)، وآخرين، يستشهد بها في المناسبات المختلفة.

إذن كما قيل: "كانت يد القدر قد جذبته - أي كولن- نحو العلوم الشرعية وتزكية النفس فضلا عن العلوم التجريبية، والأدبية، والإنسانية فتمت ملكاته الفطرية التي وضعها الخالق لتوائم العصر، عكف على طلب العلم فنضجت معرفته بالعلوم الحديثة من

١- ينظر: علي أونال : فتح الله كولن ومقومات مشروعه الحضاري ص ٣٩٦، ترجمة: د/ عبد الرازق أحمد محمد ، دار النيل- القاهرة، ط: الأولى ٢٠١٥م.

٢- ينظر كولن: الموازين وكلامه عن أهمية كل فن من هذه الفنون ص ١١٢- ١١٨، ترجمة: أورخان محمد علي، دار النيل، ط :السابعة ٢٠١٢م.

٣- جلال الدين الرومي(٦٠٤- ٦٧٢)(١٢٠٧- ١٢٧٣م)هو محمد بن محمد بن حسين بن أحمد الهاشمي كان إماما عارفا بالفقه على مذهب أبي حنيفة وعالما بالخلاف وأنواع العلوم ، ثم تجرد وتواترت عنه كرامات، وهو صاحب المثنوي المشهور بالفارسية(وهي منظومة صوفية فلسفية ف ٧٠٠و٢٥ بيت في ستة أجزاء كتب مقدمتها بالعربية وتخللتها أبيات عربية من نظمه)، وصاحب الطريقة المولوية المنسوبة إلى(مولانا)جلال الدين ولد ببلخ وبعد رحلات في عدة بلدان استقر في (قونية)، وبها توفي وتولى التدريس بها في أربع مدارس، ثم ترك الدنيا والتصنيف وتصوف سنة ٦٤٢هـ، واشتغل بالرياضة، وسماع الموسيقى، ونظم الأشعار، وإنشادها، وتكاثر أتباعه، وتابعو طريقته إلى أن توفي بقونية وقبره بها معروف إلى اليوم في تكية أصبحت متحفا يضم بعض مخلفاته، ومخلفات أحفاده، وكتبه. ينظر: عبد القادر بن أبي الوفاء محمد بن أبي الوفاء القرشي : الجواهر المضية في طبقات الحنفية ج ٢ ص ٣٦٧ الناشر: مير محمد كتب خانة- كراتشي. وينظر: خير الدين بن محمود بن محمد بن علي بن فارس الزركلي الدمشقي(ت ١٣٩٦هـ) الاعلام ج ٧ ص ٣٠.دار العلم للملايين ط ١٥ مايو ٢٠٠٢م. وينظر: د/ حسين مجيب المصري: معجم الدولة العثمانية ص ٩، ١٤٢، الدار الثقافية للنشر- القاهرة ط الأولى ١٤٢٥هـ- ٢٠٠٤م.

٤- نجيب فاضل: ولد الشاعر، والكاتب، والمفكر التركي "أحمد نجيب فاضل قيصا كيوريك" عام ١٩٠٤م في مدينة إسطنبول، وتربّى فى قصر جده حلمي أفندي رئيس محكمة الجنايات والاستئناف فى عهد السلطان (عبد الحميد الثاني)، وحفظ القرآن الكريم حينما أتم عمر الخامسة عشر، وقرأ للعديد من المفكرين، والكتّاب، والأدباء في سن مبكرة جدًا. التحق نجيب فاضل في عام ١٩٢١ بقسم الفلسفة في كلية الآداب في جامعة إسطنبول وبعد سنة واحدة من إعلان الجمهورية في تركيا عام ١٩٢٣، ابتُعِث إلى باريس، والتحق هناك بقسم الفلسفة في جامعة السوربون، وبعد سنة واحدة عاد إلى وطنه.تعرض للسجن والاعتقال أكثر من مرة لوقوفه ضد العلمانية وأول دار نفح فيها روح الفن هي كونسرفاتوار (معهد موسيقى الدولة) وأكاديمية الفنون الجميلة. إنه صاحب المدرسة الفكرية(الشرق الكبير) المسماة باسم الدورية التي أصدرها مرات كلما منعت أعاد اصدارها. وهو أحد أفذاذ أساتذة الشعر والنثر ومهندسي الفكر المستقبلي في العصر الأخير. له ما يربو عن مائة كتاب، في السياسة والتاريخ والشعر، كما كتب عددًا من الروايات والمسرحيات. وتوفي في ٢٥ مايو ١٩٨٣ ودفن بمنطقة أيوب في إسطنبول. من ترجمة كولن له في مقال(انسان الفكر والحركة)ينظر: ونحن نقيم صرح الروح ص ٦٧.وينظر مقال نجيب فاضل سلطان الشعراء الأتراك على موقع TRTالعربية بتاريخ ٢٠١٦/٢/١٢م.

فيزياء،وكيمياء، وأحياء، وفلك، وتعرف على أمهات مصادر فلاسفة الشرق والغرب[١] لاسيما الوجوديين أمثال: سارتر[٢]... فجعلت منه هذه المقومات رجل فكر وحركة"[٣].

ويقول أحد من كتب عن حياته إنه مثقف نهم يقرأ يوميا ١٥٠- ٢٠٠ صفحة بدأ من طفولته بقراءة السيرة النبوية، ومناقب الصحابة، وعكف على الكتب العلمية، والفكرية، والفلسفية قرأ لرواد الثقافة الغربية أمثال: (فولتير)[٤]و(روسو)[٥]، و(كانط)[٦] وقرأ لرواد لرواد الثقافة الشرقية أمثال: (مولانا جلال الدين الرومي)، و(الملا جامي)[٧] وقرأ للأدباء للأدباء أمثال:

١- قرأ واطلع على فكر الفلاسفة أمثال الفارابي، وابن سينا، وابن خلدون، والغربيين أمثال: سارتر، وديكارت، وكانط، وآخرين وسيتبين ذلك من خلال البحث لا حقا.

٢- جان بول سارتر(١٩٠٥-١٩٨٠م) فيلسوف وكاتب وأديب فرنسي ينتسب إلى المذهب الوجودي توفي والده عام ١٩٠٦م، فلقنته أمه مبادئ الكاثوليكية المحافظة، دخل الخدمة العسكرية، وأسر وبعد إطلاق سراحه، توجه إلى التعليم، ثم انضم إلى عدة حركات سياسية، ومنح جائزة نوبل ١٩٦٤م فرفضها، وهو أول ممثل للوجودية في فرنسا، وله عدة مؤلفات منها: التخيل- الخيالي- الوجودية نزعة إنسانية وتوقف انتاجه التأليفي ١٩٦٨م بعد أن ساءت صحته وتوفي ١٩٨٠م. ينظر: الأستاذ/ روني إيلي ألفا: موسوعة أعلام الفلسفة العرب والأجانب ج ١ ص ، ٥٣١، تقديم: الرئيس شارل حلو ، مراجعة: دكتور/ جورج نخل، دار الكتب العلمية بيروت- لبنان، ط: الأولى ١٤١٢هـ- ١٩٩٢م. ينظر: د/ عبد الرحمن بدوي: موسوعة الفلسفة ج ١ ص ٥٦٣.المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ط: الأولى ١٩٨٤م.

٣- ينظر: أرطغرول حكمة : فتح الله كولن قصة حياة ومسيرة فكر ص ١١٥ .

٤- فولتير:(باريس ١٦٩٤م- ١٧٧٨م) اسمه: فرانسوا ماري آرويه، كاتب شاعر وفيلسوف فرنسي، التزم فولتير فلسفة أخلاقية ذات نظرة تشاؤمية إلى الإنسان والحياة، وانتقد الأديان باعتبارها مصدرا للتعصب، ورفض علم ما بعد الطبيعة؛ لأنه مصدر تعاسة للإنسان كما يرى .من مؤلفاته: الرسائل الفلسفية - مقالات حول الإنسان- عناصر فلسفة نيوتن- التسامح- أخلاق الأمم وروحها - مسرحية أوديب. ينظر: الأستاذ روني إيلي ألفا: موسوعة أعلام الفلسفة ج ٢ ص ١٧٠- ١٧٦.وينظر: د/ عبد الرحمن بدوي: موسوعة الفلسفة ج ٢ ص ٢٠٤.

٥- جان جاك روسو (جنيف ١٧١٢م- ١٧٧٨م) كاتب وفيلسوف كتب باللغة الفرنسية، كان له نفوذ قوي على الفلسفة كما كان له على الأدب، والذوق، والأخلاق، والسياسة، وله أهميته في المجال الاجتماعي كمصلح ومبتكر فلسفة سياسية خاصة بالدكتاتوريات شبه الديمقراطية كمقابلة للملكيات التقليدية. من مؤلفاته: خطاب في العلوم والفنون – العقد الاجتماعي – وفلسفته إصلاحية انتقدت المجتمع، ووصفته بالجور والفساد، وسعت إلى إصلاحه بوسائل تركب بين الطبيعة والثقافة. ينظر: موسوعة أعلام الفلسفة العرب والأجانب ج ١ ص ٤٩٨- ٥٠١.برتراند رسل: تاريخ الفلسفة الغربية الكتاب الثالث الفلسفة الحديثة ص ٢٤٩ترجمة: د/ محمد فتحي الشنيطي، الهيئة المصرية العامة للكتاب ٢٠١٢م.

٦- كانط: (١٧٢٤م- ١٨٠٤م) (عمانويل كانط) فيلسوف ألماني، أعظم فلاسفة العصر الحديث كان ذا نزعة عقلية تامة؛ ولهذا أحب العلوم الدقيقة وهي الرياضيات، والعلوم الطبيعية كالفيزياء والفلك؛ لكونها قائمة على التجربة والملاحظة، وانطلق منها لتكوين نظرة شاملة للكون، تعرف فلسفته بكونها فلسفة نقدية اهتمت بتحليل المعرفة تحليلا نقديا فركزت اهتمامها على نقد العقل النظري في تمييزه بين الصحيح والخطأ وإدراكه للواقع، وعلى نقد العقل التطبيقي في تمييزه بين الخير والشر، وخلص إلى الإقرار بذاتية الحقيقة، وإلى الإقرار بحقيقة الله، والنفس، والعالم. من مؤلفاته: نقد العقل الخالص- المقدمات- الدين في حدود العقل البسيط. ينظر: موسوعة أعلام الفلسفة ج ٢ ص ٢٤٤، ينظر: د/ عبد الرحمن بدوي: موسوعة الفلسفة ج ٢ ص ٢٧٢..

٧- الإمام العارف بالله عبد الرحمن بن أحمد الجامي. ولد بجام من قصبات خراسان ، اشتغل بالعلوم العقلية والشرعية فأتقنها، وكان عالما بالأدب والشعر ثم صحب مشايخ الصوفية، وكان مشتهرا بالفضائل. وبلغ صيت فضله وعلمه الآفاق، حتّى دعاه السلطان بايزيد خان إلى مملكته، وأرسل إليه بجوائز قيمة، وله مؤلفات جمّة، منها: «شرح فصوص الحكم» لابن عربي، و «شرح الكافية لابن الحاجب» وهو أحسن شروحها. وكتب على أوائل القرآن العظيم تفسيرا مهما، وله كتاب «شواهد النبوة» بالفارسية. وكتاب «نفحات الأنس» بالفارسية

(تولستوي)،[١]وفي حواراته وكتاباته يشير إلى منطق(روسيل)،[٢]والنظرية الجدلية من (باسكال)[٣] حتى (هيجل)،[٤]وقرأ في الأدب التركي لعمالقة، ولعظماء الكتاب والشعراء أمثال: (نجيب فاضل)، و(محمد عاكف)[٥].

أيضا. وكتاب «سلسلة الذهب» حطّ فيه على الرافضة، وكتاب «الدرة الفاخرة» ،وتوفي بهراة٨٩٨هـ. عبد الحي بن أحمد بن محمد ابن العماد العَكري الحنبلي، أبو الفلاح (المتوفى: ١٠٨٩هـ): شذرات الذهب في أخبار من ذهب ٥٤٣/٩حققه: محمود الأرناؤوط، خرج أحاديثه: عبد القادر الأرناؤوط، الناشر: دار ابن كثير، دمشق – بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤٠٦ هـ - ١٩٨٦م.

١- تولستوى(١٨٢٨- ١٩١٠م): الكونت ليو تولستوى ابن الجنرال تولستوى وحفيد الكونت تولستوى السياسي الروسي. فيلسوف وروائي روسي من أعلام المستشرقين الروس نشأ جنديا، ثم اشتغل بإصلاح الهيئة الاجتماعية، فأخذ يكتب القصص ويودعها مذهبه حتى ذاع صيته، وتصدى لقادة الأديان وانتقدهم حتى حكموا بإلحاده، وأعجب بالإسلام وتعاليمه في الزهد، والأخلاق، والتصوف. وانبهر بشخصية النبي - ﷺ- وعده من عظماء الرجال الذين خدموا المجتمع الإنساني، ورآه من كبار المصلحين الداعين إلى السلام من خلال تعاليمه= =التي تنبذ العنف، من مؤلفاته: كتاب الاعتراف- طريق الحياة- لكل يوم- دائرة القراء. ينظر: د/ عزالدين فراج: نبي الإسلام في مرآة الفكر الغربي ص ٧٤، تقديم: محمد عمارة، هدية مجلة الأزهر ١٤٣٤هـ. وينظر: المجلس الأعلى للشئون الإسلامية: الإسلام في عيون المنصفين ج١ ص ١٢٥، سلسلة قضايا إسلامية العدد ١٦٦ وزارة الأوقاف ١٤٢٩هـ- ٢٠٠٨م، وينظر: د/عبد المتعال محمد الجبري: الاستشراق وجه للاستعمار الغربي ص ٦٢، مكتبة وهبة، ط: الأولى ١٤١٦هـ- ١٩٩٥م.

٢- برتراند رسل(Bertrand Russel:(١٨٧٢م- ١٩٧٠م) فيلسوف، ومنطقي، وعالم رياضيات واجتماع بريطاني. أعطاه الله بسطة في العمر والفكر فعاش قرنا إلا عامين، وشمل فكره كل فروع المعرفة فاشتهر بمؤلفاته العلمية والفكرية المتنوعة، وبمواقفه ضد الحرب والأسلحة النووية، اهتم بالمنطق فكان من رواد= =المنطق الرياضي، ودرس عدة مسائل كالمعرفة، والسياسة ،والأخلاق. منهجه في الفلسفة هو منهج التحليل المنطقي، من مؤلفاته: أسس الرياضيات- نحو الحرية – تاريخ الفلسفة الغربية - المعرفة الإنسانية هدفها وحدودها - الدين والعلم - التصوف والمنطق- مشكلات فلسفية. ينظر: موسوعة أعلام الفلسفة العرب والأجانب ج ١ ص ٤٨٢، وينظر: فؤاد كامل: أعلام الفكر الفلسفي المعاصر ص ١٧، دار الجيل- بيروت، ط: الأولى ١٩٩٣م.

٣- بسكال بليز(١٦٢٣- ١٦٦٢م): رياضي، فيزيائي، فيلسوف، وكاتب فرنسي منافح عن العقيدة الكاثوليكية؛ ولذا ابتعد عن البراهين العقلية واعتمد الوحي في إثبات العقائد الإيمانية، واستخدام القلب والعاطفة، فهي تؤثر في الناس بينما لا يولون العقل إلا اهتماما ثانويا كما يرى. من مؤلفاته: الخواطر- حقيقة الدين المسيحي- رسالة المثلث الحسابي- خطاب في انفعالات الحب. ينظر: موسوعة أعلام الفلسفة العرب والأجانب ج ١ ص ٢٣٢- ٢٣٥. وينظر: د/ عبد الرحمن بدوي: موسوعة الفلسفة ج ١ ص ٣٥٣.

٤- هيجل: (١٧٧٠م-١٨٣١م) فيلسوف ألماني عمل أستاذا في جامعة هايدلبرغ، اهتم في بدء نتاجه الفلسفي بمسائل الدين والتاريخ في فكر ملازم للواقع الذي هو حياة الشعور وروح اليهودية والمسيحية، ثم تطور الأمر، فاعتبر الفلسفة وسيلة تعبر عن الحياة الإنسانية في تاريخها، من مؤلفاته: الإيمان والمعرفة- المنطق الكبير - فلسفة الحق- موسوعة العلوم الفلسفية دروس في فلسفة التاريخ- روح المسيحية وقدرها- فلسفة القانون. في أخريات حياته بدأ نجاحه ينهار بسبب موقف السلطات الرسمية والدينية له إذ اعتبر خطرا على كليهما، وتوفي بالكوليرا التي انتشرت في بروسيا١٨٣١م . ينظر: موسوعة أعلام الفلسفة العرب والأجانب ج ٢ ص ٥٦٩- ٥٧٣.وينظر: دكتور/ عبد الرحمن بدوي: موسوعة الفلسفة ج ٢ ص ٥٧٠.

٥- محمد عاكف أرضوى (١٨٧٣- ١٩٣٦م): ناظم النشيد الوطني التركي يعد من الشعراء الأتراك الذين أرسوا دعائم الشعر التركي والثقافة التركية الحديثة قبل وبعد تأسيس الجمهورية التركية في بلاد الأناضول والعالم الإسلامي، فهو الملقب بشاعر الإسلام وشاعر الأمل، وصاحب أعظم قصيدة إنسانية في الأدب التركي، وهي قصيدة (نشيد الاستقلال)، والمساهم في بناء الشخصية التركية من خلال نصوصه الشعرية، ومقالاته، وترجماته المتعددة، مما جعله شاعر تركيا الأول، وباعث نهضتها في القرن العشرين، كان مخلصا وفيا لوطنه وحريته في سائر مراحل حياته: مفتشا، ومدرسا للآداب في دار الفنون وباذلا جهده في فريق (الصراط المستقيم). عارض

اختير (فتح الله كولن) في مناسبات عديدة كأكثر الشخصيات تأثيرا في العالم، وحاز عدة جوائز جاء في المرتبة الأولى ضمن قائمة(أهم مائة مثقف في العالم)، وذلك لتجاوز تأثيره حدود بلاده، وذيوع صيته الثقافي في مختلف أنحاء العالم بحسب استطلاع أجرته عام ٢٠٠٨م مجلة السياسة الخارجية forgien policy بالتعاون مع مجلة pros-pect البريطانية.

يتبين مما سبق أن (فتح الله كولن) موسوعي في تكوينه الثقافي حيث جمع بين علوم الدين وعلوم العصر المختلفة.

ج- مؤلفاته:

أثمرت رحلة (كولن) العلمية وثقافته - وما زالت تثمر- عن العديد من المؤلفات والبحوث والمقالات، إضافة إلى آلاف الخطب، والمواعظ، والدروس المسجلة على أشرطة، ويقوم تلاميذه بتفريغها وتحريرها، ويقوم هو بمراجعتها قبل التصريح بطباعتها، ومعظمها لا يزال باللغة التركية[١].

إلى جانب الأحاديث الصحفية واللقاءات التليفزيونية، والتي تتناول رؤاه حول عدة قضايا.

وتنشط حركة الترجمة لمؤلفاته ودروسه وكذلك لقاءاته الصحفية والتليفزيونية وتترجم إلى عدة لغات منها العربية عن طريق دور النشر مثل: دار النيل(تسمى الآن دار الانبعاث)، والتي فرعها الرئيسي بالقاهرة، وعن طريق مجلة حراء التي تصدر بالعربية للتواصل مع العالم العربي. ويمكن تصنيف مؤلفاته على النحو التالي:

أ- المقالات:

كتب (فتح الله كولن) العديد من المقالات فله ٤٨٥ مقالة منشورة في ثلاث مجلات تصدر بالتركية هي مجلة: (سيزنتي) وفيها ٣٦٠ مقالة، ومجلة (ياغمور) وفيها ٤٤ مقالة، ومجلة (يني أميد) وفيها ٨١ مقالة.

ب- الأشعار:

له ديوان شعر من مجلدين بالتركية بعنوان(المضرب المكسور)، لم يترجم للعربية بعد، ومقتطفات شعرية وضعها في كتاب تحت اسم (ألوان ومرايا) ترجمه للعربية ونشرته دار النيل بالقاهرة.

ج- الدروس:

العلمانية، واضطر لترك وطنه في سبيل ذلك .ينظر: موقع htt//www. herkul.orgفي مقال اثنتان من المؤيدات للحفاظ على نشاط الحياة الدينية بتاريخ ١٠-٦- ٢٠١٦م.و محمد فتح الله كولن : كتاب ونحن نقيم صرح الروح ص ٦٦ ترجمة: عوني عمر لطفي أوغلو دار النيل- القاهرة ط الخامسة ٢٠١١م- ١٤٣٢هـ.وينظر: مقال: (محمد عاكف أرضوى شاعر تركيا الأول)، موقع تركيا بوست بتاريخ ٢٧ ديسمبر ٢٠١٦م.

١- الدكتور: إبراهيم البيومي غانم: مقال الخدمة في خدمة عالمية الإسلام ص ١٩- ٢٠ من مجلة حراء عدد ٤٢ لسنة ٢٠١٤م.

دأب (كولن) منذ وقت مبكر من حياته الاجتماع بتلاميذه في حلقات تربوية يتدارسون بعض الكتب، أو يلقي عليهم بعض الدروس والمواعظ في شتى المجالات، وهذه الدروس مستمرة إلى الآن فهناك درس أسبوعي يلقيه على تلاميذه في مقر إقامته بالولايات المتحدة، ويترجم إلى عدة لغات منها العربية، وينشر على موقع herkul على شبكة الأنترنت.

د- الكتب:

له عدد كبير من المؤلفات بلغت أكثر من ٧٠ كتابا بعضها مترجم إلى العربية، وبعضها مترجم إلى عدة لغات أخرى، أما ما ترجم إلى العربية فمنها:

١- النور الخالد محمد (ﷺ)مفخرة الإنسانية: وهو أشهر كتبه عن سيرة النبي (ﷺ) وجزء منه يتحدث عن السنة ومكانتها في التشريع. ترجمة: أورخان محمد علي، دار النيل- القاهرة، ط: الثامنة١٤٣٤هـ- ٢٠١٣م.

٢- أضواء قرآنية في سماء الوجدان: عبارة عن خواطر (وليس تفسيرا) عن بعض آيات من القرآن. ترجمة: أورخان محمد علي، دار النيل، ط: الرابعة ١٤٣٠هـ- ٢٠٠٩م.

٣- خواطر من وحي سورة الفاتحة: وهي مفاهيم روحية ودروس استقاها من وحي السورة الكريمة. ترجمة: أجير إشييوك، دار النيل، ط: الأولى ٢٠١٥م.

٤- الموازين أو أضواء على الطريق: عبارة عن مقتطفات أو حكم قصيرة وقد تطول أحيانا عن أمور كثيرة في العلم، والأخلاق، والتصوف، وغيرها. ترجمة: أورخان محمد علي، دار النيل، الطبعة: السابعة: ١٤٣٣هـ- ٢٠١٢م.

٥- (ونحن نبني حضارتنا): مقالات متفرقة عن النهضة والإحياء. ترجمة: عوني عمر لطفي أوغلو، دار النيل ١٤٣٣هـ- ٢٠١٢م. .

٦- ونحن نقيم صرح الروح: عبارة عن مقالات متفرقة في أمور شتى. ترجمة: عوني عمر لطفي أوغلو، دار النيل، ط: الخامسة: ١٤٣٢هـ- ٢٠١١م.

٧- التلال الزمردية نحو حياة القلب والروح(الجزء الأول) : وهو عن التصوف تعريفه، ومقاماته، وأحواله. ترجمة: إحسان قاسم الصالحي، دار النيل، ط: الرابعة: ١٤٣٢هـ- ٢٠١١م.

٨- ترانيم روح وأشجان قلب: عبارة عن خواطر متفرقة عن بعض الأمور كالصلاة، والحج، والصوم، والذكر، وغيرها. ترجمة: أورخان محمد علي، ط: الرابعة: ١٤٣١هـ- ٢٠١٠م.

٩- ألوان وظلال في مرايا الوجدان: عبارة عن مقطوعات شعرية قصيرة من تأليف كولن. ترجمة: هيئة حراء للترجمة، تعريب: أديب إبراهيم الدباغ، دار النيل، ط: الأولى ١٤٣١هـ- ٢٠١٠م.

١٠- أسئلة العصر المحيرة: يشتملان عن أسئلة في مجال العقيدة، والفقه، والتصوف أجاب عنها، وهي عدة أجزاء ترجم منها:

- أسئلة العصر المحيرة. ترجمة: أورخان محمد علي، دار النيل، ط: الرابعة .

- الرد على شبهات العصر(الجزء الأول)، ترجمة: أورخان محمد علي- عبد الله محمد عنتر، دار النيل، ط: الأولى ١٤٣٤هـ- ٢٠١٣م.

- نحو عقيدة صحيحة(الجزء الثاني). ترجمة: أورخان محمد علي- عبد الله محمد عنتر، دار النيل ٢٠١٤م.

- الاستقامة في العمل والدعوة(الجزء الثالث)، ترجمة: أورخان محمد علي- د/ عبد الله محمد عنتر ط: الأولى ٢٠١٥م.

١١- حقيقة الخلق ونظرية التطور. ترجمة: أورخان محمد علي، دار النيل، ط: الرابعة: ١٤٣٠هـ- ٢٠٠٩م. .

١٢- القدر في ضوء الكتاب والسنة. ترجمة: إحسان قاسم الصالحي، دار النيل، ط: السابعة: ١٤٣٣هـ- ٢٠١٢م.

١٣-الموشور[١]: ترجمة: د/ عبد الرازق أحمد محمد، دار النيل- القاهرة ٢٠١٥م.

١٤- سلسلة الجرة المشروخة(١٤):إشراقات الأمل في دياجي الحزن والأسى، ترجمة: د/ عبد الرازق أحمد- د/ عبد الله محمد عنتر، دار النيل، ط: الأولى ٢٠١٥م.

١٥- نفخة البعث شواهد الحياة بعد الموت. ترجمة: نور الدين صواش ، دار النيل، ط: الأولى ٢٠١٥م.

١٦- طرق الإرشاد في الفكر والحياة: يتكلم فيه عن الدعوة إلى الله وصفات الداعي وغيره. ترجمة: إحسان قاسم الصالحي، دار النيل، ط: الرابعة: ١٤٣١هـ- ٢٠١٠م.

١٧- روح الجهاد وحقيقته في الإسلام، ترجمة: إحسان قاسم الصالحي، دار النيل، ط: السابعة ١٤٣٣هـ- ٢٠١٢م. .

١٨- من البذرة إلى الثمرة تربية الأبناء وبناء شخصية متكاملة: ترجمة: د/ عبد الله محمد عنتر، دار النيل، ط: الثانية ٢٠١٥م.

١٩- القلوب الضارعة: عبارة عن أذكار وأدعية. دار النيل للطباعة والنشر- القاهرة.

١- الموشور: اسم يطلق على الأجسام المصنوعة من مادة شفافة تعكس الأشعة حولها وتحللها فالموشور كتاب اختزلت فيه وفقا لمعيار عقول المخاطبين المعارف الوهبية والكسبية الشبيهة بأطياف الضوء فصنفت وروعي فيها عنصر الزمان والمكان والإنسان فهو يقوم بوظيفة العكس والتحليل مثل المنشور الحقيقي ينظر: أحمد قوروجان : مقدمة الموشور ص ١٥ ترجمة: عبد الرازق أحمد محمد ، دار النيل ٢٠١٥م.

٢٠- شد الرحال لغاية سامية: ترجمة: عبد الله محمد عنتر- د/ عبد الرازق أحمد، دار النيل- القاهرة ٢٠١٤م.

٢١- حوارات مع الأستاذ فتح الله كولن كلمات شاهدة حول الدين والمجتمع والدولة بأفق إنساني: دار النيل للطباعة والنشر- القاهرة ٢٠١٥م.

هـ- مؤلفات وأبحاث كتبت عنه من ذلك:

١- أرباب المستوى الأكاديميا باعتبارها جماعة علمية: الدكتور/ محمد بابا عمي. دار النيل، ط: الأولى ٢٠١٢م.

٢- رواية عودة الفرسان سيرة محمد فتح الله كولن: فريد الأنصاري. دار النيل، ط: الثالثة ١٤٣٣هـ- ٢٠١٢م.

٣- مؤتمر دولي مستقبل الإصلاح في العالم الإسلامي خبرات مقارنة مع حركة فتح الله كولن التركية: جامعة الدول العربية ١٩- ٢١ أكتوبر ٢٠٠٩م.دار النيل، ط: الأولى ١٤٣٢هـ- ٢٠١١م.

٤- نداء الروح رحلة في عالم الفرسان: الدكتورة/ مريم آيت أحمد. دار النيل، ط: الأولى ١٤٣٤هـ- ٢٠١٣م.

٥- الضاربون في الأرض: الدكتور/ أديب إبراهيم الدباغ. دار النيل، ط: الأولى ١٤٣٣هـ- ٢٠١٢م.

٦- السلام والتسامح في فكر كولن مجموعة أبحاث لعدد من المؤلفين الأجانب. إشراف: ا د/ زكي ساري توبراك، دار النيل ٢٠١٤م.

٧- محاورات حضارية حوارات نصية بين فتح الله كولن وفلاسفة الفكر الإنساني: الأستاذة الدكتورة/ جيل كارول. تقديم البروفيسور: أكبر أحمد، ترجمة: إلهام فتحي- أحمد سعيد، دار النيل، ط: الأولى ١٤٣٢هـ - ٢٠١م.

٨- فتح الله كولن رائد النهضة الراشدة في تركيا المعاصرة: للدكتور/ عبد الحليم عويس. دار النيل، ط: الأولى ١٤٣٤هـ- ٢٠١٣م.

٩- الانبعاث الحضاري في فكر فتح الله كولن: الأستاذ الدكتور/ سليمان عشراتي. دار النيل- القاهرة، ط: الأولى ١٤٣٣هـ - ٢٠١٢م.

١٠- هندسة الحضارة تجليات العمران في فكر فتح الله كولن: الأستاذ الدكتور/ سليمان عشراتي. دار النيل: ط: الأولى: ١٤٣٣هـ- ٢٠١٢م.

١١- البراديم كولن، فتح الله كولن ومشروع الخدمة على ضوء نموذج الرشد: الدكتور/ محمد بابا عمي. دار النيل، ط: الأولى: ١٤٣٢هـ- ٢٠١١م.

١٢- الزمن والوقت نصوص ومفاهيم مؤسسة على الرؤية الكونية لفكر الأستاذ فتح الله كولن: الدكتور/ محمد بابا عمي. دار النيل ط الأولى ٢٠١٣م.

١٣- العروج الحضاري بين مالك بن نبي وفتح الله جولن: الأستاذ الدكتور/ فؤاد عبد الرحمن البنا. كتاب الأمة العدد١٥٥، ط: الأولى جمادى الأولى ٢٤٣٤هـ- ٢٠١٣م. يصدرها إدارة البحوث والدراسات الإسلامية- وزارة الأوقاف- قطر

١٤- عبقرية فتح الله كولن بين قوارب الحكمة وشواطئ الخدمة: الأستاذ الدكتور/ فؤاد البنا. دار النيل، ط: الأولى ١٤٣٣هـ- ٢٠١٢م.

١٥- فتح الله كولن، جذوره الفكرية واستشرافاته الحضارية: محمد أنس أركنه. ترجمة: أورخان محمد علي، دار النيل، ط: الثانية ١٤٣٢هـ- ٢٠١١م.

١٦- فتح الله كولن، قصة حياة ومسيرة فكر: أرطغرول حكمة. ترجمة: عبد المولى علي جربيع- خالد جمال عبد الناصر، دار النيل، ط: الأولى ١٤٣٤هـ- ٢٠١٣م.

١٧- فتح الله كولن، الرؤية والتأثير تجربة فاعلة في المجتمع المدني. مايمول أحسن خان ترجمة: أحمد سعيد عبد الوارث- محمود علي جمعة، دار النيل ٢٠١٥م.

١٨- فتح الله كولن ومقومات مشروعه الحضاري: علي أونال، ترجمة: د/ عبد الرازق أحمد محمد، دار النيل، ط: الأولى ٢٠١٥م

١٩- نور وفتح، قراءة في فكر سعيد النورسي وفتح الله كولن: عبد القادر الإدريسي، دار النيل ٢٠١٤م.

٢٠- تقارب الشعوب موعد الحضارات: المفكر الإسلامي التركي فتح الله جولن نموذجا. د/ هدى درويش، دار السلام- القاهرة، ط: الأولى ١٤٣١هـ- ٢٠١٠م.

٢١- أشواق النهضة والانبعاث قراءات في مشروع الأستاذ فتح الله كولن: د/ محمد جكيب، دار النيل، ط: الأولى ١٤٣٤هـ- ٢٠١٣م.

٤- عمله ووظائفه:

بعد رحلة (فتح الله كولن) في طلب العلم بدأ يبحث عن وظيفة فاتجه إلى (أدرنة) فعين في أول الأمر في نظام إمامة رمضان في مسجد (آق مسجد) أي (المسجد الأبيض)، ثم عين بعد ذلك إماما لمسجد (الشرفات الثلاث).

ثم عمل لبعض الوقت إماما ملقنا للشهادة للمحكوم عليهم بالإعدام في أدرنة ١٩٥٩م.

وفي أثناء الخدمة العسكرية تولى الوعظ في عدة مساجد، واشترك في ندوة في الجامعة تتحدث عن مولانا (جلال الدين الرومي) فنال إعجاب الجميع، وشارك في فعاليات إنشاء جمعية لمقاومة الشيوعية في (أرضروم).

عين معلما في مركز لتعليم القرآن الكريم، ثم إماما لمسجد (دار الحديث)، وأنشأ به أول مدرسة لتعليم الطلبة[١].

ضيق عليه في (أدرنة) فطلب النقل، فنقل إلى محافظة (قرقلارألي)، وظل يزور (أدرنة) يتابع طلابه هناك[٢].

وفي مارس ١٩٦٦م عين في (أزمير) مديرا لسكن طلاب ثانوية الأئمة والخطباء(كستانه بزاري)، ومع اهتمامه بالطلاب وإقامة المخيمات الصيفية[٣]لهم - التي كانت نظاما كاملا للثقافة، والرياضة، والنظام، وكانت أعداد الطلاب في تزايد كل عام- لم ينقطع عن الوعظ، وسجلت دروسه ووزعت في تركيا.

أصدر مع (صالح أوزجان) جريدة اسمها(الاتحاد)، ثم اختير مشرفا على بعثة الحج عام ١٩٦٨م.

في عام ١٩٧٢م عين في(أدرميت) وأمضى بها سنتين وأربعة أشهر، ثم عين في ١٩٧٤/٦/٢٩م واعظا أول في (مغنيسا) .

بدأ يتجه إلى المحاضرات ١٩٧٥م فألقى محاضرة في أحد الجامعات عن (جلال الدين الرومي)، ثم محاضرة عن التقنيات والعلوم الطبيعية في ضوء القرآن، ثم ثالثة عن نظرية التطور، ثم الجيل الذهبي، ثم بدأ في الحديث إلى رواد المقاهي للدعوة وتربية الشباب.

أرسلته وزارة الأوقاف ١٩٧٧م مبعوثا خارج تركيا فحاضر في (برلين) و(فرانكفورت) و(هامبورك) و(ميونخ)، وكان يكتب المقال الرئيس في مجلة (سيزنتي) التي انطلقت عام ١٩٧٩م، والمقال الرئيس لمجلة(الأمل الجديد)١٩٨٨م.

ألقى دروس عن الرسول (ﷺ) في جامع (والد سلطان) من ١٩٨٩م إلى عام ١٩٩٠ وجمعت في كتاب (النور الخالد محمد مفخرة الإنسانية) [٤].

أنشأ (وقف الصحفيين والكتاب) يونيه ١٩٩٤م للحوار مع كافة أفراد المجتمع، ومع العالم أجمع لتحقيق الوحدة والسلام[٥] .

بدأ يعرف ويشتهر في وسائل الإعلام المحلية والعالمية؛ لنشاطه التعليمي في إنشاء المدارس، ومؤسسات الإغاثة حول العالم، وأجريت معه الكثير من الحوارات، وقابل عددا من ممثلي الأديان، وبدأ في إقامة مؤسسات للحوار في الخارج[٦].

١- ينظر: أرطغرل حكمة: فتح الله كولن قصة حياة ومسيرة فكر ص ٣٧- ٥٤.
٢- السابق ص ٥٦- ٥٨ وينظر: عودة الفرسان ص ٢٣٦.
٣- ألف كولن قصيدة سماها أيام المخيمات، ومقال سماه زمن المخيمات ينظر : أرطغرل حكمة: فتح الله كولن قصة حياة ص ٧٣ ، ٧٩، وفريد الأنصاري: ينظر عودة الفرسان ص ٢٥٩ .
٤- ينظر: أرطغرل حكمة: فتح الله كولن قصة حياة ومسيرة فكر ص٦٠- ١٠٠.
٥- ينظر: فريد الأنصاري: عودة الفرسان ص ٣٢٥.
٦- ينظر: فتح الله كولن قصة حياة ومسيرة فكر ص ١٠٦- ١١٠.

ثم سافر إلى أمريكا ١٩٩٩م، وأقام بها؛ بعدا عن التضييق وطلبا للعلاج[١]واستمر في نشاطه الدعوي، والتعليمي، والإغاثي وحوار الحضارات من مقر إقامته في ولاية بنسلفانيا حتى الآن.

٥- شبهات حول فتح الله كولن:

سبق أن ذكرت أن إحدى مشكلات الدراسة تتمثل في عدم وجود كتابات موضوعية عن فكر (كولن) وما عثرت عليه إما من كلام أتباعه الذي يصل إلى درجة التقديس، أو من حديث أعدائه الذي يصلون به إلى حد المروق والخروج من الدين.

أما كلام أتباعه، فلم أستقِ منه إلا بحذر وبقدر؛ مراعاة للموضوعية، أما كلام خصومه فينصب في اتجاهين:

الاتجاه الأول: يخص السياسة .

الاتجاه الثاني: يخص الدين.

والأول ليس مجال بحثنا، أما الثاني فما وجدته من كلام خصومه كلاما لا دليل عليه، ولا يستند إلى أي مستند من كتابات (كولن)، أو أقواله، وقد قام بالرد عليها ونفاها.

أما الاتهام فهو ادعاء (لطيف أردوغان)، - وهو كان أحد المقربين من (كولن) وصحبه لمدة أربعين عاما حتى أنه كان يعتبر خليفته لدرجة أن يؤلف كتابا عن حياته- دنياي الصغيرة-، ثم فارقه فيما بعد، وادعى على (كولن)- قوله: (أنه يلتقي الله ويتكلم معه) [٢]وهذه التهمة سئل فيها (كولن) في أحد اللقاءات الصحفية، والسؤال كان تحديدا عن ما يذاع من ادعاء (كولن) أنه المسيح، أو المهدي، أو التكلم مع الله، أو أنه إمام الكائنات.

وكان جواب (كولن) كالآتي:

أما عن الدعوى الأولى: مسألة المهدي والمسيح[٣]:

فيرى (كولن)أنه طوال التاريخ هناك من أثبت المسألة ومن نفاها، ولكن أسيء استغلالها من أصحاب النوايا السيئة، ورميت الافتراءات بالعلماء، ومنهم (النورسي)، ولم يعرض لرأيه في هذه المسألة .

١- ينظر: عودة الفرسان ص ٣٣٠.

٢- لقاء لطيف أردوغان مع أحمد منصور على قناة الجزيرة الإخبارية في برنامج (بلا حدود) بتاريخ ٢٠١٦/٨/١٠م والحلقة الثانية بتاريخ ٢٠١٦/٨/١٧م.

٣- الواجب اعتقاده ما دلت عليه الأخبار والآثار من وجود المهدي المنتظر الذي يُخرِج الدجال وهو المراد حيث أطلق المهدي، فأما المذكورون قبله فلم يصح فيهم شيء، والذين من بعده أمراء صالحون لكن ليس مثله فهو آخرهم في الوجود، وإمامهم، وخيرهم، وأفضلهم في الحقيقة غير سيدنا عيسى بن مريم فإنه رسول كريم من أولي العزم، وهو آية وعلامة وحده، فيجب الإيمان بنزوله، وأنه في زمن المهدي، وسيصلي خلفه الفجر، ويقتل الدجال. ينظر: شمس الدين، أبو العون محمد بن أحمد بن سالم السفاريني الحنبلي (المتوفى: ١١٨٨هـ): لوامع الأنوار البهية وسواطع الأسرار الأثرية لشرح الدرة المضية في عقد الفرقة المرضية ج ٢ ص ١٢٧الناشر: مؤسسة الخافقين ومكتبتها – دمشق، الطبعة: الثانية - ١٤٠٢ هـ - ١٩٨٢ م.

أما عن التهمة، فكان رده :"لقد درس عندي العشرات من الطلبة حتى الآن وجميعهم يشهدون -على اعتبارهم يعرفونني عن كثب- أنني أعد القيام بمثل هذه الادعاءات كفرا وضلالا إنهم سمعوني عشرات المرات أقول "تعرفون أمي وتعرفون أبي ألا يكفينا أن نكون عبادا لله مخلصين كن بين الناس فردا من الناس"، أضف إلى ذلك أنني ما رأيت عاقلا - في البيئة التي نشأت فيها، ولا في أماكن أخرى- توهم في نفسه رتبة أو مقاما من هذا القبيل. لا يقول مثل هذا الكلام إلا من حرم نعمة العقل، ثم إني اعتبرت دائما هذا النوع من الاتهامات من أشنع الشتائم وأغلظ السباب، كما أن الذين يديرون ألسنتهم بهذه الافتراءات لا يعون أنهم يسخرون من عقول هذه الأمة"[١].

أما عن الدعوى الثانية: وهي التكلم مع الله:

فكان جواب كولن: "إني أستغرب كيف يقولون هذه الافتراءات بهذه السهولة؟ ومن يدعي ذلك يعرف حق المعرفة حساسيتي تجاه هذا الأمر والقرآن يقول بوضوح: چئى ئى ئد ى ى ي ي ئج ئح ئم ئى ئي بج بح بخ بم بى بي تجتح تخ تم تى چ[٢] إن أبسط معلومة إيمانية يمتلكها الإنسان تعلمه الأدب مع الله (عز وجل) نحن نشأنا في بيئة كانت قلوب الرجال فيها ترتجف بمجرد سماع اسم (الله)، وتنحني بانكسار، وتذوب بإكبار للذات العلية، نعم الفقير نشأ في بيئة ثقافية من هذا الطراز؛ لذا لا يمكن أن تجدوا لا في هذه البيئة، ولا في غيرها من يدعي مثل هذه الادعاءات البشعة أبدا"[٣].

أما فرية "إمام الكائنات":

فيقول في جوابه عنها: "أما فرية إمام الكائنات فلا تستحق الوقوف عندها أصلا فأي إنصاف، وأي وجدان يمكن أن يقبل مثل هذا البهتان إنهم يدعون هيكلا هرميا للخدمة[٤]زائفا وهميا لم يخطر ببالي قط، ولم أر له مثيلا طيلة حياتي التي قضيتها في سبيل الله والتي تناهز السبعين سنة، أي تلوث هذا الذي أصاب تلك العقول، وأي عفن أصاب تلك الأرواح؟"[٥].

إذن لا دليل من كلام (كولن) على ما اتهم به من قبل خصومه نستند إليه، ولا سيما والرجل ينفيها، وما سنقدمه له من آراء عقدية تدحض تلك الشبهات، أما تلك التي تخص السياسة فتلك مكايدة سياسية بين الخصوم وليست من محاور البحث ومتطلباته.

١- حوار فتح الله كولن مع جريدة زمان التركية بتاريخ ١٧- ٢١ مارس ٢٠١٤م. من كتاب حوارات مع الأستاذ فتح الله كولن كلمات شاهدة حول الدين والمجتمع والدولة بأفق إنساني ص ٩٢، دار النيل ٢٠١٥م.

٢- سورة الشورى الآية: ٥١.

٣- حوار فتح الله كولن مع جريدة زمان ص ٩٣.

٤- يقصد حركة أو جماعة الخدمة المنسوبة إلى فتح الله كولن، وهو ينفي في مواطن كثيرة أي تنظيم إداري لهذه الحركة .

٥- حوار مع جريدة زمان التركية من كتاب كلمات شاهدة ص ٩٣.

ثانيا: عصر فتح الله كولن

قبل الحديث عن عصر (كولن) أحب إلقاء الضوء على تركيا - قديما وحديثا- تلك البلد العريق التي نشأ فيها. فكولن ولد بعد سقوط الدولة العثمانية، وإلغاء الخلافة، وتولي أتاتورك والزمرة العلمانية قيادة البلاد.

١- نظرة عامة على تركيا قديما وحديثا:

أ- تركيا قديما(الدولة العثمانية):

تركيا اليوم هي وريثة الدولة العثمانية المجيدة التي كانت تمتد بين قارات العالم الثلاث آسيا، وأفريقيا، وأوروبا.

وتعتبر الإمبراطورية العثمانية هي أطول الدول عمرا في التاريخ بعد الإمبراطورية الرومانية، فقد استطاعت أن تؤسس أطول الدول عمرا في العالم فوق أراضٍ ذات أهمية إستراتيجية عظيمة، وأن تنجح في توحيدها فوق ثلاث قارات حيث امتدت من الأناضول لتشمل البلقان، وتشمل جميع الدول العربية، ولا يطول عمر الدول إلا بحضارة وعدل، وحضارة العثمانيين هي ذروة تطور الحضارة الإسلامية[١].

وهي أطول دول الترك بقاء إذ عمرت ٦٢٣عاما(١٢٩٩- ١٩٢٢م)، واختلف على عرشها أربعون حاكما، ووليها من أيام السلطان سليم الأول إلى انقراضها اثنان وثلاثون سلطانا خليفة جمعوا في أيديهم السلطتين الزمنية والروحية، ودعي لهم على منابر العالم الإسلامي طوال ٤٠٦سنة[٢].

تشكلت هذه الدولة من قبيلة اسمها (القايي) التي كان يرأسها رجل تركي يدعى(كوندوز ألب) خلفه في رياسة العشيرة بعد وفاته ابنه أرطغرل والد الأمير القبلي (عثمان) مؤسس دولة آل عثمان،[٣] وقيل: إن رئيس هذه القبيلة هو (سليمان) وتولى من بعده ابنه (طغرل)،[٤]وتتحدث مصادر أخرى أن زعيم هذه العشيرة (أرطغرل بن سليمان شاه التركماني) قائد إحدى قبائل الترك النازحين من سهول آسيا الغربية إلى بلاد آسيا

١- ينظر: د محمد حرب : العثمانيون في التاريخ والحضارة ص ٣، المركز المصري للدراسات العثمانية وبحوث العالم التركي- القاهرة ١٤١٤هـ- ١٩٩٤م. وينظر: مقدمة الطبعة العربية لكتاب الدولة العثمانية تاريخ وحضارة، بقلم البروفسور: أكمل الدين إحسان أوغلي، نقله إلى العربية: صالح سعداوي، تأليف عدد كبير من الأساتذة، وبإشراف وتقديم: أكمل الدين إحسان أوغلي، مركز الأبحاث للتاريخ والفنون والثقافة الإسلامية باستانبول(إرسيكا) ١٩٩٩م. وينظر: سمير ذياب اسبتيان: تركيا في عهد رجب طيب أردوغان ص ٩، الجنادرية للنشر والتوزيع، ط : الأولى ٢٠١٢م.

٢- الأستاذ الدكتور/ الصفصافي أحمد المرسي: أوراق تركية حول الثقافة والحضارة ج ١ ص ١٠٩، الناشر: جواد الشرق للنشر والتوزيع - القاهرة ٢٠٠٢م.

٣- ينظر: د/ محمد حرب: العثمانيون في التاريخ والحضارة ص ١٠.

٤- ينظر: أحمد عبد العزيز محمود: تركيا في القرن العشرين ص ٣٠، الناشر: المكتب الجامعي الحديث ٢٠١٢م.

الصغرى، وقد هاجرت القبيلة من جنوب غرب تركستان إلى شرق الأناضول على مدى عشر سنوات؛ هربا من هجمات المغول على العالم الإسلامي في الربع الأول من القرن الثالث عشر الميلادي، وكانت في عهد الملك (علاء الدين السلجوقي)، وتدين بالولاء له وتقاتل في صفوفه، وكلما أحرزوا نصرا أقطعهم بعض الأراضي، ولما توفي (أرطغرل)عام (٦٨٧هـ - ١٢٨٨م) عين السلطان (علاء الدين) ابنه (عثمان) في رياسة العشيرة محل أبيه[١]ثم أسس (عثمان) الدولة العثمانية على أنقاض دولة السلاجقة[٢] (١٢٩٩- ١٣٠٠م) [٣]في آسيا الصغرى وكانت عاصمتها بروسّة، ثم أدرنة، ثم اسطنبول (٨٥٧هـ/١٤٥٣م)، وبلغت قمة مجدها أيام سليمان القانوني (ت ٩٧٤هـ/١٥٦٦م) [٤].

استمرت هذه الدولة تحكم العالم لمدة ستة قرون توسعت في الجهاد في أنحاء الأرض، ونشرت الإسلام والعدل في ربوعها، وقاتلت البيزنطيين والمغول، وصدت هجماتهم على العالم الإسلامي، وبعد ذلك كانت حجر عثرة ضد أطماع الصفويين[٥]وأطماع الصهاينة في فلسطين في عهد السلطان (عبد الحميد الثاني)الذي أجبر على ترك العرش ١٩٠٩م [٦] [٦] أو أقصي بفعل تلك القوى المعادية للإسلام، وبتدبير من اليهود وخاصة يهود الدونمة[٧] .

١- ينظر: الأستاذ محمد فريد بك المحامي : تاريخ الدولة العلية العثمانية ص ١١٥- ١١٧، تحقيق: إحسان حقي، دار النفائس، ط: الأولى ١٤٠١هـ- ١٩٨١م، وينظر: الدولة العثمانية تاريخ وحضارة ج ١ ص ٩-١٠ وينظر: العثمانيون في التاريخ والحضارة ص ١٠.

٢- السلاجقة : مجموعة من القبائل التركية التي عرفت باسم (الغز) أو (الأوغوز)، وتعود في أصلها إلى سهول آسيا الوسطى، وقد حكم السلاجقة في ظل السلطة الرسمية للخلافة العباسية . ينظر: أحمد عبد العزيز محمود: تركيا في القرن العشرين ص ٣٠ .

٣- ينظر: أكمل الدين إحسان أوغلي وعدد من الأساتذة: الدولة العثمانية تاريخ وحضارة ج ١ ص ٧٦٩.

٤- ينظر: دكتور/ شوقي أبو خليل: أطلس دول العالم الإسلامي ص ٤٣، دار الفكر- دمشق، ط: الثانية ١٤٢٤هـ- ٢٠٠٣م.

٥- الصفويين: تنتسب الفرقة إلى الشيخ صفي الدين إسحاق الأردبيلي (٦٥٠- ٧٣٥هـ) السبط الخامس والعشرين للإمام علي بن أبي طالب. مرت الفرقة بعدة أطوار ما بين صوفية سنية، وسياسية شيعية أما الطور الأول: وهو التصوف السني، فيمثله مؤسس الفرقة وولده صدر الدين من بعده، أما الطور الثاني: فهو تأسيس الدولة وفرض المذهب، ويبدأ بولاية جنيد (ت ٨٦١هـ) وبظهوره برزت الصبغة الحربية للأسرة الصفوية، وتحولت الفرقة من طريقة صوفية إلى حركة شيعية، بل مغالية ومن مظاهر الغلو: سب الخلفاء الراشدين، وفرض التشيع بالقوة والسجود على التربة الحسينية، وقالت بشهادة ثالثة وهي(أشهد أن عليا ولي الله)، وانتهت الصفوية إلى القول بالوصاية أي تعيين سلطة غير منتخبة وراثية، وعصمة الأئمة ،والولاية أي حب علي فقط. ينظر: أ/د رجب عبد المنصف: الصفوية ص ٤٣٥، موسوعة الفرق والمذاهب في العالم الإسلامي(٦) المجلس الأعلى للشئون الإسلامية- القاهرة.

٦- ينظر: السلطان عبد الحميد: مذكرات السلطان عبد الحميد ص ٦٧، تقديم وترجمة: د محمد حرب، دار القلم- دمشق، ط :الثالثة ١٤١٢هـ- ١٩٩١م .

٧- يهود الدونمة: طائفة يهودية دينية ظهرت في مدينة (إزمير) التركية في القرن السادس عشر الميلادي. اشتهرت هذه الجماعة بإتخاذها شخصيتين مزدوجتين: الشخصية الإسلامية الشكلية والشخصية اليهودية الأصلية حيث أعلنت إسلامها ظاهرا، واحتفظت بأسمائها وطقوسها اليهودية سرا وتعرف باسم(السبتائية) نسبة إلى

ويمثل عام ١٩١٨م خسارة الدولة العثمانية كل أقاليمها، وبعد ذلك أعلن عن قيام الجمهورية التركية في ١٩٢٣/١٠/٢٩م[١].

ب- تركيا الحديثة:

تأسست الجمهورية التركية الحديثة في بداية القرن العشرين بعد سقوط الخلافة الإسلامية، وتولي (أتاتورك)[٢]السلطة، وعاصمتها أنقرة، والنقد فيها هو الليرة التركية.

الموقع:

تقع تركيا في غرب قارة آسيا، وهي بشكل عام شبه جزيرة ولها سواحل طويلة على البحر الأسود، وبحر إيجه، والبحر المتوسط، وبحر مرمرة، ومضيق البسفور والدردنيل؛ وبذلك يحدها من الشرق: كل من روسيا وإيران، ومن الجنوب: العراق، وسوريا، والبحر المتوسط، ومن الغرب: بحر إيجه، واليونان، وبلغاريا، ومن الشمال: البحر الأسود[٣].

المساحة:

تتكون أراضي الجمهورية التركية من شبه جزيرة آسيا الصغرى (الأناضول)، وهي الجزء الأعظم من أراضي تركيا، والذي يقع في قارة آسيا، وكذلك من جزء صغير

مؤسسها (سبتاي زفي)، وكان هدفها الاجتماع تحت قيادة واحدة والسيطرة على فلسطين لبناء دولتهم الكبرى التي تحكم العالم من فلسطين؛ ولذا ادعو أن مؤسسها هو المسيح المنتظر المخلص لبني إسرائيل، وكان لهم دور مؤثر في المجتمع التركي في مختلف المجالات، بل كان لهم دور خطير في القضاء على الدولة العثمانية= =نفسها . ينظر: د/ هدى درويش: حقيقة يهود الدونمة في تركيا وثائق جديدة ص ٥- ١٢، عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية- مصر، ط: الأولى ٢٠٠٣م.

١- ينظر: د/ شوقي أبو خليل: أطلس دول العالم الإسلامي ص ٤٣.

٢- أتاتورك(مصطفى كمال١٨٨١-١٩٣٨م)مؤسس تركيا الحديثة. قاد حركة المقاومة ضد معاهدة(سيفر)١٩٢٠م والتي تضمنت بنودا سلخت بموجبها عن تركيا أراض واسعة ووضعت قيودا على سيادتها تمكن من طرد القوات اليونانية من الأراضي التركية التي احتلتها بعد الحرب العالمية الأولى، أعلن النظام الجمهوري ١٩٢٣م، وأصبح هو بموجب الدستور الذي وضعه رئيس الدولة، ورئيس المجلس الوطني، ورئيس الوزراء، ورئيس حزب الشعب الذي أسسه، والقائد العسكري العام. فرض الرقابة على الصحف، ومنع أي اجتماع أو خطاب عام، وألغى حصانة النواب الشخصية من الاعتقال والمحاكمة، كما ألغى الخلافة العثمانية ١٩٢٤م، وأدخل الحروف اللاتينية في اللغة التركية، وفي ١٩٢٥م، ألغى الطربوش، وفرض لبس القبعة الأوربية، وأغلق التكايا والزوايا، وحظر الطرق الدينية، وألغى ألقاب مشايخها من السيد، والشيخ، والمريد، وغيرها، وأصبح هو الحاكم المطلق للبلاد وصار في خطوات التغريب حتى وفاته ١٩٣٨م. ينظر: د/ عبد الوهاب الكيالي: موسوعة السياسة ص ٢٧/١المؤسسة العربية للدراسات والنشر- الهدى للنشر والتوزيع. ينظر: رضا هلال: تركيا من أتاتورك إلى أربكان الصراع بين المؤسسة العسكرية والإسلام السياسي ص ٦٣- ٧٠، دار الشروق، ط: الأولى ١٤١٩هـ- ١٩٩٩م.

٣- ينظر: أحمد عبد العزيز محمود: تركيا في القرن العشرين ص ٩.

في قارة أوروبا، وهو ما يسمى(تراقيا) كما يتبع لتركيا عدد من الجزر الصغيرة التي تقع في بحر إيجه، وبذلك يكون مساحة الجمهورية التركية (٧٧٦.٩٨٠كيلو متر مربعا) [١].

الواقع القومي:

يتميز المجتمع التركي الذي يبلغ عدد سكانه ٨٢ مليون نسمة[٢]بتعدد القوميات وتؤلف القومية التركية الغالبية العظمى من السكان. وهذه القوميات الموجودة هي:

١- الكرد: يمثلون ١٢ مليونا أو أكثر، ويسكنون في الولايات الشرقية(كردستان تركيا).

٢- العرب: مليونان أو أكثر يسكنون في المناطق القريبة من الحدود السورية العراقية.

٣- الكرج:٤٠٠ألف نسمة يقيمون في منطقة الحدود الروسية التركية.

٤- الروم: (اليونان)(٢٨٠ ألف نسمة)يقيمون في إستانبول والقسم الأوروبي(تراقيا).

٥- الأرمن:(١٥٠ألف نسمة)يقيمون في إستانبول وبعض الولايات الشرقية

٦- اللاز:٧٠ ألف نسمة يقيمون على ساحل البحر الأسود حتى الحدود الروسية.

٧- الأرناؤوط: بضعة آلاف وأكثرهم يعيشون في إستانبول وهم من أصل ألباني[٣].

الواقع الديني:

على الرغم من أن تركيا دولة علمانية[٤] فإن المجتمع التركي يدين بالإسلام بنسبة(٩٨بالمائة)، وبأديان أخرى على النحو التالي:

١- الإسلام: وهو دين الغالبية العظمى من السكان إذ ينتمي إليه الترك، والكرد، وغالبية العرب، والشركس، والأرناؤوط، ويتوزعون على طائفتين:

الأولى: السنة: وهم الغالبية العظمى، وينسبون إلى مذهبين: مذهب أبي حنيفة وهم الأكثرية، ومذهب الشافعي وعليه أكثر الكرد والعرب.

١- السابق ص ١٤.

٢- ينظر: د/ محمد جكيب : أشواق النهضة والانبعاث ص ٣٠.

٣- ينظر: أحمد عبد العزيز محمود: تركيا في القرن العشرين ص ٦٧.

٤-"العلمانية: مصطلح ترجم في مصر والمشرق بمعنى الدنيوي والواقعي والعالمي ذلك ؛لأن العلمانية هي نزعة فلسفية وفكرية وسياسية ترى العالم مكتفيا بذاته تدبره الأسباب الذاتية المودعة فيه فالعالم والواقع والدنيا هي مرجعية التدبير للاجتماع الإنساني والدولة والحياة؛ ولذا فليست في حاجة إلى مدبر من خارج هذا العالم ومن وراء هذه الطبيعة. وقد نشأت في أوروبا في سياق النهضة الحديثة، وكانت من أبرز معالم فلسفة التنوير الوضعي الغربي الذي جابه في القرنين السابع عشر والثامن عشر سلطة الكنيسة الكاثوليكية، ومن ثم تراجع اللاهوت النصراني أمام النزعة العلمانية .ينظر: ا د/ محمد عمارة: العلمانية، الموسوعة الإسلامية العامة ص ٩٩١ وزارة الأوقاف، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية- مصر ١٤٣٦هـ - ٢٠١٥م.

الثانية: الشيعة(العلويون)[١] ولا يزيد عددهم عن ٥٠٠ ألف نسمة.

٢- المسيحية: حوالي ٤٠٠ألف نسمة ويتوزعون على عدة طوائف: أرمن، ويونان وسريان، وكلدان.

٣- البوذية: ويدين به ٨٠ ألف نسمة ويقيمون في استانبول والجزر القريبة منها[٢].

٤- اليهودية: جماعة صغيرة العدد لكنها قوية التأثير منذ زمن طويل فقد كان لهما الدور الأخطر في عدم استقرار الدولة لعثمانية، ثم سقوط الخلافة[٣].

٢- الحالة الدينية والسياسية :

ارتبط الدين بالسياسة في تركيا الحديثة بشكل كبير، فحيثما وجدت حياة ديمقراطية صحيحة أتيحت الحريات، ومنها الحرية الدينية، وإذا تحكم الكماليون، وحماة العلمانية اضطهد الدين وأهله ومؤسساته .

أ- الدين:

كان الوازع الديني قويا في نفوس الأتراك، فقد كانت تركيا هي بلد الخلافة وحامي حمى الإسلام ومقدساته، وكانت هناك حرية دينية واسعة لجميع الطوائف، وقد تأثرت الحياة الإسلامية في تركيا بالصوفية بشكل كبير وملحوظ، بل امتد تأثيرهم إلى جميع مناحي الحياة.

فقد شهدت تركيا نشاطا واسعا للصوفية، وعددا من الطرق الصوفية كالبكتاشية[٤]،

---

[١]- العلويون: نسبة إلى الإمام علي بن أبي طالب وهم فرقة خرجت من الشيعة الإمامية؛ ولذا فنشأتهم هي نفس نشأة الإمامية غير أنها اتخذت سبيلا آخر بعد الإمام محمد الثاني عشر، وبيان ذلك أن لكل إمام باب، وآخر باب هو أبو شعيب محمد بن نصير النميري، وكان بابا للإمام الحادي عشر، فلما اختفى الإمام الثاني عشر، ولم يتخذ بابا شغل النميري وظيفة الباب، وتزعم فرقة من العلويين وإطلاق اسم(النصيرية) على هذه الفرقة في سوريا= =وتركيا نسبة إليه، فهو رئيسهم بعد انقضاء دور الأئمة، وتجمع هذه الفرقة بين ثلاث عقائد، وهي: التشيع والاعتزال والتصوف، ويستقرون في شمال وغرب سوريا وجنوب تركيا، ويحيطون أنفسهم بسرية تامة؛ ولذا اختلف الباحثين في بيان عقائدهم. الغلاة منهم (النصيرية) يؤلهون آل البيت ويقدسون عليا ويقولون بالحلول، أما المعتدلون فعقيدتهم كالشيعة الإمامية يعتقدون بتوحيد الله. ينظر: الشهرستاني: الملل والنحل ص ٢٢٠. د/ مصطفى الشكعة: إسلام بلا مذاهب ص ٣٠٥-٣٢٩، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مكتبة الأسرة ٢٠١٧م

٢- ينظر: تركيا في القرن العشرين ص٦٨، ٦٩.

٣- ينظر: د/ محمد جكيب: أشواق النهضة والانبعاث ص ٣٦.

٤- البكتاشية: طريقة صوفية وفرقة ذات عقائد خاصة لها سمات شيعية أثرت في التاريخ العثماني وانتشرت في البلقان ومناطق أخرى في الدولة العثمانية مؤسسها محمد بن إبراهيم المعروف ب(حاجي بكتاش) الذي ارتحل من خراسان إلى الأناضول في القرن الرابع عشر الميلادي، وكان السلطان أورخان يختلف إليه أملا في بركاته، وامتد به العمر إلى عهد السلطان مراد الأول، انتشرت طريقته في الأناضول ما بين القرنين الرابع عشر والخامس عشر الميلادي، وامتد نفوذها إلى الجانب السياسي والعسكري. اختفت نتيجة لضربات السلطان محمود للطرق الصوفية ثم ظهرت في القرن التاسع عشر وتوثقت علاقاتها مع أتاتورك وأقامت علاقات وثيقة مع كل الأديان. ينظر: أ د/ حمدي عبد الله الشرقاوي، موسوعة الفرق والمذاهب في العالم الإسلامي ص ١٩١

والنقشبندية[١]، والمولوية[٢]، وكان لهم مكانة عظيمة في نفوس الشعب منذ أيام الخلافة العثمانية وكانت لهم أدوار هامة حتى في إعداد العسكر، وتأهيلهم للحياة العسكرية، والموظفين لحياة القصر، إلى جانب الدور الاجتماعي الأهلي[٣]حيث أنه بحلول القرن السادس عشر كانت الصوفية قد تحولت إلى عمود مهم من أعمدة المجتمع العثماني إذ قامت الطرق الصوفية بتنظيم المجتمع ورفدته بالتعليم، والعلاج ومساعدات للفقراء[٤]ولكن تغير هذا الحال في القرن التاسع عشر، وبدأ السلطان (محمود الثاني) ومن خلفه بسحب امتيازات الطرق، والتدخل في أحوالهم المالية، بل وسيطرت الدولة على أوقاف الدراويش، والسبب هو سلطة الدراويش ومعارضتهم لإجراءات السلطان فيما عرف بفترة التنظيمات(١٨٠٩م- ١٨٣٩م) [٥]فكان هذا التضييق وسيلة لإضعاف شعبيتهم

وزارة الأوقاف المجلس الأعلى للشئون الإسلامية- مصر ١٤٣٦هـ - ٢٠١٥م. وينظر: د/ حسين مجيب المصري: معجم الدولة العثمانية ص ٤٦.

٤- الطريقة النقشبندية: تنتهي إلى الشيخ العارف بالله الشيخ: خوجه بهاء الدين النقشبندي الملقب ب(شاه نقشبند)(٦١٨- ٧١٩هـ) ، وهي طريقة سهلة كالشاذلية، فليس فيها كثير مجاهدة، انتشرت في فارس وبلاد الهند وآسيا الغربية ، وسئل الشيخ عن معنى طريقته فقال: الخلوة في الكثرة، وتوجه الباطن إلى الحق والظاهر إلى الخلق= =وكان يوصي باتهام النفس ومعرفة كيدها ومكرها، وكان يقول: لا يصل أحد إلى هذه الطريقة إلا بمعرفة مكايد النفس، توفي ليلة الإثنين الثالث من شهر ربيع الأول سنة إحدى وتسعين وسبعمائة. وعندهم أن الإنسان إذا أراد أن يسمو إلى الكمال فعليه أن يتجافى عن الحسيات والنساء جهد المستطاع، وأن يتخذ القرآن والحديث هاديين ومرشدين له، ويرون وجوب طاعة الشيخ؛ لأنه يستوحي خفي المعاني ويتلقى الحقائق لقربه من الله، ولا يجتمعون إلا في تكيتهم بتوجيه من الشيخ وهو الذي يعين لهم اسما من أسماء الله الحسنى ليذكروه. ينظر: طاش كبرى زادة: الشقائق النعمانية في علماء الدولة العثمانية ص ١٥٤- ١٥٥، دار الكتاب العربي- بيروت ١٣٩٥هـ- ١٩٧٥م.وينظر: الندوة العالمية للشباب الإسلامي: الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة المجلد الأول ص ٢٦٧ الناشر: دار الندوة العالمية للطباعة والنشر والتوزيع ط الرابعة ١٤٢٠هـ. وينظر: حسين مجيب المصري: معجم الدولة العثمانية .

٢- الطريقة المولوية: طريقة صوفية تنسب إلى مؤسسها مولانا جلال الدين الرومي وخلفه تلميذه حسام الدين حلبي بعد وفاته عام ١٢٧٣م. مركزها مدينة قونية بتركيا اشتهرت الطريقة بالرقص الدائري لمدة ساعات طويلة يدورون حول مركز الدائرة التي يقف فيها الشيخ، ويندمجون في مشاعر روحية ترقى بنفوسهم إلى مرتبة الصفاء، واشتهرت بالنغم الموسيقي عن طريق الناي، وكان الشيخ يرى فيه وسيلة للجذب الإلهي، واشتهرت الطريقة بتسامحها الواضح مع أهل الذمة ومع غير المسلمين، ويحضر جلساتهم كل من يريد من كل الأجناس والأديان. شاعت الطريقة في الأناضول وكانت من أهم الطرق في الدولة العثمانية وكان رئيسهم يتوج سلاطين آل عثمان، وانتشرت في مصر، والعراق، وأفغانستان، والهند. ينظر: أ. د/هدى درويش الموسوعة الإسلامية العامة ص ٩١٥. ينظر: د/ حسين مجيب المصري: معجم الدولة العثمانية ص ١٤٢.

٣- ينظر: الدكتور/ حسن الضيقة: الدولة العثمانية الثقافة المجتمع والسلطة ص ٩٣ -٩٤، دار المنتخب العربي- بيروت، ط : الأولى ١٩٩٧م.

٤- ينظر: رايموند ليفشيز : تكايا الدراويش الصوفية والفنون والعمارة في تركيا العثمانية ص ٥٤، ترجمة: عبلة عودة، مراجعة: د/ أحمد خريس، هيئة أبو ظبي للثقافة والتراث، ط : الأولى ٢٠١١م.

٥- التنظيمات: تعبير عثماني يطلق على مجموع الاصلاحات التي حاولت السلطة العثمانية القيام بها؛ لمعالجة التفكك المتزايد في بناها وقوانينها وبدأ في عام ١٨٣٩م في عهد السلطان (عبد المجيد) بإصدار مرسوم ينص على حق المساواة بين كل رعايا السلطنة، حق الجميع في العدالة، استيفاء الضرائب، فرض التجنيد الإجباري،

عند العامة، وزادت أعداد الطرق في عهد السلطان عبد الحميد، وقرب إليه مجموعة من شيوخ الصوفية العرب لاستعادة أصول الإسلام وتقاليده، ولكن انتهى الأمر بعزل السلطان، وتأسست الجمهورية ١٩٢٣م، وقامت على علمنة الدولة[١].

وتصدى لهذا المد العلماني عدد من العلماء كسعيد النورسي وبسبب ذلك اضطهد وسجن ونفي عدة مرات؛ لرفضه إجراءات العلمانيين نحو مسخ الدين ومظاهره، وإغلاق المدارس والتكايا، والسيطرة على الأوقاف ووزارة الشئون الإسلامية.

وفي هذه الفترة لعبت الطرق الصوفية دورا كبيرا في الحفاظ على الهوية الإسلامية للدولـة التركية ، ولا تتشابه معها أي طرق صوفية أخرى في المنطقة وهذا الوضع المنفرد لها فرضته طبيعة الأحداث التي مرت بهـا الدولـة التركية وخاصة بعد الانقلاب الذي قاده أتاتورك على مجمل ما تبقى من إرث الدولة العثمانية ، على مختلف الصعد السياسية، والاقتصادية، والاجتماعية والثقافية، والدينية، والتي شكلت تحديا لمشاعر المسلمين وخاصة مسلمي تركيا الـذين كـان الإسلام لهم هوية تمازجت مع المشاعر القومية، والتي باتت مهددة؛ الأمر الذي تطلب السعي إلى أخذ التدابير اللازمة للحفـاظ علـى الهوية الإسلامية حيث عاودت الطرق الصوفية نشاطها السري حينـا والعلني أحيانا[٢].

وكان لمشايخ الطرق في تركيا وقت إعلان الجمهورية نشاط في الجمعيات، والاجتماعات السرية، والدعوة إلى التظاهر، وإثارة العصبية ضد الحكومة الأتاتوركية الجديدة ،وخصوصا الطريقة الرفاعية والشاذلية[٣].

وقامت ثورة الشيخ (سعيد بيران) من النقشبندية ضد الحكومة الجديدة فسُحقت الثورة، وأُعدم الشيخ، وأغلقت التكايا في البلاد ١٩٢٥م[٤].

كما شكلت الطريقة السليمانية التي أسسـها (حلمـي توناهان)(١٨٨٨- ١٩٥٩م) [٥] أحد عناصر المعارضة للنظام العلماني، واتسمت الطريقة في مراحلها الأولى بطابع سري،

إعادة تنظيم الجيش، فصل القضاء الإجرائي عن الشرع الإسلامي، تنظيم للحكم على الطريقة الأوربية، نشاء أنماط جديدة من التعليم، وكان التحول الأساسي عام ١٨٧٦م عند إعلان الدستور الذي نص على إنشاء مجلس منتخب، وعندما جاء السلطان عبد الحميد قام في عام ١٨٧٨م بحل البرلمان، وإبطال الدستور وإلغاء التنظيمات. ينظر: عبد الوهاب الكيالي : موسوعة السياسة ج ١ ص ٧٩٣ ، دار الهدى- المؤسسة العربية للدراسات والنشر.

١- ينظر: رايموند ليفشيز: تكايا الدراويش ص ٦٢- ٦٦.

٢- ينظر: الدكتور/ عصمت برهان الدين: بحث(الطريقة السليمانية في تركيا المعاصرة) مركز الدراسات الإقليمية ٥ (١١) جامعة الموصل .

٣- ينظر: رضا هلال: السيف والهلال تركيا من أتاتورك إلى أربكان ص ٧٠.

٤- ينظر: تكايا الدراويش ص ٧١-٧٣ .

٥- سليمان حلمي تونا هان: صاحب الطريقة السليمانية ولد ١٨٨٨م، وتعلم العلوم الدينية على يد والده الذي كان نقشبنديا، ثم انتقل إلى اسطنبول قاصدا الدراسة في مدارسها ١٩٠٨م، فحصل على الدكتوراه في التفسير ١٩٢٠م وعين واعظا بها، واقترن نشاطه الفكري بتأسيس الجمهورية التركية، وكان من أكبر معارضي

وأخذت على عاتقها إرساء نظام ثقافي تعليمي مواز للإجراءات العلمانية، وارتكز برنامجها الإصلاحي على ثلاثة أركان هي:

الأول: إحياء القرآن الكريم من خلال إنشاء كتاتيب تحفيظ القرآن .

الثاني: نشر اللغة العربية.

الثالث: إحياء العلوم الإسلامية من فقه، وحديث، وتفسير، وكذا استهدف برنامج الطريقة تأسيس دولة إسلامية.

وبعد إقرار التعددية السياسية في تركيا في أعقاب الحرب العالمية الثانية انفردت الطرق الصوفية في تركيا بدور في غاية الأهمية على مسرح الأحداث السياسية؛ حيث كان لها دورها على صعيد النشاط السياسي والتأثير في مجرى الانتخابات النيابية فكانوا يشاركون في الانتخابات والإدلاء بأصواتهم للحزب الذي يعتقدون أنه الأكثر خدمة للإسلام والمسلمين[1].

ولم ينته دور الصوفية في الحياة التركية رغم تعرضهم للحظر وإغلاق التكايا والمدارس في عصر (أتاتورك) وخلفائه، بل استمر عملهم ونشاطهم في المجتمع ويشهد على ذلك تاريخ (كولن) وتأثره بمشايخ الطرق الصوفية كالشيخ (ألوارلي أفه) وغيره طيلة مراحل حياته، وفي جميع ما يكتب كما سنذكر .

وإلى جانب الصوفية والعلماء ظهرت في تركيا الحديثة الحركات الإسلامية التي شكلت أحزابا وخاضت بها الانتخابات، ومن ثم بدأت تعطي الحريات للمظاهر الإسلامية والعلماء، وتسمح بالأنشطة الدينية كافتتاح المدارس وغيرها .

ورغم أن (كولن) لم يؤسس حزبا ولم يشترك في السياسة إلا أنه تأثر بما تمر به البلاد فحيثما كان تضييقا وسيطرة من العلمانيين تعرض للاضطهاد، وحيثما أتاح الإسلاميون الحريات حينما يتبوؤون مراكز السلطة ازدهر نشاطه الدعوي والاجتماعي.

ب- العلمانية:

شهدت الدولة العثمانية منذ منتصف القرن الثامن عشر محاولات عديدة للإصلاح في نظمها السياسية، والاقتصادية، والعسكرية، والاجتماعية، والثقافية، وقد انقسم دعاة الإصلاح إلى فريقين:

العلمانية، وسجن عدة مرات، واستقال من وظيفته وتفرغ لتربية الشباب على العلوم الدينية والقرآن حتى أصبح له مريدون وطريقة تنسب إليه. مؤلفاته: حروف القرآن وحركاته- رسالة المكتوبات- رسالة الكبريت الأحمر. توفي ١٩٥٩م. ينظر: الدكتور/ عصمت برهان الدين عبد القادر، بحث بعنوان: (الطريقة السليمانية)،ص ١-١١- جامعة الموصل مركز الدراسات الإقليمية٥ (١١).

١- ينظر: د/ عصمت برهان الدين عبد القادر: الطريقة السليمانية في تركيا المعاصرة، مركز الدراسات الإقليمية ٥ (١١) جامعة الموصل .

الأول: يرى العلاج في تطبيق الأنظمة الإسلامية والتقاليد العثمانية، ويتمثل في العلماء، والصوفية، وسائر الحركات الإسلامية.

والثاني: يرى أن الإصلاح يستلزم اقتباس النظم الأوربية واستلهامها[١].

وبعضهم يحدد بداية حركة التغريب[٢] تلك بعهد السلطان (محمود الثاني) الذي تولى في هذا القرن فقد قام بإنشاء جيش جديد على غرار الجيوش الأوربية، واستبدل بالقوانين الإدارية قوانين جديدة على غرار القوانين الأوربية، كما أصدر قوانين تتعلق باللباس، وأجبر الموظفين والعسكريين على لبس الطربوش وحلق اللحية، وقد لاقت هذه التغييرات معارضة من الشعب، وأطلق عليه لقب(السلطان الكافر) [٣].

ويقال أيضا بأن تسرب الأفكار العلمانية إلى تركيا بدأ منذ هذا القرن عن طريق الطلاب الأتراك الذين كانوا يدرسون في الغرب وخاصة فرنسا [٤].

ولقد رجحت كفة الفريق الثاني فقام ١٩٠٨م مجموعة من الضباط المنتمين إلى جمعية الاتحاد والترقي[٥] السرية بثورة دستورية تمخضت عن إجبار السلطان (عبد الحميد الثاني)(١٨٧٦- ١٩٠٩م)على إعلان العمل بدستور ١٨٧٦م المعطل، ورفع الثائرون شعارات الحرية، والإخاء، والمساواة، وفي مواجهتهم نهضت جمعية (الاتحاد المحمدي) التي تتهمهم بالخروج على الشريعة، وتكتلت ضد الاتحاد والترقي، ونفي قادتهم إلى الخارج، وقتل بعضهم، ولكنهم تداركوا الأمر، ونادوا بأن السلطان يريد أن يفتك بالدستور وحماته، وأنه يريد أن يسترد ما كان يتمتع به من حكم مطلق.

١- ينظر: الأستاذ الدكتور: ابراهيم ليل العلاف : بحث بعنوان: الحركة النورسية في تركيا المعاصرة، مركز الدراسات الإقليمية- جامعة الموصل، مجلة علوم إنسانية السنة الرابعة العدد ٣٢.

٢- التغريب: "هو تيار فكري كبير ذو أبعاد سياسية، واجتماعية، وثقافية، وفنية، يرمي إلى صبْغ حياة الأمم بعامة، والمسلمين خاصة، بالأسلوب الغربي؛ وذلك بهدف إلغاء شخصيتهم المستقلة وخصائصهم المتفردة، وجعلهم أسرى التبعية الكاملة للحضارة الغربية". الندوة العالمية للشباب الإسلامي: الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة ج ٢ ص ٦٩٨ .

٣- ينظر: سمير ذياب استبيان: تركيا في عهد رجب طيب أردوغان ص ٥٥.

٤- ينظر: سمير ذياب استبيان: تركيا في عهد رجب طيب أردوغان ص ٥٥ ينظر: أحمد نوري النعيمي: النظام السياسي في تركيا ص ١٩، دار زهران للنشر والتوزيع- الأردن، ط: الأولى ٢٠١١م .

٥- الاتحاد والترقي: جمعية عثمانية نشأت في أوروبا كحركة مناوئة للاستبداد ومنادية بالتجديد والتحديث في الدولة العثمانية وكونت في البدء جمعية (تركيا الفتاة) التي ركزت على النشاط الفكري، ثم تدرج الأمر فتكونت خلايا سرية في الآستانة، وطاردهم رجال السلطان (عبد الحميد) فنقلوا أنشطتهم إلى باريس وسالونيك حيث انضم إلى صفوفهم العديد من يهود الدونما، وأصبحوا من قيادات الحركة بعد قيامهم بالانقلاب العثماني الشهير ١٩٠٨م، وأعلنوا الدستور، وما لبثوا أن عزلوا السلطان عن العرش. د عبد الوهاب الكيالي: موسوعة السياسة ج ٢ ص ٨١ ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، دار الهدى للنشر والتوزيع.

وفي ١٩٠٩م قرر الاتحاديون خلع السلطان عبد الحميد، وقد أصبحوا بعد خلعه السلطة الحقيقية في البلاد، وأصبح (كمال أتاتورك) هو صاحب الكلمة العليا وطالب بإلغاء الخلافة[١].

وبالفعل تم إعلان الجمهورية ٢٩ أكتوبر ١٩٢٣م، وانتخب (أتاتورك) رئيسا لها وألغيت الخلافة ٣ مايو ١٩٢٤م[٢].

وصدر قرار بإلغاء وزارة الأوقاف، وقام (أتاتورك) بعدة إجراءات أخرى لتحقيق العلمانية منها: إلغاء وظيفة شيخ الإسلام، وإلغاء المحاكم الشرعية، وقد عورض بشدة، ولكنه استمر في التخلص من كل المظاهر الدينية، فأغلق التكايا والزوايا الصوفية ١٩٢٥م، وحرم على العلماء أن يلبسوا زيهم الديني، وقلل عدد الوعاظ، وقصر الخطبة على المسائل الدينية، وألغى العمل بالشريعة الإسلامية ١٩٢٦م.

وعام ١٩٣٨م ألغى المادة الثانية من الدستور، والتي تنص على أن الإسلام دين الدولة الرسمي، وفرض السفور على النساء، وحظر ارتداء الجلباب، ووحدت المدارس، واستبدل الحروف العربية بالاتينية، وفرض عقوبات على من يخالفون قوانين الدولة، أو يحرضون الشعب، ومن يؤسسون حزبا مستندا إلى التعاليم الدينية[٣].

وعملت حكومته على الاهتمام بكل أوربي فازدهرت الفنون، والرسم، والموسيقى، وأقيمت التماثيل لأتاتورك، وشجعت الحفلات الراقصة، وأطلق العنان للنساء في الاختلاط والسفور باسم الحرية والمساواة[٤].

في ظل هذه الظروف الدينية والاجتماعية، وفي العام الذي توفي فيه أتاتورك١٩٣٨م[٥]ولد (فتح الله كولن) وقد عاش في بلد يمارس العلمانية ويضطهد الدين ولكن نشأته في وسط أسرة متدينة جعلت النازع الديني أقوى، وورثت في نفسه -عندما اشتد عوده- وجوب إحياء الدين وتربية النشء وفق تعاليمه حتى لا ينجرفوا وراء العلمانية أو الإلحاد والأفكار الغربية.

وظل في كل مراحل حياته يهاجم الإلحاد والعلمانية وغيرها من التيارات الأخرى وهذا واضح في كتاباته وأحاديثه المختلفة .

١- ينظر: أ د/ إبراهيم ليل العلاف: الحركة النورسية في تركيا المعاصرة ..

٢- ينظر: د/ أكمل الدين إحسان أوغلو وآخرون: الدولة العثمانية تاريخ وحضارة ج ١ ص ١٤٤ .

٣- ينظر: أ د/ إبراهيم ليل العلاف: الحركة النورسية في تركيا المعاصرة، وينظر: سمير ذياب استبيان: تركيا في عهد رجب طيب أردوغان ص ٥٧- ٥٨.

٤- ينظر: د/ فرج محمد الوصيف : بديع الزمان سعيد النورسي عصره ودعوته ص ٢٧، دار نور الإسلام، ط: الأولى ١٩٩٦م.

٥- ينظر: د/ الصفصافي المرسي: أوراق تركية حول الثقافة والحضارة ج ٢ ص (د).

ورغم وفاة (أتاتورك) إلا أن حزب الشعب الجمهوري بقيادة (عصمت اينونو) الذي خلف أتاتورك في رئاسة البلاد استمر على نفس السياسة، وانتهج العلمانية، واتخذت إجراءات مشددة نحو عودة المظاهر الدينية.

وطبق كل ما نادى به (أتاتورك) فمنع الأذان، وتعليم القرآن، وأغلق الزوايا، والمدارس الدينية، بل ألغى تدريس الدين من جميع المدارس[١]، وعانى العلماء والدعاة من الاضطهاد من قبل السلطات الحاكمة في ذلك العصر بشتى صوره، وهذا الاضطهاد أدى إلى وجود صراع شديد بين الإسلاميين والعلمانيين.

ج - الصراع بين الدين والعلمانية:

بعد رحيل (أتاتورك) ظلت تركيا على النسق العلماني الكمالي واقعة تحت هيمنة نظام عسكري مستبد يمارس سياسة قمعية على شتى المستويات أفرزت أوضاعا اقتصادية متردية فشا فيها الفقر خصوصا في المناطق القروية والمدن الصغيرة، وسادت موجات عالية من محاربة التدين، ونشر الإلحاد، والتربص بالمدارس الدينية التقليدية التي كانت قد عادت إلى فتح أبوابها في مطلع الخمسينيات بعد أن ظلت ممنوعة طوال عهد (أتاتورك)، وفيما تلا ذلك من سنوات القمع في ظل حزب الشعب[٢].

من الناحية العملية لم يكن باستطاعة الحكومة التركية القضاء على تأثيرات الإسلام الروحية والاجتماعية، وكانت هناك معارضة شديدة من رجال الدين، والطرق الصوفية، والمثقفين المتدينين لتلك الممارسات.

وبعد انتهاء الحرب العالمية الثانية ودخول تركيا في مرحلة تعدد الأحزاب تنامت المعارضة الدينية، وخلال سنوات (١٩٤٦- ١٩٤٨) ظهرت منظمات وجمعيات ذات طابع ديني، كما صدرت مجلات وجرائد كان الكماليون قد منعوها، وقد أظهرت انتخابات ١٩٤٦م تنامي دور الظاهرة الدينية[٣]وفاز الحزب الديمقراطي وأعطى كثيرا من الحريات الدينية للشعب والتي كانت شبه مصادرة.

إلا أن الجيش والشعب ظلا في مقاومة مستمرة، فكلما اختار الشعب ممثلوه بإرادته وكان هذا الاختيار بعيدا عما أقره (أتاتورك) من مبادئ العلمانية قام الجيش بالانقلاب وإعلان الأحكام العرفية، وحدث انقلاب ١٩٦٠م، وأعدم رئيس الوزراء(عدنان مندريس)، واثنان من رفاقه واعتقل ٦٠٠ شخص من النظام الحاكم.

وفي عام ١٩٦٥م فاز حزب العدالة بقيادة (سليمان دميرال)، وعاد الإسلام من جديد وظهر تأثيره الكبير في المجتمع التركي وإقبال الشعب عليه، وكان هناك نمو في

١- ينظر: السابق ج ٢ ص ١٥ .

٢- ينظر: عبد القادر الإدريسي نور وفتح قراءة في فكر سعيد النورسي وفتح الله كولن ص ٩٣، دار النيل، ط: الأولى ٢٠١٤م

٣- ينظر: أ د/ إبراهيم ليل العلاف: الحركة النورسية في تركيا المعاصرة.

التجارة، والحرف، وبالمثل في التعليم الديني كمدارس تحفيظ القرآن، والمعاهد المتخصصة في الدين وعلومه، وانتشرت تعاليم رسائل النور ومدارسها بعد الحظر[١].

وفي عام ١٩٦٩م خاض (أربكان) الانتخابات مستقلا عن (دميرال)؛ لعدم التوافق في بعض الرؤى مثل: معارضته انضمام تركيا إلى السوق الأوربية المشتركة في حين يسعى (دميرال) في ذلك، وفاز (أربكان) في الانتخابات، ونجح في لم شمل الإسلاميين في البرلمان وكون عام ١٩٧٠م أول حزب لمجموعته تحت اسم (حزب النظام القومي) ليعبر عن ارتباط عظيم بالدين فقاده ذلك إلى النقد الشديد لمخالفته العلمانية، فأغلق الحزب، وقدم (أربكان) للمحاكمة؛ لمخالفته نصوص الدستور ومهاجمته مبادئ (أتاتورك)، وظهرت أحزاب أخرى مثل: حزب السلامة الذي قاده (أربكان) من جديد،

ودخل الانتخابات عام ١٩٧٢م، واعتمد أيضا على الدين ووجه عنايته إلى معاهد الأئمة والخطباء، وتدريس الدين والأخلاق في المدارس، وساعد في بناء العديد من المدارس، وتدعيم ميزانية الأوقاف، ومديرية الشئون الدينية، وتبنى مبادئ الانفتاح على العالم الإسلامي، وطالب بقطع العلاقات مع إسرائيل، وضرورة فتح مكتب لمنظمة التحرير الفلسطيني، وإنشاء سوق إسلامي مشترك، ووقف محاولات الانضمام إلى السوق الأوربية[٢].

ولم تهدأ القوى المضادة للإسلام والمسلمين وتربصت بالبلاد فسادت أعمال عنف فيما بين ١٩٧٠- ١٩٨٠م، وحدث التدخل العسكري، وأعلنت الأحكام العرفية ١٩٧٣م، وألغيت الأحزاب، ونفيت الشخصيات الإسلامية، فساد العنف والعنف المضاد.

في ظل هذه الفوضى والعنف السياسي قام الجيش بانقلاب ١٩٨٠م لوقف نزيف الدم وللحد من المد الإسلامي، واعتقل زعماء الأحزاب السياسية، وحوكم (أربكان) وحملته المحكمة مسؤولية(مظاهرة القدس)التي ضمت ربع مليون متظاهرٍ ووفودا من عدة دول وهتفت ضد أمريكا واسرائيل وأعداء الإسلام، وتكون مجلس رئاسي من أعضاء مجلس الأمن القومي[٣] وقامت بحركة تصفية كبيرة وسط المتدينين، وقد هرب كثير من أئمة المساجد وغيرهم خارج تركيا[٤].

واستمر الحال حتى عام ١٩٨٣م فرفعت القيود عن النشاط السياسي، وسمح بتشكيل الأحزاب من جديد، وأثبتت انتخابات ١٩٨٤م أن جذور الشعور الوطني الإسلامي لم تخمد، بل إنها في توهج مستمر، وفاز فيها حزب أوزال (الوطن الأم)، وكانت توجهاته إسلامية عربية شرقية في المقام الأول.

١- ينظر: د/ الصفصافي المرسي: أوراق تركية ج ٢ ص ١١٣- ١٥٢.

٢- الصفصافي المرسي: أوراق تركية ج ٢ ص ١٥٧- ١٥٨ .

٣- السابقأوراق تركية ج ٢ ص ١٥٩- ١٦١.

٤- ينظر: أحمد نوري النعيمي : النظام السياسي في تركيا ص ٢٨٦.

وفي عام ١٩٨٩م أصبح (أوزال) أول رئيس للبلاد من غير العسكريين، وأبعد الجيش عن السياسة، وأصبحت تركيا أكثر توجها ونشاطا في المنظمات الإسلامية، وزاد التبادل التجاري، والإعلامي، والتعليمي مع العالم العربي والإسلامي[١]، وأتاح الحريات للجميع، وأتاح العمل المصرفي الإسلامي[٢].وخلفه في رئاسة الجمهورية (سليمان ديميريل)١٩٩٣م.

وتابع حزب الرفاه بقيادة (أربكان) نشاطه السياسي وخاض الانتخابات وكون حكومة مع حزب (تانسو تشيلر) ونجح رغم المعوقات من الجيش والقوى المعادية في تطبيق النظام الإسلامي غير المعلن، وزاد الاندفاع نحو العالم الإسلامي، وسمح بالحجاب، وافتتاح المدارس الدينية، وتدريس الدين، ولكن الجيش نجح في الإطاحة بأربكان في انقلاب ١٩٩٧م، وحظر الحزب والنشاط السياسي على قادته، وفرض قوانين وإجراءات لمكافحة الإحياء الإسلامي[٣]ولكن المد الإسلامي لم ينته فتشكل حزب الفضيلة من أنصار (أربكان) وواصل العمل[٤] .

وكانت سنوات التسعينيات هي سنوات رفعة حزب (أربكان)، وهي سنوات محاكمته أيضا، ثم لمع حزب (العدالة والتنمية) وجذب الشباب، وانفتح على الجديد، وكان أكثر عقلانية، وواقعية، ومصداقية في قراءة ظروف تركيا والعالم، ويمكن القول باختصار إنه وضع أقدام التجربة السياسية الإسلامية في تركيا على الأرض[٥].

وفترة الانقلابات تلك (١٩٦٠- ١٩٩٧م) - وقد تخللها بعض الاستقرار إثر كل انتخابات ديمقراطية - قد عاشها (كولن) واصطلى بنيرانها من اعتقال وملاحقة مع بقية الشعب التركي رغم بعده عن السياسة - فلم يؤسس حزبا أو ينخرط في سلك الأحزاب والعمل السياسي مطلقا- ولكن لنشاطه الديني والدعوي بين الشباب خاصة من طلاب المدارس وبين عامة الشعب، واختار أن يترك تركيا بعدها ١٩٩٩م ويقيم في ولاية بنسلفانيا بأمريكا حتى الآن.

وكما عايش فترة الانقلابات وما فيها من تهديد وملاحقة واضطرابات عايش حياة الاستقرار التي امتدت من التسعينات مع وصول حكومة ورئيس منتخب وإبعاد الجيش عن السياسة، وأمكن له ولحركته المسماة (الخدمة) ممارسة النشاط الدعوي والتعليمي، والصحي، والإعلامي، والإغاثي بشكل كبير داخل تركيا وخارجها.

١- ينظر: الصفصافي المرسي: أوراق تركية ج ٢ ص١٦٢، ١٧٠.

٢- ينظر: أحمد عبد العزيز محمود : تركيا في القرن العشرين ص ٥٤..

٣- ينظر: رضا هلال: السيف والهلال تركيا من أتاتورك إلى أربكان الصراع بين المؤسسة العسكرية السياسي ص ٨، دار الشروق، ط : الأولى ١٤١٩هـ- ١٩٩٩م .

٤- ينظر: الصفصافي المرسي: أوراق تركية ج ٢ ص ١٧١-١٧٢ .

٥- ينظر: محمد أنس أركنه: بحث: (نظرة عامة على الحركات الإسلامية في تركيا وتجربة كولن) المنشور ضمن مؤتمر مستقبل الإصلاح في العالم الإسلامي خبرات مقارنة مع حركة فتح الله كولن التركية (جامعة الدول العربية ١٩- ٢١ أكتوبر ٢٠٠٩م) ص ٣٠٢، دار النيل- القاهرة، ط: الأولى ٢٠١١م.

٣- الحالة الفكرية والعلمية :

أ- الحالة الفكرية:

اتسمت المرحلة التي عاصرها (كولن) من الخمسينيات إلى مطلع القرن العشرين بعدم الاستقرار وكثرة الأزمات الفكرية والفلسفية إلى جانب السياسية، فقد عايش الصراع بين الشرق الذي يمثله الاتحاد السوفيتي، ويقوم على الماركسية[١] والغرب الذي تمثله الكتلة الغربية وتتبنى الليبرالية[٢]، وعانت تركيا من ويلات هذا الصراع وما كادت تتنفس بعض نسمات الحرية وتسترد شيئا من هويتها الإسلامية حتى دخلت في سلسلة من الانقلابات العسكرية (١٩٦٠- ١٩٧٠- ١٩٨٠- ١٩٩٧م) بحجة تعريض النظام العلماني للخطر، وكل مرة كان الضحايا هم أصحاب التوجه الإسلامي فتمت محاكمة (كولن) في انقلاب ١٩٧٠م، وحكم عليه بالسجن ستة أشهر، وأيضا طلب للمحاكمة عقب انقلاب ١٩٨٠م، فاختفى عدة سنوات حتى صدر عفو عام.

تنبه (كولن) إلى تلك القضايا التي يعاني منها المجتمع منذ أن انتقل إلى (أدرنة) للعمل في أحد مساجدها، فشاهد حالة الانحلال الأخلاقي الذي كانت تعيشه (أدرنة)، ووجد انتشارا كبيرا للمفاهيم المادية[٣]، والعلمانية، والإلحادية، والتغريبية بشكل كبير[٤]حيث بدأت حركة التغريب بشكل ظاهر في الدولة العثمانية منذ عهد التنظيمات ١٨٣٩م، وأخذت في النمو شيئا فشيئا حتى كانت أحد أسباب سقوطها، ثم وصلت مداها في عهد الجمهورية الكمالية[٥]وكان من مظاهر التغريب الفكرية:

١- الطعن في الإسلام ونبيه (صلى الله عليه وسلم)بتهم الرجعية وعدم ملائمة العصر.

١- الماركسية: عبارة عن مذهب اقتصادي سياسي أديولوجي، تعاون على تأسيسه وبنائه ماركس وأنجلز وصفة ماركسي والاسم(ماركسية)لم يصدر عن ماركس وأصحابه، وإنما صدر عن خصومه من أنصار (باكونين) من باب الذم، وبدأ استعمال اللفظ ماركسية للدلالة على مذهبه منذ عام ١٨٩٠ وما بعدها، ويدل في نظر الاقتصاديين على(نظرية في القيمة)، ويرى البعض أنها تجمع ثلاث نظريات في الاقتصاد: نظرية التجميع- نظرية التبئيس- نظرية الأزمات. وترى الماركسية كذلك أن الدين يقف عقبة أمام الإنسان وأنه أفيون الشعوب، وتؤمن بالمادية التاريخية أي أن التاريخ في حركة وتغير من النقيض إلى نقيضه ثم إلى مركب من النقيضين وكذلك المجتمع والصراع بين الطبقات قائم على أساس الديالكتيك. ينظر: د/ عبد الرحمن بدوي: موسوعة الفلسفة ج ٢ ص٤٠٧، ٤١٨.

٢- الليبرالية: لها شقان: فكري، وسياسي. الليبرالية الفكرية: تعني إطلاق حرية الفكر والتعبير عنه دون أية قيود في الإعلام، والثقافة، والبحث العلمي أما الليبرالية السياسية: فتعني وضع إطار لمنظومة اجتماعية تحدد شكل الحكم مع حق تكوين الأحزاب. ينظر: طلعت رضوان: العلمانية والعلاقة بين الدين والسياسة، الهيئة العامة لقصور الثقافة، ط: الأولى ٢٠١٢م.

٣- المادية: المادية تقال في مقابل المثالية، وتوصف بها اتجاهات، ونزعات فلسفية عديدة تشترك في القول بأن الأصل في الموجودات هو المادة لا الروح، أو العقل، أو الشعور. د/ عبد الرحمن بدوي: موسوعة الفلسفة ج ٢ ص ٤٠٧.

٤- ينظر: دكتور/ إبراهيم غانم: بحث معالم في سيرة خوجه أفندي محمد فتح الله(البسام) الأناضولي ص ٢٤٦.

٥- ينظر: د/ فرج محمد الوصيف : بديع الزمان سعيد النورسي عصره ودعوته ص ٤٢ .

٢- النيل من علماء الدين والحط من شأنهم ومنع حلقات العلوم الشرعية في المدارس وإغلاق المدارس الدينية .

٣- تطويع الأدب لنشر الأفكار الغربية الإلحادية.

٤- تغريب التعليم فبدلت المناهج التي كانت وفق الشريعة ووضعت مناهج على النمط الغربي مع تشويه لكل التراث الإسلامي.

٥- زيادة نشاط الاستشراق والإرساليات التبشيرية.

٦- علت أصوات النعرة القومية الطورانية[١]التي صارت بديلا عن الدين في كتابات المفكرين وتوجهات الدولة[٢].

ووجد (كولن) كذلك في هذه الفترة التي قضاها في (أدرنة) أن فكرة الناس عن الدين تتعلق بالموت والآخرة، ولا شأن له بالعلم، والتقدم، والسياسة، ولا بقضايا الحياة ومشكلاتها، وعندما انتقل إلى (تراقيا) بعد ذلك بسنوات وجد الحال كما هو موجة من التغريب والإلحاد أشد قوة. واحتدمت الأزمة بين العلمانية والدين أكثر؛ ولذا كانت جهود (كولن) الفكرية في هذا الوقت مصوبة نحو مناقشة قضايا العصر من التغريب، والعلمنة لإنقاذ الشباب، فناقش، ونقد، وألف، وحاضر عن الداروينية[٣]وأطروحات (سارتر) عن الإلحاد والوجودية[٤]، ونظريات (فرويد) والماركسية، فهدم كل هذه الأفكار الإلحادية،

١- الطورانية: تنسب إلى هضبة طوران الواقعة في آسيا الوسطى حيث كانت تعيش الأقوام التركية قبل نزوحها غربا إلى خراسان وما وراء النهر. وقد قام (ضيا كوك آلب)الأب الروحي للقوميين بنشر منظومته الشهيرة(طوران) سنة ١٩١١م، وفيها طرح فكرة الوحدة الطورانية ومؤداها أن وطن الترك ليس الدولة العثمانية أو الأناضول، وإنما هو طوران ودعا إلى رقي العنصر التركي أولا إذ أن وحدة العنصر هي الباقية، فالدين لم يقض على الفوارق العنصرية وراجت هذه النزعة بعد هزيمة الدولة العثمانية في حرب طرابلس= =١٩١١م وحرب البلقان ١٩١٢م، وتبناها السياسيون، وتبنتها جمعية الاتحاد والترقي. ينظر: الموسوعة الإسلامية العامة ص ٩٢٥وزارة الأوقاف المجلس العلى للشئون الإسلامية القاهرة ١٤٣٦هـ- ٢٠١٥م.

٢- ينظر: د/ فرج الوصيف: بديع الزمان النورسي عصره ودعوته ص ٤٧- ٥٣..

٣- الداروينية: نسق بيولوجي وفلسفي عند دارون وتقال هذه الكلمة بمعنيين خاصين الأول: يدل على المذهب التحولي الذي يقول إن الأنواع تخرج من بعضها البعض، والذي يرى أن الجنس البشري ينحدر من أنواع حيوانية لكن من دون فرضية حول أصل الحياة أو المعنى العام لتطورها، وثانيهما: في مقابل نظرية (لامارك وسبنسر) حول التكيف بالدربة والوراثة فهي ترى أن تحول الأنواع مرده إلى النخب الطبيعي أساسا. ينظر: أندريه لالاند: موسوعة لالاند الفلسفية المجلد الأول ص ٢٤٤ تعريب: خليل أحمد خليل إشراف: أحمد عويدات، منشورات عويدات، بيروت- باريس، ط الثانية ٢٠٠١م.

٤- الوجودية: تدين الوجودية بشهرتها وذيوع صيتها إلى الفيلسوف الفرنسي سارتر؛ لأنه لم يكتف بالتعبير عن فكرته الفلسفية بالكتب، والمقالات، والأبحاث، بل جسد هذا الفكر في روايات، ومسرحيات، وقصص مما أحلها مكانا لم تحتله فلسفة ولا تيارا من قبل حتي قيل عنها: (بدعة الفكر المعاصر أو موضته).ومن رواد هذه المدرسة أيضا: كيركجور- نيتشه- هيدجر- يسبرز- مارسل. تقوم الوجودية على القول بأن الوجود يسبق الماهية فالإنسان في أول وجوده ليس شيئا فليس ثمة طبيعة إنسانية بل هو كما يتصور نفسه وكما يريد لنفسه فالإنسان هو صانع نفسه وهو الذي يصمم مستقبله ومادام كذلك فهو مسؤول عما يكون عليه، والنتيجة الأخرى للقول بأن الوجود يسبق الماهية، هو الحرية فالإنسان حر بل هو الحرية نفسها، ولهذا كان تمجيد الفعل من المبادئ

وصرف همته وفكره إلى بناء الشباب، واستعادة الذات الحضارية للأمة عن طريق إعداد وتربية جيل (ورثة الأرض) لحمل المسؤولية[١].

ويتحدث (كولن) عن حال الشباب في تلك الفترة، فيقول: "ويسير خلف كل فلسفة جديدة ويعدها منقذة له ويرمي نفسه في أحضانها ليشرب من لبنها عندما يستيقظ صباحا يصفق للفوضوية، وفي الظهر يقف احتراما للنظام الماركسي/ اللينيني[٢]وفي العصر يحيي الوجودية، وفي العشاء ينشد نشيدا

هتلريا[٣]، ولكنه لا يلتفت إلى جذور روحه ولا إلى شجرة أمته، ولا إلى ثمار هذه الشجرة، وثقافة أمته، وروحها، ومدنيتها"[٤].

مع زوال الاتحاد السوفيتي مطلع التسعينيات هدأت الصراعات، وبدأت موجات جديدة تتحدث عن صدام الحضارات والعولمة[٥]، وواصل (كولن) حديثه عن تلك القضايا،

الرئيسة في هذا المذهب. ينظر: د/ عبد الرحمن بدوي: موسوعة الفلسفة ج ١ ص ٥٦٧.ينظر: فؤاد كامل: أعلام الفكر الفلسفي المعاصر ص ٢١٤.

١- ينظر: د إبراهيم غانم: بحث معالم في سيرة خوجه أفندي محمد فتح الله(البسام) الأناضولي ص ٢٤٦ .

٢- لينين فلاديمير: مفكر سياسي ومؤسس الدولة البلشفية في روسيا ولد ١٨٧٠م كان ثوريا أثناء دراسته في كلية الحقوق، ثم انتقل من الشعبية إلى الماركسية، واشترك في تأسيس رابطة الكفاح لتحرير الطبقة العاملة، فسجن وبعد خروجه قام بعدة رحلات في أوروبا؛ لتوسيع حركة الكفاح وأنشأ مجلة الشرارة، وحزب العمال الاشتراكي الديمقراطي الروسي، ولما قامت الثورة في روسيا وسقط القيصر استطاع الاستيلاء على الحكم في= = ٧ نوفمبر ١٩١٧م، وصار هو الحاكم المسيطر على روسيا كلها حتى توفي بعد أن أصيب بالشلل عام ١٩٢٤م.د/ عبد الرحمن بدوي: موسوعة الفلسفة ج ٢ ص ٤٠٢.

٣-أدولف هتلر(١٨٨٩- ١٩٤٥م): زعيم الحزب النازي الألماني تمكن من الفوز في الانتخابات الألمانية في فترة تدهور شديدة في المجتمع بعد الحرب العالمية الأولى(١٩١٤- ١٩١٨م)، واستغل فكرة القومية وتفوق الجنس الألماني (الآري)-النازية- في التأثير على مشاعر الشعب وضمان مساندته له واتخذ الصليب المعقوف (سواستيكا) رمزا له، وبالفعل فاز في الانتخابات، وقد اتسم نظامه بالدكتاتورية وارتبط اسمه بتصفية كل من رأى أن ليس له الحق في الحياة؛ لكونه أدنى في الرقي كالمرضى النفسانيين، والذين يعانون من القصور الذهني، والشيوعيين الذين شك هتلر في تعاونهم مع أعدائهم، ويقال إنه تم تصفية حوالي ثمانية عشر مليونا بهدف التطهير العرقي ، وكانت النازية وراء حلم هتلر بقيادة أوروبا والسيطرة على العالم كله؛ ولذا دخل الحرب العالمية الثانية(١٩٣٩- ١٩٤٥م) والتي لم تنته لصالح ألمانيا وهو ما أدى بهتلر إلى الانتحار. د/ مرفت عبد الناصر: موسوعة تاريخ الأفكار ج ٣ ص ٣٦.
٤- كولن: أسئلة العصر المحيرة ص ٢٧.

٥- العولمة: مرحلة جديدة تتكثف فيها العلاقات الاجتماعية على الصعيد العالمي، ويحدث تلاحم غير قابل للفصل بين المحلي والعالمي بروابط ثقافية، واقتصادية، وسياسية، وإنسانية. وقيل: الفلسفة النظرية لاقتصاد السوق، ولمجموعة الدول الصناعية، والشركات متعددة الجنسيات من أجل فتح أسواق العالم أمام الصناعات الغربية بدعوى المنافسة والانفتاح، وتشجيع الدول الأقل نموا على التنمية، وقيل: فعل اغتصاب ثقافي، وعدوان رمزي على سائر الثقافات أو السيطرة الثقافية الغربية على سائر الثقافات بواسطة استثمار مكتسبات العلوم والثقافة في ميدان الاتصال. ينظر: الدكتور/ بركات محمد مراد : ظاهرة العولمة رؤية نقدية ص ٢٢- ٢٣ وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية- قطر، سلسلة كتاب الأمة العدد ٨٦ السنة الحادية والعشرون، ط: الأولى ١٤٢٢هـ- ٢٠٠١م.

وبادر بفكرة حوار الحضارات، وبدأ ينشط في ذلك محليا وعالميا بالدعوة إلى التسامح بديلا عن العنف والتعصب.

ومع انتقاله للإقامة في الولايات المتحدة منذ عام ١٩٩٩م رأى أن الحوار بين الحضارات وأتباع الديانات بات ضرورة أكثر مما سبق، وخاصة بعد أحداث ١١ سبتمبر، وما تلاها من أعمال عدوانية، وقد أصدر كتابا عالج فيه مشكلات العولمة والعنف والإرهاب، والظلم الدولي، وقضايا الحب والتسامح والحوار، وحقوق الإنسان (نحو حضارة عالمية من الحب والتسامح)، وسرعان ما حول أنصاره توجهاته إلى إجراءات عملية من خلال مؤسسات تعليمية، وإعلامية، وفنية، وكثف منتدى (أبانت) الذي أنشأ في تركيا برعاية (كولن) حواراته، وانطلق بها خارج تركيا في أوربا، وأمريكا، وآسيا، وأفريقيا، والعالم العربي[١].

ب- التعليم:

يعد التعليم جانبا مهما لكل دولة تنشد الرقي والتقدم؛ ولذا اهتمت تركيا بذلك فأجرت - مثلا- تعديلات وتغييرات في المناهج التعليمية حتى الجامعات لتحقيق النجاح المنشود،[٢]وفي تركيا اتجاهان متعارضان في مجال التربية والتعليم:

الأول: الاتجاه العام:

اتجاه غربي ديمقراطي، وكان يتسم بالعنف حتى سنة ١٩٥٠م حتى سقط حزب (أتاتورك) في الانتخابات فخفف من غلوائه.

الثاني: الاتجاه الديني:

ظهر هذا الاتجاه من سنة ١٩٥٠م ويتمثل في المظاهر الآتية:

١- وجود صحافة إسلامية وعودة الوعظ والإرشاد إلى المساجد.

٢- فتح الكليات والمعاهد الإسلامية وانتشار تحفيظ القرآن في القرى والمدن.

٣- وجود جماعات إسلامية غير سياسية ذات طابع صوفي مثل جماعة النور.

٤- وجود حزب إسلامي سياسي وهو حزب السلامة برئاسة (أربكان) .

ولا يزال الاتجاه السائد في التربية والتعليم هو الاتجاه العلماني[٣].

وإلى جانب الجهود الحكومية في هذا المجال ساعدت المجتمعات المدنية في إنشاء المدارس والجامعات في الثمانينات، وتوسعت بعد ذلك داخل تركيا وخارجها خاصة بعد

١- ينظر: معالم في سيرة خوجه أفندي ص ٢٥٠- ٢٥١.

٢- ينظر: أحمد عبد العزيز محمود: تركيا في القرن العشرين ص ٧٠.

٣- ينظر: أحمد عبد العزيز محمود: تركيا في القرن العشرين ص ٧١.

سقوط الاتحاد السوفيتي، ولعل ذلك واضح في جهود رجال الأعمال الذين ينتمون إلى فكر (كولن) حيث كان التعليم هو الآلية المركزية لدى الحركة الإصلاحية الحديثة في عالم المسلمين، ومنها حركة (فتح الله) فقد رأى (كولن) أن التعليم هو أساس النهضة لتركيا وغيرها من دول العالم الإسلامي؛ ولذا أخذ على عاتقه تعليم النشء، وشجع رجال الأعمال المقتنعين بفكره على إنشاء المدارس وغيرها من المؤسسات ذات الصلة.

و من تلك المؤسسات ذات الطابع التعليمي والبحثي:

١- المدارس بجميع مراحلها:

ركز (كولن) الدعوات لبناء المدارس؛ لتكوين مدرسة فكرية ذات منهج علمي من منظور القرآن والسنة تواكب العصر وتنطلق منه، فامتدت المدارس بتأثير من دعوة (كولن) على امتداد التراب التركي، وبلغ عدد مدارس (الفاتح) ٢٧٠ مدرسة ابتدائية وثانوية و٧٧ روضة في منطقة (مرمرة) فقط التي تشمل اسطنبول[١].

كانت أول مدرسة من مدارس (النور) أسسها (فتح الله كولن) في السبيعينات من القرن الماضي كانت في (إزمير) حملت رؤيته ومنهجه، ودرس فيها طلابه الذين تخرجوا على يديه ويحملون أفكاره، وتوالت المدارس على أيدي رجال الأعمال الذين حملوا أفكار (كولن)[٢]، وانتقلت المدارس من المحلية إلى العالمية، فافتتحت المدارس خارج تركيا منذ بداية التسعينيات في آسيا الوسطى إثر انهيار الاتحاد السوفيتي بدعوة من (فتح الله كولن) لإنقاذ ونجدة إخوة الدم والدين، ثم انتشرت المدارس في القارات الخمس في أكثر من مائة دولة ما بين مدارس حكومية، وخاصة، ومشتركة[٣]

وذكر (كولن) في أحد الحوارات أنها تمتد في حوالي١٦٠ دولة[٤].

٢- مدارس التأهيل للثانوية والجامعة:

وانتشرت المعاهد التحضيرية لتأهيل الشباب للدخول لاختبارات الثانوية والجامعة، وهي مدارس داخلية؛ مما يتيح لطلابها الترابط والصحبة، ووصل الطلاب فيها أكثر من مليون طالب حسب إحصاء ٢٠١٠م.ويوجد لمعهد (فام) مثلا وهو أحد المعاهد التحضيرية(٤٤) فرعا في اسطنبول وحوالي(١٣٠) فرعا في مجموع تركيا[٥].

٣- التعليم الجامعي:

أسس بعض المقتنعين بفكر (كولن) مؤسسات للتعليم الجامعي على رأسها جامعة الفاتح[٦].

١- ينظر: دكتور/ سمير بودينار: فلسفة التعليم السباحة في المجال الحيوي ص ٣٤٠ ضمن فعاليات مؤتمر مستقبل الإصلاح في العالم الإسلامي خبرات مقارنة مع حركة فتح الله كولن التركية .

٢- ينظر: فريد الأنصاري: عودة الفرسان ص ٣٠٩.

٣- ينظر: د/ سمير بو دينار: فلسفة التعليم ص ٣٤٣-.٣٤٤.

٤- ينظر: مجلة حراء ص ١٣٢السنة التاسعة (مايو- يونيو) ٢٠١٤م.

٥- ينظر: بحث فلسفة التعليم ص ٣٤٣.

٦- د/عمار جيدل: بحث محاربة الفقر المنطلقات والغايات حركة فتح الله كولن أنموذجا ص ٤٦٤.مؤتمر مستقبل الاصلاح ٢٠٠٩م منشور في دار النيل بتاريخ ٢٠١١م.

٤- مؤسسات الخدمة التعليمية في الخارج:

بدأ (كولن) فتح المدارس خارج تركيا منذ بداية التسعينيات حيث تأسست أول مدرسة خارج البلاد سنة ١٩٩١م في آسيا الوسطى، وتتوزع المدارس على ثلاثة أنواع:
الأولى: حكومية عامة كما في آسيا وروسيا .
والثانية: مدارس أهلية في تركيا وأفريقيا .
والثالثة: مدارس مشتركة بين القطاعين
كالمدارس الدولية،[١] ومدارس العلوم، والاقتصاد، واللغات، وتمتد في ١٠٠ دولة من دول العالم.

٥- مبيت الطلاب :

لا تخلو مدينة في تركيا من مبيتات للطلبة يصل بعضها إلى استيعاب ٢٥٠ طالبا مجانا أو بتكاليف رمزية[٢].

٦- قاعات المطالعة والبحوث والقراءة :

تنتشر في كثير من المدن ما يسمى(الأكاديمية) [٣]، وهي مركز متعدد الخدمات يغلب عليه الخدمة البحثية والتربوية فضلا عن الدرس التوجيهي الأسبوعي القائم على التربية والمطالعة الهادفة[٤].

ومنها: حلق التدريس التي يعقدها (كولن) لطلابه حيث كانت المدارس تبني على هيئة عمارات وكل عمارة أطباقا تضم الفصول الطلابية إلا الدور الخامس فكان له شكل خاص، فكان أشمل من كونه فصولا وكان هذا خاصا بفتح الله كولن يلقي دروسه على خواص طلابه في التفسير والحديث والفقه واللغة العربية وسائر العلوم واستمر تقليد الدور الخامس ساريا في كل المدارس في (إزمير) و(أنقرة) و(إسطنبول) حتى عندما رحل الى ولاية بنسلفانيا بالولايات المتحدة استمر الدور الخامس رغم عدم وجود طوابق،

١- من تلك المدارس بمصر (مدرسة صلاح الدين الدولية) بالقاهرة التي أنشئت ٢٠٠٩م وكان لي لقاء مع مدير المدرسة الأستاذ (حمزة اقصوى) وهو يعمل في مجال التعليم منذ ٢٢عاما في تركيا والبلقان وأخيرا مصر في كل مراحل التعليم، وهناك فروع أخرى من هذه المدارس في بني سويف والاسكندرية، ويوجد منهج معين للمدارس الدولية يقرره اتحاد المدارس الدولية يضاف إليه منهج وزارة التعليم المصري، وتضيف مدرسة صلاح الدين مادة القرآن ويرون أن مصر لا تحتاج لمنهج إضافي لكونها قلعة الأزهر، قلعة أهل السنة والجماعة كما يقول مدير المدرسة، وتهتم هذه المدارس بالجانب الخلقي والسلوكي للطلاب، وبالعلوم الطبيعية= =بشكل كبير، وتستخدم الأساليب العالمية في تدريس الطلاب العلوم، وتهتم باللغة العربية، وتدخل مسابقات عالمية على مستوى العالم، وتختار المعلمين عن طريق لجنة علمية وتقوم بتصفية لهم أولى، وثانية، وثالثة حتى تختار الأكفأ، وتضع للمعلم ١٥ معيارا أثناء العام لتقييمه كالشرح وعلاقته بأولياء الأمور، وتعمل بنظام الزمر بتوزيع الطلاب مجموعات لكل مجموعة رئيس يقوم بتدريبهم على كل جديد، واللغة الأساسية هي الانجليزية إضافة إلى الفرنسية والألمانية مع اللغة العربية . من لقاء في مدرسة صلاح الدين الدولية مع مديرها الأستاذ (حمزة اقصوى) يوم ٦/١٦/ ٢٠١٥م في التجمع الخامس في الساعة الثانية ظهرا.

٢- ينظر: د/عمار جيدل: بحث محاربة الفقر ص ٤٦٥.

٣- ينظر: د/ محمد بابا عمي: أرباب المستوى الأكاديميا باعتبارها جماعة علمية ص ١٩٨. دار النيل، ط الأولى: ١٤٣٣هـ- ٢٠١٢م.

٤- ينظر: د/ عمار جيدل/ محاربة الفقر ص ٤٦٥.

ولكنه رمز ينطلق منه (فتح الله) لتعليم الناس الإسلام من خلال حلقاته التي يعقدها هناك[١].

ولم يترك (كولن) التدريس طيلة حياته (إلا مضطرا) والشاهد على ذلك الحلقات التي يعقدها لطلابه حتى الآن فيطالع معهم كتب التفسير، والحديث، والفقه، وأصوله، والتصوف، والبلاغة، والمنطق، والصرف، والنحو، ويقال: إنه تدارس مع طلابه في شهر رمضان عشر مجلدات من "كنز العمال" للمتقي الهندي من أصل ستة عشر مجلدا وفيه أكثر من ٤٦ألف حديث وأكمل ما بقي بعد شهر رمضان[٢].

وهناك قائمة كبيرة بأسماء الكتب التي تدرس في الحلقات سأعطي نماذج منها:

- في التفسير: تفسير الجلالين للسيوطي- أنوار التنزيل وأسرار التأويل للبيضاوي - مقدمة الكشاف للزمخشري - في ظلال القرآن لسيد قطب- كليات رسائل النور للنورسي - تأويلات أهل السنة للإمام الماتريدي

- في الحديث: صحيح البخاري - صحيح مسلم - سنن الترمذي- سنن أبي داود - الموطأ - الشفا بتعريف حقوق المصطفى - فتح الباري.

- في الفقه : الهداية - ملتقى الأبحر- الفقه الإسلامي وأدلته وهبة الزحيلي - الفقه الحنفي وأدلته - الوجيز في أصول الفقه عبد الكريم زيدان.

- في التصوف: الرسالة القشيرية - المكتوبات - الرعاية لحقوق الله - اتحاف السادة المتقين في شرح إحياء علوم الدين - نفحات الأنس .

- في اللغة العربية: الكفاية لابن الحاجب - شرح ابن عقيل على الكفاية لابن مالك - النحو الواضح لعلي جارم ومصطفى أمين - تعليم اللغة العربية بطريقة حديثة (٥ مجلدات) لفتح الله كولن، وفي البلاغة: تلخيص المفتاح - البلاغة الواضحة .

- في علم الكلام: شرح العقائد النسفية للتفتازاني - كليات رسائل النور للنورسي - العقائد الخيرية لمحمد وهبي أفندي، إلى جانب متنوعات علمية من الفنون الأخرى[٣].

ج- الجامعات والبحث العلمي:

اهتمت تركيا أيما اهتمام بالجامعات وتطوير البحث العلمي، وقد أنفقت تركيا ١٣.٥ مليار دولار على مشاريع البحث والتطوير في الفترة ما بين ٢٠٠٥ و٢٠١٥م بزيادة بنسبة ٣.٥%. ووفقا لهيئة الأبحاث العلمية والتكنولوجية التركية، فإن تركيا في المرتبة الثانية عالميا من حيث سرعة زيادة حجم الإنفاق على البحث والتطوير[٤].

أما بالنسبة للجامعات فكانت أهم الجامعات جامعة إستانبول التي أنشئت ١٩٣٣م، ثم بلغ عدد الجامعات بعدها ١٥ جامعة حتى عام ١٩٥٥م في أنحاء تركيا[٥].

١- ينظر: الأنصاري: عودة الفرسان ص ٣٠٦- ٣٠٩.

٢- ينظر : أرطغرول حكمة: فتح الله كولن قصة حياة ومسيرة فكر ص ١١٨- ١١٩.

٣- ينظر: علي أونال فتح الله كولن ومقومات مشروعه الحضاري ص ٣٩٨- ٤٠٢.

٤- ينظر: سامية السيد : مقال تركيا زيادة الإنفاق على البحوث العلمية لريادة مستمرة على موقع تركيا بوست على شبكة الأنترنت بتاريخ ٢٦يناير ٢٠١٦م .

٥- ينظر: أحمد عبد العزيز: تركيا في القرن العشرين ص ٧٠.

وتواصلت الجامعات في الزيادة ففي الفترة من عام ٢٠٠٢م وحتى ٢٠١٢م وصل عدد الجامعات في تركيا ١٧٢ جامعة[١].

ووصل عدد الجامعات من ٢٠١٢ إلى الآن ١٩٣ جامعة وتعتبر أكبر ميزانية في تركيا مخصصة لمجال التعليم والبحث العلمي حسب التصريحات الحكومية[٢].

كما وصل عدد الأساتذة في جامعات تركيا إلى حوالي ١٠٠ ألف أستاذ تقريبا، وقد كان تصنيف الجامعات التركية عام ١٩٨١م رقم(٤٢)بين جامعات العالم في مجال البحث العلمي، أما في عام ٢٠٠٨م احتلت تركيا رقم (١٨)بين دول العالم، وهكذا ازدادت تقدما وفقا للتقارير والمعايير العلمية لقياس معدل التقدم في البحث العلمي.

وفي يناير ٢٠١٥م دخلت ست جامعات تركية قائمة أفضل الجامعات على مستوى العالم وذلك وفق الترتيب الذي أصدرته مجلة التعليم البريطانية (تايمز هاير اديوكيشن)، وحصلت أربع جامعات تركية على مراكز مختلفة على قائمة أفضل ٢٠٠ جامعة على مستوى العالم، بينما حصلت جامعتان أخريان على مركزين في تصنيف أفضل ٤٠٠ جامعة، وكانت جامعة تركية واحدة ضمن تصنيف أفضل ٢٠٠ جامعة حتى ٢٠١٤م[٣].

د- الثقافة وأجهزة الإعلام:

هناك حرية في التعبير، وعدم رقابة على وسائل الإعلام؛ مما يتيح وجود مختلف الثقافات، وقد بدأت الصحف بالظهور لأول مرة ١٩٢٣م، ومع الوقت تزايدت الصحف والمجلات، وتتوزعها الاتجاهات الثقافية المختلفة كالاتجاه الغربي العلماني - وهو متغلغل في وسائل الإعلام-، والاتجاه الإسلامي الذي بدأ يقوى منذ السبعينات، والاتجاه الشيوعي، وغير ذلك من اتجاهات، وبدأت الإذاعة عام ١٩٣٨م، والتليفزيون استطاع عام ١٩٧١م تغطية كافة أنحاء البلاد بالبث المباشر، ووكالات الأنباء بدأت في الظهور منذ ١٩٦٨م، وأشهرها وكالة أنباء استانبول، ووكالة أنباء تركيا، وكل أجهزة الإعلام لها استقلال ذاتي بعيدا عن الحزب الحاكم، وتوجد وكالات اقتصادية وإعلامية وغيرها[٤].

وتساهم المجتمعات المدنية في هذا المجال أيضا؛ فقد أتاحت الحريات الممنوحة والحياة الديمقراطية في البلاد ظهور مؤسسات خاصة متنوعة، وقد أنشأت حركة (كولن) عديد من المؤسسات الإعلامية مجموعة قنوات(STV) تضم عدة قنوات وتغطي ١٥٠ دولة، وهي من أكبر القنوات من حيث المشاهدة والصحف تشمل مجموعة زمان التركية التي تضم عدة صحف، ووكالة جيهان وهي إخبارية دولية وهي أكبر وكالة أنباء في تركيا[٥]

١- ينظر: مقال تركيا زيادة الانفاق على البحوث العلمية لريادة مستمرة .

٢- من تصريحات رئيس الجمهورية التركية في ٢٠ مارس ٢٠١٦م على قناة TRTبالعربية .

٣- ينظر: سامية السيد: مقال تركيا زيادة الإنفاق على البحوث العلمية لريادة مستمرة .

٤- ينظر: أحمد عبد العزيز محمود: تركيا في القرن العشرين ص ٦٣، ٧٤.

٥- ينظر : ا.د/ عمار جيدل : محاربة الفقر المنطلقات والغايات حركة فتح الله كولن أنموذجا ضمن أبحاث مؤتمر الإصلاح في العالم الإسلامي خبارت مقارنة مع حركة فتح الله كولن التركية ص ٤٧٠ .

إلى جانب عدد كبير من المواقع الالكترونية التعليمية، والتثقيفية، والاقتصادية، والإعلامية، وعدد من المجلات العلمية المتعددة ودور النشر مثل دار النيل(تسمى الآن (عام ٢٠١٨م) دار الانبعاث) لها فروع في تركيا، ومقرها الرئيسي في مصر، ومجلة حراء التي تصدر بالعربية في مصر، ومجلة أكسيون إخبارية سياسية، وعدد من المجلات العلمية والأدبية [١].

هكذا سار الحال في تركيا الحديثة والمعاصرة، وبالتالي تأثر بذلك كل الأفراد والمؤسسات إيجابا أو سلبا كفتح الله كولن وحركته كما سبق.

ثالثا: مصطلحات فتح الله كولن:

استخدم (كولن) مصطلحات خاصة في التعبير عن أفكاره، وهي متكررة في كلامه، وقد أردت الإشارة إلى معناها حتى يكون الاطلاع على فكر الرجل موطئا ممهدا، وبعض هذه العبارات شرح معناها هو في بعض كتاباته، وبعضها شرحها المترجمون لكتبه وأحاديثه، وبعضها فهمته من خلال الاطلاع على مجمل فكره .

وسأبدأ في بيانها حسب الترتيب الأبجدي كالتالي:

١- الأوامر الشرعية:

ما شرعه الله لعباده من شرائع وأحكام .

٢- الإرادة الجزئية:

هي الإرادة المنسوبة إلى الإنسان، ويشير إليها ويصفها بأنها(أمر اعتباري)، ومعنى كونها أمرا اعتباريا أنه لا وجود له خارج العقل[٢].

٣- الإرادة الكلية:

يقصد بها مشيئة الله (سبحانه وتعالى).

٤- الإمام الرباني[٣]:

١- السابق ص ٤٧٠ .

٢- ينظر: للمترجم عوني عمر لطفي أوغلو: هامش ونحن نقيم صرح الروح ص ٢١.

٣- الإمام أحمد السرهندي(٩٧١-١٠٣٤هـ = ١٥٦٣-١٦٢٥م): أحمد بن عبد الأحد الفاروقي السرهندي يلقب (مجدد الألف الثاني من الهجرة النبوية)، ولد من بيت عريق في المجد والعلم سنة إحدى وسبعين وثمانمائة للهجرة، ونشأ في بيئة دينية صالحة . وهو من علماء الهند الأفذاذ الذين أحيى الله بهم السنة وأمات بهم الكفر والبدعة، فتابعه على هذا الأمر خلق كثير نفعهم الله بدعوته. وعند الزركلي (السهرندي) نسبته إلى (سهرند) ومعناها غابة الأسد، بين دهلي ولاهور، ومولده ووفاته فيها. تفقه وحج، واشتغل بالتدريس، وحبسه السلطان (جهانگير) قيل: لامتناعه عن السجود تعظيما له. وأطلق بعد ثلاث سنوات، فعاد الى سهرند. من مؤلفاته:

يقصد به الإمام أحمد الفاروقي السرهندي[١].

٥- الإنسان الأفق:

يطلق على النبي (ﷺ)؛ لأنه تسنم الذرى(العلا) في كل شيء حسن وجميل[٢].

٦- الإنسان الجديد[٣]:

هو من سيتحمل مسئولية الإنسانية، وإعادة الروح والحضارة من جديد، وإحياء نهضة الأمة فهو يرى "أن طريق الانبعاث والنهضة والتقدم والتنمية الشاملة المتكاملة تبدأ من إعادة صياغة الإنسان بالتربية البانية للعقل وللوجدان، وبالتعليم الذي يفتح الآفاق للولوج إلى عالم المعرفة ولامتلاك ناصية العلوم والتكنولوجيا"[٤] والإنسان كذلك هو وارث الأرض، وممثل الروح، ومهندس الأمل، وفدائي المحبة، والجيل المثالي، والجيل الذهبي، وكلها تسميات من تصنيف (كولن) .

فأضلاع مثلث الإصلاح عند كولن[٥]هي:

أ- الإنسان الجديد.

ب- الدين.

ج- العصر: أي مراعاة خصائص العصر الذي نعيشه.

وقد سبقه عدد من العلماء في القرن العشرين في الحديث عن نفس الفكرة مثل: محمد عاكف الذي سماه "جيل عاصم"، وكذا عدد من الأتراك كنجيب فاضل، ونور الدين

رسائل في (المبدأ والمعاد)، و (إثبات النبوة)، و (المعارف اللدنية)، و (ردّ الشّيعة). ينظر: الزركلي: الأعلام ج ١ ص ١٤٣، وينظر: أبو سهل محمد بن عبد الرحمن المغراوي: موسوعة مواقف السلف في العقيدة والمنهج والتربية ج ٨ ص ٥٦١ المكتبة الإسلامية للنشر والتوزيع - القاهرة- مصر والنبلاء للكتاب- مراكش- المغرب، الطبعة: الأولى.

١- ينظر: كولن: الموشور ص ٢١٧.

٢- ينظر: فتح الله كولن التلال الزمردية نحو حياة القلب والروح ص ٤٠ ترجمة: إحسان قاسم الصالحي، دار النيل ط الرابعة ٢٠١١م.

٣- ينظر: كولن: مقال الإنسان الجديد ،مجلة حراء عدد ١١ عام ٢٠٠٨م.

٤- عبد القادر الإدريسي :نور وفتح قراءة في فكر سعيد النورسي وفتح الله كولن ص ٩٧ دار النيل ط الأولى ٢٠١٤م

٥- الدكتور سمير بو دينار: فلسفة التعليم السباحة في المجال الحيوي بحث في مؤتمر مستقبل الإصلاح في العالم الإسلامي عام ٢٠٠٩م.

طوبجو،[١]وسماه بديع الزمان (الجيل الجديد) وقد تأثر (فتح الله) واستلهم أراء بديع الزمان خاصة[٢].

٧- الآيات التكوينية[٣]:

يقصد المظاهر والآثار المنشورة في الكون والموجودات والكائنات.

٨- تلقيات الإسلام أو متلقياته:

يقصد به: (طبيعة فهمه وتداعياته في الإنسان ونوع التصورات بشأنه) [٤]..

٩- الحركية:

يستعمل (كولن) كلمة (action)ويعني بها القضية، والدعوة، والرسالة، والتأثير وحيثما وردت في كلامه ترجمت للحركية.

١٠- حضرة القدرة أو الكلام الإلهي:

يستعمل (كولن) مصطلح(حضرة)عندما يتكلم عن الله وعن صفاته من باب التبجيل والتوقير كما أجاب هو عندما سئل عن ذلك[٥] .

تدل على زيادة التعظيم والإجلال لله تعالى ويستخدم الأتراك مصطلح (حضرة) كثيرا قبل الأسماء ذات القداسة أو المكانة الدينية مثل: أسماء الأنبياء (عليهم السلام).

١١- الرسول القطب:

يطلق على النبي(ﷺ)وكذلك يطلق عليه ألقابا أخرى مثل: (سلطان الأنبياء)، و(فخر الإنسانية) [٦].

١٢- زمن السعادة أو عصر السعادة :

١- نور الدين طوبجو: من كبار المفكرين والأدباء في تركيا توفي ١٩٧٥م من قصصه التي ترجمت للعربية: في الطريق إلى الحياة الأدبية ،عرف بكتبه التحليلية للحضارة الإسلامية القديمة والتاريخ التركي والصوفية، ورؤيته عن الواقع الاجتماعي في العصر الحديث، ووفاء له منح جائزة رئاسة الجمهورية الكبرى للثقافة والفنون ٢٠١٧م في ذكرى تأسيس الجمهورية ٢٩ أكتوبر .ينظر: مدونة دكتور أبو مروان ٢٥ ديسمبر ٢٠٠٩م.وموقع رئاسة الجمهورية التركية ٢٩ / ١٠/ ٢٠١٧م على شبكة الأنترنت.

٢- ينظر: أرطغرل حكمة: فتح الله كولن قصة حياة ومسيرة فكر ص ٩٤.

٣- كولن: التلال الزمردية ص .١٨٦

٤-هامش ونحن نقيم صرح الروح ص ٢٤ للمترجم عوني عمر لطفي أوغلو.

٥- كولن: ونحن نقيم صرح الروح هامش ص١٥- ٢٤.

٦- السابق ص ٤٣، ٢١٩.

هو عصر النبوة أو الفترة التي عاشها النبي (ﷺ) [١].

١٣- السنة السَنية:

يستخدم (كولن) هذا المصطلح كثيرا تعبيرا عن السنة النبوية أي العلية القدر أو رفيعة المقام.

١٤- السوق الإلهي:

الدفع الإلهي بالدوافع المغروزة في كنه الحياة والموجودات[٢].

١٥- الشريعة الفطرية:

يقصد بها (مجموع السنن الإلهية التي فطر الله الكائنات عليها، وأجراها فيها فهي بهذا المعنى شريعة فطرية، وقوانين إلهية واجبة الطاعة والمراعاة) [٣].

١٦- السير الأنفسي والآفاقي:

وقد استخدمهما النورسي أيضا في كلامه[٤]وكثير من السابقين كالإمام محمد عبده[٥] عبده[٥] ولكن المعنى موجود عند كل أصحاب العقيدة، وأرباب القلوب قديما وحديثا،

١- ونحن نبني حضارتنا ص ٩٧ الهامش بقلم المترجم: عوني عمر لطفي أوغلو، دار النيل، ط: الثانية ٢٠١٢م.

٢- ونحن نبني حضارتنا هامش ص ١٢٦ بقلم المترجم: عوني عمر لطفي أوغلو .

٣- يراجع: هامش ونحن نقيم صرح الروح ص ١١٧ للمترجم: عوني عمر لطفي، دار النيل، ط: الخامسة ٢٠١١م . وينظر: التلال الزمردية ص٤٢.

٤- ينظر: النورسي: المكتوب التاسع والعشرين من المكتوبات سلسلة كليات رسائل النور (٢) ص ٥٧٥ ترجمة: إحسان قاسم الصالحي، دار سوزلر- القاهرة، ط: الثانية بمصر ١٤١٣هـ- ١٩٩٢م .

٥- الشيخ محمد عبده(١٢٦٦ - ١٣٢٣ هـ = ١٨٤٩ - ١٩٠٥ م): محمد عبده بن حسن خير الله، من آل التركماني: مفتي الديار المصرية، من مؤسسي النهضة المصرية الحديثة، وكبار الدعاة إلى التجديد والإصلاح في العالم الإسلامي، ولد بحصة شبشير من قرى إقليم الغربية، ونشأ بقرية "محلة نصر" من قرى شبراخيت بإقليم البحيرة. وأحب في صباه الفروسية والرماية والسباحة. وتعلم بالجامع الأحمدي بطنطا، ثم بالأزهر. وتصوف وتفلسف. وعمل في التعليم، وكتب في الصحف ولا سيما جريدة (الوقائع المصرية) وقد تولى تحريرها. وأجاد اللغة الفرنسية بعد الأربعين. ولما احتل الإنكليز مصر ناوأهم. وشارك في مناصرة الثورة العرابية، فسجن ٣ أشهر للتحقيق، ونفي إلى بلاد الشام سنة ١٢٩٩هـ (١٨٨١)، وسافر إلى باريس فأصدر مع جمال الدين الأفغاني جريدة (العروة الوثقى)، وعاد إلى بيروت فاشتغل بالتدريس والتأليف. وسمح له بدخول مصر، فعاد سنة ١٣٠٦ هـ (١٨٨٨) وتولى منصب القضاء، ثم جعل مستشارا في محكمة الاستئناف، فمفتيا للديار المصرية (سنة ١٣١٧ هـ واستمر إلى أن توفي بالإسكندرية، ودفن في القاهرة. من مصنفاته: (تفسير القرآن الكريم) لم يتمه، و (رسالة التوحيد) و (الرد على هانوتو) ، و (شرح نهج البلاغة) و (شرح مقامات البديع الهمذاني) و (الإسلام والنصرانية مع العلم والمدنية).ينظر: خير الدين بن محمود بن محمد بن علي بن فارس الزركلي الأعلام ج ٦ص ٢٥٢ دار العلم للملايين ط ١٥ مايو ٢٠٠٢م. ينظر: عادل نويهض: معجم المفسرين «من صدر الإسلام وحتى

ويقصد به التفكر في الأنفس، وما فيها من عجائب تدل على الله والنظر والتفكر في الافاق والكون والموجودات لنفس الغرض قال تعالى: چ ئو ئو ئۇ ئۇ ئۆ ئۆ ئۈ ئۈ ئې ئې ئىئى ئى ئد ى ى ي ي ئج ئح چ[١].

١٧- عالم الأمر:

يقصد به الروح والباطن؛ لقوله: "التوكل هو مبدأ الأحوال التي تخص عالم الأمر أو السير الروحاني بالاعتماد على الله والثقة به"[٢].

والتوكل من عبادات القلب؛ ولذا هي من عالم الأمر .

وقد وجدت للإمام الرباني (أحمد الفاروقي السرهندي) تعريفا له يؤكد ذلك و(كولن) متأثر به كثيرا، ويستشهد به في مناسبات عدة يقول الإمام: "اعلم أن الإنسان عبارة عن مجموع عالم الأمر وعالم الخلق هو عبارة عن صورة الإنسان وظاهره وعالم الأمر حقيقة الإنسان وباطنه"[٣].

١٨- الفروعات:

يقصد بها الفروع، وهي الأمور التي تقابل الأصول، فالأصول هي أمور العقيدة والفروع ما عداها من مسائل الفقه.

١٩- كتاب الكون:

يقصد التفكر في كل ما يدور في الكون من أحداث وأشياء ،ويسميه كذلك الكتاب المنظور في مقابل الكتاب المقروء الذي يعني به القرآن الكريم .

وأحيانا يستخدم تعبيرات أخرى مثل: قصر الكون[٤].

٢٠- المحاكمة :

يستخدم (كولن) كثيرا -عندما يشيد بقيمة العقل والتفكير- لفظ المحاكمة العقلية أو المنطقية وتعني: (تمحيص المسألة وفحص الأدلة، وإجراء القياس، وإعمال الاستنباط لاستحصال النتيجة) [١].

العصر الحاضر» ص ٥٦٦/٢قدم له: مُفتي الجمهورية اللبنانية الشَّيْخ حسن خالد، الناشر: مؤسسة نويهض الثقافية للتأليف والترجمة والنشر، بيروت - لبنان، الطبعة: الثالثة، ١٤٠٩ هـ - ١٩٨٨ م.

١- سورة فصلت: الآية ٥٣.

٢- كولن: التلال الزمردية ص ١١٢.

٣- الإمام أحمد الفاروقي السرهندي: المكتوبات ج ٢ ص ٢٠١، تعريب: محمد مراد المترلوي، دار مكتبة الحقيقة- استانبول - تركيا ١٤٢٣هـ- ٢٠٠٢م.

٤- كولن: الرد على شبهات العصر ص ٣١، ترجمة: أورخان محمد علي- عبدالله محمد عنتر، دار النيل، ط: الأولى ٢٠١٣م .

٢١- المعنى الحرفي والمعني الاسمي:

يردد (كولن) دائما دعوته إلى وجوب النظر إلى الكون والكائنات بالمعنى الحرفي لا الاسمي، وقد استقى هذين المصطلحين من كلمات (النورسي) والمعنى :

أن الحرف لا يستقل بمعناها إلا إذا أضيف إلى غيره كذلك لا شيء له قيمة إلا إذا انتسب إلى الله تعالى.

أما الاسم فيستقل بمعناه فمتى شعر الفرد أنه مستقل غير منتسب إلى شيء، واعتمد على الأسباب فقط التي من نفسه فهذا باب للخطأ والبعد عن الله.

يقول النورسي: "إن النظر إلى ما سواه تعالى لابد أن يكون بالمعنى الحرفي وبحسابه تعالى، وأن النظر إلى الكائنات بالمعنى الاسمي أي بحساب الأسباب خطأ ففي كل شيء وجهان: وجه إلى الحق ووجه إلى الكون، فالتوجه إلى الوجه الكوني لابد أن يكون حرفيا وعنوانا للمعنى الاسمي الذي هو جهة نسبته إليه تعالى مثلا: لابد أن يرى في النعمة مرآة للإنعام والوسائط والأسباب مرايا لتصرف القدرة"[٢].

وأكد (كولن) على ذلك أيضا عندما قال: "فينبغي أن ننظر إلى الإنسان بالمعنى الحرفي ، والحرف لا يدل على معنى في نفسه بل لابد أن يركب مع كلمة ليدل على معنى ما، كذلك الإنسان لا تكون له قيمة حقيقية إلا بانتسابه إلى الله (عز وجل)، أما إذا نظر إلى نفسه بالمعنى الاسمي، وعد نفسه كائنا مستقلا وظن أنه يدل على معنى في نفسه فما أضله وأخدعه عندئذ، ومن هنا نرى أن الثقة بالنفس ونحوها من مفاهيم باتت تتردد اليوم لا وزن لها ولا قيمة دون أن تتعمق بالثقة بالله"[٣].

٢٢- المعينية:

يريد بها التناسب بين السبب والنتيجة. ومثال ذلك:

هب أنك شاهدت صرحا شامخا، وبجانبه ولد مكبل اليدين والرجلين، وادعى ذلك الولد أنه من قام ببناء هذا الصرح، فإنك لن تصدقه؛ لأنه لابد من وجود تناسب بين الفاعل والأثر[٤].

٢٣- الملة ومشتقاتها:

١- المترجم عوني لطفي أوغلو: هامش ونحن نقيم صرح الروح لفتح الله كولن ص ١٨.

٢- النورسي: المثنوي العربي النوري سلسلة كليات رسائل النور(٦) ص ١٠٥ ترجمة: إحسان قاسم الصالحي دار سوزلر للنشر- القاهرة، ط: الأولى ١٤١٥هـ- ١٩٩٥م.

٣- كولن: مقال أسباب الإصرار على الإلحاد موقع (herkul) بتاريخ ٢٠١٣/١١/١٣م.وينظر هامش التلال ص ١٨٦ في تعريف المعنى الحرفي للمترجم :إحسان قاسم الصالحي.

٤- ينظر: كولن: ونحن نقيم صرح الروح ص ١١٩- ١٢٥ .

ترد كثيرا في الأدبيات التركية عموما كما في كتابات (كولن)، ومعناها في التركية غير معناها المتعارف عليه، فهي تستوعب معاني أوسع كالشعب، والأمة، أو اتباع دين وطائفة، وحين نقول (الملي)يكون مشبعا في معناه بالدين، والتقاليد، والموروثات، والخصوصية الذاتية العائدة إلى الأمة الإسلامية[١].

٢٤- اللطف الجبري:

المعنى المقصود: "النعم التي يتفضل الله تعالى بها على عبده ابتداء ولا إرادة للعبد فيها ولا اختيار وكل ما للعبد لطف جبري ابتداء من وجوده بعد أن لم يكن شيئا مذكورا إلى خلقه إنسانا لا حيوانا ولا نباتا وولادته سليما في بلد مسلم أي يطلق اللطف الجبري على النعم التي لا تحصى من ألفها إلى يائها" [٢].

وبهذا أكون قد وصلت إلى نهاية الرحلة في عالم (فتح الله كولن) الخاص باسمه، وعلمه، وعصره، ومصطلحاته. وأما آراؤه وأفكاره فسيكون لها حديث فيما سيأتي من صفحات - إن شاء الله-.

١- المترجم: عوني عمر لطفي أوغلو: هامش ونحن نقيم صرح الروح لفتح الله كولن ص ٨.

٢- ينظر: فتح الله كولن : الموشور (١) ص ٢٢٧ ترجمة: د. عبد الرازق أحمد محمد، دار النيل ٢٠١٥م.

الباب الأول

آراء فتح الله كولن الكلامية

الفصل الأول: الإلهيات.

الفصل الثاني: النبوات.

الفصل الثالث: السمعيات.

تمهيد

فتح الله كولن وعلم الكلام:

علم الكلام من العلوم الرفيعة القدر عند المسلمين إذ هو يتصل بأشرف الغايات، يقول الإيجي: "وإن أرفع العلوم، وأعلاها، وأنفعها، وأجداها، وأحراها بعقد الهمة بها، وإلقاء الشراشر عليها(ألقى عليه شراشره أي نفسه بالكلية حرصا ومحبة)، وإدآب النفس فيها، وصرف الزمان عليها - علم الكلام المتكفل بإثبات الصانع وتوحيده وتنزيهه عن مشابهة الأجسام، واتصافه بصفات الجلال والإكرام، وإثبات النبوة التي هي أساس الإسلام، وعليه مبنى الشرائع والأحكام، وبه يترقى الإيمان باليوم الآخر من درجة التقليد إلى درجة الإيقان، وذلك هو السبب للهدى والنجاح والفوز والفلاح"[١].

وقد سار على الدرب (فتح الله كولن) في تقديره لهذا العلم الجليل، فقد اعتبر علم الكلام أحد المصادر الأساسية للثقافة الذاتية للمسلمين، ورأى أنه مصدر رحب ومعطاء في ميراث ثقافتنا[٢].

١- السيد الشريف الجرجاني : شرح المواقف للقاضي عضد الدين الإيجي ومعه حاشية السيالكوتي والحلبي، المجلد الأول ص ٣١- ٣٢ ، ضبطه وصححه: محمود عمر الدمياطي، دار الكتب العلمية- بيروت- لبنان١٩٩٨م- ١٤١٩هـ . .

٢- ينظر: ونحن نبني حضارتنا ص ٩٣،٩٤. ترجمة: عوني عمر لطفي أوغلو، دار النيل ٢٠١٢م.

ولذا كانت العقيدة من أهم القضايا التي تعرض لها (كولن) في أغلب خطبه، ومحاضراته، و كتبه؛ نظرا لأهميتها عنده، "فلا مجال للحركية دون عنصر العقيدة التي تقوم بمهمة توجيه الفعل والحركية"[١].

وعند حديث (كولن) عن موقف العلماء من علم الكلام ذكر فريقين:

الأول: اختار هذا الفريق البقاء في إطار الكتاب والسنة وعدم إبداء أي رأي في مسائل علم الكلام، والفريق الثاني: "لم ير بأسا في مد البيان بالبرهان وإثرائه بالعرفان وتوسيعه بالمحصلات الصوفية والفلسفية"، وأشاد (كولن) بالموقف الثاني فقال: "صحيح أن التوسع على هذا النحو قد أدخل إلى النظام الفكري الإسلامي أفكارا ضالة من رواسب الميراث القديم لكن الواقع أيضا أنه فتح أمام المسلمين آفاقا عظيمة وواسعة"[٢].

ولذا سأتناول في الصفحات التالية تعريف علم الكلام عند كولن، وأهميته، ومؤلفاته في هذا الفن.

أولا: تعريف علم الكلام:

وقد جاء في كتب (كولن) تسميات ثلاث لهذا العلم: العقيدة - علم الكلام - أصول الدين، وبذا لم يخرج عما قرره سابقوه ومعاصروه من تسميات لهذا العلم .

يقول الإيجي[٣]في تعريفه لعلم الكلام: "علم يقتدر معه على إثبات العقائد الدينية بإيراد الحجج ودفع الشبه"[٤].

١- ينظر: د/ محمد جكيب : أشواق النهضة والانبعاث قراءات في مشروع الأستاذ فتح الله كولن ص ٢١٦، دار النيل ٢٠١٣م .

٢- كولن: ونحن نبني حضارتنا ص ٩٤ .

٣- عبد الرَّحْمَن بن أَحْمد بن عبد الْغفار بن أَحْمد الإيجي، َقاضِي الْقُضَاة عضد الدّين الشِّيرَازِيّ يذكر أَنه من نسل أبي بكر الصّديق رَضِي الله عَنهُ، كانَ إِمَامًا فِي المعقولات عَارِفًا بالأصلين، والمعاني، وَالْبَيَان، والنحو، مشاركا فِي الْفِقْه، لَهُ فِي علم الْكَلَام: كتاب المواقف وَغَيرهَا، وَفِي أصُول الْفِقْه: شرح مُخْتَصر ابْن الْحَاجِب، وَفِي الْمعَانِي وَالْبَيَان: الْقَوَاعِد الغياثية، ولي قضاء الممالك في عهد السلطان أبي سعيدَ، وكَانَت لَهُ مكانة وَمَال جزيل وإنعام على طلبة الْعلم، مولده بإيج من نواحي شيراز بعد سنة ثَمَانِينَ وسِتمِائَة وَتُوفِّي مسجونا بقلعة دِرَيمِيان غضب عَلَيْهِ صَاحب كرمان فحبسه بهَا فاستمر مَحْبُوسًا إِلَى أَن مَاتَ سنة سِتّ وَخمسين وَسَبْعمائة عن ست وسبعين سنة .تاج الدين عبد الوهاب بن تقي الدين السبكي (المتوفى: ٧٧١هـ): طبقات الشافعية الكبرى ج ١٠ ص ٤٧، المحقق: د/ محمود محمد الطناحي - د/عبد الفتاح محمد الحلو، الناشر: هجر للطباعة والنشر والتوزيع، الطبعة: الثانية، ١٤١٣هـ. وينظر: حاجي خليفة: سلم الوصول إلى طبقات الفحول ج ٢ ص ٢٥٠.

٤- الجرجاني: شرح المواقف ج ١ ص ٤٠.

ويقول ابن خلدون[١]في تعريفه: "هو علم يتضمن الحجاج عن العقائد الإيمانية بالأدلة العقلية، والرد على المبتدعة، والمنحرفين في الاعتقادات عن مذاهب السلف وأهل السنة"[٢].

والتعريفان متشابهان في طريق إثبات العقائد بالحجج العقلية، وفي الغاية وهي دفع الشبه والرد على المبتدعة.

ولم يخرج (كولن) عن تلك المعاني فقال في تعريفه لعلم الكلام: "مجموع المعارف التي يستهدف بها الدفاع عن منظومة المعتقدات الإسلامية بالأدلة العقلية والنقلية والحفاظ على استقامة فكر المؤمنين، ورد الشبهات والشكوك التي تثار أو يحتمل إثارتها ضد الدين، وحراسة العقائد الإسلامية الحقة في إطار السنة السنية إزاء بعض التيارات الفلسفية الخاطئة"[٣]، وفي تعريف آخر يقول:

" مجموع الدساتير والقوانين الحاوية على نظريات علمية ومعرفية والتي تربط بين أصول الدين وبين الكتاب والسنة وآراء السلف الصالح في ضوئهما"[٤].

فلم يخرج (كولن) إذن عما قرره السابقون من بيان الماهية والغاية لهذا الفن.

وفي تعريفه لأصول الدين يقول:" أصولُ الدين هي المبادئ والمعايير والقواعد الأساسية في الدين، ومن أركانها: الأسسُ التي تحدد إطار وماهية الاعتقاد، والمناهجُ المطروحة

١- ابن خَلْدُون(٧٣٢ - ٨٠٨ هـ = ١٣٣٢ - ١٤٠٦ م):عبد الرحمن بن محمد بن محمد، ابن خلدون أبو زيد، وليّ الدين الحضرميّ الإشبيلي: الفيلسوف المؤرخ، العالم الاجتماعي البحاثة. أصله من إشبيلية، ومولده ومنشأه بتونس. درس اللغة والقرآن والفقه على والده، ثم على أساتذة مختلفين، ومال إلى الفلسفة مدة من الزمن ثم أهملها، وكانت حياته مليئة بالأخطار والأسفار فقد خدم عشرات الملوك، ورحل إلى فاس، وغرناطة، وتلمسان، والأندلس، واعترضته دسائس ووشايات، وعاد إلى تونس. ثم توجه إلى مصر وولي فيها قضاء المالكية، ولم يتزيّ بزيّ القضاة محتفظا بزيّ بلاده، وعزل، وأعيد. وتوفي فجأة في القاهرة. اشتهر بكتابه (العبر وديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والعجم والبربر) في سبعة مجلدات، أوّلها (المقدمة) وهي تعد من أصول علم الاجتماع، وتعد دائرة معارف عقلية، وفنية، وتاريخية ،ولغوية، وفلسفية. وختم (العبر) بفصل عنوانه (التعريف بابن خلدون) ذكر فيه نسبه، وسيرته، وما يتصل به من أحداث زمنه. ومن كتبه (شرح البردة) وكتاب في (الحساب) ورسالة في (المنطق) و (شفاء السائل لتهذيب المسائل) وله شعر. وتناول كتّاب من العرب وغيرهم، سيرته وآراءه مثل: (حياة ابن خلدون) لمحمد الخضر بن الحسين، و (فلسفة ابن خلدون) لطه حسين، و (دراسات عن مقدمة ابن خلدون) لساطع الحصري. ينظر: الزركلي: الأعلام ج ٣ ص ٣٣٠.ينظر: روني إيلي ألفا: موسوعة أعلام الفلسفة العرب والأجانب ج ١ ص ١٩.

٢- عبد الرحمن بن خلدون : مقدمة ابن خلدون وهي الجزء الأول من تاريخ ابن خلدون المسمى ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر ص ٥٨٠ ضبط المتن والحواشي والفهارس: خليل شحادة، مراجعة: د/ سهيل زكار، دار الفكر - بيروت - لبنان ١٤٣١هـ - ٢٠٠١م.

٣- ينظر: ونحن نبني حضارتنا ص ٩٣.

٤- السابق٩٣.

من أجل معرفة الحق تعالى، والقضايا المتعلقة بالحشر والنشر، والحقائقُ الخاصة بالعلاقة بين الله والكون والإنسان"[١].

أما عن نشأة هذا العلم فأصوله موجودة منذ بداية الإسلام، ولكن لم يأخذ اسمه كعلمٍ إلا لاحقا فيقول كولن: " وكانت تلك الأسس التي وضعها الشارع الحكيم موجودةً وقائمةً في العصور الأولى من الإسلام، غير أنه لم يُعبَّر عنها باسم محدد أو اصطلاحٍ مخصّص، لكنَّ العلماء اللاحقين كالإمام الماتريدي وأبي الحسن الأشعري اتَّبعوا منهجًا تدريجيًّا وتقسيمًا علميًّا؛ فجعلوا ما وصلهم من حقائق في صورة بناءٍ منظم وممنهج أو كشجرةٍ ذات أغصان وأوراق، كما وضعوا شروحًا مفصّلة كي يَحُولوا دون وقوع خطأ في فهم تلك الحقائق أو تحريفها وتبديلها"[٢].

إذن يرى (كولن) أن هذا العلم موجود مع وجود الإسلام وأصوله في القرآن الكريم والسنة النبوية أما اسمه وقواعده فلم تظهر إلا في نهاية القرن الثاني الهجري مع ظهور الفرق كالأشاعرة والماتريدية، وهذا ما سبق إليه المتكلمون على مر العصور.

ثانيا: فوائد علم أصول الدين:

ذكر (كولن) عدة فوائد لهذا العلم منها:

١- الإتيان بالبراهين العقلية والنقلية على عقيدة الإسلام ودفع الشبهات عنه[٣]:

فقد أثنى (كولن) على علماء الكلام في استخدامهم مفهوم الدور والتسلسل[٤] بنفي الأسباب الحادثة، وإسنادها إلى الله، وكذا استخدامهم طريق الإمكان، وأشار بأنهم فتحوا للناس

منافذ من التوحيد بأدلتهم، وإن اختار هو طريق آخر يختلف عنهم كما سنذكر لاحقا[٥].

٢- الرد على الأفكار الفلسفية الضالة كالتشبيه والتجسيم[٦]:

ويشير إلى دور علم الكلام في الرد على مقالات الفلاسفة، فيقول: "تسللت إلينا أفكار فلسفية من تهاوننا حينا من الدهر لكن علم الكلام وما فيه من أدوية، وعلاج يشبه

١- كولن: مقال محور أصول الدين من موقع herkul على شبكة الأنترنت بتاريخ ٤/ ٢٠١٦م.

٢- السابق .

٣- ينظر: كولن: ونحن نبني حضارتنا ص ٨٢.

٤- "الدور هو توقف الشيء على ما يتوقف على ذلك الشيء من جهة واحدة إما بمرتبة كما يتوقف (ا)على حصول(ب) وبالعكس ، أو بمراتب كما يتوقف (ا) على (ب) و(ب) على (ج) و(ج) على (ا) .والتسلسل هو ترتب أمور غير متناهية ". قطب الدين الرازي: تحرير القواعد المنطقية شرح الرسالة الشمسية لنجم الدين عمر بن علي القزويني المعروف بالكاتبي وبأسفله حاشية عل تحرير القواعد المنطقية للشريف الجرجاني ص ١٤ مطبعة مصطفى البابي الحلبي – مصر ط الثانية ١٣٦٧هـ- ١٩٤٨م.

٥- ينظر: كولن: أسئلة العصر المحيرة ص ٢٠ ترجمة: أورخان محمد علي، دار النيل، ط الرابعة.

٦- ونحن نبني حضارتنا ص ٨٢.

المضادات الحيوية قضى على تلك العدوى، والفيروسات، والجراثيم، فإذا تحدث الفلاسفة مثلا عن التسلسل أبطله علماء التوحيد، وواجهوهم بسهولة بما زعموه دليلا على فلسفتهم"[١].

٣- إثبات الصفات الإلهية ووضع إطار لفهمها[٢].

٤- الحماية من الخطأ والزلل عند الاجتهاد:

يرى (كولن) أن الإسلام دينٌ عالمي يُخاطِب البشرية جمعاء إلى يوم القيامة؛ ومن ثمّ يمكن الإتيان بتفسيرات واجتهادات شتّى تلائم الزمان شريطة الالتزام بأصول الدين ومبادئه الأساسية "غير أنه من الخطأ والتحريف أن يفعل الإنسان مثلما فعل أنصار المذهب التاريخيّ حين عمدوا بأهوائهم إلى إيجاد واختراع مجموعة من المناطات[٣] والعلل للأحكام الواردة في القرآن والسّنة فقيَّدوها بها، ثم زعموا من عند أنفسهم أن تلك المناطات قد تغيّرت فحاولوا إبطال تلك الأحكام واستبدالها بأخرى بناءً على تغيُّرِ تلك المناطات...وهذا لا يستقيم؛ لأن الإنسان إن فعل ذلك فقد ابتعد عن الأركان التي أقرّتها أصول الدين، وإذا ابتعد عن تلك المبادئ الأساسية تَعذّرَ القطع بمآل الأمر وعاقبته، فضلًا عن ذلك فإنَّ مثل هذا التصرف دليلٌ واضح على أنّ الإنسان يعيش مرحلة من الاغتراب والانسلاخ عن عالمه وهويته الفكرية الخاصة"[٤].

وعقد (كولن) مقارنة بين أصول الدين وأصول الفقه، فكما أن علم أصول الفقه مهم في فهم الشريعة وحمايتها، فكذا علم أصول الدين مهم في فهم العقائد وعدم الوقوع في الزلل، فيقول: "وكما أن الفهم الصحيح للأسس والمبادئ التي وضعها علم أصول الفقه أمرٌ مهمٌ للغاية كي نفهم الفقه فهمًا صحيحًا، فإن التعرف على أصول الدين مهمٌّ للغاية للحيلولة دون وقوع أيّ انحراف في الاعتقاد"[٥].

وكذا عقد مقارنة بين أئمة المذاهب وبين ما خلفه الكلاميون، فيقول: " وقد خَلَّفَ أئمة المذاهب ومن تبعوهم موروثًا غنيًّا في مجال أصول الفقه مع وجودِ بعض الاختلافات والفروق بينهم حول الفروع، وعلى نفس الشاكلة فإنَّ كبار العلماء الذين جاؤوا لاحقًا وعلى رأسهم الإمام الماتريدي[٦]والإمام أبو الحسن الأشعري[١] قد خطوا مؤلفات في أصول الدين حاولوا بها حمايتنا من الخطأ والزلل"[٢].

١- كولن: الموشور ص ٢٠٣، ترجمة: د عبد الرازق أحمد محمد، دار النيل ٢٠١٥م .

٢- كولن: ونحن نبني حضارتنا ص ٨٢.

٣- المَنَاط: عند الأصوليين العلةُ قالوا: النظر والاجتهاد في مناط الحكم أي في علته إمّا في تحقيقه، أو تنقيحه، أو تخريجه. محمد عميم الإحسان المجددي البركتي: التعريفات الفقهية ص ٢١٨/١، دار الكتب العلمية، ط: الأولى ١٤٢٤هـ- ٢٠٠٣م.

٤- فتح الله كولن: مقال محور أصول الدين.

٥- فتح الله كولن: مقال محور أصول الدين.

٦- محمد بن محمد بن محمود، أبو منصور الماتريدي السمرقندي الحنفي : من أئمة علماء الكلام، الملقب ب"إمام الهدى" و "إمام المتكلمين، و "مصحح عقائد المسلمين" و "رئيس أهل السنة"، وإليه نسبة الماتريدية نسبته إلى

وانتهى (كولن) إلى أنه: "إذا ما تمسَّكْنا بالمبادئ المقررة سواء في أصول الفقه أو في أصول الدين فسننجح في تقبُّل متغيرات الزمان ومَلء الساحات الفارغة التي تركها الإسلام للاجتهاد، أمَّا إذا انتُهكت تلك المبادئ الأساسية فإن الاجتهادات لن تتجاوزَ كونها بدعة حتى وإنْ أُحْسِنَتْ قراءة الزمان وجيء بتفسيرات وتأويلات جميلة للغاية"[٣].

٥- بيان كيفية التعامل مع غير المسلمين:

فمن فوائد هذا العلم- وهي فائدة جديدة استحدثها (كولن) حسب متغيرات العصر الحديث- أنه يوضح لنا الطريق السوي للتعامل مع غير المسلمين فيرى (كولن) وجوب الحفاظ على مبادئ أصول الدين في التعامل معهم؛ لئلا ننزلق إلى الانحراف بإرضائهم ومداراتهم، أو قطع العلاقات معهم، فنخالف أصول الدين أيضا الداعية إلى السلام مع من يسالمون ولا يعتدون[٤].

إذن يجب المحافظة على الأصول والأسلوب على حد سواء في التعامل مع الأديان والثقافات الأخرى، وعدم الإساءة إليهم، وعدم الإساءة إلى ديننا وذلك بالالتزام بأصول الدين، يقول كولن: "ومن لا يراعي الأصول ولا الأسلوب ولا يدري شيئًا عن النظم القرآنية الأساسية ولا عن رسالة سيدنا رسول الله - ﷺ- ويعجز عن فهم السلف الصالح

ما تريد (محلة بسمرقند) من كتبه :(التوحيد)، و(أوهام المعتزلة)، و (الرد على القرامطة)، و (مآخذ الشرائع) في أصول الفقه، وكتاب (الجدل)، و (تأويلات القرآن)، و (تأويلات أهل السنة)، و (شرح الفقه الأكبر المنسوب للإمام أبي حنيفة)، و(المقالات)- الرد على تهذيب الكعبي في الجدل- الدرر في أصول الدين، مات بسمرقند بعد أبي الحسن الأشعري بقليل (٣٣٣هـ- ٩٤٤م). ينظر: عبد القادر بن محمد بن نصر الله القرشي، أبو محمد، محيي الدين الحنفي (المتوفى: ٧٧٥هـ): الجواهر المضية في طبقات الحنفية ج ٢ ص ١٣٠ الناشر: مير محمد كتب خانه – كراتشي. وينظر: اسماعيل بن محمد بن مير سليم الباباني البغدادي(المتوفى ١٣٩٩هـ): هدية العارفين أسماء المؤلفين وآثار المصنفين ص ٣٦/٢ طبع بعناية وكالة المعارف الجليلة باستانبول ١٩٥١م- دار إحياء التراث العربي بيروت – لبنان. ينظر: الزركلي :الأعلام ج ٧ ص ١٩ ،.ينظر: عادل نويهض: معجم المفسرين من صدر الإسلام وحتى العصر الحاضر ج ٢ ص ٦١١ ، تقديم مفتي لبنان الشيخ: حسن خالد مؤسسة نويهض الثقافية للتأليف والترجمة والنشر - بيروت- لبنان ط الثالثة ١٤٠٩هـ- ١٩٨٨م. .

١- أبو الحسن علي بن اسماعيل بن أبي بشر اسحاق بن اسماعيل بن عبد الله بن موسى بن بلال بن أبي بردة عامر بن أبي موسى الأشعري صاحب رسول الله، وهو صاحب الأصول، والقائم بنصرة مذهب السنة، وإليه تنسب الطائفة الأشعرية، صاحب الكتب والتصانيف في الرد على الملاحدة، والمعتزلة، والرافضة، والجهمية، والخوارج، وسائر أصناف المبتدعة، وهو بصري سكن بغداد إلى أن توفي بها ولد سنة سبعين، وقيل: ستين ومائتين، وتوفي سنة نيف وثلاثين وثلثمائة، وقيل: أربع وعشرين وثلثمائة، وقيل: سنة ثلاثين ببغداد، كان معتزليا، ثم تاب عن القول بالعدل وخلق القرآن في المسجد الجامع بالبصرة يوم الجمعة، من كتبه: اللمع- التبيين عن أصول الدين- الموجز- إيضاح البرهان. ينظر: أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن إبراهيم بن أبي بكر ابن خلكان : وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان ج ٣ ص ٢٨٥ ، تحقيق: إحسان عباس، دار صادر- بيروت ١٩٠٠م. وينظر: أبو بكر أحمد بن علي بن ثابت بن أحمد بن مهري الخطيب البغدادي: تاريخ بغداد رقم ٦١٤٢ ج ١٣ص ٢٦٠ ، تحقيق: دكتور بشار عواد، دار الغرب الإسلامي - بيروت، ط: الأولى ١٤٢٢هـ- ٢٠٠٢م.

٢- فتح الله كولن: مقال محور أصول الدين.

٣- ينظر: فتح الله كولن: مقال: محور أصول الدين.

٤- السابق

فهمًا صحيحًا من الممكن أن يقع دائمًا في شباك الشيطان بما ينصبه له من ألاعيب واغواءات...في حين أن الإنسان العارف بأصول الدين يُدرك تمامًا أنه ليس مؤيَّدًا بالوحي، ويوقن بضرورة أن يعرض على القرآن الكريم والسنة النبوية أولًا كلَّ ما يُهمس بأذنه ويُعرض لبصره، أو يتراءى لقلبه أو يستثير حواسه، فإن كان موافقًا لكلام الله تعالى وسنة النبي ﷺ الصحيحة أو الأسس التي أقرها السلف الصالح انطلاقًا من ذلكما المصدرين اتبعه وسار عليه وقبله ممتنًّا شاكرًا، وإن لم يكُ كذلك أعرضَ عنه ولم يأبه به، ولهذا فإن تربُّع مَنْ لا يخبرون أصول الدين على كرسي الإرشاد خطرٌ عظيم"[١].

فكما أن أنصافُ الأطباء يزهقون الروح، فأنصاف العلماء يضيعون الدين كما يقول (فتح الله كولن).

وكلام (كولن) عن مراعاة الأصول والأسلوب في التعامل مع الآخر دينيا أو ثقافيا من أبرز معالم التجديد لديه، فهي ملاحظة جديدة وجديرة بالاهتمام، وخاصة في هذا العصر الذي تثور الإشكالات بين الأديان والطوائف المختلفة، فيمكننا أن نلتزم بأصول ديننا دون أي تنازلات أو ذوبان مع مراعاة الأسلوب المناسب لدعوة غيرنا، أو حتى التعامل معهم؛ لتوصيل صورة حقيقية عن الإسلام والمسلمين.

ثالثا: مؤلفاته في العقيدة:

من كتب (كولن) في باب العقيدة غير خطبه وفتاويه ومقالاته:

١- أسئلة العصر المحيرة، عدة أجزاء، وقد ترجم إلى العربية.

٢- والقدر في ضوء الكتاب والسنة، وقد ترجم إلى العربية.

٣- في ظلال الإيمان، لم يترجم بعد .

٤- البعد الميتافيزيقي للوجود، ولم يترجم بعد[٢].

٥- نفخة البعث شواهد الحياة بعد الموت، وقد ترجم إلى العربية.

رابعا: منهج فتح الله كولن في علم الكلام:

أستطيع القول إن (فتح الله كولن) أحد رواد علم الكلام الجديد في عصرنا هذا، أو أحد من اقتفى درب هؤلاء الرواد على الأقل كما سيتضح أثناء الدراسة، فقد حمل عرضه لأمور العقيدة عدة سمات، يمكن إجمالها على النحو التالي:

١- الخطاب في مستوى إدراك العموم:

١- السابق

٢- ينظر: د/ محمد جكيب: أشواق النهضة ص ٢٢٠.

فكلامه في قضايا العقيدة واضح يفهمه العامة قبل المتخصصين، يقول الدكتور (محمد جكيب): "الأستاذ فتح الله مسلم سني ماتريدي العقيدة[١] لكنه عندما يتكلم في العقيدة الأشعرية[٢] تحسبه أشعريا كما يخبر بذلك بعض تلامذة الأستاذ، فالأستاذ وإن كان

١- الماتريدية: فرقة كلامية تنسب إلى أبي منصور الماتريدي الذي كان بدوره تابعا للإمام أبي حنيفة ومذهبه في العقيدة والفقه جميعا، أسس منهجه على نظريته في المعرفة التي تقوم على العيان(الحواس)والأخبار والنظر، ثم حاول عرض آرائه بلغة متكلمي عصره فجاء مذهبه قريبا من مذهب الأشعري حتى حصر القدماء مسائل الخلاف في بضع عشرة مسألة؛ ومن ثم تعد الماتريدية شقيقة الأشعرية، وذلك لما بينهما من الائتلاف والاتفاق ولعل هذا التوافق مع كونه يرجع إلى سبب رئيسي وهو توافق أفكار الفرقتين وقلة المسائل الخلافية بينهما وخاصة مع الأشعرية المتأخرة، إلا أن هناك أسباب مهمة يرجع إليها ولعل أهمها: التزامن في نشأة الفرقتين مع كون كل فرقة استقلت بأماكن نفوذ لم تنازعها فيها الفرقة الأخرى. فالماتريدية انتشرت بين الأحناف الذين كانوا متواجدين في شرق العالم الإسلامي وشماله، بينما نجد الأشعرية قد انتشرت بين الشافعية والمالكية وهم اليوم يتواجدون في وسط وغرب وجنوب وجنوب شرق العالم الإسلامي، وأيضا كان خصمهما واحدا وهو المعتزلة، وتؤكد الماتريدية قدم الصفات ومنها صفات الفعل وتجعل التكوين صفة مستقلة خلافا للأشاعرة الذين يرونها من تعلقات القدرة ومن ثم هي حادثة، وفي أفعال العباد يقولون بقدرة سابقة على الفعل صالحة للفعل والترك ولها أثر في إيجاده لكن لا تستقل بالإيجاد، ويقولون بأن الحسن والقبح ذاتي في الأشياء ويمكن للعقل إدراكهما ولكن يخالفون المعتزلة في قولهم بأن الإنسان مكلف قبل ورود الشرع وأن العقل يوجب ويحرم. وهناك عهدين بارزين في تاريخ هذه المدرسة الأول: الفترة التي نشأ فيها المذهب فنما وازدهر في آسيا الوسطى على يد مؤسسه ومن وبعده من علماء ما وراء النهر كأبي معين صاحب بحر الكلام، ونجم الدين صاحب العقائد النسفية الثاني: الفترة التي انتقلت فيها رعاية المذهب إلى علماء الترك في آسيا الصغرى وتمتد حتى وقتنا الحاضر أمثال خضر بك، وطاش كبرى زاده، والبياضي وغيرهم حتى الكوثري ومصطفى صبري من المعاصرين. ينظر: شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قَايْماز الذهبي (المتوفى: ٧٤٨هـ): العرش ج ١ ص ٦٨المحقق: محمد بن خليفة بن علي التميمي، الناشر: عمادة البحث العلمي بالجامعة الإسلامية، المدينة المنورة، المملكة العربية السعودية، ط الثانية، ١٤٢٤هـ/٢٠٠٣م.ينظر: الإمام محمد أبو زهرة: تاريخ المذاهب الإسلامية ص ١٨٣، دار الفكر العربي ٢٠٠٩م. وينظر: أ د/ محمد السيد الجليند موسوعة الفرق والمذاهب في العالم الإسلامي ص ٦١٣، وكذلك الأستاذ الدكتور/ حسن الشافعي : المدخل لدراسة علم الكلام ص ٨٢- ٨٤ إدارة القرآن والعلوم الإسلامية- كراتشي- باكستان ط الثانية ١٤٢٢هـ- ٢٠٠١م.

٢- الأشعرية: أصحاب أبي الحسن علي بن اسماعيل الأشعري وقد سلك في الاستدلال على العقائد مسلك النقل ومسلك العقل للرد على المعتزلة والفلاسفة والفرق الباطلة. أثبت الصفات لله تعالى فله صفات دلت أفعاله عليها ،فكما دلت أفعاله على كونه عالما مريدا دلت على العلم والقدرة والإرادة، فهو سبحانه عالم بعلم قادر بقدرة= =وهي صفات أزلية قائمة بذاته تعالى، وفي أفعال العباد يتوسط ويقول بالكسب أي لله خلقٌ وإبداعٌ وللعبد اكتسابٌ، وأن الله يصح أن يرى وورد السمع برؤيته في الآخرة ،والإيمان هو التصديق، وصاحب الكبيرة لا يخلد في النار فإذا خرج من الدنيا دون توبة فأمره إلى الله إما أن يغفر له وإما أن ينال شفاعة النبي أو يعذب بقدر جرمه، والواجبات كلها شرعية والعقل لا يوجب شيء ولا يقتضي تحسينا ولا تقبيحا ،والايمان والطاعة بتوفيق الله والكفر والمعصية بخذلانه، والتوفيق: خلق القدرة على الطاعة والخذلان: خلق القدرة على المعصية إلى غير ذلك من مسائل. من أعلام المذهب في العهد الأول له: أبو الحسن الأشعري، وبعده القاضي أبو بكر الباقلاني، وكانا ينزعان منزع السلف ويرفضان الفلسفة والاعتزال مما أعطاهما قبولا في الأوساط العلمية، والعهد الثاني والذي بدايته ابن فورك، ثم الجويني، والشهرستاني، وغيرهم ينزع إلى التأويل والفلسفة وقد انتشر المذهب في شرق العالم الإسلامي وغربه ومن أسباب ذلك تبني السلاجقة له في الشرق والمرابطين في المغرب والأيوبيين في مصر، ولا يزال هو ورفيقه الماتريدي صاحب الهيمنة في الأوساط الكلامية في الجامعات الدينية السنية في مختلف أنحاء العالم. ينظر: أبو الفتح محمد بن عبد الكريم بن أبي بكر أحمد الشهرستاني : الملل والنحل ١١٦- ١١٨ تحقيق: أمير علي مهنا- علي حسن فاعود. دار المعرفة – بيروت – لبنان، ط : التاسعة ٢٠٠٨م.وينظر: الإمام محمد أبو زهرة: تاريخ المذاهب الإسلامية ص ١٧٦، وينظر: د/ حسن الشافعي: المدخل لدراسة علم الكلام ص ٨٣.

ماتريدي العقيدة يعمل على بناء رؤية عقدية تنسجم مع روح المشروع الإصلاحي الذي يتبناه، وهو المشروع الذي يتطلب أن تكون قضية العقيدة فيه أمرا يسهل استيعاب العموم له خاصة إذا استحضرنا أن الأستاذ (فتح الله) يخاطب عموم الناس وإن كان يخص المقربين منه بمستويات خطاب عالية في الجلسات الخاصة لكنه في مواعظه وفي الخطب المنبرية وفي المحاضرات وفي غير ذلك من المناسبات التي يكون العموم أكثر حضورا يحرص أن يكون الخطاب في مستوى إدراك العموم"[١].

٢- متعدد المصادر :

على الرغم من أن بعض الباحثين وأتباع (كولن) نسبوه إلى (الماتريدية) إلا أنه لم يصرح بانتمائه إلى أي مذهب أو فرقة، إضافة إلى إنه لا يتقيد بمصدر واحد أو مذهب محدد، بل يستقى من الجميع كأن شعاره (الحكمة ضالة المؤمن) .

ولذا فإن: "منهج الأستاذ (فتح الله) في باب العقيدة منهج متجدد يستفيد من مصادر كثيرة من بينها الأستاذ (بديع الزمان النورسي) الذي كان موضوع التوحيد والعقيدة من أهم ما ركز عليه في رسائله "[٢].

"فإذا كان (النورسي) هو متكلم العصر الحديث- كما يذكر ذلك الدكتور (محسن عبد الحميد)- فإن فتح الله قد استفاد كثيرا من أفكار (النورسي) لكنه طبعها بشخصيته وصبها في قالب خاص يمزج بين المقاربة العقلية، والحقيقة العلمية، وضوابط الإقناع والحوار، مستفيدا في ذلك من الخطاب القرآني ومنهجه في ذلك، ومسترشدا بالمنهج النبوي في إضاءة هذا الخطاب"[٣].

٣-عدم الخوض فيما لا فائدة منه :

يرى (كولن) عدم جدوى الجدل المذموم والاشتغال بما لا فائدة فيه؛ حيث يميز بين المسائل العقدية التي تربط الإنسان بالخالق وفائدتها في تقوية هذا الإنسان حتى يكون كائنا يحسن معرفة الخالق من خلال مكونات الكون والوجود، وبين ما لا فائدة عملية ترجى من خلاله؛ ولذلك عندما تطرح عليه أسئلة متعلقة بذات الله أو أمور غيبية يعتبرها نوعا من سوء الأدب مع الله.

٤- استخدام الحقائق العلمية:

دائما ما يشفع (كولن) رؤيته في المسائل العقدية بشرحها بطريقة علمية منطقية قريبة من مستوى إدراك الإنسان[٤] كما سنرى أثناء البحث من حديث عن قوانين علمية وحقائق واقعية.

١- محمد جكيب: أشوق النهضة ص ٢١٩.

٢- السابق.

٣- د/ محمد جكيب: أشوق النهضة ص ٢١٩.

٤- ينظر: د/ محمد جكيب: أشواق النهضة ص٢١٩- ٢٢٢.

فقد استخدم العلوم في إثبات وجود الله، وصفاته، وفي إعجاز القرآن الكريم، وغيره.

وحث كل العلماء الباحثين في الأمور الدينية على استخدام العلم كوسيلة وأداة لشرح الدين؛ لأن عقل الإنسانية الآن مرتبط به، ثم إنه لا عداء عندنا بين العلم والدين .

وقد وضع (كولن) ضابطين لتفسير الإسلام بالعلوم وهما:

الأول: يجب استعمال هذا الأسلوب كوسيلة وأداة فقط والابتعاد عن محاولة استعماله لإظهار علمنا والتفاخر به؛ لأن الحقائق الإيمانية تفقد أنوارها حينئذ ولن تؤثر على المستمعين؛ لأن النيات ليست خالصة[١]على حد تعبير (كولن).

الثاني: عدم الدخول في عقدة أن الجميع يتكلمون على العلم والتقنية فمن ثم نتهالك على العلوم لتقوية العقيدة فهذا الفهم غير صحيح.

فينبغي عدم الارتياب في مبادئنا، فالعلم والتقنية خادمان لطريقنا أما اعتبارهما أصلا ثابتا ومبادئنا شيئا تابعا يحتاج إلى تصديق العلم، فأمر غير مقبول:

"إن كلام الله وكلام رسوله حق لا ريب فيه والعلوم صحيحة بقدر تلاؤمها معهما وغير صحيحة بدرجة انحرافها عنهما، وحتى القسم الصحيح من العلوم لا يعد قواعد أو مستندا تستند إليه الحقائق الإيمانية، فهي تلعب دورا في زيادة التأمل والتفكر في المسائل الإيمانية، أما الذي يضع نور الإيمان في قلوبنا فهو الله (سبحانه وتعالى)"[٢].

لذا يجب النظر إلى العلوم وجميع الأدلة العلمية وعدها تابعة واعتبارها وسيلة لإزالة الغبار فقط عن الحقائق الإيمانية، فالإنسان مؤمن بما استقر في قلبه، وليس بالمعلومات المتراكمة في عقله[٣].

٥- استخدام العقل والمنطق :

دأب (كولن) في درس العقيدة على الإقناع بالمنطق، والعقل، ودعم المتلقي بكل ما يقرب الأفكار من خلال: ذكر أمثلة عقلية لا يختلف حولها العقلاء، ومنهج المقارنة الضمنية التي تحتاج العقل، والدليل الملموس، وعدم معارضة المنطق العلمي وقواعده[٤].

ولعل من مكملات هذا التوجه العقلي أو من مبرراته هو كون (كولن) حنفيا ماتريديا وكلاهما يستخدم الجانب العقلي والفكر في توجهه، يقول أحد الباحثين في فكر(كولن): "انتماء الأستاذ إلى المذهب الحنفي يجعله أكثر قربا إلى استعمال الفكر والعقل في باب الاجتهاد؛ وذلك؛ لأن المذهب الحنفي وخاصة في باب الفقه أكثر المذاهب الأربعة توظيفا

١- فتح الله كولن : أسئلة العصر المحيرة ج ١ ص ١٨٥ .

٢- كولن: أسئلة العصر المحيرة ص١٨٦ .

٣- كولن: أسئلة العصر المحيرة ص١٨٦- ١٨٧ .

٤- ينظر: د/ محمد جكيب: أشواق النهضة ص ٢٣٠.

للعقل والفكر، وإذا كان المذهب الحنفي أكثر المذاهب الأربعة توظيفا للعقل، فإن المذهب الماتريدي في العقيدة يتموقع في موقع وسط بين المذهب الأشعري والمذهب الاعتزالي[١]، وتكمن دلالة ذلك في كون الأستاذ فتح الله ميالا إلى الرؤى الفكرية التي

تستطيع توحيد مختلف التصورات الفكرية في مجال العقيدة"[٢].

٦- ربط العقيدة بالسلوك:

وذلك أبرز ما نجده في تجربة (فتح الله كولن) إذ "ربط الأستاذ فتح الله علم الكلام وقضاياه بالسلوك الذي يتوجب أن ينعكس في كل عمل وفي كل مشروع "[٣].

ولذلك نجده لا يبحث إلا في القضايا التي ينبي عليها عمل، ولا يبحث في القضايا الجدلية المذمومة.

٧- ربط العقيدة بالتربية الروحية:

في دراسة (كولن) لقضايا العقيدة نجده يركز على بناء الإنسان روحيا؛ ولذلك تجد قضايا العقيدة ممتزجة بالتصوف كثيرا: "لقد قدم فتح الله كولن علم التوحيد والعقيدة الإسلامية وفق نمط منسجم مع المشروع المركزي وهو بناء الإنسان روحيا ووفق نمط يجعل من هذا الإنسان مخلوقا فاعلا في الكون والوجود، ووفق نمط تتجلى فيه حقيقة "الإنسان العبد لله" المكلف بمهمة إعمار الأرض، ونشر الفضيلة"[٤].

١- المعتزلة: يسمون (معتزلة)؛ لما ذكر من أن واصلا أو واصلا وعمرو بن عبيد اعتزلا حلقة الحسن البصري واستقلا بأنفسهما، و(عدلية)؛ لقولهم بعدل الله وحكمته و(الموحدة)؛ لقولهم لا قديم مع الله. وسند المعتزلة كما يقولون يتصل إلى واصل بن عطاء وعمرو بن عبيد، وهما أخذا عن محمد بن علي بن أبي طالب وابنه أبي هاشم عبد الله بن محمد، ومحمد هو الذي ربى واصلا وعلمه، ومذهبهم قائم على خمسة أصول وهي: التوحيد، والعدل، والوعد والوعيد، والمنزلة بين المنزلتين، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وأما ما أجمعوا عليه، فقد أجمعت المعتزلة أن للعالم محدثا قديما قادرا عالما حيا لا لمعانٍ، ليس بجسم، ولا عرض، ولا جوهر غنيا واحدا لا يدرك بحاسة، عدلا حكيما لا يفعل القبيح، ولا يريده، كلف تعريضا للثواب، ومكن من الفعل وأزاح العلة ولابد من الجزاء، وعلى وجوب البعثة حيث حسنت، ولابد للرسول (ﷺ)من شرع جديد، أو إحياء مندرس، أو فائدة لم تحصل من غيره، وأن آخر الأنبياء محمد والقرآن معجزة له، وأجمعوا أن فعل العبد غير مخلوق فيه، وأن الإيمان قول ومعرفة وعمل، وأن المؤمن من أهل الجنة، وعلى المنزلة بين المنزلتين وهو أن الفاسق ليس مؤمنا ولا كافرا. وأجمعوا على تولي الصحابة، واختلفوا في عثمان بعد الأحداث التي أحدثها فأكثرهم تولاه وتأول له، وأكثرهم على البراءة من معاوية وعمرو بن العاص، وأجمعوا على وجوب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر. ينظر: أحمد بن يحيى بن المرتضى: طبقات المعتزلة ص ٧، ٨ تحقيق: سوسنه ديفلد- فلزر، بيروت- لبنان ١٣٨٠هـ- ١٩٦١م النشرات الإسلامية يصدرها لجمعية المستشرقين الألمانية هلمرت ريتر وألبرت ريتريش، الناشر: فرانز شتاينز. ينظر: الإمام محمد أبو زهرة: تاريخ المذاهب الإسلامية ص ١٣٢.

٢- أشواق النهضة ص٢٢٠.

٣- محمد جكيب: أشواق النهضة ص ٢٢٠.

٤- السابق ص٢٢٩ .

إذن: يعد (فتح الله كولن) من أبرز من استخدم منهجية علم الكلام الجديد في عرضه لموضوعات العقيدة بوضوح، ومنطقية، وروح علمية تتناسب مع روح العصر، وعمق روحي، وعملي يتناسب مع رؤاه في بناء الإنسان الكامل من جميع جوانبه العقدية، والعلمية، والروحية، والسلوكية .

والناظر لما كتب عن علم الكلام الجديد وما يتطلبه من منهج يلحظ أن هذا هو نفس أسلوب (كولن) فمثلا لو نظرنا إلى كلام الدكتور (عبد الحميد مدكور) في مقاله حول التجديد في علم الكلام نجده يضع مخططا لهذا التجديد يشتمل على:

١- أن يتم التعريف بالعقائد الإسلامية، والبرهنة على صحتها، والرد على المخالفين من القدامى والمعاصرين بلغة ميسرة تتسم بالوضوح والسهولة، والبعد عن المصطلحات الصعبة المعقدة المجلوبة من فلسفات وثقافات أجنبية، والاستعانة بدلا عنها بالبراهين الشرعية، والعقلية الصحيحة، ولا مانع عند الحاجة من استخدام منجزات العلم الحديث دون تكلف، والاستعانة بحقائق التاريخ الدالة على فطرية الإيمان في النفس البشرية، وبدراسات تاريخ الأديان التي تكشف عن كمال عقيدة الإسلام، ويقتضي هذا تطوير الأدلة والوسائل للرد على الملاحدة والماديين المعاصرين، ودعاوى المستشرقين والعلمانيين والعولمين وغيرهم، ولن يتم ذلك إلا بالدراسة العميقة لآراء المخالفين والإحاطة بدقائقها.

٢- التخفف من التعصب المذهبي حتى لا نظل في دائرة علم الكلام القديم وتثار النزعات بين أشاعرة، وماتريدية، ومعتزلة، وسلفية جدد، ومن ثم تنتهي نزعة التكفير الموجودة بين المعاصرين، والتفرغ للمعارك التي لابد من خوضها ضد من يسمون الإسلام بالإرهاب والعنف، ومعاداة الحضارات الأخرى، وعدم الاهتمام بحقوق الإنسان .

٣- أن تكون محاولات التجديد في المنهج، أو القضايا، أو في الوسائل مشروطة بالحفاظ على ثوابت العقيدة.

ومن هنا فتجديد علم الكلام ليس هدما له، بل تطويرا في قضاياه وطرقه في الاستدلال ليكون علما معاصرا قادرا على مواجهة الشبهات العصرية[١].

وإذا أردنا المقارنة بين ما يأمله الدكتور (عبد الحميد مدكور)، وما قام به (فتح الله كولن) نجد (كولن) يتمثله حذو القذة بالقذة[٢]، فكولن:

١- ينظر: دكتور/ عبد الحميد مدكور: التجديد في علم الكلام موسوعة العقيدة الإسلامية (١٠) ص ١٢١٩-١٢٢٥ المجلس الأعلى للشئون الإسلامية ١٤٣٧هـ- ٢٠١٦م .

٢- أقصد متطابقين، واستفدته من حديث النبي - ﷺ- لَيَحْمِلَنَّ شِرَارُ هَذِهِ الْأُمَّةِ عَلَى سَنَنِ الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلِهِمْ أَهْلِ الْكِتَابِ حَذْوَ الْقُذَّةِ بِالْقُذَّةِ "، والمعنى: فيساوونهم مساواة القذة بالقذة- القذة ريش السهم-. أي: كما يقدر كل واحد منهما على قدر صاحبها ويقطع، وهو مثل يضرب للشيئين يستويان ولا يتفاوتان. والحديث أخرجه أحمد، باب حديث شداد بن أوس ص ٣٥٩/٢٨ رقم ١٧١٣٥. وقال شعيب الأرناؤوط: إسناده ضعيف، لضعف شهر بن حوشب، وباقي رجاله ثقات.

أولا: يستخدم أسلوبا واضحا، ويستخدم أدلة شرعية وعقلية واضحة، ويستدل بالتاريخ، وبدراسات الأديان وبالعلم الحديث.

وثانيا: لا يتطرف ولا يتعصب لأي مذهب أو طريق، بل يعرض قضايا العقيدة دون جدل ودون تمذهب لأي جهة أو شخص.

ثالثا: يوجه جهوده نحو الرد على المخالفين، ويرد الشبهات المثارة ضد الإسلام فيتحدث عن الإرهاب، وحوار الحضارات، وحقوق الإنسان وغيرها.

وبناء على ذلك يمكن القول -على الأقل- بأن جهود (كولن) تعد مساهمة في بناء علم الكلام الجديد.

الفصل الأول

الإلـهيـات

المبحث الأول: ذات الله تعالى

المبحث الثاني: صفات الله تعالى

المبحث الثالث: الأسماء والأحكام.

المبحث الرابع: القدر.

المبحث الخامس: رؤية الله تعالى

الفصل الأول: الإلـهيات:

تمهيد

دارت أبحاث المتكلمين في الإلهيات عن ذات الله تعالى، وصفاته، وأفعاله، وأسمائه، وعن الإيمان والإسلام.

وجاء الحديث في ذاته عن معرفة الله تعالى، وعن كماله وتنزيهه عن كل نقص وفي الصفات عن أقسامها وإثباتها لله تعالى.

وفي أسماء الله الحسنى عن معانيها ، وهل هي توفيقية أم توقيفية؟.

وفي أفعاله تعالى، عن الهداية والضلال، والرزق، والآجال، وعن أفعال العباد، والاختلاف حولها .

وفي الإيمان والإسلام عن معانيهما، والفرق بينهما، وحكم مرتكب الكبيرة، وغير

ذلك من فروع وأحكام.

وقد تكلم (فتح الله كولن) عن أغلب تلك المسائل ولكنه درس فيها ما يتصل بالعمل وبالواقع وما يحتاجه الإنسان في هذا العصر؛ ولذا نأى عن التفاصيل والجدل وما لا فائدة ترجى منه في عصرنا، متسلحا في ذلك بالأدلة المتنوعة، مازجا سائر ما يدرس بالروح والوجدان حتى يؤثر في قلب ووجدان المتلقي كما يؤثر على عقله بالأدلة العقلية والعلمية.

وانتظم الحديث في عدة مباحث:

المبحث الأول: ذات الله تعالى.

المبحث الثاني: صفات الله تعالى.

المبحث الثالث: الأسماء والأحكام.

المبحث الرابع: القدر.

المبحث الخامس: رؤية الله تعالى.

المبحث الأول: ذات الله تعالى

جاء حديث المتكلمين عن الذات الإلهية عن كمالها وتنزيهها، وعن معرفة الله تعالى، وكيف نتوصل إلى العلم به، وعن الاستدلال على وجوده تعالى بالأدلة النقلية و العقلية.

وقد شارك (كولن) المتكلمين نفس القضايا ولكن بصورة وأسلوب جديدين متناسب مع لغة وظروف العصر وقضاياه.

فتحدث عن الميثاق كدليل على المعرفة الفطرية، وعن النظر كدليل ثان على المعرفة ، وعن أهل الفترة، وحكمهم.

واستدل على وجود الله بأدلة متنوعة علمية، وعقلية، ووجدانية، وكلها تتسم بالجدة والطرافة.

وتناول الحديث عن الإلحاد، ونظرياته، وأسبابه، وعلاجه، وهذا من الجديد أيضا الذي استحدثه في درس العقيدة لأهميته في هذا العصر الذي يموج بالإلحاد والتيارات المنكرة لوجود الله تعالى.

وقد جاء هذا المبحث في عدة مطالب:

الأول: معرفة الله تعالى.

الثاني: الاستدلال على وجود الله تعالى.

الثالث: المنكرون لوجود الله والرد عليهم.

المطلب الأول: معرفة الله تعالى[1]:

المعرفة من أهم مقاصد الإلهيات؛ لكونها تتصل بالله تعالى، ومعرفة الله بالأصل فطرية في نفس كل إنسان، فالفطرة هي الطريق الأول لمعرفته تعالى؛ لقوله: ﴿ وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنۢ بَنِيٓ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ ۖ قَالُوا۟ بَلَىٰ ۛ شَهِدْنَآ ۛ أَن تَقُولُوا۟ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَٰذَا غَٰفِلِينَ ﴾[2]، ولقوله- ﷺ-: " كُلُّ مَوْلُودٍ يُولَدُ عَلَى الفِطْرَةِ، فَأَبَوَاهُ يُهَوِّدَانِهِ، أَوْ يُنَصِّرَانِهِ، أَوْ يُمَجِّسَانِهِ، كَمَثَلِ البَهِيمَةِ تُنْتَجُ البَهِيمَةَ هَلْ تَرَى فِيهَا جَدْعَاءَ"[3].

---

[1]- المعرفة في اللغة: عرفه يعرفه معرفة بمعنى علمه، عرف الشيء عرفانا ومعرفة: أدركه بحاسة من حواسه، وعرف لله فضله : أي نعمه وإحسانه. الفيروز أبادي: القاموس المحيط ص ٧١٢، تحقيق: عبد الخالق السيد عبد الخالق، مكتبة الإيمان- المنصورة، ط: الأولى ١٤٣٠هـ - ٢٠٠٩م، مجمع اللغة العربية: المعجم الوجيز ص ٤١٥ .

٢- سورة الأعراف الآية:١٧٢.

[3]- أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الجنائز، باب ما قيل في أولاد المشركين ص ١٠٠/٢ رقم(١٣٨٥).

والطريق الثاني: هو النظر والتفكر في الكون للتوصل إلى معرفته تعالى من خلال آثاره، يقول أحد الباحثين: "يمكن القول أن أحد ثوابت الحضارة الإسلامية والثقافة العربية هو النظر إلى الطبيعة كركيزة إلى معرفة الله تعالى، وهذه ما نجده عند أغلب التيارات الكلامية والفلسفية"[١].

وقد بنى (كولن) نظرية كاملة في الكون أساسها بحث العلاقة بين الله والكون والإنسان، وهذه العلاقة تشكل مركز الدائرة لفكر كولن في كل القضايا التي بحثها سواء الوجودية أو المعرفية أو غيرها.

١- فهو يلفت النظر دوما إلى قراءة كتاب الكون وتدبره والتفكر والبحث فيه، ويلفت النظر إلى العلاقة الوثيقة بين الكتاب المقروء(القرآن) والكتاب المنظور(الكون)إذ لا فرق بينهما، فالمنظور تفسير للمقروء، فلا فرق بين الدين والحقائق التي يمثلها القرآن، وبين العلم المنشور في القرآن أو بين الأوامر الشرعية والأوامر التكوينية فكلاهما من خلق الله (تعالى).

٢- ويركز ثانيا على العلاقة بين الكون والإنسان، فكلاهما أيضا من خلق الله مأموران، فالكون مسخر ليد الإنسان للبحث والتعمير، وتلبية حاجاته كونه خليفة الله .

٣- ويقرر العلاقة بين الله والكون والإنسان التي تنتشر في طول وعرض انتاجه ومؤلفاته كمركز الدائرة لفكره أو مفتاح لمنهجه، فهو يذكر دوما بمكانة الإنسان في الأرض، وبين مخلوقات الله، ومكانته عند الله فالله هو الخالق والكون والإنسان مخلوقان له، ولكن الإنسان مكرم ومؤهل لنيابته وخلافته في الكون بما له من تكريم وأعماق روحية وسمات وجودية كالعقل، والفكر، والروح، والدين، والأخلاق؛ ومن ثم جعله مركز الكون، ودعاه إلى البحث والتنقيب والاستكشاف في دروبه، وهي دعوة إلى العلم - كل العلم- الطبيعي

وغيره؛ ولذا أكد (كولن) على محورية العلم الحديث ودوره للخليفة وبين عدم تعارضه مع الوحي فهو ينكر المادية، ويدعو إلى التوازن بين الحس والعقل والقلب و الوحي المعصوم.

وهو يبغي من نظرته الكونية تلك أن يجعل الكون وعلومه وآثاره طريقا إلى الله، وهو بالفعل مع تقديره لكثير من الأدلة يؤثر استخدام آثار الكون دليلا على الله حيث يرى الكون تجليا لأسماء الله الحسنى، ويرى أن وظيفة الكون هي توجيه قرائه إلى كاتبه وصفاته (سبحانه وتعالى)، فهو يدل على صانعه وعلى حكمته وعلمه.

وسأبدأ في عرض رأي (كولن) في طريقي المعرفة: (الفطرة والنظر)حتى تزداد الفكرة وضوحا.

الطريق الأول: الفطرة:

١- الدكتور/ أحمد محمد سالم : تجديد علم الكلام قراءة في فكر بديع الزمان النورسي ص ٢٣٣، دار سوزلر، ط: الأولى ٢٠١٠م.

الطريق الأول لمعرفة الله تعالى هو الفطرة وأكبر دلالة عليها هو الميثاق الذي أخذه الله على البشر قبل وجودهم، وهو العهد الوارد في قوله تعالى: ﴿ وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنۢ بَنِيٓ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْۖ قَالُواْ بَلَىٰۛ شَهِدْنَآۛ أَن تَقُولُواْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَٰذَا غَٰفِلِينَ ﴾[1]فهل الميثاق أو العهد على حقيقته؟ ومتى أخذ من البشر؟.

أولا: حقيقة الميثاق[2]:

١- رأي الأشاعرة:

ذكر الرازي[3]في تفسير آية الميثاق أن: "ظَاهِرِ الْآيَةِ يَدُل عَلَى أنه تعالى أَخْرَجَ الذَّرَّ مِنْ ظُهُورِ بَنِي آدَمَ فَيُحْمَلُ ذَلِكَ عَلَى أنه تعَالى يَعْلَمُ أَن الشَّخْصَ الْفُلَانِيَّ يَتَوَلَّدُ مِنْهُ فُلَانٌ وَذَلِكَ الْفُلَانُ فُلَانٌ آخَرُ، فَعَلَى التَّرْتِيبِ الَّذِي عُلِمَ دُخُولُهُمْ فِي الْوُجُودِ يخرجهم وَيُمَيِّزُ بَعْضَهم مِنْ بَعْضٍ، وأما أنه تعالى يخرج كل تلك الذرية مِنْ صُلْب آدَمَ، فليس فِي لفظ الآية مَا يدل عَلَى ثُبُوتِهِ وَلَيْسَ فِي الْآيَةِ أَيْضًا مَا يَدُلُّ عَلَى بُطْلَانِهِ، إِلَّا أَنَّ الْخَبَرَ قَدْ دَلَّ عَلَيْهِ، فَثَبَتَ إِخْرَاجُ الذُّرِّيَّةِ مِنْ ظُهُورِ بَنِي آدَمَ بِالْقُرْآنِ، وَثَبَتَ إِخْرَاجُ الذُّرِّيَّةِ مِنْ ظَهْرِ آدَمَ بِالْخَبَرِ[4]، وَعَلَى هَذَا التَّقْدِيرِ: فَلَا مُنَافَاةَ بَيْنَ الْأَمْرَيْنِ وَلَا مُدَافَعَةَ، فَوَجَبَ الْمَصِيرُ إِلَيْهِمَا مَعًا"[1].

١- سورة الأعراف الآية:١٧٢.

٢- الميثاق في اللغة: العهد والمعاهدة. ينظر: الفيروز أبادي: القاموس المحيط، ص ٧٩٠، ينظر: محمد بن مكرم بن علي أبو الفضل جمال الدين بن منظور: لسان العرب ج ١٠ ص ٣٧١، باب القاف فصل الواو، دار صادر – بيروت، ط الثالثة ١٤١٤هـ.

٣- فخر الدين الرازي: أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسين بن الحسن بن علي التيمي البكري الطبرستاني الأصل الرازي المولد، الملقب فخر الدين، المعروف بابن الخطيب، الفقيه الشافعي، فاق أهل زمانه في علم الكلام والمعقولات وعلم الأوائل، له تصانيف في فنون عديدة منها: تفسير القرآن الكريم لكنه لم يكمله، ، ومنها في علم الكلام: المطالب العالية، ونهاية العقول، وكتاب الأربعين، والمحصل. وفي أصول الفقه: المحصول والمعالم، وفي الحكمة: الملخص، وشرح الإشارات لابن سينا وشرح عيون الحكمة، وغير ذلك، ويقال: إن له شرح المفصل في النحو للزمخشري، وشرح الوجيز في الفقه للغزالي، وشرح سقط الزند للمعري، وله مختصر في الإعجاز، وله في الطب شرح الكليات للقانون، وصنف في علم الفراسة، وله مصنف في مناقب الشافعي، وكان له في الوعظ اليد البيضاء، ويعظ باللسانين العربي والعجمي، وكان يلحقه الوجد في حال الوعظ ويكثر البكاء، ورجع بسببه خلق كثير من الطائفة الكرامية وغيرهم إلى مذهب أهل السنة، وكان يلقب بهراة شيخ الإسلام. وتوفي سنة ست وستمائة بمدينة هراة. ينظر: أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن إبراهيم بن أبي بكر ابن خلكان البرمكي الإربلي (المتوفى: ٦٨١هـ): وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان ج ٤ ص ٢٤٨- ٢٥٢ المحقق: إحسان عباس الناشر: دار صادر- بيروت، ط: الأولى ١٩٧١م. تاج الدين عبد الوهاب بن تقي الدين السبكي (المتوفى: ٧٧١هـ): طبقات الشافعية الكبرى ص ٨٢/٨ ..

٤- والخبر في مسند أحمد عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ، أَنَّهُ قَالَ: لَمَّا نَزَلَتْ آيَةُ الدَّيْنِ قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: " إِنَّ أَوَّلَ مَنْ جَحَدَ آدَمُ عَلَيْهِ السَّلَامُ، أَوْ: أَوَّلُ مَنْ جَحَدَ آدَمُ -، إِنَّ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ لَمَّا خَلَقَ آدَمَ، مَسَحَ ظَهْرَهُ، فَأَخْرَجَ مِنْهُ مَا هُوَ مِنْ ذَرَارِيِّ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ، فَجَعَلَ يَعْرِضُ ذُرِّيَّتَهُ عَلَيْهِ، فَرَأَى فِيهِمْ رَجُلًا يَزْهَرُ، فَقَالَ: أَيْ رَبِّ مَنْ هَذَا؟ قَالَ: هَذَا ابْنُكَ دَاوُدُ، قَالَ: أَيْ رَبِّ، كَمْ عُمْرُهُ؟ قَالَ: سِتُّونَ عَامًا، قَالَ: رَبِّ زِدْ فِي عُمْرِهِ، قَالَ: لَا، إِلا أَنْ أَزِيدَهُ مِنْ عُمْرِكَ وَكَانَ عُمْرُ آدَمَ أَلْفَ عَامٍ، فَزَادَهُ أَرْبَعِينَ عَامًا، فَكَتَبَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ عَلَيْهِ بِذَلِكَ كِتَابًا، وَأَشْهَدَ عَلَيْهِ الْمَلائِكَةَ، فَلَمَّا احْتُضِرَ آدَمُ، وَأَتَتْهُ الْمَلائِكَةُ لِتَقْبِضَهُ، قَالَ: إِنَّهُ قَدْ بَقِيَ مِنْ عُمُرِي أَرْبَعُونَ عَامًا، فَقِيلَ: إِنَّكَ قَدْ وَهَبْتَهَا لِابْنِكَ دَاوُدَ، قَالَ: مَا فَعَلْتُ وَأَبْرَزَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ عَلَيْهِ الْكِتَابَ، وَشَهِدَتْ عَلَيْهِ الْمَلائِكَةُ ".والحديث حسن

أما الشهادة فعلى قول من أثبت الميثاق الشهادة على ظاهرها بألسنتهم أو تشهد الملائكة عليهم، ومن أنكره[٢] يرى أن الشهادة محمولة على التمثيل بمعنى أنه نصب لهم الأدلة على ربوبيته وشهدت بها عقولهم فصار ذلك جاريا مجرى ما إذا أشهدهم على أنفسهم وأقروا بذلك. وانتهى (الرازي) إلى القول: "أن الأرواح البشرية موجودة قبل الأبدان، والإقرار بوجود الإله من لوازم ذواتها وحقائقها، وهذا العلم ليس يحتاج في تحصيله إلى كسب وطلب"[٣].

ومن هنا فمعرفة الله فطرية ضرورية لا تحتاج إلى كسب وطلب إذ هي من لوازم الذات منذ نشأتها الأولى.

٢- رأي الماتريدية:

يقول الماتريدية عن هذا الميثاق: "إن الله خلق الخلق حين أخرجهم من صلب آدم -عليه السلام-، ويوم الميثاق لم يكونوا مؤمنين ولا كافرين، وكانوا خلقا، ثم عرض عليهم الإيمان والكفر، فكل من اختار الإيمان، وقبله اعتقادا فهو مؤمن، وكل من لم يختر الإيمان فهو كافر، وكل من أجاب بالقول دون الاعتقاد فهو منافق"[٤].

٣- رأي كولن:

يرى (كولن) أن الوجدان من أصدق الأدلة على معرفة الله فيقول: "إننا لا نستطيع قول أي شيء في الذات الإلهية بمقاييس معارفنا ومعلوماتنا، فعلينا أن نحيل معرفته تعالى

لغيره، وهذا إسناد ضعيف، علي بن زيد -وهو ابن جدعان- ضعيف، وكذا يوسف بن مهران، وله شاهد بإسناد قوي من حديث أبي هريرة صححه ابن حبان برقم (٦١٦٧) .ينظر: أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد الشيباني (المتوفى: ٢٤١هـ) : مسند الإمام أحمد بن حنبل ص ٤/ ١٢٧ رقم(٢٢٧٠)، المحقق: شعيب الأرنؤوط - عادل مرشد، وآخرون، إشراف: د/ عبد الله بن عبد المحسن التركي، الناشر: مؤسسة الرسالة، الطبعة: الأولى، ١٤٢١ هـ - ٢٠٠١ م.

١- أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي الرازي الملقب بفخر الدين الرازي خطيب الري (المتوفى: ٦٠٦هـ) مفاتيح الغيب = التفسير الكبير ج ١٥ ص ٣٧٩الناشر: دار إحياء التراث العربي- بيروت، الطبعة: الثالثة - ١٤٢٠ هـ.

٢- يقصد المعتزلة، يقول الزمخشري في آية الميثاق: "وقوله أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ؟ قالُوا: بَلى شَهِدْنا من باب التمثيل والتخييل ومعنى ذلك أنه نصب لهم الأدلة على ربوبيته ووحدانيته، وشهدت بها عقولهم وبصائرهم التي ركبها فيهم وجعلها مميزة بين الضلالة والهدى، فكأنه أشهدهم على أنفسهم وقررهم وقال لهم: ألست بربكم؟ وكأنهم قالوا: بلى أنت ربنا، شهدنا على أنفسنا وأقررنا بوحدانيتك". أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، الزمخشري جار الله (المتوفى: ٥٣٨هـ) الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل ج ٢ ص ١٧٦- ١٧٧الناشر: دار الكتاب العربي – بيروت ،الطبعة: الثالثة - ١٤٠٧ هـ. الكتاب مذيل بحاشية (الانتصاف فيما تضمنه الكشاف) لابن المنير الإسكندري (ت ٦٨٣) وتخريج أحاديث الكشاف للإمام الزيلعى].

٣- فخرالدين الرازي: مفاتيح الغيب = التفسير الكبير ج ١٥ ص ٣٧٩ - ٤٠٣.

٤- ينظر: أبو معين النسفي: بحر الكلام ص ١٧٩. تحقيق: د/ عبد الله محمد عبد الله إسماعيل- د/ محمد السيد أحمد شحاته المكتبة الأزهرية للتراث- الجزيرة للنشر والتوزيع، ط: الأولى ٢٠١١م.

إلى الوجدان؛ فللوجدان لسان خاص ولهجة خاصة به، وهو نقطة التقاء عالم الغيب بعالم الشهادة"[١].

ويرى كولن أن : ﴿ أَلَسۡتُ بِرَبِّكُمۡۖ قَالُواْ بَلَىٰۚ ﴾ هذه الكلمات جزء من العهد والميثاق الذي أخذه الخالق من المخلوقات ولا سيما الإنسان حيث جاء الجواب (بلى) مقابل السؤال (ألست بربكم)[٢].

ويذهب (كولن) في تحليل هذا العهد إلى آماد بعيدة فيشرح لمن وجه السؤال؟، وكيف سئل؟، ومتى سئل؟.

والجواب على الشق الأول والثاني - أي عن المسئول والكيفية- فيرى (كولن)أنه سؤال وجواب أو عقد بماهية تكوينية أخذ من الإنسان ولم يك شيئا مذكورا، وأجابه(بلى)تجاه الأمر بالخروج إلى ساحة الوجود، يقول كولن: "إن هذين الشكلين من "السؤال والجواب" أو "التكليف والقبول" كأنه لم يجر على شكل كلام ومحاورة، وعليه نظر قسم من المفسرين إلى هذه المحاورة على أنها من قبيل "الاستعارة التمثيلية"[٣]أي كأنه قيل كذا وأجيب عنه بكذا، فأخذت المحاورة قيمتها الحقوقية وإلا فهو ليس عقدا موثقا بالكتابة أو بالبيان الواضح"[٤].

ويري (كولن) أن هذا التفسير لا يسلم من الخطأ؛ لأن الله يملك ألف ألف نوع من الخطاب وألف ألف نوع من الجواب، وأن الله سبحانه أعطى للإنسان أمانة النفس أو (أنا) فإنما أعطيت له لمعرفة الخالق والاعتراف به، وهذا هو غاية وجوده فالإنسان يدل بوجوده على وجود الله وبصفاته الجزئية على غناه المطلق وبعجزه وفقره على قدرته وإحسانه[٥].

وينبغي ألا يفهم هذا الميثاق وفق الجسمانيات والماديات "فإن الله يفهم كل المخلوقات رغم اختلاف ألسنتهم ولهجاتهم وأنواعهم، ويأمرهم كذلك، ويبلغهم حقائقه حسب هذا الاختلاف، وينشر الحقائق ويفتح للأنظار كتابي الإنسان والكون، ويتسلم من مخلوقاته كلماتهم، ويعقد مواثيق وعهود معهم بحيث يبقى الإيضاح الكلامي منحصرا داخل عبارة

١- كولن: نحو عقيدة صحيحة سلسلة أسئلة العصر المحيرة(٢) ص ١٣ ترجمة: أورخان محمد علي- عبد الله محمد عنتر، دار النيل ٢٠١٤م.

٢- ينظر: كولن: القدر في ضوء الكتاب والسنة ص ١٠٦ دار النيل- القاهرة.

٣- الاستعارة التمثيلية: استعارة يكون اللّفظ المستعار فيها لفظاً مُرَكَّباً، وهذا اللّفظ المركب يستعمل في غير ما وُضِعَ له في اصطلاح التخاطب، لعلاقة المشابهة بين المعنى الأصليّ والمعنى المجازي، وقد يطلق عليها "الاستعارة على سبيل التمثيل" أو نحو ذلك، وهذه الاستعارة يستعملها الناس في مخاطباتهم وأمثالهم الدارجة، في فصيح الكلام العربي، وفي اللِّسان العامّي الَّذي يتخاطبُ عامَّةُ الناس به، وتستَعْمل أيضاً في غير العربيَّة من اللُّغات الإنسانيَّة الأخرى. عبد الرحمن بن حسن حنبكة الميداني: البلاغة العربية ج ٢ ص ٢٦٥، دار القلم- دمشق الدار الشعبية- بيروت، ط: الأولى ١٤١٦هـ- ١٩٩٦م.

٤- كولن: القدر في ضوء الكتاب والسنة ص١٠٦ .

٥- ينظر: القدر ص١٠٦- ١٠٧ .

الكلام اللفظي، ثم إن أنماط الخطاب الإلهي بدءا من إلهام الحيوانات إلى إلهام الملائكة هي أنواع من الكلام الإلهي الذي هو تجل من تجليات الكلام النفسي"[١].

إن الله سبحانه يأخذ الميثاق من الذرات، ومن الجزيئات، ومن الخلايا، ومن عالم الذرات، وفي رحم الأم، وفي عهد الطفولة فنحن لا يمكن أن نقيس بوضوح هذه الأمور بموازيننا البشرية قطعا.

وقد ذكر (كولن) أن لروح الإنسان وجودا مستقلا، وهذا الميثاق قد عقد مع الروح؛ لأنها خلقت قبل جسده، ورأت الأرواح كل شيء واضحا جليا لعدم توسط برزخ الجسمانية[٢].

وهو هنا بقوله إن الروح خلقت أولا، وإن الميثاق كان مع الروح لا الجسد يتفق مع (الرازي) كما سبق، ويخالف بذلك رأي الماتريدية إذ ترى أن الأرواح خلقت مع الأجساد وأن المحاورة كانت معهما: "ثم الدليل على أن الله خلق الأجساد مع الأرواح كما هم الآن قوله: "ألست بربكم قالوا بلى"، والخطاب والسؤال للأجساد مع الأرواح، ثم ردهم إلى أصلاب آبائهم، ثم أخرج أولاد آدم منه، ثم أخرج أولاد أولاده من أولاده وهكذا إلى الساعة"[٣].

وأتفق مع ما ذهب إليه الرازي وكولن بكون المحاورة والميثاق مع الروح وقد خلقت قبل الجسد لكون الروح هي المخاطب العاقل من الإنسان لا البدن.

ولكون المحاورة كانت مع الروح - كما ذكر كولن- فهو ينعي على الكثيرين؛ لأنهم أهملوا البحث في أمر الروح والوجدان، وهذا الميثاق هو الكتاب الصامت الذي أراد كل من (كانت)و(برجسون) [٤]توجيه النظر إليه، وهما اللذان أدارا ظهريهما للكون لينصتا إلى إلهامات الروح[٥].

١- القدر ص ١٠٧وينظر: نحو عقيدة صحيحة ص ٩٧، ترجمة: أورخان محمد علي- عبد الله محمد عنتر، سلسلة العصر المحيرة ٢، دار النيل ٢٠١٤م.

٢- ينظر: كولن: القدر ص ١٠٨.

٣- أبو معين النسفي: بحر الكلام ص ١٧٩.

٤- هنري لوي برجسون(١٨٥٩م- ١٩٤١م): فيلسوف فرنسي من أب يهودي بولوني وأم أرلندية وفي أخريات عمرة اقترب معنويا من الكنيسة وأراد التحول إلى الكاثوليكية ولكن لم يفعل؛ لأنه شعر بمقدم موجة معادية= =للسامية فأراد الوقوف بجانب بني دينه اليهود حتى لا يساء فهم فعله. حاز على إجازة الفلسفة١٨٨١م ،ثم على الدكتوراه ١٨٨٩م، انتخب عضوا في أكاديمية العلوم الأخلاقية والسياسية ١٩٠١م، وفي الأكاديمية الفرنسية ١٩١٤م، وكان رئيس اللجنة العالمية للتعاون الثقافي في جنيف حتى سنة ١٩٢٥م حائز على جائزة نوبل ١٩٢٨، قادته تأملاته إلى الكاثوليكية لكنه بقي مناصرا لقضية اليهود الذين اضطهدهم الألمان، وله آراء مهمة في الدين والأخلاق والوجدان. من مؤلفاته: بحث في المعطيات المباشرة للشعور- منبعا الأخلاق والدين - المادة والذاكرة. ينظر موسوعة أعلام الفلسفة العرب والأجانب ج ١ص ٢١٤ . د/ عبد الرحمن بدوي: موسوعة الفلسفة ج ١ ص ٣٢١.

٥- يقول الدكتور/ إبراهيم مدكور: "وبرجسون (١٩٤١م) الذي ربط الحياة بالزمن والمادة بالروح يرى أن الله في غنى أن يبرهن عليه؛ لأننا نحس به نستمد منه الحياة وما الحياة إلا اعتقاد في الله وما معرفته إلا شعور بكل ما تقتضيه الحياة". في الفكر الإسلامي ص ١٥٣ الهيئة العامة للكتاب ٢٠٠٨م.

يقصد (كولن) بالكتاب الصامت عالم الروح، فيرى أنه يجب على الإنسان أن ينصت إلى وجدانه متخليا عن جميع الأحكام العقلية المسبقة وقتها سيدرك الميثاق الذي عقده مع الله، فهذا التفكر الأنفسي مع التفكر الآفاقي هما مفتاح المعرفة كما يقول (كولن).

أما الشق الثاني من المسألة: متى حدث هذا الميثاق؟

فليس هناك نص قطعي حول هذه المسألة كما يرى (كولن)، فقد اختلف المفسرون هل حدث في أثناء السير نحو الإخصاب، وفي أثناء اكتساب الجنين شكل الإنسان أو بلوغ الطفل إلى الرشد، فمن الصعوبة ترجيح أحد الآراء كما يقول .

ويرى أنه من الممكن أن يحدث في أي مرحلة فكما حدث في عالم الأرواح يمكن أن يحدث في أثناء تعلق الروح بذراتها نفسها في عالم آخر، وكذا في مراحل تطور الجنين، فالله (سبحانه) الذي يخاطب الأمس واليوم، ويعلم، ويسمع الأمس كاليوم ربما أخذ الميثاق في كل هذه المراحل[١].

ثانيا: الأدلة على الميثاق:

يرى (كولن) أن الميثاق ثابت بالنص، قال تعالى:﴿ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَى ﴾

أما عقلا فيقول: "هناك مسائل من الصعوبة بمكان إيضاحها عقلا حتى إذا شرحت، فإنها تشرح على أنها من الممكنات أي ليست محالا في الحقيقة ما دام الله (سبحانه) يذكر هذا فلا يبقى إذا عليه اعتراض قط"[٢].

وهذا الأمر ممكن؛ لأن للروح كلاما خاصا كما كان الوحي من نوع آخر من الكلام، وكذا الإلهام الذي يرد على قلب الولي، وعلماء اليوم يرون أنه سيأتي يومٌ يمكنهم أن

يتخاطبوا بالتلباثي (telephati)، [٣] وهذا نوع آخر من الخطاب.

إذن ما يشاهده الإنسان في عالم المثال أو البرزخ أو الأرواح لا يقاس بموازين هذا العالم، فالرسول يقول: "العبد إذا وضع في قبره وتولى أصحابه حتى إنه ليسمع قرع نعالهم أتاه ملكان فأقعداه "[٤].

١- كولن: القدر في ضوء الكتاب والسنة ص١٠٨- ١١٠.

٢- كولن: القدر ص ١١١ وينظر: نحو عقيدة صحيحة.ص ٩٨.

٣- التلباثي: أحد الملكات النفسية التي تتجاوز ما تألفه الحواس الإنسانية وتعرف بالشعور عن بعد وقد يطلق عليها تراسل الأفكار أو البصر المغناطيسي. الندوة العالمية للشباب الإسلامي: الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة، إشراف: د/ مانع الجهني ص ١٠٣٠ دار الندوة العالمية، ط: الثالثة ١٤١٨هـ.

٤- أخرجه البخاري ومسلم. صحيح البخاري كتاب الجمعة باب من انتظر حتى تدفن(ج ٢ ص ٩٠ رقم: ١٣٣٨)، تحقيق: محمد زهير ناصر الناصر، دار طوق النجاة ط الأولى ١٤٢٢هـ. وصحيح مسلم، كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها، باب عرض مقعد الميت من الجنة أو النار عليه،(ج ٤ ص ٢٢٠٠رقم: ٢٨٧٠)، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي- بيروت.

كل هذا والحاضرون حوله لا يشعرون حتى لو وضعوا ألة مسجلة في القبر؛ لأن المكالمة تجري في أبعاد أخرى كالأبعاد التي توصل إليها (اينشتاين)وغيره، البعد الرابع والخامس وأمثالها.[١].

وكذلك المسألة تتبدل بتبدل المكان وتبرز في هوية أخرى؛ لذا فقوله: (ألست بربكم) كلام الله للروح بكلام خاص، ويلزم ألا أنتظر أن أدرك تأثير هذا الكلام أو أحفظه بل يمكن أن أعيه بشكل إحساس منبعث من الوجدان.

ولذا نرى عدد من الفلاسفة مثل: (كانت)و(برجسون) [٢] تركوا جميع الأدلة العقلية والنقلية في إثبات وجود الله، واستعملوا وجدانهم وحده حتى يقول (كانت)[٣]:"إنني تركت جميع معلوماتي وراء ظهري كي أعرف الله معرفة تليق بعظمته"؛ لذا فلا نستطيع إثباته بالعقل ولكن بالوجدان" [٤].

إذن كان هذا هو الطريق الأول في معرفة الله وهو الفطرة والوجدان بمقتضى الميثاق الذي أخذه الله على الإنسانية قبل وجودها، وقد اعتد به (كولن) كثيرا في معرفة الله، ودعا الآخرين إلى الاعتماد عليه والإنصات إلى صوته .

الطريق الثاني: النظر[٥] :

وقد ترددت آراء المتكلمين في أول الواجبات على المكلف بين عدة أمور: المعرفة أو النظر الموصل إلى المعرفة، أو أول النظر، أو الشك(بمعنى ترديد الفكر).

وبعد أن ذكر صاحب الجوهرة اثنا عشر قولا في هذه المسألة، قال: "والأصح أن أول واجب مقصدا المعرفة، وأول واجب وسيلة قريبة النظر، ووسيلة بعيدة القصد إلى النظر"[١].

١- ينظر: كولن: القدر ص١١٣،١١٤ وينظر: نحو عقيدة صحيحة ص ٩٨.

٢- يريد برجسون أن يصل إلى معرفة تعتمد على الشهادة الإنسانية فقط من داخل الإنسان؛ ولذا انتقد المادة والعلم المادي ؛لأنهما يرفضان العلم النفساني، والشهادة الإنسانية النابعة من الإنسان مثل الشهادات التخاطرية (تلباثي)لكونها ظاهرة إنسانية .ينظر: برجسون: منبعا الأخلاق والدين ص ٢٢٦، ٢٢٧تعريب: سامي الدروبي- عبد الله عبد الدائم. الهيئة لعامة للكتاب ٢٠١٠م.

٣- يقول د/ابراهيم مدكور: "وإذا كان (كانت) لم يجد سبيلا لإدعام الحقائق الدينية عن طريق العقل النظري فإنه وجده عن طريق العقل العملي وفي هذا ما يفسر عبارته "اضطررت لإلغاء العلم كي أحتفظ بمكان العقيدة" في الفكر الإسلامي ص ١٥١ الهيئة العامة للكتاب ٢٠٠٨م..

٤- القدر: ص ١١٥.

٥- النظر في اللغة: (نَظَرَ) النُّونُ وَالظَّاءُ وَالرَّاءُ أَصْل صَحِيح يَرْجِع فُرُوعه إِلَى مَعْنًى وَاحِد وَهُو تَأَمُّل الشَّيْء وَمُعَايَنَتُه، نظرت إلى كذا وكذا: نظر العين ونظر القلب، نظرت إليك: تعطفت عليك بما عندي، نظرته: انتظرته. ينظر: أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد بن عمرو بن تميم الفراهيدي البصري (المتوفى: ١٧٠هـ): العين باب (الظاء والراء والنون معهما ن ظ ر) ص ٨/ ١٥٤، المحقق: د مهدي المخزومي، د إبراهيم السامرائي، الناشر: دار ومكتبة الهلال، ينظر: أحمد بن فارس بن زكرياء القزويني الرازي، أبو الحسين (المتوفى: ٣٩٥هـ): معجم مقاييس اللغة باب (نعف) مادة (نظر) ص ٥/ ٤٤٤، المحقق: عبد السلام محمد هارون، الناشر: دار الفكر، عام النشر: ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م.

أولا: حقيقة النظر:

١- عند المتكلمين:

أ- المعتزلة:

يقول القاضي عبد الجبار[٢]في بيان حقيقة النظر: " نظر القلب دون غيره وحقيقة ذلك هو الفكر؛ لأنه لا ناظر بقلبه إلا مفكرا، ولا مفكر إلا ناظر بقلبه، وبهذا تعلم الحقائق...والفكر هو تأمل حال الشيء والتمثيل بينه وبين غيره أو تمثيل حادثة من غيرها"[٣].

ب- الأشاعرة:

حقيقة النظر: التفكر والتأمل، يقول الباقلاني[٤]: "إن مطلق اسم النظر يحتمل أن يراد به رؤية البصر والانتظار والتوقع، والرحمة والتعطف، والاعتبار والتأمل، فأما النظر المطلوب به معرفة الحق والباطل والفصل بينهما، ومعرفة الصالح وما لا تكليف على العبد في النظر فيه فهو: فكرة القلب ونظره وتأمله، المطلوب به علم هذه الأمور، أو غلبة الظن لبعضها"[٥].

١- حاشية الإمام الباجوري على جوهرة التوحيد المسمى تحفة المريد على جوهرة التوحيد ص٨٣.تحقيق: د/ علي جمعه محمد الشافعي ، دار السلام، ط: الأولى ١٤٢٢هـ- ٢٠٠٢م.

٢- القاضي عبد الجبار: قَاضِي القضاة عَبْدُ الجَبَّارِ بنُ أَحْمَدَ بنِ عَبْدِ الجَبَّارِ بنِ أَحْمَدَ بنِ خَلِيْلٍ الهَمَذَانِيُّ الأسد آبادي العَلاَّمَةُ، المُتَكَلِّمُ، شَيْخُ المُعْتَزِلَة، أَبُو الحَسَنِ الهَمَذَانِيّ ، صَاحِبُ التَّصَانِيْفِ، مِنْ كِبَار فُقَهَاء الشَّافِعِيَّة، ولد سنة ٣٢٠هـ وامتد به العمر إلى ما فوق التسعين فتوفي ٤١٥هـ،أو ٤١٦هـ عرف بين المعتزلة بأنه قاضي القضاة. بدأ حياته في أسد آباد حيث حفظ القرآن، ثم في قزوين، وهمدان، وأصفهان. درس على عدد كبير من رجال الفقه الشافعي والمحدثين، ثم استقر بالبصرة، وتحول من المذهب الأشعري إلى مذهب المعتزلة على يد ابن عياش، ثم انتقل إلى بغداد، وعين قاضي لقضاة الري، وتنقل في بلاد عديدة، من كتبه: المغني(عشرون جزءا لم يطبع منها إلا أربعة عشر جزءا) - شرح الأصول الخمسة- المحيط بالتكاليف- طبقات المعتزلة- الدواعي والصوارف- الاعتماد- الخاطر- المنع والتمانع- الحكمة والحكيم . ينظر: شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قَايْماز الذهبي (المتوفى : ٧٤٨هـ): سير أعلام النبلاء ج ١٧ ص ٢٤٥، المحقق : مجموعة من المحققين بإشراف الشيخ شعيب الأرناؤوط الناشر: مؤسسة الرسالة، الطبعة : الثالثة ، ١٤٠٥ هـ / ١٩٨٥ م. وينظر: أحمد بن يحيى المرتضى: طبقات المعتزلة ص ١١٣. ينظر: ا د/ محمد السيد الجليند: موسوعة أعلام الفكر الإسلامي ص ٦٣٣- ٦٣٥، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية- مصر ٢٠١٤م.

٣- ينظر: القاضي عبد الجبار: المغني في أبواب التوحيد والعدل، كتاب النظر والمعارف، ج ١٢ ص ٤، تحقيق: د/ إبراهيم مدكور- إشراف: د/ طه حسين..

٤- أبو بكر الباقلاني: القاضي أبو بكر محمد بن الطيب بن محمد بن جعفر بن القسم، المعروف بالباقلاني البصري المتكلم المشهور؛ كان على مذهب الشيخ أبي الحسن الأشعري، ومؤيدا اعتقاده وناصرا طريقته، وسكن بغداد، وصنف التصانيف الكثيرة المشهورة في علم الكلام وغيره ،وكان في علمه أوحد زمانه وانتهت إليه الرياسة في مذهبه، وكان موصوفا بجودة الاستنباط وسرعة الجواب، وسمع الحديث؛ وكان كثير التطويل في المناظرة مشهورا بذلك عند الجماعة توفي سنة ثلاث وأربعمائة ببغداد.(أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن إبراهيم بن أبي بكر ابن خلكان البرمكي الإربلي (المتوفى: ٦٨١هـ): وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان ج ٤ ص ٢٦٩- ٢٧٠.

٥- القاضي أبي بكر الباقلاني: التقريب والإرشاد المجلد الأول ص ٢١، قدم له وحققه وعلق عليه: الدكتور عبد الحميد بن علي أبو زنيد، مؤسسة الرسالة، ط: الأولى ١٤١٣هـ - ١٩٩٣م.

ويقول صاحب الجوهرة: "والنظر: الإبصار أي ادراك الشيء بحاسة البصر والفكر أي حركة النفس في المعقولات، وأما في المحسوسات فتخيل وعلم من ذلك أن النظر مشترك بين الإبصار والفكر، والمراد منه هنا الثاني وهو الفكر، وأما عرفا: فهو ترتيب أمرين معلومين ليتوصل بترتيبهما إلى علم مجهول"[١].إذن النظر هو إعمال الفكر والتأمل لاستكناه حقيقة المنظور إليه .

ج- الماتريدية:

وعند الماتريدية: في قوله تعالى: ﴿ قُلِ ٱنظُرُواْ مَاذَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ ﴾ نظر استدلال واعتبار ﴿ مَاذَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ ﴾ من الآيات والعبر باختلاف الليل والنهار وخروج الزروع والثمار" [٢].

وقيل أيضا: "النَّظَرُ: هُنَا مُسْتَعْمَلٌ فِيمَا يَصْلُحُ لِلنَّظَرِ الْقَلْبِيِّ وَالنَّظَرِ الْبَصَرِيِّ، وَلِذَلِكَ عُدِلَ عَنْ إعْمَالِهِ عَمَلَ أَحَدِ الْفِعْلَيْنِ لِكَيْلَا يَتَمَحَّضَ لَهُ، فَجِيءَ بَعْدَهُ بِالِاسْتِفْهَامِ الْمُعَلِّقِ لِكِلَا الْفِعْلَيْنِ بِحَيْثُ أَصْبَحَ حَمْلُ النَّظَرِ عَلَى كِلَيْهِمَا عَلَى حَدِّ السَّوَاءِ فَصَارَ صَالِحًا لِلْمَعْنَيَيْنِ الْحَقِيقِيِّ وَالْمَجَازِيِّ، وَذَلِكَ مِنْ مَقَاصِدِ الْقُرْآنِ"[٣].

ومن هنا فالنظر عند الماتريدية يجمع بين الرؤية البصرية و نظر القلب أي التفكر الذي يقود إلى الاستدلال والاعتبار.

إذن هناك تقارب بين المتكلمين في حقيقة النظر حيث يتفق الجميع على كونه يعني الفكر وإعمال العقل في الآفاق والآثار؛ ليستدل بها على الله تعالى .

٢- تعريف كولن:

يرى (كولن) أن النظر غير الرؤية، فلا يمكن للإنسان أن يميز المرئيات إن لم ينظر إليها بقصد الرؤية والاستبصار، فالرؤية تختلف عن النظر إنها تعيين الأشياء المنظور إليها وتحديدها وتشخيصها[٤].

إذن النظر عند (كولن) هو التفكر لا مجرد الرؤية البصرية العابرة، وهو يتفق تماما مع عموم المتكلمين في ذلك .

١- حاشية الإمام الباجوري على جوهرة التوحيد المسمى تحفة المريد على جوهرة التوحيد ص ٨٧.

٢- أبو البركات عبد الله بن أحمد بن محمود حافظ الدين النسفي (المتوفى: ٧١٠هـ): تفسير النسفي (مدارك التنزيل وحقائق التأويل) باب ١٢٩ ج ٢ ص ٤٣، حققه وخرج أحاديثه: يوسف علي بديوي، راجعه وقدم له: محيي الدين ديب مستو، الناشر: دار الكلم الطيب، بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤١٩ هـ - ١٩٩٨م.

٣- محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي (المتوفى : ١٣٩٣هـ): التحرير والتنوير «تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد» ج ١١ ص ٢٩٦، الناشر: الدار التونسية للنشر- تونس، سنة النشر: ١٩٨٤ هـ.

٤- ينظر: فتح الله كولن: شد الرحال لغاية سامية ص ١٠٥ .

ويعرف (كولن) التفكر بأنه: "عملية ضم الوقائع بعضها مع البعض الآخر وإجراء تركيب بينها"[١].

ويقول في موضع آخر: "التفكر هو أن يرغم الإنسان نفسه على التدبر في عالمه الداخلي، ويدقق النظر في الأشياء والأحداث، والتأمل في كل هذا مرة بعد أخرى وبذلك يوسع الإنسان من دائرة فكره، ولفظة تفكر تأتي على وزن "تفعل" الذي يحمل خاصية التكلف بمعنى أن الإنسان يبذل وسعه ويرغم نفسه على القيام بأمر ما ويوفي إرادته حقها؛ ولذا يمكن القول ببساطة: إن التفكر وفقا للصيغة الذي اشتق منها ليس عملية فكرية بسيطة، بل هو عملية فكرية تكتسب طابع النظام والتعمق والديمومة"[٢].

ولذا يدعو إلى التفكر بعمق في كتاب الكون، وجعل لذلك أساسا، فقال:" فالأساس الأول للتفكر هو التعود على القراءة وعلى مطالعة كتاب الكون، ثم فتح صدره- أي الإنسان- وقلبه للإلهامات الإلهية، وعقله لمبادئ الشريعة الفطرية، والنظر إلى الوجود بعدسة القرآن التي يعد الكتاب المقروء للكون هذه هي شروط التفكر، وإلا فإن النظر السطحي إلى الأشياء ...لا يمكن أن يكون تفكرا ولا يمكن أن يؤدي إلى نتيجة"[٣].

بل يدعو (كولن) الناظر إلى سبر أغوار[٤] كتاب الكون يوميا، وإجالة النظر في الوجود والحوادث، ومن ثم يدرك معاني الأسماء الحسنى، ثم يغشى دائرة الصفات الإلهية حتى يصل إلى مرتبة الفناء[٥] في الله، فإذا بلغ هذه المرتبة ألفيته يعمل لله ويتحرك ويسكن ويأكل ويشرب في سبيله[٦].

١- كولن: أسئلة العصر المحيرة(١) ص ١٣٥ .

٢- فتح الله كولن: إشراقات الأمل في دياجي الحزن والأسى ص ٢٦٣ ترجمة: د/عبد الرازق أحمد – د/عبد الله محمد عنتر، ط: الأولى ٢٠١٥م.

٣- فتح الله كولن: أسئلة العصر المحيرة(١) ص ١٣٤ .

٤- السبر: استخراج كنه الأمر، السَّبْرُ، وَهُوَ رَوْزُ الْأَمْرِ وَتَعَرُّفُ قَدْرِهِ. يُقَالُ خَبَرْتُ مَا عِنْدَ فُلَانٍ وَسَبَرْتُهُ، ويقال: سبر غوره: أي خَبَرَهُ. ينظر: محمد بن أحمد بن الأزهري الهروي، أبو منصور (المتوفى: ٣٧٠هـ): تهذيب اللغة أبواب السين والراء ص ١٢/ ٢٨٤، المحقق: محمد عوض مرعب، الناشر: دار إحياء التراث العربي –=

= بيروت، الطبعة: الأولى، ٢٠٠١م. ابن فارس: مقاييس اللغة باب(سبر) ص ٣/ ١٢٧.مجمع اللغة العربية: المعجم الوجيز ص ٣٠٠، القاهرة ١٤١٨هـ- ١٩٩٧م.

٥- الفناء: عند القشيري: سقوط الأوصاف المذمومة من أفعال، وأخلاق، وأحوال ويستمر في ذلك حتى يفنى عن الخلق وعن نفسه ويبقى بالحق سبحانه وتعالى، وعند القاشاني: "عبارة عن ذهاب تمسك العبد لاستهلاكه في حضرات القرب بحيث يفنى عن كل ما سوى مشهوده". ينظر: أبو القاسم عبد الكريم بن هوازن القشيري: الرسالة القشيرية في علم التصوف ص ١٢٨-١٢٩، تحقيق: هني الحاج المكتبة التوفيقية. وينظر: عبد الرازق القاشاني: لطائف الإعلام ج ٢ ص ٢٢٦ ، تحقيق ودراسة: سعيد عبد الفتاح، الهيئة المصرية العامة للكتاب ٢٠٠٥م.

٦- ينظر: فتح الله كولن: الموشور ص ٧٨ ترجمة: د/ عبد الرازق أحمد محمد، دار النيل ٢٠١٥م.

وهو هنا يشير إلى تجليات الأسماء الحسنى في الكون فمن أدرك تلك التجليات أخذته إلى فهم الصفات؛ لأنه يرى أن الأسماء الحسنى مشتقة جميعها من صفات الله، ومن ثم يصل بعد هذا الإدراك إلى مرحلة الفناء الذي نادى بها الصوفية .

ويؤكد (كولن) كذلك أن الإنسان إذا نظر إلى كل شيء وفقا للمعايير المادية، فإن كثيرا من الأشياء لا يمكن أن يراها، ومثل لذلك بقول رائد الفضاء (يوري جاجارين)حين قال: "طوفت بالكرة الأرضية كلها ورجعت ولم أر الله"، فرد عليه الأستاذ نجيب فاضل:

"يا لك من أحمق من أخبرك أن الله نفاخة معلقة في الفضاء"، فالله خالق كل شيء من العدم مبرأ عن الزمان والمكان، وليس جسما حتى يراه الإنسان.

فبالنظر إلى الكون نظرة مادية أو وضعية لن يستطيع الإنسان التعرف من خلالها على الله- كما يرى كولن- بل سيكون مع الطائفة التي تنسب كل شيء إلى الطبيعة لعجزهم عن الرؤية مع أنهم ينظرون.

إذن كيف ينظرون ؟ يرى (كولن) أنه ينبغي النظر الكلي أو النظر الكامل إلى الكون وقد أخذ الأستاذ بطريقة (النورسي) - ورآها هي الطريقة المثلى- القائمة على التأمل في النفس، والنظرة الإجمالية إلى الآفاق.

فمثلا عندما ينظر الإنسان إلى بنيته ووظائف أعضائه في ضوء علم الطب قد يتعرف بيسر على وجوده، ثم يتعمق أكثر في سائر الموجودات.

أما الآفاق فعلى المرء أن ينظر إليها نظرة إجمالية، ولكن عبر النفس فإنه يستطيع أن يرى في الآفاق ما يجري في الأنفس من قوانين[١].

وأخيرا إذا كان المتكلمون الأوائل اكتفوا بالقول بالنظر إلى الأنفس وإلى العالم العلوي ثم السفلي للاستدلال على وجود الله كما فعل (الأشعري)[٢]

و(صاحب الجوهرة)[٣] - مثلا- فإن (كولن) توسع في ذلك فدعا إلى النظر والتفكر أيضا، ثم جعل لهما شروطا حتى يؤتي ثماره ويقود المكلف إلى معرفة الله ألا وهي: التفكر في الأنفس ثم في الآفاق بالقلب والعقل بعمق أكبر وتكلف وديمومة، وليس بنظرة مادية أو سطحية، وربط ذلك الكتاب المنشور بكتاب الله المقروء.

ثانيا: الحكمة من خلق الكون:

١- كولن: شد الرحال لغاية سامية ص١٠٦- ١٠٨.

٢- أبو الحسن الأشعري : رسالة إلى أهل الثغر ص ١٥١- ،١٥٥ تحقيق ودراسة: عبد الله شاكر محمد الجنيدي مكتبة العلوم والحكم - المدينة المنورة، ط: الثانية ١٤٢٢هـ - ٢٠٠٢م.

٣- ينظر: حاشية الإمام الباجوري على جوهرة التوحيد ص٨٧، ٨٨.

يرى (كولن) أن الحكمة من خلق الكون معرفة الله تعالى من خلال آثاره وصفاته، فيقول : "كل ذي ملكة يريد أن يظهر ما لديه من مهارات خفية، ويريد أن يلبس ما لديه وجود علمي وجودا خارجيا"[١].

ومن ثم " يريد هذا المبدع العظيم أن يعرفنا بنفسه معرفة وافية فيجلي لنا آلاف الأسماء والصفات، فمثلا يدلنا على جماله من خلال أنواع الجمال كلها، وعلى إرادته وقوته من خلال ما في الكون من نظام وانتظام بديع، وعلى رحمته وشفقته بما يهبه لنا...وبتعبير آخر يريد هذا المبدع العظيم أن يظهر جلوة قدرته وإرادته فيعرض الحقائق العلمية في علمه الواسع بإلباسها وجودا خارجيا، ويريد أن يوقظ مشاعر الحيرة والإعجاب والتقدير، فيعرض أروع آثار صنعته على أولي الألباب ليشاهدوها بمنشور إدراكهم كما أن فنانا ماهرا في آلاف الفنون يظهر مهاراته بإظهار آثاره فكذلك صاحب هذا الكون أنشأ قصر الكون الرائع هذا ليظهر لنا بديع صنعته"[٢].

ولذا تراه يقرر هذه الحقيقة، ويدعونا إلى النظر في الكون وقوانينه من أجل الغاية الأسمى، وهي المعرفة، فيقول – مثلا- في مقال أيها السائح:" الإنسان سائح والكون معرض للمشاهد الملونة، ومكتبة زاخرة مطروحة لنظره، وتأمله، وسياحته، وهذا السائح أرسل إلى هذا العالم لكي يقرأ هذه الكتب ويزيد من معرفته ...الذين يتأملون قوانين الطبيعة وقوانين الحياة بعمق، ويعرفون قيمتها يرون في ألوان الزهور وفي حركة الأغصان، وفي هدير الرعود، وفي تغريد الطيور جمالا لا يمكن وصفه ويرون في كل صوت تقديسا وتسبيحا لصاحب القدرة اللانهائية، ويرون في الضوء والحرارة والجاذبية والعلاقات الكيميائية، وفي القوانين التي تحكم الأحياء وتسوقهم آثار تجليات إلهية"[٣].

وهناك الكثير من تأملاته في الكون صاغها بشكل أدبي في كتابه الموازين،[٤]وكذا

مقطوعات شعرية مثل (انظر واعتبر) في كتابه ألوان وظلال[٥].

وكلها تبين اهتمام (كولن) بالطبيعة، فكثير من المقالات صاغها تأملا لجمال الطبيعة ونظامها، وأخذها مظهرا ودليلا على جمال البارئ وقدرته وعلمه، وهو بهذا يحاول إيقاظ الإيمان كل يوم وزيادته بتكرار النظر والتأمل .

ثالثا: أهمية التفكر:

١- الرد على شبهات العصر ص ٣١. ترجمة: أورخان محمد علي- عبد الله محمد عنتر، دار النيل- القاهرة، ط الأولى ٢٠١٣م.

٢- كولن: الرد على شبهات العصر ص٣١ .

٣- كولن: الموازين أو أضواء على الطريق ص ٣٥ ترجمة: أورخان محمد علي، دار النيل، ط: السابعة ٢٠١٢م/١٤٣٣هـ. .

٤- ينظر: كولن: الموازين ص ٣٥.

٥- ينظر: كولن: ألوان وظلال في مرايا الوجدان ص ٥٥.ترجمة هيئة حراء للترجمة، تعريب: أديب الدباغ، دار النيل ط: الأولى ١٤٣١هـ - ٢٠١٠م.

بعدما أكد (كولن) على معنى التفكر بنوعيه(الأنفسي والآفاقي)، ذكر أن التفكر وسيلة نورانية موصلة إلى الحقيقة من خلال عدة حقائق، يمكن إجمالها على النحو التالي:

١- القرآن يوجه الأنظار إلى العقل الفاعل النشط:

إن التفكر أساس مهم في الإسلام؛ ولذا فإن كثيرا ما يدعو القرآن إلى التفكر في خلق السموات، والأرض، والنبات، والأمطار، والسحاب، والنجوم، وعملية الخلق، وقضية الرزق، وغير ذلك من الآيات، بعضها يربطها بالعقل، وبعضها بالفكر، والبعض الآخر بالعلم، والرابط بينها هو الاستغراق في التفكير باستخدام العقل وإن انتهاء بعض الآيات بقوله: ﭽ ﭼ ﭽ ﭾ ﭿ[١]ليشير إلى أن القرآن إنما عبر عن التفكر بصيغة المضارع ليوجه أنظارنا إلى العقل الفاعل النشط ، ومن ثم تؤكد على ديمومة الفكر فهو لم يتحدث ولو لمرة واحدة عن العقل السلبي الخامل، ولم يتناول أي عملية عقلية تتحدث عن الماضي، بل إنه بحديثه عن التفكر الذي يكتسب طابع الديمومة في الزمن المضارع يرشدنا إلى التفكر في الحاضر والمستقبل، "ومن ثم يجب على الإنسان بعد أن يعقد صلة منطقية وعقلية بالماضي أن يخضع زمانه ومستقبله لمصفاة فكره، وألا يخطو أي خطوة إلا في إطار من المعقولية"[٢] .

ولفظ (يعقلون) الوارد في الآية وآيات أخر يتضمن عدة دعوات مهمة منها:

" استغلال العقل في قراءة الأشياء والأحداث، والوصول عن طريق التفكر إلى نتائج يفرزها العقل، واستجلاب جماليات الكون باستغلال العقل"[٣].

٢- بالتفكر يكتشف الإنسان نفسه:

يرى (كولن) أنه لو جعلنا الإنسان موضوعا للتفكر وتناولناه من الناحية الفسيولوجية والتشريحية كما فعل (ألكسيس كاريل)[٤]مؤلف كتاب (الإنسان ذلك

١- سورة البقرة الآية: ١٦٤.

٢- كولن: اشراقات الأمل ص ٢٦٣.

٣- كولن: اشراقات الأمل ص ٢٦٤.

٤- ألكسيس كاريل: طبيب فرنسي ولد ١٨٧٣م، وحصل على إجازة الطب من (ليون)، وإجازة في العلوم من (ديجون)،عمل في التدريس في (ليون) عدة سنوات، ثم رحل إلى أمريكا، وتوظف في معهد (روكفلر)= =للأبحاث العلمية، وبقى به قرابة ثلاثين عاما حتى اعتزل وعاد إلى فرنسا ١٩٢٩م، منح جائزة نوبل ١٩١٢م؛ لأبحاثه العلمية، وبعد اعتزاله استمر في أبحاثه عن القلب الميكانيكي، توفي في باريس عام ١٩٤٤م، وكتاب الإنسان ذلك المجهول أشهر كتبه، ونال شهرة كبيرة في العالم، وأعيد طباعته أكثر من مرة؛ لأنه يشتمل على كثير من تجاربه عن الإنسان والحياة من وجهة النظر العلمية، يقول في مقدمة كتابه ص ٦: "لست فيلسوفا، ولكنني رجل علم قضيت الشطر الأكبر من حياتي في المعمل أدرس الكائنات الحية، والشطر الباقي في العالم الفسيح أراقب بني الإنسان، وأحاول أن أفهمهم، ومع ذلك فإنني لا أدعي أنني أعالج أمورا خارج نطاق الملاحظة العلمية"، ويقرر في ص ٩: " إنني لم أهدف من وراء هذا الكتاب إلى أن يكون رسالة عن الإنسان؛ لأن مثل هذه الرسالة تستغرق عشرات من المجلدات الضخمة، وإنما أهدف إلى تنظيم المعلومات التي لدينا عن أنفسنا تنظيما مفهوما، ولقد حاولت أن أصف عددا كبيرا من الحقائق الأساسية بطريقة مبسطة للغاية"، ويعترف بقصور معرفتنا بأنفسنا رغم الحقائق الكثيرة التي قدمها العلماء، فيقول في ص ١٩: "فمن الواضح أن جميع ما حققه العلماء من تقدم فيما يتعلق بدراسة الإنسان ما زال غير كاف، وإن معرفتنا بأنفسنا ما زالت بدائية في

المجهول) لوجدناه مخلوقا كريما يستحق الأفضلية والرفعة؛ ولذا فضله الله وأمر الملائكة بالسجود لآدم (عليه السلام).

فلو تأمل الإنسان في نفسه في المادة والروح والقلب فسينفتح على آفاق كهؤلاء الذين أحرزوا نجاحات على الأرض، ثم انطلقوا إلى الفضاء[١] .

٣- ينبغي أن تكون مجالسنا مجالس تأمل وتفكر :

يقول كولن: "إن ما يجب على الإنسان هو أن يستفيد بشكل جيد من كلا جناحي التفكر والتدبر: التفكر في الآفاق والتدبر في الأنفس فيجعل مجالسه كلها ساحات للوقوف على آيات الله تعالى التشريعية والتكوينية، والسياحة في تلال القلب الزمردية[٢]بشكل أعمق"[٣]؛ لأن المسلم إذا لم يفعل ذلك انشغلت مجالسه بالتحرر والطيش والشائعات، وهذا يدنس الزمان والمكان والجو العام كما يرى كولن[٤] .

إذن التفكر مهم جدا لحياتنا الروحية والعقلية لكونه يقود المرء إلى الله أولا، وإلى إعمار الأرض ثانيا.

وأرى لو قدم للمسلم قضية التفكر بصورة عملية باطلاعه على نماذج من الحقائق الخاصة بالإنسان كما جاء في كتاب (ألكسس كاريل) وغيره لعمق ذلك إيمانه ومعرفته بربه فالتفكر الحقيقي في الكون والكائنات مع العرض الفعلي لعجائب مخلوقات الله وأولها الإنسان جدير بإيقاظ الإيمان والتأثير في الوجدان أكثر بكثير من الكلام النظري، وفي رأيي أن هذا مطلبا ضروريا في علم الكلام إذا أردنا تجديده وتأثيره في النفوس.

حكم النظر في معرفة الله تعالى :

لا خلاف بين أهل الاسلام في وجوب النظر في معرفة الله تعالى؛ لكونه مقدمة مقدورة للمعرفة الواجبة مطلقا[٥].

فقد اتفق الجميع على وجوب معرفة الله تعالى، واختلفوا في طريقة ثبوتها[٦].

الغالب". ينظر: ألكسيس كاريل: الإنسان ذلك المجهول، كلمة الناشر والكتاب ص٥- ١٩، تعريب: شفيق أسعد فريد ، مؤسسة المعارف- بيروت، ط: الثالثة ١٩٨٠م.

١- ينظر: اشراقات الأمل ص ٢٦٣- ٢٦٦.

٢- لفتح الله كولن كتاب في التصوف بعنوان التلال الزمردية فلعله يشير بهذا الاسم إلى التربية الروحية في مجالسنا كقسيم مشترك مع التفكر.

٣- كولن: إشراقات الأمل ص٢٦٦.

٤- ينظر: إشراقات الأمل ص ٢٦٧.

٥- العلامة مسعود بن عمر الشهير بسعد الدين التفتازاني: شرح المقاصد المجلد الأول ١١٤ تقديم وتعليق: إبراهيم شمس الدين، دار الكتب العلمية- بيروت – لبنان، ط: الثانية ٢٠١١م.

٦- ينظر: الجرجاني: شرح المواقف المجلد الأول ص ٢٥٨ .

ولذلك قال بعضهم: المعرفة ضرورية، فالناس كلهم يشيرون إلى الصانع، وإن اختلفت طرائقهم ومللهم[١].

فعند الأشاعرة أن المعرفة تثبت بالسمع أي بالشرع عن طريق النص والإجماع، وعند الماتريدية بالعقل، وعند المعتزلة بالعقل على اختلاف في علة ذلك كما سيأتي.

أولا: رأي المتكلمين:

رأي المعتزلة:

معرفة الله تعالى واجبة عند المعتزلة بالعقل .

فيرى القاضي (عبد الجبار) أن أول ما يجب على الانسان أن يفعله هو النظر والتفكر في طريقة معرفة الله، والدليل على وجوب النظر في معرفة الله عقلا:

أ- فساد التقليد: فكل إنسان يدعى أنه مصيب فليس تقليد أحدهما أولى من تقليد الآخر.

ب- أنه لو كان ضرورة لتساوى العقلاء فيه ولما اختلفوا.

ج- من يرى اختلاف الناس في المذاهب وتكفير بعضهم بعضا، وعلم أن جميع المذاهب لا يمكن أن تكون كلها باطلة؛ لأن الحق لا يخرج عنها وجب عليه النظر.

د- دفع المضار: "إذ لم تفكر فتعرف الحق لم تأمن أن تكون من المبطلين فيقضي بك ما أنت عليه إلى النار الدائمة والمضار العظيمة، فلابد أن يخاف ويعرف بعقله أنه يجب أن يتحرز مما يخافه فيلزمه أن يفكر وينظر"[٢].

وبين وجوب النظر من جهة السمع أيضا بالآيات التي تحث على النظر وتمدح فاعله وتذم المعرض عنه: ﴿ وَفِيٓ أَنفُسِكُمۡۚ أَفَلَا تُبۡصِرُونَ ﴾[٣]، ﴿ قُلِ ٱنظُرُواْ مَاذَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ ﴾[٤].

رأى الاشاعرة:

المعرفة ثابتة بالسمع، ولهم في إثبات وجوب النظر المؤدى إلى المعرفة مسلكان:

١- ينظر: الشيخ جمال الدين القاسمي : دلائل التوحيد ص ٢٥ دار الكتب العلمية بيروت – لبنان، ط: الأولى ١٤٠٥هـ - ١٩٨٤م.

٢- القاضي عبد الجبار: المختصر في أصول الدين ص ١٩٩، تحقيق: د.محمد عمارة من رسائل العدل والتوحيد الجزء الأول. وينظر: الأصول الخمسة المنسوبة للقاضي عبد الجبار بن أحمد الأسد آبادي٦٤- ٦٧، حققه وقدم له: دكتور فيصل بدير عون، ط: الأولى ١٩٩٨م، جامعة الكويت، لجنة التأليف والتعريب والنشر.

٣- سورة الذاريات الآية: ٢١.

٤- المختصر في أصول الدين ص ٢٠٠.

الأول: الاستدلال بالظواهر من الآيات والأحاديث الدالة على وجوب النظر في المعرفة نحو قوله : ﴿ قُلِ ٱنظُرُواْ مَاذَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِۚ وَمَا تُغْنِي ٱلْأٓيَٰتُ وَٱلنُّذُرُ عَن قَوْمٍ لَّا يُؤْمِنُونَ ﴾[١]، وهنا مطلوبان:

الأول: أَنه لَا سَبِيلَ إِلَى معْرِفة الله تَعَالَى إلا بِالتدَبرِ فِي الدلائل، كما قَالَ -عَلَيْهِ الصلَاة وَالسلَام-: "تَفَكَّرُوا فِي الْخَلْقِ وَلَا تَتَفَكَّرُوا في الخالق"[٢].

وَالثانِي: وهو أَن الدَلائل إما أَن تكون من عالم السموات أَو مِنْ عَالَم الْأَرضِ، وكل وَاحِد مِنْ هَذِهِ الْأَجْنَاس ينقسم إِلَى أَنْوَاعٍ لَا نِهَايَة لَهَا. ولو أَن الإنسان أَخَذَ يتفكرُ في كيفِية حِكْمَة الله سُبْحَانَه فِي تَخْلِيق جَنَاحِ بَعُوضَة لا نقطع عَقله قَبْل أَنْ يَصِلَ إِلَى أَقَل مَرْتَبَة مِن مرَاتِب تِلْكَ الْحِكَم وَالْفَوَائِد. وَلَا شَكَّ أَن الله سُبْحَانَه أَكْثر مَن ذكر هَذِه الدلَائِل فِي الْقُرْآن الْمَجِيد، ولِهَذَا السبَب لم يذكر التفصِيل هنا، فَكَأَنه تَعَالَى نَبه عَلَى الْقَاعِدَة الْكلية، حَتى إِن الْعَاقِل يَتَنَبه لِأَقْسَامِها وَحينئِذ يَشْرع فِي تَفْصِيل حكمة كل وَاحِد منها بِقدر الْقوة الْعَقلِيَة وَالْبشَرِية[٣].

المسلك الثاني: وهو المعتمد في إثبات وجوب النظر أن معرفة الله واجبة إجماعا من المسلمين كافة، وقد يتمسك في ذلك بقوله:﴿ فَٱعْلَمْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ ﴾ [٤].

إذن معرفة الله واجبة عند الأشاعرة بالسمع والطريق إليها النظر في الآيات من عالم السموات والأرض وما فيهما من دلائل تشير إلى الله تعالى.

٣- رأي الماتريدية:

معرفة الله تعالى واجبة عقلا، فأول الواجبات على المكلف النظر والاستدلال المؤدي إلى المعرفة بالله وبصفاته وتوحيده وعدله وحكمته، فلو لم يبعث الله تعالى للناس رسولا لوجب عليهم معرفته بعقولهم، ولا عذر لأحد في الجهل بخالقه لما يرى من خلق السموات والأرض[٥].

١- سورة يونس الآية:١٠١.

٢- الحديث: "تفكروا في الخلق ولا تفكروا في الخالق فإنكم لا تقدرون قدره"، أخرجه أبو الشيخ الأصبهاني عبد الله بن محمد بن جعفر(المتوفى ٣٦٩هـ) في: العظمة، باب الأمر في التفكر في آيات الله (عز وجل)، وقدرته، وملكه، وسلطانه، وعظمته، و وحدانيته، ص ١/ ٢١٦ رقم: ٥، تحقيق: رضاء الله بن محمد إدريس المباركفوري، دار العاصمة- الرياض، ط الأولى ١٤٠٨هـ. وقال الألباني: ضعيف، ينظر: ضعيف الجامع الصغير وزيادته ص ١/ ٣٦٣ رقم: ٢٤٧٠ أشرف على طبعه: زهير الشاويش، المكتب الإسلامي. .

٣- ينظر: الرازي: مفاتيح الغيب ج ١٧ ص ٣٠٦.

٤- سورة محمد الآية: ١٩.

٥- ينظر: العلامة كمال الدين بن أحمد البياضي: إشارات المرام من عبارات الإمام ص ٧٦، ٨٤ تحقيق: يوسف عبد الرزاق، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى الباب الحلبي وأولاده بمصر، ط الأولى ١٣٦٨هـ- ١٩٤٩م.وينظر: كمال الدين محمد بن محمد بن أبي بكربن علي بن أبي شريف(المتوفى سنة ٩٠٥هـ): المسامرة شرح المسايرة في العقائد المنجية في الآخرة لكمال الدين محمد بن عبد الواحد الحنفي المعروف بابن الهمام(المتوفى ٨٦١هـ)، ومعه

والفرق بين الوجوب عند الماتريدية وبين الوجوب عند المعتزلة:

عند الماتريدية العقل آلة لمعرفة الوجوب الثابت لله تعالى ولمعرفة الحسن اللازم له لا موجب كما قالت المعتزلة.
عند الماتريدية العقل يدرك حسن بعض الأشياء وقبح بعضها بدون السمع لا كلها كما قالت المعتزلة.
عند الماتريدية الوجوب والحرمة العقليان بمعنى جزم العقل باستحقاق المدح والثواب والذم والعقاب عند الصانع إجمالا لا معرفة كيفية ذلك. وكون الثواب بالجنة والعقاب بالنار إنما يثبت بالسمع[١].
إذن معرفة الله واجبة عند المعتزلة بالعقل بناء على قولهم بالتحسين والتقبيح العقليين، أما عند الماتريدية بمعنى أنه لو لم يرد به الشرع لأدركه العقل استقلالا لوضوحه[٢].

وأما أدلتهم العقلية فمنها:

أ- أن ثبوت الشرع وما يقول الرسول عند المكلف الذي يدعوه الرسول إلى التصديق به موقوف على وجوب الإيمان والتصديق عنده، فلو توقف على الشرع لزم ثبوت الشرع فيلزم الدور أو التسلسل وإفحام الرسل. إذن هو ثابت عقلا بقذف الله في قلبه التصديق والعلم.

ب- أن معرفة الله ومعرفة وجوب تصديق النبي لو كان من قبل الرسول وتوقف على الشرع لكان المنة من الرسول (ولكن المنة من الله وحده على الناس)، ولزم الدور أو التسلسل، فهو واجب عقلا بما عرفهم الله تعالى، وتقريره: أن تصديق أول أخباره واجب عقلا؛ لأنه لو كان شرعا لتوقف على نص آخر بوجوب تصديقه فالنص الثاني: إن كان وجوب تصديقه بنفسه لزم توقف الشيء على نفسه، وإن كان بنص ثالث لزم التسلسل، وأيضا يتوقف وجوب تصديقه على حرمة كذبه، فلو ثبت من قبله لزم الدور أو التسلسل، وأصل الدين مأخوذ من قوله: ﴿ بَلِ ٱللَّهُ يَمُنُّ عَلَيۡكُمۡ أَنۡ هَدَىٰكُمۡ لِلۡإِيمَٰنِ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ ﴾[٣].

إذن معرفة الله واجبة عقلا عند الماتريدية بالنظر فيما بثه الله من دلائل في الأنفس والآفاق، ولكن تفاصيل الشرائع وأحكامها فمستنده السمع لا العقل.

ثانيا: رأي فتح الله كولن:

حاشية على المسايرة لزين الين القاسم بن قطلوبغا (المتوفى ٨٧٩هـ)، وضع حواشيها وخرج آياتها وأحاديثها: محمود عمر الدمياطي، منشورات محمد علي بيضون- دار الكتب العلمية- بيروت- لبنان، ط الأولى ١٤٢٣هـ- ٢٠٠٢م.

[١]- الإمام البياضي: إشارات المرام ص ٧٥.

٢- حاشية الإمام الباجوري على جوهرة التوحيد ص ٧٠.

[٣]- سورة الحجرات الآية: ١٧ وينظر: البياضي: إشارات المرام من عبارات الإمام ص ٩٩- ١٠٣.

يرى (كولن) أن معرفة الله تعالى تكون بالسمع، فيقول: "لا نستطيع معرفة شيء عن الله إلا ما بلغنا عنه ولا يمكن للعقل أن يدلي بشيء في هذا فدوره الاستجابة لإرشاد الوحي في هذا"[١].

ويوضح ذلك بمثال قوم جلوس في بيت وطرق الباب عليهم فتجاوز بعضهم مدلول طرق الباب، وأدلى كل برأي مختلف حول هوية الطارق وتفكيرنا هذا يسمى (التصور)، ورأى آخرون أنه لا مجال للتصور، وأن على العقل التصديق بأن هناك شخصا ما وراء الباب ويترك للقادم أن يعرف نفسه، وهذا يسمى (التعقل).

وبتطبيق هذا المثال على المعرفة، يقول كولن: "إننا نحاول معرفة الله تعالى بالانتقال من آثاره إلى أسمائه، ومن أسمائه إلى صفاته، ومن صفاته إلى تجليات ذاته أي ننتقل من تجلياته في ذاته إلى تجلياته في آثاره إلى تجلياته في أسمائه سائحين في الكون للوصول إلى تجلياته في صفاته، ونتحول من الغيب إلى الشهود ...فأحيانا ننبسط بأنسام الجمال وأحيانا نرتجف خوفا ومهابة"[٢].

ورغم قول (كولن) بالمعرفة عن طريق السمع صراحة إلا أنه وفي نص آخر يشير إلى قيمة النظر العقلي في معرفته تعالى، فيقول : "إن كل نعمة وكل إحسان يدل من جهة على صاحب هذه النعمة وهذا الاحسان، ويسوق إلى إجلاله وتوقيره من جهة أخرى، فأينما شاهدنا نعمة أو جمالا أو نظاما يجب أن تكون هناك عبودية تجاه صاحب هذه النعم والجمال والنظام"[٣].

وانطلاقا من هذه النقطة يعرض رأي المعتزلة و الماتريدية بأنه لولم يرسل أي نبي ولولا يقم أي مرشد بإرشاد الإنسانية إلى الله لكانت الآيات والأدلة التي يزخر بها الكون كافية لتوجيه الإنسان إلى الله ولكان الإنسان مكلفا آنذاك بمعرفة الله والسلوك حسبما تقتضيه هذه المعرفة[٤].

ويبدو لي من جمعه بين العقل والسمع أنه يتفق مع رأي الماتريدية؛ لأنه كثيرا ما يتحدث عن النظر والتفكر، وأنه يقود إلى معرفة الله يقول (كولن) في مقطوعة شعرية عن معرفة الله :

" إن كنت بمعرفة الله مفعما ... ما أعظم حظك

١- كولن: نحو عقيدة صحيحة ص ١٣ ترجمة: أورخان محمد علي- عبد الله محمد عنتر سلسلة أسئلة العصر المحيرة(٢) دار النيل ٢٠١٤م.

٢- كولن: نحو عقيدة صحيحة ص ١٣.

٣- ينظر: كولن: أسئلة العصر المحيرة ج ١ ص ٩٥.

٤- أسئلة العصر المحيرة ص ٩٥.

لأنك سترى في كل شيء معنى منه .. وفكرة تشير إليه وجمالا يرنو نحوه وحتى الطبيعة تغدو أمامك وكأنها ..لحن تتناغم فيه الأصوات وتلتئم الألوان وكأنها قد سكبت كل جمالها في.. وردة حسناء واحدة"[١].

ويقول في مناسبة أخرى: "لأن الكون برمته كتاب يعرف بالله بكل جملة وكل كلمة وكل حرف منه أجل حين يصغى الإنسان إلى كتاب الكون بإنصاف دون أن يستبق الأحكام سيسمع كل كلمة بل كل حرف يردد لا إله إلا الله، ولهذه الحقيقة الواضحة أيما وضوح رأى الإمام الماتريدي أن من لم تبلغهم دعوة نبي مكلفون بالإيمان بالله تعالى؛ لأنهم حين ينظرون في كتاب الكون سيحكمون بلا شك بوجود خالق، وإن لم يعرفوه - ﷻ- بصفاته العليا وأسمائه الحسنى ولم يعرفوا ذاته تعالى من طريق النبوة والوحى"[٢].

وقد أورد عدة أمثلة لتأييد ما ذهب إليه الماتريدية منها:

أولا: أن بعض المعاصرين للرسول -ﷺ- برغم نشأتهم بجوار الكعبة المملوءة بالأصنام، وعدم قيام أحد بتلقينهم حقائق التوحيد فإنهم توصلوا إلى الله تعالى بأنفسهم.

ثانيا: الأعرابي الذي قيل له: بم عرفت ربك؟ فقال: البعرة تدل على البعير، والروث يدل على الحمير، وآثار الأقدام على المسير، فسماء ذات أبراج، وبحار ذات أمواج أما يدل على العليم القدير[٣].

ثالثا: النبي - ﷺ- وصل قبل نبوته إلى وجود الله، وبدأ بالبحث والتأمل في غار حراء.

رابعا: ما ورد عن أحد الأحناف، وهو زيد بن عمرو بن نفيل أنه أخبر أهله وهو على فراش الموت بصفات النبي المرتقب، وكان يقول: اللهم إني لو أعلم أحب الوجوه إليك عبدتك به، ولكني لا أعلم ثم يسجد على راحلته" [٤].

فالأستاذ يعرض رأي الماتريدية في أن الإنسان يمكن أن يتوصل إلى معرفة الله عن طريق النظر في الكون، ويستدل لهذا الاتجاه كما رأينا.

ومع ذلك فهو يؤكد أن معرفة تفاصيل العبادة - والعبودية تبدأ مباشرة بعد معرفة الله- تكون من الوحي والشرع، فيقول:" والوحي السماوي هو الذي يستطيع تعيين وبيان الشكل الصحيح للعبودية، ويحول بذلك دون انحرافها، بل بقائها ضمن إطار الأوامر الإلهية أي إن الله تعالى يقول: "إني أنا الله وأنت عبدي عرفتني من النعم التي أنعمتها عليك، وأنا

١- كولن: ألوان وظلال في مرايا الوجدان ص ٤٤ .

٢- كولن: شد الرحال لغاية سامية ص ٢٣٣ ترجمة: عبد الله محمد عنتر – د/عبد الرازق أحمد دار النيل ٢٠١٤م.

٣- ذكره أبو الفرج بن الجوزي: في تلبيس إبليس باب في ذكر تلبيسه في العقائد والديانات ذكر تلبيسه على الدهرية ص ٤٠ دار الفكر - بيروت - لبنان، ط: الأولى ١٤٢١هـ- ٢٠٠١م .

٤- ذكره محمد بن محمد بن سالم مخلوف: في شجرة النور الذكية في طبقات المالكية فضائل الستة بقية العشرة المبشرين بالجنة سيدنا سعيد بن زيد ٢/٩٠علق عليه: عبد المجيد خيالي، دار الكتب العلمية- لبنان، ط: الأولى ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٣م

سأعلمك آداب العبودية التي تستطيع بها الحضور تجاهي"[١]. وهو هنا متوافق تماما مع ما ذهب إليه الماتريدية.

بناء على ما سبق نرى (كولن) في نص له يؤكد أن معرفة الله تكون بالشرع كما هو رأي الأشاعرة، وفي كثير من النصوص يؤكد أهمية النظر في الكون فتلك تقود إلى معرفة الله وتوسع في شرح وجهة نظر الماتريدية، وأورد أدلة على ذلك المنحى، ولم يرجح تحديدا موقفه في المسألة وأرى من جمع هذه النصوص أنه متوافق مع ما ذهب إليه الماتريدية، ولكن المعرفة التفصيلية أي الشرائع والأحكام فمصدرها الشرع وهذه يتبناها الأشاعرة والماتريدية معا .

ثم يؤكد على الجانب العملي بأن المعرفة تتبعها عبودية لله، وذلك تنبيه إلى الجانب العملي من وراء درس العقيدة .

أهل الفترة:

ومن المسائل المرتبطة بمعرفة الله تعالى حال من لم يبلغهم الوحى أو من نسميهم (أهل الفترة)، وقد ناقشها (كولن) في عدة محاور:

حكم أهل الفترة، مسألة نجاة والدى النبي (ﷺ)، أهل الفترة في العصر الحديث، مسئوليتنا تجاه هؤلاء الأجانب.

أولا: حكم أهل الفترة:[٢]

١- رأي المعتزلة:

في قوله: ﴿ وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا ﴾[٣]: يقول الزمخشري: "وَما كُنَّا مُعَذِّبِينَ وما صحّ منا صحة تدعو إليها الحكمة أن نعذب قوما إلا بعد أن نَبْعَثَ إليهم رَسُولًا فتلزمهم الحجة. فإن قلت: الحجة لازمة لهم قبل بعثة الرسل، لأنّ معهم أدلة العقل التي بها يعرف الله، وقد أغفلوا النظر وهم متمكنون منه، واستيجابهم العذاب لإغفالهم النظر فيما معهم، وكفرهم لذلك، لا لإغفال الشرائع التي لا سبيل إليها إلا بالتوقيف، والعمل بها لا يصح إلا بعد الإيمان. قلت: بعثة الرسل من جملة التنبيه على النظر

١- أسئلة العصر المحيرة ج ١ ص ٩٦.

٢- الفترة في اللغة: الِانْكِسَارُ وَالضَّعْفُ. والْفَتْرَةُ مَا بَيْنَ الرَّسُولَيْنِ مِنْ رُسُلِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ أو ما بين كل نبيين. ينظر: زين الدين أبو عبد الله محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الحنفي الرازي (المتوفى: ٦٦٦هـ): مختار الصحاح ص ١: ٢٣٣ باب (ف ت ر)، المحقق: يوسف الشيخ محمد، الناشر: المكتبة العصرية - الدار النموذجية، بيروت – صيدا، الطبعة: الخامسة، ١٤٢٠هـ / ١٩٩٩م.الفيروز أبادي: القاموس المحيط ص ٣٩١ .

٣- سورة الإسراء الآية:١٥.

والإيقاظ من رقدة الغفلة، لئلا يقولوا: كنا غافلين فلولا بعثت إلينا رسولا ينبهنا على النظر في أدلة العقل"[١].

فرأي المعتزلة هنا يرجع لمذهبهم في وجوب النظر في معرفة الله بالعقل، وبعثة الرسول من منبهات العقل للنظر.

٢- رأي أهل السنة:

الأشاعرة :

يقول شارح الجوهرة: "فالمذهب الحق أن أهل الفترة، وهم من كانوا بين أزمنة الرسل، أو في زمن الرسول الذى لم يرسل إليهم- ناجون، وإن بدلوا وغيروا وعبدوا الأصنام، ودليل قوله تعالى:﴿ وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا ﴾ [٢].

ب- أما الماتريدية: من لم يبلغه الوحى وهو عاقل ولم يعرف ربه هل يكون معذورا أم لا؟

يقول الماتريدية: "عندنا لا يكون معذورا، ويجب عليه أن يستدل بأن للعالم صانعا كما

استدل أصحاب الكهف حيث قالوا:﴿ رَبُّنَا رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ﴾ [٣]وكإبراهيم (عليه السلام) حين استدل:﴿ فَلَمَّا رَءَا ٱلشَّمْسَ بَازِغَةً قَالَ هَٰذَا رَبِّي ﴾ "[٤].

٢- رأى كولن :

يقول كولن: "عهد الفترة هو الفترة الزمنية بين كل نبيين، وهو يطلق في الأكثر على الفترة الزمنية بعد عيسى -عليه السلام- وحتى مبعث رسولنا (ﷺ) في هذه الفترة تم نسيان الأسس التي أتى بها السيد المسيح (عليه السلام)، ولم يصل النور الذى جاء به إلى عهد الرسول (ﷺ)، فبقى الناس في ظلام دامس"[٥].

١- أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، الزمخشري جار الله (المتوفى: ٥٣٨هـ) الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل ص ٦٥٣/٢.

٢- الباجوري: حاشية الباجوري على جوهرة التوحيد ص ٦٨. والآية في سورة الإسراء آية: ١٥.

٣- سورة الكهف الآية: ١٤.

٤- سورة الأنعام الآية : ٧٨.ينظر: النسفي: بحر الكلام في أصول الدين ص ١٨٥.

٥- كولن: أسئلة العصر المحيرة ص ٢١٨، ونحو عقيدة صحيحة ص ١٨١.

"أو هي الفترة التي لم يتصل منه النور الذى جاء به السيد المسيح (عليه السلام) مع النور الذي جاء رسولنا (ﷺ)، فحدث هناك فراغ مظلم"[١].

وقد عرض (كولن) آراء ثلاثة في هذه المسألة:

رأي الأشاعرة الذي يقضي أن استحقاق العذاب لا يكون إلا بعد التبليغ وفق الآية: ﴿ وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا ﴾[٢].
والماتريدية في أنهم لا يرون عذرا لأي شخص في عدم معرفة وجود الله بعد آلاف البراهين والأدلة التي يزخر بها الكون .

ج- ورأي ثالث وسط يوفق بينهما يقضى بنجاة من لم يعبد صنما، ولم يلحد بالله، أما من اتخذ الكفر مهنة له ومسلكا، وأعلن الحرب ضد الله فسيلقى جزاء كفره[٣].

بعد عرض (كولن) لهذه الآراء الثلاثة نجد أنه وافق وسار مع هذا المذهب الوسط، واعتبره رأي الإجماع، فقال: "فهؤلاء إن كان منهم من لم يعبد صنما، ولم يتخذ إلها فالإجماع منعقد على أنهم سينالون عفو الله ومغفرته حتى وإن لم يعرفوا الله تعالى ولم يتوصلوا للإيمان به"[٤]، وقال أيضا: "إنسان مثل هذه العهود- أي عهود الفترة- سيغفر له، ولكن بشرط ألا يكفر بالله ويلحد به عن سابق قصد وشعور"[٥].

ونجد في موضع آخر يصرح برأي قريب من الأشاعرة فيقول: "والذين وقعوا دون إرادتهم في فترة من فترات الظلام نرى الرحمة الإلهية تنجدهم ﴿ وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا ﴾إذن فالإنذار أولا، والتكليف ثانيا، ثم العذاب أو الرحمة "[٦].

إذن فكولن متردد في المسالة مرة مع الأشاعرة في عدم العذاب إلا بعد بلوغ الدعوة ، وأخرى مع الفريق الذي سماه وسطا الذي يقضي بنجاة الذين لم تلوث فطرتهم بعبادة إله آخر غير الله تعالى.

والحقيقة أن رأي الأشاعرة أرجح؛ لأن فيه توسعة ورحمة بهذا الفريق، ولنص الآية القاطع، يقول ابن عاشور: "وَدَلت الْآيَة عَلَى أَن اللَّهَ لَا يؤاخِذ الناسَ إِلا بَعْد أَنْ يُرْشِدَهُم رَحْمَة مِنْه لَهُم. وَهِيَ دَلِيل بَين عَلَى انْتِفَاء مُؤَاخَذة أَحَدٍ مَا لَمْ تَبْلُغْه دَعْوَة رَسُول مِنَ الله إِلَى قوم، فَهِيَ حُجَّةٌ لِلْأَشعَرِي نَاهِضَةٌ عَلَى المَاتُرِيدِي وَالْمُعْتَزِلَةِ الَّذِينَ اتفَقوا على إِيصَالِ

١- أسئلة العصر المحيرة ص ٢١٨.

٢- سورة الإسراء الآية:١٥.

٣- ينظر: أسئلة العصر المحيرة ص ٣٥ .
٤- ينظر: كولن: أسئلة العصر المحيرة ص ٢١٨ .

٥- أسئلة العصر المحيرة ص ٣٥.
٦- أسئلة العصر المحيرة ص ٣٥، والرد على شبهات العصر ص ٢١٥.

الْعَقْلِ إِلَى مَعْرِفَةِ وُجُودِ اللَّهِ... فَوُجُودُ اللَّهِ وَتَوْحِيدُه عِنْدَهُمْ وَاجِبَانِ بِالعَقل فَلَا عُذْرَ لِمَنْ أَشْرك بِاللَّهِ وَعَطَّل وَلَا عذْر لَه بَعْدَ بعْثة رَسول. وَتَأْوِيل الْمعْتَزِلة أَنْ يُرَاد بِالرسولِ الْعَقل تَطَوُّحٌ عَنِ اسْتِعْمَال اللُّغَة وَإِغْمَاض عن كَوْنِه مَفْعُول لِفِعْل نبْعَث إِذ لَا يُقَال بَعَث عَقْل بِمَعْنَى جَعَلَ"[١]

ثانيا: مسألة نجاة والدى المصطفى (ﷺ) :

رأي أهل السنة:

يقول شارح الجوهرة:" إذا علمت أن أهل الفترة ناجون على الراجح علمت أن أبويه- ﷺ- ناجيان؛ لكونهما من أهل الفترة، بل جميع أبائه وأمهاته ناجون ومحكوم بإيمانهم لم يدخلهم كفر ولا رجس ولا عيب ولا شيء مما كان عليه أهل الجاهلية بأدلة نقلية؛ لقوله تعالى: ﴿ وَتَقَلُّبَكَ فِي ٱلسَّٰجِدِينَ ﴾ ،[٢]وقوله: "لم أزل أتنقل من الأصلاب الطاهرات إلى الأرحام الزاكيات"،[٣]وغير ذلك من الأحاديث البالغة مبلغ التواتر"[٤].

٢- رأي فتح الله كولن:

يرى (كولن) نجاة والدي النبي - ﷺ- فيقول: "فوالد الرسول (ﷺ) ووالدته سينالان المغفرة إن شاء الله لكونهما من أهل الفترة، ومع أن هناك حديثا حول إحياء والدي الرسول (ﷺ) وإيمانهما به[٥]إلا أن هذا الحديث ضعيف رغم قبول الإمام السيوطي بهذا الحديث"[٦].

١- محمد الطاهر بن عاشور: تفسير التحرير والتنوير «تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد» ج ١٥ ص ٥٢.
٢- سورة الشعراء الآية:٢١٩.

٣- حديث تنقل الرسول بين الأصلاب الطاهرات: عن ابْن عَبَّاس رَفعه: «لم يلتق أبواي عَلَى سفاح، لم يزل الله عَزَّ وَجَلَّ - ينقلني من الأصلاب الطّيبَة إِلَى الْأَرْحَام الطاهرة مصفى مهذبًا، وَلَا يتشعب شعبتان إِلَّا كنت فِي خيرهما». أخرجه ابن الملقن الشافعي: في "البدر المنير في تخريج الأحاديث والأثار الواقعة في الشرح الكبيرجـ٧ ص ٦٣٥ تحقيق: مصطفى أبو الغيط - وعبد الله بن سليمان - وياسر بن كمال الناشر: دار الهجرة للنشر والتوزيع - الرياض-السعودية الطبعة: الاولى، ١٤٢٥هـ-٢٠٠٤م. .

٤- حاشية الباجوري على جوهرة التوحيد ص ٦٩ .

٥- حديث: إحياء أبوي النبي ﷺ حتى آمنا به، أورده السهيلي عن عائشة، وكذا الخطيب في السابق واللاحق، وقال السهيلي: إن في إسناده مجاهيل، وقال ابن كثير: إنه حديث منكر جدا، وإن كان ممكنا بالنظر إلى قدرة الله تعالى، لكن الذي ثبت في الصحيح يعارضه. ينظر: الشيخ شمس الدين أبو الخير السخاوي: "المقاصد الحسنة في بيان كثير من الأحاديث المشتهرة على الألسنة" جـ١ ص٦٧، تحقيق: محمد عثمان الخشت، الناشر: دار الكتاب العربي – بيروت الطبعة: الأولى، ١٤٠٥ هـ - ١٩٨٥م.

٦- أسئلة العصر المحيرة ص ٢١٨، ونحو عقيدة صحيحة ص ١٨١.

أما حديث أنس أن رجلا قال : "يا رسول الله أين أبي ؟ قال: في النار، فلما قضى دعاه فقال : إن أبي وأباك في النار"[١]، فيرى (كولن)أن هذا كان قبل إحياء الله تعالى والديه وإيمانهما له، ثم إنه لا دليل على أن أحد والديه - ﷺ- عبد الأصنام، فقد عاش في ذلك العهد موحدون كثر كانوا على دين إبراهيم- عليه السلام- وهم من أهل الفترة، فإن كان أهل الفترة ناجين فكيف يصح استثناء والدي الرسول(ﷺ)، فهل يمكن أن نتصور أنه سبحانه سيضيع والدي الرسول -ﷺ- ويدخلهما النار وهما أصله وسبب وجوده كما يقول كولن[٢].

ثالثا: الفترة في العصر الحديث:

ماذا يكون وضع من ولد في أحد البلدان الأجنبية ؟ هل يعد من أهل الفترة؟.

اعتبر (كولن) من ولد في أحد البلدان الأجنبية من أهل الفترة كمن عاشوا في الماضي فقال: "من سمع بالقرآن وشاهد نبوة رسولنا، ولم يحس بحاجة للبحث عن صحة هذه النبوة ولم يبذل أي جهد في هذا السبيل، مصيره هو النار ولكن الذين لم تتيسر لهم مثل هذه الفرصة ونشأوا في الظلام وبقوا في الظلام طوال حياتهم فإننا نأمل أن يستفيدوا من رحمة الله الواسعة، فلا يلاموا، ولا يؤاخذوا بشيء"[٣].

ويرى أن هذا الجيل الذى نشأ في ضلال الكفر والتيارات الضالة كالدراوينية ونظريات فرويد[٤]يرى أن اخراجهم عن حكم أهل الفترة يخالف مقتضى الرحمة الإلهية الواسعة الشامل[٥].

رابعا: مسئوليتنا تجاه أهل الفترة في العصر الحديث :

وهذا جانب أكد عليه (كولن) وأفرد له الكثير، ويمكن تلخيص رأيه في عدة نقاط:

أولا : إن المسلمين الأوائل قاموا بواجب الدعوة خير قيام إلى جميع أنحاء العالم - وأناروا القلوب بنور الإسلام- من مضيق جبل طارق إلى بحيرة (آرال)، ومن الأناضول إلى سد

١- أخرجه مسلم ينظر: صحيح مسلم، باب بيان أن من مات على الكفر فهو في النار ولا تناله شفاعة ولا تنفعه قرابة المقربين(ج ١ ص ١٩١رقم: ٢٠٣).

٢- ينظر: نحو عقيدة صحيحة ص ١٨٢.

٣- الرد على شبهات العصر ص ١٩٧.

٤- نظريات فرويد : مدرسة في التحليل النفسي أسسها اليهودي سيجموند فرويد، وهناك أسس ثلاثة ترتكز عليها هذه المدرسة، وهي: الجنس والطفولة والكبت، وهذه المدرسة تفسر السلوك الإنساني تفسيرا جنسيا، وتجعل الجنس هو الدافع وراء كل شيء، كما أنها تعتبر القيم والعقائد حواجز وعوائق تقف أمام الإشباع الجنسي مما يورث عقدا وأمراضا نفسية، وعمل فرويد على تطبيق مبدأين هما: اللذة والواقع، فالإنسان يتجه بطبيعته نحو اللذة العاجلة المباشرة لكنه يواجه بحقائق الطبيعة المحيطة فيتجنبها لما تسببه من ألم أكبر أو يؤجل تحقيقها. ينظر: الندوة العالمية للشباب الإسلامي: الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة المجلد الثاني، ص ٨٣٢- ٨٧٣.

٥- ينظر: كولن: نحو عقيدة صحيحة ص ١٨٥.

الصين، أما نحن فقد قصرنا في هذا الواجب، فإذا كانت هناك شعوب تعيش في ظلام الكفر والضلال، فبسبب فشلنا وكسلنا، فإن وجه إليهم سؤال يوم القيامة فسيوجه إلينا أيضا سؤال[١].

ثانيا : إن تمثيلنا نحن ودورنا في العالم لا يحمل على القبول بديننا، نحن تابعين للغرب في كل شيء لم نبنِ مدنية أو حضارة تجبره على احترامنا، وقد مثل (كولن) لذلك بقوله: "لو جاءكم أحد بمبادئ ورسالة سامية جدا بل لو فتح السماء على مصراعيها وأراكم الطرق المؤدية إلى الجنة فهل تدخلون في دين هذا الشخص إن كان يعمل لديكم خادما، ويقوم بأداء أحقر الأعمال في نظركم ؟ لاشك أنكم لن تكونوا تابعين لخادمكم ولن تسيروا خلف من ترونه متسولا عندكم"[٢].

وكذا الغرب لن يسير وراء أهل الإسلام طالما رآهم متسولين دائما على عتباته يستوردون ولا ينتجون، يقلدون ولا يبدعون، ينبهرون بمادية الغرب وفلسفته ولا يعتزون بدينهم وقيمهم الذاتية.

تعقيب:

من دراستنا لمعرفة الله تعالى وطريق إثباتها عند (كولن) يتبين الآتي:

أولا: جعل (كولن) للوجدان والفطرة أهمية كبيرة في الوصول إلى الله وفي الاستدلال على وجود الله ومعرفته، ونبه الجميع إلى العناية بهذا الجانب.

ثانيا: عندما تكلم على الميثاق صاغ المسألة بشكل علمي، وبأمثلة توضيحية لتصل إلى أفهام المكلفين في هذا العصر.

ثالثا: يولى (كولن) النظر والتفكر في الكون عناية كبيرة؛ كونه يقود الإنسان إلى معرفة الله (تعالى).

رابعا: لم يقطع برأي في طريق إثبات المعرفة فمرة يكون مع الأشاعرة بأن أصل معرفة الله تكون من الوحي، ومرات مع الماتريدية في أن معرفة الله واجبة بالعقل.

خامسا: واضح من عرضه لكلام المتكلمين في المعرفة هضمه لآرائهم جميعا؛ ومن ثم صاغها بشكل أيسر وأوضح لتناسب العصر .

سادسا: في مسألة أهل الفترة كلامه غير واضح، فمرة يقترب من الأشاعرة، وأخرى يولي وجهه شطر موقف وسط بين الأشاعرة والماتريدية .

سابعا: استخرج فرعا جديدا من هذه المسألة، وهو هل ينطبق أهل الفترة في العصر الحديث على الأجانب الذين نشأوا ويعيشون في البلدان الأجنبية، وهو أمر جديد ومهم إذا أردنا أن ننشئ علم كلام جديدا يهتم بمستجدات العصر .

١- ينظر: كولن: الرد على شبهات العصر ص ٥٠٠- ٥٠٢.

٢- الرد على شبهات العصر ص ٢٠٥.

ثامنا: نظرا لتركيزه دائما على الأبعاد التربوية من وراء مسائل العقيدة

فقد استفاض في ذكر مسئوليتنا عن نشر الإسلام في العالم، وإيصال نوره إلى هؤلاء البشر كما فعل أجدادنا .
تاسعا: أكد (كولن) على أن أهم سبيل لقبول الغرب وإقباله علينا، وعلى ديننا هو أن نتقدم نحن حضاريا، ونصير أقوى في مجالات الحضارة المادية كما الروحية؛ لأن القوى لا يعترف إلا بالقوى.

عاشرا: يحاول (كولن) أن يربط المفهوم النظري للعقيدة بغاية عملية فمثلا: هنا يرى أن معرفة الله لكي تثمر فلابد أن يتبعها عمل يقول:" إنكم إن أبقيتم الأدلة التي تسوقونها حول معرفة الله تعالى مجرد معلومات نظرية، ولم تدعموها بالعمل؛ فإن هذا قد لا يكفي لحماية الإيمان والإسلام وأسسه الخاصة. أجل، إن الريح قد تعصف بكل أنواع المعلومات والأدلة النظرية وتنسفها نسفا، ومن ثم فإنه يلزم تطبيق المعلومات النظرية وتفعيلها على أساس قاعدة العمل"[١].

إذن هذا كان رأي (فتح الله كولن) في معرفة الله تعالى بقي أن نعرف أدلة وجود الله عنده وهذا ما سيكون عليه محور الحديث القادم- إن شاء الله-.

المطلب الثاني: الاستدلال على وجود الله تعالى:

المسألة الأولى: أدلة وجود الله في الفكر الإسلامي:

١- مقال تكامل الطبيعة الإنسانية والإسلام بتاريخ ٢٠١٥/٥/٧م موقع herkul.

تعد مسألة الاستدلال على وجود الله هي المسألة الرئيسة التي كانت ومازالت محور فكر جميع علماء المسلمين (الصوفية، والمتكلمين، والفلاسفة)؛ ولذلك يوجد أربعة اتجاهات في الفكر الإسلامي للاستدلال على وجود الله تعالى، وهي ما بين نقلية، وعقلية، وصوفية، وفطرية،[١]وبيانها على الوجه التالي:

أولا: الاتجاه النقلي :

وهي أدلة مستقاة من القرآن الكريم وقد قال بها بعض المتكلمين مع اعتدادهم بالأدلة العقلية كالإمام (الرازي) الذي استدل من خلال الإتقان والإحكام المشاهدين في السماوات والأرضين، وتركيب بدن الإنسان وما فيه من المنافع والبدائع على وجود مدبر حكيم عالم[٢] .

وكذا بعض الفلاسفة مثل: (ابن رشد)[٣]الذي انتقد الأدلة العقلية كالإمكان واعتمد أدلة القرآن الكريم كدليل العناية والاختراع .

وجميع المحدثين ذهبوا إلى هذه الأدلة واعتمدوا عليها مثل (النورسي) و(جمال الدين القاسمي)[٤].

١- ينظر: أ.د/ حسن الشافعي: الآمدي وآراؤه الكلامية ص ١٧٦ -١٨١ دار السلام للطباعة والنشر، ط: الأولى ١٤١٨هـ- ١٩٩٨م.

٢- ينظر: للإمام فخر الدين الرازي: المباحث المشرقية في علم الإلهيات والطبيعيات ج ٢ ص ٤٥١ ط: الأولى، مطبعة مجلس دائرة المعارف- حيدر آباد.

٣- ابْنُ رُشْدٍ الحَفِيْدُ(٥٢٠- ٥٩٥هـ / ١١٢٦- ١١٩٨م) محمد بن أحمد بن محمد القرطبي الفيلسوف أَبُو الوَلِيْدِ. عرض (المُوَطَّأ) عَلَى أَبِيْهِ، وبرع في الفقه، وَالطِّب، والمنطق، والرياضيات، وَمَال إِلَى عُلُوْم الحكمَاء، فَكَانَتْ لَهُ فِيْهَا الإِمَامَة، وكان يفزع إلى فتياه في الطب، كَمَا يفزع إلى فتياه في الفقه، مع وفور العربية، وَوَلِيَ قَضَاءَ قُرْطُبَة، فَحُمِدَت سيرَته. وله من التصانيف: (بدَايَة المُجْتَهِد) فِي الفِقْه، وَ (الكُلِّيَّات) فِي الطِّب، وَ (مُخْتَصَر المُسْتصفَى) فِي الأُصُوْل، (تَهَافت التَّهَافت) (مَنَاهج الأَدِلَّة)، وَ (فَصل المَقَالِ، فِيمَا بَيْنَ الشرِيعَة وَالحِكْمَة مِنَ الاتصَال) ، (شرح القيَاس) لأَرِسْطُو، وَمَات محبوساً بدَاره بِمَرَّاكش بسبب أقوال ردية رفعت عنه إلى الخليفة يعقوب، سنة ٥٩٤ أو ٥٩٥هـ . ينظر: شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قَايْماز الذهبي (المتوفى : ٧٤٨هـ) : سير أعلام النبلاء ج ٢١ ص ٣٠٧- ٣. تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام ١٠٣٩/١٢ المحقق: الدكتور بشار عوّاد معروف، الناشر: دار الغرب الإسلامي الطبعة: الأولى، ٢٠٠٣ م. وينظر: عمر بن رضا كحالة(١٤٠٨هـ): معجم المؤلفين ص ٨/ ٣١٣، الناشر: مكتبة المثنى - بيروت، دار إحياء التراث العربي- بيروت.

٤- جمال الدين القاسمي (١٢٨٣- ١٣٣٢هـ- ١٨٦٦- ١٩١٤م): محمد جمال الدين أبو الفرج بن محمد بن سعيد بن قاسم الحلاق المعروف بالقاسمي. من سلالة الحسين السبط، عالم مشارك في أنواع العلوم، إمام الشام في عصره علما بالدين وتضلعا من فنون الأدب، مولده ووفاته في دمشق. ونشأ وتعلم بها. حفظ القرآن، ثم تعلم مبادئ التوحيد، والنحو، والصرف، والمنطق، والبيان، وأجازه كثير من علماء عصره، ثم درس أمهات الكتب، وقد أظهر نبوغا فائقا أهله لإقراء الطلاب مبادئ العلوم وله من العمر أربعة عشر عاما، وتابع الحركة العلمية في جميع نواحيها إلى جانب علوم الدين، واللغة، والأدب، والفلسفة، والرياضيات، والفرق والديانات. من مؤلفاته: دلائل التوحيد- موعظة المؤمنين(اختصار لإحياء علوم الدين)- محاسن التأويل في تفسير القرآن الكريم(١٧ مجلدا). ونشر بحوثا كثيرة في المجلات والصحف. ينظر: أبو سهل محمد بن أحمد بن عبد الرحمن المغراوي:= =موسوعة مواقف السلف في العقيدة والمنهج والتربية ج ٩ ص ١٨٦، المكتبة الإسلامية للنشر- القاهرة- مصر، النبلاء للكتاب- مراكش- المغرب، ط: الأولى، ينظر: أ د/ محمود حمدي زقزوق: موسوعة أعلام الفكر الإسلامي (٣) سلسلة الموسوعات الإسلامية المتخصصة ص ٢٢٦- ٢٢٩، وزارة الأوقاف المجلس الأعلى للشئون الإسلامية - القاهرة ٢٠١٤م.

ثانيا: الاتجاه العقلي:

وكان هذا الاتجاه هو الذي سار فيه المتكلمون والفلاسفة، وكانت أدلتهم تدور حول إبطال الدور والتسلسل وأبرزها دليلا الحدوث والإمكان .

الأول كان العمدة في استدلال قدامى المتكلمين، ثم لما هاجم الفلاسفة هذا الدليل استبدلوا به دليل الإمكان كالفلاسفة، يقول الدكتور (حسن الشافعي):" فنحن نستطيع القول بأن المتكلمين بدأوا بالاعتماد على فكرة الحدوث وحدها، ثم مالوا إلى الجمع بينها وبين فكرة الإمكان، ثم آثروا الاعتماد على الأخيرة كما نجده عند الجويني[١]"[٢].

١- دليل الحدوث :

وهو المشهور عند المتكلمين من المعتزلة، والأشاعرة، والماتريدية[٣].

ويقوم هذا الدليل إما على حدوث الجواهر وتقريره أن العالم الجوهري(المتحيز بالذات) حادث، وكل حادث فله محدث، أو حدوث الأعراض في الآفاق مثل: تغير أحوال الأفلاك، والعناصر، والحيوان، والنبات، أو في الأنفس مثل: انقلاب النطفة علقة، فمضغة، ثم لحما، ثم دما، فلا بد لهذه الأحوال من مؤثر صانع حكيم[٤].

وقد استدل المعتزلة بأفعاله تعالى، وهي الحوادث الموجودة من جواهر وأعراض على معرفة الله تعالى، وإثبات ذاته تعالى، وإثبات صفاته أيضا.

١- الإمام العلامة أبو المعالي عبد الملك بن عبد الله بن يوسف بن محمد بن عبد الله إمام الحرمين ابن الشيخ أبي محمد الجُوَيْني الشَّافعي النيسابوري المتوفى بها سنة ثمان وسبعين وأربعمائة، عن ستين سنة. كان أصوليًا، متكلمًا، أديبًا، محقّقًا، نظّارًا. رئيس الشافعية بنيسابور تفقّه على والده وكان والده يُعجب به ويسرُّ، وجدّ واجتهد في المذهب والخلاف والأصلين، ولما توفي أبوه وسِنّه دون العشرين أُقعد مكانه للتدريس، ثم حَصَّل الأصول على الإمام أبي القاسم الإسكاف، خرج إلى بغداد ولقي الأكابر وحَجّ وجاور بمكة أربع سنين، يدرّس ويُفتي، فلقب بإمام الحَرمين، ثم عاد إلى نيسابور بعد ولاية السلطان ألب أرسلان، ودرّس بالنظامية في بلده قريبًا من ثلاثين سنة، وصنّف كتبًا، منها: "نهاية المطلب" و"الشامل" و"البرهان" و"الإرشاد" و"التحفة" و"الغنية" و"غياث الأمم" و"تدارك العقول" و "الرسالة النظامية" و"الأحكام الإسلامية". ينظر: أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي (المتوفى: ٧٧٤هـ): طبقات الشافعيين ص ١/، ٤٦٦تحقيق: د/ أحمد عمر هاشم، د/ محمد زينهم محمد عزب، الناشر: مكتبة الثقافة الدينية١٤١٣ هـ - ١٩٩٣ م. وينظر: مصطفى بن عبد الله القسطنطيني العثماني المعروف بـ «كاتب جلبي» وبـ «حاجي خليفة» (المتوفى ١٠٦٧ هـ): سلم الوصول إلى طبقات الفحول ج ٢ ص ٣٠٥، المحقق: محمود عبد القادر الأرناؤوط، إشراف وتقديم: أكمل الدين إحسان أوغلي، تدقيق: صالح سعداوي صالح، إعداد الفهارس: صلاح الدين أويغور، الناشر: مكتبة إرسيكا، إستانبول - تركيا ٢٠١٠ م.

٢- أ .د/ حسن الشافعي: الآمدي وآراؤه الكلامية ص ١٨٧.

٣- ينظر: عبد الجبار بن أحمد : المجموع في المحيط بالتكاليف وهومن جمع الشيخ الإمام أبي محمد الحسن بن أحمد ابن عطية النجراتي ج ١ ص ،٩٩عني بتصحيحه ونشره: الب جين يوسف هو بن اليسوعي، المطبعة الكاثوليكية - بيروت. الغزالي: الاقتصاد في الاعتقاد ص ١٩ دار الكتب العلمية بيروت- لبنان، ط: الأولى ١٤٠٣هـ-١٩٨٣م.وأبو منصور الماتريدي: كتاب التوحيد ص ١٧ .

٤- ينظر: الجرجاني: شرح المواقف المجلد الرابع ص ٣.

يقول القاضي عبد الجبار: "فإن أردت أن تستدل بما هو أولى في الاستدلال فهو أن تعلم حدوث الأجسام، وتتوصل به إلى إثبات المحدث له"[١].

٢- دليل الإمكان :

وقد قسمه المتكلمون إلى إمكان الجواهر وتقريره العالم الجوهري ممكن؛ لأنه مركب وكل ممكن فله علة مؤثرة، وإمكان الأعراض: "أن الأجسام متماثلة فاختصاص كل من الأجسام بما له من الصفات جائز فلابد في التخصيص من مخصص له"[٢].

فمدبر العالم واجب الوجود وإلا كان ممكنا فيحتاج إلى مؤثر ويلزم إما الدور أو التسلسل، وكلاهما باطل فتعين الأول[٣].

أما الفلاسفة فقد انتقدوا الحدوث، وكان أبرزهم (الفارابي) [٤] و(ابن سينا)[٥] واتجها إلى دليل الممكن والواجب وهو المشهور عندهم في الاستدلال على وجود الله .

يقول ابن سينا:" لا شك أن ههنا وجودا وكل وجود فإما واجب وإما ممكن فإن كان واجبا فقد صح وجود الواجب، وهو المطلوب وإن كان ممكنا فإنا نوضح أن الممكن ينتهي وجوده إلى واجب الوجود ...إنه لا يمكن أن يكون في زمان واحد لكل ممكن الذات علل ممكنة الذات بلا نهاية"[٦].

١- القاضي/عبد الجبار بن أحمد: كتاب المجموع في المحيط بالتكاليف وهومن جمع الشيخ الإمام أبي محمد الحسن بن أحمد ابن عطية النجراتي ج ١ ص ٢٨، ٩٩.

٢- الجرجاني: شرح المواقف المجلد الرابع ص٥، ٦.

٣- ينظر: الجرجاني: شرح المواقف المجلد الرابع ص٥، ٦.

٤- الفارابي الفيلسوف: أبو نصر محمد بن محمد بن طرخان بن أوزلغ الفارابي التركي الحكيم المشهور، صاحب التصانيف في المنطق، والموسيقى، وغيرهما من العلوم، وهو أكبر فلاسفة المسلمين، واستفاد ابن سينا من كلامه وكتبه، وكان يعرف اللسان التركي وعدة لغات ، وقيل: كان يعرف سبعين لسانا، ثم اشتغل بعلوم الحكمة، وبرز فيها. من كتبه: مَقَالَة فِي إِثْبَاتِ الكيمِيَاء- السياسة المدنية ، توفي بدمشق سَنَةَ ٣٣٩هـ عَنْ نَحْوٍ مِنْ ثَمَانِيْنَ سَنَةً، وَصَلَّى عَلَيْهِ الملكُ سَيْفُ الدُّوْلَة بنُ حَمْدَان. ينظر : أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن إبراهيم بن أبي بكر ابن خلكان البرمكي الإربلي (المتوفى: ٦٨١هـ): وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان ج ٥ ص ١٥٣المحقق: إحسان عباس الناشر: دار صادر – بيروت، ط: الأولى ١٩٩٤م. وينظر: الذهبي: سير أعلام النبلاء ج ١٥ ص ٤١٨.

٥- ابن سينا: الرئيس أبو علي الحسين بن عبد الله بن سينا الحكيم المشهور، أحد فلاسفة المسلمين ولد ٣٧٠هـ وتوفي بهمذان ٤٢٨هـ؛ كان أبوه من أهل بلخ، وانتقل منها إلى بخارى، وتنقل الرئيس بعد ذلك في البلاد، واشتغل بالعلوم وحصل الفنون، ولما بلغ عشر سنين من عمره كان قد أتقن علم القرآن العزيز، والأدب ، وحفظ أشياء من أصول الدين، وحساب الهندسة، والجبر والمقابلة، كان نادرة عصره في علمه وذكائه وتصانيفه، وصنف كتاب " الشفاء " في الحكمة، و " النجاة " و " الإشارات " و " القانون " وغير ذلك مما يقارب مائة مصنف ما بين مطول ومختصر ورسالة في فنون شتى، وله عدة رسائل منها: رسالة " سلامان وأبسال "ورسالة " الطير " وغيرها، وانتفع الناس بكتبه. وكانت حياته حافلة بالأحداث لاتصاله بخدمة الحكام والسلاطين وتقلده الوزارة. ينظر: ابن خلكان: وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان ج ٢ ص ١٦١.د/ عبد الرحمن بدوي: موسوعة الفلسفة ج ١ ص ٤٠.

٦- ابن سينا: النجاة ص ١٣٤،١٣٥.

وعلى الرغم من اعتراض البعض على دليل الإمكان فقد استمر حتى اليوم في مؤلفات علم الكلام الحديثة، واعتمده عدد من المحدثين كالشيخ محمد عبده، والشيخ (مصطفى صبري)[١] [٢].

يقول الشيخ (محمد عبده):" فجملة الممكنات الموجودة محتاجة بتمامها إلى موجد لها فإما أن يكون عينها وهو محال لاستلزامه تقدم الشيء على نفسه، وإما أن يكون جزأها وهو محال لاستلزامه أن يكون الشيء سببا لنفسه ولما سبقه إن لم يكن الأول ولنفسه فقط إن فرض أول وبطلانه ظاهر، فوجب أن يكون السبب وراء جملة الممكنات الموجود الذي ليس بممكن هو الواجب إذ ليس وراء الممكن إلا المستحيل، والواجب والمستحيل لا يوجد فيبقى الواجب، فثبت أن للممكنات الموجودة موجدا واجب الوجود"[٣].

ويقول الشيخ مصطفى صبري: "أما أنه لابد في الموجودات من وجود موجود واجب الوجود فنحن نحكم به موقنين من دون أن نراه، مستدلين على وجوده من وجود الموجودات الممكنة الوجود التي نراها ونشاهدها، والتي لا يتسنى لها أن توجد لولا وجود ذلك الموجود الواجب الوجود"[٤].

وفي موضع آخر يؤكد أن العلة هي حدوث الممكن بقوله: "فلننظر لماذا يحتاج المحتاج إلى العلة، فالممكن يشمل الموجود والمعدوم وهو ما دام معدوما لا يحتاج إلى العلة وإنما حاجته إليها ليكون موجودا وليدوم له الوجود مدة دوامه فمنشأ الحاجة إذن اتصاف الممكن بالوجود ابتداء وبقاء...فالمحوج هو حدوث الممكن لا إمكانه"[٥].

ثالثا: الاتجاه الصوفي:

١- مصطفى صبري: (١٢٨٦ - ١٣٧٣ هـ = ١٨٦٩ - ١٩٥٤ م) من علماء الحنفية. فقيه باحث. تركي الأصل والمولد والمنشأ. ولد في (توقات)، وتعلم بقيصرية (في الأناضول)، وعين مدرسا في جامع محمد الفاتح، باستانبول، وهو في الثانية والعشرين من عمره. ثم تولى مشيخة الإسلام في الدولة العثمانية. وقاوم الحركة (الكمالية) بعد الحرب العالمية الأولى. وهاجر إلى مصر، بأسرته (سنة ١٩٢٢) فألف كتبا بالعربية، منها: (موقف العقل والعلم والعالم من رب العالمين وعباده المرسلين)،و (موقف البشر تحت سلطان القدر)، و (النكير على منكري النعمة في الدين والخلافة والأمة)، و (مسألة ترجمة القرآن)، و (القول الفصل بين الذين يؤمنون بالغيب والذين لا يؤمنون)، وله مؤلفات بالتركية طبع بعضها. ووفاته بالقاهرة. ينظر: الزركلي : الأعلام ج ٧ ص ٢٣٦. ينظر: عمر بن رضا بن محمد راغب بن عبد الغني كحالة الدمشقي (المتوفى: ١٤٠٨هـ) معجم المؤلفين ص ٢٥٨/١٢.

٢- ينظر: دكتور أحمد محمد سالم: تجديد علم الكلام قراءة في فكر بديع الزمام سعيد النورسي ص ٢٤٢.

٣- الإمام محمد عبده: رسالة التوحيد ص٣١، تحقيق: د/ محمد عمارة، دار الشروق، ط: الأولى ١٤١٤هـ- ١٩٩٤م.

٤- الشيخ مصطفى صبري: موقف العقل والعلم والعالم من رب العالمين وعباده المرسلين ج ٢ ص ٤، دار إحياء التراث العربي- بيروت- لبنان، ط: الثانية ١٤٠١هـ - ١٩٨١م.

٥- مصطفى صبري: موقف العقل والعلم والعالم من رب العالمين وعباده المرسلين ج ٣ ص ٣٢٧.

ويرى أصحابه أن الله تعالى لا يحتاج إلى دليل، بل هو دليل على كل شيء، فقد "أجمعوا على أن الدليل على الله هو الله وحده، وسبيل العقل عندهم سبيل العاقل في حاجته إلى الدليل؛ لأنه محدثٌ، والمحدث لا يدل إلا على مثله"[١].

رابعا: الاتجاه الفطري:

إن الفطرة أقوى دليل على وجود الله، والوجدان أقصر سبيل إليه تعالى، وهذا الدليل قال به قديما وحديثا عدد من المتكلمين، والفلاسفة مثل: (الغزالي)[٢]، و(محمد عبده)[٣]، و(القاسمي)، و(النورسي).

وكان كذلك عمدة استدلال السلف على وجود الله تعالى، يقول (ابن تيمية)[٤] في رده على المخالفين له من المتكلمين: "هذا التناقض في إثبات هذا الموجود الذي ليس بخارج العالم، ولا هو العالم الذي ترده فطرهم وشهودهم وعقولهم غير ما في الفطرة من الإقرار بصانع فوق العالم فإن هذا إقرار الفطرة بالحق المعروف وذاك إقرار الفطرة بالباطل المنكر"[٥].

المنكر"[٥].

ورغم انتقاده طريق المتكلمين، فإنه قد استخدم الدليل العقلي في نفس القضية أيضا، فيقول ابن تيمية: "قد علم بضرورة الفعل أنه لابد من موجود قديم غني عما سواه؛ إذ نحن نشاهد حدوث المحدثات كالحيوان، والمعدن، والنبات، والحادث ممكن ليس بواجب ولا

١- أبو بكر محمد الكلاباذي : التعرف لمذهب أهل التصوف ص ٧٨، تحقيق: محمود أحمد النواوي، ط: الثانية ١٤٠٠هـ - ١٩٨٠م مكتبة الكليات الأزهرية .

٢- ينظر: الإمام أبو حامد الغزالي: إحياء علوم الدين ج ١ ص ١٥٦، تحقيق: الشحات الطحان- عبد الله المنشاوي، مكتبة الإيمان- المنصورة، ط: الأولى ١٤١٧هـ - ١٩٩٦م.

٣- ينظر: الإمام محمد عبده: تفسير قوله "فذكر إنما أنت مذكر "من سورة الغاشية تفسير سورة الفاتحة وجزء عم ص ٧٥ تقديم: د/ مصطفى لبيب عبد الغني، سلسلة الذخائر ١٦٢، الهيئة العامة لقصور الثقافة- القاهرة ٢٠٠٧م.

٤- ابن تَيْمِيَّة (٦٦١وقيل ٦٦٦ - ٧٢٨ هـ وقيل ٧٢٧ = ١٢٦٣ - ١٣٢٨ م): أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام ابن عبد الله بن أبي القاسم الخضر النميري الحراني الدمشقيّ الحنبلي، أبو العباس، تقي الدين ابن تيمية: الفقيه، الإمام، الزاهد، شيخ الإسلام. ولد في حران وتحول به أبوه إلى دمشق فنبغ واشتهر. وطلب إلى مصر من أجل فتوى أفتى بها، فقصدها، فتعصب عليه جماعة من أهلها فسجن مدة، ونقل إلى الإسكندرية. ثم أطلق فسافر إلى دمشق سنة ٧١٢ هـ واعتقل بها سنة ٧٢٠ وأطلق، ثم أعيد، ومات معتقلا بقلعة دمشق. كان كثير البحث في فنون الحكمة، داعية إصلاح في الدين، وكان واسع المعرفة بالتفسير والحديث والفقه والأصول والعربية وغير ذلك موصوفا بالاجتهاد، أفتى ودرّس وهو دون العشرين. أما تصانيفه فكثيرة منها: (السياسة الشرعية)، و (الفتاوى)، و (الإيمان)، و (منهاج السنة)، و(الواسطة بين الحق والخلق)، و(رفع الملام عن الأئمة الأعلام)، و (شرح العقيدة الأصفهانية)، و(مجموعة الرسائل والمسائل). ينظر: زين الدين عبد الرحمن بن أحمد بن رجب بن الحسن، السَلامي، البغدادي، ثم الدمشقي، الحنبلي (المتوفى: ٧٩٥هـ): ذيل طبقات الحنابلة ص ٤٧٨/٤المحقق: د عبد الرحمن بن سليمان العثيمين، الناشر: مكتبة العبيكان - الرياض، الطبعة: الأولى، ١٤٢٥ هـ - ٢٠٠٥ م، ينظر: محمد بن أحمد بن علي، تقي الدين، أبو الطيب المكي الحسني الفاسي(المتوفى: ٨٣٢هـ): ذيل التقييد في رواة السنن والأسانيد ص ٣٢٦/١المحقق: كمال يوسف الحوت، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، الطبعة:الأولى،١٤١٠ هـ/١٩٩٠م، وينظر: الزركلي: الأعلام ج ١ ص ١٤٤.

٥- شيخ الإسلام ابن تيمية : نقض المنطق ص ٥١، حقق الأصل وصححه: الشيخ محمد عبد الرازق حمزة والشيخ سليمان بن عبد الرحمن الصنيع، صححه: محمد حامد الفقي، مكتبة السنة المحمدية.

ممتنع، وقد علم بالاضطرار أن المحدث لابد له من محدث، والممكن لابد له من موجد"[١].

وأيضا استدل (ابن قيم الجوزية)[٢] بدليل الفطرة، فيقول بعد استدلاله بقوله:

﴿ فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا ۚ فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِي فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا ۚ لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ ٱللَّهِ ۚ ﴾ [٣] وقوله: "كل مولود يولد على الفطرة فأبواه يهودانه وينصرانه ويمجسانه"[٤] يقول : "فالقلوب مفطورة على حب إلهها وفاطرها وتأليهه، فصرف ذلك التأليه والمحبة إلى غيره تغيير للفطرة، ولما تغيرت فطر الناس بعث الله الرسل بصلاحها، وردها إلى حالتها التي خلقت عليها، فمن استجاب لهم رجع إلى أصل الفطرة، ومن لم يستجب لهم استمر على تغيير الفطرة وفسادها"[٥] .

المسألة الثانية: أدلة وجود الله عند كولن:

أكد (كولن) أدلة المتكلمين العقلية بأن الأسباب لا يمكن أن تتسلسل إلى ما لانهاية، وسعيهم لإثبات وجود مسبب الأسباب[٦].

فيرى (كولن) إن القول بأن هذا نتج عن هذا، وهذا عن ذاك مثل هذا التسلسل لا يحل المشكلة؛ لأن من الخطأ الظن باستمرار هذه السلسلة إلى اللانهاية، مثل سفسطة البيضة

١- شيخ الإسلام ابن تيمية: الرسالة التدمرية في التوحيد والأسماء والصفات والقضاء والقدر ص ٥ مكتبة التراث الإسلامي- القاهرة. .

٢- ابن قيم الجوزية: شمس الدين محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد الزرعي الفقيه الحنبلي الأصولي المحدث الواعظ الخطيب، المفسر النحوي، العارف، ولد بدمشق ٦٩١هـ، وتفقه فِي المذهب، وبرع وأفتى، ولازم الشيخ تقي الدين وأخذ عَنْهُ. وتفنن فِي علوم الإسلام. وَكَانَ عارفا بالتفسير، وبأصول الدين، والحَدِيث ومعانيه وفقهه، وبالفقه وأصوله، وبالعربية، وكان شجاعا واسع المعرفة عالما بالخلاف و مذاهب السلف كان يميل أول أمره إلى التصوف ثم اشتغل بالقرآن والحديث وعلومهما لقى في سبيل حرية الرأي والجهر بالحق ما لاقى شيخه ابن تيمية اعتقل معه في القلعة وكذلك بعد وفاة ابن تيمية، توفي بدمشق ٧٥١هـ، من مؤلفاته: حادي الأرواح إلى بلاد الأفراح- زاد المعاد في خير هدي العباد- إعلام الموقعين عن رب العالمين. ينظر: زين الدين عبد الرحمن بن أحمد بن رجب بن الحسن، السَلامي، البغدادي، ثم الدمشقي، الحنبلي: ذيل طبقات الحنابلة ج ٥ ص ١٧١، ينظر: أ د/ علي جمعة محمد : موسوعة أعلام الفكر الإسلامي ص ٨٤٥- ٨٤٦.
٣- سورة الروم الآية: ٣٠.

٤- أخرجه البخاري ومسلم. ينظر: صحيح البخاري، باب (من انتظر حتى تدفن)، كتاب الجمعة ج ٢ ص رقم(١٣٨٥)، صحيح مسلم باب (معنى كل مولود يولد على الفطرة وحكم موت أطفال الكفار)، كتاب القدر ج ٤ ص ٢٠٤٧ رقم(٢٦٥٨).

٥- الإمام ابن قيم الجوزية: إغاثة اللهفان من مصايد الشيطان ص ٤٦١، تحقيق وتعليق: مجدي فتحي السيد، دار الحديث- القاهرة ١٤٢٥هـ - ٢٠٠٤م.

٦- ينظر: فتح الله كولن: أسئلة العصر المحيرة ص ١٧ ترجمة: أورخان محمد علي، دار النيل، ط: الرابعة.

من الدجاجة والدجاجة من البيضة، فستظل معلقة حتى نسندها في النهاية إلى الموجود الأزلي ذي القدرة اللانهائية.

وهو بقوله هذا قد تابع سائر المتكلمين في إبطال الدور والتسلسل ولكنه:

أولا: توسع في ذلك بالشرح بأمثلة واقعية يتسنى للجميع فهمها مثل قوله: إن اخضرار وجه الأرض بالنباتات مرتبط بوجود الهواء والماء والشمس، وأن وجود الهواء والماء والشمس مرتبط بوجود بعض الأجزاء المادية مثل: الأوكسجين والهيدروجين والكربون والنتروجين، ووجود هذه الأجزاء المادية مرتبط بوجود جزئيات أصغر، وهذه الجزئيات الصغيرة مرتبط بجزئيات أصغر، و الظن باستمرار هذا التسلسل إلى اللانهاية، واحتمال ظهور الأشياء عن هذا الطريق مغالطة وانخداع كما يرى كولن[١].

ثانيا: لو فرضنا المستحيل وقبلنا بتأثير الأسباب؛ فإن القانون الفيزيائي القاضي ب"تناسب العلة" يوجب وجود تناسب معقول بين السبب والنتيجة؛ لذا يجب التفتيش عن أسباب معقولة، وذات قوة وقدرة كافية تكون وراء ظواهر عديدة بدءا من تحول الكرة الأرضية إلى بيئة، ووسط صالح لظهور الحياة واستمرارها، وانتهاء إلى وجود هذا الإنسان المفكر العاقل، ولا يمكن عزو هذه الأشياء وإرجاعها إلى الأسباب العمياء والصماء، أو إلى المصادفات العشوائية.

ثالثا: إن الأزل ليس نهاية الزمان الماضي، إنه لا زمان، فلو بلغت الأزمان (كاتريليون x كاتريليون)[٢] سنة لما بلغ عشر معشار الأزل .بينما يعرف الجميع تقريبا الآن بأن المادة التي هي أساس تسلسل الأسباب لها بداية معينة، فحركات الالكترونيات، وأسرار فيزياء نواة الذرة، والعمليات الغامضة التي تجري في الشمس، وتؤدي إلى إطلاق الإشعاعات، والقانون الثاني للديناميكا الحرارية (الثرموديناميك) [٣]، وهو القانون الشامل للكون يشير إلى أن لكل شيء نهاية وكل شيء له نهاية لابد أن تكون له بداية؛ لذا فإن أي شيء أسبغت عليه نعمة الوجود يشير إلى الخالق ويدل عليه.

إذن فالمادة، - وكل شيء نبع منها- سائرة إلى الفناء، والتغير، والتجزؤ، والخالق هو الأول والآخر كما يقول كولن.

١- ينظر: أسئلة العصر المحيرة ص ١٨.

٢- هل يقصد التريليون وهو مليون مليار(١٨ صفرا)، أو يقصد رقما أكبر منه، وأقربه للفظ المستخدم (الكريليون) وهو ٢٤ صفرا. معجم اللغة العربية المعاصرة مادة (ت ر ل ي و ن) ص ١٢٩١ رقم ٩٣٢. وشبكة تداول الإقتصادية www.tdwl.net .

٣- القانون الثاني للديناميكا الحرارية لنيوتن يشير إلى أن نظام هذا الكون يتجه نحو الانحلال وأنه يقترب من مرحلة تتساوى فيها درجة حرارة سائر مكوناته فعند حدوث تغيرات حرارية تنتقل الطاقة من الأجسام الحارة إلى الباردة لا العكس، فالكون يتجه إلى أن تتساوى فيه حرارة الأجسام وينضب معين الطاقة، إذن فهو ليس أزليا وإلا لنفدت طاقته منذ زمن بعيد ومن ثم فهذا يشير إلى أن للكون بداية وأنه وضع تبعا لتصميم ونظام. ينظر: نخبه من العلماء الأمريكيين بمناسبة السنة الدولية لطبيعيات الأرض: الله يتجلى في عصر العلم ص ٩٠ أشرف على تحريره: جون كلوفرمونسيما، ترجمة: د/ الدمرداش عبد المجيد سرحان، راجعه وعلق عليه د/ محمد جمال الفندي، دار القلم، بيروت- لبنان. وينظر: د: أحمد السيد رمضان: الإسلام وفلسفة العلم ص ٥٨٠ ، الدار الإسلامية للطباعة والنشر، ط: الأولى.

إذن أكد (كولن) أدلة المتكلمين وأدلى بدلوه في إبطال التسلسل بصورة أكثر بساطة متمشية مع روح العلم والعصر الحديث، بل ونص على حدوث العالم في ثنايا كلامه واعترف كذلك بدليل الإمكان، ولم ينكره رغم أنه رأى غيره أولى دلالة على وجود الله، فيقول: "والحقيقة أن علماء الكلام عندما حكموا عن طريق مفهوم "الدور والتسلسل" بنفي الأسباب وإسنادها إلى مسبب الأسباب - أي إلى الله تعالى- ذكروا أن كل شيء "ممكن الوجود" وأن كل الأسباب والعلل تستند إلى "واجب الوجود" ففتحوا بذلك منافذ إلى التوحيد غير أنه من الممكن الوصول إلى هذه النتيجة عن طريق أسلم، أجل، ففي كل أثر من آثار الخالق (ﷻ) نرى آياته؛ لذا فليس هناك دليل واحد بل آلاف الأدلة على وجوده"[١].

ولذا يعول كثيرا على النظر في الكون، فكل ما فيه من عوالم دليلٌ على وجود الله "فالوجود كله من بدئه إلى منتهاه ليس إلا آيات دالات على الحق تعالى وإشارات إليه وتعبير عنه "[٢].

وسأعرض أدلته وما انتهى إليه - وهي كلها تدخل تحت دلالة الأثر على المؤثر- رغم عدم ذكره لهذه الأدلة والآثار صراحة، فإنه يمكن استخلاصها من ثنايا كتاباته، وهي كالتالي:

١- دليل رجوع المتبدل إلى غير المتبدل:

هذا هو دليل الحدوث عند المتكلمين ولكن بلغة (كولن) العصرية حيث أقام دليله على التغير والتبدل والتحول المشاهد في الكون باستمرار، وكل هذا من أمارات الحدوث الذي لابد أن ينتهي إلى بارئ منزه عن التبدل والتغير، فيقول: " الكون متغير وعرضة للتبدل باستمرار؛ لذا نقول عن الكون إنه حادث أي إنه خلق فيما بعد، وأنه سائر نحو الاضمحلال، وهو يتحرك بشكل دائم ويتحلل ونقول إن منظم وبارئ هذا الكون المتحول مبرأ من التبدل والتغير، أي يمكن اطلاق اسم مبدأ رجوع المتبدل إلى غير المتبدل أي إن كل شيء متغير ومتبدل يدل ويشير إلى الذات القدس المبرأ من التبدل والتغير والتحول، وهو الله سبحانه وتعالى الواجب الوجود وهو منزه عن جميع العوارض الكونية والبشرية"[٣].

فهو لم يسم دليله بالحدوث، ولكنه يعترف، ويدلل على حدوث العالم كما رأينا طبقا لمبدأ التغير والتبدل، وقد اعتمد هذه الفكرة من قبل الإمام (الأشعري) في اللمع[٤]، والإمام (أبو منصور الماتريدي)[١]، وهناك من المحدثين من سمى دليله بهذا الاسم مثل القاسمي

١- كولن: أسئلة العصر المحيرة(١) ص٢٠-٢٢.

٢- كولن: أضواء قرآنية في سماء الوجدان: ترجمة أورخان محمد علي دار النيل ط الرابعة ١٤٣٠هـ- ٢٠٠٩م.

٣- أسئلة العصر المحيرة ص ١٢٧.

٤- فقد دلل الإمام الأشعري أن الإنسان لا يتحول من حال إلى أخرى بدون ناقل ولا مدبر وقال: "إن القطن لا يجوز أن يتحول غزلا مفتولا ثم ثوبا منسوجا بغير ناسج ولا صانع ولا مدبر". اللمع ص ١٨. صححه وقدم له وعلق عليه: د/ حموده غرابه مطبعة مصر ١٩٥٥م.

فقد سماه "أمارة التغير والتحول"[٢].

٢- خلق الإنسان :

تحدث (كولن) عن الإنسان كأحد الأدلة على وجود الله، فقال: "الأدلة على أن الإنسان مخلوق من قبل الله تعالى من الكثرة والقوة بحيث لا يمكن ردها، كما أن هذا يعد أيضا دليلا باهرا وظاهرا على وجود الله ...كما أن الماهية الذاتية[٣] للإنسان وعالمه الداخلي وقلبه وسره ولطائفه الأخرى التي لم تكتشف بعد تشير كلها إلى الله تعالى "[٤].

كما رفض (كولن) نظرية (دارون)[٥] وأتباعه من التطوريين في تطور الأنواع وأكد أن الإنسان خلق خلقا مستقلا من قبل الله، فقال: "ليس الإنسان نتيجة تطور ما، بل خلق كنوع خاص وبشكل مستقل، ولم يظهر نتيجة ترقيه وتطوره من نوع إلى آخر، ولم يكتسب صفاته نتيجة سلسلة من عمليات التطور، ولا نتيجة الانتخاب الطبيعي، بل خلق كنوع إنساني من قبل الله تعالى، وخلقه معجزة مثل خلق عيسى - عليه السلام- وليس من الممكن إيضاح هذه المعجزة من زاوية الأسباب"[٦].

وهذا الدليل يمكن ضمه مع الحدوث؛ لأنه فرع من حدوث العالم، فقد استدل الأشعري سابقا على حدوث العالم من خلال حدوث الإنسان،[٧]فقال في جوابه عن سؤال: ما الدليل على أن للخلق صانعا؟: " الدليل على ذلك أن الإنسان الذي هو غاية الكمال والتمام كان

١- يقول الإمام أبو منصورالماتريدي: "لو جاز أن يكون العالم يبدأ من قبل نفسه بمرة لجاز أن يذهب كله بمرة فإذا لم يكن بل كان على اختلاف حتى لم يكن تختلف عليه الأحوال إلا بالأغيار نحو: حي، وميت، ومتفرق يجتمع، وصغير يكبر، وخبيث يطيب أبدا، يتغير بأغيار تحدث فعلى ذلك جملته لا يحتمل أن يكون لا بغيره، =ولو جاز ذا لجاز أن تتغير ألوان الثوب بنفسه لا بأصباغ أو السفينة تصير على ما هي عليها بذاتها، ولابد من عليم ينشئها قدير به يكون فكذلك ما نحن فيه". الإمام أبو منصور الماتريدي: كتاب التوحيد ص ١٨-١٩.

٢- ينظر: القاسمي: دلائل التوحيد ص ٤٨.

٣- الماهية: تطلق غالبا على الأمر المتَعَقل من الإنسان وهو الحيوان الناطق مع قطع النظر عن الوجود الخارجي. والأمر المتعقل من حيث إنه مقول في جواب ما هو يسمى ماهية، ومن حيث ثبوته في الخارج يسمى حقيقة، ومن حيث امتيازه عن الأغيار هوية، ومن حيث حمل اللوازم ذاتا، ومن حيث يستنبط من اللفظ مدلولا ومن حيث أنه محل الحوادث جوهرا. د/ سميح دغيم: موسوعة مصطلحات علم الكلام الإسلامي ج ٢ ص ١١٣٦مكتبة لبنان ناشرون ط: الأولى ١٩٩٨م.

٤- كولن: أسئلة العصر المحيرة ص ١٢٢.

٥- (تشارلس روبرت دارون): عالم حيوان انجليزي اشتهر خصوصا بمذهب التطور. ولد بانجلترا عام ١٨٠٩م وتوفي ١٨٨٢م .بدأ دراسة الطب في (جامعة أدنبره) باسكتلندا لمدة عامين، ثم انصرف عنه إلى الدراسات اللاهوتية، ولكنه لم يتمها بيد أنه ظل يواصل دراسة العلوم الطبيعية(الحيوان والنبات)والجيولوجيا . شارك برحلة استكشافية في ربوع أمريكا جمع فيها عدة ملاحظات ونباتات وبعض الحفريات مكنته من إخراج نظرية التطور وقانون البقاء للأصلح. من مؤلفاته: أصل الأنواع عن طريق الانتخاب الطبيعي- تغير الحيوان والنبات تحت تأثير الاستئناس .ينظر د/ عبد الرحمن بدوي: موسوعة الفلسفة ج ١ ص ٤٧٣ المؤسسة العربية للدراسات والنشر ط الأولى ١٩٨٤م.د/ مرفت عبد الناصر: موسوعة تاريخ الأفكار ج ٣ ص ٣٤.

٦- أسئلة العصر المحيرة ص ١٢٠.

٧- ينظر: رسالة إلى أهل الثغر ص ١٤٣،١٤٤تحقيق ودراسة: عبد الله شاكر محمد الجنيدي، مكتبة العلوم والحكم- المدينة المنورة، ط: الثانية ١٤٢٢هـ- ٢٠٠٢م.وينظر اللمع ص ١٨ ص١٩ .

نطفة، ثم علقة، ثم لحما ودما وعظما، وقد علمنا بأنه لم ينقل نفسه من حال إلى حال؛ لأنا نراه في حال قوته وتمام عقله لا يقدر أن يحدث لنفسه سمعا ولا بصرا، ولا أن يخلق لنفسه جارحة يدل ذلك على أنه في حال ضعفه ونقصانه عن فعل ذلك أعجز...فدل ما وصفنا على أنه ليس هو الذي ينقل نفسه في هذه الأحوال، وأن له ناقلا نقله من حال إلى حال، ودبره على ما هو عليه"[١].

وهذا الدليل ذكره (القاسمي) أيضا في دلائل التوحيد وسماه (آية الإنسان)[٢].

وقد استدل (بيجوفيتش)[٣] على أن خلق الإنسان حرا دليلٌ على وجود الله، فيرى أن قضية قضية الخلق هي في الحقيقة قضية الحرية الإنسانية، فإذا قبلنا بإنسان لا حرية له فلن تكون الألوهية ضرورية لتفسير الكون وفهمه؛ ومن ثم "فالله وحده هو القادر على أن يخلق مخلوقا حرا، فالحرية لا يمكن أن توجد إلا بفعل الخلق"[٤].

٣- الاستدلال بالعلوم:

طبقا لنظرته إلى الكون كالدليل الأسلم والقاطع على وجود الله كانت العلوم الطبيعية دليلا واضحا على وجوده تعالى يقول (كولن): "فمنذ بدأت العلوم بمحاولة الكشف عن أسرار الكون كان كل علم يشير بلسانه الخاص إلى وجوده تعالى، ويعلن عنه بأجلى صيغة"[٥].

فعندما نقول إن الله تعالى موجود نقول إن علم الفيزياء يشير كموضوع علمي بحت إلى وجوده، وكذا قوانين الكيمياء، وغيرها، وأحيانا نأخذ هذه العلوم جميعها

١- الإمام أبو الحسن الأشعري: اللمع في الرد على أهل الزيغ والبدع ص ١٧، ١٨ صححه وقدم له وعلق عليه د/ حمودة غرابه مطبعة مصر ١٩٥٥م .

٢- ينظر: جمال الدين القاسمي: دلائل التوحيد ص ٥٢ .

٣- بيجوفيتش(علي عزت): رئيس جمهورية البوسنة والهرسك كان سياسيا مناضلا مفكر عميقا ولد ١٩٢٥م من أسرة بوسنوية عريقة في الإسلام، تعلم في مدينة سراييفو، وتخرج في جامعتها في القانون والآداب والعلوم عمل مستشارا قانونيا خلال ٢٥ سنة، اعتزل وتفرغ للبحث والكتابة في سنة ١٩٤٩م، حكم عليه بالسجن ٥ سنوات بتهمة أن له علاقة بمنظمة الشبان المسلمين المحظورة، صدرت له مؤلفات أهمها: الإعلان الإسلامي، وكان الكتاب ذريعة لمحاكمته بدعوى تشكيل نظام معاد للدولة حكم عليه بالسجن أحكاما تراوحت بين ٥ إلى ١٤ سنة، وبعد ست سنوات أعيدت المحاكمة، وقضت ببراءته ١٩٨٩م. بعد تفكك الاتحاد اليوغسلافي أنشأ (حزب العمل الديمقراطي)، وخاض الانتخابات فأصبح رئيسا لجمهورية البوسنة ١٩٩٠م، وقاد الشعب ضد العدوان الصربي الذي انتهى باتفاقية دايتون للسلام وأعيد انتخابه مرة ثانية ١٩٩٦م.استقال عام ٢٠٠٠م لظروفه الصحية توفي ١٩ أكتوبر ٢٠٠٣م ينظر: علي عزت بيجوفيتش: الإسلام بين الشرق والغرب ص ٣٧٩، تقديم: عبد الوهاب المسيري، ترجمة: محمد يوسف عدس، دار الشروق، ط:: الثالثة ٢٠١٣م .وينظر: صحيفة اليوم الالكترونية بتاريخ ٢٠ أكتوبر ٢٠٠٣م.

٤- علي عزت بيجوفيتش: الإسلام بين الشرق والغرب ص ٩٧.

٥- أسئلة العصر المحيرة ص٢٠.

والحوادث الجارية على مستوى الذرة، وعلى مستوى الكون، ونفتش عن الأدلة التي تبرهن على وجوده و وحدانيته[١].

وقد استخدم هذا الدليل من قبل (بديع الزمان النورسي) حيث ذهب إلى أن العلوم الكونية التي توصل إليها الإنسان هي كالحواس لنوع الإنسان، وكالجواسيس تكشف له عن مجاهيل لا يصل إليها بنفسه، فكل علم يظهر ما في نوعه من انتظام ونظام بكلية قواعده، فما من شيء إلا ومبني على أسس حكيمة، فلا عبث ولا شيء سدى[٢].

وقد تحدث (جمال الدين القاسمي) أيضا عن فوائد العلم الحديث في إثبات وجود الله(عز وجل) [٣].

٤- دليل النظام:

اتخذ (كولن) من النظام الموجود عليه الكون، وما فيه من إحكام وإتقان دليلا على وجود منظم له، وهو الله تعالى، فيقول: "ومن يتأمل هذا الكون بدقة وإمعان يرى أنه ما من شيء فيه وضع عبثا أو دون نظام أو دون غاية؛ لذا يرى أن عليه أن يتحرك ضمن هذا النظام "[٤]، وهكذا ينتقل هذا الإنسان من هذا النظام إلى واضع هذا النظام كما يقول (كولن).

ويقول أيضا:" ولا يمكن إرجاع كل هذا النظام وكل هذه الدقة والتوازن في هذا النظام إلى المصادفة العمياء؛ لذا فلابد من صاحب وواضع لمثل هذا النظام واضع واضح وجوده بأجلى ما يكون الوضوح"[٥].

وهو في هذا الدليل متأثر برأي (بديع الزمان النورسي)، حيث ذهب النورسي إلى القول بأن: " الإعجاز الباهر الظاهر في النظام، والتناسق، والاطراد المشاهد في كتاب الكون الكبير...يظهر بوضوح تام كالشمس الساطعة أن الكون وما فيه ليس إلا آثار قدرة مطلقة، وعلم لا يتناهى وإرادة أزلية"[٦].

إضافة إلى ذلك فقد أشار (كولن) إلى عدة قوانين تسري في الكون تدل على النظام، منها:

- السير من الوحدة إلى الكثرة.

١- ينظر: السابق ص ١٨٤ .

٢- ينظر: النورسي: المثنوي العربي النوري ص ٤٢٦.

٣- ينظر: القاسمي: ينظر دلائل التوحيد ص ١٠٣.

٤- كولن: أسئلة العصر المحيرة ص ٧.

٥- كولن: أسئلة العصر المحيرة ص ٩٤.

٦- النورسي: المثنوي العربي ص ٤٢٦ ترجمة: إحسان قاسم الصالحي، دار سوزلر، ط: الأولى بمصر ١٤١٥هـ- ١٩٩٥م.

- وجود التشابه أو الفروق أو الأضداد بين هذه الكثرة .
- وجود توازن فعال بين الأضداد.
- التناوب: أي وجود المناوبة في الوظيفة.
- التعلم والنسيان ثم التعلم من جديد.
- صرف الجهد والعمل.
- التحليل والتركيب.
- الإلهام والكشف.

وهذه القوانين كما يرى (كولن) تصدق على الإنسان؛ لذا كان من الطبيعي وجود كثرة وتشابه، وكذلك فروق واختلافات من ناحية الفكر، والعقيدة، والسلوك.

ولذا يرى (كولن) أن العلوم والاكتشافات تستحق كل تقدير؛ لأنها كشفت لنا الكثير من الحقائق المسجلة في القرآن الكريم حول العديد من العلاقات الموجودة في أرجاء الكون، لكن لا ينبغي الاغترار بها حتى نحفظ الإنسان من الوقوع في الأفكار الضالة مثل: إنكار وجود الله، أو إنكار الوحي، أو القيام بتأليه الإنسان، وجعل إرادته هي الحاكم المطلق، وأن يظل يحتفظ بإنسانيته ومسئوليته في جو أصبح يعد فيه نوعا من أنواع الحيوانات التي تجري عليه التجارب[١].

٥- دليل الجمال:

فكل جمال في الكون يدل على فاطره ومبدعه وهو الله (سبحانه وتعالى)، يقول كولن: "إن نظر (أي الإنسان) إلى الوجود من زاوية الجمال يرى جمالا مذهلا وخارقا بحيث لا يستطيع تخيل جمال أعظم منه، فمن جمال وجه الإنسان إلى جمال وجه الأرض إلى جمال السماء، وجمال النجوم، وأمام مثل هذا الجمال الرائع الذي يأخذ بألباب الإنسان ويسحر قلبه لا يمكن ألا يعرف ويرى وراءه صاحب كل هذا الوجود والجمال ومالكه"[٢].

ويمكن أن يدخل تحت دليل الخلق أو الاختراع، ومفهومه أن هذه المخلوقات مخترعة وكل مخترَع لابد له من مخترِع، ويمكن أن يسمى دليل الإبداع.

٦- دليل التسخير:

فكل ما في الكون من أشياء ومخلوقات قد سخر وأعد لخدمة الإنسان، وقد عبر عنه (كولن) بقوله: "ويبدو كل شيء في الكون من زاوية أخرى، وكأنه هيئ وحضر في مكان آخر لخدمة الإنسان، فهناك نعم مقدمة له في علب محفوظة، أو على شكل ثمار وفواكه حتى بدت الأرض وكأنها مائدة عامرة بكل الأصناف وعندما يمد الإنسان يده لهذه النعم يحس بالصاحب الحقيقي لها"[٣].

١- ينظر: أسئلة العصر المحيرة ص ٨، ٩.

٢- السابق .

٣- أسئلة العصر المحيرة ص ٩٤.

و هذا الدليل شبيه بدليل العناية الذي استخدمه (ابن رشد) للتدليل على وجود الله - حيث اهتم بأدلة القرآن، وأنكر ما عداها-، ويقوم هذا الدليل عند (ابن رشد) على أصلين:

"أحدهما: أن جميع الموجودات التي ههنا موافقة لوجود الإنسان.

والأصل الثاني: أن هذه الموافقة هي ضرورة من قبل فاعل قاصد لذلك مريد"[١].

والنورسي أيضا قدم اثني عشر برهانا على مدى العناية الموجودة في الكون كله وهو يحاور صديقه المنكر، بدءا من الذرات والشموس إلى سائر الأنواع على سطح الأرض[٢].

٧- دليل الوجدان:

يقول كولن: "إن الوجدان أيا كانت ماهيته يهفو بوحداته وأبعاده لربه سبحانه چ تى تي ثج ثم ثىچ[٣]وعندما يصغي الإنسان إلى وجدانه، ويغوص في أعماقه يرى ويحس هناك بوجود رغبة شديدة في الإيمان بمعبود أزلي أبدي"[٤].

ويقول: "وفي الحقيقة أن هذا الإحساس الذي نكنه في وجداننا تجاه الله تعالى موجود ومغروز فينا بالفطرة، ولكن قد يغطي الوجدان طبقة من الوسخ والغبار، فإذا شاهد العبد إجراءات رب العالمين، واطلع على تجلياته بالرحمة، فسرعان ما تزول هذه الطبقة، وينقشع الغشاء ويتنظف الوجدان"[٥] .

و يسميه (النورسي)، (الفطرة الشاعرة)، ويرى أن الفطرة لا تكذب وهي نافذة كالحواس، ولكنها مطلة إلى عالم الغيب، فيقول: " إن الوجدان لا ينسى الخالق مهما عطل العقل نفسه وأهمل عمله، بل حتى لو أنكر نفسه فالوجدان يبصر الخالق ويراه ويتأمل فيه ويتوجه إليه"[٦].

وقد أشار إلى هذا الدليل أيضا (جمال الدين القاسمي)، وسماه برهان الفطرة، فيقول: "الشعور بوجود الله تعالى، والإذعان بخالق قادر فوق المادة محيط من وراء الطبيعة أمر غريزي في الإنسان مفطور عليه"[٧].

١- مناهج الأدلة في عقائد الملة لابن رشد مع مقدمة في نقد مدارس علم الكلام، تقديم وتحقيق: دكتور/ محمود قاسم، ط: الثانية، مكتبة الأنجلو المصرية ١٩٦٤م.

٢- ينظر: النورسي: الكلمة الثانية والعشرون- الكلمات- كليات رسائل النور ص ٣١٠- ٣٣٩. ترجمة: احسان قاسم الصالحي، شركة سوزلر للنشر، ط :الثانية بمصر ١٤١٢هـ- ١٩٩٢م.

٣- سورة الرعد الآية: ٢٨ .

٤- نحو عقيدة صحيحة ص ١٠٠، وينظر: اسئلة العصر المحيرة ص ١١٤.

٥- كولن: خواطر من وحي سورة الفاتحة ص ١١٤ ترجمة: أجيير إشيبوك، دار النيل، ط: الأولى ٢٠١٥م.

٦- النورسي: المثنوي العربي ص ٤٣١وينظر الكلمات ص ٨٤٣.

٧- الشيخ/ محمد جمال الدين القاسمي: دلائل التوحيد ص ٢٣ .

٧- افتقار الكون إليه:

الكون كله محدث عاجز مفتقر إليه، والاحتياج دليل الحاجة إلى موجد يقول كولن: "أجل لقد وجد كل شيء فيما بعد، والله هو موجد وخالق كل شيء، والله لكونه هو الله فلم يُخلق إذ كل مخلوق يكون عاجزا ومحتاجا بينما وجود الله من ذاته دون حاجة إلى أي أحد فهو الغني المطلق الغنى، كل شيء يستند إليه ويعتمد عليه ...وهو القائم على استمرار الوجود هو الذي يشد إصره هو كل شيء، هو الأول، وهو الآخر، فكيف إذن يفتشون عن مسبب له؟"[١].

٨- دليل التعاون:

يرى (كولن) أن التعاون الموجود بين الكائنات يدل دلالة واضحة على وجود الله وتعهده إياها حتى يصل كل كائن منها إلى الكمال والغاية من وجوده، وينعى على الفلسفة الموصدة أبوابها أمام الوحي، والتي تصور الموجودات وكأن بينها عداء وصراع في حين أن السائد في الكون هو التعاون.

يقول كولن: "إن النواميس والقوانين السارية في الكون لتدل على ما فيه من تعاون فالعناصر الجامدة تمد النباتات، والنباتات تمد الحيوانات، والحيوانات تمد بني الإنسان، وهذا في الوقت نفسه يعتبر ترقية لكل نوع على حدته نحو الكمال، وإذا كان التراب يربى في أحضانه النبات وكأنه أم شفوق حنون عليه، فكيف يمكن أن يسمى هذا التكامل صراعا وجدالا...إن الله تعالى يسير الكون والأحداث في نظام وانتظام عن طريق النواميس، ويسوق كل شيء نحو الكمال"[٢].

وكل هذا يدل على أن الأمر الوحيد الساري في الكون هو تربية الحق (ﷻ) والله تعالى يربي الموجودات، ويسير الأحداث باسمه "الرب" وإن من يستطيع أن يشاهد حال الإنسان وكيف يساق إلى الكمال، فإنه سيقبل هذه الحقيقة ولن يشعر بالحاجة إلى البحث عن دليل آخر كما يقول (كولن).

يحاول كولن هنا - وكدأبه- أن يرسم تجليات أسماء الله في الكون، فباسم الرب يربي الله الموجودات، ويدفعها إلى التعاون، ويسوقها إلى الكمال، والغاية المنشودة من وجودها.

ويؤكد أن الله أجرى في الكون النواميس (القوانين)، وجعل من ارتباط العلة بمعلولها قانونا يسير أمر الكون، ومن هذا المنطلق حاول أن يؤكد على وجود الله من منطلق تناسب العلة مع معلولها فلا موجود يوجد بلا سبب ولا علة، فكذا انتظام أمر الكون والتعاون والكمال السائد لابد له من علة. فيقول: "إن الأحداث بيد الله (ﷻ)، وكما أن المحرك الأول دائما هو الله، فكذلك الذي يديم تلك الحركة، ويمنحها استمرارية كفيلة بإيصالها إلى غاية وهدف معين هو الله أيضا، فالأشياء بهذا التحريك الأول تساق نحو

١- كولن: أسئلة العصر المحيرة ص ٢٠.

٢- كولن: خواطر من وحي سورة الفاتحة١٢٣.

الكمال ...فلابد من وجود تناسب بين السبب والنتيجة، وليس من الصحيح قطعا التغاضي عن هذا"[١].

وضرب عدة أمثلة على هذا:

أ- فالذي جاء بالطفل إلى عالم الوجود ليس هو الحيوان المنوي ولا البويضة، فالذي خلق الأبوين أولا، ثم طور ذلك الولد في ظلمات ثلاث في رحم الأم إنما هو الله؛ لأنه لابد من وجود تناسب بين السبب والنتيجة.

ب- ومثال آخر: هب أنك شاهدت صرحا شامخا وبجانبه ولد مكبل اليدين والرجلين وادعى ذلك الولد أنه من قام ببناء هذا الصرح فإنك لن تصدقه؛ لأنه لابد من وجود تناسب بين الفاعل والأثر، يقول كولن: "فكما أنه ليس من المعقول أن نسند بناء الصرح إلى الولد المكبل فكذلك إسناد خلق الكون إلى هذه الأسباب العاجزة عن ذلك محال عقلا، فالذي خلق هذا الكون ورباه فساقه نحو الكمال ليس إلا الله رب العالمين"[٢] .

وقد اعتمد (النورسي) هذا الدليل من قبل، شارحا كيف تتعاون المخلوقات فيما بينها لحفظ وجودها ومهامها[٣] .

تعقيب:

من دراسة أدلة وجود الله عند (كولن) يتبين عدة أمور:

١- من الملاحظ أن (كولن) - وإن لم يهمل الأدلة العقلية والنقلية على وجود الله إلا أنه- استند بالأساس على آثاره تعالى في الكون أو الأدلة الكونية، فمنها استدل على وجوده تعالى ورآها أمثل الطرق .

٢- اهتمامه بالعلم الحديث وفائدته في تفسير وشرح أمور الدين، ومنها العقيدة، فهي وسيلة وأداة لمعاضدة الحقائق الإيمانية، وتجليتها للإنسان في هذا العصر الذي يستند إلى العلم والتقنية بشكل كبير.

٣- الاهتمام بضرب الأمثلة البسيطة لتوضيح المعنى وإقراره .

٤- ذكر أدلة كثيرة على وجود الله، اقترب فيها من مفهوم السابقين عليه من المتكلمين ولكنه عبر عنها بلغة عصره مع لغة الوجدان حتى تلامس قلب المسلم وتعمق إيمانه بالله تعالى.

١- كولن: خواطر من وحي سورة الفاتحة ص١٢٤.

٢- كولن: خواطر من وحي سورة الفاتحة ص ١٢٥.

٣- ينظر: بديع الزمان سعيد النورسي: الشعاع السابع ص ١٨٥ الشعاعات (٤) كليات رسائل النور، ترجمة: إحسان قاسم الصالحي سوزلر للنشر- القاهرة، ط: الثانية ١٤١٤هـ - ١٩٩٣م.

٥- تأثر بالنورسي في عدد من الأدلة التي ساقها كالتعاون، والتسخير، والوجدان، وكذا اتسق مع فكر بعض المعاصرين كالقاسمي - دون جزم بتأثره بأفكارهم- .

المطلب الثالث: المنكرون لوجود الله والرد عليهم:

قبل مغادرة المستعمرين للبلاد العربية والإسلامية التي احتلوها ماديا بقى احتلالهم الفكري يترعرع، فقد نثروا بذورهم المسمومة وسط الشباب، وأول تلك السموم نالت من عقيدة التوحيد، ولقد عاصر الشعب التركي تلك الفترات التي جعلت إنكار الله من قبيل

الحداثة والتحضر، فاستُخِفَ بالدين كلية، وامتهنت المفاهيم التي تقدس الدين، وغرقوا في المادية، والتحلل الأخلاقي والفوضى الفكرية[١] .

ومن هنا فمسألة الرد على الملاحدة من الأهمية بمكان في علم الكلام الجديد؛ لأنها تحمل في طياتها محاولة إثبات وجود الله تعالى؛ ولذا كانت محورا أساسيا في فكر عدد من المحدثين والمعاصرين كالأستاذ (محمد فريد وجدي)[٢]، و(جمال الدين القاسمي)، و(النورسي) .

وسار على الدرب (كولن)، وكان بحثه في ذلك نتيجة طبيعة التغيرات التي حدثت في تركيا والعالم الإسلامي عامة، من موجات عاتية من الفلسفات المادية القادمة من أوروبا قادت المثقفين والشباب إلى الإلحاد، وكان اهتمامه قبل كل شيء بالجيل الناشئ وتربيته تربية قويمة .

فكان من أوضح أسباب الإلحاد الأوروبي في العصر الحديث سببان:

الأول: الدين الذي كفرت به أوروبا وثارت عليه؛ لأنه مبني على الخرافة ومعارض للعلم الحديث.

الثاني: قوانين المادة، فلا يؤمنون إلا بما تقع عليه حواسهم فقط[٣].

فانتقل هذا الداء إلى العالم الإسلامي بانتشار موجات المادية و العلمانية والوجودية والداروينية وغيرها.

فما الإلحاد، وما نظرياته، وما أسبابه، وعلاجه من وجهة نظر فتح الله كولن؟ هذا ما سيأتي بيانه.

أولا: تعريف الإلحاد:

١- ينظر: كولن: الاستقامة في العمل والدعوة ص ١٦٨، ترجمة: أورخان محمد علي- دكتور: عبد الله محمد عنتر، سلسلة أسئلة العصر المحيرة(٣)، دار النيل، ط : الأولى ٢٠١٥م.

٢- محمَّد فَرِيد وَجْدي: (١٢٩٥ - ١٣٧٣ هـ = ١٨٧٨ - ١٩٥٤ م): مؤلف (دائرة المعارف) من الكتاب الفضلاء الباحثين. ولد ونشأ بالإسكندرية. وأقام زمنا في (دمياط)، ثم في السويس، فأصدر بها مجلة (الحياة)، ونشر رسالة له سماها (الفلسفة الحقة في بدائع الأكوان) سنة ١٨٩٩ وكتاب (تطبيق الديانة الإسلامية على نواميس المدنية) كتبه أولا باللغة الفرنسية، وترجمه إلى العربية بهذا الاسم، وسماه في طبعة أخرى (المدنية والإسلام)، وسكن القاهرة، فعمل في وظيفة صغيرة بديوان الأوقاف، أنشأ بعدها مطبعة أصدر بها جريدة (الدستور) اليومية، مدة، ثم (الوجديات) وهي شبه مجلة أسبوعية، ونشر كتابه دائرة معارف القرن الرابع عشر (العشرين) في أجزاء متتابعة اكتملت في عشرة مجلدات، وعكف على المطالعة والتأليف، فنشر من كتبه (ما وراء المادة) ، و (صفوة العرفان) وهو تفسير موجز للقرآن، و (الحديقة الفكرية في إثبات وجود الله بالبراهين الطبيعية) و (المرأة المسلمة) في الرد على (المرأة الجديدة) لقاسم أمين، و (الإسلام في عصر العلم) ، و (كنز العلوم واللغة) و (على أطلال المذهب المادي) و (مجموعة الرسائل الفلسفية) و (نقد كتاب الشعر الجاهلي لطه حسين) . وتولى تحرير مجلة (الأزهر) نيفا وعشر سنين، واعتزلها قبل وفاته بنحو عامين، وتوفي بالقاهرة . الزركلي: الأعلام ج ٦ ص ٣٢٩.

٣- ينظر: صالح إسحاق صالح: الإلحاد وأثره في الحياة الأوروبية الحديثة، رسالة ماجستير للباحث: بإشراف: الأستاذ محمد الغزالي ١٤٠٠- ١٤٠١هـ.جامعة الملك عبد العزيز كلية الشريعة والدراسات الإسلامية قسم العقيدة.

ألحد عن الشيء: مال وعدل "، وهو الأصل في الإلحاد"، وفي الدين: حاد عن الحق وشك في الله تعالي، فهو ملحد[١].

والملاحدة: فرقة من الفلاسفة يسمون بالدهريين وبالدهرية ذهبوا إلى قدم الدهر واستناد الحوادث إليه كما ذهبوا إلى ترك العبادات[٢].

ويسمون كذلك بالطبيعيين نسبة إلى الطبيعة؛ لأنهم يفسرون جميع ظواهر الوجود بإرجاعها إلى الطبيعة، ويستبعدون أي مؤثر يجاوز حدود الطبيعة؛ ولذا ينكرون وجود الصانع المدبر، ويزعمون أن العالم وجد بنفسه دون حاجة إلى علة خارجة عنه[٣].

يقول (كولن) معرفا الإلحاد: "الإلحاد من الناحية الفكرية هو إنكار الله، وعدم قبوله وفي مستوى التصور هو حالة الحرية بلا حدود، أما في مستوى العمل والسلوك فيتبنى الإباحية ويدافع عنها"[٤].

ويعدد (كولن) من خلال هذا التعريف أسباب انتشار الإلحاد ويعزوه إلى ثلاثة عوامل أو أسباب:

العامل الأول: إهمال الشباب والجهل وتشجيع القوى المعادية:

يقول كولن: "وقد انتشر الإلحاد فكريا نتيجة إهمال الأجيال الشابة، ونتيجة سوء التطبيق في دور العلم ومعاهده، إضافة إلى اكتسابه السرعة والقوة بتلقيه المساعدات من جهات كثيرة"[٥].

فيرى (كولن) أن أول بيئة ينمو فيها الإلحاد هي تلك التي يسود فيها الجهل، ويغيب عنها القلب، فالجماهير التي لا تتلقى تربية روحية وقلبية تقع في براثن الإلحاد.

العامل الثاني: رغبة الشباب في التحرر:

طبيعة ورغبات الشباب التي لا تعرف الشبع، ورغباتهم في حرية مطلقة لا قيد عليها، هذه الطبيعة تجعله ينساق إلى المذاهب الهدامة كالماركسية، والوجودية، وسائر

المذاهب الفوضوية[١].

١- الخليل بن أحمد: العين ص ٣/ ١٨٢.ابن فارس: مجمل اللغة ص ١/ ٨٠٣. أحمد رضا: معجم متن اللغة ج ٥ ص ١٥٧ ، الناشر: دار مكتبة الحياة - بيروت ١٣٨٠هـ - ١٩٦٠م.

٢- ينظر جميل صليبا: المعجم الفلسفي ج ١ ص ١١٩، دار الكتاب اللبناني- مكتبة المدرسة ببيروت- لبنان ١٩٨٢م.

٣- ينظر: المعجم الفلسفي ج ٢ ص ١٧ .

٤- كولن: أسئلة العصر ص ٢٣ .

٥- ينظر: أسئلة العصر المحيرة ص٢٣.

العامل الثالث: النظرة الإباحية:

يقول كولن: "النظرة الإباحية التي ترى الاستفادة من كل شيء موجود مهما كان ذلك الشيء، أي النظرة التي تستند إلى الفائدة والتلذذ من جميع النعم، وتبذل المحاولات اليوم لصب هذه النظرة في قالب فلسفي وفكري ومنهجي، وعندما أقبل هذه الفكر إلينا جاءنا أول مرة في شكل فلسفة فرويدية[٢] تحت مصطلح الليبدو(LIBIDO)[٣] الذي جرح مفهوم الحياة لدينا، ثم طغت عندنا الفلسفة الوجودية (جان بول سارتر) JANPOUL SARTRE، وكامو ALBERT CAMUS فهدمت حصون الحياء عندنا وجعلتها أثرا بعد عين"[٤].

ثانيا : شبهات الإلحاد:

وقد حلل (كولن) أقوال ونظريات الإلحاد، وحصرها في عدة أمور:

١- القائلون بأن الطبيعة هي التي تنشئ وتخلق:

وأصحاب المذهب الطبيعي يرون أن الطبيعة هي الوجود كله وأنه لا وجود إلا للطبيعة أي الحقيقة المؤلفة من الظواهر المادية المرتبطة بعضها ببعض على النحو الذي يشاهد في عالم الحس والتجربة، ومعنى ذلك أن المذهب الطبيعي يفسر جميع ظواهر الوجود بإرجاعها إلى الطبيعة، ويستبعد كل مؤثر يجاوز حدود الطبيعة، ويسمى هؤلاء بالطبيعيين، وهم الدهريون الذين ينكرون وجود الصانع المدبر، ويزعمون أن العالم ليس بحاجة إلى علة خارجة عنه[٥] .

أ- موقف علماء الكلام من تأليه الطبيعة:

١- ينظر: أسئلة العصر المحيرة ص ٢٧.

٢- فرويد هو مؤسس التحليل النفسي ولد ١٨٥٦م في النمسا، وهو من أسرة يهودية درس الطب وتخصص في طب الأعصاب، واهتم بطريقة التنويم المغناطيسي في علاج مرضاه، ثم جمع بينها وبين طريقة (العلاج بالمحادثة) أو العلاج بالكلام، ويعتبر هو مؤسس هذه الطريقة حيث يستطيع المحلل من خلال حديث المريض الوصول إلى الجزء الدفين من النفس البشرية والذي يخفي الصراعات والرغبات والآمال؛ لذا أشار إلى أهمية فهم ودراسة تطور اللغة. والمحادثة العلاجية مع مرضاه حول مشاكلهم الجنسية خاصة جعلته يقرر أن الغريزة الجنسية هي الأصل في كثير من الأمراض العصبية والنفسية، والفكرة الأساسية التي يقوم عليها مذهبه أن الغرض الأساسي من كل فعل يقوم به الإنسان هو تحصيل أكبر لذة وجعل الألم أقل مما يمكن .لما احتل النازي النمسا عام ١٩٣٨م ارتحل فرويد إلى لندن، وتوفي في العام التالي ٢٣ سبتمبر ١٩٣٩م.ينظر: د/ عبد الرحمن بدوي: موسوعة الفلسفة ج ٢ ص ١٢٣. د/ مرفت عبد الناصر: موسوعة تاريخ الأفكار ج ٣ ص ٥٢ .

٣- الليبدو: "طاقة جنسية أو جوع جنسي وهي نظرية تعتمد على أساس التكوين البيولوجي للإنسان الذي تعتبره حيوانا بشريا، فهو يرى أن كل ما نصرح بحبه أو حب القيام به في أحاديثنا الدارجة يقع ضمن دائرة الدافع الجنسي، فالجنس عنده هو النشاط الذي يستهدف اللذة، وهو يلازم الفرد منذ مولده إذ يصبح الأداة الرئيسية التي تربط الطفل بالعالم الخارجي في استجابته لمنبهاته". الندوة العالمية للشباب الإسلامي : الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة، المجلد الثاني ص ٨٣٥.

٤- أسئلة العصر المحيرة ص ٢٨ .

٥- ينظر: جميل صليبا: المعجم الفلسفي ج ٢ ص ١٧ .

أحد الثوابت التي تكلم فيها علم الكلام الجديد (الطبيعة)[١]، وقد بحث المتكلمون فيها من وجهين:

الأول: النظر فيها من أجل التوصل إلى معرفة الله تعالى.

الثاني: بحثوا أقوال الطبيعيين الذين ينظرون إلى الطبيعة نظرة مادية خالصة ويقطعون أي صلة بينها وبين الله، بل ويؤلهون الطبيعة ويقدسون الأسباب والقوانين، فردوا على أقوال الطبيعيين والملاحدة وأصحاب التطور.

وفي الحقيقة :"لدينا في الإسلام أوسع فهم للطبيعة، فالطبيعة الفيزيقية يشار إليها باعتبارها تجليا إلهيا عظيما ...والقرآن يسمي الطبيعة كلها "فطرة الله" أي الطبيعة المخلوقة لله تعالى"[٢]، وهذا النظام الطبيعي الثابت للأشياء الذي أبدعه الله، ويستمر على رعايته نسميه "القوانين"[٣].

وهذا الفهم باعتبار الطبيعة مخلوقة من قبل مبدع حكيم قال به جميع المتكلمين قديما وحديثا، نجد من المتكلمين القدامى (الغزالي)[٤]، وهو يقرر حقيقة الطبيعة، فيقول:

"فالطبيعة كآدم في افتقارها إلى محدث، وإن كانت الطبيعة حية لا فاعل لها ولا علة فهي الإله فأسقطوا لفظ الطبيعة وقولوا إله، فهو الذي نريد بيانه، فإن حوادث لا أولية لها محال

---

[١]- الطبْعُ والطَّبِيعةُ في اللغة: الخَلِيقةُ والسَّجيّةُ الَّتِي جُبِلَ عَلَيْهَا الإنسان، مزاج الإنسان المركب من الأخلاط وعلم الطبيعة علم يبحث عن طبائع الأشياء، وما اختصت به من قوة. واصطلاحا: "النظام او القوانين المحيطة بظواهر العالم المادي، وقد يطلق على الأشياء التي يكون حدوثها في مستقر العادة وهي بهذا المعنى مقابلة للأمور الخارقة للعادة. الفيروز أبادي: القاموس المحيط باب العين فصل الطاء ص ٦٣٤. ينظر محمد بن مكرم بن علي أبو الفضل جمال الدين بن منظور: لسان العرب ج ٨ ص ٢٣٢ باب العين فصل الطاء دار صادر- بيروت ط الثالثة ١٤١٤هـ. مجمع اللغة العربية : المعجم الوجيز حرف الطاء ص ٣٨٦ . وينظر: جميل صليبا: المعجم الفلسفي ج ٢ ص ١٤ .

٢- ينظر: أ. د/ مصطفى لبيب: التصور الإسلامي للطبيعة (دور التأسيس) ص ٤٤، الهيئة العامة لقصور الثقافة ٢٠١٥م.

٣- ينظر: أ. د/ مصطفى لبيب: التصور الإسلامي للطبيعة (دور التأسيس) ص ٤٥ .

[٤]- الغزالي: مُحَمَّد بن مُحَمَّد بن أَحْمد الطوسي أَبُو حَامِد الْغَزالِيّ حجَّة الْإِسْلَام ولد بطوس سنة ٤٥٠هـ، وَكَانَ وَالِده يغزل الصُّوف ويبيعه فِي دكانه بطوس، فَلَمَّا حَضرته الْوَفَاة وصّى بِهِ وبأخيه أَحْمد إِلَى صديق لَهُ متصوف ليعلمهما، فَلَمَّا مَاتَ أقبل الصُّوفِي على تعليمهما إِلَى أَن فنى ذَلِك النزر الْيَسِير الَّذِي كَانَ خَلفه لَهما أَبوهُمَا وَتعذر على الصُّوفِي الْقيام بقوتهما فنصحهما بالالتجاء إِلَى مدرسة طلبا للقوت، فصارا من أهل العلم وبدأ الغزالي رحلته بعلم الفقه ثمَّ قدم نيسابور ولازم إِمَام الْحَرَمَيْنِ وجد واجتهد حَتَّى برع فِي الْمَذْهَب وَالْخلاف، والجدل، والأصلين، والمنطق، وَقَرَأَ الْحِكْمَة، والفلسفة، وَأحكم كل ذَلِك، وَفهم كَلَام أَرْبَاب هَذِه الْعُلُوم وتصدى للرَّدّ على مبطليهم، وَإِبْطَال دعاويهم، وصنف فِي كل فن من هَذِه الْعُلُوم كتبا، ثم تصوف وكتب الإحياء، ومن مصنفاته أيضا: الأربعين- القسطاس- محك النظر، وكَانَت وَفَاته بطوس ٥٠٥هـ . ينظر: تاج الدين عبد الوهاب بن تقي الدين السبكي (المتوفى: ٧٧١هـ): طبقات الشافعية الكبرى ج ٦ ص ١٩١- ٢٠١المحقق: د/محمود محمد الطناحي د/عبد الفتاح محمد الحلو، الناشر: هجر للطباعة والنشر والتوزيع، الطبعة: الثانية، ١٤١٣هـ.الذهبي: سير أعلام النبلاء ج ٢٩ ص ٣٢٤.

إلا إذا قلنا فعلت الطبيعة، فذلك منتف فلابد من استناد الحوادث إلى مبدأ لا علة له وليس بمفعول أصلا، وهذا يبطل اعتقاد من يقول آدم من آدم آخر"[١].

يؤكد (الغزالي) في هذا النص أن الطبيعة يستحيل أن تكون خالقة؛ لأنها حادثة مفتقرة إلى محدث كما يستحيل أن يكون الإنسان الحادث خالقا لنفسه أيضا، فكلاهما مفتقر إلى محدث

وكذلك (الجاحظ) [٢] تحدث عن الطبيعة في كتابه (الدلائل والاعتبار) داعيا إلى التفكر في أجزاء البدن، فكل عضو منه لحكمة تدل على الخالق الحكيم لا على الطبيعة الصماء ، فقال: "جميع الأعضاء إذا تأملتها وجدت الكل منها قد قدر على صواب وحكمة، فإن زعمت أن هذا من فعل الطبيعة سألناك عن هذه الطبيعة أهي شيء له علم وقدرة على هذه الأفعال أم ليست كذلك فإن وجبت لها العلم والقدرة فما امتناعك من إثبات الخالق، فإن هذه هي صفة الخالق زعمت أنها تفعل هذه الأفعال بغير علم وعمد فهو محال؛ لأن أفعالها ما قد ترى من الصواب والحكمة فعلم أن هذا الفعل للخلاق العظيم، وأن الذي سميته طبيعة هي سنته سببه من خلقته الجارية على ما أجراها عليه"[٣].

يقصد (الجاحظ) أن الإنسان إذا تأمل في أعضائه وجد كل شيء بحكمة وقدر، فإن كانت الطبيعة هي الخالقة لزم أنها ذو علم وقدرة، فينبغي أن تكون هي الإله؛ لأن هذا صفته، وإن قيل أنها تفعل ذلك دون علم وقصد، فهذا محال لما تشاهد من حكمة وقدرة فتبين إذن أن هذا هو فعل الله تعالى، والطبيعة ما هي إلا سنته جعلها سببا في تسيير مقدوراته .

ومن المحدثين (بديع الزمان النورسي) إذ يرى أيضا أن الطبيعة هي سنن الله الجارية إذ يقول: "الطبيعة لها ظاهر عرفي موهوم ظنته الغفلة والضلالة حقيقة، ولها باطن هو الصنعة الإلهية أو الصبغة الرحمانية"[٤].

يقصد أن الظاهر للناس أن قوانين الطبيعة هي التي تعمل، وإنما باطن الأمر وحقيقته أن تلك القوانين هي مخلوقة من قبل الله، فالله هو المدبر والمؤثر فقط.

١- الغزالي: معراج السالكين ص ٥٩، مجموعة رسائل الغزالي بإشراف: مكتب البحوث والدراسات المكتبة التوفيقية.

٢- الجاحِظ (١٦٣ - ٢٥٥ هـ = ٧٨٠ - ٨٦٩ م):عمرو بن بحر بن محبوب الكناني بالولاء، الليثي، أبو عثمان، الشهير بالجاحظ: كبير أئمة الأدب، ورئيس الفرقة الجاحظية من المعتزلة. جمع بين علم الكلام والأخبار والفتيا وتأويل القرآن وأيام العرب مع ما فيه من الفصاحة، مولده ووفاته في البصرة. فلج في آخر عمره. وكان مشوه= =الخلقة. ومات والكتاب على صدره. قتلته مجلدات من الكتب وقعت عليه. له تصانيف كثيرة، منها : "العرافة والفراسة"، و " الربيع والخريف " و " الحنين إلى الأوطان " رسالة. و " النبيّ والمتنبي " و " مسائل القرآن " و " العبر والاعتبار في النظر في معرفة الصانع وإبطال مقالة أهل الطبائع " و " فضيلة المعتزلة " و " صياغة الكلام " و " الأصنام " و " كتاب المعلمين " و " البلدان " و " جمهرة الملوك ". ينظر: أحمد بن يحيى المرتضى: طبقات المعتزلة ص ٦٨.وينظر: الزركلي: الأعلام ص ٧٤/٥.

٣- أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ : الدلائل والاعتبار على الخلق والاعتبار ص ٤٣، مكتبة الكليات الأزهرية - دار الندوة الإسلامية ١٩٨٧- ١٩٨٨م.

٤- النورسي: المثنوي العربي ص ٢٥٣، تحقيق: إحسان قاسم الصالحي، دار سوزلر، ط: الأولى بمصر ١٤١٥هـ- ١٩٩٥م.

ويسمي (النورسي) الطبيعة بالأوامر التكوينية والشريعة الفطرية، وهي حسب النورسي عبارة عن (محصلة قوانين عادات الله الجارية في الكون)، وهي قوانين اعتبارية لا تملك التأثير الحقيقي، وإنما الإيجاد والتأثير الحقيقي لله (سبحانه وتعالى)[١].

وقد أخذ (فتح الله كولن) نفس التسمية، فدائما ما يتحدث عن نوعين من الشريعة أيضا: الأولى: الأوامر التكوينية، وهي مأخوذة من كتاب الكون وبتعبير آخر القوانين المختلفة الموجودة في الكون[٢].

والثانية: الأوامر الشرعية المأخوذة من كتاب الله [٣].

ب- موقف كولن من دعاوى الطبيعيين :

الطبيعة من أكثر الموضوعات التي كتب فيها (كولن) علميا وروحيا نثرا وشعرا، بل تعد محورا أساسيا لفكره كما هو حال (النورسي) قبله[٤] .

ويعرف (كولن) الطبيعة، فيقول: "الطبيعة بالمعنى العام هي الوجود بأكمله وبخصائصه وبالصفات النابعة من الخلق، أما في الإنسان فيأتي بمعنى المزاج والطبع والسلوك"[٥].

وعلى أية حال سواء أكان المقصود هذا أو ذاك، فإن الطبيعة ليست إلا نقشا من يد صاحب القدرة اللانهائية، وقانونا وضعته القدرة الخالقة كما يرى كولن.

فالطبيعة -عنده- مثل المادة خالية من الحس ومن الشعور، ولكنها تشير بكل وضوح إلى وجود خالق قادر عالم .

وبما أن الطبيعة هي نتاج للخواص المادية؛ فإنه لا يمكن أن تكون قبل المادة؛ لأن وجودها مدين للمادة؛ ولذا يتساءل كولن:

أولا: "ألا يكون إسناد الوجود والحوادث إليها- أي الطبيعة- والقيام بتفسير كل شيء بها محاولة خداع وتضليل؟ إن الذين لهم أي إطلاع مهما كان ضئيلا بالعلوم الطبيعية اليوم يعلمون أن الطبيعة عمياء وصماء، وأنها لا تستطيع خلق أي شيء؛ لذا فإن محاولة إحلالها محل الخالق ومحل قدرته ليس إلا نوعا من التعصب الأخرق للكفر"[٦].

١- ينظر: النورسي: المثنوي العربي ص ٤٢٦ .

٢- ينظر: خواطر من وحي سورة الفاتحة ص٤٤ .

٣- ينظر: كولن: مقال يمام العالم الميتافيزيقي والانبعاث المرتقب من سلسلة الجرة المشروخة بتاريخ ٢٠١٥/٤/٢٣م موقع herkulبالعربية.

٤- النورسي له كلام كثير ضمنه(رسالة الطبيعة) ص ٢٦٥- ٢٩٨ينظر اللمعة الثالثة والعشرون من اللمعات (٣)كليات رسائل النور بديع الزمان النورسي، ترجمة: إحسان قاسم الصالحي، دار سوزلر- القاهرة، ط: الثانية بمصر ١٣١٣هـ - ١٩٩٣م.

٥- كولن: أسئلة العصر المحيرة ص ٢٤ .

٦- كولن: الموازين ص ١٥٨ .

ثانيا: "إن كانت الطبيعة هي الوجود نفسه، أفلا يدرك الذين يقولون أن الطبيعة هي التي خلقت أنهم يقولون في الحقيقة أن الوجود هو الذي خلق نفسه بنفسه"[١].

ثالثا: "أما إذا كان القصد من كلمة الطبيعة هو المزاج، والطبع، والسجايا، والصفة، والقانون، والنظام عند ذلك عليهم أن يوضحوا كيف يمكن للطبيعة أن تقوم بخلق الأشياء، واحداث الوقائع التي هي مهد نشاطهم وعلة أعمالهم بتنظيم ذلك كله"[٢].

رابعا: يرد (كولن) على من يؤله الطبيعة وينسب إليها الخلق والقدرة بقوله: " إن كانت الطبيعة تملك كما يتوهم هؤلاء قوة قادرة على الإنشاء والخلق، فهل تستطيع إيضاح كيف استطاعت الطبيعة الحصول على مثل هذه القدرة؟ أنستطيع أن نقول إنها خلقت نفسها بنفسها؟...الوجه الحقيقي لخلاف الحقيقة هذه هو الشجرة خلقت الشجرة والجبل خلق الجبل والسماء خلقت السماء لا أعتقد أن هناك شخصا واحدا يستطيع أن يؤيد مثل هذه المغالطة والبعد عن المنطق"[٣].

خامسا: الزعم أن القوانين هي التي تسير العالم باطل أيضا؛ ولذا يقول كولن: "أما إن كان القصد من ذكر الطبيعة هو الإشارة إلى القوانين الفطرية، فهذا أيضا خداع ذلك ؛لأن القانون- بتعبير القدماء – عرض من الأعراض والعرض لا يقوم إلا بوجود الجوهر ..وبتعبير آخر فإن القوانين قائمة بالموجودات فقانون النمو يظهر في البذرة وقانون الجاذبية يظهر في الكتل ،وفي الحيز(المكان) الخ إذ يمكن زيادة هذه الأمثلة إذن فإن التفكير في القوانين قبل التفكير في الموجودات، والزعم بأن هذه القوانين هي منشأ الوجود ليس إلا خداعا وبهلوانية"[٤].

هذا هو رأي (كولن) في الطبيعة فليست الطبيعة خالقة- كما يقول الطبيعيون- ولا تتسم بالحكمة والقدرة، بل هي مخلوق من مخلوقات الله تعالى تجري عليها قوانينه (تعالى) .

وهو يرى أن علماء الطبيعة مرشحون دوما ليكونوا في طليعة المستجيبين لنداء الإيمان إذا صدقوا مع أنفسهم وأصغوا جيدا لفطرهم[٥].

٢- القول بأن الصدفة[٦] هي أساس وقاعدة الوجود:

١- الموازين ص ١٥٨ .

٢- الموازين ص ١٥٨.

٣- أسئلة العصر المحيرة ص ٢٤ .

٤- أسئلة العصر المحيرة ص ٢٤ .

٥- إبراهيم الدباغ : الضاربون في الأرض ص ٤٣. دار النيل ط الأولى ١٤٣٣هـ- ٢٠١٢م.

٦- الصدفة: ما يحدث عرضا دون اتفاق أو موعد أو قصد، أو بلا توقع أو انتظار، أو دون إعداد مسبق. وشيء وشيء وليد الصدفة أي: ارتجالي فجائي. ينظر: معجم اللغة العربية المعاصرة باب ٢٩٨٨مادة ص د ف ج٢ ص ١٢٨١.

يرى (كولن) أننا نشاهد في جميع الأشياء في الكون شعورا، وعلما، وترجيحا أي إرادة، بينما الماديون يعزون هذا الوجود إلى الظهور التلقائي أو المصادفة مع أنهم من جهة أخرى يؤمنون بالقوانين، بينما القوانين ترد الظهور التلقائي والمصادفة. إذن الوجود لابد أن يكون أثرا صاحب علم، ولا تملك المادة الخالية من الحياة قوانين شاملة للكون إن وجود القوانين يقتضي وجود واضع لهذه القوانين[١] .

يقول كولن: "الحقيقة أن محاولة القيام بتفسير وإيضاح هذا العالم المملوء بآلاف الحكم والنظم الدقيقة بالأسباب أو بالصدف محاولة خالية من أي قيمة علمية، بل هي محاولة مضحكة، بل هي هذيان وتناقض؛ لأنه إعلان عن بطلان العلم"[٢].

ودلل (كولن) على ذلك بعدة أدلة منها:

١- تجارب ميللر muller التي أعلنت عن قصور الأسباب والصدف وعجزها.

٢- أعلن معهد الكيمياء في الاتحاد السوفيتي تحت رئاسة (اوبرين) oparin) بعد بحث دام ٢٢ سنة أن قوانين الكيمياء والتفاعلات الكيمياوية بعيدة عن تسليط الضوء على الوجود.

٣- نظرية التطور والتكامل التي درست في مدارسنا سنوات عديدة، وكأنها حقيقة ثابتة أصبحت مجرد خيال علمي بعد الاكتشافات العلمية الحديثة وتطور علم الجينات[٣] [٤].

وقد دلل (فتح الله) على بطلان الصدفة بأدلة منطقية وعقلية :

١- الواقع:

فالواقع يرفض القول بالمصادفة فيقول كولن: " لنفترض أن بعض الحوادث قد وقعت صدفة أو إن احتمالية وقوعها واحد بالمائة، فإذا أضفت إليها بعض العوائق والوقائع التي ترتبط بها فستقل نسبة احتمالية الوقوع إلى واحد في الألف أو واحد في المليون أو واحد في المليار، ولو أجال الإنسان النظر في حياته، وتناول كل ما جال بخاطره، وعلق ببصره ولامسته حواسه ومشاعره بنظرة شمولية، فبإمكانه استنباط الكثير من المعاني العميقة من هذه الحوادث، والروابط التي تربط بينها وسيشاهد بعين اليقين مرة أخرى مع كل حادثة أنه لا صدفة في الكون ولو بقدر ذرة، ولكن إذا تناولها بشكل مستقل كما يفعل

١- كولن: حقيقة الخلق ونظرية التطور ص ٩٠ترجمة: أورخان محمد علي، دار النيل، ط: الرابعة ١٤٣٠هـ - ٢٠٠٩م.

٢- أسئلة العصر المحيرة ص ٢٥.

٣- الجينات: هي الوحدات الوراثية المسؤولة عن الصفات الوراثية وانتقالها عبر الأنسال . أ.د/ أحمد فؤاد باشا: فلسفة العلم الإسلامية من خلال رؤية كونية حضارية. المعهد العالمي للفكر الإسلامي- دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع والترجمة، ط: الأولى ١٤٣٥هـ - ٢٠١٤م..

٤- ينظر: أسئلة العصر المحيرة ص ٢٥ .

بعض الفلاسفة، فلن يستطيع حينذاك إدراك مضمون ومفهوم الإيمان بالله تعالى المكنون في كل حرف من هذا الكون"[١].

٢- اعتراف العلماء:

أقوال العلماء أنفسهم تدحض الإلحاد مثل اعتراف (أوبرين) بعد عشرين عاما من المحاولات باستحالة صنع خلية حية من المواد الكيميائية، واعتراف أحدهم بأن قوانين الوجود تقود أي عاقل إلى الإيمان بالله[٢] .

٣- عجز الصدفة:

يرى (كولن) أن وجود الحياة على الأرض مرتبط بتوازنات وشروط عديدة والاحتمالات والصدفة عاجزة، وكذا استمرار الحياة، والتعاون بين الكائنات، فكل ذلك يتطلب علما وارادة وقدرة مذهلة، فلا يمكن إسناد كل ذلك إلى المصادفات[٣] .

٣- القائلون بأن المادة هي أساس الخلق والوجود:

ففكرة عدم تلاشي المادة التي سادت في القرن التاسع عشر تغيرت في القرن العشرين، "فقد وصل الأمر في تحليل المادة إلى الوصول بها إلى موجات لا مادية واعتبرت المادة مكونة من هذه الموجات إذن المادة تسير إلى عدم؛ وبالتالي تستحدث من عدم"[٤] .

إذن كيف تصير أساسا للوجود وهي فانية لم تستطع منح نفسها الوجود؟.

ويرى (كولن) أن الملحدين الماديين يعدون المادة كل شيء، ويحيلون أمر العالم وانتظام الكون وتوازنه إلى المادة معتمدين على المشاهدة والتجربة، ونحن نعتمد أيضا على المشاهدة والتجربة والعلوم الطبيعية، ولكن نؤمن أن المادة موجود أعمى بلا وعي ولا إدراك، وتستمد حركتها وتأثيرها في المركبات من مدبر عليم قدير .

وهؤلاء الماديون يظهرون القضايا النظرية المحتملة كأنها علمية قطعية ليضلوا الناس[٥].

ومن المسائل التي رد فيها على الماديين قولهم: (لا وجود من العدم، ولا عدم من الوجود).

١- كولن: الجرة المشروخة (يمام العالم الميتافيزيقي والانبعاث المرتقب) مقال بتاريخ ٢٠١٥/٤/٢٣م موقع HerkuL-Arb.

٢- ينظر: حقيقة الخلق ونظرية التطور ص ٧٨-٨٥.

٣- ينظر: كولن: حقيقة الخلق ونظرية التطور ص ٨٥. .

٤- د/ محمود عبد الحكيم عتمان : الفكر المادي الحديث وموقف الإسلام منه ص ٥٠٠، مكتبة الأنجلو المصرية – القاهرة.

٥- ينظر: كولن: الرد على شبهات العصر ص ٢٣٤، ٢٣٥ .

وهو محض ادعاء كما يقول (كولن)، فهؤلاء يرون أن المادة تتألف من الطاقة، وهي صورة متشكلة منها، فالمادة من الطاقة، والطاقة من المادة، وهكذا دواليك إذ لا عدم من الوجود، ولا وجود من العدم فكيفية الوجود تتغير أما الوجود نفسه فباق[١].

وقد رد عليهم (كولن) بعدة أجوبة:

أولا: (لاوجود من العدم ولا عدم من الوجود) يمكن أن يراد به أن الموجود لا يفنى بنفسه ولا يوجد المعدوم بنفسه، فلا قدرة للمصادفات والأسباب على الإيجاد والإفناء، بل إن البشر لا طاقة لهم بإيجاد معدوم أو إفناء موجود.

وأما بالنسبة لله تعالى فالأمر ينقلب رأسا على عقب، "فالله تعالى يفني الموجود ويوجد المعدوم فالمعاند القائل: "لا وجود من العدم"، وهو يرى في كل ربيع آلافا من النباتات تخلق من العدم هو أولى بالعدم"[٢].

ثانيا: يتساءل كولن: "هل يحيط علمنا القاصر بمسألة الوجود والعدم ليصح مثل هذا الادعاء؟.

يدلل (كولن) من خلال العلم الحديث على قصور علمنا بالكون، فمثلا كان يعتقد أن الذرة هي أصغر أجزاء المادة، أما اليوم فاكتشفوا أنها تتشكل من أجزاء أصغر من الالكترون، فمعلوماتنا في تجدد مستمر تجاه نظرية الذرة[٣]ونشأت نظرية وحدة الطاقة الضوئية(الفوتون) [٤] فصب العلماء جهودهم على الجسيمات.

فما نعلمه بالنسبة لما نجهله قطرة في بحر، فمثلا كنا نظن حتى الأمس القريب أن كل شيء يتشكل من الذرات، أما اليوم فنظرية المادة المضادة تقول إن هناك ذرة مضادة

١- ينظر: الرد على شبهات العصر ص ٢٢٩.

٢- الرد على شبهات العصر ص ٢٢٩.

٣- جميع المواد في الكون تتكون من تركيبة من ثلاث جسيمات: الأول: يسمى نيوترون وهو جسم متعادل الشحنة، والثاني: بروتون يحمل شحنة موجبة وكتلته تساوي كتلة النيوترون، والثالث: هو الإلكترون ويحمل شحنة سالبة تتعادل مع شحنة البروتون لكن كتلة الإلكترون أقل من البروتون ١٤٨٠ مرة، وفي أي ذرة تتجمع البروتونات والنيوترونات في مركز الذرة أو نواتها أما الإلكترونات، فتدور حول النواة سابحة في سحابة شاسعة نسبيا وبسرعات هائلة، وفي الأحوال العادية، فإن الذرة تكون متعادلة كهربيا، أما اختلاف العناصر بعضها عن البعض فيعود إلى اختلاف عدد البروتونات. ينظر: دكتور أسامة أبو حليمة: تأملات علمية ص ١١١، الهيئة المصرية العامة للكتاب ٢٠١٥م.

٤- وهي نظرية تفترض أن الطاقة المشعة تنبعث في كميات متتابعة في دفعات أو حزم أو حبيبات من الطاقة أو ذرات واطلق على هذه الذرات الضوئية اسم (فوتونات).وقد نال (اينشتين) جائزة (نوبل) عن بحث قدمه حول العلاقة بين هذه الفوتونات والكهرباء التي تتولد منها وعلى أساس هذه المعادلات قامت فكرة اختراع التليفزيون فيما بعد. ينظر: د/مصطفى محمود: اينشتين والنسبية ص ٢٠- ٢١، دار المعارف.

تقابل الذرة، وهذا واضح في قوله: ﴿ سُبْحَٰنَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْأَزْوَٰجَ كُلَّهَا مِمَّا تُنۢبِتُ ٱلْأَرْضُ وَمِنْ أَنفُسِهِمْ وَمِمَّا لَا يَعْلَمُونَ ﴾ [١]، فالله سبحانه خلق زوجين من الذرة[٢].

ومسألة المادة المضادة والذرة المضادة التي اشتغل بها العلماء في عالم الفيزياء والفيزياء الفلكية لتثبت قصر حدود معارفنا، والقول أنهما متصارعتان ستقضى الأولى على الأخرى، فهذا لا دليل عليه.

والقول بأنهما كانتا متقابلتين عندما خلق الكون، ثم أكل كل منهما الآخر، وبقى بقية من المادة فتفوقت على المادة المضادة، ومنها نشأ هذ العالم، فهذا ادعاء تأباه العقول فلو وقع مثل هذا لما كان يسوغ الكلام عن وجود مادة مضادة على الأرض فمقتضى ذاك الادعاء أن المادة المضادة قد قضي عليها منذ بدء الخلق.

وهناك رؤية أخرى للمادة المضادة يشير إليها (كولن) بقوله: " دعوى وجود ما هو مضاد للمادة والذرة تشير إلى عالم خفي عنا كعالم الملائكة والجان، وفي سيرة الأنبياء ما يشير إلى أن الملائكة تمثلت في صورة أشياء مادية فأهلكت أقواما، فقد يكون هذا العالم الخفي هو المادة المضادة، وكذا الآخرة والجنة والنار، فقد كان النبي يتصل بعالم المادة المضادة فيرى الجنة والنار وهو ما يزال في عالم المادة"[٣].

إذن فما نجهله عن الوجود أكثر بكثير مما نعلمه.

ويخلص (كولن) إلى أن: " وراء المادة عالما آخر، والذين يبحثون عن كل شيء في المادة عقولهم في عيونهم والعين في المعنويات عمياء"[٤].

ثالثا: " كلنا شاهد على إفناء ما هو موجود وإيجاد ما هو معدوم، فهو سبحانه يوجد النور في لحظة، ثم يفنيه ويوجد الظلمة مكانه ...وفي كل موسم يخلق من العدم نباتا وحيوانات لم تكن شيئا "[٥].

١- سورة يس الآية:٣٦.واستشهاد كولن بالآية على الذرة والذرة المضادة اجتهاده الخاص حيث لم يقل به أحد من المفسرين وأكثر المفسرين على معنى الأزواج الأنواع والأصناف من النبات والشجر وفي أنفسهم الذكر والأنثى. ينظر: تفسير البيضاوي: أنوار التنزيل ص ٢٦٨/٤، وتفسير النسفي: مدارك التنزيل وحقائق التأويل ص ١٠٤،/٣ وتفسير الطبري: جامع البيان في تأويل القرآن ص ٢٠/ ٥١٥.

٢- ينظر: الرد على شبهات العصر ص ٢٣٠.

٣- الرد على شبهات العصر ص ٢٣١ .

٤- السابق ص ٢٣٣ .

٥- السابق ص ٢٣٤ .

ويوم تفنى هذه المخلوقات كلها سنشهد سر الآية الكريمة: ﴿ كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ ﴾ [١] فسيفنى كل ما على الأرض بجوانبه المادية ولا باق إلا الله تعالى[٢].

ويخلص كولن إلى أن: " الأفكار الغائمة هي ملاذ الماديين بنصب إله مادي أو نصب المادة إلها بدلا من الخالق البارئ الذي يفني الموجود ويوجد المعدوم، والذي يشعرنا بوجوده عن طريق عجائب صنعه في الكون، ويدعون أن المادة هي التي تدبر أمر العالم، وما القوى الكيماوية والميكانيكية سوى خصائص لها، والحق أن حقيقة المادة التي عدوها كل شيء مجهولة، والغريب أن الماديين الملحدين لله؛ لأنهم لا يعرفون كنهه- وهذا لأن الخلق عاجزون عن إدراكه- لا يرون بأسا في عد المادة التي يدركون حقيقتها أصل كل شيء"[٣].

ونتيجة لما سبق فصرح الاعتداد بالمادة وتقديسها تهاوى بمعاول العلم الحديث ومظاهر الكون قبل أن يتهاوى عقلا ونقلا.

ثالثا: نظرية التطور:

يرى (دارون) أن الإنسان سليل معدل قد انحدر عن أحد الأشكال الحية السابق تواجدها، أو أحد الأشكال المتدنية(الدنيا) من الحيوانات وخاصة القرد، واستدل على ذلك بثلاثة أدلة:

١- التركيب الجسماني المتشابه.

٢- التكوين الجنيني.

٣- الأعضاء الأثرية غير المكتملة.

وبعد أن ذكر (دارون) أدلته خلص إلى :"وبهذا الشكل فإننا نستطيع أن نفهم كيف وصل الأمر إلى تقبل أن الإنسان وجميع الحيوانات الفقارية الأخرى قد تم تشييدهم على نفس النمط العام، ولماذا يتم مرورهم من خلال نفس المراحل الأولى من التكوين، ولماذا يقومون بالاحتفاظ ببعض البقايا الأثرية غير المكتملة المعينة المشتركة فيما بينهم، وبالتالي فإنه يتحتم علينا أن نعترف بشكل صريح بوحدة نشأتهم"[٤].

١- سورة الرحمن الآية:٢٦ .

٢- ينظر: الرد على شبهات العصر ص ٢٣٤ .

٣- كولن: أسئلة العصر ص ٢٥.

٤- تشارلس داروين: نشأة الإنسان والانتقاء الجنسي ص ٩١- ١٢٠، ترجمة وتقديم: مجدي محمود المليجي، المجلس الأعلى للثقافة، ط: الأولى ٢٠٠٥م العدد (٩٢٩)..

الأسس التي تعتمد عليه الداروينية ورد كولن عليها:

قدم (دارون) نظريته التي تبحث عن منشأ الأنواع والتطور البيولوجي لها معتمدا على عدة عوامل ومتأثرا بها منها تجارب لعلماء سابقين منهم (لامارك) [1] وآرائه حول الأحياء وتطورها، ثم جمع المعلومات، وصنفها تصنيفا علميا، ولكنها ادعاءات أبعد عن الطريقة العلمية بفراسخ عديدة كما يقول (كولن) .وقد اعتمدت نظريته على عدة أسس وقام (كولن) بالرد عليها كالتالي:

١- دعوى التطور والتشابه الموجود بين الأحياء:

يرى (دارون) أن التركيب الجسماني الخاص بالإنسان مشيد على نفس الطراز أو النمط العام مثل الحيوانات الثديية الأخرى كالقرد، في العظام، والعضلات، والأعصاب، والأوعية الدموية، والأحشاء الداخلية، وكذلك المخ، وهو الأكثر أهمية، فالفروق الحقيقية الموجودة بين مخ الإنسان وأمخاخ القرود العليا هي في منتهى الضآلة، فالإنسان قريب في صفاته التشريحية وفي ذكائه من القرود الشبيهة بالإنسان أكثر من تقارب تلك القرود من بعض الحيوانات رباعية الأيدي.

وأشار (دارون) إلى أن الإنسان قابل لأن يتلقى من الحيوانات الدنيا أو أن ينقل إليهم بعض الأمراض المعينة مثل: داء الكلب والجدري، والقرود معرضة للإصابة بالكثير من نفس الأمراض غير المعدية مثلنا، كالنزلات التنفسية، والسكتة الدماغية، والتهاب الأمعاء، والحمى، وقد أثبتت العقاقير نفس التأثير عليهم كما هو الحال معنا.

إلى جانب أن القرود لديها تذوق قوي للشاي، والقهوة، والمشروبات الروحية، والتدخين.

وكذلك التشابه مع الإنسان في عمليات الحمل، والتكاثر، والبلوغ، ورعاية الصغار، مع الإنسان، والرجل يختلف عن المرأة في الحجم والقوة الجسمانية وكمية الشعر كما يحدث في الحيوانات الثديية، وبذلك يكون التطابق بين الإنسان والحيوانات العليا وخاصة القرود تطابق حميم كما يقول (دارون)[2].

ويرد كولن على هذا الأساس بعدة أجوبة:

أ- هذه الادعاءات لا تستند إلى برهان حقيقي؛ فوجود العين والوجه والأذن في الإنسان لا يشكل دليلا أنه تطور من قرد، وكذا في باقي الأحياء، فالتشابه الموجود بين الأحياء يرجع إلى أنها تستند إلى عناصر واحدة وهي: النتروجين والكربون والأكسجين والهيدروجين والإنسان والحيوان يتغذون أغذية مشتركة ومع ذلك فجميع أنواع الموجودات وكذلك أفراد الإنسان يبدون في نواح عديدة فروقا كبيرة فيما بينهم.

---

[1]- جان لامارك: عالم أحياء فرنسي (١٧- ١٨٢٩م)أودع خلاصة بحثه عن أصل الأنواع الحيوانية في كتابه الشهير(فلسفة علم الحيوان)وانتهى إلى تقرير المبادئ التالية:
تغير ظروف البيئة المحيطة بالحيوان يؤدي إلى تغير الأجهزة العضوية فيه- الحاجات الناجمة عن هذا التغير تؤدي إلى خلق أعضاء ملائمة- الأعضاء في الحيوات تقوى بالاستعمال وتضعف بقلة استعمالها- بتوالي الأجيال تصبح هذه التغيرات وراثية. ينظر: د/ عبد الرحمن بدوي: موسوعة الفلسفة ج ٢ ص ٣٨.
[2]- تشارلس داروين: نشأة الإنسان والانتقاء الجنسي ص ٩١- ٩٥.

إن التشابه في المظهر الخارجي أو في البنية الداخلية لا توجب تطور الأحياء بعضها من بعض، فإن الفروق الموجودة بين الكائنات تظهر أن الغاية من الخلق، ووظيفة ذلك الكائن وموقعه يأتي في المقدمة، وأن البنية المادية تنظم على هذا الأساس، فلا يمكن بناء بناية عشوائية، ثم تعطى وظيفة فيما بعد.

ب- أن هناك أعدادا غير محدودة من الكائنات والأنواع، ولو كان لكل نوع وجه خاص وأعضاء مختلفة لكان من الضروري وجود أنواع لانهائية من الأعضاء ومن التراكيب والبنى.

ج- وأن معظم الأمراض التي تصيب الإنسان ليست هي نفس الأمراض التي تصيب القرود - على عكس ما زعم دارون- [١].

٢- التكيف ومسألة الأعضاء المستعملة وغير المستعملة .

يرى (دارون) أن هناك أعضاء أثرية غير مكتملة النمو أو ضامرة كانت موجودة في أسلاف سابقة ولكنها أصبحت غير مفيدة أو ذات فائدة بسيطة بعد مرور هؤلاء الأسلاف بعملية التطور ولذا هي غير خاضعة للانتقاء الطبيعي وخاملة تماما وقد تعود للظهور في بعض الحالات .

وبمعنى آخر أن الأجداد العليا للإنسان كانت تمتلك تلك الأجزاء كاملة وتحت تأثير الاختلاف في سلوكيات الحياة أصبحت مختزلة؛ لعدم الاستخدام في هذه الفترة-وخاصة فترة البلوغ- أو من خلال الانتقاء الطبيعي والوراثة .

ويذكر (دارون) عدة أمثلة على بعض هذه الأعضاء التي بقيت غير مكتملة لعدم الفائدة والجدوى :

أ- الشعر الذي على جسد الإنسان فما هو إلا آثار باقية من الغطاء الطبيعي المتسق من الشعر الخاص بالحيوانات الدنيا.

ب- الزائدة الدودية وهي جزء أثري باق؛ لحجمه الصغير، وكونه بلا فائدة، بل قد يسبب الموت في بعض الأحيان .

ج- بعض الفقرات كالعصص بقيت بالرغم من عدم وجود وظيفة لها على أساس أنها كانت في مرحلة سابقة ذيل للحيوانات السالفة[٢].

و يدلل (كولن) على بطلان ذللك الأساس :

أ- ان اليهود يختنون أولادهم منذ أربعة آلاف سنة، وعلى الرغم من مضي كل هذه السنوات الطويلة، فلا يولد طفل يهودي مختون.

١- كولن: حقيقة الخلق ونظرية التطور ص ٣٢- ٣٣.

٢- تشارلس داروين: نشأة الإنسان والانتقاء الجنسي ص ٩٩- ١٢٠.

ب- وادعى (لامارك) أن عنق الزرافة أصبحت أطول لتستطيع تناول أوراق الشجر، ومما يدل على بطلان زعمه:

أنه لماذا لما تتطاول أعناق العنز؟، ولماذا لم يصبح للثعابين أرجل تمشي عليها بدلا من الزحف؟.

ج- و ادعى (دارون) أن أرجل الثعابين ضمرت، وهذا تناقض؛ لأن الأحياء في نظريته المفروض أن تتطور من الزحف إلى المشي على أرجل.

د- ويزعم (دارون) أن الطير اكتسب جناحيه فيما بعد لكي يستعملهما في الطيران وهنا تناقض؛ لأنه كان من المفروض - حسب الادعاء بأن الأعضاء المستعملة تتكامل وتتطور وأن غير المستعملة تضمر- أن تضمر جناحا الطائر؛ لأنه لم يستعملهما طوال فترة عدم صلاحيتهما للطيران، وأسئلة أخرى: كيف تكامل هذا الطائر تدريجيا قبل أن يملك الجناحين، وكيف شعر بضرورة امتلاكه لهما؟ وكيف قام بتطويرهما؟، وغيرها من التساؤلات لم يرد (دارون) ولا أتباعه عليها بأدلة مقنعة[١].

هـ- يتمسك التطوريون في إثبات هذا الأساس بمثال (اللوزتين والزائدة الدودية) فيقولون بأنه عضو ضامر ورثناه من أسلافنا؛ لذا فلا ضرورة له ولا فائدة منه، ويرد (كولن) عليهم بالعلم:

حيث إن العلم اليوم يقول إن اللوزتين عبارة عن بوابة حراسة، وأمن ضد الجراثيم التي تحاول دخول جسم الإنسان، والزائدة الدودية هي المعدة الثانية للإنسان .

و- يرى (دارون) أن الشعر الموجود في الإنسان ضامر لأن أجدادنا الحيوانات كانت ذات شعر كثيف وعندما تحول إلى إنسان سقط الكثير من شعره، ولكن عندما جاء ليفسر عدم وجود الشعر عند النساء في معظم أجزاء أجسامهن اعتذر بعذر لا يتلاءم مع نظريته، وقال بأن هذا ضروري لجمال المرأة وجاذبيتها، ويقول كولن معلقا: "لقد كان من الممكن أن يكون إيراد هذا السبب مفهوما لو تم النظر للموضوع من زاوية الحكمة ومن زاوية الخلق الإلهي"[٢].

فهذا التعليل من (دارون) سيكون مقبولا لو نظر إليه أنه حكمة اقتضاها الله من خلق المرأة؛ لتلائم دورها وطبيعتها في الحياة، أما على أساس التطور فلا يصلح ولا ينسجم مع تلك النظرية.

ز- ويعلل (دارون) وجود الشعر على رأس الرجال وعدم تساقطه بأن الرأس معرض لكثير من الضربات؛ لذا كان من الضروري بقاء الشعر عليه. ويتساءل كولن: أيتعرض أنف الإنسان، وجبينه، بل وركبته، ورجله لصدمات أقل؛ لذا تساقط الشعر هنا وبقي في الرأس؟ لا يوجد دليل علمي مقنع للدلالة على ذلك.

١- حقيقة الخلق ص٣٦- ٣٧ .

٢- كولن: حقيقة الخلق ونظرية التطور ص ٣٧.

ح- يقدم الداروينيون الجدد برهانا جديدا على التغيرات الحاصلة في الحياة للتكيف مع البيئة يتمثل في أن الفراشات السوداء وذات الألوان الغامقة في أماكن التصنيع تستطيع عندما تحط فوق الجدران الغامقة أن تحمي أنفسها من أعدائها أكثر من الفراشات ذات الألوان الفاتحة وتتكاثر أكثر منها وسيأتي يوما وتنقرض الفاتحة بينما تظل القاتمة .

ويرد (كولن) بأن الدليل متهافت؛ لأن الفراشات التي انقرضت والتي بقيت هي فراشات لم يحصل أي تطور من نوع إلى نوع، وأيضا لم يحصل أي تغير داخل النوع نفسه.

كما يقدم الداروينيون حدوث التغيرات نتيجة لحوادث الطبيعة كدليل على نظريتهم في تغير الأحياء للتكيف مع البيئة، ولا يمكن إيراد هذه التغيرات الظاهرية، والتي تجري ضمن النوع الواحد كدليل علي سلسلة عملية التكامل والتطور التي تؤدي لظهور أنواع جديدة من الأحياء[١] .

٣- التطور والمراحل التي يمر بها الجنين في رحم الأم .

يرى (دارون) أن تكوين الإنسان يتم من بويضة صغيرة الحجم وهي لا تختلف كثيرا عن البويضات الخاصة بالحيوانات الأخرى والجنين نفسه لا يمكن تمييزه عند مرحلة مبكرة جدا عن جنين المملكة الفقارية، وكذا في المراحل المتقدمة فالأجنحة والأقدام الخاصة بالطيور لا تقل عن الأيدي والأقدام الخاصة بالإنسان، فإنها تنشأ كلها من نفس الشكل الأساسي، وكذا القلب[٢].

وهذا القول باطل، ومما يدل على بطلانه:

أ- ما قرره البرفيسور(شنكون) أننا لا نعرف الشيء الكثير عن مدى التناظر والتشابه الموجود في مراحل نمو وتطور البويضة المخصبة؛ لأن بعض الأجنة تتطور وتنمو بسرعة، بينما أجنة أخرى بطيئة، وإن نسل كل كائن حي يملك خواصا وكروموزومات، وجينات، واستعدادات، ومسار نمو وتطور خاص به.

ب- أن مراحل نمو الجنين وضحها القرآن نطفة، ثم علقة، ثم مضغة، ثم عظاما، ثم لحما وهي مراحل أيدها العلم بعد ١٤ عصرا من نزوله ﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِن سُلَٰلَةٍ مِّن طِينٍ ﴿١٢﴾ ثُمَّ جَعَلْنَٰهُ نُطْفَةً فِى قَرَارٍ مَّكِينٍ ﴿١٣﴾ ثُمَّ خَلَقْنَا ٱلنُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا ٱلْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا ٱلْمُضْغَةَ عِظَٰمًا فَكَسَوْنَا ٱلْعِظَٰمَ لَحْمًا ثُمَّ أَنشَأْنَٰهُ خَلْقًا ءَاخَرَ ۚ فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ أَحْسَنُ ٱلْخَٰلِقِينَ ﴿١٤﴾ ﴾[٣].

ج- ويمكن القول أن أجنة الحيوانات الفقرية متشابهة فيما بينها في المراحل الأولى، وأما مشابهتها لجنين الإنسان فمشابهة ظاهرية؛ لذا لا يعد هذا دليلا للتطور.

---

[١]- ينظر: حقيقة الخلق ونظرية التطور ص ٣٧- ٣٩.
[٢]- تشارلس داروين: نشأة الإنسان والانتقاء الجنسي ص ٩٥، ٩٦.
٣- سورة المؤمنون: آية ١٢- ١٤ .

د- ثم إن كل جنين يملك خواصا تعود لنوعه ويتميز بها عن غيره، ولا نستطيع مشاهدة هذه الخواص من الخارج فالإنسان خلق في أحسن تقويم من الرقي والسمو والاستعداد للتعلم[١].

٤- المتحجرات[٢]:

وهي من الأسس التي اعتمد عليها التطوريون إذ يرون ضرورة الاستعانة بالمتحجرات، وذلك من أجل البرهنة على صحة هذه النظرية من جهة، وكذلك بسبب عدم حدوث ما يثبت وقوع أي تطور ملحوظ ضمن العهود التاريخية المعروفة[٣].

ويدلل (كولن) على بطلان هذه النظرية بما يلي:

أ- أن جميع المتحجرات التي عثروا عليها ليس لها أي قيمة علمية.

ب- لم يعثر حتى الآن على متحجرة واحدة كأنموذج وكمثال على أي مرحلة انتقالية أو حلقة وسطي بين الأنواع، والبحث عن الحلقات الوسطى حتى الوصول إلى الإنسان ليس إلا عبثا لا طائل تحته.

ج- بعض الأحياء التي عاشت في الماضي ثم انقرضت لأسباب عديدة كالديناصورات فهي تشكل أمثلة على الانقراض لا على التطور.

د- أحد الأدلة التي يعتمدون عليها (متحجرة الحصان ذي الأظافر الخمسة) والزعم بأن الحصان كان قديما ذا خمسة أصابع وبحجم الثعلب. وللرد عليهم من أقوال العلماء: أننا لا نملك أي معطيات علمية حول مجيء الحصان من أحياء هذه المتحجرات، ولو فرضنا أن المتحجرات صحيحة فيمكن أن تعود لأنواع أخرى عاشت في الماضي ثم انقرضت.

وإن كان هذا صحيحا فلماذا نقص عدد أظافر الحصان، ولماذا تحول من حيوان بحجم الثعلب إلى الطول الحالي؟ لا يملك العلم جوابا شافيا، ولاسيما أن هناك حيوانا بأظفر واحدة، وبأظفرين، وبثلاثة، وبخمسة، وما زالت على قيد الحياة، فلماذا طرح الحصان أظافره الأربعة ليبقى بأظفر واحد وبحجم أكبر؟، وإذا قيل إنها استطالة لأجل الجري، فلماذا لم تستطل قوائم كلب الصيد مثل الحصان؟.

وكيف نتصور حيوانا بحجم الثعلب ينقلب وبطفرة واحدة إلى حصان فأين الحلقات الوسطى ومراحل الانتقال ؟.كل هذه تساؤلات دون أجوبة علمية.

١- حقيقة الخلق ونظرية التطور ص ٤٢ .

٢- المتحجرات: "بقايا الكائنات الحيَّة التي عاشت في الماضي البعيد، ثمّ انقرضت سلالاتها تمامًا ويمكن من خلال هذه الآثار تحديد بعض ملامح الأزمنة الجيولوجيَّة، ودراسة مظاهر الحياة فيها". دكتور/ أحمد مختار عبد الحميد عمر بمساعدة فريق عمل: معجم اللغة العربية المعاصرة باب ١٣٣٢ (ج ح ر) ج ١ ص ٤٤٧، عالم الكتب، ط: الأولى ١٤٢٩هـ- ٢٠٠٨م.

٣- ينظر: كولن: حقيقة الخلق ونظرية التطور ص ٤٥ .

هـ- المتحجرات التي حصلوا عليها كأدلة على الحلقة الوسطى بين الإنسان والقرد وجدت متناثرة، وليست في مكان واحد مما جعل بعض العلماء يستبعدون أن تكون لمخلوق واحد كمتحجرة (رجل جاوة) و(رجل بكين)، أما متحجرة (رجل بلتداون) ١٩١٢- ١٩١٤م، فقد ظهر أنها مزيفة ركبت لها فك وأسنان قرد، وأضافوا على الجمجمة مادة كيميائية لتبدو قديمة، وكذا متحجرات أخرى تبين بعد سنوات أنها زائفة[١].

٥- الطفرات[٢]:

تقضي هذه الفكرة بأن التغيرات الحاصلة في شفرات جينات الكائن الحي عن طريق المصادفات أو ظروف البيئة تكون إحدى عوامل التغيير عند الانتقال من نوع إلى آخر[٣].

ويؤكد (كولن) بالفعل على أن مختلف الإشعاعات والمواد الكيميائية والظروف الأخرى للبيئة قد تحدث بعض التغيرات في شفرات جينات الأحياء، ولكن مثل هذه التغيرات أو الطفرات لأي سبب من الأسباب لا تستطيع العمل على إنتاج نوع جديد من الأحياء، ولا تغيير أي كائن حي من نوع إلى نوع آخر حسب زعم الداروينيين.

ومما يدل على بطلان هذا الأساس:

أن التجارب العديدة التي أجريت على أكثر من ٤٠٠ من ذباب الفاكهة أظهرت أنه من المستحيل أن يتغير نوعها أو ماهيتها تحت تأثير الظروف البيئية، وحتى عندما تمت عملية التناسل بين هذه الذبابات المعرضة لهذه التغيرات لم يتم الحصول على نسل جديد، وكذا التجارب التي أجريت على الإنسان وباقي الأحياء كلها تغيرات سطحية كاسمرار الجلد أو ارتفاع ضغط الدم بالنسبة للإنسان .

وقد أعطى الله الإنسان الحق بالتدخل في عمل الطبيعة واكتشاف العلوم وتطويرها ولكن هذا التدخل لن يستطيع تغيير الحيوانات من نوع إلى نوع إلا في حالة استثنائية سمح الله بها وهي التناسل بين الحصان والحمار والبغل الناتج منها يظل عقيما، أما في النباتات

١- ينظر: حقيقة الخلق ونظرية التطور ص ٤٩- ٥٠.

٢- طَفْرَة [مفرد]: ج طَفَرَات وطَفْرات:

أ- اسم مرَّة من طفَرَ: قَفْزة، وَثْبة ، الوثوب في ارتفاع، المرة الواحدة.

ب- انتقال سريع من حالة إلى أخرى، تطوّر، ارتفاع مفاجئ، طفرة اجتماعية: تغيُّر يطرأ على البنية الاجتماعيّة بشكل مفاجئ، طَفْرَة اقتصاديّة: فترة انتعاش اقتصادي.

ج- (حي) تغيُّر في خصائص حيوان عن خصائص والديه الوراثيَّة، يمكن توريثه، ويمكن أن يكون سبب ذلك حدوث تغيُّر كيميائيّ أو فيزيقيّ في صبغيَّات الكائن الحيّ، وتحدث الطفرة كذلك في النبات.

زين الدين أبو عبد الله محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الحنفي الرازي (المتوفى: ٦٦٦هـ) مختار الصحاح ص ١/ ١٩١، محمد بن أحمد بن يوسف، أبو عبد الله، الكاتب البلخي الخوارزمي (المتوفى: ٣٨٧هـ) مفاتيح العلوم ص ١/ ٤٤،المحقق: إبراهيم الأبياري، دار الكتاب العربي، الطبعة: الثانية. د/ أحمد مختار عبد الحميد عمر (المتوفى: ١٤٢٤هـ) بمساعدة فريق عمل: معجم اللغة العربية المعاصرة ص ٢/ ١٤٠٤ باب ٣٢١١ (ط ف ر).

٣- ينظر: كولن: حقيقة الخلق ونظرية التطور ص ٥٤.

فممكن في أنواع معينة حسب القوانين التي وضعها الله عن طريق التطعيم في الأشجار الحصول على نوع آخر من الأشجار[١].

٦- الانتخاب الطبيعي:

يرى (دارون) أن الانتخاب الطبيعي أو كما يسميه الانتقاء الطبيعي هو: "الاحتفاظ والتكديس للتمايزات التي هي مفيدة تحت الظروف العضوية وغير العضوية التي يتعرض لها كل كائن حي في جميع فترات الحياة والنتيجة النهائية أن كل من الكائنات يميل إلى أن يصبح أكثر تحسنا بالنسبة إلى ظروفه"[٢].

والمعنى أنه تحت تأثير الظروف المتغيرة للحياة تظهر على الكائنات اختلافات فردية في كل جزء من تركيبها، ونتيجة لمعدلهم الهندسي في الزيادة يحدث تنازع شديد من أجل الحياة عند عمر، أو فصل، أو سنة معينة والأفراد التي تتميز بهذا الشكل سوف تكون لديها أفضل فرصة لكي يتم الاحتفاظ بها في أثناء التنازع من أجل البقاء ونتيجة لمبدأ الوراثة فإن هذه الكائنات تميل إلى انتاج ذرية متميزة بنفس الطريقة[٣].

وتقوم الطبيعة باستمرار وببطء بعملية الانتخاب أو الانتقاء الطبيعي بحثا عن الأنواع والصفات الأفضل لافظة كل رديء ومحتفظة لكل كائن ما هو جيد وملائم لظروف حياته، وإذا لم يقم كل كائن بإدخال تعديلات وتحسينات بدرجة متطابقة مع منافسيه فإنه سوف يستأصل؛ ومن ثم النتيجة الطبيعية أن نجد تناقص وندرة في بعض الأنواع نتيجة لظروف البيئة، ثم انقراضها لتبقى الأنواع والصفات المفيدة، ثم تتوارث الأجيال هذه الصفات ليظهر نوع جديد حاملا لتلك الصفات [٤].

ويرى (كولن) أن هذا الأساس باطل لأسباب:

أ- لا يوجد دليل على أن أي نوع من الأحياء بعد الكوارث قد غير نوعه.

وإذا كانت هناك أحياء انقرضت فلمَ لم يعثر على متحجرات لها كما أن الأحياء القوية التي بقيت بعد الكوارث لم تطفر إلى أنواع أعلى ثم إنه يوجد داخل كل نوع من الأنواع على الدوام أفراد أقوياء وأفراد ضعفاء وهما يعيشان جنبا إلى جنب .

ب- أن الكوارث كالسيول والزلازل وما يتبعها من خراب وانهدام لا تقضي على الأفراد الضعفاء فقط، بل حتى على أقوى الأقوياء، وهذا مخالف لزعم أصحاب الانتخاب الطبيعي.

١- ينظر: حقيقة الخلق ونظرية التطور ص٥٦، ٥٧.

٢- تشارلس داروين: أصل الأنواع ص ٢١٥، ترجمة: مجدي محمود المليجي تقديم: سمير حنا صادق المجلس الأعلى للثقافة ط الأولى ٢٠٠٤ العدد(٦٢٨).

٣- السابق ص ٢٢٣.

٤- دارون: أصل الأنواع ص ١٦٥- ١٩٧.

ج- وجود بعض الحيوانات ضعيفة والأخرى قوية لاستمرار التوازن البيئي، فالضعيف طعما وغذاء للقوي ولوكان جميع أفراد نوع ما أقوياء لكانت النتيجة أن تموت كل الحيوانات المفترسة التي تتغذى على اللحم ولتكاثرت الحيوانات الأخرى.

د- عندما يقضى على الأفراد الضعفاء في جيل من الأجيال فلا يعني هذا أن الأجيال القادمة ستكون قوية ففي كل جيل يوجد الضعفاء جنبا إلى جنب مع الأقوياء.

هـ- إن الصراع شيء ثانوي في الحياة، والأصل هو التعاون فأعضاء جسم الإنسان مثلا في تعاون مستمر فيما بينها وتتعاون الشمس بضيائها وحرارتها مع الهواء والماء والتربة لإنتاج الأثمار للإنسان أو للحيوان.

و- فرضية الانتخاب الطبيعي ضعيفة وواهية ولا أساس لها من الصحة، فالمشاهدات العلمية لا ترينا قيام البيئة أو الظروف المناخية برمي الأحياء الضعيفة خارج النوع، ولا قيام الأحياء القوية بامتلاك حق الحياة وإبادة الضعفاء مع أننا يمكننا العثور على أمثلة من هذا القبيل في التاريخ الإنساني من حين لآخر إلا أنه عندما يسود الحق نرى رحمة الأغنياء بالفقراء، وشكر الفقراء للأغنياء[١].

ويرى (كولن) – أخيرا- أن أخطر ما في الانتخاب الطبيعي أن أصحابه حديثا يطبقونه على أحداث التاريخ ليعطوا الشرعية لاستبداد القوي وظلمه للضعيف، فيقول: "وينظر التطوريون إلى هذه الكوارث وإلى أمثالها من الاستعمار الدولي، وتجارة الرقيق، والتمييز العنصري، وسيادة القوة على الحق وكأنها "المسيرة الطبيعية" للتاريخ، وبهذا يعطون الحق والشرعية لها بوجه من الوجوه؛ من أجل ذلك نرى أن (كارل ماركس) مؤسس الشيوعية[٢] الذي وضع نظريته في التاريخ على هذا الأساس يدين بالشيء الكثير لدارون؛ لذا فليس من الغريب أن يكون الشيوعيون من أكثر الماديين ارتباطا بنظرية التطور ودفاعا عنها؛ لأن نظرية التطور من الأسس التي يستند إليها الإلحاد"[٣].

ويخلص (كولن) بعد عرض أسس الداروينية إلى أن:

١- لا يوجد أي سند قوي يؤيد هذه النظرية؛ إذ لم يتم العثور على المتحجرات التي تربط الإنسان بالقرد.

٢- إن تركيب جزيئات D.N.A.وبنيتها تستوجب وجود علم وقدرة لانهائية وراءها، ولا تبقي أي فرصة أو احتمال لتكونها نتيجة المصادفات، أو الظهور التلقائي، أو تدخل خال

١- ينظر: كولن: حقيقة الخلق ونظرية التطور ص ٦٦، ٦٧ .

٢- الشيوعية: مذهب فكري يقوم على الإلحاد وأن المادة هي أساس كل شيء، ويفسر التاريخ بصراع الطبقات وبالعامل الاقتصادي ظهر في ألمانيا على يد ماركس اليهودي الألماني وأنجلز، وتجسدت في الثورة البلشفية التي قامت في روسيا بتخطيط من اليهود، والآن الشيوعية في ذمة التاريخ بعد أن تخلى عنها الاتحاد السوفيتي= =الذي بدوره تفكك إلى دول مستقلة تخلت كلها عن الماركسية، واعتبرتها غير قابلة للتطبيق. ينظر: الندوة العالمية للشباب الإسلامي: الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة المجلد الثاني ص ٩٢٩.

٣- حقيقة الخلق ونظرية التطور ص ٦٨ .

من الشعور والإدراك، وجميع ما زعم أنها أدلة لا تعدو أن تكون فرضيات أو تأويلات مصطنعة.

٣- وكما أن المصادفات لا تملك أي موقع مهما كان صغيرا في هذا العالم كذلك يستحيل قيام أي كائن حي بخلق نفسه بنفسه من العدم.

٤- جميع الأديان السابقة، وجميع الأنبياء، وجميع الكتب المقدسة تذكر بشكل واضح أن كل شيء - وضمنه الإنسان- قد خلق من قبل الله تعالى أي لا تفتح أي باب لقبول نظرية التطور[١].

ورغم تلك التناقضات التي وقعت فيها الداروينية إلا أن (كولن) لم يغفل الجانب الإيجابي للنظرية كعلم، يقول كولن:" لقد أفاد دارون دنيا العلم من حيث لا يدري فتصنيف الأنواع وترتيبها نتاج من نتائج بحوثه، وكان هذا التصنيف دليلا ضمن الأدلة الأخرى حول مدى النظام والانسجام المذهل الموجود في الكون...وبينما ازددنا نحن إيمانا ببحوث دارون فقد انحرف دارون ببحوثه هذه إلى الضلالة"[٢].

وهذا الرأي يتفق فيه مع رأي الدكتور (عمارة) الذي يقول فيه: "وربما كان أفضل فهم لعلمية التطور أنها كانت تطويرا بفعل فاعل وبذات مبدعة خلاقة، ولم تكن تطورا تلقائيا كما تصورها داروين وصحبه، ولم تكن مراحل متروكة للصدفة، وإنما كانت تخليقا مرادا ومخططا لخالق حكيم، وأنها هندسة وراثية لمهندس عظيم ليس كمثله شيء، وما جاء في القرآن هو أصدق صورة لما حدث"[٣].

رابعا: ادعاء تعارض الدين مع العلم:

يرى بعض الغربيين أن هناك صراعا تاريخيا بين العلم والدين يريد كل منهما أن يدمر الآخر لا أن يغلبه فحسب، ولم يكن مجديا أن تحاول العقائد الدينية تسخير العلم فقد تحرر من هذا الرق، وكأنما انعكست الآية منذ ذاك وأخذ العلم ينذر بفناء الأديان[٤].

ويرى الدكتور محمد حسين هيكل[٥] أن الخصومة لم تكن بين الدين والعلم وإنما بين رجال الدين ورجال العلم، وكان غرضها السيطرة على السلطة ونظام الحكم، وهذا ما كان

١- حقيقة الخلق ونظرية التطور ص١٢٨، ١٢٩، وينظر: عن نظرية الخلق في القرآن والكتاب المقدس ص ١١١- ١٢٧ من نفس الكتاب .

٢- أسئلة العصر المحيرة ص ٢٦٧ .

٣- دكتور/ محمد عمارة : مقدمة كتاب مع صديقي الملحد للدكتور/ مصطفى محمود ص ٤٢، هدية مجلة الأزهر ٢٠١٥م.

٤- ينظر: الشيخ: مصطفى عبد الرازق: الدين والوحي والإسلام ص ١٣ تقديم: أ.د/ محمود حمدي زقزوق. هدية مجلة الأزهر لشهر محرم ١٤٣٧هـ.

٥- الدكتور هيكل (١٣٠٥ - ١٣٧٦ هـ = ١٨٨٨ - ١٩٥٦ م): محمد بن حسين بن سالم هيكل، كاتب صحفي، مؤرخ من أعضاء المجمع اللغوي، ومن رجال السياسة، بمصر. ولد في قرية كفر غنام (بالدقهلية)، وتخرج بمدرسة الحقوق بالقاهرة (١٩٠٩)، وحصل على (الدكتوراه) في الحقوق من السربون بفرنسا (١٩١٢)، وافتتح مكتبا للمحاماة بالمنصورة. وأكثر من الكتابة في جريدة (الجريدة) وترأس تحرير جريدة السياسة اليومية

واضحا وبأمثلة كثيرة سردها (هيكل) عن صراع الكنيسة، ومهاجمتها لكثير من العلماء والمفكرين مثل: (رينان)[١]، و(ديكارت)[٢]،و(برجسون) ، و(روسو)، وغيرهم، وكان هذا سببا كافيا للثورة على الكنيسة فتغلب رجال العلم على رجال الدين، وتم فصل الكنيسة عن شؤون الدولة فتقدمت أوروبا بفضل اختراعات وإنجازات رجال العلم إلى حد أن جعل الناس يوقنون بالعلم وحاجتهم إليه أكثر من الدين ،وصار هذا الاعتقاد ،وانتقل إلى الشرق[٣].

ويرى الدكتور (إسماعيل مظهر)[٤] نفس الرؤية فيؤكد أن الصراع كان بين اللاهوت

(١٩٢٢) ، ثم الأسبوعية. ودرّس القانون المدني في الجامعة المصرية القديمة. وكان من أركان الحزب الدستوري المناوئ لسعد زغلول وحزبه. وولي وزارة المعارف مرتين، ثم رئاسة مجلس الشيوخ (١٩٤٥ - ٥٠)، وكان أول ما أصدر مجلة (الفضيلة) ويوزعها في قريته. وصنف كتبا طبع منها: (حياة محمد) و (في منزل الوحي) و (ثورة الأدب) و (الصِّدِّيق أبو بكر) و (الفاروق عمر) جزآن، و (عشرة أيام في السودان) و (ولدي) و (تراجم شرقية وغربية) و (في أوقات الفراغ) و (جان جاك روسو) الأول منه، وثلاث قصص، هي (زينب) و (أبيس) و (هكذا خلقت) و (الإمبراطورية الإسلامية) نشر بعد وفاته. وتوفي بالقاهرة، فجمع ما قيل فيه من تأبين ورثاء، في كتاب (الدكتور محمد حسين هيكل). الزركلي: الأعلام ج ٦ ص ١٠٧.

١- رينان جوزيف أرنست (١٨٢٣م- ١٨٩٢م)فيلسوف فرنسي ومؤرخ للفلسفة وللمسيحية، دخل المدارس اللاهوتية وبرز فيها، وتضلع من اللغات الشرقية حتى صار من ثقاتها، وتعلم العبرية بتوجيه من (الب لوهير) وتأثر بالفكر الألماني، فابتعد عن الإيمان الكاثوليكي، وتخلى عن الكهنوت ١٨٤٥م، حصل على جائزة (فولني) على بحثه التاريخي والنظري حول اللغات السامية، نال شهادة الدكتوراه ١٨٥٢م عن أطروحته حول ابن رشد والرشدية وقال: "لولا ابن رشد لما فهمت فلسفة أرسطو"، اختير عضوا في الأكاديمية الفرنسية عام ١٨٧٨م، له عدة مؤلفات في اللغات السامية وأصول المسيحية، وفي الفلسفة والأخلاق. وكانت فلسفته نقدية نقدت الإنسان والطبيعة. ينظر: موسوعة أعلام الفلسفة العرب والأجانب ج ١ص ٥١٨.ينظر: نجيب العقيقي: المستشرقون ج٢ ص ٢٠٢ دار المعارف ١٩٦٤م.

٢- رينيه ديكارت(١٥٩٦أو ١٥٩٥م- ١٦٥٠م)فيلسوف ورياضي فرنسي مال تارة إلى الجندية وتارة إلى الأعمال المدنية ظل متنقلا في أنحاء البلاد لمدة عشرين عاما حتى استقر في استكهولم بدعوة من ملكة السويد، وبها توفي ونال إعجاب معاصريه، ومن الناحية الميتافيزيقية يعتبر ديكارت مثاليا بدأ بالشك المنهجي حتى يصل إلي الحقيقة، ولم ينجو من هجوم اليسوعيين عليه بسبب فكره، استهدف في تفكيره تحقيق ثلاثة أمور: إيجاد علم يقيني بقدر ما في العلوم الرياضية، تطبيق هذا العلم تطبيقا عمليا، تحديد العلاقة بين هذا العلم والموجود الأعلى(الله)بإيجاد ميتافيزيقا تتكفل بحل مشكلات القائمة بين الدين والعلم، له عدة مؤلفات منها: بحث في الإنسان- مقال في المنهج- تأملات في الفلسفة الأولى. ينظر: موسوعة أعلام الفلسفة العرب والأجانب ج ١ ص ٤٥١ .د/ عبد الرحمن بدوي: موسوعة الفلسفة ج١ ص ٤٨٨.

٣- ينظر: الدكتور محمد حسين هيكل: الإيمان والمعرفة والفلسفة ص ١١- ١٥.دار المعارف، ط: الثانية .

٤- إسماعيل مَظْهَر(١٣٠٨ - ١٣٨١ هـ = ١٨٩١ - ١٩٦٢ م):إسماعيل مظهر بن محمد بن عبد المجيد بن إسماعيل، وجدّه لأمه محمد مظهر باشا: باحث مصري من علماء الكتّاب. من أعضاء المجمع اللغوي. مولده ووفاته في القاهرة. سافر الى انجلترا(١٩٠٨ - ١٩١٤) فدرس في جامعة لندن وجامعة أكسفورد وصنف كتبا كثيرة في مختلف العلوم ولاسيما الفلسفة كما ترجم عدة كتب عن الانكليزية. وأصدر مجلة (العصور) سنة ١٩٢٧-١٩٣١م، ورأس تحرير مجلة المقتطف ١٩٤٥- ١٩٤٨م، وأبرز آثاره (معجم مظهر الانسيكلوبيدي) و (قاموس النهضة) إنكليزي عربي في ٢٥٠٠ صفحة و (قاموس الجمل والعبارات الاصطلاحية في الانجليزية والعربية) ومن كتبه (فك الأغلال) و (الإسلام لا الشيوعية) و (فلسفة اللذة والألم) و (ملقى السبيل في مذهب النشوء والارتقاء) و (تاريخ الفكر العربيّ في نشوئه وتطوره بالترجمة والنقل) و (معضلات المدنية الحديثة) و (المرأة في عصر الديموقراطية). خير الدين بن محمود بن محمد بن علي بن فارس، الزركلي: الأعلام ج ١ ص ٣٢٧.

والعلم لا بين الدين والعلم[١].

ومعلوم أن الدين الذي ثار عليه هؤلاء ليس دين عيسى -عليه السلام- وإنما هو الدين المحرف الذي عدله وطوره رجال الكنيسة على مر العصور حسب أهوائهم ورغباتهم.

ويؤكد (كولن) أنه لا صراع بين العلم والدين، بل يتكاملان للوصول إلى الحقيقة، فيقول: "الدين والعلم الحقيقي وجهان لعملة واحدة، فالدين يدل الإنسان على الطريق المستقيم الذي يوصله إلى السعادة، أما العلم الذي له هدف وغاية معلومة فهو مشعلة ومشكاة تضيء في ساحتها هذا الطريق"[٢].

ولذا يرى أن من ينبذ العلوم الوضعية خوفا على الدين مخطئ في مسلكه تماما فيقول:" الابتعاد عن العلوم الوضعية بحجة أنها تؤدي إلى الإلحاد تصرف صبياني، أما النظر إليها وكأنها تعادي الدين، وأنها وسيلة للإلحاد فهو حكم مسبق وجهل مطبق...لقد قال عالم العصر(أنشتاين)[٣] للماديين قصيري النظر الذين حاولوا تأليه العلم في بداية عصرنا الحالي "العلم دون دين أعمى والدين دون علم أعرج"[٤].

يرى (كولن) ألا تعارض ألبته بين الدين الإسلامي والعلم، بل إنه يرى ضرورة الاهتمام الشديد بالعلم وتشييد دوره في كل مكان حتى نقضى على ما يشيعه الغرب من تشويه كدعايته "لا يخرج من رحم العالم الإسلامي عالم"[٥] .

ولذا كان مشروع (كولن) الحضاري للنهوض بالأمة أساسه وذروة سنامه العلم والتعليم فالجهل في نظره من أمراض الأمة ومن عوامل انحراف شبابها، وقد سبقه في هذا الطرح (النورسي) فكان دائما ما يردد أن هناك ثلاثة أمراض تتهدد الأمة وهي الجهل والفقر والمرض.

ويرى أن معظم النظم الأخرى عندما بحثت عن النهوض نبذت الدين بخلاف الإسلام فكان الدين هو محور التجديد والنهوض ويقول:" فإنه من المسلم به أن حركات التجديد والتحديث الواقعة في جميع النظم غير الإسلامية أدت إلى إبعاد الدين عن مركز الحركة،

---

[١]- ينظر: مقدمة الدكتور اسماعيل مظهر لكتاب بين الدين والعلم تاريخ الصراع بينهما في القرون الوسطى إزاء علوم الفلك والجغرافيا تأليف العلامة: أندرو ديكسون وايت، ترجمة: اسماعيل مظهر ص ١٩، الهيئة المصرية العامة للكتاب ٢٠١٢م.

٢- كولن: الموازين أو أضواء على الطريق ص ٩٤ .

[٣]- أينشتاين ألبرت: فيزيائي من أصل ألماني ولد ١٨٧٩م حصل على جائزة نوبل للفيزياء ١٩٢١م . توصل إلى أن الكهرومغناطيسية ليست موجات بل جزئيات صغيرة من الطاقة(كوانتم)التي طورت مفهوم الذرة والنواة وانشطار النواة لتوليد الطاقة النووية، وتوصل إلى قوانين النسبية وإلى أن أي حركة نسبية (بمعنى أنها تقاس بالنسبة لحركة شيء آخر) وأن لها علاقة بالمادة والطاقة التي تحركها. من مؤلفاته: حوليات الفيزياء- حول نظرية النسبية المضيقة والعامة. لا يمكن اعتباره فيلسوفا بكل معنى الكلمة ؛لأنه لا يملك مذهبا متكاملا لكنه صاحب أفكار مفيدة حول السلام العالمي، ومن هنا حارب الظلم والحروب، وسياسة القهر، والحلول العسكرية بشدة ،وكان نصيرا للعقلانية، وتوفي ١٩٥٥م .ينظر الأستاذ روني إيلي ألف: موسوعة أعلام الفلسفة العرب والأجانب ج ١ ص ١٦٨- ١٩٠.د/ مرفت عبد الناصر: موسوعة تاريخ الأفكار ج ٣ ص ٢٧.

٤- الموازين ص ٩٩ .

٥- كولن: الموشور ص ١٢٣ ترجمة د/عبد الرازق أحمد محمد، دار النيل ٢٠١٥م.

أما في الإسلام فعلى خلاف ذلك مطلقا قد تولى الدين رسالة مهمة في مركز الحركة التجديدية"[١].

خامسا :الحاجة إلى الدين:

يدعي أعداء الدين أن المفاهيم الدينية اخترعت من قبل الإنسان كنتيجة لشعوره بالعجز أو امتنانه، وأن الإنسان عندما لم يستطع تفسير بعض ظواهر الطبيعة اخترع فكرة الدين، وأن الدين في الأصل تسرية وسلوان وهو شيء مخترع من قبل رجال الدين، وأفيون للشعوب وللجماهير التي يقوم بتخديرهم .فهل تقدم المدنية يزيل الحاجة إلى الدين؟[٢].

رأي فتح الله كولن:

١- يعرف (كولن) الدين بأنه: "وضع إلهي سائق لذوي العقول باختيارهم المحمود إلى الخير بالذات"[٣].

ويرى أن الدين يخاطب أصحاب العقول، و يعطي الارادة حقها ولا يشلها، والطريق الذي يوجه إليه الدين هو طريق للخير المطلق وليس الخير الذي يراه هذا أو ذاك، فقد يستطيع الإنسان بعقله التوصل إلى وجود خالق لهذا الكون، ولكن الإيمان على النحو الصحيح اليقيني يأتي من النبوة فيعلم كيف يؤمن بالآخرة وبالقدر وتقوم العبادة بحفظ هذا الإيمان نضرا في القلوب، وتقوم المعاملات بتنظيم فعاليات المؤمن الاقتصادية، فالدين كل كامل لا يقبل التجزؤ والانقسام .

"فالدين شجرة باسقة، العقائد جذورها، والعبادات وما يتعلق بها أغصانها، والمعاملات أزهارها، والعقوبات حارسها، والأوراد والأذكار هي العناصر التي تغذي هذه الشجرة"[٤].

٢- لم يكن الدين مخترعا من قبل عقل الإنسان، فالدين نظام فطري يلائم طبيعة الإنسان، فقد خلق محتاجا للدين ليتعرف الحقيقة والصواب في العقيدة والمعاملات وبفضل الدين يحقق السعادة في الدارين.

٣- لقد جاء الدين بأسس إيجابية تحتضن الحياة بأكملها والنظرة التي ترى الدين شيئا قاصرا نظرة ضيقة، والذين يحاولون رفع الدين من الحياة ووضعه على الرف مخطئون، فالدين روح الحياة ولن يستطيع أحد إنكار ذلك .

١- كولن: ونحن نبني حضارتنا ص ١٥، ترجمة: عوني عمر لطفي أوغلو دار النيل ط: الثانية ١٤٣٣هـ - ٢٠١٢م. .

٢- ينظر: كولن: أسئلة العصر المحيرة ص ١٥٥، والرد على شبهات العصر ص ٩١.

٣- أسئلة العصر المحيرة ص ١٥٦والرد على شبهات العصر ص ٩٢ وينظر: الموازين ص ٩٣.

٤- أسئلة العصر المحيرة ص ١٥٦والرد على شبهات العصر ص ٩٢ وينظر الموازين ص ٩٣.

٤- للدين أصول وفروع أما الأصول فمشتركة بين جميع الأديان؛ لأن العقيدة واحدة أما الفروع أو الشرائع فترقت من دين لآخر حتى وصل نضجها في الإسلام؛ لذا فمن يبتغي غير الإسلام دينا فلن يقبل منه.

٥- لم يكن الدين أبدا نتيجة خوف الإنسان من الآفات الطبيعية، كما لم يكن نظاما اجتماعيا أو اقتصاديا يهدف إلى حل مشاكل الإنسان الاجتماعية والاقتصادية ليوصله إلى السعادة والرفاهة، ولم يكن إفرازا للطبيعة البشرية كما ادعى (رينان) و(روسو)، بل هو مجموعة قوانين إلهية تكفلت بسعادة الإنسان في الدارين. ومهما ترقت المدنية فإنها تعجز حتى عن تأمين السعادة الدنيوية للإنسان فكيف تستطيع إذن أن تحل محل الدين؟[١].

٦- اللادينية تقود إلى التحلل من الأخلاق وكل ذي قيمة "وهل يجدر بالملحدين الذين نذروا حياتهم لمعاداة الدين أن يدلونا على فوائد اللادينية ويرشدونا إلى بعض ثمارها ؟"[٢].

كل الورود والزهور تفتحت في بساتين الدين حتى لو حاول الملاحدة عدم رؤية هذه الثمرات عن عمد .الدين يستند إلى العقل والمنطق .الدين هو نبع لأسس المدنية الحق والفضيلة كما يقول كولن.

٧- لم تتحقق المدنية الحق إلا باجتماع العلم والأخلاق؛ لذا فالمدنية الغربية التي حسبت كل شيء محصورا في العلم بقيت مدنية مشلولة، والمدنيات الشرقية التي عزلت العلم تأخرت، فالمدنية ليست التقدم في العلوم الطبيعية والوسائط الحديثة فقط، فالعقول المؤمنة ترى ذلك مجرد جزء من المدنية[٣] .

رابعا: مقاومة الإلحاد وعلاجه:

كل هذه المسائل السالفة كانت أسبابا في الإلحاد وسط الشباب؛ ولذا كانت التعبئة العلمية والتربوية لنشر المعارف الصحيحة ضرورة فوق الضرورات كما يقول (فتح الله كولن).

ويرى (كولن) أنه قبل الحديث مع الملحد أو استخدام وسائل العلاج ينبغي أن تعرف درجات الإنكار حتى تتعامل معه بناء على ذلك .

فهناك أنواع من الإنكار ومن المنكرين حسب القناعات الشخصية والسلوك تجاه الإيمان ومدى الإيمان وعدمه، وقد قسم كولن هذا الترتيب إلى ثلاثة أصناف:

١- "هناك إنكار ناشئ عن لامبالاة الشخص تجاه ما يجب الإيمان به، وهذا الإنكار ليس ناشئا عن تفكير، وعن تعمد، بل عن الاهتمام أو عدمه، ومعظم هذا الإنكار تراه عند من

١- أسئلة العصر المحيرة ص١٦٠- ١٦٢.

٢- الموازين ص٩٤.

٣- ينظر: الموازين ص٩٤- ٩٨.

لم يتعود على التفكير المنطقي، وعند الذين استعبدتهم الأهواء والشهوات، وعند الحمقى والبلهاء"[١].

فهؤلاء من الصعب أن يفهموا شيئا عن الإيمان فسلوكهم يتم بالاتساقية والاستمرارية يتحركون حسب الضغط الاجتماعي الموجود حولهم يقومون مع الجماهير ويقعدون مع الجماهير كما يقول كولن.

٢- "الصنف الثاني: هم الذين لا يقبلون أسس الإيمان، وهؤلاء يعدون ملحدين ومنكرين مهما اختلفت السبل التي ساقتهم لهذا الإنكار، وهؤلاء يشكلون القسم الأعظم من المنكرين في المجتمع"[٢].

٣- الصنف الثالث هم الذين لا يتقبلون ما يستدعي الإيمان قبوله.

وقد قسم (كولن) الصنفين الآخرين إلى:

أ- من يرجع كل شيء إلى المادة ولا يؤمن بأي حدث غيبي .

ب- من يؤمن ببعض الظواهر الميتافيزيقية والروحية(باراسيكولوجي).

وقد وضع الأستاذ عدة خطوات استرشادية لمعالجة هذه الظاهرة، وكيفية اقناع الملحد وهي:

١- معرفة نوع انكار المخاطب، وعما إذا كان إنكارا كليا أم جزئيا لبعض الأركان لكي يتم التركيز حول هذه الأركان، فلا يضيع الوقت والجهد [٣].

٢- معرفة المستوى الثقافي والاجتماعي لمن تخاطبه؛ لكي نستطيع التحدث معه بالمستوى الذي يفهمه، فالشخص المثقف ثقافة ما، لا يستسيغ سماع من هو أدنى منه ثقافة.

ومن المهم استعمال لغة يفهمها المخاطب -لأن تركيا أصبحت الجماهير المثقفة تستخدم اللغة التركية بحروفها اللاتينية وتستخدم مصطلحات مختلفة ورجال الدين مازالوا يستخدمون اللغة بحروفها العثمانية-، فينبغي معرفة اللغة المناسبة حتى لا يشبه حوار الطرشان كما يقول (كولن).

٣- الإحاطة علميا بشكل جيد بما نريد تبليغه وإفهامه، ونحضر أجوبة مقنعة للأسئلة المتوقعة وإلا انقلبت الأمور رأسا على عقب.

٤- البعد عن الجدل ومحاولة الإفحام والإلزام، فهذا الأسلوب إضافة إلى أنه يثير مشاعر الأنانية لدى الفرد، فإنه لا يؤدي إلى نتيجة.

١- أسئلة العصر المحيرة ص٦٥.

٢- أسئلة العصر المحيرة ص٦٦.

٣- ينظر: أسئلة العصر المحيرة ص ٦٧.

٥- مخاطبة قلب المخاطب عند التحدث إليه، وعدم التعريض بشخصيته، أو أفكاره، وعدم الخشونة معه وإلا فقد الحديث التأثير المطلوب.

٦- ألا تنتقد الأفكار الخاطئة للمخاطب أو تعابيره غير الصابئة بشكل يجرح غروره وألا نهون من شأنه أمام الآخرين إذا كان هدفنا الوصول إلى قلبه وهدايته.

٧- تعريف هذا المنكر بأصدقاء من ذوي العقائد الصحيحة يكون أفضل من ألف نصيحة وأكثر تأثيرا.

٨- الحيلولة دون تعرفه إلى أشخاص غير جديين في سلوكهم وغير صائبين في أفكارهم.

٩- علينا أن ندعه يتكلم من حين لآخر ويعبر عن نفسه ومشاعره فهو إنسان يحب إبداء الاحترام له، فينبغي الصبر والاستماع إلى المنكرين.

١٠- أن يذكر المحاور في أثناء كلامه أن الأفكار التي يقدمها ليست خاصة به، بل يشاركه فيها كثير من العلماء والمفكرين العظماء السابقين والحاليين.

١١- أول ما يجب علينا تبليغه وإفهامه وشرحه هو شرح ركني كلمة الشهادة، فإن كان مؤمنا بها يمكن الانتقال إلى مواضيع أخرى، ويجب الحذر والابتعاد عن إثارة المسائل التي يتجرأ المنكر على نقدها قبل التأكد من استقرار الإيمان في قلبه.

إذن بعد تعيين وضع المنكر، فإن أسس الإيمان هي أول ما يجب ذكرها وطرحها له، وبعد الاطمئنان إلى استقرار الإيمان في قلبه يمكن التطرق إلى مواضيع ومسائل أخرى، وإلا فإن تقديم المسائل بترتيب خاطئ يشبه تقديم الحلوى أولا في الوليمة فيعطي انطباعا سلبيا للمخاطب كما يقول كولن[١].

وبناء على ما سبق من حديث حول الإلحاد ونظرياته يتبين عدة أمور:

١- إن الرد على الملحدين صار من الواجبات في هذا العصر الذي فتحت لهم فيه القنوات والمنابر والصحف، وصاروا قدوات بارزين في غياب الدعاة والعلماء فانتشر لوثهم بين الشباب .

٢- يظهر من خلال هذا العرض إلمام كولن بالعلم الحديث وتوظيفه في خدمة قضايا العقيدة .

٣- اطلاعه على الفلسفات المادية المنتشرة في الغرب، والرد عليها حتى لا تتسلل داخل مجتمعاتنا.

٤- اهتمام (كولن) بالشباب ومشكلاته، ومقاومة المد الإلحادي الذي يتسلل في أوساطهم جزء من اهتمامه بالإنسان وبنائه من كل الجوانب المادية والروحية، وهو جزء من اهتمام علم الكلام الجديد.

١- ينظر: أسئلة العصر المحيرة ص ٦٨- ٧٠.

٥- التركيز على مبدأ استيعاب المخالف والبعد عن الروح الإقصائية العدائية هنا مع الملحد وحتى مع المخالف له في الفكر والدين، وهذا واضح طيلة حياته التي بدأت بإنشاء وقف الصحفيين والكتاب؛ لمحاولة توحيد كل الأتراك المختلفين، وانتهاء إلى دعوته إلى الحوار والسلام العالمي.

تعقيب:

من دراسة رأي (كولن) في مبحث(الذات الإلهية) نخرج بعدة نتائج:

١- النظر والتفكر في الأنفس والآفاق محور أساسي في فكر (كولن) في بحثه حول ذات الله تعالى.

٢- لم يقطع (كولن) برأي في طريق وجوب المعرفة هل تجب بالشرع أم بالعقل .

٣- استدل على معرفة الله ووجوه بالأدلة النقلية، والعقلية، والوجدان ولكنه آثر الاستدلال بالأثر أو بالآثار - الموجودة في الأنفس والآفاق- على المؤثر وساق في ذلك عدة براهين تنضوي تحت هذا الاستدلال.

٤- أنكر جميع النظريات المادية والإلحادية، وفصل القول في دحض الداروينية بأدلة عقلية ومنطقية متنوعة.

٥- التركيز على معالجة الإلحاد عمليا في دور الدين، والعلم، ومؤسسات الإعلام، وغيرها، واهتمامه بإقناع المخالف وتقويمه بالحجة والبرهان لا بالعنف والقوة .

المبحث الثاني: صفات الله تعالى

تمهيد:

أولا: تعريف الصفة في اللغة:

١- وصفه يصفه وصفا وصفة نعته، والصفة كالعلم والسواد.

٢- "ما كان من الأسماء مخصصا مفيدا مثل: زيد الظريف وعمرو العاقل"[١].

ثانيا: الصفة في الاصطلاح:

ذكر الجرجاني تعريفين للصفة:

١- "الاسم الدال على بعض أحوال الذات وذلك نحو: طويل وقصير وعاقل".

٢- "الأمارة اللازمة بذات الموصوف الذي يعرف بها" [٢].

وحكى (الآمدي) اضطراب المتكلمين في تعريفها، وأورد قول المعتزلة، وأهل الحق كما يلي:

أ- "ذهبت المعتزلة إِلَى أَن الصّفة هى نفس الْوَصْف، وَالْوَصْف هُوَ خبر الْخَبِير عَمَّن اخبر عَنهُ بِأَمْر مَا، كقوله إنه عَالم، أَو قَادر، أَو أَبيض، أَو أسود، وَنَحْوه، وَأَنه لَا مَدْلُول للصفة وَالْوَصْف إِلَّا هَذَا ...ثمَّ بنوا على ذلك انتفاء الصفات عن الباري تَعَالَى فِي الْأَزَل لضَرُورَة اسْتِحَالَة القَوْل بِوُجُود الواصف فِي الْقدَم"[٣].

ب- "وَأما مُعْتَقد أهل الْحق فالصفة هى مَا وَقع الْوَصْف مشتقا مِنْهَا، وَهُوَ دَال عَلَيْهَا وَذَلِكَ مثل الْعلم وَالْقُدْرَة وَنَحْوه، فَالْمَعْنى بِالصّفةِ لَيْسَ إِلَّا هَذَا الْمَعْنى وَالْمعْنَى بِالْوَصْفِ لَيْسَ إلا مَا هُوَ دَال على هَذَا الْمَعْنى بطرِيق الِاشْتِقَاق وَلَا يخفى مَا بَينهمَا من التغاير فِي الْحَقِيقَة والتنافر فِي الْمَاهِيّة"[٤].

فالصفة عند المعتزلة هي نفس الوصف، وعند أهل السنة الصفة هي الأصل والوصف ما اشتق منها فعالم وصف من صفة العلم مثلا، فهما إذن متغايران.

١- محمد بن يعقوب الفيروز آبادي : القاموس المحيط ص ٧٣٣ .ينظر: أبو هلال العسكري الفروق اللغوية ص ٣٠ حققه وعلق عليه: محمد إبراهيم سليم، دار العلم والثقافة- القاهرة.

٢- الشريف الجرجاني: التعريفات ص ٥٨.المطبعة الخيرية- الجمالية- مصر ١٣٠٦هـ.

٣- أبو الحسن سيد الدين علي بن أبي علي بن محمد بن سالم الثعلبي الآمدي (المتوفى: ٦٣١هـ): غاية المرام في علم الكلام ج ١ ص ١٤٤، تحقيق: حسن محمود عبد اللطيف، الناشر: المجلس الأعلى للشئون الإسلامية - القاهرة.

٤- السابق ص ١٤٥.

المطلب الأول: الصفات عند كولن:

إن لله تعالى عشرون صفة عند أهل السنة من الاشاعرة والماتريدية تنقسم إلى:

١- صفة نفسية: وهي صفة(الوجود).

٢- صفات سلبية وهي: (القدم- البقاء- المخالفة للحوادث- القيام بالنفس- الوحدانية).

٣- صفات معاني وهي: (القدرة- الإرادة- العلم- السمع- البصر- الكلام- الحياة).

٤- صفات معنوية وهي: (كونه قديرا- مريدا- عليما- سميعا- بصيرا- متكلما- حيا).

بالنسبة لفتح الله كولن لم يبحث في الصفات تفصيلا ولم يتعرض لمواطن الخلاف حولها بين المتكلمين، ولكنه أثبت الصفات على كل حال، وذكر أحد أحكامها بقوله :"وصفاته ليس غيرا ولا عينا"[١] .

إشارة منه إلى حكم من أحكام صفات الذات[٢]، أو صفات المعاني(القدرة- الإرادة - العلم- السمع- البصر- الحياة - الكلام) وهو أن صفاته - تعالى- ليست عين الذات وإنما زائدة على الذات وليست غير الذات؛ لأنها قائمة بذاته تعالى ، وهو هنا متفق مع أهل السنة مختلفا مع المعتزلة التي تنفي وجود صفات معاني زائدة على الذات فالله تعالى عندهم عالم قادر لا لمعاني بل لذاته[٣].

أما الأشاعرة فتثبت صفات المعاني وترى أنها ليست بعين الذات ولا بغير الذات أي أن حقيقتها غير حقيقة الذات، وإلا لزم اتحاد الصفات والموصوف، ونفي الغيرية معناه نفي الغير المنفك لا مطلق الغير، لأنها ليست منفكة عن الذات[٤].

ولصفات المعاني أربعة أحكام عند الأشاعرة وهي:

١- أنها زائدة على الذات فصانع العالم عالم بعلم قادر بقدرة.

٢- قائمة بذات الله تعالى.

٣- قديمة ؛لأنها لو كانت حادثة لكان الله تعالى محلا للحوادث وهو محال.

١- محمد فتح الله كولن أسئلة العصر المحيرة ج ١ ص ١٤ .

٢- الصفات الذاتية: ما يوصف الله بها ولا يوصف بضدها أما الصفات الفعلية: ما يجوز أن يوصف الله بضدها كالرضا والرحمة والسخط والغضب ونحوها. ينظر: الشريف الجرجاني: التعريفات ص ٥٨.

٣- ينظر: القاضي عبد الجبار بن أحمد :المجموع في المحيط بالتكليف ج ١ ص ١٧١ .

٤- ينظر: الإمام برهان الدين إبراهيم الباجوري: حاشية الإمام الباجوري على جوهرة التوحيد ص ١٤٠ .

٤- أن الأسامي المشتقة منها صادقة عليه أزلا وأبدا، وأما ما يشتق له من الأفعال كالرازق والخالق والمعز والمذل، فقد اختلف في أنه يصدق في الأزل أم لا؟[١]. فالماتريدية لا تفرق بين صفات الذات وصفات الفعل فكلها قديمة، أما الأشاعرة يتفقون معهم في صفات الذات أما صفات الفعل فيرونها حادثة ؛ لأن الله لم يكن خالقا رازقا قبل خلق الخلق[٢].

فالأفعال نفسها حادثة ولكنها صادرة عن صفة قديمة وهي القدرة؛ لأن القدرة عند الأشاعرة تتعلق بالممكن.

وكذا (كولن) متفق مع الماتريدية في صفات الذات حيث ترى الماتريدية أيضا أن صفاته وأسماءه لا هو ولا غيره[٣]، أي ليست بعين الذات ولا غيرها.

وقد أشار (كولن) إلى جميع الصفات على وجه الإجمال دون تقسيمها كما يفعل المتكلمون وذلك في كل كلامه وحديثه عن الله تعالى، ولكن لم يفصل القول إلا في بعضها وهي:

أولا: صفة البقاء:

وقد اختلف المتكلمون في صفة البقاء بعد ثبوتها لله، فيقول البغدادي: "وأثبت البقاء له صفة أزلية جميع أصحابنا غير القاضي أبي بكر بن الطيب، فإنه أثبته باقيا لذاته وأثبت القلانسي وعبد الله بن سعيد القدم معنى قائما بالقديم، وقال أبو الحسن الأشعري أنه قديم لنفسه"[٤].

ولم يتعرض (كولن) لبيان حقيقة الصفة، وإنما أشار إليها بقوله:: "من لا بداية له لا نهاية له ومن ثبت قدمه استحال عدمه"[٥].

وهو هنا يدلل على إثبات البقاء بالدليل العقلي فعن طريق ثبوت القدم لله يثبت عدم فنائه وهو دليل البقاء، وهو نفس استدلال الأشاعرة يقول (إمام الحرمين): "يجب القطع بأن الله باق، وما وجب قدمه استحال عدمه"[٦].

١- ينظر: الإمام أبي حامد الغزالي: الاقتصاد في الاعتقاد ص٩٠- ١٠٠ دار الكتب العلمية- بيروت – لبنان ط الأولى ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م.

٢- ينظر:حاشية الشرقاوي على الهدهدي ص ٦٠.دار إحياء الكتب العربية .

٣- ينظر: الإمام أبي معين النسفي : بحر الكلام في أصول الدين ص ١٨٩ دراسة وتحقيق: د. عبد الله محمد عبد الله عنتر د. محمد السيد أحمد شحاته، المكتبة الأزهرية للتراث. ط: الأولى ١٤٣٢هـ- ٢٠١١م.

٤- البغدادي: أصول الدين ص ٩٠ التزم نشره وطبعه: مدرسة الإلهيات بدار الفنون التركية، ط: الأولى، مطبعة الدولة - استانبول ١٩٢٨م.

٥- كولن: نحو عقيدة صحيحة ص ٦٣ ترجمة: أورخان محمد علي - عبد الله محمد عنتر، دار النيل ٢٠١٤م.

٦- إمام الحرمين أبو المعالي الجويني : العقيدة النظامية في الأركان الإسلامية ص ٣٢ تحقيق: محمد زاهد الكوثري، دار المشرق- بيروت .

ثانيا: صفة الكلام[١]:

تعد صفة الكلام من الصفات التي دار نزاع وجدال حولها بين المتكلمين بصورة كبيرة حتى سمي العلم نفسه علم الكلام لأجلها كما قيل، وحدثت بشأنها فتنة كبيرة بين الفرق الإسلامية(خلق القرآن) .

وهي من صفات الذات أو المعاني عند المتكلمين، وقد اتفق أهل السنة على كونها زائدة على الذات بينما المعتزلة تذهب إلى كونها عين الذات. وإليك آراء المتكلمين حولها:

١- رأي المعتزلة : تنفي المعتزلة وجود صفات زائدة على الذات، فأصل الكلام عند المعتزلة الحروف التي تنتظم، أي: المعقولة التي يفهم منها كلام لا المتقطعة.

أما حقيقة كونه متكلما، فيقول القاضي: "فكذلك الحال في كونه متكلما لا يصح أن يكون للنفس، ولا بكلام قديم بل يتبع فعله الذي هو الكلام"[٢].

ويؤكد هذا المعنى بقوله :"اعلم إن المتكلم عندنا هو فاعل الكلام"[٣].

والكلام على هذا حادث، يقول القاضي: "واعلم أن أصل الباب هذا كله في أن إثبات ما لا يعقل لا يصح، والمعقول من الكلام ليس إلا هذه الحروف والحال في حدوث هذه الحروف ظاهرة"[٤].

إذن الكلام عند المعتزلة ليس بالكلام النفسي ولا القديم، بل هو حادث إذ لا يتصور كونه غير الحروف وهي حادثة، وليس الله هو المتكلم به حتى لا يكون محلا للحوادث لكن يخلقه في غيره .

٢- رأي الأشاعرة: كلام الله قديم قائم بذاته ليس بحرف ولا صوت منزه عن التقديم والتأخير، وكلامه واحد، وكل ما ورد في الكتب من الله تعالى باللغات المختلفة العبرية، والعربية، والسريانية كلها عبارات تدل على معنى كلام الله[٥].

فكلام الله النفسي عند الأشاعرة قديم أما التعبير عنه في حروف وكلمات فحادث.

١- تعريف الكلام في اللغة: نطق مفهم، القول، أو ما كان مكتفيا بنفسه .الكلمة: اللفظة، وتكلم تكلما وتكلاما: تحدث. وقيل: الكلام في أصل اللغة الأصوات المفيدة. ينظر: ابن فارس: مقاييس اللغة مادة(كلم) ص ١٣١/٥، الفيروز أبادي: القاموس المحيط ص ٩٨٦، مجمع اللغة العربية: المعجم الوجيز ص ٥٤٠ .

٢- القاضي عبد الجبار: المجموع في المحيط بالتكليف ج ١ص ٣١٦.

٣- المجموع في المحيط بالتكليف ج ١ص ٣٢٠

٤- السابق ص ٣٣٢.

٥- ينظر: أبو المظفر الأسفراييني: التبصير في الدين وتمييز الفرقة الناجية عن الفرق الهالكين ص تحقيق: كمال يوسف الحوت عالم الكتب ط الأولى ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م.وينظر: أبو المعالي الجويني: العقيدة النظامية في الأركان الإسلامية ص ٢٩.

٣- رأي الماتريدية: كلامه ليس بحرف، ولا صوت، وكلامه صفة أزلية قائم بالنفس معبر عنه بالعبارات المختلفة مغاير للعلم والإرادة[١].

رأي فتح الله كولن:

يقول كولن: "إن الكلام صفة من صفات الحق تعالى وهو (سبحانه وتعالى) المتكلم الأزلي، والله تعالى خلق الكائنات بما فيها من بني الإنسان، ثم بين حقيقة الكون وشرح لنا أنفسنا وذواتنا، وبين ماهية الإنسان تلك التحفة الفنية، ووضح وحل معنى اللغز المحفوف بكوامن الأسرار، وهو تعالى يتحدث عن ذاته، وصفاته، وأسمائه لكن لا يمكننا إدراك كنه كلام الله"[٢].

فهو يرى إذن أن الكلام صفة قديمة كأهل السنة، ولكن لا ندرك كنهها .

أقسام الكلام :

ويوضح (كولن) صفة الكلام أيضا من خلال تقسيمها فيرى أننا عندما نقول "كلام الله" نعني به واحدا من معنيين اثنين:

الأول: الكلام النفسي : وهو صفة لله قديمة أزلية مثل سائر صفاته تعالى، وهو معنى قائم في نفسه تعالى لا نستطيع إدراك كنهه، ولا نصل إلى فهمه.

الثاني: الكلام اللفظي: وهو النظم المصوغ من الحروف، والأصوات، والمعبر به عن الكلام النفسي.

ويقول" إن صفة الله الكلام صفة قديمة قائمة بذات الله تعالى، فلم يكن هناك شيء بعد. لم يكن الكون، والعوالم، والأشياء، والإنسان موجودا، ولكن الله تعالى كان متكلما متصفا بصفة الكلام"[٣].

والمعتزلة تنفي أن يكون معنى الكلام هو الكلام النفسي؛ لأن المعني الذي في النفس لا يمنع من الخرس أو السكوت[٤].

وجميع أهل السنة على تقسيم الكلام إلى نفسي ولفظي[٥] وإن كان الشيخ (رشيد

١- ينظر: أبو منصور الماتريدي: كتاب التوحيد ص ٥٨، ينظر: أبو البركات النسفي(المتوفى ٧١٠هـ): شرح العمدة في عقيدة أهل السنة والجماعة المسمى بالاعتماد في الاعتقاد ص ١٨٣دراسة وتحقيق: د: عبد الله محمد عبد الله إسماعيل المكتبة الأزهرية للتراث- الجزيرة للنشر ط الأولى ٢٠١٢م- ١٤٣٢هـ). وينظر: بحر الكلام ص ٢١٩.

٢- كولن: خواطر من وحي سورة الفاتحة ص ٣٥ .

٣- كولن: خواطر من وحي سورة الفاتحة ص ٣٥.

٤- ينظر: القاضي عبد الجبار: المجموع في المحيط بالتكليف ص ٣١٧ج ١.

٥- ينظر: حاشية الإمام الباجوري على جوهرة التوحيد ص ١٣٠.

رضا)[١]لا يوافق على هذا التقسيم، ويرى ذلك فلسفة وآراء نظرية مبتدعة[٢] .

إذن فكولن متفق تماما - في تقسيمه الكلام إلى لفظي ونفسي- مع أهل السنة.

القرآن الكريم:

يقول (الجرجاني)[٣]: "القرآن هو المنزل على الرسول، المكتوب في المصاحف، المنقول عنه نقلا متواترا بلا شبهة، والقرآن عند أهل الحق هو العلم اللدني الإجمالي الجامع للحقائق كلها".[٤]

ويقول (الباجوري)[٥] في تعريفه للقرآن: "اللفظ المنزل على نبينا - ﷺ-، المتعبد بتلاوته، المتحدي بأقصر سورة منه، والراجح أنه المنزل اللفظ والمعنى"[٦].

---

[١]- رشيد رضا: هو العلامة رشيد بن علي رضا بن محمد شمس الدين منلا علي خليفة القلموني البغدادي الأصل الحسيني النسب، ولد عام ١٢٨٢هـ الموافق ١٨٦٥م في قرية قلمون الواقعة إلي الجنوب من طرابلس الشام ، تعلم قواعد الحساب والخط والقراءة بما فيها قراءة القرآن الكريم. التحق بالمدرسة الوطنية الإسلامية ،وهي مدرسة أنشأها الشيخ (حسين الجسر)، وكان التعليم فيها باللغة العربية مضافا إليها اللغتان التركية والفرنسية، فتوسع في دراسة العلوم العربية والشرعية، ودرس المنطق والرياضة والفلسفة، ثم انتقل إلي المدرسة الدينية بطرابلس، وبقي فيها حتى تحصل على الشهادة العالية، ثم واصل تعليمه ودراسته الحرة على أستاذه الشيخ (حسين الجسر) الذي أجازه في التدريس، سافر إلى مصر والتقى بالشيخ (محمد عبده)، وتوثقت الصلات بينهما، وأنشأ مجلة المنار في القاهرة سنة ١٨٩٨م، وتوفي الشيخ محمد عبده سنة ١٩٠٥م فخلفه الشيخ (رشيد رضا) فصمد في ميدان الكفاح والقيام بأعباء الدعوة والإصلاح حتى آخر رمق من حياته، توفي١٣٥٤هـ ودفن بالقاهرة. من مؤلفاته: تفسير المنار- الوحي المحمدي- الخلافة. ينظر: عبد الرحمن بن عبد اللطيف بن عبد الله بن عبد اللطيف بن عبد الرحمن بن حسن بن محمد بن عبد الوهاب: مشاهير علماء نجد وغيرهم ج ١ص ٢٨٨- ٢٩١ . طبع على نفقة المؤلف، بإشراف: دار اليمامة - الرياض، ط: الأولى ١٣٩٢هـ- ١٩٧٢م.
٢- ينظر: محمد رشيد رضا : الوحي المحمدي ص ٩٣ مؤسسة اقرأ للنشر- القاهرة، ط: الأولى- مكتبة الفنون والحكم- القاهرة.

[٣]- الْجُرْجَاني(٧٤٠ - ٨١٦ هـ = ١٣٤٠ - ١٤١٣ م): أبو الحسن علي بن محمد بن علي الحنفي، المعروف بالشريف الجرجاني: فيلسوف. من كبار العلماء بالعربية. ولد في تاكو (قرب استراباد) ودرس في شيراز. ولما دخلها تيمور سنة ٧٨٩هـ فرَّ الجرجاني إلى سمرقند. ثم عاد إلى شيراز بعد موت تيمور، فأقام إلى أن توفي. له نحو خمسين مصنفا، منها: التعريفات، و شرح المواقف، و التجريد، ومقاليد العلوم، وتحقيق الكليات، وشرح السراجية في الفرائض، و الكبرى والصغرى في المنطق، و الحواشي على المطول للتفتازاني، شرح التذكرة للطوسي، و شرح الملخص، و حاشية على الكشاف. حاجي خليفة: سلم الوصول إلى طبقات الفحول ص ٢/ ٣٨٨، الزركلي: الأعلام ص ٧/٥.
٤- السيد الشريف علي بن محمد الجرجاني : التعريفات ص ٧٥ .

[٥]- الباجوري: الإمام الفقيه برهان الدين إبراهيم بن أحمد بن علي بن سليمان البَيْجُوري الشافعي . ولد في حدود الخمسين وسبعمائة، وأخذ عن الإسنوي ولازم البلقيني، ورحل إلى الأذرعي بحلب، وكان الأذرعي يعترف له بالاستحضار، وشهد العماد الحُسْباني عالم دمشق بأنه أعلم الشافعية بالفقه في عصره، وكان يسرد الروضة حفظًا، وله على الروضة وغيرها حواشي مفيدة، وانتفع به الطلبة، ولم يكن في عصره من يستحضر الفروع الفقهية مثله، ولم يخلف بعده من يقاربه في ذلك. مات سنة خمس وعشرين وثمانمائة عن خمس وسبعون سنة. عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي (المتوفى : ٩١١هـ): حسن المحاضرة في تاريخ مصر والقاهرة ص ١/ ٤٣٩، المحقق : محمد أبو الفضل إبراهيم، دار إحياء الكتب العربية - عيسى البابي الحلبي وشركاه – مصر، الطبعة : الأولى ١٣٨٧ هـ - ١٩٦٧م. حاجي خليفة: سلم الوصول إلى طبقات الفحول ص ٢١/١.
٦- حاشية الإمام الباجوري على جوهرة التوحيد ص ١٦٢.

والمعتزلة ترى أن القرآن كلام الله حتى مع اختلاف بعضهم في هل الحكاية هي عين المحكي، أو غير المحكي أي (على مثل الصورة التي فعلها الله تعالى ابتداء)توافقا مع إجماع المسلمين على أن القرآن كلام الله تعالى[١].

وترى أن كلام الله مخلوق حتى قال بعض المتقدمين منهم أن الممتنع من إطلاق ذلك اللفظ يكفر لإيهامه أنه قديم، وأما القاضي (عبد الجبار) فلا يكفر الممتنع عن ذلك[٢].

وأهل السنة جميعا على أن القرآن كلام الله غير مخلوق[٣]، وأما تلاوته وكتابته في المصاحف وسماعه فحادثة مخلوقة.

فيرى الإمام (الأشعري) أن القرآن في اللوح المحفوظ، وهو متلو بالألسنة، مكتوب في

المصاحف، محفوظ في الصدور، مسموع لنا في الحقيقة، وهي نفس رؤية الماتريدية[٤].

أما الحشوية[٥]: فيورد الشهرستاني مقالتهم وهي:" إن الحروف والأصوات والرقوم المكتوبة قديمة أزلية وقالوا: لا يعقل كلام ليس بحروف ولا كلم"[٦].

وقد أبطل قولهم أهل السنة جميعا لجهلهم وعنادهم، وليس أدل على جهلهم من قول بعضهم أن الجلدة والغلاف أزليان وعن بعضهم أن الجسم الذي كتب به القرآن هو بعينه كلام الله كان حادثا ثم صار قديما[٧].

رأي فتح الله كولن:

يقول كولن: "إن القرآن أزلي وكان القرآن موجودا حيث لم يكن سوى الله شيء ولكن بمعنى الكلام النفسي"[٨].

١- ينظر: القاضي عبد الجبار: المجموع في المحيط بالتكليف ج١ ص ٣٤١.

٢- ينظر المجموع في المحيط بالتكليف ج ١ ص ٣٤٥ .

٣- أبو الحسن الأشعري :الإبانة في أصول الديانة ص ٦٣- ٩٦ تقديم وتحقيق وتعليق: دكتورة فوقية حسين محمود دار الأنصار، ط الأولى ١٣٩٧هـ- ١٩٧٧م، وينظر: بحر الكلام في أصول الدين ص ٢١٩.

٤- ينظر: الإمام الأشعري: الإبانة ص ١٠٠،وينظر: أبو معين النسفي: بحر الكلام ص ٢١٩.

٥- الحشوية: بسكون الشين وفتحها هم قوم تمسكوا بالظواهر فذهبوا إلى التجسيم وغيره، وهم من الفرق الضالة قال السبكي: طائفة ضلوا عن سواء السبيل يجرون آيات الله على ظاهرها، ويعتقدون أنه المراد سموا بذلك؛ لأنهم كانوا في حلقة الحسن البصري فوجدهم يتكلمون كلاما فقال: ردوا هؤلاء إلى حشاء الحلقة، وقيل: سموا بذلك؛ لأن منهم المجسمة أو هم هم والجسم حشو، وقيل: المراد طائفة لا يرون البحث في آيات الصفات التي يتعذر إجراؤها على ظاهرها، بل يؤمنون بما أراده الله مع جزمهم بأن الظاهر غير مراد، ويفوضون التأويل إلى الله، وعلى هذا إطلاق الحشوية عليهم غير مستحسن؛ لأنه مذهب السلف. ينظر: كشاف اصطلاحات العلوم والفنون ص ٦٧٨- ٦٧٩.

٦- أبو الفتح محمد بن عبد الكريم بن أبي بكر أحمد الشهرستاني : الملل والنحل ج ١ ص ١٢٢، تحقيق: أمير على مهنا – علي حسن فاعود، دار المعرفة- بيروت- لبنان، ط: التاسعة ١٤٢٩هـ - ٢٠٠٨م.

٧- ينظر: سعد الدين التفتازاني: شرح المقاصد المجلد الثالث ص ١٠٦.

٨- كولن: خواطر من وحي سورة الفاتحة ص ٣٥ وينظر ص ١٣و٢٤من نفس الكتاب.

كما رأي (كولن) أن هذا الأمر من مزالق الأقدام فشرع في شرحه فقال:

"حينما يتلى القرآن أو يسمع أو يكتب فإن الكلام النفسي يفهم من خلال الألفاظ فإذا قلنا : "إن الذين آمنوا" مثلا، فكلمة إن تحتوي على الهمزة والنون والكلمات الأخرى أيضا تألفت من حروف مختلفة، وهي تراكيب لفظية، وحينما نكتب هذه الحروف أو ننطق بها يتجلى لنا كلام الله النفسي، ويشعرنا بذاته بكل ثقله"[١].

وهو لا يوافق المعتزلة والحشوية في زعمهم إذ يقول: أن ما تقوله المعتزلة من "أن المتكلم يعني موجد الكلام"، وما يجازف به الحشوية من "أن كل ما بين دفتي المصحف قديم أزلي من الخط إلى الورق الذي يكتب عليه"، ليس إلا لغوا من الكلام"[٢].

ويتبين من هذا أن (كولن) مستوعب لآراء المتكلمين المختلفة، ناقد للمذاهب الفاسدة كقول المعتزلة أن الله ليس متكلما وإنما خالق الكلام، وقول الحشوية أن ما بين دفتي المصحف قديم حتى الغلاف .

ويخلص كولن إلى أن :

١- "الأصوات، والحروف، والكلمات، والجمل مخلوقة باعتبارها أدوات خلقت كي نستعملها نحن البشر، أجل فالقرآن يحتوي حروفا وأصواتا مهمتها أن تعبر لنا عن الكلام النفسي الذي يفوق إدراكنا بما لا يقاس لكننا نشعر به ونتلقاه من ثنايا هذه الحروف والكلمات، وبهذا الاعتبار فإن كلام الله ذلك الكلام الأزلي ذو الأبعاد الخاصة - أو قل ذو شأن يفوق كل الأبعاد والكيفيات- ويعبر عنه كل مما بين دفتى المصحف، وما يتلى على أفواه الناس وما تحتويه صدور الحفاظ"[٣] .

٢- وفي إطار تفسير الإسلام بالعلوم وهو النهج الذي يتبناه (كولن) ولكن بضوابط كما سبق، فقد استدل على أن القرآن كلام الله استنادا إلى العلوم الحديثة، ويرى كذلك أن نستخدمها كوسيلة لجلب الأنظار إلى إعجازه، ويضرب مثلا على ذلك بأن المراحل التي يعيشها الجنين في بطن أمه موضحة في القرآن، وهي تتطابق تماما مع المراحل التي توصل إليها العلم الحديث، فكيف باستطاعة شخص أمي أن يصل إلى هذه الحقائق العلمية قبل أربعة عشر قرنا دون أن يملك الأجهزة الحديثة، وأجهزة إكس وغيرها، فلو كان هذا الأمر متعلقا بقدرة الإنسان لما كان ممكنا.

إذن القرآن لا يمكن صدوره من الرسول - ﷺ- ونتوصل بعد هذه الأدلة العلمية إلى أن القرآن هو كلام الله وعندما نبرهن على أن القرآن كلام الله فإننا نبرهن أيضا على نبوة محمد- ﷺ- كما يقول كولن[٤].

١- كولن: خواطر من وحي سورة الفاتحة ص ٣٦.

٢- السابق ص ٣٦.

٣- خواطر من وحي سورة الفاتحة ص ٣٧.

٤- ينظر: كولن: أسئلة العصر المحيرة ج ١ ص ١٨٤ .

ثالثا: صفة التكوين:

يقر الماتريدية بصفة أخرى زائدة على صفات المعاني، وهي التكوين، بينما الأشاعرة لا يعتبرونها صفة مستقلة، بل من متعلقات صفة القدرة .

فالتكوين عند الماتريدية من صفات الذات وهي زائدة عن الصفات السبعة التي يقول

بها الأشاعرة، وهي صفة أزلية كسائر الصفات عند الماتريدية[١] .

فالفعل، والتخليق، والترزيق، والتصوير، والإحياء، والإماتة، وغير ذلك مما أسند إلى الله صفة حقيقية أزلية قائمة بذاته تسمى التكوين[٢].

أما الأشاعرة فيرونها حادثة[٣]، ويرونها من تعلقات القدرة التنجيزية الحادثة[٤] .

أما (كولن) فيشير إلى إثبات صفة التكوين، فيقول: "إن القوانين المختلفة الموجودة في الكون تسمى (الآيات التكوينية)...النابعة من صفة الله :(التكوين)"[٥].

والآيات التكوينية جميع الكون والمخلوقات والحوادث وهو هنا يثبت صفة التكوين كالماتريدية إلا أنه لم يوضح أهي قديمة أم حادثة؟.

رابعا: صفة القدرة والإرادة:

وهما صفتان ثابتتان عند أهل السنة فيقول (البغدادي): "أجمع أصحابنا على أن لله قدرة واحدة يقدر بها على جميع المقدورات"[٦].

١- ينظر: كتاب التوحيد ص ٤٤.

٢ - ينظر: الشيخ عبد النعيم بن علي المشهور بشيخ زاده: نظم الفرائد وجمع الفوائد في بيان المسائل التي وقع فيها الاختلاف بين الماتريدية والأشعرية من العقائد ص ٣١٤ رسالة ماجستير من إعداد الباحث: جميل إبراهيم السيد إبراهيم أصول الدين القاهرة - قسم العقيدة والفلسفة ١٩٩٤م.أبو البركات النسفي: شرح العمدة في عقيدة أهل السنة والجماعة المسمى بالاعتماد في الاعتقاد ص١٩٥. التفتازاني: شرح العقائد النسفية ص ٤١، تحقيق: أحمد حجازي السقا، مكتبة الكليات الأزهرية ١٩٨٨م.

٣- ينظر: حاشية الشرقاوي على الهدهدي شيخ الإسلام عبد الله الشرقاوي على شرح العلامة الهدهدي على السنوسية ص ٦٠ دار إحياء الكتب العربية.

٤- ينظر: حاشية الإمام البيجوري على جوهرة التوحيد ص ١٣٥.

٥- كولن: خواطر من وحي سورة الفاتحة ص ٤٤ .

٦- أبو منصور عبد القاهر البغدادي : أصول الدين ص ٩٣.وينظر: للماتريدية: شمس الدين السمرقندي: الصحائف الإلهية ص ٣٧٨، تحقيق: أ د/ أحمد عبد الرحمن الشريف..

وعن الإرادة يقول: "أجمع أصحابنا على أن إرادة الله تعالى مشيئته واختياره وعلى أن إرادته للشيء كراهيته لعدم ذلك الشيء".[١]

وأما (كولن) فهو يثبتهما لله ويتحدث عنهما عرضا فيقول: "وكتاب الكون الكبير مصدره صفة الله القدرة والإرادة"[٢].

خامسا: الوحدانية:

١- تعريف الوحدانية:

في اللغة:

أ- الواحد: المتفرد، والله الواحد الأحد: ذو الوحدانية والتوحد، وقيل: الواحد متفرد بالذات في عدم المثل والنظير والأحد متفرد بالمعنى.

ب- الواحد هو الذي لا يتجزأ، ولا يثنى، ولا يقبل الانقسام، ولا نظير له، ولا مثل، ولا يجمع هذين الوصفين إلا الله (عز وجل) .

ج- الواحد هو الفرد الذي لم يزل وحده، ولم يكن معه آخر، والأحد صفة استخلصها لنفسه ولا يشركه فيها شيء[٣].

د- "وحده توحيدا: جعله واحدا...والتوحيد الإيمان بالله وحده والله الأوحد والمتوحد: ذو الوحدانية"[٤]

الوحدانية اصطلاحا:

"عدم مشاركة الغير له في الألوهية"[٥].

تعريف فتح الله كولن:

هناك عدة معان - وليست تعريفات محددة- ذكرها كولن عند حديثه عن الوحدانية وكلها متفرقة في ثنايا كلامه:

أ- الوحدانية إشارة إلى جلال الله وعظمته:

١- البغدادي: أصول الدين ص ١٠٢.وينظر للماتريدية: أبو البركات النسفي: الاعتماد في الاعتقاد ص ٢٠٤.

٢- فتح الله كولن: شد الرحال لغاية سامية ص ١٢١.

٣- ابن منظور: لسان العرب، فصل الواو ج ١٥ص ٢٣٣.

٤- الخليل بن أحمد: العين، باب الحاء والراء و(و ا ى ء) معهما حدأ، ص ٣/ ٢٨٠. الفيروز آبادي: القاموس المحيط، فصل الواو، ص ٢٤٨.

٥- الشريف الجرجاني: شرح المواقف المجلد الرابع ج ٨ ص ٤٥.

يقول كولن: " فقولنا: إنه واحد أحد تعبير وإشارة إلى جلاله وعظمته "[١].

ب- عدم التركيب:

فيقول: "أما الله تعالى فهو واحد لا يتجزأ ولا ينقسم"[٢].

ج- الوحدانية من لوازم الألوهية:

يقول كولن: "الوحدانية من لوازم الألوهية لا تنفصل عنها، فمن المحال التفكر في الله دون التفكر في وحدانيته...إن الألوهية لله وحده لا إله إلا هو، وهو المعبود المطلق والمقصود بالاستحقاق"[٣].

٢- الدليل على الوحدانية:

وقد اعتمد المتكلمون قديما وحديثا برهان التمانع في إثبات الوحدانية.

وتقريره: أن الله واحد؛ لأنه لو فرض إلهان، وتوجه تقديرهما إلى إنسان مثلا أحدهما يريد حياته والآخر موته، فإما أن ينفذ مرادهما معا، أو لا ينفذ مرادهما، أو ينفذ مراد أحدهما دون الآخر، وكلها افتراضات محالة لو نفذ مرادهما لزم اجتماع النقيضين، وإن لم ينفذا لزم عجزهما، وإن نفذ مراد أحدهم لزم عجز الآخر، والعاجز لا يكون إلها ولا قديما[٤] .

وقد استدل (كولن) بثلاثة أدلة- من خلال استقراء كتاباته- منها التمانع على النحو التالي:

أ- دليل التمانع:

يقول كولن: "هذا ما أثبتته الحقائق الكونية ولو كان هناك إلهان – تعالى الله عن ذلك- لفسدت السماء والأرض، وبهذا نزل القرآن﴿ لَوۡ كَانَ فِيهِمَآ ءَالِهَةٌ إِلَّا ٱللَّهُ لَفَسَدَتَاۚ فَسُبۡحَٰنَ ٱللَّهِ رَبِّ ٱلۡعَرۡشِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴾[٥].

ويوضح (كولن) ذلك بقوله: "أي لتصادمت النجوم وانفجرت، وتصادمت الذرات ببعضها، ولأدت أشعة الشمس في الأرض إلى سلسلة من الفعاليات الإشعاعية لليورانيوم،

١- الرد على شبهات العصر ص ١٣.

٢- الرد على شبهات العصر ص ٢٣١ .

٣- خواطر من وحي سورة الفاتحة ص ١٣١- ١٣٢ .

٤- وينظر: الأصول الخمسة المنسوبة للقاضي عبد الجبار بن أحمد الأسد آبادي ص ٧٥. ينظر: أبو الحسن الأشعري : اللمع ص ٢٠. وينظر: رسالة إلى أهل الثغر ص ١٥٦ ..وينظر: أبو منصور الماتريدي: كتاب التوحيد ص ٨٦-٨٧، تحقيق: الأستاذ الدكتور بكر طوبال أوغلي والأستاذ المساعد الدكتور/ محمد آروشي، دار صادر- بيروت ومكتبة الإرشاد- استانبول. وينظر: شمس الدين السمرقندي الصحائف الإلهية ص٣١٢.أبو البركات النسفي: شرح العمدة المسمى بالاعتماد في الاعتقاد ص ١٤٢.

٥- سورة الأنبياء الآية :٢٢.

ولفنى كل شيء حي على وجه الأرض، ويطلق علماء الكلام على هذا الاستدلال (برهان التمانع) وهو يثبت أن الله واحد ويستحيل وجود إلهين اثنين فما من شيء تقوده يدان مختلفان إلا فسد"[١].

كما يبين (كولن) أن هذا البرهان يدحض دعوى الشرك، وأكد في أكثر من موضع على ذلك فيقول: "ولا مجال في الكون للشرك ولو مثقال ذرة إن "برهان التمانع" يدحض دعوى الشرك، ويرفضها رفضا قاطعا، فلا يمكن أن يكون في قرية واحدة مختاران، ولا في قضاء مديران، ولا في محافظة واليان وإلا حصلت الفوضى فهذا الوضع يبين أن الحاكمية لا تقبل الشركة، فلا يمكن أن يكون لهذا الخالق العظيم الذي جعلنا نحس به من خلال النظام والانتظام السائد في الكون ند أو شريك، إن الله هو الذي يستوي أمام قدرته خلق ذرة واحدة وخلق الكون بأسره "[٢] .

ب- النظام الموجود في الكون:

وقد استخدم هذا الدليل (النورسي) سابقا فبعد أن عدد صور النظام والوحدة في الكون يقول النورسي: "ففي كل شيء في الوجود يرى أكمل نظام سواء أكان جزئيا أم كليا صغيرا أم كبيرا، مما يثبت هذا النظام الأكمل إثباتا لا يحتمل الشك أن الشرك محال وجوده وأنه معدوم أصلا، ويثبت أيضا إثباتا واضحا وجود واجب الوجود ووحدته"[٣].

أما (كولن) فقد اتخذ من النظام والتناسق الموجود في الكون دليلا على وجود الله ووحدانيته فيقول: "ونؤمن بأن قدرا خفيا يسري في هذا الكون الهائل المنظم غاية التنظيم بدءا من العالم الكبير(عالم المجرات)، فالمتوسط (عالم الإنسان)، فالصغير (عالم الذرات) ولا بد لهذا النظام والتناسق والتناغم بين هذه العوالم من خطة علمية، ثم قدرة وإرادة لإخراجه من مرحلة التخطيط إلى مرحلة التنفيذ، ثم رقابة مستمرة وسيطرة، وهذا كله لا بد له من واحد أحد لا يشاركه في إرادته أحد"[٤].

ويقول: "وهذا معنى قولنا :لو أن إرادتين مختلفتين اشتركتا في خلق هذا الكون لفسد ونحن نرى أن الكون منظم غاية التنظيم بلا اضطراب ولا فساد، إذن فصاحبه ومالكه وخالقه واحد أحد"[٥].

ج- دليل الهداية:

وهي تعني عند (كولن) أيضا (السوق الإلهي) والمعنى:

١- الرد على شبهات العصر ص ١٤ .

٢- خواطر من وحي سورة الفاتحة ص ١٣٢.

٣- بديع الزمان سعيد النورسي: الشعاع الخامس عشر من الشعاعات(٤) ص ٦٣٠ .

٤- الرد على شبهات العصر ص١٤.

٥- الرد على شبهات العصر ص١٥.

إن كل موجود عند توجهه نحو الهدف أو الغاية المقدر له وفق قوانين الخلق والفطرة يسلك سلوكا إجباريا، والأصح أن يسمى هذا السلوك (السوق الإلهي)، فأول خلق الإنسان ونموه علقة في رحم الأم، وتحوله من مرحلة جنينية إلى أخرى كل ذلك يجري حسب السوق الإلهي[١].

وكذا جميع المخلوقات من الذرات إلى المجرات. والطبيعيون والماديون يطلقون عليه الغريزة أو السوق الطبيعي إلا أن (كولن) يرى أن الأنسب تسميته "السوق الإلهي " فدليل الهداية هذا هو أحد أدلة التوحيد، وقد ذكر عدة أدلة على هذا النوع من الهداية منها: المجرات السابحة في الفضاء والتي تسير وفق خط مرسوم لها من قبل الله، والدجاجة التي ترقد على بيضتها، والطفل الذي ما إن يولد حتى يتلهف على صدر أمه ليمص ثدييها من الذي هداه ودله على هذا الحليب؟[٢].

ومن الأمثلة التي ضربها القرآن:﴿ وَأَوْحَىٰ رَبُّكَ إِلَى ٱلنَّحْلِ أَنِ ٱتَّخِذِى مِنَ ٱلْجِبَالِ بُيُوتًا وَمِنَ ٱلشَّجَرِ وَمِمَّا يَعْرِشُونَ ﴾ [٣].

وهذا الدليل قد استقاه (كولن) كما هو واضح من القرآن كما في مسلك النحل وأطوار الإنسان، ومن الكون عن طريق رؤية خلق الله، وهدايته للإنسان وغيره.

٣- أقسام التوحيد:

قسم (كولن) التوحيد إلى قسمين :توحيد الربوبية وتوحيد العبودية أو الألوهية كما هو تقسيم السلف على النحو التالي:

١- توحيد الربوبية:[٤].

توحيد الربوبية ويسميه (ابن تيمية) كذلك عبادة الربوبية ويقول في معناه: "هو سبحانه رب العالمين، وخالقهم، ورازقهم، ومحييهم، ومميتهم، ومقلب قلوبهم، ومصرف أمورهم لا رب لهم غيره، ولا مالك لهم سواه، اعترفوا بذلك، أو أنكروا، وسواء علموا بذلك، أو جهلوا لكن أهل الإيمان منهم عرفوا ذلك وآمنوا به"[٥].

١- ينظر: كولن: القدر في ضوء الكتاب والسنة ص ٩٣.

٢- ينظر: كولن: القدر ٩٤ .

٣- سورة النحل.الآية:٦٨.

٤- الربوبية : الرب يطلق في اللغة على المالك، والسيد، والمدبر، والمربي، والقيم، والمنعم، المصلح، ولا يطلق غير مضاف إلا على الله (عز وجل)، "الرب هو الله عز وجل هو رب كل شيء أي مالكه، ورب الرجل النعمة: أي أتمها، ورب المكان أي أقام به. ينظر: أبو بكر محمد بن الحسن بن دريد الأزدي (المتوفى: ٣٢١هـ): جمهرة اللغة باب(ب ر ر) ص ٦٧/١، المحقق: رمزي منير بعلبكي، الناشر: دار العلم للملايين - بيروت، الطبعة: الأولى، ١٩٨٧م. لسان العرب فصل الراء ج ٥ ص ٩٤ .

٥- ابن تيمية: العبودية ص ٥٢، تحقيق: محمد زهير الشاويش، المكتب الإسلامي- بيروت، ط: السابعة ١٤٢٦هـ- ١٤٢٦هـ- ٢٠٠٥م.وينظر: ابن تيمية: رسالة قاعدة جامعة في توحيد الله وإخلاص الوجه والعمل له عبادة

يقول كولن: "الرب: مصدر بمعنى التربية وهي استخدمت هنا بمعنى اسم الفاعل أي المربي، وهنا حكمة ونكتة في التعبير بالمصدر عن اسم الفاعل ...التعبير بالمصدر يفيد حصر الفعل بالفاعل فكأنه يقال: إن المربي هو عين التربية، وهو المربي حصرا ولا تصدر التربية من غيره (تعالى)" [١].

وأما معنى توحيد الربوبية فيشرحه (كولن) بقوله:

"أنه هو الذات الأجل الأعلى الذي ليس له شبيه، ولا مثيل، ولا ضد، ولا ند، وليس له شريك في تربيته للعالمين، وأن كل شيء - بدءا من ذرات جسمنا وانتهاء بأبعد الأنظمة والمجرات والسدم[٢]- بيده وتحت تصرفه (ﷻ)"[٣].

فالمعنى إذن أن الله هو الذي يتولى تصريف أمور الخلائق من الخلق، و الرزق، والتدبير، والجميع خاضع له مربوب لعظمته، اعترفوا بذلك أم أنكروا.

٢- توحيد العبودية:[٤].

يقول (ابن تيمية) عن هذا النوع ويسميه (توحيد الألوهية أو عبادة الألوهية): "ألا يعبد إلا إياه فيطيع أمره، وأمر رسله، ويوالي أولياءه المؤمنين المتقين، ويعادي أعداءه، وهذه العبادة متعلقة بالإلهية؛ ولهذا كان عنوان التوحيد لا إله إلا الله بخلاف من يقر بربوبيته ولا يعبده، أو يعبد معه إلها آخر"[٥].

يقول كولن: "معنى عبد: قام بالفعل بعزم وتصميم والعبودة: التواضع والخضوع والعبودية: قيام العبد بالتعظيم والتبجيل لمولاه في نظام معين والعبادة: أن تعبد الله طبقا لما أمر به في خضوع وخشوع"[٦] .

واستعانة ص ٦٨ تحقيق: عبد الله بن محمد البصيري، دار العاصمة- الرياض- السعودية، ط: الأولى ١٤١٨هـ- ١٩٩٧م.

١- خواطر من وحي سورة الفاتحة ص١٢٢.

٢- السدم: مفرده السديم: وهو التعب، والماء المندفق، والضباب الرقيق، وبقع سحابية متوهجة أو مغيمة في الفضاء ناشئة عن تكاثف أو تصادم عدد لا يحصى من الأجرام السماوية ومنه المجرة. المعجم الوسيط باب السين ص ١/ ٤٢٤.

٣- خواطر من وحي سورة الفاتحة ص١٩١.

٤- العبدية والعبودية والعبودة والعبادة: الطاعة، الخضوع والذل، تقرب إلى الله بالعبادة. ينظر: أبو عبد الله محمد بن أبي بكر الحنفي الرازي: مختار الصحاح، باب(ع ب د) ص ١/ ١٩٨القاموس المحيط ص٢٦٢مجمع اللغة العربية: المعجم الوجيز ص ٤٠٣.

٥- شيخ الإسلام ابن تيمية: العبودية ص ٥٣ ابن تيمية، وينظر: رسالة قاعدة جامعة في توحيد الله وإخلاص الوجه والعمل له ص ٦٨، وينظر: الرسالة التدمرية في التوحيد والأسماء والصفات والقضاء والقدر ص ٨٣ مكتبة التراث الإسلامي - القاهرة.

٦- فتح الله كولن: خواطر من وحي سورة الفاتحة ص١٧١.

ويقول: "هو وحده منحك ما منحك فأنت أخذت ما أخذته كله منه وحده ،فما عليك إلا أن تخضع له وحده والا تلتفت إلى ما سواه وأن تتوجه إليه بقدر إخلاصك له فأنت إذا استطعت أن تفعل هذا فستظهر بالفعل أنك تقوم بالعبودية له وحده وتطلب ما تطلب منه وحده...بمعنى حصر العبودية له فقط ،فكما أن الرب واحد ،فالعبد كذلك لابد أن يقول: إنني خاضع لك وحدك يا ربي"[١] .

إذن فحقيقة هذا النوع هو إفراد الله تعالى بالألوهية، وبجميع صور العبادة، وبالخضوع، والطلب منه وحده.

وهذ التقسيم الذي سار عليه (كولن) يختلف عن تقسيم المتكلمين فقد قسموا التوحيد إلى ثلاثة أقسام:

توحيد الذات: ومعناه أن الله واحد في ذاته لا قسيم له .

توحيد الصفات: أن الله واحد في صفاته فلا شبيه له.

توحيد الأفعال: أن الله واحد في أفعاله فلا شريك له[٢].

و(كولن) لم يعترض على تقسيم المتكلمين بدليل أنه استخدم نفس مصطلحاتهم عند شرحه للحديث الشريف:" يا غلام إني أعلمك كلمات احفظ الله يحفظك"[٣]، فقال تعليقا على الحديث: "فنحن نعتقد في ضوء هذا الحديث الشريف بتوحيد الألوهية، وتوحيد الصفات الجليلة، وتوحيد الأفعال الحكيمة"[٤].

وعلى كل رغم اختلاف المسميات والمصطلحات بين السلف والمتكلمين، فالمعنى قائم وواحد وهو إفراد الله بالوحدانية.

مما سبق يتبين أن:

١- يتفق (كولن) مع المتكلمين في الاستدلال ببرهان التمانع، ويضيف الاستدلال بنظام العالم، ودليل الهداية أو السوق الإلهي، ولا يعارض مسلكهم في تقسيم التوحيد.

٢- يتفق مع السلفية في تقسيمه التوحيد إلى توحيد الربوبية وتوحيد العبودية.

٣- ويلتقي مع الطرفين في نفي الند والشريك عن الله تعالى.

إذن من خلال حديث (كولن) في الصفات يتبين أن:

١- فتح الله كولن: خواطر من وحي سورة الفاتحة ص ١٩٢.

٢- ا.د/ محمد السيد الجليند: توحيد الألوهية وتوحيد الربوبية ص ٤٢٣، موسوعة العقيدة الإسلامية، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية.

٣- أخرجه الترمذي في سننه، وقال حديث حسن صحيح ينظر: سنن الترمذي باب ٥٩ كتاب أبواب صفة القيامة والرقائق والورع ج ٤ ص ٢٤٨ رقم ٢٥١٦.

٤- كولن: القدر في ضوء الكتاب والسنة ص ٣٥.

١- حديث (كولن) في الصفات موافق لأهل السنة أحيانا، وغير واضح أحيانا أخرى.

٢- لم يتحدث عن الصفات تفصيلا إلا كلاما مجملا عن ثبوتها لله .

٣- لم يقسم الصفات كتقسيم المتكلمين .

٤- كان اهتمام (كولن) منصبا على الجانب العملي من وراء الصفات، وهو إثباتها وفاعليتها في التأثير دون التطرق إلى أمور نظرية لا تفيد المعتقد في شيء.

المطلب الثاني: التوسل:

لا خلاف بين المسلمين في التوسل بالله تعالى بالقربات المختلفة من نوافل، وصدقات، وصالحات، وإنما نشأ الخلاف في التوسل إليه بالأنبياء والصالحين مما حدا

ببعض الطوائف إلى اعتبار التوسل بهما شرك - أو على الأقل من باب الشرك الأصغر-؛ ولذا آثرت ترتيبه بعد التوحيد للمناسبة.

وقد ذكر (كولن) أن هناك خلاف حول التوسل بالأنبياء والأولياء والعلماء قديما وحديثا وأن مدرسة (ابن تيمية) أعطت لهذا الجدل أبعادا جديدة، وذكر أن بعض العلماء يرى إدراج التوسل في مسألة الشفاعة فيتناولهما في باب واحد، ولكنه لم يصرح باختياره لهذا الرأي أو غيره.

أولا: تعريف التوسل:

١- التوسل في اللغة: الْوَسِيلَةُ: مَا يُتَقَرَّبُ بِهِ إِلَى الْغَيْرِ. وَ (التَّوْسِيلُ) وَ (التَّوَسُّلُ) وَاحِدٌ، يُقَالُ: (وَسَّلَ) فُلَانٌ إِلَى رَبِّهِ وَسِيلَةً بِالتَّشْدِيدِ، وَ (تَوَسَّلَ) إِلَيْهِ بِوَسِيلَةٍ إِذَا تَقَرَّبَ إِلَيْهِ بِعَمَلٍ[١].

الوسيلة والواسلة: المنزلة عند الملك، والدرجة والقربة. ووسل إلى الله تعالى توسيلا: عمل عملا تقرب به إليه كتوسل، والواسل :الواجب والراغب إلى الله تعالى[٢].

٢- التوسل عند المتكلمين:[٣]

أ- رأي المعتزلة:

"الوسيلة كل ما يتوسل به أي يتقرب من قرابة، أو صنيعة، أو غير ذلك، فاستعيرت لما يتوسل به إلى الله تعالى من فعل الطاعات وترك المعاصي"[٤].

فالوسيلة عند المعتزلة ما يتقرب به إلى الله من فعل الطاعات وترك المعاصي ويقرر الزمخشري كذلك عدم نفع ما دون ذلك من وسطاء سواء من الملائكة أو من الأنبياء فكلهم سواء في الحرص على القرب من الله تعالى[٥].

ب- رأي الأشاعرة:

١- ينظر: أبو بكر الرازي الحنفي: مختار الصحاح باب (و س ل) ص ٣٣٨/١ .

٢- ينظر: ابن فارس: مجمل اللغة باب الواو والسين وما يثلثهما ص ٨/ ٩٢٥. الفيروز أبادي: القاموس المحيط ص ٩١٢ .

٣- لم أجد من المتكلمين من خصص بحثا لدراسة هذه المسألة فرجعت إلى كتب التفسير لديهم لأتبين معنى التوسل عندهم، فاستعنت بتفسير الكشاف ممثلا للمعتزلة، ومفاتيح الغيب ممثلا للأشاعرة، وتفسير النسفي ممثلا للماتريدية. وكلمة الوسيلة موجودة في آيتين: المائدة ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَٱبۡتَغُوٓاْ إِلَيۡهِ ٱلۡوَسِيلَةَ وَجَـٰهِدُواْ فِي سَبِيلِهِۦ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ ﴾ الاية٣٥، والثانية: الإسراء﴿ قُلِ ٱدۡعُواْ ٱلَّذِينَ زَعَمۡتُم مِّن دُونِهِۦ فَلَا يَمۡلِكُونَ كَشۡفَ ٱلضُّرِّ عَنكُمۡ وَلَا تَحۡوِيلًا ﴿٥٦﴾ أُوْلَـٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ يَبۡتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ ٱلۡوَسِيلَةَ أَيُّهُمۡ أَقۡرَبُ وَيَرۡجُونَ رَحۡمَتَهُۥ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُۥٓۚ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ كَانَ مَحۡذُورًا ﴿٥٧﴾ ﴾الآية:٥٦- ٥٧.

٤- الزمخشري: الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل (تفسير سورة المائدة الآية ٣٥).ج ٢ ص ٦٢٨.

٥- ينظر: الزمخشري: الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل(تفسير سورة الإسراء الآيه ٥٦-٥٧)، ج ٢ص ٦٧٣.

يقول الفخر الرازي: "الوسيلة فعيلة، من وسل إليه إذا تقرب إليه. قال لبيد الشاعر:

أرى الناس لا يدرون ما قدر أمرهم ... ألا كل ذي لب إلى الله واسل[١].

أي متوسل، فالوسيلة هي التي يتوسل بها إلى المقصود...أنه تعالى إنما أمر بابتغاء الوسيلة إليه بعد الإيمان به، والإيمان به عبارة عن المعرفة به ،فكان هذا أمرا بابتغاء الوسيلة إليه بعد الإيمان وبعد معرفته، فيمتنع أن يكون هذا أمرا بطلب الوسيلة إليه في معرفته، فكان المراد طلب الوسيلة إليه في تحصيل مرضاته؛ وذلك بالعبادات والطاعات"[٢].

فالوسيلة عند (الرازي) هي كل ما يتقرب به إلى الله من عبادات وطاعات، ويقرر كذلك: أن عبادة الله والتوسل إليه أولى من التوسل بالملائكة والأنبياء، فالجميع عاجزون مفتقرون إلى الله عابدون له فوجب الاقتداء بهم، ومن ثم فالتوجه للغني صاحب القدرة أولى[٣].

ج- رأي الماتريدية:

الوسيلة: "هي كل ما يتوسل به أي يتقرب به من قرابة أو صنيعة أو غير ذلك فاستعيرت لما يتوسل به إلى الله تعالى من فعل الطاعات وترك السيئات"[٤].

ويقرر (النسفي)[٥] أيضا أن الملائكة و الأنبياء عباد لله لا يستطيعون جلب نفع ولا دفع ضر، بل يسارعون في التقرب من الله تعالى مثل غيرهم[٦]، وهو نفس تفسير (الزمخشري) تماما بل متطابق معه .

فالوسيلة عند الماتريدية إذن: كل ما يتقرب به إلى الله من طاعات وعبادات وأن لا أحد يملك لغيره شيئا حتى لو كان ملكا أو نبيا فجميعهم محتاجون إلى الله يبتغون إليه الوسيلة رغم قربهم منه فكيف بالبعيد عنه تعالى؟.

١- لبيد بن ربيعة بن مالك أبو عقيل العامري الشاعر معدود من الصحابة: ديوان لبيد بن ربيعة العامري باب لبيك علي النعمان: كتاب حرف اللام ج ١ ص ٨٥ اعتنى به: حمدو طماس، دار المعرفة، ط: الأولى ١٤٢٥هـ- ٢٠٠٤م.

٢- الرازي: مفاتيح الغيب (تفسير سورة المائدة الآية ٣٥)، ج ١١ص ٣٤٩.

٣- ينظر: الرازي: مفاتيح الغيب(تفسير الآية ٥٦-٥٧ من سورة الإسراء)، ج ٢٠ ص ٣٥٨بتصرف.

٤- أبو البركات النسفي: تفسير النسفي(تفسير الآية ٣٥ من سورة المائدة)، ج ١ ص ٤٠٥ تحقيق: مروان محمد الشعار دار النفائس – بيروت ٢٠٠٥م.

٥- النسفي: عبد الله بن أحمد بن محمود النسفي، أبو البركات، حافظ الدين: متكلم، أصولي، فقيه حنفي، مفسر، من أهل إيذج (من كور أصبهان) ووفاته فيها سنة ٧١٠هـ. نسبته إلى " نسف " ببلاد السند، بين جيحون وسمرقند. له عدة مصنفات منها: " مدارك التنزيل " ثلاثة مجلدات، في تفسير القرآن، و " كنز الدقائق - " في الفقه، و " المنار - " في أصول الفقه و " كشف الأسرار " شرح المنار، و " الوافي " في الفروع، و " الكافي " في شرح الوافي، و " المصفى " في شرح منظومة أبي حفص النسفي، في الخلاف، و " عمدة العقائد. ينظر: الزركلي: الأعلام ج ٤ ص ٦٨. عادل نويهض: معجم المفسرين «من صدر الإسلام وحتى العصر الحاضر» ص ١/ ٣٠٤.

٦- أبو البركات النسفي: تفسير النسفي(تفسير الآيتين ٥٦- ٥٧ من سورة الإسراء)، ج ٢ ص ٤٥٨ بتصرف.

والمتكلمون جميعا على نفس المنهج في تعريف التوسل إذ هو التقرب إلى الله تعالى بالطاعات والقربات وعدم اتخاذ الوسائط، فمهما علا شأنهم فهم عباد لله، يرجون رحمته ويخافون عذابه كسائر البشر.

٢- تعريف التوسل عند ابن تيمية:

"الوسيلة التي أمر الله أن تبتغى إليه وأخبر عن ملائكته وأنبيائه أنهم يبتغونها إليه هي ما يتقرب به إليه من الواجبات والمستحبات"[١].

وهو ما ذهب إليه علماء الكلام من معتزلة وأشاعرة وماتريدية كما سبق.

٣- التوسل عند فتح الله كولن:

أشار (كولن) إلى معنى التوسل في اللغة فقال: "أن تتخذ شخصا، أو شيئا وسيلة، أو واسطة للوصول إلى الهدف المطلوب كاستخدام السلم للوصول إلى السطح، واستقلال وسائط متنوعة للوصول إلى مكان ما، فالتوسل هو اتخاذ هذه الوسائل والوسائط ؛ لتحقيق غايتنا، والمقصود هنا التوسل المعنوي"[٢].

ثانيا: حكم التوسل:

لا خلاف بين جميع المسلمين بجواز واستحباب التوسل بالله عن طريق العبادة، وعمل الصالحات، والدعاء، وغير ذلك من وجوه القربات.

والخلاف نشأ في حكم التوسل إليه بعباده المقربين كالأنبياء، والأولياء، والصالحين، واشتد الخلاف خاصة بين السلفية، والصوفية، والشيعة. وسنفصل الحديث على الوجه التالي

١- رأي السلفية:[٣]

١- شيخ الإسلام ابن تيمية: قاعدة جليلة في التوسل والوسيلة ص ٨٤ تحقيق :ربيع بن هادي المدخلي، دار الفرقان، ط: الأولى ١٤٢٢هـ - ٢٠٠١م.

٢- كولن: نحو عقيدة صحيحة ص ١٧١.

٣- السلفية: نسبة إلى السلف وهم القوم المتقدمون وعكسها الخلف وهم القوم المتأخرون. وفي الأمة الإسلامية الأوائل من الصحابة، والتابعين، ومن تبعهم من أصحاب القرون المفضلة؛ ولذلك أصبحت السلفية من حيث المصطلح علما على أصحاب منهج الاقتداء بالسلف الصالح من الصحابة والتابعين وكل من تبعهم من الأئمة الأربعة، وسفيان الثوري، وسفيان بن عيينة، والليث بن سعد، والأوزاعي، وابن المبارك، والبخاري، ومسلم، وسائر أصحاب السنن، ويشمل من سار على طريقتهم مع تباين العصور، ونقصد بالسلفيين هنا من نحلوا أنفسهم هذا الوصف وقد ظهروا في القرن الرابع الهجري وكانوا من الحنابلة، وقالوا بأن آرائهم تنتهي إلى أحمد بن حنبل وتجدد ظهورها في القرن السابع على يد ابن تيمية ثم في القرن الثاني عشر على يد محمد بن عبد الوهاب، وكذا أغلب الاتجاهات السلفية المعاصرة بالجزيرة العربية، وشبه القارة الهندية، ومصر، وشمال أفريقيا، والشام، واعتمدوا على الكتاب والسنة في مسلكهم. الإمام محمد أبو زهرة: تاريخ المذاهب الإسلامية ص= = ١٩٦. الندوة العالمية للشباب الإسلامي: الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة المجلد الثاني ص ١٠٨٢ .

يرى (ابن تيمية)، وسائر السلفية عدم جواز التوسل بالنبي بعد مماته، ولا بسائر الأنبياء والصالحين، وبيان ذلك كالتالي:

أ- التوسل بالنبي (ﷺ):

يرى (ابن تيمية) أن لفظ التوسل بالنبي- ﷺ- يراد به معنيان صحيحان باتفاق المسلمين والثالث لم ترد به السنة، أما المعنيان الأولان :

أحدهما: هو أصل الإيمان والإسلام، وهو التوسل بالإيمان به وبطاعته كتوسل أصحاب الصخرة بأعمالهم الصالحة[١].

والثاني: "التوسل بدعائه وشفاعته، وهذا كان في حياته، ويكون يوم القيامة يتوسلون بشفاعته"[٢]، "فهذان جائزان بإجماع المسلمين، ومن هذا قول (عمر بن الخطاب): "اللهم إنا كنا إذا أجدبنا توسلنا إليك بنبينا فتسقينا، وإنا نتوسل إليك بعم نبينا، فاسقنا" أي بدعائه وشفاعته"[٣] ، فلو كان التوسل بذاته جائز لما عدل عمر عنه إلى التوسل بدعاء العباس.

والثالث:" التوسل بمعنى الإقسام على الله تعالى بذاته والسؤال بذات، مثل أن يقول اللهم إني أقسم عليك بجاه النبي، أو أتوسل إليك بحق النبي، أو جاهه، أو ذاته .

فيرى (ابن تيمية) أن هذا لم تكن الصحابة تفعله في الاستسقاء ونحوه لا في حياته ولا بعد مماته، ولا عند قبره، ولا غير قبره، ولا يعرف هذا في شيء من الأدعية المشهورة بينهم وإنما ينقل شيء من ذلك في أحاديث ضعيفة مرفوعة وموقوفة أو عن من ليس قوله حجة.

١- عن عَبْدَ اللَّهِ بْنَ عُمَرَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا-، قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: " انْطَلَقَ ثَلاَثَةُ رَهْطٍ مِمَّنْ كَانَ قَبْلَكُمْ حَتَّى أَوَوْا المَبِيتَ إِلَى غَارٍ، فَدَخَلُوهُ فَانْحَدَرَتْ صَخْرَةٌ مِنَ الجَبَلِ، فَسَدَّتْ عَلَيْهِمُ الغَارَ، فَقَالُوا: إِنَّهُ لاَ يُنْجِيكُمْ مِنْ هَذِهِ الصَّخْرَةِ إِلَّا أَنْ تَدْعُوا اللَّهَ بِصَالِحِ أَعْمَالِكُمْ، فَقَالَ رَجُلٌ مِنْهُمْ: اللَّهُمَّ كَانَ لِي أَبَوَانِ شَيْخَانِ كَبِيرَانِ، وَكُنْتُ لاَ أَغْبِقُ قَبْلَهُمَا أَهْلًا، وَلاَ مَالًا فَنَأَى بِي فِي طَلَبِ شَيْءٍ يَوْمًا، فَلَمْ أُرِحْ عَلَيْهِمَا حَتَّى نَامَا، فَحَلَبْتُ لَهُمَا غَبُوقَهُمَا، فَوَجَدْتُهُمَا نَائِمَيْنِ وَكَرِهْتُ أَنْ أَغْبِقَ قَبْلَهُمَا أَهْلًا أَوْ مَالًا، فَلَبِثْتُ وَالقَدَحُ عَلَى يَدَيَّ، أَنْتَظِرُ اسْتِيقَاظَهُمَا حَتَّى بَرَقَ الفَجْرُ، فَاسْتَيْقَظَا، فَشَرِبَا غَبُوقَهُمَا، اللَّهُمَّ إِنْ كُنْتُ فَعَلْتُ ذَلِكَ ابْتِغَاءَ وَجْهِكَ، فَفَرِّجْ عَنَّا مَا نَحْنُ فِيهِ مِنْ هَذِهِ الصَّخْرَةِ، فَانْفَرَجَتْ شَيْئًا لاَ يَسْتَطِيعُونَ الخُرُوجَ "، قَالَ النَّبِيُّ - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: " وَقَالَ الآخَرُ: اللَّهُمَّ كَانَتْ لِي بِنْتُ عَمٍّ، كَانَتْ أَحَبَّ النَّاسِ إِلَيَّ، فَأَرَدْتُهَا عَنْ نَفْسِهَا، فَامْتَنَعَتْ مِنِّي حَتَّى أَلَمَّتْ بِهَا سَنَةٌ مِنَ السِّنِينَ، فَجَاءَتْنِي، فَأَعْطَيْتُهَا عِشْرِينَ وَمِائَةَ دِينَارٍ عَلَى أَنْ تُخَلِّيَ بَيْنِي وَبَيْنَ نَفْسِهَا، فَفَعَلَتْ حَتَّى إِذَا قَدَرْتُ عَلَيْهَا، قَالَتْ: لاَ أُحِلُّ لَكَ أَنْ تَفُضَّ الخَاتَمَ إِلَّا بِحَقِّهِ، فَتَحَرَّجْتُ مِنَ الوُقُوعِ عَلَيْهَا، فَانْصَرَفْتُ عَنْهَا وَهِيَ أَحَبُّ النَّاسِ إِلَيَّ، وَتَرَكْتُ الذَّهَبَ الَّذِي أَعْطَيْتُهَا، اللَّهُمَّ إِنْ كُنْتُ فَعَلْتُ ابْتِغَاءَ وَجْهِكَ، فَافْرُجْ عَنَّا مَا نَحْنُ فِيهِ، فَانْفَرَجَتِ الصَّخْرَةُ غَيْرَ أَنَّهُمْ لاَ يَسْتَطِيعُونَ الخُرُوجَ مِنْهَا "، قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: " وَقَالَ الثَّالِثُ: اللَّهُمَّ إِنِّي اسْتَأْجَرْتُ أُجَرَاءَ، فَأَعْطَيْتُهُمْ أَجْرَهُمْ غَيْرَ رَجُلٍ وَاحِدٍ تَرَكَ الَّذِي لَهُ وَذَهَبَ، فَثَمَّرْتُ أَجْرَهُ حَتَّى كَثُرَتْ مِنْهُ الأَمْوَالُ، فَجَاءَنِي بَعْدَ حِينٍ فَقَالَ: يَا عَبْدَ اللَّهِ أَدِّ إِلَيَّ أَجْرِي، فَقُلْتُ لَهُ: كُلُّ مَا تَرَى مِنْ أَجْرِكَ مِنَ الإِبِلِ وَالبَقَرِ وَالغَنَمِ وَالرَّقِيقِ، فَقَالَ: يَا عَبْدَ اللَّهِ لاَ تَسْتَهْزِئُ بِي، فَقُلْتُ: إِنِّي لاَ أَسْتَهْزِئُ بِكَ، فَأَخَذَهُ كُلَّهُ، فَاسْتَاقَهُ، فَلَمْ يَتْرُكْ مِنْهُ شَيْئًا، اللَّهُمَّ فَإِنْ كُنْتُ فَعَلْتُ ذَلِكَ ابْتِغَاءَ وَجْهِكَ، فَافْرُجْ عَنَّا مَا نَحْنُ فِيهِ، فَانْفَرَجَتِ الصَّخْرَةُ، فَخَرَجُوا يَمْشُونَ ". أخرجه البخاري، ينظر: صحيح البخاري باب من استأجر أجيرا فترك الأجير أجره، كتاب الإجارة (ج ٣ص٩١ رقم ٢٢٧٢) .

٢- شيخ الإسلام ابن تيمية : قاعدة جليلة في التوسل والوسيلة ص ٢٦و ص ٨٧ .

٣- شيخ الإسلام ابن تيمية: قاعدة جليلة في التوسل ص ٧٦. والحديث أخرجه البخاري، ينظر: صحيح البخاري باب دعاء النبي - صلى الله عليه وسلم- اجعلها عليهم سنين كسني يوسف كتاب الجمعة (ج ٢ ص ٢٧ رقم ١٠١٠).

يقول ابن تيمية:" أما التوسل بالنبي (ﷺ)، والتوجه به في كلام الصحابة، فيريدون به التوسل بدعائه وشفاعته ،والتوسل به في عرف كثير من المتأخرين يراد به الإقسام به، والسؤال به كما يقسمون، ويسألون بغيره من الأنبياء والصالحين، ومن يعتقدون فيه الصلاح"[١].

وأما الإقسام على الله بالنبي أو غيره، فيقول: "قول جمهور العلماء أنه لا يقسم به، فلَا يقسم على الله به كسائر الملائكة والأنبياء، فإنا لَا نعْلم أَحدا مِن السلفِ وَالْأَئِمة قَال إنه يُقْسم على اللَّهِ، كَمَا لَمْ يَقولوا إنه يقْسم بهِمْ مطلقا"[٢].

ويتفق مع (ابن تيمية) كل علماء السلفية المعاصرين، فيرى (الألباني)[٣] بأن هناك ثلاثة أنواع من التوسل شرعها الله وهي: التوسل إلى الله بأسمائه الحسنى، أو صفاته، والتوسل بالعمل الصالح ، والتوسل إلى الله بدعاء الرجل الصالح ، أما ماعدا ذلك من التوسل بالذوات، والجاهات، أو الحقوق، أو المقامات فهو غير جائز ولا مشروع[٤] .

ب- التوسل بالأنبياء والصالحين :

أما عن التوسل بالأنبياء والصالحين، فيقول ابن تيمية:" وعلم أنه لم يكن النبي- ﷺ- بل ولا أحد من الأنبياء قبله شرعوا للناس أن يدعوا الملائكة والأنبياء والصالحين، ويستشفعوا بهم لا بعد مماتهم ولا في مغيبهم"[٥]، ويرى أن طلب الشفاعة، والاستغاثة بالصالحين والأنبياء بعد موتهم عند قبورهم من أعظم الشرك[٦].

١- ينظر: ابن تيمية: قاعدة جليلة في التوسل ص ٧٦، ٨٨

٢- تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم بن محمد ابن تيمية الحراني الحنبلي الدمشقي (المتوفى: ٧٢٨هـ):الفتاوى الكبرى ج ٢ ص ٤٢٢.الناشر: دار الكتب العلمية الطبعة: الأولى، ١٤٠٨هـ - ١٩٨٧م.

٣- محمد ناصر الدين الألباني: الشيخ المحدث، علامة الشام أبو عبد الرحمن محمد ناصر الدين بن نوح نجاتي الألباني. ولد الشيخ في مدينة أشقودرة، عاصمة ألبانيا سنة أربع وأربعين وثلاثمائة وألف للهجرة الموافق لعام أربع عشرة وتسعمائة وألف ميلادي، في أسرة فقيرة متدينة يغلب عليها الطابع العلمي، وكان والده فقيها حنفيا من أهل العلم. وبعد تولي "أحمد زوغو" الحكم في ألبانيا حوّلها إلى بلاد علمانية، فقرر الشيخ نوح رحمه الله الهجرة بأسرته إلى بلاد الشام فرارا بدينه. قرأ الشيخ القرآن مجودا على والده وتلقى عليه بعض علوم اللغة وبعض كتب المذهب الحنفي،. وجذبه علم الحديث وتأثر به، وأول عمل حديثي قام به هو نسخ كتاب 'المغني عن حمل الأسفار في الأسفار في تخريج ما في الإحياء من الأخبار' للحافظ العراقي. قام الشيخ بالدعوة إلى الله في دمشق، ورفع راية التوحيد والسنة، مستعينا في ذلك بالله ثم ببعض العلماء الدمشقيين، فنصر السنة ونفض عنها غبار القرون،. وما من أحد في العصر الحاضر له اشتغال في علم الحديث إلا وللألباني في عنقه منة، اعترف بها أو جحد. توفي رحمة الله عليه بعد عصر يوم السبت لثمان بقين من جمادى الأولى سنة عشرين وأربعمائة وألف هجرية الموافق لعام تسع وتسعين وتسعمائة وألف ميلادي في عمان. أبو سهل محمد بن عبد الرحمن المغراوي: موسوعة مواقف السلف في العقيدة والمنهج والتربية ص ١٠/ ٣٧٠،المكتبة الإسلامية للنشر والتوزيع، القاهرة - مصر، النبلاء للكتاب، مراكش - المغرب، الطبعة: الأولى.

٤- محمد ناصر الدين الألباني: التوسل أنواعه وأحكامه بحوث كتبها وألقاها الشيخ و نسقها وآلف بينها: محمد عيد عباسي ص ٣٢- ٤٦- المكتب الإسلامي- بيروت، ط: الخامسة ١٤٠٤هـ - ١٩٨٣م.توزيع رئاسة إدارة البحوث العلمية والافتاء والدعوة والارشاد.

٥- قاعدة جليلة في التوسل ص ٢٦ .

٦- ينظر: فتاوى ابن تيمية ج ١ ص ١٥٩ .

٢- رأي الاثنا عشرية[١]:

أجاز الاثنا عشرية التوسل بالنبي - ﷺ- وآل بيته وزيارة قبورهم والدعاء عندها والتمسح بها، فمن دعائهم عند قبره - ﷺ-:"اللهم إني أتوسل إليك بنبيك وأهل بيته حججك على خلقك، وآياتك في أرضك أن تستجيب لي دعائي ،وتبلغني في الدين والدنيا أملي ورجائي"، ومثله: "اللهم إني أتوجه إليك بنبيك نبي الرحمة وبأهل بيته حجتك عل خلقك وأمنائك على بلادك أن تستجيب دعائي"[٢].

وجعلوا هناك بركات دينية ودنيوية لمن زار قبور آل البيت، الدينية مثل: استحقاق شفاعة النبي -ﷺ-، والخلاص من الذنوب، ودخول الجنة، وأما الدنيوية فمنها: أن من زار قبر جعفر وأباه لم يشك عينه، ولم يصبه سقم، ولم يمت مبتلى، وغيرها الكثير[٣].

٣- رأي الصوفية:

يجيز الصوفية التوسل بالنبي - ﷺ- والأولياء والصالحين[٤].

وهذا واضح بالمشاهدة لأحوال الصوفية من تعظيم المشايخ وقبور الأولياء والصالحين، ولم أر كلاما في هذه المسألة في كتب القدماء من الصوفية، ويبدو أن السبب كما يرى البعض أنهم اعتبروها من المسائل الفقهية الفرعية التي يسعهم فيها الخلاف وليس من المسائل العقائدية[٥].

١- الاثنا عشرية: فرقة من فرق الشيعة تدين بإمامة اثنى عشر إماما من آل البيت أولهم علي بن أبي طالب - رضي الله عنه- وآخرهم محمد بن الحسن العسكري، ويعتبرون الإمامة بعد علي في أولاده من فاطمة، وهم الحسن، ثم الحسين، ثم علي زين العابدين، ثم أبو جعفر محمد الباقر، ثم أبو عبد الله جعفر الصادق، ثم موسى الكاظم، ثم أبو الحسن علي الرضا، ثم محمد بن علي الهادي، ثم أبو محمد الحسن العسكري، ثم محمد المهدي المنتظر والذي اختفى ب(سر من رأى) سنة ٢٥٥أو ٢٥٦هجرية، ويطلق عليهم عدة أسماء أخرى مثل: الجعفرية والامامية، ويرون أن الأئمة عينوا بالنص لا بالوصف، ويصبغون على الأئمة عدة صفات كالعلم، والعصمة، والخلق النوراني، والكرامات. ويدخل في عموم هذه الفرقة اكبر مذاهب الشيعة القائمة في العالم الإسلامي في إيران والعراق وما وراءها من باكستان وغيرها، ويدخل في عمومها طوائف لم تنحرف اعتقاداتها إلى درجة أن تخالف نصا من القرآن، وطوائف أخرى على انحراف شديد. ينظر: الإمام محمد أبو زهرة: تاريخ المذاهب الإسلامية ص ٥٤. ينظر: المجلس الأعلى للشئون الإسلامية: الموسوعة الإسلامية العامة ص ٣٩ تاريخ النشر ٢٠١٥م.

٢- الشيخ محمد باقر المجلسي : بحار الأنوار الجامعة لدرر أخبار الأئمة الأطهار الجزء المائة ص ١٧٢، دار إحياء التراث العربي بيروت- لبنان، ط الثالثة المصححة ١٤٠٣هـ- ١٩٨٣م .

٣- ينظر: الشيخ محمد باقر المجلسي : بحار الأنوار ينظر ص ١٤٢وما بعدها.

٤- و عندما طالعت عددا من مراجعهم كاللمع للطوسي والتعرف لمذاهب أهل التصوف للكلاباذي، وعوارف وعوارف المعارف للسهروردي، وغيرها لم أجد ذكرا لمسألة التوسل اللهم إلا قول محقق الرسالة القشيرية: "وقد بين صاحب الرسالة أن قلوب أئمة الطريقة كانت معلقة بالله وحده ولم يكن قصدهم إلا لله خلافا لمتأخري الصوفية الذين عظموا القبور والمشاهد وتعلقت قلوبهم بالأموات عن رب الأرض والسموات". مقدمة الرسالة القشيرية ص ١٢ تحقيق: هاني الحاج، المكتبة التوفيقية.

٥- وقد رد هذه الشبهة ابن باز، وأكد أن قضية التوسل عقدية وليست فقهية ينظر: اللجنة العلمية للبحوث العلمية والإفتاء فتوى رقم ٦٩٤٩.

ولكن المعاصرين منهم يجيزون التوسل صراحة ويكتبون في ذلك عكس الأولين كالبوطي فهو يجيز التوسل في حياته- ﷺ- وبعد مماته ويهاجم المخالفين، يقول البوطي: "وإذا علمت أن التبرك بالشيء إنما هو طلب الخير بواسطته ووسيلته علمت أن التوسل بآثار النبي ﷺ- أمر مندوب إليه مشروع فضلا عن التوسل بذاته الشريفة، وليس ثمة فرق بين أن يكون ذلك في حياته أو بعد وفاته"[١].

ومن ذلك فتوى دار الإفتاء المصرية التي تنص على: "أما تكفير من توسل بجاه النبي - ﷺ- في الدعاء فهو في الحقيقة تكفير للسواد الأعظم من علماء الأمة ؛لأن التوسل به – ﷺ- مما أجمعت عليه مذاهب الأئمة الأربعة المتبوعين، وقد ثبت عن النبي - ﷺ- الأمر بالتوسل في حديث الأعمى[٢]، وغيره من الأحاديث"[٣].

أما التبرك بزيارة القبور فيقول الشيخ (علي جمعة): "وكذلك الحال في التبرك بزيارة مقامات أهل البيت الكرام وغيرهم من الصالحين فإن زيارة آل بيت النبوة من أقرب القربات وأولى القبور بالزيارة بعد رسول الله - ﷺ- قبور آل البيت النبوي الكريم؛ لأن في زيارتهم ومودتهم برا وصلة لرسول الله (ﷺ)"[٤].

والشيخ (البوطي) والشيخ (علي جمعة) محسوبان في زمرة الصوفية .

٤- حكم التوسل عند فتح الله كولن:

ذهب (كولن) إلى أن التوسل منه ما هو محظور، وما هو مشروع .

أما الأول: التوسل المحظور:

وهو اتخاذ شريك أو واسطة بين العبد وربه، فقد قرر الإسلام أن لا واسطة بين العبد وربه، فللعبد أن يتوجه إلى ربه متى شاء، وحيثما شاء فلم الواسطة والله يقول: ﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ ﴾[٥].

١- ينظر: دكتور محمد سعيد رمضان البوطي: فقه السيرة النبوية مع موجز لتاريخ الخلافة الراشدة، ص ٣٥٤ دار الفكر المعاصر- بيروت لبنان- دار الفكر- دمشق سورية، ط: العاشرة ١٤١١هـ- ١٩٩١م.

٢- حديث الأعمى أخرجه محمد بن يزيد أبو عبد الله القزويني :سنن ابن ماجه، باب ما جاء في صلاة الحاجة، كتاب إقامة الصلاة والسنة فيها (ج ١ ص ٤٤١ رقم ١٣٨٥)، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي دار إحياء الكتب العربية – بيروت. و أخرجه الترمذي في سننه كتاب الدعوات باب ٥٦٩/٥حديث رقم ٣٥٧٨، وقال: حديث حسن صحيح .

٣- دار الإفتاء المصرية الرقم المسلسل ٣٧٤٨ تاريخ الإجابة ٢٠٠٧/٢/٣م الجواب الشيخ علي جمعة محمد.

٤- دار الإفتاء المصرية الرقم المسلسل ٣٧٤٨ تاريخ الإجابة ٢٠٠٧/٢/٣م الجواب الشيخ علي جمعة محمد.

٥- سورة البقرة الآية:١٨.

فعلى العبد أن لا يشرك مع الله أحدا في عبوديته فهو النافع والضار والمعطي والمانع ويستدل كولن بقوله - ﷺ-: "يا غلام إني أعلمك كلمات احفظ الله يحفظك احفظ الله تجده تجاهك إذن سألت فاسأل الله ، وإذا استعنت فاستعن بالله، واعلم أن الأمة لو اجتمعت على أن ينفعوك بشيء لم ينفعوك إلا بشيء قد كتبه الله لك، ولو اجتمعوا على أن يضروك بشيء لم يضروك إلا بشيء قد كتبه الله عليك رفعت الأقلام وجفت الصحف" [١].

هذا هو الوجه الظاهر من الحقيقة كما يقول (كولن)، ولكن هناك وجها باطنا يأبى بعض الناس الاعتراف به وهو التوسل المشروع.

الثاني: التوسل المشروع:

يرى (كولن) أن القرآن نفسه وسيلة لنيل نعيم الآخرة، وتنظيم حياتنا الدنيا، والنبي كذلك واسطة فهو الذي علمنا الدين ومكارم الأخلاق، وبفضله بلغنا الآفاق النورانية .

ومن هذا الوجه الباطن شعور الصحابة بفضل النبي - ﷺ- فرأوا كل شيء خاص به مباركا .

فيقول كولن: "فقد أحس الصحابة - رضوان الله عليهم- بهذا الشعور في أعماق قلوبهم فقالوا: المنة لله ولرسوله، فرأوا كل شيء خاص به مباركا، ووسيلة للنجاة فكل شعرة مباركة تساقط من رأسه أو لحيته - ﷺ- كأنها نزلت من الجنة فتلف بألين القماش وتحفظ في زجاجة بأعز مكان في بيوتهم، وكل قطرة من وضوئه تساقط من أعضائه - صلى الله عليه وسلم- يتدافعون عليها، ولا يفرطون بها، ثم يمسحون بها وجوههم وعيونهم كأنهم يعتقدون أن النار لن تمس عضوا مسه ذلك الماء المبارك، هذه عقيدتهم ولم يكن الرسول -ﷺ- يمنعهم من ذلك، فلو كان فعلهم هذا شركا كما يقال لمنعهم - ﷺ- من فعل ذلك فهو إنما جاء ليمحو الشرك عن ظهر البسيطة"[٢]

إذن يرى (كولن) أن المحظور أن يتخذ مع الله شريكا أما المشروع فهو:

التوسل بالقرآن.

التوسل بالنبي -ﷺ-.

التبرك بآثار النبي ﷺ من شعر، وفضل وضوء، وغير ذلك، ودليله هو إقرار النبي الصحابة على ذلك ولم يمنعهم فدل على أن هذا ليس شركا وهو هنا متفق مع (الألباني) في هذا الدليل.

وكما هو واضح هناك خلط في حديث (كولن) بين التوسل والتبرك.

١- والحديث حسن صحيح أخرجه محمد بن عيسى الترمذي ينظر سنن الترمذي، باب ٥٩ كتاب أبواب صفة القيامة والرقائق والورع ج ٤ ص ٢٤٨ رقم ٢٥١٦ .

٢- كولن: نحو عقيدة صحيحة ص١٧٢- ١٧٤ .

وقد أجاز التبرك بآثار النبي عموم المسلمين سنة وشيعة، ومن هؤلاء القاضي (عياض) المالكي في الشفا واستدل بأثار كثيرة على بركة آثاره من شعر، ووضوء، وعرق، وغيره وعلى نفعها لمن لمسها أو احتفظ بها[١]، وكذلك الشيخ (عبد العزيز بن باز)، فيقول: "فأما التبرك بما مس جسده (عليه الصلاة والسلام) من وضوء، أو عرق، أو شعر، ونحو ذلك فهذا أمر معروف، وجائز عند الصحابة - رضي الله عنهم-، وأتباعهم بإحسان؛ لما في ذلك من الخير والبركة، وهذا أقرهم النبي - ﷺ- عليه"[٢].

ويفرق (الألباني) بين التوسل بآثاره والتبرك بها، فالتوسل بآثاره - ﷺ- غير مشروع فلم يفعله أحد من الصحابة، فلم يقل أحدهم: "اللهم ببصاق نبيك اشفنا"، أما جواز التبرك بآثاره، فلا ننكره، فقد أقرهم النبي على هذا التبرك في الحديبية إرهابا للكفار وبيان مدى حب المسلمين لنبيهم -ﷺ-، وإن كان بعد ذلك لما رآهم يتمسحون بوضوئه أمرهم بأعمال صالحة، فقال: "من سره أن يحب الله ورسوله، فليصدق حديثه إذا حدث، وليؤد أمانته إذا أؤتمن، وليحسن جوار من جاوره"[٣].

ثالثا: الأدلة على مشروعية التوسل عند كولن:

استشهد (كولن) بعدة وقائع خلط فيها بين التوسل والتبرك واعتبرها دليلا على مشروعية التوسل منها:

أولا: أن سيدنا خالد بن الوليد كان يحمل في عمامته شعرة من شعر سيدنا رسول الله – ﷺ- ففقدها في أحد المعارك، فراح يبحث عنها، ويقتحم صفوف الأعداء دون أن يعبأ بتحذير أصحابه له ،فعثر عليها ولبسها ،ولما سأله أصحابه لما ألقى بنفسه في التهلكة، فقال: حلق رسول – ﷺ- رأسه في حجة الوداع، فأخذت من شعره شعرات فجعلتها في مقدمة قلنسوتي، فلم ألق جمعا قط إلا انهزموا ببركة شعرات رسول الله - ﷺ-[٤].

وهنا (كولن) يخلط بين التوسل والتبرك فما حدث من سيدنا خالد (رضي الله عنه) يعتبر تبركا بآثار النبي ﷺ وليس توسلا.

١- ينظر: الإمام القاضي عياض بن موسى اليحصبي: الشفا بتعريف حقوق المصطفى، الجزء الثاني ص٣٤٨-٣٥٣ ، دراسة وتقديم وتعليق: أ.د محمد عمارة، هدية مجلة الأزهر لشهر ربيع الآخر ١٤٣٦هـ.

٢- الموقع الرسمي لسماحة الشيخ عبد العزيز بن باز.

٣- ينظر: التوسل أنواعه وأحكامه ص ١٦٢. والحديث أخرجه البيهقي أبوبكر أحمد بن الحسين البيهقي: في شعب الإيمان برقم ١٤٤٠ باب تعظيم النبي - ﷺ- وإجلاله وتوقيره تحقيق د عبد العلي عبد الحميد حامد ج ٣ ص ١١٠ مكتبة الرشد- الرياض ط الأولى ٢٠٠٣م.والحديث حسن. ينظر: محمد بن عبد الله الخطيب العمري، أبو عبد الله، ولي الدين، التبريزي (المتوفى: ٧٤١هـ): مشكاة المصابيح رقم ٤٩٩٠ ج ٣ ص ١٣٩١، المحقق: محمد ناصر الدين الألباني، الناشر: المكتب الإسلامي - بيروت ،الطبعة: الثالثة، ١٩٨٥ م.

٤- ينظر: ابن حجر العسقلاني: الإصابة في تمييز الصحابة ص ٢٥٤ ج ٢ تحقيق: علي محمد البجاوي، دار الجيل- بيروت، ط : الأولى ١٤١٢هـ ، ابن كثير: البداية والنهاية ص ١٢٩ ج ٧ دار إحياء التراث العربي،- ط الأولى ١٤٠٨هـ- ١٩٨٨م.

ثانيا: لما حضرت (عمرو بن العاص) الوفاة وضع شعرة مباركة من لحية رسول الله (ﷺ) تحت لسانه لعلها تيسر عليه الحساب[١] .

ثالثا: أن (عمر بن الخطاب) وقت القحط توسل بالعباس عم النبي -ﷺ- في الاستسقاء[٢].

رابعا: حدث قحط في زمن (عمر) فجاء رجل إلى قبر النبي -ﷺ- ،فقال: يا رسول استسق الله لأمتك، فإنهم قد هلكوا، فأتاه الرسول – ﷺ- في المنام، فقال: ائت عمر فأقرئه السلام، وأخبره أنكم مسقون، وقل له: "عليك الكيس الكيس، فأتى الرجل عمر، فأخبره فبكى، ثم قال: "يا رب ما آلو إلا ما عجزت عنه"[٣].

خامسا: "عن (عثمان بن حنيف) أن رجلا ضرير البصر أتى النبي (ﷺ) فقال :ادع الله لي أن يعافيني فقال: "إن شئت أخرت لك وهو خير وإن شئت دعوت فقال: ادعه فأمره أن يتوضأ فيحسن وضوءه، ويصلي ركعتين، ويدعو بهذا الدعاء "اللهم إني أسألك وأتوجه إليك بمحمد نبي الرحمة يا محمد إني قد توجهت بك إلى ربي في حاجتي هذه لتقضى اللهم فشفعه في "[٤][٥] ، فهو يجيز التوسل بالنبي - ﷺ- في حياته وبعد مماته .

والخلاصة كما يقول كولن: "أن التوسل مشروع، وواقع بشرط ألا ينسي أبدا أن المتوسل به ليس هو المقصود والغاية، وأنه ليس له من الأمر شيء سوى كونه وسيلة، وأن الأمر كله يرجع إلى مشيئة الله وإرادته، والأمثلة المتقدمة تبين أنه لا صلة للتوسل بالشرك ألبتة"[٦].

بعد هذه الجولة في معنى التوسل وحكمه يتبين التالي:

١- لم أجد هذه الحكاية- فيما اطلعت عليه- في كتب الأحاديث أو التاريخ أو الطبقات.
٢- يرى ابن تيمية وجميع السلفيين أنه دعاء من العباس وليس توسلا بذات النبي (ﷺ) وهذا مشروع .ينظر فتاوى ابن تيمية ج ٢ ص ٤٢٢، والألباني: التوسل وأحكامه ص ٤٦.

٣- اسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري : مسند الفاروق أمير المؤمنين أبي حفص عمر بن الخطاب (رضي الله عنه)، وأقواله على أبواب العلم، باب أحاديث الاستسقاء كتاب الصلاة(ج١ ص ٣١٧ رقم ١٨٣) تحقيق: إمام بن علي بن إمام دار الفلاح- الفيوم- مصر ط الأولى ٢٠٠٩م.

٤- يرى الألباني أنه توسل بدعاء النبي -ﷺ- بدليل: ١- أنه جاءه طالبا الدعاء ولو كان قصده الدعاء لجلس في بيته وتوسل بذاته – ﷺ- أو جاهه. ٢- وإصرار الأعمى على دعاء النبي – ﷺ- له رغم أن النبي خيره فقال: "إن شئت دعوت لك وإن شئت صبرت فهو خير لك "فاختار الدعاء. ٣- أن النبي علمه "اللهم شفعه في"، وهذا معناه: اللهم اقبل شفاعته – ﷺ- فيّ أي "اقبل دعاءه في أن ترد علي بصري". ٤- أن هذا الحديث ذكره العلماء في معجزات النبي - ﷺ- وما أظهره الله ببركة دعائه من الخوارق وإبراء العاهات.٥- أنه لو كان السر في شفاء العمى هو التوسل بجاه النبي لكان المفروض أن يحصل الشفاء لجميع العميان الذين يتوسلون بجاهه، ولم نعلم حصول ذلك. إذن توسله كان بدعاء النبي له في حياته. ينظر: التوسل أنواعه وأحكامه ص ٨١.

٥- سبق تخريجه ص ١٥٠.

٦- فتح الله كولن : نحو عقيدة صحيحة ص ١٧٤.

يتفق جميع المسلمين على جواز التبرك بآثار النبي -ﷺ- بدليل إقرار النبي- ﷺ- الصحابة على ذلك في حياته .

يتفق جميع المسلمين على وجوب التقرب والتوسل إلى الله بالطاعات والعبادات؛ لورود النص بذلك، ولكن الخلاف في التوسل بالأنبياء والصالحين.

أجاز السلفية التوسل بالنبي في حياته، والتوسل بدعاء الصالحين في حياتهم، أما بعد وفاته - ﷺ- ووفاتهم، فالتوسل ممنوع مستدلين بنفس النصوص التي استدل بها المجيزون بعد قيام كل فريق بتأويلها ولكل وجهة هو موليها.

الصوفية والاثنا عشرية يجيزون التوسل بالنبي حيا وميتا، وبالأولياء والصالحين؛ لمقام الأنبياء والصالحين وفضلهم .

كولن مع المجيزين للتوسل كما هو واضح من استدلالاته، وإن لم يفرق بين التوسل بذاته والتبرك بآثاره - ﷺ- فعنده خلط بين التوسل والتبرك، فكلاهما سماه توسلا مع أن التوسل يكون في الدعاء، والتبرك يكون بالآثار، كأن يحتفظ بشيء من شعر المصطفى، أو ملابسه بقصد البركة الدنيوية.

المطلب الثالث: تنزيه الله تعالى:

١- التنزيه في اللغة:

التنزه: التباعد، ونزه نفسه عن القبيح تنزيها: نحاها، و نزِه تباعد عن كل مكروه، وتنزه عن الشيء: بعد عنه وتصون[١].

٢- اصطلاحا:

التنزيه في حق الله تعالى: "تبعيد الله تعالى عن أوصاف البشر وهو معنى التقديس والتطهر، والترفيع، والتعظيم، والإجلال لله (تعالى) عما لا يليق بجناب الربوبية من التمثيل، والتشبيه، والتصوير، والتحديد، والتقدير، ونحو ذلك"[٢].

٣- حقيقة التنزيه:

يتفق جميع المتكلمين على تنزيهه تعالى عن مماثلة البشر، فليس (سبحانه وتعالى) جسما، ولا جوهرا، ولا عرضا، ولا يشغل حيزا، ولا يحده زمان، أو مكان، منزه عن الكم والكيف، والحلول والاتحاد، وغير ذلك[٣] قال تعالى: ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴾[٤]، وقال تعالى: ﴿ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ ﴾[٥].

وعند استقراء كتابات (كولن) المختلفة وجدت أنه لم يبسط الحديث فيها ويخصها بكتاب أو حديث مستقل، بل كانت مجملة ومنثورة في ثنايا كتاباته، ومع ذلك فهي من الكثرة بحيث لا يخلو كتاب، أو حديث من الإشارة إلى تعظيم الله وتنزيهه، وقد قصر حديثه في التنزيهات على عدة أمور:

١- ينظر: أبو بكر الرازي الحنفي: مختار الصحاح باب (ن ز هـ) ص ١/ ٣٠٨. محمد بن يعقوب الفيروز آبادي: القاموس المحيط ص ١٠٧٠م.ينظر: مجمع اللغة العربية- المعجم الوجيز ص ٦١١ .

٢- أ.د/ فتحي أحمد عبد الرازق: التنزيه ص ٣٨٩ موسوعة العقيدة الإسلامية المجلس الأعلى للشئون الإسلامية ٢٠١٦م.

٣- ينظر: الإمام الأشعري: اللمع في الرد على أهل الزيغ والبدع ص ٢٠ و٢٣ . وينظر: البيضاوي: طوالع الأنوار من مطالع الأنظار ص ١٦٨، تحقيق: عباس سليمان، دار الجيل، ط: الأولى ١٤١١هـ- ١٩٩١م.
وينظر: الجرجاني: شرح المواقف المجلد الرابع ص ٢٢. وينظر: أبو البركات النسفي: شرح العمدة في أصول أهل السنة والجماعة المسمى بالاعتماد في الاعتقاد ص١٥٠-١٧٠وشمس الدين السمرقندي: الصحائف الإلهية ص٣٦٨- ٣٧٧تحقيق: أ د/ أحمد عبد الرحمن الشريف.

٤- سورة الشورى الآية: ١١.

٥- سورة الإخلاص الآية:٣.

أولا: نفي الكم والكيف[١]:

فليس سبحانه محلا للكميات المتصلة كالمقادير، ولا المنفصلة كالأعداد، ولا يتصف بالكيفيات من اللون والطعم والرائحة والبرودة وغير ذلك من صفات الأجسام[٢].

ويرى (كولن) إننا لا نستطيع معرفة شيء عن الله إلا ما بلغنا عنه من الوحي فالله سبحانه ليس كمثله شيء، ولا يتصف بكم، ولا كيف، فلا تحيط به التصورات والتخيلات؛ لأن الإنسان محدود، فكيف يدرك اللامحدود؟[٣] .

وضرب عدة أمثلة على كون الإنسان محدودا فكيف يتسنى له معرفة اللامحدود مثل:

١- البصر: فنسبة ما يبصره الإنسان إلى ما لا يبصره في هذا العالم ٥/١٠٠٠٠٠٠تقريبا .
٢- السمع: وكذلك نسبة ما يسمعه ،فمثلا لا يستطيع أن يسمع صوتا اهتزازه ٤٠ ترددا في الثانية .
إذن "فكيف يستطيع هذا الإنسان المحدود في علمه وبصره وسمعه أن يتجرأ ويسأل لماذا لا يرى الله؟ وما هي حقيقته؟...وكذا محاولة إسناد الكمية والكيفية لله – حاشاه- ومحاولة التفكير في ذاته"[٤].

واستشهد (كولن) بعدة أقوال تؤيد أن الإنسان المحدود لا يستطيع معرفة حقيقة الله كأقوال علماء الكلام، والمتصوفة، وفلاسفة أمثال ديكارت.

"يقول علماء الكلام: "وكل ما خطر ببالك فالله تعالى بخلاف ذلك، وأما المتصوف فيقول: "ما خطر ببالك فهو وراء وراء وراء ذلك فأنت محاط بالحجب وكأنك داخل فانوس"، ويقول ديكارت: " الإنسان محدود من جميع جوانب، والمحدود لا يستطيع التفكير في اللامحدود"... يقول الأديب الألماني جوته: "يذكرونك بألف اسم واسم، أيها المجهول الموجود لو ذكرتك لا بألف اسم، بل بآلاف الأسماء لم أستطع أن أوفي حقك في الثناء لأنك وراء وفوق كل وصف"[٥].

فالله - وفقا لكثير من المفكرين- موجود ولكن وجوده لا يدرك ولا يمكننا الإحاطة به بحواسنا لأنه هو المبدأ الأول والعلة الأولى للوجود وللعلم. وجودنا ظل من وجوده وعلمنا نفحة من علمه المحيط بكل شيء.

١-الكم: "عرض يقبل القسمة لذاته، بمعنى فرض شيء غير شيء، فمنفصل إن لم يكن لأجزائه حد مشترك وهو العدد، ومتصل إن كان، وهو إن كان غير قار فزمان، وإلا فمقدار خط، أو سطح، أو جسم تعليمي"= والكيف: عرض لا يقبل لذاته قسمة ولا نسبة". التفتازاني: متن تهذيب المنطق والكلام ص ٣٨، ٤١ ، وعلى قسم الكلام تعليقات جمعها الشيخ: عبد القدر السنندجي، مطبعة السعادة، ط: الأولى ١٣٣٠هـ -١٩١٢م .

٢- ينظر: سعد الدين التفتازاني: شرح العقائد النسفية ص ٣٣.
٣- ينظر: نحو عقيدة صحيحة ص ٩. وينظر كذلك الرد على شبهات العصر ص ٢٣١.

٤- نحو عقيدة صحيحة ص ٩، وأسئلة العصر المحيرة ص ١١.

٥- ينظر: أسئلة العصر ص ١١-١٢ .

فالكون شاهد على الله وينطق بذلك بألف لسان ولسان، والقرآن يقوم بالتذكير بأبلغ لسان وكذلك الرسول هو أبلغ رسول وأكمله.

وهو يرى أننا نستدل على وجوده بآثاره في الآفاق، وفي الأنفس، وعن طريق الوجدان، فإذا ذهل الإنسان عن هذا الطريق ضل وشقي[١].

ويقول: "إننا نحاول معرفة الله تعالى بالانتقال من آثاره إلى أسمائه، إلى صفاته، ومن صفاته إلى تجليات ذاته"[٢].

ويقول: " الله تعالى معلوم بأسمائه، وأسماؤه تدل على صفاته، وله ذات مقدسة لا نعرف كنهها كما قال أبو بكر الصديق (رضي الله عنه): "العجز عن درك الإدراك إدراك"، وهو (سبحانه وتعالى) معروف ومعلوم لكن في إطار ما يعزى إلى النبي -ﷺ- أكبر معرف وأعظم دليل على الله "سبحانك ما عرفناك حق معرفتك"، وبتعريف القرآن الكريم لأفعال الله سبحانه وتعالى يتبين أنه المعبود المطلق الموصوف بصفات الكمال، وأنه يمكن لقلوبنا أن ترتقي لمعرفته لنرى كمال جماله (سبحانه وتعالى)"[٣].

ثانيا :نفي التغير والتبدل:

يقول كولن: "إن الله تعالى منزه عن التبدل والتغير، وعن الألوان والأشكال تنزها نابعا من ذاته"[٤]، ويرى أن الله تعالى منزه عن الحدوث؛ لأن وجوده تعالى ذاتي[٥].

حتى كان من أدلة وجود الله عنده، أن منظم وبارئ هذا الكون المتحول مبرأ من التبدل والتغير، أي يمكن إطلاق اسم مبدأ رجوع المتبدل إلى غير المتبدل[٦] .

ثالثا: نفي الحيز والمكان والزمان والجسم :

يقول كولن: "الله تعالى واحد، - وهو أيضا- معكم أينما كنتم لكن بعلمه وقدرته لا بذاته، ولا يلزم من هذا أنه تعالى يشغل حيزا مكانيا كسائر الأجسام ...ومعنى ﴿ وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴾[٧] أنه موجود برحمانيته، ورحيميته، وبعلمه، وقدرته في كل مكان انظر مثلا - ولله المثل الأعلى- إلى أشعة الشمس تلامس رؤوسنا إلا أنها بعيدة عنا ولا نستطيع الوصول إليها، فالله تعالى بصفاته هذه هو بكل شيء محيط، وهو أقرب

١- ينظر: كولن: نحو عقيدة صحيحة ص ١١، الموازين ص ٣٦ ،٣٧.أسئلة العصر المحيرة ص ١٢.

٢- نحو عقيدة صحيحة ص١٣.

٣- نحو عقيدة صحيحة ص ١٤.

٤- كولن: أسئلة العصر المحيرة ص ١٢٦ .

٥- ينظر: كولن: الرد على شبهات العصر ص ٢٣١ .

٦- ينظر: أسئلة العصر المحيرة ص ١٢٦.

٧- سورة الحديد: الآية: ٤٠.

إلينا من حبل الوريد إلا أنه لا يبلغه أحد، ولا يحيط به شيء فالله تعالى يقول: ﴿ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ ﴾[١].

وكذا يرى (كولن) أن الله منزه عن الزمان "ولا يحده زمان ولا مكان"[٢].

وهو هنا متفق مع أهل السنة إذ يرى الأشاعرة أن الله ليس بجسم، ولا جوهر، ولا عرض، ولا في مكان وجهة[٣]، وكذا الماتريدية يرون عدم جواز إطلاق لفظ الجسم على الله تعالى؛ لأنه اسم ذو أبعاد ثلاثة وغير جائز القول فيه في حق الله؛ لأنه أمارة الحدوث ، وكذا منزه عن المكان[٤].

رابعا: نفي وحدة الوجود[٥]:

فحقائق الأشياء ثابتة كما يرى أهل السنة[٦] والله منزه عن وحدة الوجود وعما تستلزمه من مساواة الله بالبشر، ومن نفي الكثرة في الكون، وغيرها لما تستلزمه من النقص، وقد أفاض (كولن) في رد وحدة الوجود، ودفعها عن الصوفية، وألصقها بالمتصوفة والفلاسفة لا غير، وقد سقت كلامه، ورده ودفاعه، في مبحث التصوف[٧].

من خلال هذا الحديث الموجز في التنزيهات يتبين التالي :

١- ينفى (كولن) عن الله إجمالا كل العوارض البشرية من التحيز، والجسم، والزمان والمكان، وغيرهما وينزهه كل التنزيه عنها.

٢- لم يفصل في هذا الأمر(التنزيهات) إلا كلمات قليلة مرصعة أحيانا بأدلة علمية تبين محدودية البشر فكيف يتطلعون إلى معرفة كنه ذات خالقهم وكيف يتصف هو بأوصافهم وهم محدودون عاجزون؟.

١- سورة ق الآية: ١٦ .الرد على شبهات العصر ص ١٣ .

٢- الرد على شبهات العصر ص ٢٣١ .

٣- ينظر: البيضاوي: طوالع الأنوار من مطالع الأنظار ص ١٦٩. التفتازاني: شرح المقاصد، الثالث ص ٣٠.

٤- ينظر: الإمام الماتريدي: كتاب التوحيد ص ٣٨. أبو معين النسفي: بحر الكلام في أصول الدين ص ٢١٣ .

٥- وحدة الوجود: "يعني بها عدم انقسامه إلى الواجب والممكن وذلك أن الوجود عند هذه الطائفة ليس ما يفهمه أرباب العلوم النظرية من المتكلمين والفلاسفة فإن أكثرهم يعتقد أن الوجود عرض بل الوجود الذي ظنوا عرضيته هو ما به تحقق حقيقة كل موجود، وذلك لا يصح أن يكون أمرا غير الحق عز شأنه". عبد الرازق القاشاني: لطائف الإعلام في إشارات أهل الإلهام ج ٢ ص ٣٨٧ تحقيق: سعيد عبد الفتاح. الهيئة العامة للكتاب ٢٠٠٥م.

٦- ينظر: أبو الثناء محمود بن زيد اللامشي: التمهيد لقواعد التوحيد ص ٣٩ تحقيق: عبد المجيد التركي، دار الغرب الإسلامي، ط: الأولى.

٧- الفصل الثالث من باب آراء فتح الله كولن الفلسفية.

تعقيب على مبحث صفات الله تعالى:

من خلال هذه الجولة في الصفات الإلهية نخرج بعدة نتائج:

١- لم يسر (كولن) على طريقة المتكلمين في تقسيم الصفات، والاستدلال عليها، واكتفى بالحديث الإجمالي عن ثبوتها لله.

٢- اتفق مع جناحي أهل السنة في صفة البقاء، والكلام، والقدرة، والإرادة، والوحدانية- وهي الصفات التي ذكرها- ومع الماتريدية خاصة في صفة التكوين.

٣- قسم التوحيد كابن تيمية والسلف، وتوسع في أدلة الوحدانية، إضافة إلى برهان التمانع الذي اتفق فيه مع سائر المسلمين.

٤- أجاز التوسل بالنبي- ﷺ- إلا أنه عند حديثه عن الأدلة على مشروعيته خلط التوسل بالتبرك.

٥- لم يتوسع في حديثه عن التنزيهات، بل هي إشارات سريعة ومقتضبة عن نفي كل ما لا يليق بالله تعالى من كم، وكيف، وجسمية وغير ذلك، متفقا مع أهل السنة تماما.

المبحث الثالث: الأسماء والأحكام

تمهيد:

وهذا المبحث - كما جرت عادة المتكلمين- يدور حول أسماء الله الحسنى، معناها، وكونها توقيفية أم توفيقية، وكذا حول الإيمان والإسلام، معناهما، والفرق بينهما، وكون العمل جزء من الإيمان أم خارج عنه، وحكم مرتكب الكبيرة.

وقد تحدث (فتح الله كولن) عما له صلة بالعمل والتطبيق في حياتنا الروحية والعملية، فانفرد وتميز بذكر تجليات الأسماء الحسنى في الكون، وتميز ببيان العلاقة بين الإيمان والإسلام والتدين، أي التطبيق العملي لهذا الاعتقاد في حياتنا.

وقد جاء هذا المبحث في مطلبين كالتالي:

المطلب الأول:

أسماء الله الحسنى، ويشتمل على:

معنى أسماء الله الحسنى- أسماء الله الحسنى توقيفية- تجليات الأسماء الإلهية.

المطلب الثاني:

الإسلام والإيمان، ويشتمل على:

معنى الإسلام والإيمان- العلاقة بين الإسلام والإيمان- علاقة الإيمان بالعمل.

المطلب الأول: أسماء الله الحسنى:

أولا: معنى أسماء الله الحسنى:

١- الاسم في اللغة:

أ- كلمة تدل على معنى دلالة الإشارة، واشتقاقه من السمو، وذلك كالعلم ينصب ليدل على صاحبه[١] .

ب- ما يعرف به الشيء، ويستدل به عليه، والاسم الأعظم: الاسم الجامع لمعاني صفات الله (عز وجل)[٢].

ج- اللفظ الموضوع على الجوهر والعرض للتمييز[٣]

د- ما دل على معنى مفرد شخصا كان أو غير شخص[٤].

وكلها معاني متقاربة تدل على التمييز والدلالة أو السمو .

٢- الاسم في اصطلاح المتكلمين:

أ- عند الأشاعرة: ما دل على الذات بمجردها كالله، أو باعتبار الصفة كالعالم والقادر[٥].

فيقول الإمام (الأشعري) في الإبانة: "ولا تخلو أسماء الله (عز وجل) من أن تكون مشتقة إما لإفادة معنى، أو على طريق التلقيب باسم ليس فيه إفادة معنى، وليس مشتقا من صفة"[٦] .

وحصرها بعضهم في معان ثلاثة:

١- ما دلت التسمية به على وجوده كالله .

٢- ما دلت التسمية به على فعل كالخالق والرازق.

٣- ما دلت التسمية به على صفة قديمة كالعالم والقادر[٧].

١- الخليل بن أحمد: العين باب السين والميم ص ٧/ ٣١٨.أبو هلال العسكري: الفروق اللغوية ص ٢٩. حققه وعلق عليه: محمد ابراهيم سليم دار العلم والثقافة- القاهرة.

٢- مجمع اللغة العربية: المعجم الوجيز ص ٣٢٣.

٣- الفيروز آبادي: القاموس المحيط ص ١١٠٤.

٤- أبو هلال العسكري : الفروق اللغوية ص ٢٩ .

٥- ينظر: الإمام الباجوري: حاشية الباجوري على جوهرة التوحيد ص ١٥٢.

٦- الإمام أبو الحسن الأشعري: الإبانة في أصول الديانة ص ١٥١ .

٧- ينظر الإمام الجويني: الإرشاد ص ١٤٣، التفتازاني: شرح المقاصد، المجلد الثالث ص٢٥٣.

ويري (الغزالي) أن هذه الأسامي الكثيرة لله تعالى ترجع إلى ذات وسبع صفات، ثم قسمها إلى عشرة أقسام ترجع إليهما[١] وهي بالحقيقة لا تخرج عن التقسيم السابق .

ب- وعند الماتريدية: اسم الشيء إما أن يدل على ماهية، أو على جزئه، أو على خارج، أو على مركب منهما، والثاني والرابع لا يجوز في حق الله تعالى، والباقي جائز، أما الأول: فمثل لفظ الله، والثالث: فكالقادر والعالم، والأول ليس مشتقا والثالث: إما مشتق من صفة أزلية كالقادر والعالم، فيكون أزليا، أو مشتق من فعل ليس بأزلي وذلك ضربان:

أحدهما مشتق من فعله كالخالق والرازق، والثاني: مشتق من فعل غيره كالمعبود والمشكور، وهذا النوع ليس بأزلي[٢].

٣- تعريف فتح الله كولن:

يقول كولن: "كلمة اسم من "سما- يسمو" أو من "وسم – يسم" فعلى الأول يكون معناه : الارتفاع والعلو، والله تعالى متعال بذاته وأسمائه، وهذا مصداق قوله تعالى: ﴿ وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ ﴾[٣].

وعلى الثاني يكون معناه: العلامة، والأمارة، فلا تطلق لفظة "الله" على غيره تعالى فإذا أطلقت هذه اللفظة، فالذي يتبادر إلى الذهن هو الذات العلى الذي يحكم الكون والذي نعرفه ب "واجب الوجود[٤].

وقد اعتمد في تعريفه على المعنى اللغوي للكلمة واستخلص منها ما يلائم الحال والمقام .

ويرى (كولن) أن الأسماء الحسنى كلها ترجع إلى الصفات الإلهية، ومثل لذلك بأنه لا يمكن أن نسمي من لا يخبز خبازا، ومن لا يجيد النجارة نجارا، فاسم الله الجميل مثلا نعرفه من خلال الجماليات التي نقشها الله على كل شيء يستند إلى صفة الجمال التي هي منبع كل الجماليات.

يقول كولن: "وهكذا الأسماء كلها ترجع إلى صفات معينة، والصفات منشؤها "الشؤون"، والشؤون مثل القابليات والاستعدادات بالنسبة للإنسان لكن هاتين الكلمتين لا يجوز استعمالهما في حق الله (عز وجل). إذا فالأفعال الربانية تستند إلى الأسماء الحسنى، والأسماء إلى الصفات السبحانية، والصفات إلى الشئون الإلهية، والشؤون إلى ذات الله (ﷻ)"[٥].

١- حجة الإسلام أبو حامد الغزالي: المقصد الأسنى في شرح أسماء الله الحسنى ص ١٤٠-١٤١ دراسة وتحقيق: محمد عثمان الخُشْت مكتبة القرآن- القاهرة..

٢- شمس الدين السمرقندي: الصحائف الإلهية ص ٣٩٧- ٣٩٨.تحقيق: أ د/ أحمد عبد الرحمن الشريف.

٣- سورة الأعراف الآية :١٨٠.

٤- ينظر: خواطر من وحي سورة الفاتحة ص ٨٥.

٥- كولن: نحو عقيدة صحيحة ص ١٥٨.

وبناء على ذلك نستطيع القول إن (كولن) متفق مع الأشاعرة والماتريدية في أن أسماء الله تعالى مشتقة من الصفات، ولكنه أرجع كل الأسماء إلى الصفات، بينما رأي أهل السنة أن بعضها فقط مشتق من الصفات، وبعضها من الأفعال، وبعضها غير مشتق كلفظ الجلالة.

ثانيا: أسماء الله الحسنى توقيفية:

أ- رأي المتكلمين:

اختلف المتكلمون في أسمائه تعالى هل هي توقيفية تقتصر على ما ورد في الشرع فقط، أم يمكن إضافة كل ما يليق بالله تعالى ويصلح أن يكون اسما له؟.

١- المعتزلة: أسماء الله عند المعتزلة ليست توقيفية بل بالاجتهاد .

فقد أطلق معتزلة البصرة على الله تعالى أسماء لم تذكر في القرآن والسنة إذا دل عليه القياس، ورأى (الجبائي) [١] أن أسماء الله تعالى جارية على القياس، وأجاز اشتقاق اسم له من كل فعل فعله، بل أنكر بعضهم - وهم الهشامية[٢]- اسم الله الوكيل مع وروده نصا في القرآن الكريم[٣].

٢- يرى الأشاعرة أن أسماء الله توقيفية، أي يتوقف جواز إطلاقها عليه تعالى ورودها في كتاب، أو سنة، أو إجماع[٤] .

ويرى (إمام الحرمين) أن ما ورد به الشرع نطلقه على الله تعالى، وما لم يرد لا نحكم عليه بحل ولا حرمة، ثم يقول: "ثم لا نشترط في جواز الإطلاق ورود ما يقطع به في

---

[١]- محمد بن عبد الوهّاب بن سلام، أبو عليّ الجبّائي .من معتزلة البصرة، وهو الذي ذلّل علم الكلام، وسهّل ويسّر ما صعب منه، وإليه انتهت رياسة المعتزلة في زمانه، لا يدافعه أحد في ذلك، وكان لا يفضّل عليّا على أبي بكر (رضي الله عنهما) وكان فقيها ورعا زاهدا. من مؤلفاته: كتاب الأصول في شرح الحديث، وكتاب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وكتاب التعديل والتجويز، وكتاب الاجتهاد، وكتاب الإمامة، وكتاب المعرفة، وكتاب النظر، وكتاب الحكمين، وكتاب الأسماء والصّفات، وكتاب الجزء الذي لا يتجزّأ، وكتاب المجهول والمعلوم، وكتاب المولّد، وكتاب الأخبار، وكتاب المخلوق، وكانت وفاة أبي عليّ الجبّائي في سنة ثلاث وثلاث مائة عن ثلاث وسبعين سنة. انظر: المرتضى: طبقات المعتزلة ص ٨٠.وانظر:علي بن أنجب بن عثمان بن عبد الله أبو طالب، تاج الدين ابن السَّاعي (المتوفى: ٦٧٤هـ) : الدر الثمين في أسماء المصنفين ج ١ ص ١٦٦تحقيق وتعليق: أحمد شوقي بنبين - محمد سعيد حنشي الناشر: دار الغرب الاسلامي، تونس الطبعة: الأولى، ١٤٣٠ هـ - ٢٠٠٩م.

٢- الهشامية: من فرق المعتزلة وهم أصحاب هشام بن عمرو الفوطي، ومبالغته في القدر أشد وأكثر من مبالغة أصحابه، وكان يمتنع من إطلاق إضافات أفعال إلى الباري تعالى وإن ورد بها التنزيل، ومن بدعه أن الإمامة لا تنعقد أيام الفتن واختلاف الناس، وأن الجنة والنار ليستا مخلوقتين الآن، وغير ذلك. ينظر: الشهرستاني: الملل والنحل ص٨٥-٨٧.

[٣]- ينظر: الإمام عبد القاهر بن طاهر البغدادي: الفرق بين الفرق وبيان الفرقة الناجية ص ١٤٥، ١٦٨، تحقيق: لجنة إحياء التراث العربي في دار الآفاق الجديدة، دار الآفاق الجديدة- بيروت ١٤٠٢هـ- ١٩٨٢م.

٤- ينظر: الإمام أبو منصور عبد القاهر البغدادي : أصول الدين ص ١١٩. وينظر: فخر الدين الرازي: لوامع البينات في أسماء الله تعالى والصفات ص ١٨ عني بتصحيحه: السيد محمد بدر الدين أبو فراس النعساني الحلبي، ط: الأولى، مطبعة الشرقية بمصر لصاحبها الشيخ: شرف موسى ١٣٢٣هـ..وينظر: تحفة المريد على جوهرة التوحيد ص ١٥٤.

الشرع ، ولكن ما يقتضي العمل - وإن لم يوجب العلم- فهو كاف، غير أن الأقيسة الشرعية من مقتضيات العمل، ولا يجوز التمسك بها في تسمية الرب وصفته"[١].

ومن ثم فبالإمكان عند إمام الحرمين أن تتسع أسماء الله الحسنى، ولا نكتفي فيها بما ورد في الشرع ، ويرى (التفتازاني) [٢] أن مذهب (الجويني) التوقف في المسألة[٣].

٣- ويرى الماتريدية أيضا أن أسماء الله توقيفية فلا يجوز إطلاق الاسم على الله إلا بما ورد به الشرع أو الإجماع؛ لأن الله تعالى موصوف بأسماء لا يوصف بما في معناها إذ يقال له جواد عالم، ولا يقال سخي فاضل، وقد يوصف بأفعال، ولا يوصف بما يشتق منها كقوله:﴿ وَسَقَىٰهُمْ رَبُّهُمْ شَرَابًا طَهُورًا ﴾ [٤] ولا يوصف باسم الساقي[٥]

بينما يرى (أبو البركات النسفي) جواز أن يكون لله تعالى صفات وأسماء لا نعرفها تفصيلا؛ لأن صفات الجلال ونعوت الكمال أعظم من أن يحيط بها علم البشر، وبدليل الحديث الشريف: " أسألك بكل اسم هو لك سميت به نفسك، أو أنزلته في كتابك، أو علمته أحد من خلقك، أو استأثرت به في علم الغيب عندك"[٦][٧] .

رأي فتح الله كولن:

أما (فتح الله كولن) فيرى كذلك أن أسماء الله توقيفية تعلمناها من رسل الله تعالى ويقول: "وأسماؤه سبحانه توقيفية أي لا نستطيع تسميته بأسماء لم تثبت بنص"[٨].

١- إمام الحرمين أبو المعالي الجويني :الإرشاد إلى قواطع الأدلة في أصول الاعتقاد ص ١٤٣.

٢- مسعود بن عمر بن عبد الله التفتازاني، سعد الدين (٧١٢ - ٧٩٣ هـ = ١٣١٢ - ١٣٩٠ م): من أئمة العربية والبيان والمنطق. ولد بتفتازان (من بلاد خراسان) وأقام بسرخس، وأبعده تيمورلنك إلى سمرقند، فتوفي فيها، ودفن في سرخس. كانت في لسانه لكنة. من كتبه (تهذيب المنطق) و (المطول) في البلاغة، و (المختصر) اختصر به شرح تلخيص المفتاح، و (مقاصد الطالبين) في الكلام، و (شرح مقاصد الطالبين) و (النعم السوابغ) في شرح الكلم النوابغ للزمخشري، و (إرشاد الهادي) نحو، و (شرح العقائد النسفية) و (حاشية على شرح العضد على مختصر ابن الحاجب) في الأصول، و (التلويح إلى كشف غوامض التنقيح) و (شرح التصريف العزي - ط) في الصرف، وهو أول ما صنّف من الكتب، وكان عمره ست عشرة سنة، مات بسمرقند سنة ٧٩١ وقيل٧٩٣هـ : حاجي خليفة: سلم الوصول إلى طبقات الفحول ج ٣ ص ٣٢٩.الزركلي: الأعلام ص ٧/ ٢١٩.
٣- ينظر: التفتازاني: شرح المقاصد المجلد الثالث ص ٢٥٢.

٤- سورة الإنسان الآية: ٢١.
٥- ينظر: شمس الدين السمرقندي: الصحائف الإلهية ص ٣٩٩. تحقيق: أ د/ أحمد عبد الرحمن الشريف.
٦ - الاعتماد في الاعتقاد ص ١٧٩.
٧- أخرجه أحمد في مسنده (ج ٦ ص ٢٤٧ رقم ٣٧١٢)، تحقيق: شعيب الأرنؤوط وآخرون مؤسسة الرسالة ط ط الثانية ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م.وينظر:علاء الدين علي بن حسام المتقي الهندي البرهان فوري: كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال الدعاء الكتاب الثاني من حرف الهمزة من قسم الأقوال ج ٢ ص ١٢٢ رقم ٣٤٣٣، تحقيق: بكري حياني- صفوة السقا مؤسسة الرسالة، ط: الخامسة ١٩٨١م.قال الألباني في تخريج الكلم الطيب: صحيح ص ١١٩/١ رقم ١٢٤). ينظر: تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم بن محمد ابن تيمية الحراني الحنبلي الدمشقي (المتوفى: ٧٢٨هـ): الكلم الطيب ، تحقيق: محمد ناصر الدين الألباني ،الناشر: المكتب الإسلامي- بيروت، الطبعة: الثالثة – ١٩٧٧م.
٨- كولن: نحو عقيدة صحيحة ص ١٥٧و ١٥٨.

ولكنه يعتقد أنه من الممكن أن يكون هناك أسماء أخرى غير ما ورد في الحديث بأن يكون الله تعالى علم كل نبي أسماء مختلفة، فقد ذكر في خواطره حول قوله: ﴿ وَمِنَ ٱلْجِنِّ مَن يَعْمَلُ بَيْنَ يَدَيْهِ بِإِذْنِ رَبِّهِۦ ۖ وَمَن يَزِغْ مِنْهُمْ عَنْ أَمْرِنَا نُذِقْهُ مِنْ عَذَابِ ٱلسَّعِيرِ ﴾[1]: أن سليمان- عليه السلام- بأمر الله كان يسخر الجن لخدمته ببعض الأدعية، وبعض أسماء الله الحسنى التي لا نعرفها، يقول كولن: "والحقيقة أن الأسماء الحسنى ليست عبارة فقط عن الأسماء المائة التي رواها أبو هريرة- رضي الله عنه- فقد ورد في دعاء من أدعية الرسول(صلى الله عليه وسلم):"أسألك بكل اسم هو لك سميت به نفسك، أو أنزلته في كتاب، أو علمته أحد من خلقك، أو استأثرت به في علم الغيب عندك .." ، ويفهم من هذا أن الله تعالى قد يكون علم كل نبي أسماء مختلفة، ومن المحتمل أن سليمان (عليه السلام) كان يسخر الجن بقراءة هذه الأسماء"[2].

وبناء على ما سبق يتفق أهل السنة على أن أسماء الله توقيفية، ومع ذلك يعتقد بعضهم بوجود أسماء أخرى لا نعرفها؛ لأن كمالات الله لا تتناهي وللحديث المذكور و(كولن) متوافق ومتأثر بموقفهم تماما .

ثالثا: تجليات الأسماء الإلهية:

كان كلام المتكلمين ينصب عند دراسة أسماء الله الحسنى على تعديد الأسماء التسعة والتسعون الواردة في حديث النبي (ﷺ): "إن لله تسعة وتسعين اسما مائة إلا واحدا من أحصاها دخل الجنة "[3]، وذكر معنى كل منها فحسب كما فعل الإمام (الجويني)[4].

ومن المحاولات البارزة- والجديرة حقا بالمطالعة- في هذا المجال كتاب (الرازي)، (لوامع البينات في شرح أسماء الله تعالى والصفات) فقد كان أكثر توسعا في المعنى من جميع الوجوه اللغوية، والكلامية، والروحية وهو أشبه بكتاب في التصوف بسبب اللمحات الروحية في كل اسم يشرحه من أسماء الله تعالى.

ولعل أبرز من تكلم أيضا في هذه المسألة بشيء من الاختلاف والجدة (أبو حامد الغزالي) في (المقصد الأسنى) إذ بعد شرح كل اسم من التسعة والتسعين يأتي بدقائق هذا الاسم، وينبه إلى حظوظ المسلم من كل اسم منها، وقد أشار إلى أن حظوظ الناس من أسمائه تعالى متفاوتة، وعلى قدرها تكون سعادتهم وكمالهم، فمنهم من يكون حظه أن يسمع لفظه، ويفهم تفسيره، ويعتقد بقلبه ثبوته لله، فهذا منحوس الحظ نازل الدرجة كما يرى الغزالي، أما حظوظ المقربين فهي ثلاثة:

---

[1]- سورة سبأ الآية : ١٢.

٢- كولن: أضواء قرآنية في سماء الوجدان، ترجمة: أورخان محمد علي ص ٢٨٦ دار النيل- مصر ،ط الرابعة ١٤٣٠هـ - ٢٠٠٩م.

٣- أخرجه البخاري في صحيحه، باب من انتظر حتى تدفن، كتاب الجمعة ج ٩ص ١١٨ رقم ٧٣٩٢ . وأخرجه مسلم في صحيحه، باب في أسماء الله تعالى وفضل من أحصاها ، كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار (ج ٤ ص ٢٠٦٣ رقم ٢٦٧٧)، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي- بيروت.

٤- ينظر: الإمام الجويني الإرشاد ص ١٤٤.

الحظ الأول: معرفة هذه المعاني على سبيل المكاشفة، والمشاهدة حتى يتضح لهم حقائقها بالبرهان.

الحظ الثاني: استعظامهم ما ينكشف لهم من صفات الجلال على حال يشوقهم إلى الاتصاف بما يمكنهم من هذه الصفات؛ ليقربوا بها من الحق .

الحظ الثالث: السعي في اكتساب الممكن من تلك الصفات، والتخلق بها، والتحلي بمحاسنها، وبه يصير العبد ربانيا[١].

رأي فتح الله كولن:

أما (كولن) فدائما ما يتحدث عن تجليات الأسماء الحسنى في الكون من حولنا وفي الإنسان، فأسماء الله ليست بلا معنى، أو موضوعة للحفظ، أو الدعاء فقط، بل يجب أن نستشعرها؛ لأنها مرتبطة بنا، وتعمل في الكون من حولنا.

يقول كولن: "وحينما نطلق كلمة "اسم" يتبادر إلى الذهن جميع أسماء الله الحسنى ولله (تعالى) أسماء بعدد تصرفاته في الكون...إن الكون عبارة عن تجليات الأسماء الإلهية، والذي يتموج في كل مكان هو أسماء الله (عز وجل)، وحينما يقال: اسم فكل هذه التموجات تتبادر إلى الذهن"[٢].

ويقول كولن: "إن لله أسماء تتجلى في جميع أرجاء الكون، وحسب هذه الأسماء فإن كل شيء يسير سيرا حثيثا نحو الكمال"[٣].

فكل الكون يسعى نحو الكمال؛ الحجر، والنبات، والحيوان، والإنسان، فالحجر يتفتت فيكون ترابا يحتضن النبات، ويكون له أصيصا، والنبات يعطي الحيوان مداد الحياة والحيوان يمد الإنسان لإتمام دوره وكماله[٤].

و(كولن) هنا متأثر بالأستاذ (النورسي)، فقد امتلأت رسائل النور بكثير من الكلمات والصفحات عن تجليات الأسماء الحسنى؛ حيث يرى (النورسي) أن للأسماء الحسنى تجليات متنوعة لا تحد فتنوع المخلوقات ناشئ عن تنوع تلك التجليات، وحيث إن صاحب كل جمال وكمال يرغب في مشاهدة جماله وكماله وإشهادهما فإن تلك الأسماء لكونها دائمية وسرمدية تقتضي ظهورا دائميا سرمديا؛ لذا يتجدد الكون كل آن بمئات الرسائل ليطالعها ذوو الأنظار والشعور، ومثل النورسي بأمثلة كثيرة لتلك التجليات منها قوله: " الوالد الذي يشفق على أولاده يشفق أيضا على جميع الصغار، بل حتى على ذوي الأرواح تبين نوعا من أنوار اسم الله الرحيم المحيط بكل شيء" [٥]، وقوله: "إن شفقة

١- الإمام أبو حامد الغزالي: المقصد الأسنى في شرح أسماء الله الحسنى ص ٤٦.

٢- خواطر من وحي سورة الفاتحة ص ٨٦

٣- خواطر من وحي سورة الفاتحة ص ١٥٠.

٤- ينظر: خواطر من وحي سورة الفاتحة ص ١٥٠.

٥- بديع الزمان النورسي: المكتوبات ص ٣٧.

سيدنا يعقوب التي هي أسطع نور في أسطع سور القرآن سورة يوسف تظهر اسمي (الرحمن الرحيم) وتعلن أن طريق الشفقة هي طريق الرحمة، وأن ضماد ألم الشفقة ذاك إنما هو ﴿ فَٱللَّهُ خَيۡرٌ حَٰفِظٗاۖ وَهُوَ أَرۡحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴾ [١].

ويشرح (كولن) تجليات أسمائه تعالى في مواطن عدة من خلال شرح أسماء الله الحسنى وهذه بعض الأمثلة:

أولا: لفظ الجلالة الأشرف: الله

يرى (كولن) أنه ليس من المناسب البحث عن أصل هذه الكلمة واشتقاقها، وعلل ذلك بأن ذات الله أزلية، فكذا اسمه من الأزل هو "الله"، ولكن هناك بعض الكلمات الشبيهة بها سيقوم بشرحها.

يقول كولن: "إن كل شيء منوط بالله، وكل شيء قائم بالله، ونور وجه الكائنات وضياؤه لفظة "الله"، وكل مكان لا توجد فيه كلمة الله، فسيكون ما فيه من العلوم والمعارف عبارة عن خيال وسراب"[٢].

وسحب هذا الحكم على العلوم والتقنيات والفنون في القرن العشرين بأن سبب مأزقها، وسبب التردد والفرضيات والنظريات دون يقين هو أنها لا تستند إلى كلمة الله، فلكل شيء في الكون حقيقة، وأساس يستند إليه، وإن صرحا فنيا رائعا مثل الإنسان لا يمكن إسناده إلى بعض الفرضيات كأن يستند إلى الأميبا، أو الديدان، أو الصدفة .

وخلص إلى أن:

- المؤمنين بالله هم الذين سيوجهون العلوم والمعارف إلى مجرى جديد وعلى أسس متينة.
- وأن الله هو المعبود الحق والمقصود بالاستحقاق[٣]. .

١- تحليل كولن لبعض الألفاظ القريبة من لفظ الجلالة:

قام (كولن) بشرح بعض الألفاظ القريبة من لفظ الجلالة والتي سبقه بها الإمام فخر الدين الرازي ولكن الرزي يرى إنها مشتقة من لفظ الجلالة حيث أورد رأيين من يقول بعدم الاشتقاق، ومن يقول بالاشتقاق- وصل بها إلى تسع مشتقات من لفظ الجلالة- وكولن يؤيد الرأي الأول - القائل بعدم الاشتقاق- كما يظهر من كلامه، وكذا الفخر الرازي إذ يراه اسم انفرد الحق تعالى به كأسماء الأعلام[٤].

وإليك تفسير (كولن) لما أسماه ألفاظ قريبة من لفظ الجلالة وهي تنحصر في أربع كلمات وهي:

١- سورة يوسف الآية: ٦٤ . بديع الزمان النورسي: المكتوبات ص ٣٨،٣٧٣.

٢- خواطر من وحي سورة الفاتحة ص ٨٧.

٣- ينظر: فتح الله كولن: خواطر من وحي سورة الفاتحة ص ٨٨- ٨٩.

٤- ينظر: الفخر الرازي: لوامع البينات ص ٨٠- ٨٩.

أ- "أَلَهَ – يَأْلَهُ ":

ألـه: بمعنى عبد؛ لأنه تعالى هو المعبود أي المتفرد باستحقاق العبودية، و"ألهت إلى فلان" أي سكنت إليه .إن الإنسان يسعى دائما للوصول إلى الكمال وفي سبيل ذلك يسعى دونما كلل أو ملل...والله ذو الكمال المطلق هو الذي سيمنحه ويدله على الكمال"[١].

إذن المحطة الأخيرة للباحثين عن الكمال هي الله، وبالتالي فهناك مناسبة بين لفظة الله وكلمة أله كما يقول كولن[٢].

ب- أْلِه – يَأْلَه:

يقول كولن: "أَلِه بمعنى لجأ يقال: أله الفصيل، أي ولع بأمه، فكما أن الفصيل يجعل عجزه وفقره شفيعا فيلجا إلى أمه ...فكذلك الإنسان العاجز الفقير كسير القلب مهيض الجناح المغلوب على أمره يلجأ إلى رحمة الله ورأفته، والحقيقة أنه ليس هناك من يستجار به، فيعود النفع على المستجير إلا الحق (سبحانه وتعالى)" [٣].

إذن معنى الالتجاء هذا مكنون في لفظ الجلالة كما يقول كولن.

وقريبا من ذلك قول الغزالي أن حظ المسلم من لفظ الجلالة هو (التأله) ويقصد به أن يكون مستغرق القلب والهمة بالله تعالى لا يرى غيره، ولا يلتفت إلى سواه[٤].

ج- (وَلَهَ- يلِه):

يقول كولن: "وله: بمعنى تحير، وذهب عقله، وهذه الكلمة تعبر عن مقام الحيرة، والحقيقة أن كل إنسان إذا تجلى له نور التوحيد تأخذه الحيرة والاندهاش"[٥].

فبعض الناس يظل سجينا في قفص بدنه، والبعض الآخر يحاول تخطي مقام الأسماء إلى مقام الصفات، ولكنه يعيش في دهشة، ولكن الدهشة، والحيرة تختلف من شخص لآخر، وهذا المعنى مكنوز في لفظ الجلالة "الله" كما يقول كولن[٦].

د- لاه- يليه":

يرى (كولن) أن (لاه) يأتي بمعنيين:

الأول: الاحتجاب: فيقول: "لاه- يليه: أي احتجب، واختفى إن الله (ﷻ) لا يرى بالعين، والحال أنه أظهر من كل ظاهر، فعدم رؤيتنا له إنما هو لكونه في ذروة الكمال أي لشدة

١- كولن: خواطر من وحي سورة الفاتحة ص٨٩.

٢- ينظر: كولن: خواطر من وحي سورة الفاتحة ص٩٠.

٣- حجة الإسلام أبو حامد الغزالي: المقصد الأسنى في شرح الأسماء الحسنى ص ٦٠.

٤- ينظر: حجة الإسلام أبو حامد الغزالي: المقصد الأسنى في شرح الأسماء الحسنى ص ٦٠.

٥- كولن: خواطر من وحي سورة الفاتحة ص ٩٠.

٦- ينظر: كولن: خواطر من وحي سورة الفاتحة ص ٩٠.

ظهوره بالإضافة إلى أن الله ليس له ضد، ولا ند، والشيء إنما يرى إذا كان له ضد...ولذلك نقول :"إنه مختف من شدة ظهوره" يدعوه أرباب القلوب في مناجاتهم قائلين:" يا من احتجب لشدة ظهوره، وخفى عن النظار لعظيم نوره"[١].

ويرى (الرازي) أن الاحتجاب دليل على القدرة، فهو سبحانه قادر على قهر العقول عن الوصول إلى كنه صمديته، وقادر على قهر الأبصار عن الانتهاء إلى جلال حضرته[٢].

الثاني: الارتفاع: يقول كولن: "لاه" يأتي بمعنى ارتفع أيضا ...والذي يقلب كل شيء في قبضة تصرفه كيف يشاء لهو مرتفع ومتعال عن كل أنواع الشر والشركاء"[٣].

٢- خصوصية لفظ الجلالة:

ومن خصائص لفظ الجلالة الله من التميز ما لا نجده في الأسماء الأخرى كما يرى كولن، ويدلل على ذلك بقوله:

" فإنك إذا حذفت منه الهمزة يكون الباقي "لله"، وإذا حذفت اللام الأولى يبقى "له" ويمكن أن يحمل على معنى "لأجله تعالى"، وإذا حذفت اللامين مع الألف يبقى "هُ" أي هو، وهذا الضمير يمكن أن نشير به إلى الله (تعالى)"[٤].

فلفظ الجلالة معجز، فالإنسان حينما يذكر اسم من أسمائه تعالى يستحضر علاقة هذا الاسم بالموجودات، فحينما يقول: يا كريم يستحضر إكرام الله له، وهكذا، ولكن حينما يقول اسم الجلالة، فإنه يكون قد تخطى كل الأماني والمطالب، وأعلن أن الله هو المعبود المطلق لا لشيء؛ بل لأنه هو الله.[٥]

٣- الفرق بين لفظ الجلالة "الله" وكلمة "إله":

يرى (كولن) أن كلمة إله تعني: المعبود، وذكر مرادفاتها في اللغات المختلفة، ولكنها لا ترادف لفظ الجلالة "الله"، فلفظ الجلالة الله جامع لأسماء الله الحسنى كلها، فعند ذكره يسبق إلى الذهن الذات الأجل العلى الذي له جميع الأسماء الحسنى المتجلية في الكون، أي مفهومها وحدة المعبود المطلق الخالق المطلق الرزاق المطلق الى آخره .

أما لفظ إله فيسبق إلى الذهن آلهة معبودة بحق وبغير حق، أما "الله" فلا يسبق إلى الذهن إلى الذات الإلهية؛ ولذا رأى (كولن) من الأفضل استعمال لفظ الجلالة؛ لأن لفظة "إله" ليست مرادفة للفظ الجلالة.

١- خواطر من وحي سورة الفاتحة ص ٩١.

٢- ينظر: الرازي: لوامع البينات ص ٨٧.

٣- خواطر من وحي سورة الفاتحة ص ٩١.

٤- كولن: خواطر من وحي سورة الفاتحة ص ٩٢.

٥- كولن: خواطر من وحي سورة الفاتحة ص ٩٢.

ويقول كولن: "ولما كان لفظ الجلالة "الله" اسما خاصا بالذات الإلهية قلنا في الشهادة لا إله إلا الله، ولم نقل(لا الله إلا الله)، فشهادتنا نفي لجميع الآلهة، ثم إثبات الألوهية لله تعالى المعبود المطلق وحده"[١] .

وهو هنا متفق مع الغزالي في أمرين :

الأول: أن اسم الجلالة جامع للصفات الإلهية كلها.

والثاني: أنه خاص بالله بخلاف غيره من الأسماء فقد يتصف بها العبد[٢].

ثانيا: الاسمان الجليلان: الرحمن الرحيم:

أ- معناهما:

يقول كولن: "إن لفظة الرحمن من الصفات المشبهة الدالة على المبالغة، وهي صفة خاصة بالله تعالى ...ومعنى الرحمن: الذي يرحم رحمة لا نهائية، والذي يغذي بنعمه تغذية سرمدية، والرحيم أيضا من أسماء الله تعالى مثل "الرحمن" لكن الرحيم صفة لا تختص بالله تعالى، وهي تطلق على المخلوق أيضا"[٣].

وهو هنا متفق مع (الغزالي) في أن الرحمن لا يسمى به إلا الله تعالى، أما الرحيم فقد يطلق على غيره[٤] .

وكذلك (الرازي) يرى أن الرحمن انفرد واختص به الحق تعالى كلفظ الجلالة؛ ولذا جيء به بعد لفظ الجلالة للمجانسة[٥].

ب- الفرق بينهما:

يعقد (كولن) مقارنة رائعة بين كلمتي الرحمن والرحيم، فيقول: "إن كلتا الكلمتين مشتقان من الرحمة، وتعبران عن رحمة الله (عز وجل) لنا. في حين أن إحداهما تعبر عن رحمته الشاملة العامة في أوسع تجل ل"الواحدية"[٦]، وأما الرحيم فهو تجل

١- نحو عقيدة صحيحة٧٣، ص ٧٤. .

٢- الغزالي: المقصد الأسنى ص ٦٠.

٣- كولن: خواطر من وحي سورة الفاتحة ص ٩٤.

٤- ينظر: الغزالي: المقصد الأسنى ص ٦١.

٥- ينظر: الرازي: لوامع البينات ص ١٢٦.

٦- الواحدية: الواحد قد يراد به نفي الكثرة في الذات، وقد يراد به نفي الضد والند، وبالتفسير الأول ذكروا في تفسيره عدة وجوه: أنه شيء لا ينقسم، لا يصح فيه الوضع والرفع، ما لا يكون عدد. وبالتفسير الثاني: أنه ليس في الوجود موجود يساويه في الوجوب الذاتي، وفي العلم بجميع المعلومات، وفي القدرة على جميع الممكنات. ينظر: الإمام فخر الدين الرازي: لوامع البينات ص ٢٣٠..

ل"الأحدية[١]، إن كلمة الرحمن متوجهة إلى "الأزل"، بينما تتوجه كلمة "الرحيم" إلى "اللايزال"[٢].

بمعنى أن الله أوجد الكون والكائنات من العدم، وكل الكائنات تعكس تجلي اسم الله الرحمن، وكلها تخضع تحت "الرحمانية"، وفي الرحمانية نوع من الجبرية، فالله خلق الكون، ولم يستأذن الحيوان، ولا الطيور، ولا الأحجار، فهذه الجبرية تنبع من واحدية الله تعالى إنه مالك الملك يتصرف في ملكه كيف يشاء، ولكن شاء الله أن يودع في الإنسان الإرادة، فاقتضت حكمته أن يجزي بالحسنى من استعمل إرادته في الخير وبالعكس، وذلك هو تجليه تعالى ب "رحيميته"[٣].

ويخلص كولن إلى أنه:

١- : الرحمن سر الوجود والرحيم سر الإرادة:

فيقول: " لولا الرحمن لم نأت إلى عالم الوجود، ولانعدم الكون وسائر الموجودات ،ولولا الرحيم لما كنا نستعمل "الإرادة"، ولكنا نعجز عن إدراك دقائق صنع الحق ﷻ فالرحمن بسط الكون أمام أنظارنا مثل كتاب كبير، والرحيم منحنا الإرادة لكي نقرأ ذلك الكتاب، فنحول باقات الأنوار التي نلتقطها من ذلك الكتاب إلى إيمان في قلوبنا، وكذلك مكننا الرحيم من أن نجتاز حدود الكائنات، ونقترب من سواحل الأسماء الحسنى"[٤].

٢- : ذاته تعالى لا تدرك:

فيقول: "إن إدراك ذات الباري (عز وجل) غير ممكن، فلو حاولنا أن نشرح بألف اسم من أسمائه بل بمليارات منها لما استطعنا أن نأتي بشيء يذكر في بيان ذات الباري يقول سيدنا أبو بكر - رضي الله عنه-: "العجز عن درك الإدراك إدراك"، وفي الخبر: "ما عرفناك حق معرفتك يا معروف"[٥].

---

[١]- الأحدية: هي اعتبار الذات من حيث لا نسبة بينها وبين شيء أصلا، ولهذا الاعتبار المسمى بالأحدية تقتضي الذات الغنى عن العالمين، و يقتضي أن لا تدرك الذات، ولا يحاط بها بوجه من الوجوه لسقوط الاعتبارات عنها بالكلية .وقد فرق الرازي بين الواحدية والأحدية بوجوه: الأول: الواحد اسم لمفتتح العدد فيقال: واحد اثنان ولا يقال أحد. الثاني: أحد في النفي أعم من واحد يقال: ما في الدار واحد بل فيها اثنان، أما ما في الدار أحد بل فيها اثنان خطأ. الثالث: لفظ الواحد يمكن جعله وصفا لأي شيء، ولا يصح وصف أحد في جانب الاثبات بالأحد إلا الله تعالى، فالواحد والأحد كالرحمن الرحيم الأحد قد اختص به الباري سبحانه، أما الواحد فيحصل فيه المشاركة، ولهذا السبب لم يذكر الله لام التعريف في أحد فقال: "قل هو الله أحد"؛ لأنه قد صار نعتا لله فصار معرفة فاستغنى عن التعريف. ينظر: عبد الرازق القاشاني: معجم المصطلحات والإشارات الصوفية: لطائف الإعلام في إشارات أهل الإلهام ج ١ ص ١٧٠ ، ينظر: الإمام فخر الدين الرازي: لوامع البينات ص ٢٣٠-٢٣١.

٢- خواطر من وحي سورة الفاتحة ص ٩٤.

٣- ينظر: خواطر من وحي سورة الفاتحة ص ٩٤- ٩٥.

٤- خواطر من وحي سورة الفاتحة ص ٩٦.

[٥]- عند الإمام المناوي بلفظ "وفي الخبر: "سبحانك ما عرفنك حق معرفتك". فيض القدير شرح الجامع الصغير ج ٢ ص ٤١٠ المكتبة التجارية الكبرى- مصر، ط : الأولى ١٣٥٦هـ.وعند الإمام حسن بن محمد العطار بلفظ=

ثالثا: الحكيم:

من أسماء الله تعالى الحسنى، و يرى (كولن) أن معناه: لا مكان للعبثية و اللامعنى في الكون، فقد ازدان الكون بحكم شتى حتى الورقة على غصن الشجرة التي قد تبدو بلا فائدة لا ندري كم تحوي في ثناياها من الفوائد، فالله خلق الكائنات بهذه الصورة وأظهر لنا عبرها تجليات اسمه الحكيم كما يقول كولن[١].

رابعا: الحي القيوم:

يرى (كولن) أن وجوده تعالى من نفسه وحياته، وقيوميته من ذاته كل موجود سواه منه، ومن تجلي صفاته وأسمائه[٢].

ومعنى الحي القيوم: "الذي لا يوجد أي شيء قائم بنفسه دون أن يستند إليه ،ولا يمكن لأي موجود إدامة وجوده دونه، ولا يمكن إيراد أي تفسير للغز الحياة دون أخذ قيوميته - التي تعني قيامه بذاته، وقيام كل شيء به- بنظر الاعتبار"[٣].

ويرى أن اسم القيوم يتوجه إلى ذات الله، وإلى أفعاله في الوقت نفسه، فبالنسبة إلى ذات الله، فهو يعبر عن قدم الله وبقائه، أما الجانب المتوجه إلى أفعاله، فهو تعبيره عن دوام الموجودات فإن دوام الموجودات متعلق بدوامه تعالى.

ويؤكد أن كل ما يذكر في دوام الموجودات من قانون ونظام هو أشياء اعتبارية نسبية، ومن ثم فوجود الموجودات يستلزم وجود من يطبق هذه القوانين ويسوقها للعمل وهو الله (تعالى)[٤].

فهو لا يقول بالطبائع، ولا يرى ترابطا عقليا بين الأسباب والمسببات، فالله هو المؤثر، وما هذه القوانين الطبيعية إلا نواميس وضعها الله (تعالى) لتسيير الكون، وسيكون لذلك تفصيل في مبحث القدر- إن شاء الله-.

خامسا: الحفيظ:

فيرى (كولن) أن ثمة حفظا عجيبا يسود الكون برمته، فماهية الإنسان وجوهره محفوظان في خلية منوية، وأدق تفاصيل مزاجه، وطبيعته، ومستقبله محفوظة في كروموسوماته ولو تحولت هذه الكروموسومات من ٤٦إلى ٤٤ أو٤٨ لتحول الإنسان إلى

=(قال ﷺ) حاشية العطار على شرح الجلال المحلي على جمع الجوامع ج ٢ ص ٤٥٠ دار الكتب العلمية.
وعند الإمام أبو الفداء الخلوتي بلفظ: (قال بعض الكبار) روح البيان ج ٦ ص ٦٢ دار الفكر - بيروت.

١- ينظر: كولن: نفخة البعث شواهد الحياة بعد الموت ص ٤٠ ترجمة: نور الدين صواش، دار النيل، القاهرة ط: الأولى ٢٠١٥م.

٢- ينظر: كولن: أضواء قرآنية في سماء الوجدان ص ٩٣ .

٣- كولن: أضواء قرآنية ص٩٣.

٤- ينظر أضواء قرآنية ص٩٣، ٩٤.

مخلوق آخر، وكذا حفظ الله الشجرة في البذرة، والدجاجة تحت قشرة بيضتها، وكذا كل الموجودات لها نصيب من اسم الله الحفيظ من مبدأ وجودها إلى نهايتها[١].

سادسا: المؤمن:

يرى (كولن) أنه من الأسماء المهمة بالنسبة للمعتقدين بالله (تعالى)، ويشرح السبب في كونه من الأسماء الحسنى: بأنه مصدر للثقة والاطمئنان، فهو الذي يمنحنا الثقة والاطمئنان، وهو الذي زين الأنبياء بصفة الأمن والأمان والإيمان؛ ولذا يربطنا هذا الاسم بالأنبياء، وتربط الأنبياء بالله (تعالى)[٢].

هذه كانت نماذج فقط من آراء (كولن) حول تجليات الأسماء الحسنى في الكون، وإلا فهو لم يترك مجالا إلا وتحدث عن تلك التجليات.

من خلال ما سبق من حديث حول أسماء الله الحسنى يتبين التالي:

١- يتفق (كولن) مع أهل السنة في أن أسماء الله الحسنى توقيفية.

٢- تحدث كأهل السنة عن معاني تلك الأسماء، ولكنه انفرد عنهم بإظهار تجليات تلك الأسماء في الكون، وحظ كل اسم من حياة الإنسان والأكوان، ولعله في ذلك متأثر إلى حد بعيد بالإمام (الغزالي) و(بديع الزمان النورسي).

٣- محاولة ربط أسماء الله الحسنى بكل شيء في الكون، وبيان أثرها وعلاقتها بالكائنات لها تأثير كبير في الوجدان، فينبغي التنبه إلى هذه المسألة في مجال تعليم العقيدة، بدلا من القيام بشرح الأسماء أو معانيها اللغوية بصورة جافة تكون مجالا للحفظ لا للعمل ولا للتقوى، وهذا ما يتطلبه بالفعل علم الكلام إذا أريد تجديده وتقديمه بما يخدم النشء والإنسان بعامة.

١- ينظر: كولن: نفخة البعث ص٦٧- ٦٩.

٢- كولن: النور الخالد محمد ﷺ مفخرة الإنسانية ص ١٢٤، ترجمة: أورخان محمد علي، دار النيل، القاهرة، ط الثامنة ١٤٣٤هـ - ٢٠١٣م.

المطلب الثاني: الإسلام والإيمان:

المسألة الأولى: معنى الإسلام والإيمان:

أولا: الإسلام:

١- المعنى اللغوي:

أ- الإسلام: الانقياد والاستسلام والقبول لأمر الله .

ب - إخلاص العبادة لله[١].

٢- المعني في اصطلاح المتكلمين:

أ- تعريف الأشاعرة:

- "الانقياد والاستسلام، وكل طاعة انقاد العبد بها لربه تعالى واستسلم فيها لأمره فهي إسلام"[٢]أو "الامتثال والانقياد لما جاء به النبي ﷺ مما علم من الدين بالضرورة"[٣].

- "أن تعبد الله تعالى بالوحدانية"[٤] .

ب- تعريف الماتريدية:

"هو إسلام المرء نفسه بكليتها، وكذا كل شيء لله تعالى بالعبودة لله لا شريك فيه"[٥].

٣- تعريف كولن:

يقول كولن: "الإسلام مشتق من مادة السلم والسلام، ومعناه: استسلام العبد لله تعالى وانقياده لأوامره، وانخراطه في السير في طريق سليم وسديد نحو السلامة، وبث الأمان في الناس وفي كل شيء، كما يعني سلامة الآخرين من لسانه ويده"[٦].

وقال: "أساس الإسلام، ومبدؤه هو الإيمان، والإذعان، ومنتهاه الإحسان والإخلاص، وحقيقة الإسلام بإيجاز هي أن يصدق المرء بحقيقة الألوهية تصديقا لا يحتمل الضد

١- ينظر: الخليل بن أحمد: العين باب (السين واللام معهما س ل م، س م)ص ٧/ ٢٦٦، مقاييس اللغة باب (سلم) ص ٩٠/٣. وزين الدين أبو عبد الله بن أبي بكر بن عبد القادر الحنفي الرزي: مختار الصحاح باب(س ل م) ص ١/ ١٥٣.ابن منظور: لسان العرب ج ٦ ص ٣٤٥ .

٢- القاضي أبي بكر الباقلاني :كتاب التمهيد ص ٣٤٧ .

٣- حاشية الإمام الباجوري على جوهرة التوحيد ص ٩٦.

٤- البيضاوي: طوالع الأنوار ص ١٦٤.

٥ - الماتريدي: كتاب التوحيد ص ٣٩٤

٦- كولن: ونحن نبني حضارتنا ص ١٧٢ .

مطلقا، ويوثق رابطة قلبه بالحق تعالى، ويؤدي التكاليف أداء دقيقا ورقيقا، وكأنه يرى الله تعالى أو يراه الله تعالى، وأن يسعى في بلوغ رضا الله في كل عمل يعمله"[١].

وهو في تعريفه يرى أن الإسلام قبول لما يستلزمه الإيمان، وإذعان وأداء للتكاليف والعبادات .

إذن المعاني كلها تدور حول الاستسلام، والانقياد، والطاعة بأداء التكاليف.

ثانيا: تعريف الإيمان:

١- المعنى اللغوي:

الإيمان: (أَمَنَ) الهمزة والميم والنون أصلان متقاربان: أحدهما الأمانة التي هي ضد الخيانة، ومعناها سكون القلب، والآخر التصديق، والإيمان: التصديق نفسه[٢].

٢- في اصطلاح المتكلمين:.

أ- عند المعتزلة: عند بعض المعتزلة أداء الطاعات - الفرائض دون النوافل-، واجتناب المقبحات.

وعند بعضهم أداء الطاعات الفرائض منها والنوافل، واجتناب المقبحات، وقيل: هو الصحيح من المذهب، وهو الذي اختاره قاضي القضاة[٣].

وفي رواية أخرى يقرر القاضي أن الإيمان هو قول باللسان، وعمل بالجوارح، واعتقاد بالقلب[٤].

ب- عند الأشاعرة: انقسم القول في الإيمان بين التصديق وبين القول والعمل معا.

فيقول الإمام الأشعري: "الإيمان هو التصديق بالله وعلى ذلك اجتماع أهل اللغة التي نزل بها القرآن"[٥]، ولكنه يقول في الإبانة: "الإيمان قول وعمل يزيد وينقص"[٦].

ولكن يبدو أن المذهب مع القول بالتصديق؛ لورود ذلك عن أئمة المذهب؛ ولأن إمام الحرمين يقول: "والمرضي عندنا أن حقيقة الإيمان التصديق بالله تعالى"[١].

١- كولن: ونحن نبني حضارتنا ص ١٧٢.

٢- ينظر: الخليل بن أحمد: العين باب (النون والميم معهما ن م ا، ن) ج ٨ ص ٣٨٧. ابن فارس: مقاييس اللغة باب (أمن) ص ١/ ١٣٣.

٣- القاضي عبد الجبار: شرح الأصول الخمسة ص ٧٠٨ تحقيق: د/ عبد الكريم عثمان .

٤- ينظر: القاضي عبد الجبار: الأصول الخمسة المنسوبة للقاضي عبد الجبار ص ١٠٠ .

٥- ينظر: الإمام أبو الحسن الأشعري : اللمع في الرد على أهل الزيغ والبدع ص ١٢٣ .

٦- ينظر: الإبانة في أصول الديانة ص ٢٧.

ج- الماتريدية:

انقسم المذهب إلى قولين في حقيقة الإيمان:

الأول: التصديق : وهو قول الإمام (أبو منصور)، و(أبو البركات النسفي) و(أبو معين)[٢]

يقول أبو منصور: "أحق ما يكون به الإيمان القلوب بالسمع والعقل جميعا"، واستدل بالسمع بعدة آيات منها﴿ قَالَتِ ٱلْأَعْرَابُ ءَامَنَّاۖ قُل لَّمْ تُؤْمِنُواْ وَلَٰكِن قُولُوٓاْ أَسْلَمْنَا وَلَمَّا يَدْخُلِ ٱلْإِيمَٰنُ فِى قُلُوبِكُمْۖ ﴾[٣] أبطل أن يكون قولهم إيمانا إذا لم تؤمن قلوبهم، وأما العقل: "فلأنه دين والأديان تعقد وما به اعتقادات الأديان القلوب، وكذلك المذاهب مع ما كان الإيمان في اللغة التصديق"[٤].

والثاني: الإقرار باللسان مع التصديق، وهو قول (أبو معين النسفي) في أحد الروايتين عنه، يقول (أبو معين) في بحر الكلام : الإيمان هو الإقرار باللسان، والتصديق بالقلب عند أهل السنة، وعند الإمام (أبي منصور) مجرد التصديق دون الاعتقاد، ويقول في التمهيد: "التصديق بالقلب توافقا مع المعنى اللغوي"[٥] .

إذن الماتريدية ما بين القول بالتصديق منفردا، والقول بأنه التصديق والإقرار.

إذن فأهل السنة يجمعهم القول بأن الإيمان تصديق، وذلك يتماشى مع اللغة، وكذلك مع القرن الكريم في قوله: ﴿ وَمَآ أَنتَ بِمُؤْمِنٍ لَّنَا وَلَوْ كُنَّا صَٰدِقِينَ ﴾ [٦] أي بمصدق لنا، وبعضهم الآخر يضم مع التصديق الإقرار باللسان .

٣- تعريف فتح الله كولن :

يرى (كولن) أن الإيمان تصديق بالقلب، وإقرار باللسان، فيقول: "الإيمان هو قبول الإسلام ككل، والإقرار به لسانا، والتصديق به قلبا، فإن لم يتم الإيمان بجميع ما يجب الإيمان به لا يكون الإنسان مؤمنا"[٧].

وهو هنا مع بعض أهل السنة وهم الماتريدية في اعتبار الإيمان إقرار وتصديق، أما قبول الإسلام فذلك حقيقة التصديق كما يرى (التفتازاني) على ما سنذكر.

١- إمام الحرمين أبي المعالي الجويني: الإرشاد إلى قواطع الأدلة في أصول الاعتقاد ص ٣٩٧ .

٢- ينظر: أبو البركات النسفي: الاعتماد في الاعتقاد ص ٣٦٢. أبو معين النسفي : التمهيد لقواعد التوحيد ص ٣٧٧ تحقيق: جيب الله حسن احمد، تقديم: د. محمد ربيع الجوهري، دار الطباعة المحمدية - القاهرة، ط: الأولى ١٤٠٦هـ- ١٩٨٦م.

٣- سورة الحجرات الآية: ١٤.

٤- ينظر: أبو منصور الماتريدي: كتاب التوحيد ص ٣٧٣، ٣٧٧.

٥- أبو معين النسفي : بحر الكلام ص ٢٣٥. وينظر: التمهيد لقواعد التوحيد ص ٣٧٧.

٦- سورة يوسف الآية: ١٧.

٧- كولن: أسئلة العصر المحيرة ص ٢٨٠ . .

المسألة الثانية: العلاقة بين الإسلام والإيمان:

أولا: هناك رأيان في العلاقة بين الإسلام والإيمان:

١- التغاير:

فيرى الأشاعرة أن اللفظين متغايران، فالإسلام كل، والإيمان جزء، وبينهما عموم وخصوص وجهي، فيجتمعان في أمر، وينفرد كل منهما في أمر، فيقول الإمام الأشعري: "أن الإسلام أوسع من الإيمان، وليس كل إسلام إيمان"[١]، ويقول القاضي الباقلاني: "الإيمان خصلة من خصال الإسلام، وكل إيمان إسلام وليس كل إسلام إيمانا"[٢] .

ومعنى هذا أن الإسلام والإيمان متغايران مفهوما، ولكن يجتمعان فيمن صدق بقلبه وانقاد بظاهره، وينفرد الإيمان فيمن صدق بقلبه فقط، والإسلام فيمن انقاد بظاهره فقط .

٢- الاتحاد:

يرى المعتزلة بناء على تعريفهم للإيمان أن الإيمان، والإسلام، والدين واحد واستدلوا على ذلك :

أن الأمة اتفقت على أن ركعتي الفجر من الدين وإذا ثبت أنه من الدين ثبت أنه من الإيمان؛ لأن الدين والإيمان واحد، ومما يدل على أن الدين والإسلام واحد قوله:﴿ وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ ﴾ [٣] ، والمعلوم أنه لو اتخذ الإيمان دينا لقبل منه، وقوله:﴿ فَأَخْرَجْنَا مَن كَانَ فِيهَا مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٣٥﴾ فَمَا وَجَدْنَا فِيهَا غَيْرَ بَيْتٍ مِّنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿٣٦﴾ ﴾[٤] فأخرجنا من كان فيها من المؤمنين فلولم يكن أحدهما هو الآخر لكان لا يصح الاستثناء على هذا الوجه .

والإسلام والإيمان متحدان كذلك عند الماتريدية، ولكن في الحكم والعمل لا في المعنى .

يقول أبو منصور: "وأما القول عندنا في الإيمان والإسلام إنه واحد في أمر الدين في التحقيق بالمراد، وإن كانا يختلفان في المعنى باللسان"[٥].

ويعلل (التفتازاني) ذلك بأن الإسلام هو الخضوع والانقياد بمعنى قبول الأحكام والإذعان، وذلك حقيقة التصديق، ويؤيده قوله تعالى:﴿ فَأَخْرَجْنَا مَن كَانَ فِيهَا مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٣٥﴾ فَمَا وَجَدْنَا فِيهَا

١- الإمام الأشعري: الإبانة في أصول الديانة ص ٢٦.

٢- القاضي أبو بكر محمد بن الطيب الباقلاني : التمهيد ص ٣٤٧.

٣- سورة آل عمران الآية: ٨٥.

٤- سورة الذاريات الآية ٣٥-٣٦.

٥- أبو منصور الماتريدي : كتاب التوحيد ص ٣٩٤ .

غَيۡرَ بَيۡتٖ مِّنَ ٱلۡمُسۡلِمِينَ ﴿٣٦﴾ ﴾[1] ومن ثم لا يصح في الشرع الحكم على أحد بأنه مؤمن، وليس بمسلم، أو مسلم وليس بمؤمن، وهذا معنى وحدتهما وهو عدم انفكاك أحدهما عن الآخر حكما، لا الاتحاد بحسب المفهوم[2].

و الفرق بين المعتزلة والماتريدية في الاتحاد يتضح من التعريف فعند المعتزلة الإيمان كالإسلام يدخل فيه عمل الجوارح على ما اتفقوا وإن زاد بعضهم التصديق والقول أي لا تمييز بينهما، وعند الماتريدية الإيمان يعني التصديق والأعمال تدخل تحت مسمى الإسلام، ويجتمعان في الحكم فكل مؤمن مسلم والعكس.

ثانيا: رأي فتح الله كولن:

يرى (كولن) اتحاد الإيمان والإسلام، فيقول: "ومع الانتباه للتمييز اللغوي بين الإسلام والإيمان، فالرأي الراجح المقبول هو أن لا إسلام بدون إيمان، ولا إيمان بدون إسلام، الإيمان باطن والإسلام هو الظاهر بانعكاسه على القول، والفعل، والحال، والنظام الإلهي الذي نسميه "الدين الحق" هو الأمر الجامع لذلك كله، فالدين هو عنوان إلهي يعني أن يكون الإيمان والإسلام بجميع شعبهما وكلياتهما حياة للحياة".[3]

وهو هنا متفق مع الماتريدية تماما في اتحادهما شرعا ، إضافة إلى التأكيد أن الدين ليس مجرد اعتقاد، بل هو حياة للحياة، ينبغي أن يتمثل في أقوالنا وأفعالنا .

المسألة الثالثة: علاقة الإيمان بالعمل:

هل التصديق بالقلب فقط وترك العمل كاف في نجاة الإنسان، أو هل العمل شرط لاعتبار المرء مؤمنا ؟

١- يعتقد طائفة من المرجئة[4] أن الإيمان قول باللسان، وإن اعتقد الكفر بقلبه فهو مؤمن عند الله، ولي لله من أهل الجنة، وطائفة تعتقد أن الإيمان عقد بالقلب وإن أعلن الكفر

---

[1]- سورة الذاريات الآية: ٣٥- ٣٦.

٢- ينظر: العلامة سعد الدين التفتازاني: شرح العقائد النسفية ص ٨٣ .

٣- ينظر: كولن: ونحن نبني حضارتنا ص ١٧٣.

[4]- المرجئة: البذرة التي نبتت منها هذه الفرقة كانت في عصر الصحابة لما انتشرت القالة في حكم عثمان وعماله، وظهرت الفتن التي انتهت بقتله، اعتصم بعض الصحابة بالصمت وعدم الاشتراك في هذه الفتن، وامتد الأمر إلى عهد علي وما بعده، ولما انتشرت مسألة الحكم على مرتكب الكبيرة ظهرت هذه الفرقة لترجئ حكمه إلى الله وخلف من بعدهم خلف يقولون لا يضر مع الإيمان معصية، وجملة المرجئة ثلاث فرق يقولون بالإرجاء في الإيمان غير أن فريقا منهم وافقوا القدرية في القول بالقدر، ووافق فريق منهم الجهمية في القول بالجبر، وانفرد فريق منهم بالإرجاء المحض لا يقولون بالجبر ولا بالقدر، وسموا مرجئة؛ لأنهم يؤخرون العمل عن الإيمان على معنى أنهم يقولون: لا تضر المعصية مع الإيمان كما لا تنفع الطاعة مع الكفر، وقد افترقوا إلى خمس فرق كما يقول الاسفراييني: اليونسية – الغسانية - الثوبانية- التومنية- المريسية، وعند الشهرستاني ست فرق: اليونسية- العبيدية - الغسانية- الثوبانية- التومنية- الصالحية. ينظر: أبو المظفر الاسفراييني: التبصير في= =الدين وتمييز الفرقة الناجية من الفرق الهالكين ص ٩٧- ، ٩٩، تحقيق: كمال يوسف الحوت، عالم الكتب، ط: الأولى: ١٤٠٣هـ- ١٩٨٣م.وأبو الفتح محمد بن عبد الكريم الشهرستاني: الملل والنحل ص ١٦١- ١٦٨، الإمام محمد أبو زهرة: تاريخ المذاهب الإسلامية ص ١٢٧- ١٢٩

بلسانه بلا تقية، وعبد الأوثان، أو لزم اليهودية والنصرانية، وعبد الصليب، وأعلن التثليث في دار الإسلام، ومات على ذلك، فهو مؤمن كامل الإيمان، ولي لله من أهل الجنة[١] .

ومن أقوالهم التي أوردها (الأشعري) في مقالات الإسلاميين قولهم: "أنه ليس في أهل الصلاة وعيد، وإنما الوعيد في المشركين...وزعم هؤلاء أنه كما لا ينفع مع الشرك عمل كذلك لا يضر مع الإيمان عمل، ولا يدخل النار أحد من أهل القبلة"[٢].

٢- ويرى المعتزلة من خلال تعريفهم السابق للإيمان أن العمل جزء من الإيمان وعلى هذه يخرجون صاحب الكبيرة من الإيمان، فهو ليس بمؤمن، ولا كافر بل في منزلة بين المنزلتين.

٣- ويرى أهل السنة أن الأعمال خارجة عن مسمى الإيمان[٣]، ولا يزول اسم الإيمان عن الفاسق[٤]، فالعمل شرط كمال، فمن أتى بالعمل فقد حصل الكمال، ومن تركه فهو مؤمن إن لم يكن مع ذلك استحلال، أو عناد للشارع، أو شك في مشروعيته، وإلا فهو كافر فيما علم من الدين بالضرورة[٥].

ويرى الماتريدية نفس الرأي، وهو أن العمل ليس جزءا من الإيمان؛ ولذا لا يزول اسم الإيمان عن المذنب[٦]، ويعلل سعدالدين التفتازاني ذلك:

بأن الإيمان هو التصديق؛ ولأنه قد ورد في الكتاب والسنة عطف الأعمال على الإيمان والعطف يقتضي المغايرة؛ ولكونه جعل الإيمان شرط صحة الأعمال فقال تعالى: ﴿ وَمَن يَعْمَلْ مِنَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ ﴾ [٧] .

وفرق كبير بين كلام المرجئة وأهل السنة في هذه المسألة، ويكفى في الرد علي المرجئة:

١- ابن حزم الأندلسي الظاهري : الفصل في الملل والأهواء والنحل ج ٣ ص ١٤٦، تحقيق: أحمد السيد سيد أحمد علي، المكتبة التوفيقية.

٢- أبو الحسن الأشعري: مقالات الإسلاميين واختلاف المصلين ص ٢٠٩ ، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، مكتبة النهضة المصرية، ط: الأولى ١٣٦٩هـ- ١٩٥٠م.

٣- الإمام فخر الدين الرازي: أصول الدين ص ١٣٩ سلسلة قضايا إسلامية(١٩٩٠) يصدرها المجلس الأعلى للشئون الإسلامية- وزارة الأوقاف القاهرة ١٤٣٢هـ- ٢٠١١م.

٤- ينظر: اللمع في الرد على أهل الزيغ والبدع ص ١٢٤. وينظر: الباقلاني: التمهيد ص ٣٤٩ .

٥- حاشية الإمام الباجوري على جوهرة التوحيد ص ٩٤ .

٦- أبو منصور الماتريدي :كتاب التوحيد ص ٣٢٦، وينظر: الإمام الرازي: أصول الدين ص ١٣٩.

٧- سورة النساء الآية: ١٢٤. ينظر: شرح العقائد النسفية ص ٨٠..

أ- قول الله في الرد على المنافقين: ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَبِٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ وَمَا هُم بِمُؤْمِنِينَ ﴾[١].

ب- وأيضا مقالتهم تعارض الكتاب والسنة عما يستلزمه الإيمان من الطاعة لله، ورسوله، وشرعه، وعمل الصالحات.

ج- وأيضا أقوالهم تهون من شأن الطاعة، وتجرئ الناس على المعاصي وبذلك تتمزق عرى الإيمان[٢].

٤- رأي كولن:

ربط (كولن) مفهوم الإسلام والإيمان بالدين في محاولته دائما للتركيز على القضايا العملية من وراء دراسة موضوعات العقيدة على النحو التالي:

أولا: التدين:

عند حديثه عن الإسلام والإيمان تحدث عن معنى الدين -على اعتبار أنه يشملهما- ويقصد هنا تطبيق الدين أي - التدين- والذي يعني به العمل بما يعتقده المسلم والمؤمن. فيقول: "والمؤمن والمسلم هو من يجعل الإيمان بهذا الدين إحياء لحياته، ففي الإسلام وباطنه الإيمان والإذعان والتسليم، وفي ظاهره الطاعة والانقياد والعمل الصالح وعرف السلف الدين[٣] بأنه: وضع إلهي سائق لذوي العقول باختيارهم المحمود إلى الخير بالذات" وإنما يكون الحصول على الثمار الدنيوية والأخروية لمنظومة حركية فعالة كهذه بقدر جعلها عنصرا لإحياء الحياة"[٤].

ولذا كثيرا ما يدعو إلى تطبيق الدين في الحياة - بأن يصير متدينا لا دينيا ولا إسلاميا؛ لأن تلك التسميات من دس الأجانب وليست مقبولة- ؛ لأنه شامل لكل مناحي الحياة، ونعي على الذين يظنون الدين مجرد اعتقاد، وكذلك "المسلمون بالثقافة" الذين لم يتقبلوه خالصا في قلوبهم، فكلاهما مخدوع محروم من حسن ثواب الدنيا والآخرة[٥].

ثانيا: الأعمال خارجة عن مسمى الإيمان:

١- سورة البقرة الآية:١٢٧.

٢- ينظر: أ. د/ عبد الحميد مدكور :الإسلام والإيمان ص ١٢٨ موسوعة العقيدة الإسلامية المجلس الأعلى للشئون الإسلامية ٢٠١٦م.

٣- وهو يشبه تعريف الجرجاني الذي يقول فيه: "وضع إلهي يدعو أصحاب العقول إلى قبول ما هو عند رسول الله – ﷺ-". علي بن محمد علي الزين الشريف الجرجاني: التعريفات، باب الدال ج ١ص ١٠٥ .

٤- كولن: ونحن نبني حضارتنا ص ١٧٣وينظر: كولن: الموشور(١) ص ٢٠١.وينظر أسئلة العصر المحيرة المحيرة ص ١٥٦.وينظر الموازين ص ٩٣.

٥- ينظر: ونحن نبني حضارتنا ص ١٧٣.

ومع إقراره وتأكيده على العمل بمقتضى الإيمان يؤكد كولن أن العمل ليس جزء من الإيمان، وهو هنا متفق تماما مع أهل السنة القائلين أن الإيمان هو الاعتقاد، وأن الأعمال خارجة عن مسمى الإيمان[١].

يقول كولن: "لا يصح احتساب العمل جزءا من الإيمان ...فمن اعتقد أن العمل فرض ،ثم ترك إقامته فمع أنه يكون آثما ومرتكب ذنب لكنه يعتبر مؤمنا ،ولا علاقة لهذا الذي نقوله بأفكار المرجئة ألبتة ذلك بأن الاستهانة بالذنوب مع الإيمان شيء وتقويم المسألة في إطار "أن الله إن شاء غفر، وإن شاء عذب" شيء آخر"[٢].

وهو هنا يؤكد أن كلامه بعدم اعتبار العمل جزء من الإيمان لا يعد موافقة لموقف المرجئة ؛لأن كلام المرجئة يؤدي إلى الاستهانة بالدين، وهو في هذا يوافق ما سبق أن رد به أهل السنة على كلام المرجئة.

ثالثا:- حكم المذنب:

يقول كولن: "والإيمان حسب القرآن أصل لابد منه، وأساس ضروري لا يقوم شيء إلا به، وأما الإسلام فهو الوسيلة الوحيدة لصيرورة الإيمان من أعماق طبع الإنسان فالعمل من غير إيمان نفاق، وترك العمل رغم وجود الإيمان فسق"[٣].

ويرى أن الله لا يغفر النفاق باعتباره كفرا خفيا أما الفسق، فيحتمل فيه المغفرة بالتوبة والاستغفار؛ ولذا يرى كولن أنه ينبغي أن نحسن الظن بتارك العمل الذي لا يستحقره أولا يستهين به، ولا نحكم عليه بالكفر[٤] .

وهو هنا متفق تماما مع أهل السنة الذين يمنعون تكفير أحد من أهل القبلة بذنب يرتكبه [٥]، ومما يدلل على رأيه هذا اعتباره أن محط الإيمان ومحل انكشافه هو القلب والوجدان[٦].

ولكن الله - كما يرى (كولن)- يريد بمقتضى الإسلام أصلا مهما آخر مع هذا القبول الوجداني ألا وهو العمل الصالح والخلق الحسن؛ ومن ثم يجب على المؤمن:

أ- أن يحفظ في كل وقت ما آمن وصدق به سواء في الأمور النظرية أو الشؤون العملية.

ب- تجنب الشرك وكل شوائبه.

ج- تعلق القلب بالله بإخلاص.

١- ينظر: الإمام فخر الدين الرازي: أصول الدين ص ١٣٩- ١٤٢.

٢- ونحن نبني حضارتنا ص ١٧٤.

٣- ونحن نبني حضارتنا ص ١٧٤.

٤- ينظر: ونحن نبني حضارتنا ص ١٧٤.

٥- ينظر: الأشعري: الإبانة في أصول الديانة ص ٢٦، ينظر: الفخر الرزي: أصول الدين ص ١٤٦ .

٦- ينظر: كولن: ونحن نبني حضارتنا ص ١٧٤وينظر: الموازين أو اضواء على الطريق ص ١٤٢ .

د- عبادة الله كأننا نراه فإن لم يكن فإنه يرانا .

هـ- إجراء التصرفات الاجتماعية في إطار الخلق الحسن.

وكل هذه الشؤون يمكن إرجاعها إلى الإيمان والإسلام والإحسان كما ورد في حديث جبريل، وكلها مرتبطة ببعض مع اعتبار الأصل الأساس هو الإيمان كما يقول كولن: "إن الباطن يستدعي الظاهر، ويربو به، وإن الظاهر يستند إلى الباطن ويتأسس عليه، ويقوم به، وإن العملي هو صوت لروح النظري وجوهره"[١].

وهو هنا - مرة بعد مرة- يعاود التأكيد على الواجبات العملية من وراء الدراسة النظرية وهي العمل وفق علمنا، وربط حياتنا بالدين في كل المجالات.

الدين ليس مسألة وجدانية فقط:

يرى (كولن) أن اعتبار الدين محض مسألة وجدانية استهانة بروح الدين، وتجاوز للحد، والذي يظهر قبوله للدين، ويقول "اعتبر بما في قلبي"، ويعتبر الانشغال بالجوانب العملية تطرفا، فإنما يمني نفسه بالأوهام، ويستتر بقناع الإيمان. إن تفسير الإسلام والإيمان تفسيرا يمالئ أهواء الناس يخرجه عن دائرة الدين السماوي ويجعله نظاما بشريا[٢].

ويخلص كولن إلى أن: "الإسلام وضع إلهي إلى البشر؛ لإنقاذهم من الأهواء والغرائز وربطهم بالحق...وروح هذا النظام الذي لا نظير له هو الإيمان، وجسده هو الإسلام، وشعوره هو الإحسان، وعنوانه المعظم هو الدين"[٣].

ومن ثم يرى أن الدين كل متكامل يضم الوجدان والتصديق القلبي مع العمل.

رابعا: الدين الإسلامي:

وقد اجتمع سلف الأمة وخلفها على اعتبار الإسلام نظاما شاملا لأمور الدين والدنيا ﴿ وَٱبۡتَغِ فِيمَآ ءَاتَىٰكَ ٱللَّهُ ٱلدَّارَ ٱلۡأٓخِرَةَۖ وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ ٱلدُّنۡيَاۖ ﴾[٤].

وكذا يرى (كولن) - من خلال رؤيته السالفة- أن الدين الإسلامي نظام شامل روحه الإيمان وجسده أركان الإسلام وشعوره الإحسان، ثم عدد (كولن) خصائص الدين الإسلامي على النحو التالي:

١- ونحن نبني حضارتنا ص ١٧٤.

٢- ينظر: كولن: ونحن نبني حضارتنا ص ١٧٥.

٣- ونحن نبني حضارتنا ص ١٧٥.

٤- سورة القصص الآية: ٧٧، وينظر ا.د محمد السيد الجليند: عقيدة التوحيد دين جميع الأنبياء موسوعة العقيدة الإسلامية ص ٣٦ المجلس الأعلى للشئون الإسلامية ٢٠١٦م.

١- الله سبحانه علق الصلاح والخير والسعادة بإرادة البشر- في مستوى الشرط العادي-؛ ولذا فإن العقل[١] والإرادة هما الشرط الأول للدين وأهم أركان (التدين)الذي معناه أن يكون الإسلام حياة للحياة.

٢- كل التنظيمات التي من وضع البشر، ومن نتاج العقل البشري تتغير وتتبدل وتخلق بمرور الزمن، أما الإسلام فنظمه باقية خالدة لا تخلق جدتها.

٣- تناول الإسلام الإنسان كلا بجوانبه الإيجابية والسلبية، فهو منظومة ممتازة مفصلة حسب ماهية الإنسان وقابلياته وميوله لم تهمل رغبة من رغباته ولا مطلبا من مطالبه[٢].

٤- الدين الحق له نظام فريد لا يضل، يفتح آفاقا دنيوية وأخروية جديدة، فهذا النظام اللاهوتي (دين) [٣] باعتبار أبعاده الاعتقادية، و(شريعة) من وجهته العملية، و(ملة)

بوظائفه الاجتماعية ،وهذه المعاني هي المقصودة بقولنا(الملة الإسلامية) .

٥- يقطع سبيل الإكراه في الدين، فلا يجبر الآخرين على اعتناق سبيله؛ لأنه جاء لإنقاذ البشر من الإكراه، وتحفيزهم لاختيار جديد بإرادتهم، وأيضا الإسلام لا يقبل إيمان المكره والمقهور ﴿ لَآ إِكۡرَاهَ فِي ٱلدِّينِۖ ﴾[٤].

٦- كل الأديان السماوية مشتركة في المصدر، فكلها تستند إلى أركان أصيلة كالتوحيد والبعث، والنبوة، والعبادة، أما الفروق فتتعلق بالفروع، وتكون حسب مبلغ علم كل أمة، وتحضرها، وتطورها، ونوع معضلاتها، وحاجاتها، وكل نبي جاء قام بدور الامتداد لما سبقه، والمكمل والمتمم له، وصدق رسالته، وجدد ما يحتاج إلى تجديد[٥].

٧- عالمية الإسلام: فالإسلام يقدم رسالته للناس كافة في كل مكان وزمان[٦]، فهو الدين الخاتم الكامل وهو بختمه وكماله تفصيل وبسط للأديان السماوية كلها حسب متطلبات الزمان الأخير.

١- فالإسلام عقيدته برهانية لا مجال فيها للكهنوت والخرافة والشعوذة، فالعقل عندنا نور من الله لا يصادم نور الوحي. ينظر: عقيدة التوحيد دين جميع الأنبياء ص ٣٥ موسوعة العقيدة الإسلامية المجلس الأعلى للشئون الإسلامية ٢٠١٦م.

٢- ينظر: ونحن نبني حضارتنا ص ١٧٧. وينظر: الموشور ص ١٠٤.

٣- وفي المعجم الفلسفي: "أن الشريعة من حيث هي أنها مطاعة تسمى دينا ومن حيث أنها جامعة تسمى ملة ومن حيث أنها يرجع إليها تسمى مذهب، وقيل: الفرق بين الدين والملة والمذهب: أن الدين منسوب إلى الله تعالى، والملة منسوبة إلى الرسول، والمذهب منسوب إلى المجتهد، وكثيرا ما تستعمل هذه الألفاظ بعضها مكان بعض؛ ولهذا قيل إنها متحدة بالذات، ومتغايرة بالاعتبار، ويطلق لفظ الدين أيضا على الشريعة، وهي السنة أي ما شرعه الله لعباده من السنن والأحكام". المعجم الفلسفي ج ١ ص ٥٧٢.وينظر: الشريف الجرجاني: التعريفات باب الدال ج ١ ص ١٠٦ .

٤- سورة البقرة الآية: ٢٥٦ .

٥- ينظر: ونحن نبني حضارتنا ص ١٧٨- ١٨٣.

٦- ينظر: كولن: الموشور(١) ص ١٠٣.

ويقول: "وإحياء الإسلام مجددا يعد إحياء لها(أي الأديان السماوية) أيضا في معنى من المعاني بإصلاح الجوانب اللازم إصلاحها، وتجديد وإعمار ما ينبغي إعادة تعميره ولو جزئيا، وفتح آفاق جديدة أمام أتباعها بالضوابط ذات الدور التأسيسي فيها، وأنا أظن ذلك ممكنا وأحسب أن وحدة المصدر معين وسند متين في هذا الأمر...أما التفرق والاختلاف والصراع والحروب الناشئة منهما بين أتباع الأديان السماوية، فليس مردها إلى الدين والتدين بل إلى تفسيرات خاطئة كان يسوقها المبتدئون من أتباع الأديان الذين لم يحافظوا على أصل الرسالة الإلهية"[١].

ولذا رأى "من أجل ألا تقع أنواع التنازع والتفرق كما وقع بالأمس، ولكي نلم الشعث إن كان قد وقع اليوم يجب القبول بالإيمان وبالإسلام وفقا للأصول والأسس التي وضعها الله تعالى"[٢].

٨- الإيمان مرتبط بالعمل الصالح :

يقرر (كولن) أن القرآن دائما ما يذكر ظاهر(العمل بالأركان) مع باطن (التصديق بالقلب)، والإسلام بهذا الفهم هو مصدر لسعادة الإنسان القلبية والروحية والمادية هذه دعوة للعمل والهمة، فما ساد الإسلام وعز وأقام حضارة ذهبية إلا بالسعي والعمل، وأما أتباعه اليوم فقاموا وقعدوا حالمين بعناية الكرامات الخارقة وغضوا البصر عن العادات والسنن الكونية ﴿ وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ فِينَا لَنَهۡدِيَنَّهُمۡ سُبُلَنَاۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَمَعَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ﴾ [٣].

وليس معنى كلامه حمل الأحداث على الأسباب على أنها خالقة، ولكن التذكير بأهمية الأخذ بالأسباب .

٩- القرآن والسنة هما دستور الأمة:

إن مصدر الدين القرآن والسنة، وقد أحرزت الأمة موقعا تغبط عليه، وصارت قدوة الأمم وقتما كانت متمسكة بهذا النظام، وكلما ابتعدت عن قيمها الذاتية، وقلدت الأجانب سقطت أسيرة؛ فيلزم علينا لاسترجاع موقعنا أمران:

ا- ألا نهمل قيمنا الذاتية.

ب- أن نستفيد من المصادر الأجنبية، وننقيها بالترشيح في تلك المصافي وهنا نقطة مهمة أعطاها (كولن) قدرا من التوضيح، وهي أن الإسلام لا يمنع المسلمين من تعلم علوم الفيزياء، والكيمياء، والرياضيات، والفضاء، والطب، والهندسة، وأمثالها، بل يحثهم علي التخصص فيها، والاستفادة من أي مصدر كان لكنه لا يريد أن يبقى المسلمون تبعا لغيرهم على الدوام، بل يحبذ الاستفادة مما عند الأجانب من هذه الأمور، ثم التخلص السريع من استجدائها، وإقامة عالمهم الذاتي كما فعل أجدادنا، فكان عندهم عشق للحقيقة

١- ونحن نبني حضارتنا ص١٨٢.

٢- ينظر: ونحن نبني حضارتنا ص١٨٤.

٣- سورة العنكبوت الآية:٦٩ ، ينظر: كولن: ونحن نبني حضارتنا ص ١٨٥- ١٨٦.

والبحث والمعرفة والتوفيق بين ما سمعوه وعلموه، وبين المجتمع والوجود كله، فقد أحيوا الإسلام باعتباره كلا لا يتجزأ [١].

خامسا: وحدة الأديان:

وهي من الأمور المثارة وبشكل كبير في هذه الأيام فقد انتشر في الغرب مقولة "أن مصدر الأديان واحد، فلابد من توحيدها في دين واحد".

حقيقة أن الأديان مصدرها واحد وهو الله سبحانه وتعالى ولكن توحيدها ليس حقيقة بل يستحيل تطبيقها؛ لأن هذه الأديان حرفت وبعدت عن مسارها الإلهي وعملت فيها يد البشر بالزيادة والنقصان والتحريف ثم ﴿ إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَٰمُ ﴾ ، ﴿ وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ ﴾ [٢] .

ويرى (كولن) عدة ملاحظات تجاه هذه الدعوى:

١- يرى (كولن) أن هذا الأمر ليس مشكلتنا كمسلمين، وإنما مشكلة من يرى الأديان متعارضة، وإننا نرى الأديان كلها متفقة في المصدر، ونحن نطلق عليهم أهل الكتاب، ويجوز الزواج من النصرانية، أما الملحدة فلا، ويجوز أكل ما يذبحه اليهودي أيضا.

٢- الأديان كلها أصابها التحريف والتبديل فلو لم يحدثنا القرآن عن المسيح لما عرفنا غير ما نشاهده اليوم من التثليث، وكذا سائر الأنبياء، فالإسلام هو الدين الوحيد الذي تكفل الله بحفظه على أكمل وجه.

٣- أنزل الله الأصول التي رضيها للأنبياء، ونسخ ما أراد نسخه من الفروع، وقد أرسل سيدنا محمد (ﷺ) خاتما للأنبياء، فحمل مهمة التصحيح والتجديد والتأسيس من خلال الكتاب والسنة، فهو مصحح ما أصاب الأديان من التحريف، ومجدد غير كثير من الأحكام؛ لتناسب تغير الأحوال والأزمان، وهو مؤسس أسس شرع جديد من الألف إلى الياء، إذن لا حاجة ألبتة للسعي إلى توحيد الأديان من جديد. إن الإسلام هو اسم لهذا الأمر الذي يفكرون في تحقيقه[٣] .

قال تعالى: ﴿ ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا ﴾ [٤].

يتبين مما سبق:

١- يرى كولن الإيمان تصديق، وإقرار متفقا في هذا مع بعض الماتريدية.

٢- ويتفق مع الماتريدية كذلك في اتحاد الإيمان والإسلام في العمل، وإن اختلفا مفهوما.

١- ينظر: كولن: ونحن نبني حضارتنا ص ١٨٩- ١٩٠.

٢- سورة آل عمران الآية: ١٩ والآية: ٨٥.

٣- ينظر: كولن: ونحن نبني حضارتنا ص ١٨٩.

٤- سورة المائدة الآية: ٣.

٣- متفق مع أهل السنة جميعا أن العمل ليس جزءا من الإيمان، ومختلفا مع المرجئة والمعتزلة والخوارج في ذلك تماما.

٤- رد على شبهة توحيد الأديان بأدلة منطقية عقلية، وهو حريص على الانفتاح على الآخر ولكن بما لا يخل بأصولنا وثوابتنا.

٥- يؤكد على القضايا العملية من وراء دراسة الموضوعات الكلامية وهي هنا:

- التأكيد على تطبيق الإسلام والإيمان في حياتنا، أو التدين الصحيح فلا يكفي الإيمان بمفرده، أو الإسلام بمفرده.
- الاستفادة من الجوانب التطبيقية الحديثة مما عند الغرب، ولكن ألا نظل عالة متسولين على الدوام، فيجب ان نبني كياننا الخاص مع الاحتفاظ بقيمنا الذاتية.

تعقيب :

من دراسة مبحث (الأسماء والأحكام) عند فتح الله كولن ومقارنتها بآراء المتكلمين نخلص إلي:

١- أسماء الله الحسنى توقيفية عند كولن كما عند أهل السنة.
٢- الأسماء ليست موضوعا نظريا للعلم والحفظ والتعبد فقط، بل لها تجليات في كل ما يحيط بنا، فكل ما حولنا يشير إلى اسم من أسماء الله تعالى، وهذا ما ميز بحث (كولن) في الأسماء إذ ربط المسلم بأسماء الله تعالى في كل وقت وحين، فجعله يطالعها، ويطالع عملها، وتأثيرها، وفاعليتها في كل شيء، والعرض المتجدد يساعد في تجديد الإيمان وإيقاظه بلا شك.
٣- الإيمان والإسلام متحدان، والعمل ليس جزءا من الإيمان، وعليه، فلا تكفير لأهل الكبيرة، ولا لغيرهم من أهل القبلة .
٤- الإيمان تصديق بالقلب ولكن يستلزم العمل الصالح حتى يتحول إلى واقع، فكولن - وفق منهج الإسلام- يريد من المسلم التدين لا التصديق و العلم فحسب، وهذا من التجديد في بحثه للإيمان إذ يركز على العمل لا على مجرد العلم، وهو ما يحتاجه النشء، بل وعموم المسلمين في هذا العصر.

المبحث الرابع : القدر

تمهيد

القدر من أركان الإيمان التي نص عليها النبي (ﷺ)في حديث (جبريل)-عليه السلام- حينما سأل النبي ما الإيمان؟ فقال- ﷺ- : " أَنْ تُؤْمِنَ بِاللهِ، وَمَلَائِكَتِهِ، وَكِتَابِهِ، وَلِقَائِهِ، وَرُسُلِهِ، وَتُؤْمِنَ بِالْبَعْثِ، وَتُؤْمِنَ بِالْقَدَرِ كُلِّهِ"[١] .

ولأهمية هذا الركن يرى (كولن) أن يبحث القدر في بحث مستقل عن مبحث الألوهية ؛ لئلا يتوهم أحد عدم قبول القدر ضمن أركان الإيمان، أو أن في ذلك إنكارا للقدر بأي صورة أو شكل إجمالا أو تفصيلا[٢].

وقد تناول المتكلمون القدر بتعريفه، والفرق بينه وبين القضاء، وبيان كل من أفعال الله تعالى، وأفعال العباد بالأدلة النقلية والعقلية إلا أن حديث (كولن) كان أقرب إلى قلب المؤمن؛ فتلمس الآيات القرآنية والأحاديث بشأن القدر وفسرهما بطريقة تزرع الطمأنينة في قلب المؤمن، وركز على الناحية العملية أو الثمرات التطبيقية في محاور بحثه، فربط المؤمن بالله رباطا يجعله يرضى بقضائه، ولا يتعالى بحريته التي أعطاه إياها، إضافة إلى سهولة الألفاظ، ووضوح المعاني، وكثرة الاستشهاد بالأدلة النقلية، والعقلية، والعلمية، والتمثيل وغير ذلك.

وسيكون الحديث في القدر في عدة محاور:

المطلب الأول: مقدمات في القدر .

المطلب الثاني: أفعال الله تعالى.

المطلب الثالث: أفعال العباد.

١- والحديث أخرجه مسلم عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «سَلُونِي»، فَهَابُوهُ أَنْ يَسْأَلُوهُ، فَجَاءَ رَجُلٌ، فَجَلَسَ عِنْدَ رُكْبَتَيْهِ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ، مَا الْإِسْلَامُ؟ قَالَ: «لَا تُشْرِكُ بِاللهِ شَيْئًا، وَتُقِيمُ الصَّلَاةَ، وَتُؤْتِي الزَّكَاةَ، وَتَصُومُ رَمَضَانَ»، قَالَ: صَدَقْتَ، قَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ، مَا الْإِيمَانُ؟ قَالَ: «أَنْ تُؤْمِنَ بِاللهِ، وَمَلَائِكَتِهِ، وَكِتَابِهِ، وَلِقَائِهِ، وَرُسُلِهِ، وَتُؤْمِنَ بِالْبَعْثِ، وَتُؤْمِنَ بِالْقَدَرِ كُلِّهِ»، قَالَ: صَدَقْتَ، قَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ، مَا الْإِحْسَانُ؟ قَالَ: «أَنْ تَخْشَى اللهَ كَأَنَّكَ تَرَاهُ، فَإِنَّكَ إِنْ لَا تَكُنْ تَرَاهُ فَإِنَّهُ يَرَاكَ»، قَالَ: صَدَقْتَ. قَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ، مَتَى تَقُومُ السَّاعَةُ؟ قَالَ: " مَا الْمَسْئُولُ عَنْهَا بِأَعْلَمَ مِنَ السَّائِلِ، وَسَأُحَدِّثُكَ عَنْ أَشْرَاطِهَا: إِذَا رَأَيْتَ الْمَرْأَةَ تَلِدُ رَبَّهَا، فَذَاكَ مِنْ أَشْرَاطِهَا، وَإِذَا رَأَيْتَ الْحُفَاةَ الْعُرَاةَ الصُّمَّ الْبُكْمَ مُلُوكَ الْأَرْضِ، فَذَاكَ مِنْ أَشْرَاطِهَا، وَإِذَا رَأَيْتَ رِعَاءَ الْبَهْمِ يَتَطَاوَلُونَ فِي الْبُنْيَانِ، فَذَاكَ مِنْ أَشْرَاطِهَا فِي خَمْسٍ مِنَ الْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهُنَّ إِلَّا اللهُ "، ثُمَّ قَرَأَ: {إِنَّ اللهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ الْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْأَرْحَامِ وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَاذَا تَكْسِبُ غَدًا وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ إِنَّ اللهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ} [لقمان: ٣٤] قَالَ: ثُمَّ قَامَ الرَّجُلُ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «رُدُّوهُ عَلَيَّ»، فَالْتُمِسَ، فَلَمْ يَجِدُوهُ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «هَذَا جِبْرِيلُ، أَرَادَ أَنْ تَعَلَّمُوا إِذْ لَمْ تَسْأَلُوا». أخرجه مسلم في صحيحه ، باب الإسلام ما هو وبيان خصاله، كتاب الإيمان. (ص ١/ ٤٠ رقم ١٠)،

٢-.ينظر: محمد فتح الله كولن: القدر في ضوء الكتاب والسنة ص ١٤. ترجمة: حسان قاسم الصالحي، دار النيل ط: السابعة ٢٠١٢م- ١٤٣٣هـ.

المطلب الأول: مقدمات في القدر:

المسألة الأولى: معنى القضاء والقدر:

أولا: المعنى اللغوي:

القضاء في اللغة:

أ- "قضاء الشيء إحكامه وإمضاؤه والفراغ منه فيكون بمعنى الخلق.

ب- انقطاع الشيء وتمامه، وكل ما أحكم عمله، أو أتم، أو ختم، أو أودي أداء، أو أعلم، أو أنفذ، أو أمضي فقد قضي- بضم الأول وكسر الثاني وفتح الثالث.

ج- الحكم. د- المنية[١].

القدر في اللغة:

أ- "القضاء، والحكم وهو ما يقدره الله (عز وجل) من القضاء ويحكم به من الأمور.

ب- مبلغ الشيء.

ج- القضاء الموفق يقال: قدره تقديرا إذا وافق الشيء شيئا قيل: جاء على قدره[٢].

إذن معاني القضاء تدور حول الخلق والإحكام والإمضاء، ومعاني القدر حول التقدير والحكم والقضاء فهناك تقارب والتقاء بينهما -أحيانا- في اللغة.

ثانيا: المعنى الاصطلاحي للقضاء والقدر:

١- رأي المتكلمين:

ترى المعتزلة أن القضاء والقدر بمعنى العلم.

وتؤكد ذلك من خلال حكمها في هذه القضية، فترى أن الله قضى ما خلقه من الرخاء والشدة وغيرهما، فأما المعاصي والكفر فمعاذ الله أن يكون خلقها وقضاها وقدرها إلا بمعنى أنه أعلمنا إياها، وأخبرنا عنها كما قال (عز وجل): ﴿ وَقَضَيْنَآ إِلَىٰ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ فِي ٱلْكِتَٰبِ ﴾[٣].

١- ينظر: أبو منصور الهروي: تهذيب اللغة باب القاف والضاد ص ٨/ ٢٠٧. ابن فارس: مجمل اللغة، باب القاف والطاء وما يثلثهما، ص ٧٥٧/١. ابن منظور: لسان العرب ج ١١ص ٢٠٩ (باب القاف) .

٢- ينظر: الخليل بن أحمد: العين ص ٥/ ١١٢. الفيروز أبادي: القاموس المحيط ص ٣٩٦. ابن منظور: لسان العرب ص ٥٦ (باب القاف).

٣- سورة الإسراء الآية:٤.

بمعنى أعلمناهم، فأما أن يقال في ذلك إنه قضى بمعنى خلق وألزم فمحال، وكيف يصح أن يكون قد قضى الكفر، ثم يعاقب عليه ؟وكيف يجوز في قضاء الله (عز وجل)، ولا يحل الرضا به، وقد ثبت من الأمة الرضاء بقضاء الله واجب[١].

وعند الأشاعرة:

قضاء الله: هو" إرادته الأزلية المتعلقة بالأشياء على ما هي عليه فيما لا يزال، وقدره: إيجاده إياها على قدر مخصوص، وتقدير معين في ذواتها وأحوالها"[٢].

وعند الماتريدية:

قضاء الله : هو عبارة عن الفعل مع زيادة إحكام.

والقدر: هو تحديد كل مخلوق بحده الذي يوجد من حسن وقبح، ونفع وضر، وما يحويه من زمان ، ومكان، وما يترتب عليه من ثواب وعقاب[٣].

وعلى هذا فالقدر قديم والقضاء حادث عند الماتريدية ، و عند الأشاعرة القضاء قديم والقدر حادث وهو قريب من مفهوم الفلاسفة كما سيأتي.

٢- رأي الفلاسفة:

القضاء: هو علمه تعالى بما يكون عليه الوجود منذ الأزل، والقدر خروج ما قدر بالفعل إلى حيز الوجود بأسبابه.

فيقول (ابن سينا): "والقضاء من الله تعالى هو الوضع الأول البسيط، والتقدير هو ما يتوجه إليه القضاء على التدريج كأنه موجب اجتماعات من الأمور البسيطة التي

تنسب من حيث هي بسيطة إلى القضاء والأمر الإلهي الأول"[٤].

والقضاء عند الفلاسفة هو المسمى (العناية)، وقد عرفها (ابن سينا) بقوله: "هي كون الأول عالما لذاته بما عليه الوجود من نظام الخير، وعلة لذاته للخير والكمال بحسب الإمكان، وراضيا به على النحو المذكور، فيعقل نظام الخير على الوجه الأبلغ في الإمكان، فيفيض عنه ما يعقله نظاما وخيرا على الوجه الأبلغ الذي يعقله فيضانا على أتم تأدية إلى النظام بحسب الإمكان"[٥] .

١- ينظر: القاضي عبد الجبار: الأصول الخمسة المنسوبة للقاضي عبد الجبار ص ٩٩ .

٢- الجرجاني: شرح المواقف، المجلد الرابع ص ٢٠١ .

٣- ينظر: التفتازاني: شرح العقائد النسفية ص ٥٦ .

٤- ابن سينا: الشفاء (الإلهيات) ص ٤٤٠، راجعه: د/ابراهيم مدكور، تحقيق: الأب قنواتي والأستاذ/سعيد زايد منشورات ذوي القربى، ط: الأولى .والنجاة، ج ٢ ص ١٦٤، تحقيق: د/ عبدالرحمن عميرة، دار الجيل- بيروت، ط: الأولى ١٩٩٢م.

٥- ابن سينا: النجاة في المنطق والإلهيات ج ٢ ص ١٤٤. والإمكان عند الفلاسفة: ما لا يستحق بذاته وجودا ولا عدما فإن وجد صار محدثا بغيره". أ.د محمد السيد الجليند: الإمكان ص ٢٠٣ موسوعة العقيدة الإسلامية .

وعلى هذا فالقضاء أو العناية عند الفلاسفة علمه تعالى بما ينبغي أن يكون عليه الوجود حتى يكون على أحسن وأكمل الانتظام والقدر خروجها إلى الوجود العيني بأسبابها على الوجه الذي تقرر في القضاء[١].

ثالثا: القضاء و القدر عند فتح الله كولن:

يقول كولن: "والقدر اصطلاحا: ما قدره الله سبحانه من القضاء وحكم به"[٢].

والقضاء: إنفاذه تعالى ما قدره وحكم به .

ويرى (كولن) أن القضاء والقدر متفقان من جهة ومختلفان من جهة أخرى فيقول: "ويرد القضاء والقدر بمعنى واحد من جهة، إلا أن القدر - بمعنى آخر- يعني كل ما قدره الله سبحانه، وأما القضاء فهو إنفاذ هذا التقدير، وأداء ما قدر، وإجراء حكمه"[٣].

وعلى هذا التعريف الأخير يكون القدر قديما والقضاء حادثا وهذا متفق مع تعريف الماتريدية السابق.

ويؤيد هذا التعريف بعدة آيات منها:

١- ﴿ وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ ٱلْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَآ إِلَّا هُوَ ۚ وَيَعْلَمُ مَا فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ ۚ وَمَا تَسْقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٍ فِى ظُلُمَٰتِ ٱلْأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مُّبِينٍ ﴾ [٤].

٢- ﴿ وَمَا مِنْ غَآئِبَةٍ فِى ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مُّبِينٍ ﴾ [٥].

٣- ﴿ إِنَّا نَحْنُ نُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰ وَنَكْتُبُ مَا قَدَّمُوا۟ وَءَاثَٰرَهُمْ ۚ وَكُلَّ شَىْءٍ أَحْصَيْنَٰهُ فِىٓ إِمَامٍ مُّبِينٍ ﴾ [٦].

[٦].

ويشرح (كولن) رأيه في القدر فيقول: "القدر هو اقتران ما خلقه الله سبحانه بكسب الإنسان أي أن الإنسان يباشر بعمل ما- الأصح يباشر عملا- فيؤدي بإرادته ذلك العمل والله سبحانه يخلق بمشيئته ذلك العمل وهكذا فالقدر هو تقدير الله سبحانه لوجود الأشياء بعلمه الأزلي والأبدي قبل وجودها وبعد وجودها"[٧].

١- ينظر: الجرجاني: شرح المواقف المجلد الرابع ص ٢٠١ .

٢- كولن: القدر ص ١٣وينظر خواطر من وحي سورة الفاتحة ص ١٨٥ .

٣- كولن: القدر في ضوء الكتاب والسنة ص ١٤ .

٤- سورة الأنعام الآية:٥٩.

٥- سورة النمل الآية :٧٥.

٦- سورة يس الآية :١٢.

٧- كولن: القدر في ضوء الكتاب والسنة ص ١٤ .

ولذلك ينفي أن يكون القدر بمعنى العلم فحسب كما تقول المعتزلة إذ معنى القدر يسع - فضلا عن تقدير الأشياء وتعينيها بعلمه سبحانه- بصره، وسمعه، وإرادته، ومشيئته، ويرى أن إنكار القدر يعني إنكار جميع صفات الله تعالى[١].

وقد قسم (كولن) القدر إلى نوعين:

الأول: القدر الجبري المهيمن على الكون:

فالقدر الجبري هو خلقه للكون وهيمنته عليه، فالخلق الأول للكون أوجده الله وأنشأه ونظمه، ولم يستشر الإنسان فيه فالذي يهيمن على هذا الجانب من الأمر هو الجبر والحاكمية المطلقة.

الثاني: القدر الكسبي المتمثل في أفعال الإنسان :

فالله سبحانه وتعالى خالقها، وللإنسان من الإرادة ما يكسبه الجنة أو النار، فللإنسان الكسب والتوجه نحو الفعل، ومنه سبحانه الخلق والإيجاد[٢].

بالنسبة للنوع الأول يرى (كولن) أن الحاكم المهيمن على الكون كله هو القدر والتقدير، والنظام، والانسجام، والتخطيط﴿ وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلَّا عِندَنَا خَزَآئِنُهُۥ وَمَا نُنَزِّلُهُۥٓ إِلَّا بِقَدَرٍ مَّعْلُومٍ ﴾[٣]، فهذا القدر الحاكم على الكون- كما يرى كولن- يقر به القاصي، والداني، والمؤمن، والمؤمن، والمنكر، العنيد حتى (ماركس) عندما يتحدث عن الحتمية[٤]إنما يبين هذا القدر الحاكم وعلى الرغم من أن بعض العلماء المسلمين يقرون نوعا من الحتمية كابن خلدون[٥]، ويجعلونها شاملة على الحياة الاجتماعية أيضا كما هو الحال في الحتمية التاريخية في الغرب، فإن (كولن) يقيد هذه الحتمية[٦] بشروط معينة توافقا مع أهل السنة والجماعة، وضرب عدة أمثلة لتوضيح هذا القدر الجبري منها:

١- كولن: القدر في ضوء الكتاب والسنة ص ١٤ .

٢- ينظر: كولن: خواطر من وحي سورة الفاتحة ص ١٨٤.

٣- سورة الحجر الآية:٣١.

٤- يرى ماركس أن الاقتصاد أو المادة هو العامل المحرك للمجتمع في تغييره وللأفراد في تطورهم، وفي التأثير في مجرى حياتهم، وأن أحداث التاريخ في ماضيه دليلا على هذا الربط بين التغيير الاجتماعي والوضع الاقتصادي ومصدرا أيضا للتنبؤ أو للحتمية بما سيكون عليه المجتمع الإنساني في غده تبعا للتغيير الاقتصادي. ينظر: أ د/ محمد البهي: تهافت الفكر المادي التاريخي بين النظرية والتطبيق ص ٩، سلسلة قضايا اسلامية يصدرها المجلس الأعلى للشئون الإسلامية العدد(١٨٣)القاهرة ١٤٣١هـ- ٢٠١٠م.

٥- يقول ابن خلدون بنوع من الجبرية تسمى الجبرية الطبيعية "تكمن في إدراك الترتيب بين الحوادث بالطبع أو أو بالوضع فإذا قصد إيجاد شيء من الأشياء فلأجل الترتيب بين الحوادث" ابن خلدون: المقدمة ٩٨١/٣ الهيئة العامة للكتاب.

٦-الحتمية: هي أن يكون للحوادث نظام معقول تترتب فيه العناصر على صورة يكون كل منها متعلقا بغيره حتى إذا عرف ارتباط كل عنصر من العناصر أمكن التنبؤ بالحوادث. أو هي جملة العلل والمعلولات المترابطة ترابطا ضروريا. وتختلف الحتمية عن الجبرية التي لا يمكن التأثير فيها، فالجبرية تفترض أن الظاهرة تحدث دون قيد ولا شرط في حين أن الحتمية هي الشرط الضروري لظهور ظاهرة ما دون أن يكون ظهورها أمرا=

أ- عندما نقوم بمشروع بناء أو عمل ساعة، فإننا نبدأ أولا بوضع تصميم وتخطيط بمواصفات معينة، فنبدأ نقدر ونحسب كل ما يمكن أن يظهر في المستقبل ضمن هذه المواصفات سلفا.

فلئن كان هذا التخطيط في بناء بسيط، فكيف يمكن تصور هذه الأنظمة الدقيقة والتوازن الدقيق المحير للعقول بدءا من الذرات وصولا للإنسان دون تخطيط او منهاج.

ب- وكذا ضرب أمثلة بالبذور والنوى، وقال ما هي إلا علب مشحونة بالقدر تنشق عن ألوف الألوف من أنواع النباتات والأشجار.

ج- "تأمل في قصر الكون العظيم هذا، فالواقف أمام التلسكوب يرى الأبعاد الشاسعة على مسافة خمسة ملايين سنة ضوئية يعني إذا انطفأ "نجم نابض" فإنك لا تشاهد انطفاءه إلا بعد خمسة ملايين من السنيين ...أفلا يدفع هذا الكون العظيم وهذا النظام الدقيق الإنسان إلى الإعجاب والحيرة؟"[١] .

ودلل أيضا على وجود علاقة وثيقة بين هذا العالم والإنسان؛ فالتناسق البديع الدقيق بين أعضاء الإنسان يمكن ملاحظته في كل جزء من أجزاء الكون في النجوم، وفي الحيوان المنوي، والأبعاد الفضائية، ودوران الشمس والقمر، ودوران الأرض حول نفسها كل ذلك هو من القدر الجبري القدر الكوني الذي لا تؤخذ فيه إرادة الإنسان ﴿ فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ ﴾ [٢].

ورغم هذه الأدلة، فإن (كولن) يرى أن القدر مسالة وجدانية، فالإنسان يؤمن بالقدر بقدر درجة إيمانه، فهي مسألة حالية[٣]وجدانية، وليست مسألة علمية نظرية[٤].

ومن الملاحظ هنا أن (كولن) يستخدم مخرجات العلم الحديث في خدمة قضية القدر لتوضيح العقائد وإثباتها، وهذا من صور التجديد في فكر (فتح الله) .

وكذا تظهر جليا الأبعاد التربوية في فكر (كولن) فهو يريد تربية المسلم وغرس قيمة الإيمان بالقدر في نفسه مع عقله .

=إجباريا، وقيل الجبرية: تخضع الطبيعة لقوى خارجية عنها، أما الحتمية فتعتمد على ضرورة كامنة في الطبيعة نفسها. ينظر: د/ مراد وهبة: المعجم الفلسفي ص ٢٦٥دار قباء الحديثة- القاهرة٢٠٠٧م. مجمع اللغة العربية: المعجم الفلسفي ص ٦٧ تصدير: د/ إبراهيم مدكور، الهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية ١٩٨٣م. ينظر: أ.د مصطفى لبيب: التصور الإسلامي للطبيعة (دور التأسيس)، ص ١٥٨ الهيئة العامة لقصور الثقافة، ط الأولى ٢٠١٥م.

١- كولن: القدر ص١٦، ١٧.

٢- سورة البروج الآية:١٦.

٣- يقصد الأحوال الصوفية. و"الحال ما يحل في القلوب أو تحل به القلوب من صفاء الأذكار". الطوسي: اللمع ص ٤٦ تحقيق: عماد زكي البارودي المكتبة التوفيقية.

٤- ينظر: كولن: القدر في ضوء الكتاب والسنة ص ١٩.

المسألة الثانية: القدر في ضوء الكتاب والسنة:

بالنظر إلى أن (كولن) يستقي مباشرة من معين الكتاب والسنة بعيدا عن اعتناق آراء ومذاهب سابقة، فقد ذهب إلى محاولة التأثير على وجدان المسلمين في هذه القضية العقائدية - وهذا من صور التجديد في علم الكلام-، فانتقل إلى إيراد آيات وأحاديث القدر، وتفسيرها تفسيرا روحانيا يقوي به عقيدة المؤمن، ويرسخ هذا الركن من أركان الإيمان؛ لأن الرجل قد طرق أبواب التفسير الصوفي من خلال كتابيه(أضواء قرآنية في سماء الوجدان)و(خواطر حول سورة الفاتحة).

أولا: القدر في آيات القرآن الكريم:

١- قال تعالى: ﴿ مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ فِي ٱلْأَرْضِ وَلَا فِيٓ أَنفُسِكُمْ إِلَّا فِي كِتَٰبٍ مِّن قَبْلِ أَن نَّبْرَأَهَآ ۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ ﴾[١].

كل الأقدار سجلت وحفظت في السجل الإلهي قبل خلق الكون فيقول كولن: "نعم إن كل شيء قد سجل قبل أن يكون، ولا يجري إلا وفق ما سجل، إن الطريق المحمدي يلزم هذا الاعتقاد، أما الانحرافات، فهي زلات وضلالات حسب صغرها وكبرها"[٢].

٢- ﴿ فَلَمَّا قَضَيْنَا عَلَيْهِ ٱلْمَوْتَ مَا دَلَّهُمْ عَلَىٰ مَوْتِهِۦٓ إِلَّا دَآبَّةُ ٱلْأَرْضِ تَأْكُلُ مِنسَأَتَهُۥ ۖ فَلَمَّا خَرَّ تَبَيَّنَتِ ٱلْجِنُّ أَن لَّوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ ٱلْغَيْبَ مَا لَبِثُوا۟ فِي ٱلْعَذَابِ ٱلْمُهِينِ ﴾ [٣].

فالكون وما فيه ومن فيه يسير وفق نظام وإرادة إلهية لا يتخلف عنها يقول كولن: "إن الكون أسس بإرادة إلهية، ويسير ضمن المشيئة الإلهية، وهي عبارة عن نظم متداخلة بعضها مع البعض الآخر، ولا مكان للمصادفات في أي حركة في الكون ضمن هذه النظم"[٤].

٣- ﴿ وَمَآ أَصَٰبَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُوا۟ عَن كَثِيرٍ ﴾ [٥].

ما يصيب الإنسان من مصائب هي نتيجة لأفعاله وما اقترفته يداه يقول كولن: "والحقيقة أن معرفة الإنسان بأن المصائب التي تصيبه هي نتيجة أعماله، وما اقترفته يداه هي أمر القرآن...المذنب ليس شخصا آخر بل هو أنفسنا"[٦].

١- سورة الحديد الآية: ٢٢.

٢- كولن: القدر في ضوء الكتاب والسنة ص ٣٣.

٣- سورة سبأ الآية: ١٤.

٤- كولن: أضواء قرآنية ص ٢٨٨ ترجمة: أورخان محمد علي. دار النيل ط:الرابعة ١٤٣٠هـ- ٢٠٠٩م.

٥- سورة الشورى الآية: ٣٠ .

٦- كولن: القدر في ضوء الكتاب والسنة ص ٣٣.

ثانيا: الأحاديث الواردة في القدر:

١- يروى عن (عبد الله بن عمرو بن العاص) أن رسول الله - ﷺ- قال: "كتب الله مقادير الخلائق قبل أن يخلق السموات والأرض بخمسين ألف سنة وعرشه على الماء"[١].

فكل شيء مقدر ومعين قبل خلق الكون والإنسان يقول كولن: "والحقيقة أننا لا نعلم ما القياس أو الميزان التي توزن به هذه الخمسين ألف سنة[٢]، ولربما يكون قياسا بزمان دنيانا خمسين ألف سنة أو خمسين مليون سنة وربما هي كناية عن الكثرة فلا نجزم بشيء، نعم فلقد قدر وعين كل شيء قبل أن تخلق السموات والأرض، وقبل خلق ثمرة الكون والإنسان بخمسين ألف سنة"[٣].

أما الماء الوارد في الحديث، فيفسره (كولن) بأمرين العماء[٤] أو الأثير[٥] فقال: "فربما هو العماء، وربما هو الأثير أي أن عرش الله كان على الأثير الذي هو أصل مادة أجزاء الذرة، وربما الموجودات كانت على شكل وجودات أثيرية[٦]، ولا علم لنا بأي شكل من

١- والحديث: أخرجه مسلم، باب القدر صحيح مسلم بشرح النووي ج ٨ ص ٣٧٠ رقم(٢٦٥٣) مكتبة الإيمان- المنصورة. قال النووي: "قال العلماء: المراد تحديد وقت الكتابة في اللوح المحفوظ أو غيره لا أصل التقدير فإن ذلك أزلي لا أول له"..

٢- الزمن الموجود في الحديث زمان ما قبل الخلق: وهو زمان مقدر أي موجود في علم الله تعالى ليس زمانا فلكيا معروف لنا بالسينين والأشهر والساعات وغيرها وأما طبيعته:

أ- أنه تقديري فرضي أي مقدور من عند الله تعالى مفترض في العقل فهمه .ب- ذات امتداد حركي فقد خلق الكون من مادة كانت مخلوقة قبله غير مقدار حركة الشمس والقمر. ج- أنه قابل للامتداد، فهو مدة غير محددة من قبلنا وإنما هي مقدرة في خطاب الله لنا. د - ذات مفهوم كلي ج- أنه مخلوق كاعتقاد سائر المسلمين. هـ - أنه داخل في نطاق الغيبيات . ينظر: الدكتورة/ سمر عبد الفتاح حسب الله: رسالة دكتوراه بعنوان الزمان المقدر بين المثبتين والنافيين ص ٣٥- ٥٦ بكلية الدراسات الإسلامية والعربية للبنات بالقاهرة- جامعة الأزهر ١٤٣٤هـ- ٢٠١٣م.

٣- كولن: القدر في ضوء الكتاب والسنة ص ٣٣.

٤- العماء: "السحاب المرتفع أو الكثيف أو الممطر أو الرقيق أو الأسود أو الأبيض أو هو الذي هرق ماءه: السَّحابُ الكثيفُ المُطبِقُ، ويقال للَّذي حَمَلَ الماءَ وارتَفَعَ، ويقال للَّذي هَراقَ ماءَه ولما يَتَقَطَّع . الخليل بن أحمد : كتاب العين باب العين والميم ج ٢ ص ٢٦٦، الفيروز آبادي: القاموس المحيط ص ١١١٩.

٥- الأثير: عند الطبيعين: سيال يملأ الفراغ يفترضون تخلله للأجسام. وعند الكيميائيين: سائل غير ذي لون طيار يذيب المواد الدهنية ويستخدم في الطب. لفظ معرب من اليونانية يدل على مادة الأجرام السماوية وهي مادة لطيفة للغاية لا تكون ولا تفسد ويسمى بالعنصر الخامس تمييزا له عن العناصر الأربعة الخاضعة للكون والفساد وهي الماء والهواء والتراب والنار وقد استخدم هذا المصطلح في القرن التاسع عشر عندما احتاجت نظرية الكهرومغناطيسية إلى وسط تنتشر فيه الموجات. مجمع اللغة العربية: المعجم الوجيز ص ٦ وينظر: د/ مراد وهبة: المعجم الفلسفي ص ٢٢.

٦- نظرية الأثير: افترض العلماء مادة ثابتة تملأ الفضاء، وتدور الأرض من خلالها هي الأثير وبرهنوا على وجود الأثير بالطبيعة الموجبة للضوء قائلين: إن الأمواج لابد لها من وسط مادي تنتشر فيه كما ينتشر موج البحر في الماء، وأمواج الصوت في الهواء كذلك أمواج الضوء لابد لها من وسط وحينما أثبتت التجارب أن الضوء يمكن أن ينتشر في الهواء المفرغ في ناقوس قالوا بوجود مادة اسمها الأثير تملأ كل الفراغات الكونية، واعتبروها مرجعا ثابتا تنسب إليه الحركات، وبعد تجارب (ميكلسون) و(مورلي) تأكد للعلماء أن نظرية=

الأشكال، ولا ولن يمكننا ذلك؛ لأننا وأبانا آدم لم نكن موجودين بعد بل الكون برمته لم يكن موجودا"[١].

٢- أودع (عبادة بن الصامت) أمانة الإيمان بالقدر ولده قائلا: "يا بني إنك لن تجد طعم الإيمان حتى تعلم أن ما أصابك لم يكن ليخطئك وما أخطأك لم يكن ليصيبك سمعت رسول الله (ﷺ)يقول: "إن أول ما خلق الله تعالى القلم فقال له :اكتب فقال يا رب وماذا أكتب؟ قال :اكتب مقادير كل شيء حتى تقوم الساعة "يا بني إني سمعت رسول الله يقول: "من مات على غير هذا فليس مني"[٢].

٣- عن (عبد الله بن عباس) قال: كنت خلف النبي (ﷺ) يوما، فقال: يا غلام إني أعلمك كلمات احفظ الله يحفظك، احفظ الله تجده تجاهك، إذا سألت فاسأل الله، وإذا استعنت، فاستعن بالله، واعلم أن الأمة لو اجتمعت على أن ينفعوك بشيء لم ينفعوك إلا بشيء قد كتبه الله عليك، رفعت الأقلام، وجفت الصحف"[٣].

يرى (كولن) أن على المسلم الاتصال بالله مباشرة دون وسائط أو حجب فهو الذي بيده مقادير كل شيء فيقول: "لا تشتت جهدك سدى بالوسائط والوسائل الموجودة بينك وبينه تعالى، بل ارفع جميع ما بينك وبينه تعالى، وتوجه إليه بحوائجك، وافعل هذا قولا وعملا، واعلم أن جميع الوسائط عاجزة مثلك ،فهو وحده سبحانه القادر على انجاز ما تريده، وما تطلبه فمقاليد السموات والأرض بيده، فلا مقدر لشيء، ولا معين له إلا هو فهو الخالق وحده"[٤].

وهو سبحانه الضار النافع، وما يعتقده المجوس من وجود قوتين متغايرتين إحداهما للخير، والأخرى للشر، فهذا النمط من الإيمان يجعل الله - سبحانه وتعالى- في صراع مع الشيطان غير أن الإسلام على النقيض من هذه العقيدة كليا، بل أعلن الجهاد على أمثال هذه الأفكار، نحن نؤمن بالله الواحد الأحد الذي لا شريك له في ذاته، وفي أفعاله، فلا رب سواه يتصرف في ملكه كيف يشاء، ولا سلطان إلا هو، والقوة كلها بيده.

ويتخذ (كولن) من الحديث أيضا دليلا على التوحيد بأقسامه، فيقول: "فنحن نعتقد في ضوء هذا الحديث الشريف بتوحيد الألوهية وتوحيد الصفات الجليلة وتوحيد الأفعال

=الأثير كلام غير حقيقي، ولا وجود لشيء اسمه الأثير أو البديل أن يعتبروا الأرض ساكنة في الفضاء، وكانت تلك النظرية عزيزة على العلماء لدرجة أن بعضهم شك في حركة الأرض واعتبرها ساكنة، وجاءت محاولات عدة بعد عام١٨٩٠ لتسجيل الحركة بالنسبة للأثير لكنها فشلت، وأدى ذلك إلى انبثاق نظرية النسبية عند اينشتين ١٩٠٥م.ينظر: د/ أحمد السيد رمضان: نظرية النسبية والفلسفة ص ٨٨- ٨٩ مكتبة الإيمان- المنصورة.

١- كولن: القدر في ضوء الكتاب والسنة ص ٣٣.

٢- أخرجه أبو داود، ينظر: سنن أبي داود في القدر، كتاب السنة (ج ٤ ص ٣٦٢ رقم ٤٧٠٢)، دار الكتاب العربي- بيروت، وقال الألباني: صحيح.

٣- أخرجه الترمذي وقال: هذا حديث حسن صحيح . ينظر سنن الترمذي (ج ٤ ص ٢٤٨ رقم ٢٥١٦ باب ٥٩).

٤- كولن: القدر في ضوء الكتاب والسنة ص ٣٥.

الحكيمة، وتفويض كل أمر إلى الواحد الأحد قضية مهمة جدا في إيماننا بل يشكل لبه وخلاصته"[١].

٤- عن علي- رضي الله عنه- كنا في جنازة في بقيع الغرقد، فأتانا رسول الله- ﷺ- فقعد وقعدنا حوله، ومعه مخصرة[٢]، فنكس فجعل ينكت[٣]بمخصرته، ثم قال: ما منكم من أحد ما من نفس منفوسة إلا، وقد كتب الله مكانها من الجنة والنار، وإلا وقد كتبت شقية أو سعيدة قال: فقال: رجل :يا رسول الله أفلا نمكث على كتابنا وندع العمل؟، فقال: من كان من أهل السعادة فسيصير إلى عمل أهل السعادة، ومن كان من أهل الشقاوة فسيصير إلى عمل أهل الشقاوة، فقال: اعملوا فكل ميسر، أما أهل السعادة، فييسرون لعمل أهل السعادة، وأما أهل الشقاوة فييسرون لعمل أهل الشقاوة، ثم قرأ:﴿ فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ وَاتَّقَىٰ ﴿٥﴾ وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَىٰ ﴿٦﴾ فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرَىٰ ﴿٧﴾ وَأَمَّا مَنْ بَخِلَ وَاسْتَغْنَىٰ ﴿٨﴾ وَكَذَّبَ بِالْحُسْنَىٰ ﴿٩﴾ فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْعُسْرَىٰ ﴿١٠﴾ ﴾[٤].

يقول كولن: "نعم اعملوا فكل ميسر لما خلق له، فطريق الجنة يمر من المسجد واتباع الرسول- ﷺ- ، والذي لم يسجد لله سجدة، ولم يجعل قلبه ووجدانه مرآة عاكسة لأوامر خالقه (تعالى) لا يقال له أنه في طريق الجنة أي إن كان الإنسان من أهل السعادة، فهو في النتيجة يقوم بأعمال تؤهله للجنة، وإن كان من أهل الشقاوة من حيث النتيجة، فيقوم بأعمال يستحق بها النار؛ ولهذا كان الرسول- ﷺ- يقرأ صباح مساء: "اللهم أحسن عاقبتنا في الأمور كلها، وأجرنا من خزي الدنيا، وعذاب الآخرة "[٥]، ونجد أنه - صلى الله عليه وسلم- يورد آيات من سورة الليل دليلا على قوله الكريم"[٦].

ثم يستطرد في شرح الآيات شرحا روحانيا يخاطب به الوجدان، موشحا كلامه بالوعظ والتذكير، ذاكرا معينات الطريق إلى الجنة مشيدا بفهم الصحابة للقدر، فقد بالغوا في العمل، وشمروا عن ساق الجد، وهجروا الكسل كما يقول كولن[٧].

١- كولن: القدر في ضوء الكتاب والسنة ص ٣٥.

٢- (الْمِخْصَرَةُ) بِكَسْرِ الْمِيمِ كَالسَّوْطِ وَكُلِّ مَا اخْتَصَرَ الْإِنْسَانُ بِيَدِهِ فَأَمْسَكَهُ مِنْ عَصًا وَنَحْوِهَا. زين الدين أبو عبد الله محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الحنفي الرازي (المتوفى: ٦٦٦هـ) مختار الصحاح ص ١/ ٩١ .

٣- نكت: يدُلُّ عَلَى تَأْثِيرٍ يَسِيرٍ فِي الشَّيْءِ وَنَكَتَ فِي الْأَرْضِ بِقَضِيبِهِ يَنْكُتُ، إِذَا أَثَّرَ فِيهَا . أحمد بن فارس بن زكرياء القزويني الرازي: معجم مقاييس اللغة ص ٥/ ٤٧٥.ومجمل اللغة ص ١/ ٨٨٤.

٤- سورة الليل الآيات(٥- ١٠). والحديث أخرجه مسلم. ينظر: صحيح مسلم بشرح النووي، كتاب القدر. ج ٨ ص ٣٦٢برقم(٢٦٤٧).

٥- أخرجه الإمام أحمد بن حنبل في مسنده (ج ٢٩ ص ١٧١ رقم ١٧٦٢٨)، تحقيق: شعيب الأرنؤوط - عادل مرشد وآخرون، إشراف: د/ عبد الله بن عبد المحسن التركي، مؤسسة الرسالة، ط الأولى ١٤٢١هـ- ٢٠٠١م.و ينظر: علي بن حسام الدين البرهان فوري : كنز العمال الفصل السادس جوامع الأدعية الباب الثامن الكتاب الثاني من حرف الهمزة من قسم الأقوال (ج ٢ص ١٧٨رقم ٣٦٢٢). والحديث ضعيف كما قال الألباني في سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة وأثرها السيئ في الأمة (ص ٤٥٢/٦رقم ٢٩٠٧)، دار المعارف، الرياض - المملكة العربية السعودية، الطبعة: الأولى، ١٤١٢ هـ / ١٩٩٢ م.

٦- كولن: القدر ص ٣٦.

٧- ينظر: القدر ص ٣٩.

٥- عن طاووس سمعت أبا هريرة عن النبي- ﷺ- قال: احتج آدم وموسى، فقال له موسى: يا آدم أنت أبونا خيبتنا، وأخرجتنا من الجنة قال له آدم: يا موسى اصطفاك الله بكلامه، وخط لك بيده تلومني على أمر قدره الله علي قبل أن يخلقني بأربعين سنة، فحج آدم موسى فحج آدم موسى ثلاثا"[١].

وقد فسر (كولن) هذه المحاججة وأسند هذا التفسير إلى السلف،[٢]فقال:

١- حج آدم موسى؛ لأنه أبوه.

٢- أن آدم وموسى صاحبا شريعة خاصة لكل منهما، فلربما لا يكون ذنبا لأحدهما ما هو ذنب للآخر .

٣- الجنة ليست دار تكليف بخلاف الدنيا، فهي دار تكليف فآدم ليس مكلفا في الجنة

بينما موسى حاججه بقاعدة تخص دار الدنيا، ولهذا قبلت حجة آدم[٣].

٤- أراد آدم أن يُفهم أن الخير والشر كلاهما من الله سبحانه، وهو الصواب، ولهذا حج موسى.

والحديث- كما يقول كولن - يتعرض لمسألة دقيقة خفية من مسائل القدر، وهي سبق الكتاب أي كتابة كل شيء قبل وجوده، وفيه مقارنة بين حجة آدم وحجة موسى ويقول بأن في القدر جهتان: "الأولى: جهة تقديره سبحانه لكل شيء، الثانية: الجهة المتعلقة بإرادة الإنسان، فسيدنا موسى أخذ بجهة القدر المتعلقة بإرادة الإنسان فحسب بينما آدم نظر إلى المسألة من الجهتين جهة تقدير الله، وجهة إرادة الإنسان فلذا كانت جهته أشمل"[٤] .

من خلال هذا الحديث يتبين أمرين:

١- يرى (كولن) عدم جواز الاحتجاج بالقدر، وهو موقف سني أصيل، يقول النسفي: "ثم اعلموا أن لا عذر لأحد في التخليق والإرادة والقضاء والقدر؛ لأن هذه المعاني لم تجعلهم مضطرين إلى ما فعلوا مختارين، فصار خلق الفعل وإرادته والقضاء به وتقديره كخلق

١- أخرجه مسلم، صحيح مسلم بشرح النووي، كتاب القدر ج ٨ص ٣٦٨ برقم(٢٦٥٢).

٢- عندما رجعت إلى كلام ابن تيمية - كممثل للسلف- رأيته يخالف هذا القول المنسوب إلى السلف ويرتضي مسلكا وتأويلا آخر فيقول: "ومن الناس من قال: إنما حج آدم موسى؛ لأنه أبوه، أو لأنه قد تاب، أو لأن الذنب كان في شريعة واللوم في أخرى، أو لأن هذا يكون في الدنيا دون الأخرى، وكل هذا باطل...ولكن وجه الحديث أن موسى عليه السلام لم يلم أباه إلا لأجل المصيبة التي لحقتهم من أجل أكله من الشجرة، فقال له: لما أخرجتنا ونفسك من الجنة؟ لم يلمه لمجرد كونه أذنب ذنبا وتاب منه، فإن موسى يعلم أن التائب من الذنب لا يلام، وقد تاب منه أيضا، ولو كان آدم يعتقد رفع الملام عنه لأجل القدر لم يقل: {ربنا ظلمنا أنفسنا وإن لم تغفر لنا وترحمنا لنكونن من الخاسرين} " وذكر في درء تعارض العقل والنقل أن بعض أهل السنة تأول هذا الحديث ولكنها تأويلات ضعيفة مع أن قصدهم صحيح. تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم بن محمد ابن تيمية الحراني الحنبلي الدمشقي (المتوفى: ٧٢٨هـ): الفرقان بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان ص ١/ ١٣٤، حققه وخرج أحاديثه: عبد القادر الأرناؤوط، الناشر: مكتبة دار البيان، دمشق، عام النشر: ١٤٠٥ هـ - ١٩٨٥ م. درء تعارض العقل والنقل ص ٤١٨/٨، تحقيق: الدكتور/ محمد رشاد سالم، الناشر: جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، المملكة العربية السعودية، الطبعة: الثانية، ١٤١١ هـ - ١٩٩١ م.

٣- ونفس هذا التأويل ذكره النووي في شرحه للحديث. ينظر: صحيح مسلم بشرح النووي ج٨ ص ٣٧١.

٤- القدر ص٤٧، ٤٨.

الأوقات والأمكنة التي تقع منها الأفعال ولا تقع بدونها، ولم يصر تخليق شيء من ذلك عذرا؛ لأنه لا يوجب اضطرارهم"[١].

و جاء في الجوهرة: "واعلم وإن وجب الإيمان بالقدر لكن لا يجوز الاحتجاج به قبل الوقوع توصلا إليه... أو بعد الوقوع تخلصا من الحد ونحوه بأن وقع شخص في الزنا مثلا، وقال: قدر الله علي ذلك وغرضه به التخلص من الحد، وأما الاحتجاج به بعد الوقوع لدفع اللوم فقط، فلا بأس به"[٢] وهو رأي (ابن تيمية) أيضا إذ يرى الاحتجاج بالقدر قولا فاسدا بالاضطرار سمعا وعقلا إذ مقتضاه أن لا يلام أحد على شيء ولا يعاقب عليه[٣].

٢- يرى (كولن) أن الخير والشر كلاهما من الله وهو موقف سني كذلك وسيأتي بيان ذلك.

المسألة الثالثة: ثمرات الإيمان بالقدر:

يرى (فتح الله كولن) أن للإيمان بالقدر ثمارا عديدة منها:

١- المؤمن بالقدر يفوض في النهاية كل شيء إلى الله (تعالى).

٢- عدم الوقوع في الجبرية .

٣- الإرادة الجزئية للإنسان تذكره بالمسئولية عن الفعل، وكون جميع الحسنات من فعل الله ينقذه هذا الإيمان من الغرور ﴿ مَّآ أَصَابَكَ مِنۡ حَسَنَةٖ فَمِنَ ٱللَّهِۖ وَمَآ أَصَابَكَ مِن سَيِّئَةٖ فَمِن نَّفۡسِكَۚ ﴾[٤].

فكل ما هو حسن جميل إنما هو إحسان من الله إليك، والإحسان يستوجب الشكر والتواضع لا الغرور، أما السيئات والذنوب، فإرادتك الجزئية شرط عادي في خلقها؛ لذا تقع مسئوليتها على النفس[٥].

و(كولن) هنا ينفي التلازم بين السبب والمسبب كما هو شأن الأشاعرة كما سنبين .

٤- الإنسان المؤمن بالقدر ينظر إلى الماضي والبلايا التي تصيبه، فيقول إنها من تقدير الله، فينجو من اليأس، وينظر إلى المستقبل والمعاصي، ويقول سأحصل ما قدر لي على

١- أبو معين النسفي: تبصرة الأدلة ج ٢ ص ٧١٨.

٢- حاشية الإمام الباجوري على جوهرة التوحيد المسمى تحفة المريد على جوهرة التوحيد .

٣- ابن تيمية: اقتضاء الصراط المستقيم لمخالفة أصحاب الجحيم ص ٢/ ٣٩٠، تحقيق: ناصر عبد الكريم العقل، دار عالم الكتب- بيروت – لبنان، ط : السابعة ١٤١٩هـ- ١٩٩٩م.

٤- سورة النساء الآية:٧٩.

٥- ينظر: كولن: القدر في ضوء الكتاب والسنة ص ٢١.

كل حال، فلا يرمي نفسه في أحضان الكسل، ولا يجعل القدر وسيلة تسلية تجاه ما نواه من السيئة؛ لأن الله يقول: ﴿ وَأَن لَّيْسَ لِلْإِنسَٰنِ إِلَّا مَا سَعَىٰ ﴾[١].

إن الله خالق كل شيء من حسنات وسيئات، ولكن المسئولية تقع على من أراد السيئة فهذا النمط من الإيمان هو أساس إيمان المبتدئ، ولا يجوز الخوض فيما وراء ذلك من مسائل القدر حتى لا تزل قدمه .

واستدل (كولن) على رأيه بموقف الإمام (أبي حنيفة)، فقد كان أبو حنيفة يمنع طلابه من مناقشة هذه المسائل، وعندما كان يسأل، وأنت لماذا تتكلم فيه؟ قال: أتكلم خائفا وكأن على رأسي الطير"[٢].

ولعل موقف الإمام (محمد عبده) يسير في نفس الاتجاه أي في عدم الخوض في مسائل القدر، فيقول الإمام: "أما البحث فيما وراء ذلك من التوقيف بين ما قام عليه الدليل من إحاطة علم الله وإرادته وبين ما تشهد به البداهة من عمل المختار فيما وقع عليه الاختيار، فهو من طلب سر القدر الذي نهينا عن الخوض فيه، واشتغال بما لا تكاد تصل العقول إليه"[٣].

وقد كرر هذا القول أكثر من مرة في رسالته تلك؛ ولذا هاجم طرفي القضية القائلين بالجبر، والقائلين بسلطة العبد على أفعاله"[٤].

وقد سار على هذا النهج أيضا (كولن)، فقد شن هجوما، وانتقادا شديدين لعقلانية المعتزلة، وحتمية الجبرية[٥]، واعتبر كليهما فكرا غير صائب، فالمعتزلة يصفهم بمجوس بمجوس هذه الأمة وفقا لحديث النبي -ﷺ-: "إن لكل أمة مجوسا ومجوس هذه الأمة الذين

١- سورة النجم الآية:٣٩.

٢- ذكر الإمام (محمد أبو زهرة) أن (أبا حنيفة) كان ينهى أصحابه وبنيه عن الجدال، وقد رأى في كبره ابنه حمادا يناظر في الكلام فنهاه، فقال الابن لأبيه : كنت تناظر فيه وتنهانا عنه، فقال: كنا نناظر وكأن على رؤوسنا الطير مخافة أن يزل صاحبنا، وأنتم تناظرون وتريدون زلة صاحبكم. ومن أراد أن يزل صاحبه فقد أراد أن يكفر صاحبه، فقد كفر قبل أن يكفر صاحبه. الإمام محمد أبو زهرة: تاريخ المذاهب الإسلامية ص ٣٥٢.

٣- الإمام محمد عبده: رسالة التوحيد ص ٦١، تحقيق: د/ محمد عمارة، دار الشروق، ط: الأولى ١٤١٤هـ-١٩٩٤م.

٤- الإمام محمد عبده: رسالة التوحيد ص ٦١ .

٥- الجبرية: الجبر هو نفي الفعل حقيقة عن العبد وإضافته إلى الرب تعالى والجبرية أصناف فالجبرية الخالصة: هي التي لا تثبت للعبد فعلا ولا قدرة على الفعل أصلا، والجبرية المتوسطة: هي التي تثبت للعبد قدرة غير مؤثرة أصلا فأما من أثبت للقدرة الحادثة أثرا ما في الفعل وسمى ذلك كسبا فليس بجبري والمعتزلة يسمون من لم يثبت للقدرة الحادثة أثرا في الإبداع والإحداث جبريا ويلزمهم أن يسموا من قال من أصحابهم بأن المتولدات أفعال لا فاعل لها جبريا. والمصنفون في المقالات عدوا النجارية والضرارية من الجبرية وكذلك جماعة الكلابية والأشاعرة سموهم تارة حشوية وتارة جبرية وتعتبر فرقة الجهمية أتباع جهم من صفوان من الجبرية الخالصة لقولهم بالجبر ونفي القدرة والإرادة عن الإنسان كسائر الجمادات. أبو مظفر الاسفراييني: التبصير في الدين وتمييز الفرقة الناجية عن الفرق الهالكين ص ، ١٠٧الشهرستاني: الملل والنحل ص ٩٧. الإمام محمد أبو زهرة: تاريخ المذاهب الإسلامية ص ١١٠ .

يقولون لا قدر"[1] ذلك؛ لأنهم لا يسندون الخير والشر إلى الله أي أن العبد خالق لأفعاله بقوة خلقها الله فيه، يقول كولن: "وكان يطلق تعبير القدرية في أول الأمر على القائلين بالجبر، ثم أطلق على منكري القدر، وهو موافق للحديث، وهكذا وجد الاسم صاحبه الحقيقي، وفي الوقت الحاضر يطلق على مذهب المعتزلة ...وبجنب هذا هناك إنكار لإرادة الإنسان الذي هو مذهب الجبرية، وهذا الفكر غير صائب"[2].

وخلاصة الأمر أن (كولن) انتقد الطرفين؛ لتطرفهما في الفكر، فالجبرية غالت بنفي القدرة والإرادة عن العبد وساوت بينه وبين سائر الحيوانات والجمادات، وهذا فوق أنه مخالف للسمع، فهو مخالف للمشاهدة والواقع الذي يرينا أفعال إرادية تنم عن اختيار وحرية، والطرف الثاني(المعتزلة)تطرفت فنسبت الفعل للعبد وغضت الطرف عن الآيات التي تنسب الخلق لله تعالى، وعن المشاهدة التي ترينا أنه قد يقع مالا يريده الإنسان بل يقع خلاف مقصوده أحايين كثيرة.

وبناء على ما سبق فإن الوسط العدل في المسألة هو رأي أهل السنة بأن الله هو الخالق وأن الإنسان له دخل في أفعاله أو ما يسمى (كسبا) على اختلاف في تفسير ذلك الكسب كما سيأتي لاحقا - إن شاء الله -.

المسألة الرابعة: علاقة القضاء بالقدر:

علاقة القضاء بالقدر يجملها (كولن) في أربعة عناصر:

أولا- القضاء والقدر من حيث العلم الإلهي.

ثانيا- القضاء والقدر من حيث الكتابة الإلهية لكل شيء.

ثالثا- القضاء والقدر من حيث المشيئة الإلهية.

رابعا- القضاء والقدر من حيث الخلق.

وبيانها كالتالي:

أولا: القضاء والقدر من حيث العلم الإلهي:

يرى (فتح الله كولن) أن الله سبحانه عليم بكل شيء يقدر كل شيء، ويعينه وفق علمه، والله العليم لا يحكم بحقنا شيئا، ولا يقضي قضاء إلا وفيه حكم وفوائد ومصالح لنا وإن كنا غافلين عنها، وإن كان ظاهر القدر شاق على النفوس فلو نظرنا إلى النتيجة سنجد الحكم والمصالح لا محالة.

---

[1]- أخرجه الإمام أحمد في مسنده والبيهقي في سننه ينظر: مسند الإمام أحمد بن حنبل، باب حديث حذيفة بن اليمان عن النبي - ﷺ- كتاب أحاديث رجال من أصحاب النبي -ﷺ- (ج ٢٨ ص ٤٤٣ رقم ٢٣٤٥٦). وينظر: أبو بكر البيهقي: السنن الكبرى، باب ما ترد به شهادة أهل الأهواء، كتاب جماع أبواب من تجوز شهادته (ج ١٠ ص ٣٤٢ رقم ٢٠٨٧)، تحقيق: محمد عبد القادر عطا دار الكتب العلمية – بيروت – لبنان ط الثالثة ٢٠٠٢م.واسناده ضعيف كما أورده الألباني في سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة وأثرها السيء في الأمة ص ٤٨١/١٢ رقم ٥٦١٤.

٢- ينظر: كولن: القدر في ضوء الكتاب والسنة ص١٥- ٣٠.

واستدل (كولن) على ذلك بأدلة متعددة منها:

١- قال تعالى: ﴿ كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهٌ لَّكُمْ وَعَسَىٰٓ أَن تَكْرَهُوا۟ شَيْـًٔا وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَعَسَىٰٓ أَن تُحِبُّوا۟ شَيْـًٔا وَهُوَ شَرٌّ لَّكُمْ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴾ [١] .

٢- صلح الحديبية إذ فيه من المواقف والأحوال ما لا ترغب فيه النفس كالرجوع دون الطواف بالبيت، وهو الأمر الذي انتظروه طويلا، ومشهد (أبي جندل)، وهو مكبل بالسلاسل بين يدي الكفار، وشروط الصلح المجحفة بمعنى أن ظاهر الحديبية كان يجري خلاف رغبات المؤمنين، ولكن في النهاية كان فتحا مبينا كتعبير القرآن[٢].

٣- وكذلك آلام سيدنا (يوسف)- عليه السلام- من الرمي في الجب، والبيع كالعبيد، والسجن، والبعد عن الأب، انتهت إلى مصالح ومنافع جمة، فأصبح عزيز مصر، وأدى دوره ورسالته.

٣- وكذلك كانت آلام سيدنا محمد- ﷺ- من تضييق وتعذيب انتهت بالمعراج، وكذا موسى وعيسى- عليهم السلام- ومعاناتهما مع بني اسرائيل انتهت بالنصر[٣].

وخلاصة الأمر أن ما يراه الإنسان شرا قد يكون عقباه الخير، ولكن لأننا لم نطلع على علم الله تعالى نصدر أحكاما خاطئة فنظن أن أقدار الله سيئة مع أن الضر قد يحمل النفع والخير في النهاية.

وفي كلامه إشارة إلى أن أفعال الله تعالى تترتب عليها الحكمة والمصالح لا محالة وإن جهلنا ذلك.

وأعتقد هنا أنه موافق ومتأثر برأي الماتريدية في ترتب الحكمة على أفعاله تعالى على سبيل اللزوم، بمعنى عدم جواز الانفكاك تفضلا لا وجوبا، خلاف للأشاعرة الذين يقولون بجواز أن يتبعه حكمة أولا يتبعه[٤].

ثانيا: القضاء والقدر من حيث الكتابة:

يرى (كولن) أن هناك نوعان من الكتابة:

١- ما يكتب في اللوح المحفوظ .

٢- وما يكتبه الملائكة من أعمال البشر.

١- سورة البقرة الآية:٢١٦.

٢- ينظر: الواقدي محمد بن عمر بن واقد السهمي الأسلمي (المتوفى: ٢٠٧هـ): المغازي، باب غزوة الحديبية، ج ٢ ص ٦١٠- ٦٣٠ تحقيق: مارسدن جونس، الناشر: دار الأعلمي- بيروت ،الطبعة: الثالثة - ١٤٠٩/١٩٨٩م.
٣- ينظر : كولن: القدر ص٥٩- ٦١.

٤- شيخ زاده: نظم الفرائد وجمع الفوائد في بيان المسائل التي وقع فيها الاختلاف بين الماتريدية والأشعرية ص ٣٥٣.

يقول كولن: "هناك كتابة علمية ليست لها وجود خارجي، والتي نطلق عليها اسم (اللوح المحفوظ)، وكتاب آخر يكتبه الملائكة الكرام والذي له وجود خارجي يسجل فيه كل ما يعمله الإنسان"[١].

والكتابان متطابقان أي أن الإنسان لا يعمل إلا ما قدر له مسبقا[٢].

ثالثا: القضاء والقدر من حيث المشيئة الإلهية:

بعد الحديث عن علاقة القضاء بالقدر، وبالعلم الإلهي، وبالكتابة بقي أن نعرف علاقتهما بالمشيئة الإلهية .

فبداية يرى (كولن) أن هناك نوعين من الإرادة : إرادة كلية وإرادة جزئية.

فيطلق على المباشرة الضئيلة العائدة للإنسان صفة الكسب، أو الإرادة الجزئية، أو المشيئة الإنسانية، ويطلق على ما يعود إلى الله تعالى صفة الخلق، أو الإرادة الكلية، أو الإرادة التكوينية[٣].

ويستعرض العلاقة بين القدر والمشيئة الإلهية من خلال: القرآن الكريم، والسنة النبوية، وبيان معنى الأمر الكوني والأمر الشرعي، وتفصيل ذلك على النحو التالي:

١- المشيئة الإلهية في الآيات الكريمة:

ويرى (كولن) أن كلمة شاء، يشاء، مشيئة، تعني الإرادة، وهي من الكلمات الواردة في القرآن بكثرة، وعلاقة المشيئة الإلهية بالقدر تضفي على القدر بعدا آخر، أو هي (البعد الثالث للقدر) كما يرى (كولن)، فإن المشيئة الإلهية هي الأصل في وقوع الحوادث، وظهور الأشياء واستدل على ذلك:

أ- ﴿ وَلَا تَقُولَنَّ لِشَاْىْءٍ إِنِّي فَاعِلٌ ذَٰلِكَ غَدًا ﴿٢٣﴾ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ ﴾ [٤].

فيرى (كولن) أنه عندما يعزم الإنسان على شيء ليفعله عليه أن يتخذ المشيئة الإلهية أساسا له، ويربطه بإرادته سبحانه، فلا يمكن أن تقوم بشيء ما لم يشأ هو سبحانه، وذلك يذكرنا بحديث سليمان: "لأطوفن الليلة بمائة امرأة تلد كل امرأة غلاما يقاتل في سبيل الله، فقال له الملك: قل إن شاء الله فلم يقل، ونسي فأطاف بهن، ولم تلد منهن إلا امرأة نصف إنسان قال النبي- ﷺ-: "لو قال إن شاء الله لم يحنث، وكان أرجى لحاجته"[٥].

١- القدر في ضوء الكتاب والسنة ص ٦٢.

٢- القدر في ضوء الكتاب والسنة ص ٦٢.

٣- ينظر: كولن: أسئلة العصر المحيرة ص٣٦ ص ٣٧.

٤- سورة الكهف. الآية٢٤ .

٥- أخرجه البخاري في صحيحه، باب قول الرجل: لأطوفن على نسائي، كتاب النكاح (ج ٧ص ٣٩ رقم ٥٢٤٢).

فعلى الإنسان أن يدرك أنه ليس بمقدور أحد فعل شيء - ولو حمل قشة صغيرة- ما لم يشأه سبحانه. فكل الجهود تذهب هباء إن لم تتعلق الإرادة الإلهية بهذا الشيء، ولكن كثيرا ما يلطف بنا سبحانه فيقبل الأسباب – هكذا تجري العادة الإلهية- وإرادة الإنسان بمثابة دعاء وهكذا المشيئة الإلهية تتعلق بكل شيء وبكل أجزاء الحوادث، وكل صفحات الحياة.

ب- وقال تعالى:﴿ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَا ٱقْتَتَلُواْ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ ﴾ [١]، فلولا مشيئة الله إذن لما قدرتم على القيام بعمل شيء مهما كان، فلو شاء الله ما تقاتلتم ولكن لأنكم تتقاتلون فإن أعمالكم الإيجابية والسلبية مرتبطة بمشيئة الله كليا فما شاء الله كان ولا يسأل عما يفعل، فالقاعدة المقررة في ذلك حديث النبي- ﷺ- "ما شاء الله كان، ومالم يشأ لم يكن "[٢].

يقول (كولن) معلقا على الحديث: "فما شاء الله كان، ويحظى بالوجود، وما لم يشأ(أي ما شاء ألا يكون) لا يكون"، وهنا أمر ملفت للنظر، وهو تعلق مشيئته سبحانه بالعدم، ولهذا ما شاء الله كان وما يشأ ألا يكون لا يكون، نعم إن المشيئة الإلهية تتعلق بالوجود والعدم، وإلا ليس الأمر كما يقول البعض: إن المشيئة إذا تعلقت بشيء يكون وإن لم تتعلق لا يكون فهذا الأمر خطأ في الفهم فليس هناك عدم تعلق المشيئة الإلهية بشيء إطلاقا؛ لأن العدم كالوجود في قبضة مشيئته سبحانه"[٣].

إذن يرى (كولن) أن مشيئة الله تتعلق بالوجود والعدم ويفسر الحديث فيقول: (ما شاء الله كان وما شاء ألا يكون لا يكون) .

وبعد ذكر عدد من الآيات الكريمة يؤكد نفس المعنى فيقول: "إن المشيئة الإلهية قد أحاطت بالحياة كلها دقها وجلها، فمشيئته سبحانه قد أحاطت بكل شيء، بل حتى العدم عبارة عن تجلي المشيئة في تلك الجهة"[٤].

٢- المشيئة الإلهية في الأحاديث الشريفة:

استعرض (كولن) عددا من الأحاديث في بيان أن مشيئة الله هي كل شيء، بل هي الأساس، ولا دخل لأحد فيها غير الله سبحانه من هذه الأحاديث:

أ- "عن ابن عباس أن رجلا قال للنبي-ﷺ- ما شاء الله وشئت فقال له النبي- ﷺ-أجعلتني والله عدلا؟ بل ما شاء الله وحده"[٥].

١- سورة البقرة الآية:٢٥٣.

٢- والحديث أخرجه أبو داود والنسائي .ينظر: أبو داود سليمان بن الشعث السجستاني: سنن ابي داود، باب(ما يقول إذا أصبح أبواب النوم ج ٧ ص ٤٠٩ رقم ٥٠٧٥)، وقال الألباني: ضعيف، وينظر: أبو عبد الرحمن أحمد بن شعيب النسائي: السنن الكبرى(ص ١٤٠/٩ رقم ٩٧٥٦) كتاب عمل اليوم والليلة، تحقيق: حسن عبد المنعم شلبي، إشراف: شعيب الأرنؤوط، تقديم: عبد الله بن عبد المحسن التركي مؤسسة الرسالة – بيروت، ط: الأولى ٢٠٠١م.

٣- كولن: القدر ص ٦٩.

٤- كولن: القدر ص ٧٥.

٥- أخرجه أحمد في مسنده باب مسند عبد الله بن عباس ص ٣/ ٣٣٩ رقم ١٨٣٩ وقال شعيب الأرناؤوط: صحيح لغيره، وفيه الأجلح يحيي بن عبد الله الكندي مختلف فيه. وقال الألباني: الأجلح صدوق شيعي وبقية=

ب- عن أنس قال: " كان النبي- ﷺ- يكثر أن يقول يا مقلب القلوب ثبت قلبي على دينك فقلت: يا رسول الله آمنا بك وبما جئت به فهل تخاف علينا؟ قال: نعم إن القلوب بين إصبعين من أصابع الله يقلبها كيف يشاء"[١].

٣- الأمر الجبري والأمر الشرعي:

يقول الله سبحانه: ﴿ أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ ۗ تَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾[٢]، فيرى (كولن) أن أمر الله على قسمين:

الأول: الأمر الكوني (الجبري أو التقديري).

الثاني: الأمر الديني أو الشرعي.

والأمر الجبري هو الحاكم في الكون فما يخلقه الله سبحانه فهو بالأمر الجبري، فلا دخل لأحد قط في هذا الأمر، فالكل مضطرون إلى الطاعة والخضوع والانقياد لهذا الأمر، أما الأمر الديني أو الشرعي فهو أيضا موجه إلينا، ولكن إنفاذ هذه الأوامر أو عدم إنفاذها منوط بالإرادة الإنسانية التي أعطيت لها صلاحية نسبية مع أنها ليست لها وجود ذاتي.

وعندما نفهم هذين الأمرين نفهم معاني ومحتوى الأوامر الواردة في القرآن الكريم والتي يبدو فيها اختلاف ظاهري.

فحينما تتعلق الإرادة الإلهية بالآيات التكوينية(القوانين الكونية) تظهر الأشياء والحوادث إلى الوجود، أما في الأمر الشرعي، فقد أمر الله سبحانه بما يريد عمله، وبما يرضى عنه ففي كلا الأمرين هناك مشيئته ورضاه[٣].ولكن هناك أمور لا يرضى عنها رغم أن في أساسها مشيئة، كالكفر، والآثام، والسيئات بأنواعها ﴿ وَلَا يَرْضَىٰ لِعِبَادِهِ ٱلْكُفْرَ ۖ ﴾ [٤]، فالله يخلق الفساد، وتتعلق إرادته به ولكن لا يرضى عنه وبذلك يمكننا أن نفهم بعض الآيات بصورة أوضح من خلال هذا التقرير كقوله﴿ وَإِذَآ أَرَدْنَآ أَن نُّهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُوا۟ فِيهَا فَحَقَّ عَلَيْهَا ٱلْقَوْلُ فَدَمَّرْنَٰهَا تَدْمِيرًا ﴾ [٥] أي إذا أردنا أن ندمر بلدة أو حضارة نسلط عليها سفاءهم وأسافلهم، فالأمر هنا أمر تكويني وليس شرعيا؛ لأن الله لا يأمر قطعا المترفين

=رجاله ثقات رجال الشيخين فالإسناد حسن. ينظر: سلسلة الأحاديث الصحيحة وشيء من فقهها ص ١/ ٢٦٦ رقم ١٣٩.

١- أخرجه الترمذي في سننه باب ما جاء أن القلوب بين إصبعي الرحمن، كتاب أبواب القدر ص ٤/ ١٦ رقم ٢١٤٠ وقال: حديث حسن.

٢- سورة الأعراف الآية: ٥٤.

٣- ينظر: كولن: القدر ص٨١.

٤- سورة الزمر الآية : ٧.

٥- سورة الإسراء آية: ١٦.

بأمر شرعي ليقترفوا الموبقات، والدليل على ذلك ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَأۡمُرُ بِٱلۡفَحۡشَآءِۖ ﴾[1]، أما التوفيق بين الآيتين فهو أن الأمر في الأولى أمر تكويني، وفي الثانية أمر شرعي[2].

ويرى (كولن) أن منشأ الضلال في التسوية بين المشيئة والإرادة، وبين المحبة والرضا، فالجبرية ترى أن الكون بقضائه وقدره فيكون محبوبا مرضيا له، والقدرية ترى أن المعاصي ليست محبوبة لله ولا مرضية له، فليست بقدره فهي خارجة عن مشيئته وخلقه[3].

ويشير (كولن) إلى أن سبب ضلال الجبرية والمعتزلة هو الخلط بين الأمر الجبري والشرعي، "فالمشيئة الإلهية هي الأساس في كلا الأمرين التكويني والشرعي، ولكن في الأمر الشرعي أعطيت لإرادة العبد مرتبة، وهي عدها كشرط عادي فإن لم تتعلق به المشيئة فلا يوجد شيء قطعا ولكن الأشياء التي لها وجود خارجي ليست على هذا النمط حيث تتعلق المشيئة الإلهية حتى بالأمور السيئة والقبيحة إلا أنه سبحانه لا يرضى بها ولهذا يعاقب العبد على ما ارتكب من سيئات" [4].

وبعد هذه الجولة حول القدر والمشيئة الإلهية يخلص كولن إلى: " أن الله سبحانه يعلم بعلمه المحيط بكل شيء، كل ما سنفعله في الآتي، ويعين ما يعلمه، ويقدره، ويسجله في اللوح المحفوظ على شكل خطة، ثم يسجل الملائكة الكرام أعمالنا في كتب، ويكون الكتابان مطابقين تماما، ولا شك أن مشيئة الله هي النافذة في كل ذلك فنحن أهل السنة والجماعة نعتقد بأن ما شاء الله كان ومالم يشأ لم يكن"[5].

وتعليقا حول هذه المسألة (علاقة المشيئة الإلهية بالقدر) يمكن القول:

أ- يرى (كولن) أن هناك نوعين من الإرادة: كلية وجزئية، فالكلية هي مشيئة الله تعالى والجزئية هي إرادة الإنسان أو الكسب البشري .

ب- المشيئة الإلهية هي البعد الثالث للقدر وهي الأصل في وقوع الحوادث وظهور الأشياء وتتعلق بكل شيء الوجود والعدم.

ج- هناك نوعان من الأمر الإلهي :

أمر كوني جبري تقديري لا دخل لأحد فيه والكل منقاد وخاضع له.

أمر ديني شرعي موجه إلينا ولكنه منوط بإرادة الإنسان في انفاذه أو عدم انفاذه رغم كونها نسبية إلا أن الله جعلها شرطا في وقوع الفعل.

١- سورة الأعراف الآية: ٢٨.

٢- ينظر: القدر ص ٨١- ٨٣.

٣- كولن: القدر ص١٨٧.

٤- ينظر: كولن: القدر ص ٨٣.

٥- كولن: القدر ص ٨٧

إذا تعلقت الإرادة الإلهية بالآيات التكوينية تظهر الأشياء إلى الوجود، أما الأمر الشرعي فقد أمر بما يريد عمله وبما يرضى عنه، وهناك أمور لا يرضى عنها رغم أنها مشيئته كالكفر والفساد .

وعلى هذا تتعلق مشيئته تعالى بالخير والشر والقبائح فهي تعم كل شيء ولكن إرادته تعالى تغاير الرضا والمحبة والأمر فمع كون الشر والقبائح متعلق بمشيئته الكونية إلا أنه لم يأمر به شرعا ولم يرضه ولم يحبه. وهنا ثلاثة أمور سألقي عليها الضوء بالمقارنة مع آراء العلماء.

الأمر الأول: عموم المشيئة التكوينية :

المشيئة أو الإرادة الكلية تتعلق بكل شيء وتتقدم كل شيء ولذا هناك فرق بينها وبين الإرادة المخصصة للممكنات ، يقول الأمير عبد القادر: "والحق أن إرادته تعالى هي تعلق الذات بتخصيص أحد الجائزين للممكن على التعيين، كما أن مشيئته تعلق الذات بالممكن من حيث تقدم العلم قبل كون الممكن"[١].

ومن هنا يمكننا أن نفهم لما كانت الأولى(المشيئة) متعلقة بكل شيء- الوجود والعدم كما يقول كولن- ، والثانية بتخصيص أحد طرفي الممكن بالوجود أو بالعدم، وهو ما شاع عند المتكلمين في الحديث عن تعلقات الإرادة، وكونها تتعلق بالممكن دون المستحيل[٢].

الأمر الثاني: تعلق الإرادة بالخير والشر:

أ- يرى المعتزلة أن إرادة الله تتعلق بالخير لا بالشر والقبائح[٣]، فالله لا يفعل القبيح: "لأن فاعل ذلك مذموم، ناقص، سخيف في العقول، ظالم فإن كان تعالى هو الفاعل لكل ظلم لوجب ذمه، وأن يوصف بأنه ظالم، وهذا كفر من قائله...وأيضا فلو كانت هذه الأفاعيل الله خلقها لبطل الأمر والنهي، وبعثة الأنبياء، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وقبحت المساءلة والمحاسبة والمعاقبة؛ لأنه تعالى لا يجوز أن يأمر بما لا يفعله، وينهى عما خلقه"[٤] .

ب- اتفق أهل السنة جميعا على أن الله يريد الخير والشر، فإرادته تشمل كل ما في الكون، وهذا هو رأي (الأشعري) في اللمع إذ يقول: "فقد دلت الدلالة على أن الله خالق كل شيء حادث، ولا يجوز أن يخلق ما لا يريده"[٥]، ومعنى قضاء الله بالمعاصي وتقديرها عنده أي خلقها، وكتبها، وأخبر عنها لا بمعنى أنه أمر بها، ومعنى أن الشر من الله أي: خلقه شرا لغيره لا له كما يقول الأشعري[٦].

١- الأمير عبد القادر الجزائري: المواقف المجلد الثاني ص ١١٢١.

٢- ينظر: ابن فورك مقالات الشيخ أبي الحسن الأشعري ص ٧٩، وحاشية الباجوري ص ١٤٤، وشرح المقاصد ص المجلد الثالث ص ٢٠٢ المسامرة ص ١١٩ والبياضي في إشارات المرام ص ١٥٤.

٣- ينظر: القاضي عبد الجبار: المختصر في أصول الدين (رسائل العدل والتوحيد) ج ١ ص٢٥٤.

٤- القاضي عبد الجبار: المختصر في أصول الدين (رسائل العدل والتوحيد) ج ١ ص ٢٣ .

٥- الأشعري: اللمع ص.٤٨.

٦- ينظر: الأشعري: اللمع.ص ٨٤.

يقول الجويني: "فمذهبنا أن كل حادث مراد لله تعالى حدوثه، ولا يختص تعلق مشيئة الباري بصنف من الحوادث دون صنف، بل هو تعالى مريد لوقوع جميع الحوادث خيرها وشرها نفعها وضرها"[١].

وهو ما ذهب إليه الماتريدية ومنه قولهم: "فهو تعالى مريد لما نسميه شرا من كفر وغيره كما هو مريد للخير، ولو لم يرده لم يقع"[٢].

٢- يرى الفلاسفة أن الشر يدخل في القضاء الإلهي، وهو ضرورة لوجود الخير فوجود الخير يقتضي وجود بعض الشرور، ومع ذلك فهي قليلة مقارنة بما اقتضته العناية من خير، فيقول ابن سينا "فما كان يحسن أن تترك المنافع الكثرية والدائمة لأغراض شرية أقلية فأريدت الخيرات الكائنة عن هذه الأشياء إرادة أولية على الوجه الذي يصلح أن يقال: إن الله تعالى يريد الأشياء، ويريد الشر أيضا على الوجه الذي بالعرض إذ علم أنه يكون ضرورة فلم يعبأ به، فالخير مقتضى بالذات، والشر مقتضى بالعرض وكل بقدر"[٣].

إذن يتفق الفلاسفة مع المتكلمين في أن إرادته تعالى تتعلق بالخير والشر ولكن عند الفلاسفة ليسوا سواء، فالخير يريده بالأصل، وإنما خلق الشر ضرورة من أجل الخير، فوجوده عرضيا تابعا للجوهر، وهو الخير وهو الأعم من الشر في الوجود كما يقولون.

ويتفق (فتح الله كولن) مع أهل السنة كما أوضحت؛ إذ يرى أن الله خالق الخير والشر يرضى بالخير، ولا يرضى بالشر، وأن الإنسان هو المريد للشر، وحينما يريد الشر، فهو سبحانه يخلقه له[٤] فهو مريد لهما إرادة كونية ولكنه شرعا يرضى بالخير لا بالشر؛ ولذا امر بالخير دون الشر.

الأمر الثالث: تعلق الإرادة بالرضا والمحبة:

أ- يرى المعتزلة أن الإرادة والرضا والمشيئة بمعنى واحد أي: "ما أراده الله تعالى من العبد فهو يحبه، ويرضاه، ويشاؤه، ويختاره، فكل ذلك بمعنى واحد"[٥].

يقول القاضي عبد الجبار: "إنه يريد كل مراد من أفعال عباده، فإنما يريد منها ما أمر وحث عليه دون المعاصي والمباحات...؛ لأنه قد نهى عن المعاصي، فلا يجوز أن يكون مريدا لها، وقد ثبت أنه ساخط لها، وعلى فاعلها، فلا يجوز أن يريدها كما لا يجوز أن يحبها"[٦].

١- الجويني: الإرشاد.ص ٢٣٧.

٢- كمال الدين محمد بن أبي شريف المسامرة شرح المسايرة في العقائد المنجية في الآخرة لكمال الدين محمد المعروف بابن الهمام والنص من المسايرة ص١١٩.

٣- ابن سينا: النجاة في المنطق والإلهيات ج ٢ ص ١٤٩ .

٤- ينظر: القدر ص٤٩.

٥- القاضي عبد الجبار: المختصر في أصول الدين من رسائل العدل والتوحيد ص ٢٥٤ج ١.

٦- القاضي عبد الجبار: المختصر في أصول الدين ص ٢٢٧.

فالإرادة عند المعتزلة: تتعلق بالأمر والرضا والمحبة، فالله لا يأمر إلا بما يريد ويحب، ويرضى، ولا ينهى إلا عن ما لا يريده، ولا يحبه، ولا يرضاه.

ب- يرى الأشاعرة أن الإرادة ترادف المشيئة- وهو مذهب الجمهور- وتغاير الرضا: "فالرضا ترك الاعتراض، والله يريد الكفر للكافر، ويعترض عليه ويؤاخذه به...فالرضاء أعني ترك الاعتراض يغاير الإرادة"[١] .

وكذا تغاير الإرادة الأمر: "بمعنى أنها ليست عينه، ولا مستلزمة له، فقد يريد ويأمر كإيمان من علم الله منهم الإيمان، فإنه تعالى أراده منهم، وأمرهم به، وقد لا يريد ولا يأمر، كالكفر من هؤلاء، فإنه تعالى لم يرده منهم، ولم يأمرهم به، وقد يريد، ولا يأمر، كالكفر ممن علم الله عدم إيمانهم ...وقد يأمر ولا يريد كإيمان هؤلاء"[٢].

ج- يرى الماتريدية أن لا تلازم بين الإرادة والرضى والمحبة، أي أن الإرادة لا تستلزم الرضى والمحبة، بل الإرادة أعم منهما وذلك؛ لأن الكفر غير مرضي، وهو مراد لله ولا تلازم بين الإرادة والأمر كذلك، فقد يأمر بما لا يريده [٣]، وذلك واضح في كتاب الله ﴿ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلْفَسَادَ ﴾[٤]، ويقول: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلتَّوَّٰبِينَ وَيُحِبُّ ٱلْمُتَطَهِّرِينَ ﴾ [٥] وقال في المشيئة: ﴿ مَن يَشَإِ ٱللَّهُ يُضْلِلْهُ وَمَن يَشَأْ يَجْعَلْهُ عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾ [٦]، وغير ذلك مما يوجب يوجب تخصيص المحبة والرضا، وتعميم المشيئة والإرادة، ويؤكد كلامه بأن الرجل قد يعقل ما لا يرضى به ولا يحبه، ومحال فعل ما لا يريده[٧].

ويقول (أبو معين النسفي): "والحاصل عندنا أن كل حادث حدث بإرادة الله تعالى على أي وصف كان ثم ما كان من ذلك طاعة، فهو بمشيئته، وإرادته، ورضاه، ومحبته وأمره، وقضائه وقدره، وما كان معصية فهو بمشيئة الله تعالى وإرادته وقضائه وقدره، وليس بأمر الله ولا برضاه ومحبته وذلك؛ لأن محبته ورضاه يرجع إلى كون الشيء عنده مستحسنا"[٨].

١- شرح المواقف المجلد الرابع ص ١٩٨. وينظر حاشية الإمام البيجوري على جوهرة التوحيد المسمى تحفة المريد على جوهرة التوحيد ص ١٢٥.

٢- حاشية الإمام الباجوري على جوهرة التوحيد ص ١٢٤ .

٣- أبو عذبة(الحسن بن عبد المحسن): الروضة البهية فيما بين الأشاعرة والماتريدية ص٢٦ مطبعة مجلس دائرة المعارف بالهند بحيدر آباد ط الأولى ١٣٢٢هـ. شيخ زادة: نظم الفرائد ص ٢٦٧.كمال الدين بن أبي شريف المسامرة شرح المسايرة لابن الهمام ص ١٢٣.

٤- سورة البقرة الاية:٢٠٥.
٥- سورة البقرة الآية: ٢٢٢.
٦- سورة الأنعام الآية: ٣٩.
٧- أبو منصور الماتريدي: كتاب التوحيد ص ٢٩٧.

٨-أبو معين النسفي: تبصرة الأدلة ص ٦٩٠.

وفي النهاية يتفق أهل السنة على أن الله وإن كان هو الخالق لكل شيء في الحقيقة إلا أنه يضاف إليه ما كانت الإضافة إليه تخرج مخرج التعظيم كالخير والهداية، أما غير ذلك من الشر والقبائح، فلا يضاف إليه، وإن كان في الحقيقة خلقه[١].

ويتفق (كولن) مع أهل السنة في عموم إرادته تعالى لكل شيء - الخير والشر-، ولكن يضاف الخير إلى الله دون الشر والقبائح، وكذا يتفق معهم في ترادف الإرادة والمشيئة، وكذا في تغاير الإرادة للرضا والمحبة والأمر- كما أوضحت سابقا-، ويتفق (كولن) في هذا أيضا مع صاحب العقيدة الطحاوية، فالإرادة عنده – أيضا- نوعان:

النوع الأول: إرادة قدرية كونية وهي المشيئة الشاملة لجميع الموجودات.

والثاني: إرادة شرعية دينية وهي المتضمنة المحبة والرضا ، ويقرر ذلك بقوله: "الله يريد الكفر، ويشاؤه، ولا يرضاه، ولا يحبه، فيشاؤه كونا، ولا يرضاه دينا"[٢]..

رابعا: القضاء والقدر من حيث الخلق: [٣]

يقول كولن: "إن الله خالق كل شيء.. ونحن وأعمالنا داخلون في ذلك الشيء واستدل بأدلة منها:

١- قوله تعالى: ﴿ وَٱللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ ﴾[٤] .

٢- قول الرسول - ﷺ- :"إن الله تعالى صانع كل صانع وصنعته"[٥].

٣- وفي دعاء الاستخارة: "اللهم إني أستخيرك بعلمك، واستقدرك بقدرتك"[٦].

فالرسول هنا يعلمنا بعض أسرار القدر، وأنه لا يوصلنا إلى الخير، ويدفع عن الشر إلا الله القدير.

٤- وفي دعاء آخر يذكر أنه خالق الأفعال كما هو خالق كل شيء؛ إذ يقول: "اللهم لا مانع لما أعطيت، ولا معطي لما منعت، ولا ينفع ذا الجد منك الجد"[٧].

١- ينظر : الإمام الأشعري: اللمع ص٨٤. أبو منصور الماتريدي: كتاب التوحيد ص٣١٢

٢- شرح العقيدة الطحاوية.ص١٨٥.

٣- سيكون هناك مطلب خاص لبيان آراء المتكلمين في أفعال العباد .

٤- سورة الصافات الآية:٩٦.

٥- أخرجه البيهقي في شعب الإيمان، باب القدر خيره وشره من الله (عز وجل) (ج ١ ص ٣٦٣ رقم ١٨٧)، حققه وراجعه: الدكتور/ عبد العلي عبد الحميد حامد، وأشرف على تحقيقه وتخريجه أحاديثه: مختار أحمد الندوي .مكتبة الرشد بالرياض بالتعاون مع الدار السلفية ببومباي بالهند، ط: الأولى١٤٢٢هـ - ٢٠٠٢م.

٦- أخرجه البخاري في صحيحه، باب ما جاء في التطوع مثنى مثنى، كتاب الجمعة، (ج ٢ ص ٥٦ رقم ١١٦٢).

٧- أخرجه البخاري ومسلم، ينظر: صحيح البخاري باب الذكر بعد الصلاة، كتاب الأذان (ج ١ ص ١٦٩)، رقم رقم ٨٤٤، وصحيح مسلم، باب ما يقول إذا رفع رأسه من الركوع، كتاب الصلاة ج ١ ص ٣٤٧ رقم ٤٧٧ .

وهنا ندرك أنه لا راد لقضاء الله سبحانه؛ لذا فليس لنا من الأمر شيء إلا الميل والتوجه نحو الفعل بإرادتنا كما يقول (كولن)[1].

وهو نفس مذهب الماتريدية كما سنذكر لاحقا في مبحث أفعال العباد.

من خلال ما سبق يتبين التالي :

أولا: أن (فتح الله كولن) كان متوافقا مع جمهور أهل السنة - وخاصة الماتريدية- عدا مسائل قليلة كان له رأي مختلف واجتهاد خاص.

ثانيا: من الملاحظ في طريقته أنها مناسبة لكافة الطبقات - المتخصص وغيره- فهو يخاطب العامي من الناس كما يخاطب المتخصص كل بلغته، فالأسلوب واضح والألفاظ مناسبة للعصر .

ثالثا: لا يطيل في عرض أدلته والأخذ والرد عليها كما هي طريقة المتكلمين المليئة بشيء من التعقيد، واستخدام المنهج الجدلي الذي نقده غير واحد من المجددين كالنورسي.

ولا يستخدم الأدلة النظرية الجدلية، بل يركز على الأدلة العقلية العملية المرتبطة بالواقع والزمان الذي نحياه، والجمهور الذي يخاطبه. فأسلوبه وخطابه ليس متعاليا عن الفهم ولكنه مفعم بالروح والحيوية ؛لأنه صاحب دعوة يريد أن يوقظ الأمة ويصحح عقيدتها، وليس منظرا أكاديميا فحسب كغيره من العلماء .

رابعا: يكثر من استخدام اللغة العلمية، ومخرجات العلم الحديث في خدمة قضايا العقيدة، وهذا وجه من أوجه التجديد.

خامسا: الفهم الجديد للقرآن والاسترشاد به في كل مسألة، وهو في هذا ليس مفسرا بالمعنى المتعارف عليه، بل مجددا يستقي من القرآن بفهم وبنظرة المفكر والعارف.

سادسا: يركز على الأبعاد التربوية للقضية، فمثلا عندما يتحدث عن الإيمان بالقدر يؤكد في كل جزء على قيم تربوية يريد غرسها في الإنسان، مثل: الإيمان بأن الحسنات من الله ينقذ المؤمن من الغرور، ويربي فيه خلق التواضع، وكونه محاسبا على الفعل تربي فيه الشجاعة، و تحمل المسئولية، وأن واجبه الرضا بالقضاء؛ لأن قضاءه عدل وحكمة وإن كنا نجهل ذلك.

سابعا: عدم تقسيم الموضوعات كطريقة المتكلمين، فمسمياته تتسم بالجدة والوضوح.

١- ينظر: القدر. ص٨٧.، ٨٨.

المطلب الثاني: أفعال الله تعالى:

تمهيد:

أولا: هذا المطلب يبحث في قضية الهداية والضلال، والأرزاق، والآجال، وهذه المسائل يسميها المتكلمون تفاريع الأفعال؛ لأنها شديدة الصلة بمبحث أفعال العباد وسنرى أن المتكلمين نظروا إلى هذه الأمور كمبحث عقلي واستخدموا المنهج الجدلي كسائر الموضوعات التي طرقوها - مع أنهم استدلوا بالنقل- ، ولكن لم تنتقل إلى ساحة القلب والعمل في الحياة أما (فتح الله كولن)، فكان أكثر مخاطبة للوجدان متوجها إلى عامة المؤمنين، وليس المتخصصين فقط ، فاستخدم العقل والنقل والوجدان لإيقاظ الإيمان في النفوس، وأكد على الجوانب العملية التطبيقية كذلك.

وأرى أن هذا من محاور التجديد في فكر (كولن) فهو وإن كان مستوعبا لآراء المتكلمين إلا أنه يعرض القضية بشكل عصري يتلاءم مع العقول والأفهام المختلفة مسترشدا بالقرآن الكريم والحديث، وإيراد الأمثلة، والوقائع المختلفة؛ لتأييد فكرته.

ثانيا: ما مصدر الحسن والقبح، وهل أفعال الله توصف بالحسن والقبح؟.

١- عند المعتزلة: الحسن والقبح عقليان فالحسن ما حسنه العقل والقبيح ما قبحه العقل، "أي أن الأفعال تكون حسنة أو قبيحة سواء من الشاهد أو من الغائب وبالتالي ما يحسن فعله من الإنسان يحسن فعله من الله وما يقبح كذلك"[١].

فالمعتزلة أوجبت على الله أمورا (الحسنة عقلا)، ولم توجب عليه أخرى (القبيحة عقلا)طبقا لموقفهم من الحسن والقبح .

فالعدل عند المعتزلة: "هو العلم بتنزيه الله (عز وجل) عن كل قبيح، وأن أفعاله كلها حسنة، وتفسير ذلك أن جميع أفعال العباد من الظلم والجور، وغيرهما لا يجوز أن تكون من خلقه، ومن أضاف ذلك إليه، فقد نسب إليه الظلم والسفه"[٢].

٢- عند أهل السنة: الحسن والقبح شرعيان فالحسن: ما حسنه الشرع، والقبيح: ما قبحه الشرع، يقول الإمام الجويني: "العقل لا يدل على حسن شيء ولا قبحه في حكم التكليف، وإنما يتلقى التحسين والتقبيح من موارد الشرع...فالمعنى بالحسن ما ورد الشرع بالثناء علي فاعله، والمراد بالقبيح ما ورد الشرع بذم فاعله"[٣].

ويقول التفتازاني: "الحسن منها أي من أفعال العباد: وهو ما يكون متعلقه المدح في العاجل والثواب في الآجل، والقبيح منها : ما يكون متعلقه الذم في العاجل والعقاب في الآجل"[٤].

١- ينظر: أ د/ أحلام إبراهيم الصياد: أفعال الله تعالى في ضوء تحسين العقل وتقبيحه عند المعتزلة وأهل السنة ص ٤ مكتبة الفرسان.

٢- القاضي عبد الجبار: الأصول الخمسة المنسوبة للقاضي عبد الجبار ص ٦٩ .

٣- إمام الحرمين الجويني :الإرشاد إلى قواطع الأدلة في أصول الاعتقاد ص ٢٥٨ .

٤- سعد الدين التفتازاني: شرح العقائد النسفية للعلامة ص ٥٩ .

وأفعال الله توصف بالحسن أبدا ولا توصف بالقبح اتفاقا عند أهل السنة[١]؛ لأن الحسن ما أمر الله بفعله والقبيح ما نهى عنه.

٣- رأي الفلاسفة:

يرى (ابن رشد) أن الحسن والقبح معروف في نفسه لا بالشرع، وينتقد الأشاعرة في ذلك، فيقول: "فإن العدل معروف بنفسه أنه خير، وأن الجور شر ... فإن الله قد وصف نفسه في كتابه بالقسط، ونفى عن نفسه الظلم، فقال تعالى: ﴿ شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَأُوْلُواْ ٱلْعِلْمِ قَآئِمَۢا بِٱلْقِسْطِۚ ﴾[٢].

والفلاسفة تتفق مع المعتزلة في اعتبار الحسن والقبح ذاتيان كما هو واضح.

وكذا في عدم وصف الله بالظلم والجور؛ ولذا يؤولون آيات الهداية والإضلال فالله نفى عن نفسه الجور، ولم يرض لعباده الكفر بمعنى أنه لن يضلهم، فيقول ابن رشد: "أما قوله تعالى﴿ يُضِلُّ مَن يَشَآءُ وَيَهْدِى مَن يَشَآءُۚ ﴾ [٣] فهي المشيئة السابقة التي اقتضت أن يكون في أجناس الموجودات خلق ضالون، أعني مهيئين للضلال بطبائعهم، ومسوقين إليه بما تكتنفهم من الأسباب المضلة من داخل ومن خارج"[٤].

ومع ذلك فالضلال قليل والخير والهداية أكثر؛ ولذا فوجود قليل من الشر خير من إعدام الخير كله كما يرى (ابن رشد) .

وما ذهب إليه (ابن رشد) هو نفس رأي (ابن سينا) أيضا في النجاة[٥].

ثالثا: هل يجب على الله شيء؟.

١- عند المعتزلة:

يجب على الله الثواب، والعقاب، والصلاح، والأصلح، واللطف، والعوض؛ ولذا كان موقفهم في كثير من القضايا مبني على أصلهم هذا كما سنرى .

يقول القاضي (عبد الجبار) عن الوعد والوعيد: "العلم بأن كل ما وعد الله به من الثواب لمن أطاعه وتوعده من العقاب لمن عصاه، فسيفعله لا محالة، لا يبدل القول لديه، ولا يجوز الخلف في وعده ووعيده، ولا الكذب في الإخبار به"[٦].

٢- عند أهل السنة:

١- ينظر: الجرجاني: شرح المواقف، المجلد الرابع ص ٢٠١. .

٢- سورة آل عمران: الآية ١٨.ابن رشد: مناهج الأدلة في عقائد الملة ص ٢٣٥ .

٣- سورة النحل الآية: ٩٣.

٤- ينظر: ابن رشد: مناهج الأدلة في عقائد الملة ص ٢٣٥.

٥- ينظر: ابن سينا: النجاة في المنطق الإلهيات ج ٢ ص ١٤٩ .

٦- القاضي عبد الجبار: الأصول الخمسة المنسوبة للقاضي عبد الجبار ص ٧٠ .

لا يجب على الله شيئا، فالثواب فضل، والعقاب عدل، وسائر أفعاله تعالى غير معللة بعلة أو غرض، جاء في الجوهرة: "ليس على الله تعالى واجب من فعل أو ترك؛ لأنه تعالى فاعل بالاختيار، ولو وجب عليه فعل أو ترك لما كان مختارا؛ لأن المختار هو الذي إن شاء فعل، وإن شاء ترك"[١].

فالأشاعرة يجيزون عقلا أن يعذب الله المطيع، ويثيب العاصي لا شرعا، أما الماتريدية، فلا يجيزون ذلك لا عقلا ولا شرعا[٢].

فجميع أهل السنة متفقون على أن الله منفذ وعده لا محالة أما الوعيد فاختلفوا:

أ- أما الأشاعرة فيرون أن الله مخير بين إنفاذ وعيده أو العفو، وهذا من باب الكرم والتفضل.

ب- وترى الماتريدية بوجوب إنفاذ وعيده كذلك.

جاء في الجوهرة: "فالخلف في الوعد نقص يجب تنزيه الله عنه، وهذا متفق عليه عند الأشاعرة والماتريدية، وأما الوعيد فيجوز الخلف فيه عند الأشاعرة؛ لأن الخلف فيه لا يعد نقصا، بل يعد كرما يمتدح به"[٣].

وكذا لا يجب عليه تعالى فعل الصلاح والأصلح لعباده، جاء في الجوهرة: "لو وجب عليه تعالى الصلاح والأصلح لعباده لما خلق الكافر الفقير المعذب في الدنيا بالفقر، وفي الآخرة بالعذاب الأليم المخلد؛ لأن الأصلح له عدم خلقه، وإن خلق فالأصلح له إماتته صغيرا أو سلب عقله قبل التكليف"[٤].

وترى الماتريدية أن : " ما هو الأصلح للعبد فليس بواجب على الله تعالى وإلا لما خلق الكافر الفقير المعذب في الدنيا والآخرة، ولما كان منه منة على العباد"[٥].

فلا وجوب على الله تعالى، بل كل أفعاله فضل كالهداية والتوفيق وغيرهما.

و(فتح الله كولن) مع الجمهور في كل ذلك، فيقول مثلا في الهداية والضلال: "أن سبب الهداية والضلال غير مربوط بالاستعداد والقابلية أو الإرادة الإنسانية، بل الهداية أمر متعلق بالمشيئة الإلهية"[٦].

ويرد على المعتزلة في قضية الصلاح والأصلح، ويذكر أن قولهم من البدع التي استحدثت فيقول: "وكذلك التصديق ببعض الأمور المنكرة التي أسندها بعضُ الفِرَق الضالة مثل المعتزلة والجبرية للذات الإلهية، مثل مسألة الصلاح والأصلح، وهي ادّعاء المعتزلة أنّ الله ﷻ يجب عليه فعلُ الأَصْلَح (أي ما هو أفضلُ مصلحةً) أو أنّه مضطر

١- حاشية الباجوري على جوهرة التوحيد ص ١٨٣
٢- ينظر: أبو عذبة: الروضة البهية ص ١٦١.

٣- حاشية الباجوري على جوهرة التوحيد ص ١٧١.
٤- السابق ص ١٨٣.
٥- شرح العقائد النسفية ص ٦٦ .

٦- كولن: القدر في ضوء الكتاب والسنة ص ٨٤

لمراعاة المصلحة والمنفعة في كل شؤونه.. وهذه المسألةُ مردودةٌ بقول الله تعالى ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يَفۡعَلُ مَا يَشَآءُ ﴾ [1]، ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يَحۡكُمُ مَا يُرِيدُ ﴾ [2]، ﴿ لَا يُسۡـَٔلُ عَمَّا يَفۡعَلُ وَهُمۡ يُسۡـَٔلُونَ ﴾ [3].

ولكن من الدقة أن نشير إلى أن معنى الوجوب عند المعتزلة لطفا ورعاية لمصالح العباد، بخلاف وجوب الفلاسفة فهو وجوب إلزام.

هذا وقد طرق (كولن) عدة مسائل تدخل تحت أفعال الله تعالى وهي:

الهداية والضلال- الآجال- التوفيق واللطف- المنح والمنع.

والتفصيل في الصفحات القادمة - إن شاء الله-.

المسألة الأولى: الهداية والضلال:

أولا: رأي الفلاسفة:

يرى (ابن رشد) أن الله موصوف بالعدل دائما منفي عنه الظلم، أما نسبة الإضلال إلى الله إنما معناه أنه خلق أسباب الضلال، يقول (ابن رشد): "كيف ينسب إليه الإضلال مع العدل ونفي الظلم، وأنه إنما خلق أسباب الضلال؛ لأنه يوجد عنها غالبا الهداية أكثر من الإضلال، وذلك أن من الموجودات ما أعطي من أسباب الهداية أسباب لا يعرض منها إضلالا أصلا، وهذه هي حال الملائكة، ومنها ما أعطي من أسباب الهداية أسباب يعرض منها الإضلال في الأقل إذا لم يكن في وجودهم أكثر من ذلك لمكان التركيب، وهذه هي حال الإنسان"[4].

يعنى أن الله قد ركب في طبيعة الإنسان أن يكون بعض الناس وهم الأقل شرا بطبائعهم، والأسباب التي من خارج لحقها أن تكون مضلة للأقل، وإن كانت مرشدة للأكثر، فاقتضت الحكمة وجود هذه الأنواع التي منها بعض الشر حتى لا نعدم الخير الأكثر الأعم المتحصل من وجودهم[5].

ثانيا: رأي أهل السنة:

يتفق أهل السنة ، على أن معنى الهدى والضلال هو خلق الله لهما - بناء على أصلهم أنه الخالق وحده- خلافا للمعتزلة بناء على أصلهم أنه لو خلق فيهم الهدى

---

[1]- سورة الحج الآية ١٨.
[2]- سورة المائدة الآية ١.
[3]- سورة الأنبياء الآية: ٢٣.مقال محور أصول الدين على موقع herkul- arbعلى شبكة الأنترنت بتاريخ ٢٩/ ٤/ ٢٠١٦م.
٤- مناهج الأدلة في عقائد الملة ص ٢٣٧ .

٥- ينظر: مناهج الأدلة في عقائد الملة ص ٢٣٧ .

والضلال لما صح منه المدح والذم والثواب والعقاب، فحملوا الهداية على الإرشاد الى طريق الحق والإضلال على الإهلاك والتعذيب[١].

ويستدل أهل السنة على ما ذهبوا إليه:

١- بقول الله تعالى: ﴿ وَٱللَّهُ يَدۡعُوٓاْ إِلَىٰ دَارِ ٱلسَّلَٰمِ وَيَهۡدِي مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ ﴾[٢].

٢- وقوله: ﴿ وَمَن يُرِدۡ أَن يُضِلَّهُۥ يَجۡعَلۡ صَدۡرَهُۥ ضَيِّقًا حَرَجٗا ﴾ [٣].

٣- وقوله: ﴿ مَن يَهۡدِ ٱللَّهُ فَهُوَ ٱلۡمُهۡتَدِۖ وَمَن يُضۡلِلۡ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡخَٰسِرُونَ ﴾[٤].

يقول الأمام (الجويني): "واعلم أن الهدى في هذه الآي لا يتجه إلا على خلق الإيمان، وكذلك لا يتجه حمل الإضلال على غير خلق الضلال"[٥].

ويقول (التفتازاني): "والله تعالى يضل من يشاء ويهدي من يشاء بمعنى خلق الضلالة والاهتداء؛ لأنه الخالق وحده"[٦].

ثالثا: الهداية عند (فتح الله كولن):

١- معنى الهداية عند فتح الله كولن:

الطريق الصحيح والرشد، وهو طريق الأنبياء، أما الضلالة فهي الطريق المنحرف، وفقدان الطريق الصحيح، والابتعاد عن الاستقامة[٧].

ويشرح (كولن) معنى الهداية فيقول: "والهداية هي تلبية الله (ﷻ) حاجات الإنسان الضعيف الفقير الذي يحتاج إلى أشياء كثيرة بحيث تغطي كل حاجاته ...والهداية هي الدلالة على المقصود فنحن نسال الله (عز وجل) أن يعيينا، و يدلنا على الطريق الصحيح، ويأخذ بأيدينا، ويلطف بنا، ولا يكلنا إلى نزواتنا، وأحاسيسنا طرفة عين ولا يطغينا ولا

١- ينظر: شرح المقاصد المجلد الثالث ص ٢٣٠. وينظر: البياضي: إشارات المرام من عبارات الإمام ص ٢٢٥.

٢- سورة يونس الآية: ٢٥.

٣- سورة الأنعام الآية:١٢٥ .

٤- سورة الأعراف الآية:١٧٨.

٥- الجويني: الإرشاد ص ٢١١ .

٦- التفتازاني: شرح العقائد النسفية ص ٦٥ .

٧- كولن: أسئلة العصر المحيرة ص ٣٩، وينظر: خواطر من وحي سورة الفاتحة ص ١٩٦ .

يضلنا، ولا يترك لنا فرصة سانحة ؛ لأن نضل أو نطغى، فهذا هو ما يسميه المفسرون (الدلالة الموصلة)"[١].

وهو هنا متأثر ومتابع للماتريدية، بل و بنفس ألفاظهم؛ إذ ورد عنهم: " أن هدايته تعالى للعبد بخلق الاهتداء فيه، وهو لازم الدلالة الموصلة"[٢].

ويرى أن: "الهداية أو الضلال من الله ووجودهما مرتبطان بمشيئة الله﴿ مَن يَهْدِ ٱللَّهُ فَهُوَ ٱلْمُهْتَدِۖ وَمَن يُضْلِلْ فَلَن تَجِدَ لَهُۥ وَلِيًّا مُّرْشِدًا ﴾ [٣]،﴿ وَمَن يَهْدِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِن مُّضِلٍّۗ ﴾[٤]...فالله خالق الهداية والضلالة وفق الإرادة الإنسانية رغم أنها اعتبارية، فالعبد يطلب يطلب والله سبحانه المتصف باسمي (الهادي والمضل)يخلق الهداية والضلالة ؛ ولذا فالعبد بالذات هو الضال"[٥].

فيرى (كولن) أن المشيئة الإلهية هي الأساس، فالله هو خالق الهداية والضلال، ولكن السبب يعود إلى مباشرة العبد، وإن كانت تلك المباشرة ضعيفة بحيث يمكن إهمالها وإرجاع كل شيء إلى الله (تعالى).

ويقول في ذات المعنى: "فما يعود للإنسان في هذا الخصوص ليس إلا مباشرة ضئيلة جدا ؛لذا لا يملك حق إسناد هذا العمل إلى نفسه ...إن الهداية مسألة مهمة جدا وإرادة الإنسان في الحصول عليها والوصول إليها إرادة جزئية جدا، وتتألف من إظهار اللياقة والاستحقاق لهذه الهداية"[٦].

ويستشهد بعدة حقائق علمية لتوضيح ذلك المعنى منها: أن تناول الإنسان لقمة واحدة يحتاج مئات من العمليات داخل الجسم حتى تهضم المعدة هذا الطعام، فكل تلك العمليات المعقدة تتم لا محالة من قبل الخالق سبحانه وتعالى[٧].

وهو هنا متفق مع أهل السنة في خلق الهداية والضلالة، ويتفق بصورة متطابقة مع الماتريدية خصوصا في اعتبار إرادة الإنسان من الموجودات الاعتبارية غير مخلوقة لله، فهو يعطي الإرادة حقها ونسبتها إلى العبد - رغم وصفها الإرادة بالجزئية والضآلة- بخلاف الأشاعرة، فيرونها من الموجودات الخارجية المخلوقة لله وقد سبق القول في هذه المسألة .

١- كولن: خواطر من وحي سورة الفاتحة ص ١٩١.

٢- البياضي: إشارات المرام من عبارات الإمام ص ٢٢٧

٣- سورة الكهف الآية:١٧.

٤- سورة الزمرالآية:٣٧.

٥- كولن: القدر ص ١٢٠.

٦- أسئلة العصر المحيرة ج ١ص ١٢٨.

٧- ينظر: أسئلة العصر المحيرة ج ١ص ١٢٨.

٢- مراتب الهداية:

قسم (فتح الله كولن) الهداية إلى مرتبتين:

الأولى: الهداية الجبرية الجارية وفق متطلبات الشريعة الفطرية.

الثانية: الهداية التي تؤخذ فيها إرادة الإنسان بنظر الاعتبار.

أولا: الهداية الجارية وفق متطلبات الشريعة الفطرية:

إن كل موجود عند توجهه نحو الهدف أو الغاية المقدر له وفق قوانين الخلق والفطرة يسلك سلوكا إجباريا، والأصح أن يسمى هذا السلوك (السوق الإلهي)، فأول خلق الإنسان ونموه علقة في رحم الأم، وتحوله من مرحلة جنينية إلى أخرى كل ذلك يجري حسب السوق الإلهي[١].

وكذا جميع المخلوقات من الذرات إلى المجرات والطبيعيون والماديون يطلقون عليه الغريزة أو السوق الطبيعي إلا أن كولن يرى أن الأنسب تسميته "السوق الإلهي " فدليل الهداية هذا هو أحد أدلة التوحيد، وقد ذكر عدة أدلة على هذا النوع من الهداية منها:

أ- المجرات السابحة في الفضاء والتي تسير وفق خط مرسوم لها من قبل الله، والدجاجة التي ترقد على بيضتها.

ب- والطفل الذي ما إن يولد حتى يتلهف على صدر أمه ليمص ثدييها من الذي هداه ودله على هذا الحليب؟[٢].

ج- حياة النحل:﴿ وَأَوْحَىٰ رَبُّكَ إِلَى ٱلنَّحْلِ أَنِ ٱتَّخِذِى مِنَ ٱلْجِبَالِ بُيُوتًا وَمِنَ ٱلشَّجَرِ وَمِمَّا يَعْرِشُونَ ﴾ [٣].

فمن أين تعلمت جماعات النحل صناعة العسل، والإيواء إلى الجبال، والأشجار، والهندسة التي تستعملها في الخلية، وتوزيع الأدوار داخلها.

د- حياة النمل: فالنمل كذلك يحظى بإلهام إلهي: ﴿ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَتَوْا۟ عَلَىٰ وَادِ ٱلنَّمْلِ قَالَتْ نَمْلَةٌ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّمْلُ ٱدْخُلُوا۟ مَسَـٰكِنَكُمْ لَا يَحْطِمَنَّكُمْ سُلَيْمَـٰنُ وَجُنُودُهُۥ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴾ [٤].

وعلماء الحيوان الحاليون يرددون الآتي: مسكنان للنمل أحدهما صغير، والآخر كبير في الطرف الآخر من خندق صغير، نقلت إحدى النملات من مسكنها إلى مسكن آخر، خرج النمل الذي أضاع فردا من أفراده متوجها إلى المسكن الآخر عابرا الخندق على عصا

١- كولن: القدر في ضوء الكتاب والسنة ص ٩٣.

٢- كولن: القدر ٩٤ .

٣- سورة النحل.الآية:٦٨ .

٤- سورة النمل الآية :١٨ .

ملقاه عليه، وأغار على المسكن الآخر، والعلماء يفسرون ذلك بأن النملة أحدثت موجات كهرومغناطيسية عما جرى عليها بإحداثيات معينة، فسعى أصدقاؤها لإنقاذها بمعنى أن النملة تتكلم، وقد علم الله سيدنا (سليمان)- عليه السلام- لغة النمل؛ ولهذا ابتسم ضاحكا من قولها، وتوجه شاكرا إلى ربه هذه النعمة، والأمثلة كثيرة على هذه الهداية الإلهية.

إذن هذه كانت الهداية الفطرية الجبرية التي لا دخل لإرادة الإنسان بها، والتي نشعر بها جميعا في أنفسنا، وفي الكون من حولنا .

ثانيا: الهداية التي تأخذ إرادة الإنسان بنظر الاعتبار:

يقول كولن: "إن الله يخلق جميع الوسائل المؤدية إلى الهداية، من أنبياء، ورسل، وكتب، ودعاة، ولكن خلقه للهداية مرتبط بإرادة الإنسان نفسه، وعلى الرغم من كونها مجهولة الماهية ونسبية إلا أنها شرط عادي في قيام الهداية عليها"[١].

وفي القرآن الكريم الكثير من الأمثلة مثل قوله تعالى: ﴿ وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيْنَٰهُمْ فَٱسْتَحَبُّواْ ٱلْعَمَىٰ عَلَى ٱلْهُدَىٰ فَأَخَذَتْهُمْ صَٰعِقَةُ ٱلْعَذَابِ ٱلْهُونِ بِمَا كَانُواْ يَكْسِبُونَ ﴾[٢]، وقوله: ﴿ رُّسُلًا مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى ٱللَّهِ حُجَّةُۢ بَعْدَ ٱلرُّسُلِۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴾[٣].

وأحيانا يخلق الله الهداية والضلالة مباشرة آخذا أهليتهم بنظر الاعتبار، فسيدنا أبو بكر آمن على الفور، وارتفع إلى قمة الصديقية، وأما أبو جهل فيخلق الله بحقه الضلالة بعلمه الأزلي بأنه معدوم الأهلية، وهو بدوره يصدق هذا الحكم بأفعاله فيزيد من كفره يوما بعد يوم حتى يجد مصرعه في بدر[٤].

يقول الله تعالى مخاطبا نبيه: ﴿ وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَاۚ مَا كُنتَ تَدْرِى مَا ٱلْكِتَٰبُ وَلَا ٱلْإِيمَٰنُ وَلَٰكِن جَعَلْنَٰهُ نُورًا نَّهْدِى بِهِۦ مَن نَّشَآءُ مِنْ عِبَادِنَاۚ وَإِنَّكَ لَتَهْدِىٓ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٥٢﴾ صِرَٰطِ ٱللَّهِ ٱلَّذِى لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِۗ أَلَآ إِلَى ٱللَّهِ تَصِيرُ ٱلْأُمُورُ ﴿٥٣﴾ ﴾[٥].

ففي الآية مرتبتان للهداية:

الأولى: كونها وسيلة وواسطة .

١- كولن: القدر ص٩٧، ٩٩.

٢- سورة فصلت الآية:١٧.

٣- سورة النساء الآية:١٦٥ .

٤- كولن: ينظر القدر ص ١٠١.

٥- سورة الشورى الآية: ٥٢،٥٣ .

الثانية: خلق الهداية في قلوب الناس مباشرة دون واسطة، وهذا تفضل منه سبحانه وقد اختار العلماء تسمية هذا (اللطف الجبري).

اللطف الجبري كما يرى كولن النعم التي يتفضل الله تعالى بها على عبده ابتداء، ولا إرادة للعبد فيها ولا اختيار ابتداء من خلقه إنسانا إلى ولادته سليما في بلد مسلم[١].

إذن الهداية الثانية، وهي الهداية التي تأخذ إرادة الإنسان بالاعتبار على مرتبتين أيضا:

١- هداية بواسطة وسائل، وأحيانا ما تكون كل الوسائل والوسائط متأنية جاهزة ولكن لا يحرز الإنسان الهداية كابن سيدنا (نوح) مع أنه ولد وترعرع تحت رعاية نبي من أنبياء الله تعالى .

٢- وهداية مباشرة بلا وسائل ولا واسطة.

وكلاهما من خلق الله تعالى والحديث الشريف الآتي يبين هذه الحقيقة :عن عمر بن الخطاب قال: "قال رسول الله ﷺ: "بعثت داعيا ومبلغا، وليس إلى من الهدى شيء وجعل إبليس مزينا، وليس إليه من الضلالة شيء"[٢].

فهداية الله للإنسان على ضروب شتى منها :

- منحه ما تطلبه إرادته الروحانية والجسمانية ؛لأنه مكون من روح وجسد ولكل منهما حاجاته ومطالبه .
- ومنها: هدايته أن يجمع بين قوته العقلية، والطبيعية حتى لا يطغى العقل وينقلب في سبيل الضلال، وحتى لا تطغى الطبيعة فيصير مثل الحيوان.
- ومن ضروب الهداية ما ساقه له من التفريق بين الحق والباطل، ومنها: إنزال الكتب، وإرسال الرسل[٣].

ويخلص كولن إلى:

أن الله منح الإنسان أنواع الهداية في كل مرحلة من مراحل رحلته في عالم الأرواح، وعالم الذرات، وعالم الإنسانية، فهدايته مستمرة لا نهاية لها، ولا حدود لها .

١- ينظر: كولن: الموشور(١) ص ٢٢٧ ترجمة: د.عبد الرازق محمد أحمد، دار النيل ٢٠١٥م.

٢- كولن: القدر ص ١٠٢.وينظر خواطر من وحي سورة الفاتحة ص ١٩٧ .

والحديث أخرجه العقيلي وقال خالد بن عبد الرحمن بن الهيثم ليس بمعروف بالنقل وحديثه غير محفوظ ولا يعرف له أصل ينظر: محمد بن علي الشوكاني: الفوائد المجموعة في الأحاديث الموضوعة باب في ذكر أحاديث متفرقة، كتاب صيام الفرض والتطوع والهدية والقرض والضيافة، ج ١ ص ٥٠٥ رقم ٩٦ تحقيق: عبد الرحمن بن يحيى المعلمي اليماني، دار الكتب العلمية - بيروت - لبنان .

٣- ينظر: كولن: خواطر من وحي سورة الفاتحة ص ١٩٧-١٩٨.

المسألة الثانية: الآجال:

أولا: تعريف الأجل:

١- الأجل في اللغة:

أ- مدة الشيء.

ب- وغاية الوقت المحدد لشيء.

ج- وحلول الدين [١].

د- غاية الوقت في الموت[٢]، وكلها تشير إلى نهاية الشيء، و وصوله إلى غايته .

٢- الأجل في اصطلاح المتكلمين:

جمهور المعتزلة: "إن الأجل هو الوقت الذي يموت فيه العبد إن لم يقتل فيه أولم يفعل ما يستحق به الزيادة في العمر من صلة رحم وغيرها [٣].

الأشاعرة: الأجل يطلق على آخر العمر كما يطلق على مدة العمر بتمامها[٤].

٣- رأي فتح الله كولن:

يقول كولن: "الأجل: الوقت الذي كتب الله في الأزل انتهاء الحياة ومسيرتها فيه وفقا لظروف كل مخلوق وأحواله، فما من مخلوق في هذه الدنيا إلا وقد كتب أجله ويوم منيته من قبل أن يولد"[٥].

ثانيا: تساؤلات في الأجل:

الأجل نهايته ووقته بيد الله تعالى، ولقد أجاب (فتح الله كولن) على سؤالين في مسألة الآجال:

الأول: إن كان وقت الأجل وكيفيته معينا مسبقا فما ذنب القاتل؟.

الثاني: هل آجال الذين يتوفون في آن واحد قد آتاهم الأجل معا؟.

١- ابن فارس: مقاييس اللغة باب (أجل) ص ٦٤/١. الفيروز أبادي: القاموس المحيط ص ٨١٨. المعجم الوجيز ص ٥ .

٢- الخليل بن أحمد: العين، باب الجيم واللام ص ١٧٨/٦ .

٣- القاضي عبد الجبار: المغني ج١١ ص ٣ ،تحقيق: محمد علي النجار، ود/ عبد الحليم النجار، مراجعة: د/ إبراهيم مدكور. اشراف: د/ طه حسين. المؤسسة المصرية العامة للتأليف والأنباء والنشر والدار المصرية للتأليف والترجمة.

٤- الباجوري على جوهرة التوحيد ص ٢٦٣.

٥- كولن : نحو عقيدة صحيحة ص ٦٣ترجمة: أورخان محمد علي- عبد الله محمد عنتر. دار النيل ٢٠١٤م.

السؤال الأول ذو شقين :الأول هل المقتول ميت بأجله؟ والثاني: إذا كان ميتا بأجله فلم يستحق القاتل عقوبة أو ما شابه؟.

السؤال الأول: وقت الأجل، وهل المقتول ميت بأجله؟:

١- رأي المتكلمين :

أ- فجمهور المعتزلة يرون أن: "وقت القتل والوقت الذي ينتهي إليه من يزاد في عمره أجلان، ويجوز أن يزيد الله في الأعمار، وينقص منها، والآجال لا تضطر القاتل إلى القتل، ولولم يقتل المقتول كان الله أعلم بحاله من موت في ذلك الوقت أو بقاء إلى تمام أجله، ولا عذر للقاتل في القتل وافق قتله الأجل أو لم يوافقه"[١].

إذن فالمقتول على رأي المعتزلة قد يكون هذا أجله أو لا يكون ، ومع ذلك لا عذر للقاتل مطلقا سواء وافق القتل أجل المقتول أم لا .

ب- أما الأشاعرة فيرون أن المقتول ميت بأجله، يقول الجويني: "من يقتل فقد مات بأجله والمعنى بذلك أن الذي قتل قد علم الله تعالى في أزله مآل أمره وما علم أنه كائن فلابد أن يكون"[٢].

ج- وهو نفس ما ذهب إليه الماتريدية يقول النسفي[٣]: "ثم المقتول عندنا ميت بأجله وما يخلق الله فيه من المعنى المنافي للحياة هو مفعول الله تعالى وليس بفعل للقاتل وهو الموت. والقتل فعل القاتل قائم به ليس بحال في المقتول، والفعل الذي يوجد في القاتل، ويوجد الله تعالى عقيبه انزهاق الروح أو الموت في المحل بطريق إجراء العادة يسمى قتلا"[٤].

٢- رأي كولن:

يرى كولن أن المقتول ميت بأجله، وأن جميع الآجال مقدرة أزلا، فيقول: "إن كل شيء يولد وينمو، ثم يموت سائرا وفق خطة مرسومة معينة له ضمن دائرة قدر عامة واسعة جدا، فهذا نظام عام أزلي لا يتبدل ويمتد حتى للآباد"[٥].

١- القاضي عبد الجبار: المغني ج١١ ص ٣ .

٢- الإمام الجويني: الإرشاد إلى قواطع الأدلة في أصول الاعتقاد ص ٣٦٢.وينظر كذلك: مسعود بن عمر الشهير بسعد الدين التفتازاني: شرح المقاصد المجلد الثالث، ص ٢٣٣ .

٣- النَّسَفي (٤١٨ - ٥٠٨ هـ = ١٠٢٧ - ١١١٥ م) : ميمون بن محمد بن محمد بن معبد بن مكحول، أبو المعين النسفي الحنفي: الزاهد، العالم، البارع، عالم بالأصول والكلام. كان بسمرقند وسكن بخارى. من كتبه (بحر الكلام) و (تبصرة الأدلة) في الكلام، و (التمهيد لقواعد التوحيد) و (العمدة في أصول الدين) و (العالم والمتعلم) و (إيضاح المحجة لكون العقل حجة) و (شرح الجامع الكبير للشيباني) في فروع الحنفية، و (مناهج الأئمة) في الفروع .ينظر: أبو الفداء زين الدين أبو العدل قاسم بن قُطْلُوبغا السودوني (نسبة إلى معتق أبيه سودون الشيخوني) الجمالي الحنفي (المتوفى: ٨٧٩هـ): تاج التراجم ص ١/ ٣٠٨، المحقق: محمد خير رمضان يوسف، الناشر: دار القلم - دمشق، الطبعة: **الأولى، ١٤١٣ هـ -١٩٩٢م.** وينظر: الزركلي: الأعلام ج ٧ ص ٣١٤.

٤- أبو المعين النسفي: تبصرة الأدلة ج ٢ ص ٦٨٦.

٥- كولن: القدر ص ١٣٠،وينظر: الرد على شبهات العصر ص ١٧٩.

ثانيا: إذا كان المقتول ميتا بأجله فلم يستحق القاتل عقوبة أو ما شابه؟:

١- رأي المتكلمين:

أ- يجيب صاحب المقاصد: "تمسك الكثيرون بأنه لو مات بأجله لم يستحق القاتل ذما، ولا دية، أو قصاصا (وهذا من أدلة المعتزلة على رأيهم)، والجواب أن استحقاق الذم والعقوبة ليس بما ثبت في المحل من الموت، بل بما اكتسبه القاتل وارتكبه من الفعل المنهي"[١].

ب- وعن وجوب القصاص من القاتل قال النسفي: "إن وجوب القصاص والضمان؛ لارتكابه النهي باكتسابه الفعل الذي أجرى الله تعالى العادة بتخليقه الموت عقيبه، لا على ما وجد في المحل من المعنى المنافي للحياة"[٢] .

٢- رأي كولن:

يرى (كولن) أن المقتول ميت بأجله ولكن القاتل يستحق العقوبة على فعله المحرم المنهي عنه وهو إزهاق النفس؛ لأنه فعل ذلك بإرادته الحرة، فيرى كولن "أن للإنسان قابلية الحرية والإرادة والميل والاختيار، بخلاف المخلوقات الأخرى وينسب إلى الإنسان الخير والشر، والثواب والعقاب حسب تلك الحرية والإرادة، والميل والاختيار"[٣].

ومهما كانت إرادة الإنسان وميله ضئيلا أمام عظم النتائج إلا أن الله جعلها شرطا وسببا؛ ولذا يكون مذنبا أو بريئا بموجب هذه الإرادة، وتكون الحادثة الناتجة مهما كانت ثقيلة هو المسئول عنها؛ لذا فالعقاب والثواب يعودان إليه[٤].

أما عن كيفية التوفيق بين العلم الإلهي المحيط بكل شيء، وإرادة الإنسان، فيقول: "فإن التعيين المبدئ لموت شخص، وكيفيته، وكون الشخص الآخر سببا في الحادث لا يرفع المسئولية، وذلك؛ لأن التقدير قد قدر بأخذ إرادة الإنسان، وحريته بنظر الاعتبار؛ ولهذا يسند جرمه إليه ويحاسب عليه"[٥].

وهو نفس جواب أهل السنة كما أسلفنا، إذن فكولن متفق تماما مع أهل السنة على أن القصاص على إرادته وفعله ليس على الناتج في المحل .

السؤال الثاني: هل آجال الذين يتوفون في آن واحد قد آتاهم الأجل معا؟.

يرى كولن أن الأجل آتاهم جميعا معا ويؤيد رأيه بعدة أدلة:

أ- فكما أن الله سبحانه القابض على الوجود كله يوجد كل شيء، وكل الناس معا وفق قدره بدءا من الذرات إلى المجرات فإنه قادر على أن يميتهم كلهم معا وإن

١- التفتازاني: شرح المقاصد المجلد الثالث ،ص ٢٣٤.

٢- أبو معين ميمون بن محمد النسفي: تبصرة الأدلة ج ٢ ص ٦٨٧ .

٣- كولن: القدر ص ١٣٢.

٤- ينظر: كولن: القدر ص ١٣٢.

٥- ينظر: كولن: القدر ص ١٣٤وينظر: الرد على شبهات العصر ص ١٨٣.

وجودهم في أماكن متعددة، وبالكيفيات المتنوعة واتصافهم بالأوصاف المختلفة لا يشكل مانعا من ذلك.

ب- "فضلا عن ذلك فإن هناك ملائكة كثيرين جدا مكلفون بقبض الأرواح يمكنهم أن يقبضوا الأرواح في آن واحد في الأماكن التي انتشرت فيها الآفات بتقدير وإشراف مالكهم الكريم سبحانه، بل ربما هناك عدد من الملائكة يمكنهم أن يقابلوا كل شخص متوفى ويستقبلوه وفق ما بين أيديهم من الكتاب"[١].

ج- وأيضا الملائكة مخلوقات نورانية تنعكس كالشعاع في كل مكان فلا يعوقها بعد ولا مسافة ولا كثرة عدد الذين يجب الوصول إليهم، فتقوم بالوظيفة التي تريدها من نفخ أو قبض[٢].

المسألة الثالثة: التوفيق واللطف:

ويسميه كولن(عطاء الله تعالى).

أولا: رأي المتكلمين:

١- اللطف عند المعتزلة: "ما يدعو إلى فعل الطاعة على وجه يقع اختيارها عنده أو يكون أولى أن يقع عنده، فعلى هذين الوجهين يوصف الأمر الحادث بأنه لطف وكلاهما يرجع إلى معنى واحد، وهو ما يدعو إلى الفعل"[٣].

واللطف عند المعتزلة مرتبط بالتكليف والمعنى "أن يفعل الله تعالى للمكلف كل ما علم أنه لو فعله له لاختار الطاعة، واجتنب المعصية "[٤].

ويعللون وجوب اللطف على الله بقولهم: "إنه تعالى إذا كلف فغرضه تعريض المكلف للثواب، فلابد من أن يمكنه بسائر وجوه التمكين من قدرة، وآلة، وصحة وإذا علم أنه

يختار الإيمان عند أمر من الأمور، فلابد أن يفعله وإلا كان مستفسدا"[٥].

٢- أهل السنة:

يتفق أهل السنة على أن التوفيق واللطف من فعل الله تعالى فضلا لا وجوبا[٦] ويختلفان في معنيهما.

١- كولن: القدر ص١٢٦، ١٢٧ .

٢- ينظر: كولن: أسئلة العصر المحيرة ص ٤٧.

٣- القاضي عبد الجبار: المغني ج ١٣ ص ٩ .

٤- ينظر: ا. د/ أحلام الصياد :أفعال الله تعالى في ضوء تحسين العقل وتقبيحه عند المعتزلة وأهل السنة ص ١١٦.

٥- القاضي عبد الجبار: المختصر في أصول الدين ص ٢٥٩ .

٦- البياضي: إشارات المرام من عبارات الإمام ص ٢٢٤.

يقول الجويني: "التوفيق خلق قدرة الطاعة، والخذلان خلق قدرة المعصية، ثم الموفق لا يعصي إذ لا قدرة له على المعصية، وكذلك القول في نقيض ذلك"[١] .

وترى الماتريدية أن التوفيق هو النصرة والتيسير، و الخذلان عدم النصرة والتوفيق والإعانة على الطاعة، وأن لا يهييء له أسباب الخير وترك العبد مع نفسه[٢].

ثانيا: رأي فتح الله كولن:

اللطف هو العطاء والإحسان والهبة.

ويفسره (كولن) بقوله: " يصرف العبد إرادته وميله إلى الشر، ولكن الله يخصه بعطاء فيحول بينه وبين الشر؛ لوضع حسن لذلك العبد، أو لحمله قلبا زكيا، أو لعمله الحسن، وبهذا لا ينفذ بحقه ما قدر له، فالعطاء أثر في القدر، والقدر أثر في القضاء، ولكن كل ذلك يجري في لوح المحو والإثبات ولا شيء يتغير قط في العلم الإلهي، فلوح المحو والإثبات - من جهة- دفتر الإنسان الخاص به يمكن أن يحدث فيه التغيير، ولكن التغيير غير وارد أصلا في اللوح المحفوظ"[٣].

ويرى (كولن) أن العطاء لطف إلهي، ولا يشترط في اللطف الاستحقاق والأهلية وعلى هذا نجد أن جميع الحسنات التي يفعلها البشر ما هي إلا عطاء إلهي[٤].

و(كولن) هنا متفق مع أهل السنة في أن الله هو الخالق وحده، وأن أفعاله فضل منه، وليس بواجب عليه كما قالت المعتزلة.

المسألة الرابعة: المنح والمنع:

تكلم (كولن) عن بعض القضايا كلها تدخل تحت أفعال الله وقد رأيت أنه من الممكن ضم تلك القضايا تحت عنوان واحد يجمعها، فاخترت (المنح والمنع) وهي ثلاثة قضايا : الأولى: حكمة المنع.

الثانية: الغنى والفقر(الرزق).

الثانية: الصحة والسقم :

أولا: حكمة المنع:

يرى (كولن) وفقا لقوله تعالى: ﴿ أَمْ لِلْإِنسَٰنِ مَا تَمَنَّىٰ ﴾ [٥] أنه يجب أن يتخلى المرء عن الطمع، فلله الآخرة والأولى، ويرضى بما أجراه الله من نعم أو منح، وكذا من منع

١- إمام الحرمين الجويني: الإرشاد إلى قواطع الأدلة في أصول الاعتقاد ص ٢٥٤.

٢- ينظر: البياضي: إشارات المرام من عبارات الإمام ص ٢٣٣.

٣- كولن: القدر ص ١٣٧.

٤- ينظر: كولن: القدر ص ١٣٧.

٥- سورة النجم الآية: ٢٤.

وخسارة، فقد يكون في المنع حكم ونعم تغيب عنا، فيقول: " فأحيانا تقضي بعض الخسارات هنا إلى مكاسب هناك، فالله (عز وجل) هو من يأخذ هنا، ويمنح هناك وأما معرفة ما سيمنحه لنا في الآخرة، وما سيهيؤه لنا من مفاجآت مقابل ما أخذه منا في الدنيا فمتعذر علينا ...﴿ وَلَلْآخِرَةُ خَيْرٌ لَّكَ مِنَ الْأُولَىٰ ﴾[1].

ومن ثم فالحكم تتمثل في :

١- ثواب الآخرة خير من الأولى:

فإذا كانت الآخرة خير من الأولى، فلما الحزن على ما خسرناه في الدنيا، فلنفكر في مكسب الغد الآخروي، ونسر، ونحمد الله عليه[2].

٢- المنع قد يكون هو عين العطاء:

فكثير من الأمور في حياتنا كنا في بدايتها نتجرع الآلام والأحزان على ما فاتنا، وفيما بعد ندرك أن الخسارة كانت إحسانا ولطفا إلهيا من الله .

وهناك أشياء كنا نتمنى وقوعها في بداية الأمر ثم فرحنا في المستقبل لعدم وقوعها فما قضى الله به كان أفضل ﴿ فَعَسَىٰ أَن تَكْرَهُوا شَيْئًا وَيَجْعَلَ اللَّهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا ﴾ [3]إذن وجب علينا الرضا والتسليم، فإن الخير فيما اختاره الله وقضاه.

ثانيا: الغنى والفقر(الرزق):

في رد على سؤال وجه إليه تحدث (كولن) عن الغنى والفقر، وأن الله يعطي من يشاء، ويمنع من يشاء بحسب حكمته، وعلمه بما ينفع عباده، وربط ذلك الأمر بالجانب الإيماني بأن المنع قد يكون عطاء، والعطاء قد يكون حرمانا، فليس الغنى كله خير وكذلك الفقر ليس كله شر.

وهناك اتفاق بين أهل السنة في ذلك، ومعهم المعتزلة، إلا أن المعتزلة تستخدم لفظ الإيجاب، فتقول المعتزلة: "ما نعلم من الرزق أنه لطف في التكليف، وأن المكلف يفسد مع فقده، فيجب على الله أن يرزقه عبده، وإن كان المعلوم من حاله الرزق أنه مفسدة للمكلف، فالواجب فيه الحرمان قال تعالى: ﴿ وَلَوْ بَسَطَ اللَّهُ الرِّزْقَ لِعِبَادِهِ لَبَغَوْا فِي الْأَرْضِ ﴾[4] ،

١- سورة الضحى الآية: ٤. ينظر: كولن: الاستقامة في العمل والدعوة ص ٤٧ ترجمة: أورخان محمد علي – دكتور/عبد الله محمد عنتر، دار النيل، ط: الأولى ٢٠١٥م.

٢- كولن: الاستقامة في العمل والدعوة سلسلة أسئلة العصر المحيرة (٣) ص ٤٧.

٣- سورة النساء: الآية ١٩.وينظر الاستقامة في العمل والدعوة ص ٤٩.

٤- سورة الشورى الآية: ٢٧.

وقد روي عن رسول الله- ﷺ- أنه تعالى يقول: "إن من عبادي من لا يصلحه إلا الفقر، ولو أغنيته لأفسده ذلك، ومنهم من لا يصلحه إلا الغنى ولو أفقرته لأفسده ذلك"[١]

أما السؤال الذي وجه إلى (فتح الله كولن) فهو: إن الله أعطى الكثيرين الأموال الطائلة، والقصور، والشرف، بينما آخرون يتضورون جوعا، وتصيبهم الآلام والمصائب، والفقر، فهل هؤلاء فاسدون، والآخرون يحبهم الله حتى أغدق عليهم ما أغدق؟.

وكان جواب (كولن) أن السؤال لا يسأل إلا من باب التعلم، وإلا فإن السائل يكون آثما، فالله يعطي لمن يشاء العمارات والسيارات، ولمن يشاء الفقر والحاجة، وينبغي في كل ذلك عدم إنكار دور الأسباب الآتية من الأسرة والبيئة المحيطة بالفرد، علاوة على ذلك، فإن الله في الوقت الذي أظهر أهلية بعضهم لم يعطهم المال والأولاد، واستدل (كولن) بقوله- ﷺ-: "إن الله قسم بينكم أخلاقكم كما قسم بينكم أرزاقكم، وإن الله (عز وجل) يعطي الدنيا من يحب ومن لا يحب، ولا يعطي الدين إلا لمن أحب، فمن أعطاه الله الدين فقد أحبه"[٢].

ومن ناحية أخرى ذكر (كولن) أنه لا ينبغي أن تعد الأموال خيرا، إلا إذا استعملت في صالح الأعمال، وإن كان غير ذلك فإعطاء الله ليس خيرا يقول كولن: "نعم إن لم تكن لك استقامة على الطريق، فالفقر يكون لك بابا للكفر؛ لأنه يسوقك إلى عصيان الله...كذلك إن لم تكن على الصراط السوي يكون غناك وبالا عليك قال تعالى: ﴿ وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّمَآ أَمۡوَٰلُكُمۡ وَأَوۡلَٰدُكُمۡ فِتۡنَةٞ وَأَنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥٓ أَجۡرٌ عَظِيمٞ ﴾ [٣]، وقال - ﷺ-: "كم من أشعث أغبر ذي طمرين لا يؤبه له لو أقسم على الله لأبره، منهم البراء بن مالك"[٤]

وينتهي (كولن) في هذه القضية إلى نتيجة وهي:

١- القاضي عبد الجبار: المغني ج ١١ ص ٤٧ : والحديث أخرجه شمس الدين أبو الخير محمد بن عبد الرحمن بن محمد السخاوي (المتوفى: ٩٠٢هـ): المقاصد الحسنة في بيان كثير من الأحاديث المشتهرة على الألسنة رقم ٦٩٢ ص ٤٥٦/١ المحقق: محمد عثمان الخشت، الناشر: دار الكتاب العربي - بيروت الطبعة: الأولى، ١٤٠٥ هـ - ١٩٨٥م .

٢- والحديث أخرجه ابن حنبل وابن أبي شيبة، ينظر: مسند أحمد بن حنبل ج ٦ص ١٨٩ رقم ٣٦٧٢)،.و أبو بكر بن أبي شيبة: مسند ابن أبي شيبة باب ما أخرجه عبد الله بن مسعود عن النبي (ﷺ) ج ١ ص ٢٣١ رقم ٣٤٤)، تحقيق: عادل بن يوسف العزازي - أحمد بن فريد، دار الوطن- الرياض، ط: الأولى ١٩٩٧م.والحديث صحيح الاسناد. ينظر: أحمد بن محمد بن الصدِّيق بن أحمد، أبو الفيض الغُمَارِي الحسني الأزهري (المتوفى: ١٣٨٠ هـ): المداوي لعلل الجامع الصغير وشرحي المناوي، ص ٥٢١/١، رقم ٤٧٢، الناشر: دار الكتبي، القاهرة - جمهورية مصر العربية، الطبعة: الأولى، ١٩٩٦م.

٣- سورة الأنفال الآية:٢٨.

٤- كولن: القدر ص ١٢٢، والحديث أخرجه الترمذي، وقال: صحيح حسن وقال الألباني: صحيح، ينظر: سنن الترمذي، باب مناقب البراء بن مالك، كتاب المناقب (ج ٥ ص ٦٩٢ رقم ٣٨٥٤).

"ليس الغنى وحده ولا الفقر وحده مصيبة ،وإنما كل حسب موقعه، الفقر في موضع والغنى في موضع يعدان نعمة إلهية، والرسول- ﷺ- قد اختار الفقر بإرادته وقال: "أما ترضى أن تكون لهم الدنيا ولنا الآخرة"[١].

ثالثا: الصحة والسقم:

إعطاء الصحة أو الإصابة بالمرض من أفعال الله تعالى، وأما كون البشر غير متساويين في الصحة والسقم فلحكمة أرادها (سبحانه وتعالى).

وقد وجه إلى (كولن) تساؤل حول هذه القضية وهو: لِمَ لَمْ يخلق الله عباده متساوين، فقد خلق بعضهم أعمى وآخر أعرج وهكذا....؟.

وكان جوابه على النحو التالي:

١- "إن مالك الملك يتصرف في ملكه كيف يشاء، ولا يتدخل أحد في إجراءاته قط، فالذي خلق ذرات جسمك، ونظم تركيب أجزاء جسمك هو الله، والذي وهب لك الإنسانية هو الله أيضا، إنك لم تعط شيئا مقابل هذا كي تدعي أن لك حقا عليه ...فأنت لم تعطه شيئا حتى تسند إليه الظلم وحاشاه إن الظلم نابع من عدم الإيفاء بحق، فأين حقك عليه الذي لم تستوفه منه حتى تدعي وقوع الظلم عليك"[٢].

٢- ثم إن الله أوجدك من العدم، ثم جعلك إنسانا، فلو تدبرت قليلا، فإن دونك كثيرا جدا جدا من المخلوقات، فإذن أنت نلت الكثير من النعم[٣].

٣- أضف إلى ذلك أن الله إن كان أخذ منك عضوا، سيعوضك في الآخرة بأشياء كثيرة: "إذ يشعر الإنسان بأخذ ذلك الجزء منه بعجزه، وضعفه، وفقره ويحول قلبه نحوه، ولئن جعل قلب ذلك الإنسان يشرع بالانشراح والانكشاف فلقد أعطى له الكثير، وأخذ منه القليل، فهذا يعني في الحقيقة لطف من الله سبحانه لذلك الإنسان، وإن كان لا يبدو كذلك كما يرزق أحدهم الشهادة ويدخله الجنة، ويحظى بالحضور الإلهي، وهي مرتبة يغبطه عليها الصديقون والصالحون"[٤].

إذن من ثمار هذه العاهات أنها تدفع صاحبها إلى الله تعالى، وكذا الآخرون يتعظون بها، وتورث الثقة والاطمئنان بالله[٥].

ومن خلال دراسة هذه المسألة عند (كولن) يتبين ثلاثة أمور مهمة :

الأمر الأول: علاقة القدر بالعدل:

١- القدر ص ١٢٣.وينظر: أسئلة العصر المحيرة ص ٤٢. والحديث أخرجه البخاري، ينظر: صحيح البخاري، باب (تبتغي مرضاة أزواجك)، كتاب تفسير القرآن (ج ٦ ص ١٥٦رقم ٤٩١٣) .

٢- كولن: القدر ص ١٢٤.

٣- ينظر: كولن: القدر ص ١٢٤.

٤- كولن: القدر ص ١٢٥ وينظر: الرد على شبهات العصر ص ٣٥.

٥- السابق.

فإن القدر الإلهي يتسم بالعدل، وإن ما يعتقده بعض الناس أنه ظلم أو شر، فإنما هو ينظر إلى القشر الخارجي فقط؛ فقد يكون المنع خيرا والعطاء شرا، ولعل (كولن) متأثر في هذه المسألة بأستاذه (بديع الزمان) حين قال: "فإن ما يبدو من ظلم في بعض الحوادث فإنما هو نتيجة لنظر الناس إلى الأحداث في أسبابها الظاهرية في حين أن لكل حادثة سببين اثنين: الأول: سبب ظاهري يحكم الناس على وفقه، وكثيرا ما يظلمون، والثاني: سبب حقيقي يقضي القدر على وفقه فيعدل - تحت ظلم البشر- في الحادثة نفسها"[١].

الأمر الثاني: قضية الوجوب:

يرى (كولن) عدم وجوب شيء على الله متوافقا مع أهل السنة، خلافا للمعتزلة الذين يوجبون فعل الخير على الله، وقد أشرت إلى هذا القضية سابقا في أول المبحث.

الأمر الثالث: قضية العوض على الإيلام :

يشير (كولن) في حديثه أن الله إذا أصاب العبد ببعض المصائب فإنه سيعوضه عنها في الآخرة، فهل يقصد (كولن) بلفظ العوض: العوض الحقيقي الذي تقول به المعتزلة، لا أستطيع الجزم بذلك - وإن كان كلامه شبيها بكلام المعتزلة- ، ولكن ما أستطيع الجزم به أنه متفق مع المعتزلة أن الأمراض والأسقام التي تصيب الإنسان فيها اعتبار ومصلحة للمكلفين، يقول القاضي عبد الجبار: "لأن الرجل إذا مرض كان أقرب أن يتقي المعاصي خوف النار، وإلى فعل الطاعات رغبة في الجنة، وعلى هذا الاعتبار قال الله تعالى: ﴿ أَوَلَا يَرَوْنَ أَنَّهُمْ يُفْتَنُونَ فِي كُلِّ عَامٍ مَّرَّةً أَوْ مَرَّتَيْنِ ثُمَّ لَا يَتُوبُونَ وَلَا هُمْ يَذَّكَّرُونَ ﴾[٢].

فالمعتزلة ترى: "إنه (عز وجل) إذا أمرض، فإنه يعوض على ذلك بمنافع هي تكثر منه في الآخرة، ولولا ذلك لما حسن منه أن يمرض البهائم والأطفال كما لا يحسن منا أن نستأجر أجيرا ونتعبه ولا نعطيه الأجرة"[٣].

أما أهل السنة فيقول إمام الحرمين: "الآلام واللذات لا تقع مقدورة لغير الله تعالى فإذا وقعت من فعل الله تعالى فهي منه حسن، سواء وقعت ابتداء أو حدثت منه مسماة جزاء، ولا حاجة عند أهل الحق في تقديرها حسنة إلى تقدير سبق استحقاق عليها أو استيجاز التزام أعواض عليها أو روح جلب نفع أو دفع ضر موفيين عليها، بل ما وقع منهما فهو من الله تعالى حسن، ولا يعترض عليه في حكمه"[٤].

إذن المعتزلة ترى العوض على الإيلام من باب التحسين العقلي أيضا، بينما أهل السنة لا ترى لا استحقاق على اللذة ولا عوض على الألم؛ استنادا إلى أنه تعالى لا يجب عليه

١- النورسي: الشعاع الثالث عشر /الشعاعات ص ٣٣١.

٢- سورة التوبة الآية: ١٢٦ .

٣- القاضي عبد الجبار: الأصول الخمسة المنسوب إلى القاضي عبد الجبار ص ٨٤ ، ٨٥.

٤- الجويني: كتاب الإرشاد إلى قواطع الأدلة في أصول الاعتقاد ص ٢٧٣ .

شيء و(كولن) يرى أن هناك عوضا - دون جزم بمعنى العوض عنده- مع التأكيد أنه لا يوجب شيئا على الله كما تذهب المعتزلة.

من خلال دراستي لآراء (كولن) في قضية (أفعال الله تعالى) يتبين الآتي:

١- توافق (كولن) في آرائه مع أهل السنة كثيرا في قضية الهداية، والتوفيق، وعدم وجوب شيء على الله ،وغيرها.

٢- ركز على الجوانب التي لها صلة بالإنسان والواقع؛ تقوية لإيمان ضعفاء النفوس كما فعل في الكلام عن حكمة المنع وعن الرزق مثلا.

٣- معالجته لقضايا جديدة لم يطرقها المتكلمون قبله وعرضها بشكل جديد عصري وألفاظ واضحة وقد بحثها بعمق إيماني يحيي القلوب ويوقظ الإيمان المخدر في النفوس، مثل قضية الغنى والفقر، والعاهات الجسدية .

٤- دائما ما يخلط قضايا العقيدة بالتصوف، وهذا أبرز ما يبدو في جميع قضايا علم الكلام التي تكلم فيها حيث اعتمد الجانب الوجداني -، وأكد عليه، ونعى على من أهمله من المسلمين- مع عدم إغفال للجانب العقلي وأهميته في هذا العصر المادي وتلك العقول المتأثرة بالثقافة الغربية، وهذا واضح حينما يستدل بالنصوص فيقوم بتفسيرها تفسيرا روحيا كما فعل في حديثه عن حكمة المنع من بعض النعم، وفي حديثه عن الآلام والمصائب التي تصيب المسلم فتقربه من الله، وتكون موعظة واعتبارا لغيره من الناس، وغيرها .

المطلب الثالث: أفعال العباد :

المسألة الأولى: آراء العلماء في أفعال العباد:

أولا: رأي المتكلمين :

١- اتفق المتكلمون على أن أفعال العباد قسمان:

١- أفعال اضطرارية: لا دخل للإنسان بها كنبضات قلبه وارتعاش يده وغير ذلك فهذه لا خلاف في أنها من فعل الله.

٢- وأفعال اختيارية: له الحرية والاختيار فيها، وهذه اختلفت فيها الآراء فقد افترق المتكلمون في أفعال العباد الاختيارية على ثلاث فرق:

الأولى: الجبرية القائلون بأن الله هو الخالق وحده لأفعال العباد وأن العبد لا حرية له ولا اختيار، يقول (الشهرستاني): "والجبرية أصناف فالجبرية الخالصة: هي التي لا تثبت للعبد فعلا ولا قدرة على الفعل أصلا، والجبرية المتوسطة: هي التي تثبت للعبد قدرة غير مؤثرة أصلا"[١].

والثانية: المعتزلة القائلون بأن العبد خالق أفعاله بقدرته واختياره، ولكن بقوة خلقها الله فيه، يقول القاضي (عبد الجبار): "ما يقع بحسب قصد العباد، وإرادتهم وشهواتهم وبحسب قدرهم، وعلومهم، وبحسب جهلهم، وسهوهم كالكتابة، والصياغة، والمشي والقيام، فهو فعلهم، وما يتعذر عليهم أولم يقع بحسب أحوالهم فهو من فعل الله تعالى. فالأجسام، والألوان، والطعوم، والروائح، والتصوير، وغير ذلك، وكل ما يثبت أنه قبيح يعلم أنه من فعل العباد؛ لأنه تعالى لا يفعل إلا الحسن، وكل ما يثبت أنه من فعله تعالى، فيجب أن يكون حكمة وصوابا"[٢].

والثالثة: أهل السنة يتوسطون بين الرأيين:

فيرى الإمام (الأشعري) أن أكساب العباد مخلوقة لله تعالى؛ استنادا إلى قوله تعالى: ﴿ وَٱللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ ﴾ [٣]، وقوله: ﴿ جَزَآءَۢ بِمَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴾[٤]، ولكن للعبد دخل في أفعاله يسميه الأشاعرة بالكسب.

والماتريدية ترى أن أفعال العباد تنسب إلى الله لأنه هو الخالق لكل شيء وتنسب إلى العباد لأنهم هم من اكتسبوها بإرادتهم، يقول الإمام (أبو منصور الماتريدي): "وعندنا لازم تحقيق الفعل لهم (للعباد) بالسمع والعقل والضرورة ... وليس في الإضافة إلى الله

١- الشهرستاني: الملل والنحل ج ١ ص ٩٧ .

٢- المختصر في أصول الدين ص ٢٣٣ .

٣- سورة الصافات الآية: ٩٦.

٤- سورة الأحقاف الاية: ١٤، ينظر: اللمع ص ٦٩ ، وينظر: الإبانة ص٤٢، ٤٣.

نفي ذلك، بل هي لله بأن خلقها على ما هي عليه، وأوجدها بعد أن لم تكن، وللخلق على ما كسبوها وفعلوها"[١].

ثانيا: رأي الفلاسفة:

يرى الفلاسفة أن الإنسان سبب قريب للفعل في سلسلة من الأسباب تستند في النهاية إلى مسبب الأسباب (سبحانه وتعالى)؛ لأن الفلاسفة يرون الترابط ضروريا بين الأسباب ومسبباتها.

يقول الفارابي: "فلن تجد في عالم الكون والفساد طبعا حادثا أو اختيارا حادثا إلا عن سبب ويرتقي إلى مسبب الأسباب، ولا يجوز أن يكون الإنسان مبتدئا فعلا من الأفعال من غير استناد إلى الأسباب الخارجية التي ليست باختياره، وتستند تلك الأسباب إلى الترتيب، والترتيب يستند إلى التقدير، والتقدير يستند إلى القضاء والقضاء ينبعث عن الأمر، وكل شيء مقدر...فكل كائن من خير أو شر يستند إلى الأسباب المنبعثة عن الإرادة الأزلية"[٢].

وهذا ما أكده (ابن سينا) في النجاة إذ يقول: "وكل كائن بعد ما لم يكن فله علة، وكل إرادة لنا فلها علة، وعلة تلك الإرادة ليست إرادة متسلسلة في ذلك إلى غير النهاية، بل أمور تعرض من خارج أرضية وسماوية، والأرضية تنتهي إلى السماوية، واجتماع ذلك كله يوجب وجود الإرادة"[٣].

أما (ابن رشد) فقد حاول أن يجمع شتات النصوص المتعارضة التي منها ما ينسب الخلق إلى الله، ومنها ما ينسبه إلى كسب الإنسان، فقال: "إن الله قد خلق لنا قوى نقدر بها أن نكتسب أشياء هي أضداد، لكن لما كان الاكتساب لتلك الأشياء ليس يتم إلا بمواتاة الأسباب التي سخرها الله لنا من خارج، وزوال العوائق عنها كانت الأفعال المنسوبة إلينا تتم بالأمرين جميعا، وإذا كان ذلك فالأفعال المنسوبة إلينا أيضا يتم فعلها بإرادتنا وموافقة الأفعال التي من خارج لها وهي المعبر عنها بقدر الله"[٤].

وهو متفق مع (ابن سينا) في أن ارتباط الأسباب بأسبابها ينبي عليه أن تقع الأفعال منسوبة إلى فاعلها المباشر، وأيضا لا تخرج عن تقديره سبحانه الأزلي لها.

ثالثا: رأي فتح الله كولن :

وقد توسط (فتح الله كولن) أيضا بين الجبر والاختيار في هذه المسألة.

١- الإمام ابو منصور الماتريدي: كتاب التوحيد ص ٢٢٦.

٢- فصوص الحكم، رسائل الفارابي ص ٢٢٤الهيئة العامة للكتاب ٢٠٠٧ .

٣- ابن سينا: النجاة ج ٢ ص ١٦٤ .

٤- ابن رشد: مناهج الأدلة في عقائد الملة ص ٢٢٦ .

فيرى أن الله سبحانه خالق كل شيء في الوجود؛ لقوله تعالى: ﴿ وَٱللَّهُ خَلَقَكُمۡ وَمَا تَعۡمَلُونَ ﴾[1]، ولكن للإنسان دخل في أفعاله يسميه (كسبا) أيضا، وأتى (كولن) بمثال تقريبي يوضح رأيه فقال: " مثلا إذا صنعتم سيارة، أو أنشأتم بناء، فالله هو خالق هذه الأشياء، وأنتم وأفعالكم تعودون إلى الله، ولكن هناك أمر يخصكم هو الكسب والمباشرة البشرية، وهذا هو شرط عادي وشيء كالميل فالله هو خالق كل شيء بذاته، ولكن لأجل التكليف وأمثاله من الأسرار، والحكم قد قبل مباشرة البشر شرطا عاديا في خلق الأفعال"[2].

وهو في هذا يختلف مع المعتزلة القائلين "أفعال العباد لم يخلقها الله، بل هي واقعة حادثة من جهة العباد ؛لأنها تقع حسب قصدهم ...لأنهم يمدحون على الحسنة منها ويذمون على القبيح."[3]

ويقترب من أهل السنة في إسناد كل شيء الى الله، وأن تعلق الفعل بالقدرة الإنسانية شرط عادي، وقريب من الماتريدية خاصة في تفسير الكسب بالميل والعزم.

ورغم أن (فتح الله) يرى مع الإمام (محمد عبده) عدم الخوض في القدر[4] إلا أنه يسمي إرادة العبد، وتعلقها بالعمل كسبا، كما فعلت الأشاعرة والماتريدية .

المسألة الثانية: معنى الكسب:

لأهمية هذه النظرية في علم الكلام، فقد أفردتها بالبحث والتفصيل، فقد اختلف المتكلمون في تفسير أمر الكسب حيث اتخذوا الكسب تكأة للفرار من الجبرية، ولكن مع ذلك جاءت هذه النظرية لتزيد المِسألة غموضا والتباسا.

قال الإمام الغزالي عن أفعال العباد: "إنها مقدورة بقدرة الله تعالى اختراعا وبقدرة العبد على وجه آخر من التعليق، يعبر عنه بالاكتساب"[5].

فما الكسب وكيف تتعلق القدرة الحادثة بمقدورها ؟.

أولا: رأي أهل السنة:

اختلف أهل السنة في ذلك حتى الأشاعرة كان بينهم اختلافٌ في تفسير الكسب، بل هو من الأمور العسيرة الدقيقة ويضرب بذلك المثل فيقال: أدق من كسب الأشعري"[6].

---

[1]- سورة الصافات الآية: ٩٦.

٢- كولن: القدر ص١١٧.

٣- القاضي عبد الجبار: المختصر في أصول الدين، رسائل العدل والوحيد ج ١ ص ٢٣٨.

٤- ينظر: الشيخ محمد عبده: رسالة التوحيد ص ٦٢.

٥- الغزالي: إحياء علوم الدين المجلد الأول ص ١٦٣،تحقيق: الشحات الطحان، وعبد الله المنشاوي، مكتبة الإيمان، ط: الأولى ١٤١٧هـ - ١٩٩٦م.

٦- ينظر: أبو عذبة(الحسن بن عبد المحسن): الروضة البهية فيما بين الأشاعرة والماتريدية ص ٢٦ .

١- رأي الأشاعرة:

الكسب: هو تعلق القدرة الحادثة، وقيل: هو الإرادة الحادثة، فعلى تفسير الكسب بهذا الارتباط وهو تعلق القدرة بالمقدور ليس مخلوقا؛ لأنه من الأمور الاعتبارية، وعلى تفسيره بالإرادة الحادثة يكون مخلوقا، وقد عرفوا الكسب بتعريفين:

الأول: ما يقع به المقدور من غير صحة انفراد القادر به، إذ لا تأثير من العبد، وإنما له مجرد المقارنة، والمؤثر الحقيقي هو الله تعالى.

الثاني: ما يقع به المقدور في محل قدرته[١] .

أي تعلق القدرة الحادثة بالمقدور في محلها من غير تأثير، وهو الذي يعول عليه في تفسير الكسب الأشعري كما يقول أبوعذبة[٢].

أ- يقول الأشعري: " حقيقة الكسب أن الشيء وقع من المكتسب له بقوة محدثة"[٣].

ب- ويقول (الباقلاني): "ويجب أن يعلم أن العبد له كسب، وليس مجبورا بل مكتسب لأفعاله من طاعة ومعصية ؛لأنه تعالى قال﴿ لَهَا مَا كَسَبَتْ ﴾ يعني من ثواب وطاعة ﴿ وَعَلَيْهَا مَا ٱكْتَسَبَتْ ﴾[٤] يعني من عقاب ومعصية ...إن العاقل منا يفرق بين تحرك يده جبرا، وبين أن يحرك هو عضوا من أعضائه قاصدا إلى ذلك باختياره، فأفعال العباد هي كسب لهم، وهي خلق الله تعالى"[٥].

وذكر (الشهرستاني) أن القاضي أثبت تأثيرا للقدرة الحادثة، وأثرها سماها الحالة الخاصة، وهي جهة من جهات الفعل حصلت من تعلق القدرة الحادثة بالفعل، وتلك الجهة هي المتعينة لأن تكون مقابلة بالثواب والعقاب[٦].

ج- أما (إمام الحرمين)، فيقول في الإرشاد: "فالوجه القطع بأن القدرة الحادثة لا تؤثر في مقدورها أصلا، وليس من شرط تعلق الصفة أن تؤثر في متعلقها إذ العلم معقول تعلقه بالمعلوم مع أنه لا يؤثر فيه، وكذلك الإرادة المتعلقة بفعل العبد لا تؤثر في متعلقها"[٧] .

وإمام الحرمين هنا يرى أن لا تأثير للقدرة الحادثة في مقدورها، وهناك رواية أخرى مختلفة يثبت فيها قدرة وتأثيرا للعبد يقول فيها: " أحدث الله تعالى القدر في العبد على

١- حاشية الإمام الباجوري على جوهرة التوحيد بتصرف ص ١٧٦ .

٢- ينظر: الروضة البهية ص ٢٦.

٣- الإمام أبو الحسن الأشعري : اللمع في الرد على أهل الزيغ والبدع ص ٧٦ .

٤- سورة البقرة الآية: ٢٨٦.

٥- القاضي الباقلاني: الإنصاف فيما يجب اعتقاده ص ٤٤ .

٦- الشهرستاني: الملل والنحل ج ١ ص ١١١ .

٧- إمام الحرمين أبو المعالي الجويني: الإرشاد ص ٢١٠ ..

أقدار أحاط بها علمه، وهيأ أسباب الفعل وسلب الله العلم بالتفاصيل، وأراد من العبد أن يفعل، فأحدث فيه دواعي مستحثة وخيرة وإرادة، وعلم أن الأفعال ستقع على قدر معلوم، فوقعت بالقدرة التي اخترعها للعبد على ما علم وأراد، وللعباد اختيارهم واتصافهم بالاقتدار، والقدرة خلق الله ابتداء، ومقدورها مضاف إليه مشيئة وعلما وقضاء وخلقا وبقاء من حيث أنه نتيجة ما انفرد بخلقه وهو القدرة ولو لم يرد وقوع مقدورة لما أقدره عليه ولما هيأ أسباب وقوعه"[١].

ويؤكد هذا المعنى مرات ومرات في ذات الكتاب، فيقول: "فمن أحاط بذلك كله ثم استراب في أن أفعال العباد واقعة على حسب إيثارهم واختيارهم واقتدارهم فهو مصاب في عقله، أو مستقر على تقليده مصمم على جهله، ففي المصير إلى أنه لا أثر لقدرة العبد في فعله قطع طلبات الشرائع والتكذيب بما جاء به الرسل"[٢].

وفي هذه الرواية يجعل للعبد قدرة حقيقية إضافة الى قوله بالترابط الضروري بين السبب والمسبب، وهو هنا يتبنى وجهة نظر الفلاسفة والمعتزلة.

د- يقول الإمام الرازي: "المختار عندنا أن عند حصول القدرة والداعية المخصوصة يجب الفعل، وعلى هذا التقدير يكون العبد فاعلا على سبيل الحقيقة ومع ذلك فتكون الأفعال بأسرها واقعة بقضاء الله تعالى وقدره"[٣].

أي أن صدور الفعل يتوقف على وجود القدرة الحادثة، والداعي إلى الفعل، فإذا وجدا معا لزم وقوع الفعل لكن هذه القدرة، والداعي بتأثير القدرة القديمة، ومن ثم فهما مخلوقان لله تعالى.

إذن الأشاعرة أنفسهم يختلفون في تفسير الكسب فمنهم من يجعله مجرد تعلق بالفعل ولا تأثير حقيقي لقدرة العبد وهو الأغلب في كلامهم، ومنهم من يعطي تأثيرا حقيقيا لقدرة العبد، وهو الإمام (الجويني) في أحد الروايات عنه، ويظل المذهب غامضا، ومتجها إلى الجبر بصورة كبيرة.

٢- رأي الماتريدية:

يرى الماتريدية أن الله سبحانه وتعالى خالق كل شيء، والعبد كاسب، وتحقيقه: "أن صرف العبد قدرته وإرادته إلى الفعل كسب، وإيجاد الله تعالى الفعل عقيب ذلك خلق والمقدور الواحد داخل تحت قدرتين لكن بجهتين مختلفتين، فالفعل مقدور الله بجهة الإيجاد، ومقدور العبد بجهة الكسب"[٤].

١- إمام الحرمين أبو المعالي الجويني: العقيدة النظامية في الأركان الإسلامية ص ٤٨ .

٢- العقيدة النظامية ص ٤٨ .

٣- الإمام فخر الدين الرازي : أصول الدين ص ٧٠.ط الثانية سلسلة قضايا إسلامية ٢٠١٢م.

٤- سعد الدين التفتازاني : شرح العقائد النسفية ص ٥٩ .

أما الفرق بين الخلق والكسب عندهم: "أن الكسب ما وقع بآلة، والخلق لا بآلة، والكسب مقدور وقع في محل قدرته، والخلق مقدور وقع لا في محل قدرته ، والكسب لا يصح انفراد القادر به، والخلق يصح انفراده"[١].

ويفسر (أبو عذبة) الكسب الماتريدي فيقول: "هو صرف القدرة إلى أحد المقدورين وهو غير مخلوق؛ لأن جميع ما يتوقف عليه فعل الجوارح من الحركات، وكذا التروك التي هي أفعال النفس من الميل والداعية والاختيار بخلق الله تعالى لا تأتي لقدرة العبد فيه، وإنما محل قدرته عزمه عقيب خلق الله تعالى هذه الأمور في باطنه عزما مصمما بلا تردد، وتوجها صادقا للفعل طالبا إياه، فإذا وجد العبد ذلك العزم خلق الله تعالى له الفعل، فيكون منسوبا إليه من حيث هو حركة، ومنسوبا إلى العبد من حيث هو زنا ونحوه"[٢].

والقدرة والاستطاعة عند الماتريدية درجتان:

الأولى: سلامة الأسباب وصحة الآلات: وهي "التهيؤ لتنفيذ الفعل عند إرادة المختار"، ودليل ثبوتها: ﴿ وَلِلَّهِ عَلَى ٱلنَّاسِ حِجُّ ٱلْبَيْتِ مَنِ ٱسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا ﴾[٣] المراد: الزاد والراحلة، وهما تتقدمان أفعال الحج[٤].

الاستطاعة الثانية: وهي مع الفعل، وهي حقيقة القدرة التي يكون بها الفعل، وهي علة الفعل، والجمهور على أنها شرط لأداء الفعل لا علة له، ودليل ثبوتها﴿ مَا كَانُوا۟ يَسْتَطِيعُونَ ٱلسَّمْعَ وَمَا كَانُوا۟ يُبْصِرُونَ ﴾[٥]، والمراد منه نفي حقيقة القدرة .

وهي "صفة يخلقها الله تعالى عند قصد اكتساب الفعل بعد سلامة الأسباب، والآلات فإن قصد فعل الخير خلق الله تعالى قدرة فعل الخير، وإن قصد فعل الشر خلق الله تعالى قدرة فعل الشر"[٦].

والاستطاعة الأولى تصلح للضدين، فاليد الصحيحة كما تصلح لجهاد الكفار تصلح لقتال أهل الإسلام، والاستطاعة الثانية اختلف فيها، فيرى (أبو حنيفة) أنها تصلح للضدين على طريق البدل، والإمام (أبو منصور) لم يظهر رأيه في المسألة، وأكثر كلامه يميل أنها لا تصلح للضدين كما يقول أبو معين النسفي[٧].

١- سعد الدين التفتازاني : شرح العقائد النسفية ص ٥٩ .

٢- أبو عذبة: الروضة البهية ص ٢٦. ينظر: التفتازاني: شرح العقائد النسفية ص ٥٩، ٦٠ .

٣- سورة آل عمران الآية: ٩٧.

٤- ينظر أبو معين النسفي: تبصرة الأدلة في أصول الدين ج ٢ ص ٥٤١ ، تحقيق: كلود سلامة، المعهد العلمي الفرنسي للدراسات العربية بدمشق، ط: الأولى ١٩٩٣م.

٥- سورة هود الآية: ٢٠.

٦- التفتازاني: شرح العقائد النسفية ص ٦٠.

٧-ينظر: أبو معين النسفي: تبصرة الأدلة، ج ٢ ص ٥٤٤، ٥٤٥.

ويرى (أبو الحسن الأشعري) استحالة وجود القدرة على الشيء وضده، فيقول: "فقد وجب أن من شرط قدرة الإنسان أن في وجودها وجود مقدورها، فإذا كان ذلك استحال أن يقدر الإنسان على الشيء وضده ؛لأنه لو قدر عليهما لوجب وجودهما وذلك محال"[١].

وخلاصة الأمر: مع قول الماتريدية أنه لا خالق إلا الله يرون لقدرة العبد تأثيرا حقيقيا في الفعل إذ عقب ميله وعزمه على الفعل وتوافر الأسباب والآلات التي قبل الفعل ومعه (الاستطاعة) يخلق الله الفعل عقب ذلك.

ويرى الدكتور (حسن الشافعي) أن الماتريدية اتخذت موقفا وسطا فيما يتعلق بالحرية الإنسانية فلم تر استقلال القدرة الإنسانية بالإيجاد كالمعتزلة، ولا بالكسب الأشعري الذي يرى عدم تأثيرها في الإيجاد، بل يقولون بقدرة إنسانية سابقة على الفعل صالحة للفعل والترك، ولها أثر في إيجاده، ولكن لا تستقل بالإيجاد فالله هو الخالق المكون لكل شيء[٢].

و يهاجم (ابن رشد) الأشاعرة في أمر الكسب الذي يرونه حلا وسطا للمسألة، والواقع كما يرى أنه ليس موجودا أصلا، وغاية رأيهم انتهى إلى التسوية بين حركة الاضطرار كالرعشة، وبين حركة الاختيار في أن كليهما من فعل الله حقيقة[٣].

ثانيا: رأي فتح الله كولن :

(كولن) قريب جدا من تفسير الكسب الماتريدي إذ يؤكد في أكثر من موضع على الإرادة و الميل والعزم المنبعث من العبد، وخلق الفعل من قبل الله تعالى من ذلك قوله:" "فإرادة الإنسان وجزؤه الاختياري لهما وجود اعتباري فرضي... وعندما يفعل الإنسان ما يخصه ميلا أو تصرفا فإن الله يخلق له الأداة التي تمكنه من الفعل الذي يريد"[٤] .

وأكد على أهمية ميل وإرادة الإنسان وأخذهما بنظر الاعتبار فقال: "فأيما شخص، وبأي شكل، وبأي اتجاه يكون ميله، وبأي جهة سيستعمل إرادته التي هي شرط عادي، فإن تقدير وتعيين تلك النتائج الحاصلة من تلك الأسباب المعلومة مسبقا لا تقيد إرادة الإنسان، ولا تكرهه على شيء؛ لأن ميول الإنسان قد أخذت بنظر الاعتبار"[٥].

ثم ضرب مثلا على ذلك بقوله: "فلو قال الله تعالى لعبد من عباده: "إذا ما أظهرت ميلا بهذا الاتجاه، فأنا أخلق ما ملت إليه، وأنا أعين ذلك من الآن حسب ميلك إلى ذلك، فمعنى هذا أنه سبحانه قد أعطى أهمية لإرادة الإنسان"[٦] .

١- الإمام الأشعري: اللمع في الرد على أهل الزيغ والبدع ص ٩٥.

٢- ينظر: أ د/ حسن الشافعي: المدخل إلى دراسة علم الكلام ص ٨٣ إدارة القرآن والعلوم الإسلامية - باكستان ط: الثانية ١٤٢٢هـ- ٢٠٠١م..

٣- ينظر: ابن رشد: مناهج الأدلة ص ٢٣٣.

٤- كولن: القدر في ضوء الكتاب والسنة، وينظر: خواطر من وحي سورة الفاتحة ص ١٦٠.

٥- القدر ص ١٣٣ .

٦- القدر ص ١٣٣ .

وهو يشير بذلك أن العلم الإلهي المحيط بما وقع وسيقع من الإنسان لا يقيد إرادته ولا يجبره على الفعل والترك، فلا تعارض بين العلم الإلهي وحرية الإنسان في الفعل.

ويرى (كولن) كذلك أن لا تضاد بين القدر، والإرادة الجزئية للإنسان، بل هما متكاتفان بمعنى أن في الإنسان قوة تدفعه إلى الخيرات والحسنات، فيدخل الجنة أو بالعكس أي فيه قوة تسوقه إلى السيئات، فهذه القوة يسميها الإرادة، أو الجزء الاختياري، أو المشيئة، أو الرغبة، وهذه لا تنافي التقدير الإلهي:" كأن الله يقول للإنسان إنني أعلم أنك ستستعمل إرادتك في هذا الوقت في الفعل المعين؛ ولهذا أقدر لك هذا الفعل بهذا الشكل"[١] .

إذن وظيفة الإرادة الإنسانية، هي: "إن الإرادة ميلان محض أو تصرف في الميلان أي هي بذل الإنسان المخير بين شيئين جهدا وسعيا؛ لاختيار أحدهما، وهي شرط عادي فقط، ولا تلتمس أي علاقة بينه وبين النتيجة في إطار قانون السبب والنتيجة...وتسمى هذه الإرادة إرادة نسبية اعتبارية"[٢].

ويرى أنه مهما كانت ماهية الإرادة فلا بد من اعتبارها، والاعتداد بها طالما علق الله تعالى بعض الأشياء عليها، ثم فند آراء العلماء في ذلك:

إن بعضهم يزعم أن لا قيمة للإرادة مطلقا، ومنهم من يرى أن الإرادة هي كل شيء حتى إن بعضهم يزعم أن لها وجودا خارجيا، ثم اختار رأي نسبه إلى أهل السنة وهو كون الإرادة أمر اعتباري[٣] .

إذن ينتقد (كولن) موقف الجبرية الذين يلغون إرادة الإنسان مطلقا، وموقف المعتزلة ألذين يعتبرونها كل شيء، وموقف الأشاعرة الذين يرون لها وجودا خارجيا، ويختار رأي الماتريدية الذين يعتبرون الإرادة أمرا اعتباريا .

إذن الكسب عند (كولن) أمر عدمي (اعتباري) [٤]لا وجود له في الخارج، ومن ثم فهو مخلوق للعبد، فيقول: " إن لنا إرادة وهذا صحيح، ولكن ليس لها وجود خارجي فهي ليست مخلوقة، ولهذا لا يمكننا أن ننظر إلى إرادتنا أنها موجودة، فالأشياء غير الموجودة هي التي لم تخلق، إلا أنها معلومة في علم الله سبحانه؛ أي أن لها وجودا علميا، ولكن لم تتعلق بها الإرادة والقدرة الإلهيتان ولو كان الأمر خلاف هذا النظر، أي لو كان للإرادة وجود خارجي- كما لأعضائنا- فالأمر يؤول إلى الجبر، فلو كانت إرادتنا مخلوقة كخلقة أعضائنا حيث إننا لم نخير ونسأل في ذلك فما كان لفعل من أفعالنا أية مسؤولية وما كان

١- كولن: القدر ص ٢٣.

٢- كولن: الموشور (١) ص ١٨٥، ترجمة: د/ عبد الرازق أحمد محمد، دار النيل ٢٠١٥م. .

٣- ينظر: كولن: الموشور (١) ص ١٨٦ .

٤- الأمور الاعتبارية: وتسمى أيضا أمور كلية وهي عند المتكلمين والحكماء تطلق على الأمور التي لا وجود لها في الخارج وقد تطلق على الفرضيات. وقسمها البيجوري قسمين: أمور اعتبارية انتزاعية كقيام زيد فهو أمر اعتباري انتزاعي؛ لأنه انتزاع من الهيئة الثابتة في الخارج، وأمور اعتبارية اختراعية كبحر من زئبق فهو أمر اعتباري اختراعي؛ لأنه اخترعه الشخص. ينظر: حاشية الإمام الباجوري على جوهرة التوحيد ص ١٣٧. التهانوي: كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم ج ١ ص ٢٧٢.

أحد أن يطلب ثوابا على حسناته"[١]، ويتفق (كولن) تماما في هذا الوصف مع (النورسي) إذ يقول: "إن إرادة الإنسان الجزئية وجزأه الاختياري ضعيف وأمر اعتباري إلا أن الله سبحانه وهو الحكيم المطلق قد جعل تلك الإرادة الجزئية الضعيفة شرطا عاديا لإرادته الكلية"[٢]..

واعتبار الإرادة من الأمور الاعتبارية رأي ماتريدي، في مقابل رأي الأشاعرة الذي يذهب إلى أنها من الموجودات الخارجية المخلوقة لله[٣].

وبناء على هذا فإرادة الإنسان عند (كولن) ليست مخلوقة رغم تأكيده على ضعفها وضآلتها ولكنها جعلت شرطا وسببا للمسؤولية والجزاء، وهذا ما يؤكد على تبنيه القول بأهمية الإرادة الإنسانية وعلى تمتع الإنسان بالحرية والاختيار في أفعاله ومن ثم نجده كثيرا ما يؤكد على الحرية والإرادة الإنسانية التي يسميها الإرادة الجزئية في مقابل إرادة الله الكلية، ومحاولة التوفيق بينهما، وهذا واضح في رسالة القدر في أكثر من موضع، وكذا في كتابه أسئلة العصر المحيرة، وقد سبقه في ذلك المضمار، وبنفس المسميات بديع الزمان النورسي[٤].

تعقيب:

من دراسة مسألة الكسب يتبين الآتي:

١- الكسب كان موطئا لأهل السنة للفرار من جبر الجبرية وحرية المعتزلة، ولكن اختلفوا في معناه، وإن اتفقوا على أن الله هو الخالق لأفعال العباد.

٢- تأثير القدرة الحادثة عبارة عن القصد والميل والعزم على الفعل عند الماتريدية، وعند الأشاعرة مجرد المقارنة للفعل .

٣- قدرة العبد عند الأشاعرة مقارنة للفعل وعند الماتريدية عند الفعل وقبله فمع هذه القدرة المقارنة للفعل توجد أخرى تتقدم الفعل وهي الآلات والوسائل.

٤- الأشاعرة لا يرون تأثيرا للقدرة الحادثة بناء على أن العلاقة بين السبب والنتيجة عادي، بينما يرى الماتريدية أن تأثير القدرة الحادثة حقيقي في الفعل .

٥- يصرح (كولن) في مواقف كثيرة ويشيد بحرية العبد، و في أن تأثير القدرة الحادثة عبارة عن الميل والعزم والقصد، وأنها غير مخلوقة، وهو موقف الماتريدية كما سبق.

المسألة الثالثة: علاقة العلم الإلهي بأفعال العباد:

١- كولن: القدر ص ٢٦.

٢- بديع الزمان النورسي : رسالة القدر الكلمة السادسة والعشرون الكلمات ص ٥٤٨.

٣- الدكتورة/ انتصار ابراهيم أحمد: آراء كمال الدين البياضي الكلامية وأثره في تطور المدرسة الماتريدية عرض ونقد ص٤٦٥، رسالة دكتوراه كلية الدراسات الإسلامية والعربية بنات- القاهرة - جامعة الأزهر ٢٠٠٩م.

٤- دكتور/ أحمد محمد سالم : تجديد علم الكلام قراءة في فكر بديع الزمان سعيد النورسي ص ٣٠١ .

علم الله تعالى صفة أزلية تنكشف بها الموجودات انكشافا تاما دون سبق خفاء أو جهل، فالله تعالى يحيط بكل كبيرة وصغيرة قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ ٱلْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَآ إِلَّا هُوَ ۚ وَيَعْلَمُ مَا فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ ۚ وَمَا تَسْقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٍ فِى ظُلُمَٰتِ ٱلْأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مُّبِينٍ ﴾[1] ومعنى ذلك أنه يعلم بما وقع ويقع وما سيقع من كل الموجودات ومنها الإنسان، فيعلم ما تكسبه يداه قبل أن يفعل.

فهل علم الله تعالى بما سيفعله الإنسان يجبره على الفعل والترك، هذا سيكون موضوع النقاش القادم بين المتكلمين وفتح الله كولن.

أولا: رأي المتكلمين:

١- يرى القدرية من المعتزلة وغيرهم أن الله يعلم جميع الأشياء قبل وقوعها ومنها أفعال العباد الواقعة بقدرتهم حسب إرادتهم، ولكن الله لم يقدر عليهم هذا الأفعال، ولم يجبرهم عليها؛ تحقيقا لمبدأ المسئولية والثواب والعقاب[٢].

٢- ويحكي الأشعري إجماع المسلمين على أن علم الله سابق ولم يزل فيقول "وقد قالوا: علم الله لم يزل وعلم الله سابق في الأشياء، ولا يمتنعون أن يقولوا في كل حادثة تحدث ونازلة تنزل كل هذا سابق في علم الله"[٣] .

ولكن علم الله ليس له أي تأثير في أفعال العباد لأن العلم تابع للمعلوم لا مستتبع" فلا مدخل للعلم في وجوب الفعل وامتناعه وسلب القدرة والاختيار، وإلا لزم أن لا يكون تعالى فعلا مختارا لكونه عالما بأفعاله وجودا وعدما"[٤].

٣- وترى الماتريدية أن: "القدر بخيره وشره من الله عند أهل السنة والجماعة ...ولكن نقول إن العبد مخير مستطيع ، والقضاء لا يجبره على المعصية كالعلم"[٥].

فعلم الله المحيط الشامل بكل كبيرة وصغيرة لا يجبر أحدا على المعصية، وكذا قضاؤه تعالى.

إذن هناك اتفاق بين المتكلمين، بل وعموم المسلمين على أن علم الله المحيط بكل شيء لا يجبر الإنسان على الفعل.

---

[1]- سورة الأنعام الآية:٥٩.

٢- ينظر: أ د/ عبد العزيز سيف النصر: القدر وحرية الإرادة الإنسانية في الفكر الكلامي الإسلامي ص ٩٢ مصر للخدمات العلمية ٢٠٠٦م.

٣- الأشعري: الإبانة عن أصول الديانة ص ١٤٥.

[4]- الجرجاني: شرح المواقف المجلد الرابع ص ١٧٤. والتفتازاني: شرح المقاصد المجلد الثالث ص ١٧١.

٥- النسفي: بحر الكلام ص ١٧٥.

ثانيا: رأي كولن:

يرى (كولن) أن علم الله الأزلي بما سيكون وبما سيقع من الإنسان لا يجبر أحدا على الفعل والترك، فيقول: "وصفة العلم ليس من شأنها تعيين الأحداث والأفعال، بل الذي يعينها ويوجدها وفق ميول الإنسان هو قدرة الله وإرادته، وعلى ذلك فالأشياء الحادثة لا تحدث؛ لأن علم الله سبق بأنه سيكون كذا بل إن الله يعلمها؛ لأنها ستكون وهذا هو معنى القدر والتقدير الأول ،ويعبر علماء الكلام عن هذا بقولهم: "العلم يتبع المعلوم "، ويتعلق به على ما هو عليه، ولا يؤثر فيه ،ولا يغيره أي إن الحادث معلوم حاله كيف سيكون ،وليس للعلم تأثير على وجوده"[١].

كما يؤكد أن القدر نوع من العلم الإلهي، فيقول: "القدر هو ما فصله الله سبحانه في علمه من تخطيط وتنظيم وتصميم للأشياء، والعلم بالشيء لا يعني إيجاده إذ لو عرفت تصميم ألف بناء، وحفظت خطة عمل لمئات المصانع، فلا يأتي بعلمك هذا أي شيء للوجود"[٢].

ويضرب أمثلة توضح ذلك منها:

لو أن قطارا يقطع مسافة بين محطتين معلومتين بزمن معلوم، فهذه نتيجة محسوبة ومعلومة قبل حركة القطار بكثير، فكذلك كل ما سيفعله الإنسان قد كتب مسبقا في اللوح المحفوظ، وإنما هو بأفعاله يضع ما كتب موضع التنفيذ، وهذا العلم ليس قوة تجبره على الفعل[٣] .

ويؤكد هذا المعنى في كثير من المواضع فيقول: "ثم إن القدر والتعيين المبدئي (المسبق) عبارة عن الخطة العلمية الإلهية إن جاز التعبير أي علمه بالإنسان وميول الإنسان ووضع خطة وبرنامج وفق ما سيقوم به الإنسان"[٤].

فهو لا يحجر على إرادة الإنسان، بل يوجه تقديره إلى حيث تتوجه إرادة الإنسان والله يحيط بالإنسان وإرادته أي يعلمها، وعلمه بها لا يعني تقديرها مسبقا[٥].

ومن الأمور الجديرة بالذكر - والجديدة أيضا- في هذا البحث أنه ذكر أن الذين يزاولون مسائل الروح[٦] يقولون إن الروح قرين الجسد، فالإنسان قد يتعرف على ما هو مقدر له من خلال علامات وإشارات جسده المادي، وذلك مثل المشتغلين بعلم القيافة[٧]، وأشار أن

١- كولن: الرد على شبهات العصر ص ١٨٣ .

٢- كولن: القدر ص ٢٤.

٣- ينظر: القدر ص ٢٤.

٤- كولن: القدر ص ١٣٣، وينظر: خواطر من وحي سورة الفاتحة ص ١٨٥.

٥- القدر ٢٣ .

٦- يهتمون بالروحانيات وعلم الروحانيات كالقيافة وتحضير الأرواح.

٧- القيافة: تتبع الأثر، والقَائِف الَّذِي يتَتبع الْآثَارَ وَيَعْرِفُهَا وَيَعْرِفُ شبَه الرَّجُلِ بأَخيه وأَبيه. ابن منظور: لسان العرب فصل الكاف ٢٩٣/٩.أبو الفيض مرتضى الزبيدي: تاج العروس من جواهر القاموس باب (ق ي ف) ج ٢٤ ص ٢٩٢.

أن ذلك لا يعارض حكم(لا يعلم الغيب إلا الله)، فقد كان علما موجودا في عصر النبوة، واستدل بحديث عائشة: "دخل علي قائف والنبي- ﷺ- شاهد وأسامة بن زيد، وزيد بن حارثة مضطجعان، فقال: إن هذه الأقدام بعضها من بعض فسر بذلك النبي- صلى الله عله وسلم- وأعجبه"[١].

وأرى أن التمثيل بالقيافة على معرفة الغيب - ومنه قدر الله - بعيد جدا؛ لأنه يتطرق لبعض الأمور الموجودة بالفعل وإن عدت غيبا لبعض الأفراد عن طريق إشارات وعلامات ما، وهي تنحصر فقط في تتبع الأثر ومعرفة الشبه.

في نهاية هذه المسألة(علاقة العلم الإلهي بأفعال العباد):

يؤكد (كولن) أن علم الله تعالى المحيط بكل شيء ومنه أفعال الإنسان ليس له أي تأثير على اختيار الإنسان فلا منافاة إطلاقا بين العلم وحرية الإنسان في الفعل والترك .

ويتبين هضمه لمصطلحات المتكلمين بدليل قيامه بشرحها بصورة أبسط مثل شرحه (العلم تابع لمعلومه) بلغة عصرية وبأمثلة توضيحية واقعية.

المسألة الرابعة: السببية وعلاقتها بأفعال العباد:

أولا: رأي المتكلمين:

١- أما المعتزلة فقد أثبتوا الضرورة بين السبب والمسبب يقول القاضي (عبد الجبار): "إن السبب لا يمنع حصوله ثم لا يحصل المسبب بأن يعرض عارض فيمنعه من التوليد، ومتى وجب حصوله عند حصول السبب، وزوال المانع، فإن حاله كحال المبتدأ عند تكامل الدواعي، فإنه يحصل لا محالة"[٢].

إذن الفعل الأصلي والمتولد كلاهما مسببان ضرورة عن سبب؛ ولذا عاب القاضي (عبد الجبار) على الإمام (الأشعري) استخدام السببية في الاستدلال على أن للعالم صانعا بقوله:(أن العالم صنع، فلابد له من صانع)، وعدم الأخذ بها في أفعال العباد.

فالقاعدة عند القاضي أنه "إذا علم فعلا علم أن له فاعلا ما وإن لم يعلمه بعينه"[٣] .

إذن أفعال العباد - عند المعتزلة- غير مخلوقة فيهم وأنهم المحدثون لها، والدليل:

أ- أنا نفرق بين المحسن والمسيء فنمدح الأول ونذم الثاني.

ب- و أنها واقعة حسب قصودنا ودواعينا، ومنتفية عند انتفاء القصد والدواعي.

١- كولن: القدر في ضوء الكتاب والسنة ص ٢٥، والحديث أخرجه البخاري ومسلم ينظر: صحيح البخاري، باب مناقب زيد بن حارثة مولى النبي- ﷺ- كتاب المناقب (ج ٥ ص ٢٣ رقم ٣٧٣١)، وصحيح مسلم باب العمل بإلحاق القائف الولد كتاب الرضاع ج ٢ ص ١٠٨٢ رقم ١٤٥٩).

٢- القاضي عبد الجبار بن أحمد : شرح الأصول الخمسة ص ٣٨٨ ، حققه وقدم له الدكتور عبد الكريم عثمان.

٣- شرح الأصول الخمسة ص ٣٢٥.

ج- وأيضا من الأدلة التي ساقها القاضي أن إثبات المحدث في الغائب ينبي على إثبات المحدث في الشاهد، وصورة هذا القياس: "قد ثبت أن هذه التصرفات محتاجة إلينا ومتعلقة بنا، وإنما احتاجت إلينا لحدوثها، فكل ما شاركها في الحدوث وجب أن يشاركها في الاحتياج إلى محدث وفاعل، وهذه الأجسام كلها محدثة، فلابد لها من محدث وفاعل، وفاعلها ليس إلا الله تعالى"[١].

فإثبات الفاعل الخالق سبحانه ينبني على إثبات تصرفات العباد، ونسبتها إليهم.

٢- رأي الأشاعرة:

ترى الأشاعرة أن الترابط بين الأسباب والمسببات عادي بحيث يمكن تخلفه فيقول الغزالي: "الاقتران بين ما يعتقد في العادة سببا وبين ما يعتقد مسببا ليس ضروريا عندنا ...فإن اقترانها لما سبق في تقدير الله سبحانه بخلقها على التساوق لا لكونه ضروريا في نفسه غير قابل للفوت، بل في مقدور الله خلق الشبع دون الأكل"[٢].

٣- رأي الماتريدية:

يتحدث الماتريدية عن إرادتين: إرادة جزئية وهي إرادة الإنسان، وإرادة كلية وهي إرادة الله تعالى.

ويعدون الإرادة الجزئية سببا ناقصا عاديا لتأثير قدرة الله في الفعل.

وهنا تلتقي الماتريدية مع الأشاعرة في أن العلاقة عادية وليست ضرورية، ولكن يختلفان في تأثيرها وقيمتها بالنسبة للفعل:

" عند الأشعري فإن الإرادة الجزئية وإن كانت سببا عاديا لتأثير القدرة القديمة إلا أنها من الموجودات الخارجية المخلوقة له تعالى عنده فليس في قدرة العبد تأثير في أصل الفعل ولا في وصفه"[٣].

وعند الماتريدية الإرادة الجزئية هي: " عبارة عن تعلق الإرادة الكلية بجانب معين من الفعل أو الترك، صادرة من العبد اختيارا وليست بمخلوقة لله تعالى؛ لأنها ليست من الموجودات الخارجية، بل من الأمور الاعتبارية ككون الفعل طاعة أو معصية"[٤].

إذن أصل الفعل ووصفه بكونه طاعة أو معصية مخلوقان لله تعالى على مذهب الأشاعرة، وعلى مذهب الماتريدية أصل الفعل بخلق الله ووصفه بأنه طاعة أو معصية بإرادة العبد[٥].

١- شرح الأصول الخمسة ص٣٣٢- ٣٥٥.

٢- الغزالي: تهافت الفلاسفة ص ٢٣٩ .

٣- الكلنبوي: حاشية الكلنبوي على شرح جلال الدين الدواني الصديقي وعلى هامشه حاشية للمولى المرجاني والخلخالي ص ٢٤٨، دار سعادت ١٣١٦هـ.

٤- السابق ص ٢٤٨.

٥- السابق ص ٢٤٩.

ثانيا: رأي الفلاسفة:

يرى الفلاسفة ترتب الأسباب على مسبباتها على وجه اللزوم والضرورة، يقول (الفارابي): "كل ما لم يكن فكان فله سبب، ولن يكون العدم سببا لحصوله في الوجود، والسبب إذا لم يكن سببا، ثم صار سببا فلسبب صار سببا وينتهي إلى مبدأ تترتب عنه أسباب الأشياء على ترتيب علمه بها تعالى"[١].

ويرى (ابن رشد) أن الأسباب التي خلقها الله تجري على نظام محدود، وترتيب دقيق لا يختل فوجب أن تكون الأفعال موافقة للأسباب وجوبا، ثم طبق ذلك في أفعال الإنسان، فقال: "فواجب أن تكون أفعالنا تجري على نظام محدود ...وإنما كان ذلك واجبا ؛لأن أفعالنا تكون مسببة عن تلك الأسباب التي من خارج، وكل مسبب يكون عن أسباب محدودة مقدرة، فهو ضرورة محدودة مقدرة، وليس يلقى هذا الارتباط بين أفعالنا والأسباب التي من خارج فقط، بل وبينها وبين الأسباب التي خلقها الله تعالى في داخل أبداننا، والنظام المحدود في الأسباب الداخلة والخارجة أعني التي لا تخل هو القضاء والقدر الذي كتبه الله تعالى على عباده، وهو اللوح المحفوظ، وعلم الله بهذه الأسباب وبما يلزم عنها هو العلة في وجود هذه الأسباب"[٢].

ويؤكد على دور الأسباب وتأثيرها بقوله: "وينبغي أن تعلم أن من جحد كون الأسباب مؤثرة بإذن الله في مسبباتها أنه قد أبطل الحكمة، وأبطل العلم، وذلك أن العلم هو معرفة الأشياء بأسبابها، والحكمة هي المعرفة بالأسباب الغائية، والقول بإنكار الأسباب جملة هو قول غريب جدا عن طباع الناس، والقول بنفي الأسباب في الشاهد ليس له سبيل إلى إثبات سبب فاعل في الغائب"[٣].

وهو شبيه بنفس رد القاضي (عبد الجبار) على الأشاعرة في إنكارهم الأسباب في أفعال العباد، واستخدامها في إثبات الصانع.

ثالثا: رأي كولن:

يرى (كولن) أن الله هو المؤثر الحقيقي في الكون والكائنات وما ارتباط الأسباب بأسبابها إلا قوانين ونواميس وضعها الله لتنظيم الكون، وليس لها من الأمر شيء، وفي الإمكان أن تتخلف بإرادة الله، وقد حدث ذلك بالفعل كما في معجزات الأنبياء، فيقول: "إن إحراق النار وقتل السم ليس من خاصيتهما الذاتية فحرق النار وقتل السم من النواميس الكونية، والذي وضع هذه النواميس هو الله (عز وجل)، ولذلك فنسبة الإحراق في النار إلى ذات النار، أو نسبة التسميم إلى ذات السم تخالف عقيدتنا وطريق أهل السنة والجماعة، فالنار إنما تحرق بمشيئة الله حيث إنها لم تحرق سيدنا إبراهيم (عليه السلام)،

١- رسائل الفارابي ص ٢٢٣.

٢- ابن رشد: مناهج الأدلة في عقائد الملة ص ٥٢٧.

٣- ابن رشد: مناهج الأدلة ص ٢٣٢.

وكذلك السم إنما يقتل بمشيئة الله إذ إن اللحم الذي جعلت فيه اليهودية السم في خيبر قتل بشرا، ولم يقتل الرسول (ﷺ)"[١].

ويقول أيضا تدعيما لهذا القول: "في الكون سنن وقوانين وضعها الله إلا أنها قد تسند إلى مواضعها أو كيفية وضعها أو تسمى باسم الشيء أو الحادثة التي تتعلق به ومن الناس من ينسب هذه القوانين إلى الذين اكتشفوها كأنهم واضعوها، والحال أن كل الكائنات، وكل القوانين الجارية في الكون تشهد أن الواضع والموجد الحقيقي لكل شيء هو الله وحده (ﷻ)"[٢] .

ويرى أنه طبقا لمبدأ(تناسب العلية)أنه إذا توافرت الشروط، والأسباب لوجود الشيء وقع المعلول أي النتيجة، فإذا تجمعت الأسباب لنمو شجرة من توفر التربة، والمناخ، والحيوية، وعقدة الحياة في البذرة يظهر ما نطلق عليه (العلة التامة)، وهذه العلة تؤدي إلى ظهور المعلول، وإذا نقصت بعض الأسباب تسمى (العلة ناقصة)[٣]، فلا يظهر المعلول للوجود، فإذا تم الأمر خارج سلسلة العلة والمعلول، ولم نستطيع تعليل الأمر أو إيضاحه يكون هذا الأمر معجزة كخلق آدم، وخلق عيسى -عليهما السلام-[٤].

وقد طبق ذلك أيضا في موضوع أفعال العباد، فهو يؤكد أن الإرادة البشرية جعلها الله شرطا عاديا لخلق أفعال الإنسان وضرب مثلا على ذلك:

"هب أنكم لمستم زرا لمكنة كهرباء عظيمة، علما أن غيركم قد هيأ هذه المكنة بنظام دقيق بحيث إن مجرد مس زرها يجعل المكان كله غارقا في النور، فالعمل الجزئي

١- والرواية عند ابن هشام: "لَمَّا اطْمَأَنَّ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَهْدَتْ لَهُ زَيْنَبُ بِنْتُ الْحَارِثِ، امْرَأَةُ سَلَّامِ بْنِ مِشْكَمٍ، شَاةً مَصْلِيَّةً (مشوية) ، وَقَدْ سَأَلَتْ أَيَّ عُضْوٍ مِنْ الشَّاةِ أَحَبُّ إلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؟ فَقِيلَ لَهَا: الذِّرَاعُ، فَأَكْثَرَتْ فِيهَا مِنْ السُّمِّ، ثُمَّ سَمَّتْ سَائِرَ الشَّاةِ، ثُمَّ جَاءَتْ بِهَا، فَلَمَّا وَضَعَتْهَا بَيْنَ يَدَيْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، تَنَاوَلَ الذِّرَاعَ، فَلَاكَ مِنْهَا مُضْغَةً، فَلَمْ يُسِغْهَا، وَمَعَهُ بِشْرُ بْنُ الْبَرَاءِ بْنِ مَعْرُورٍ، قَدْ أَخَذَ= =مِنْهَا كَمَا أَخَذَ رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-، فَأَمَّا بِشْرٌ فَأَسَاغَهَا، وَأَمَّا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَلَفَظَهَا، ثُمَّ قَالَ: إنَّ هَذَا الْعَظْمَ لَيُخْبِرُنِي أَنَّهُ مَسْمُومٌ". وَأما بشر فمَاطَلَهُ وَجَعُهُ سَنَةً لَا يَتَحَوّلُ إلّا مَا حُوّلَ، ثُمّ مَاتَ مِنْهُ. وَيُقَالُ لَمْ يَقُمْ مِنْ مَكَانِهِ حَتّى مَاتَ، وَعَاشَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بَعْدَ ذَلِكَ ثَلَاثَ سِنِينَ. الواقدي: المغازي باب غزوة خيبر ص ٢/ ٦٧٧. عبد الملك بن هشام بن أيوب الحميري المعافري، أبو محمد، جمال الدين (المتوفى: ٢١٣هـ) السيرة النبوية ص ٣٣٧/٢ باب أمر الشاة المسمومة، تحقيق: مصطفى السقا وإبراهيم الأبياري وعبد الحفيظ الشلبي، الناشر: شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر، الطبعة: الثانية، ١٣٧٥هـ - ١٩٥٥ م. أبو بكر البيهقي: دلائل النبوة، باب ما جاء في الشاة التي سمت للنبي- ﷺ- ص ٤/ ٢٦٣، تحقيق: عبد المعطي قلعجي، الناشر: دار الكتب العلمية، دار الريان للتراث، الطبعة: الأولى - ١٤٠٨ هـ - ١٩٨٨ م.

٢- خواطر حول سورة الفاتحة ١٢٨ص ٢٠٤.

٣- "العلة: هي ما يحتاج إليه الشيء فإن كانت داخلة فوجوب الشيء معها إما بالفعل فهي صورية وإما بالقوة فهي مادية وإن كانت خارجة فالشيء إما بها فهي فاعلية أو لها فهي غائية ومرجع الشروط والآلات إلى الفاعل وجميع ما يتوقف عليه الشيء يسمى علة تامة وعند تمام الفاعل يجب وجود المعلول لامتناع الترجيح بلا مرجح". العلامة/ سعد الدين التفتازاني: متن تهذيب المنطق والكلام للعلامة وعلى قسم الكلام تعليقات جمعها الشيخ عبد القادر معروف الكردي السنندجي ص ٣١ مطبعة السعادة ط الأولى ١٣٣٠هـ - ١٩١٢م.

٤- ينظر: أسئلة العصر المحيرة ص ١٢٠- ١٢١ .

الذي قمتم به، والنتيجة العظيمة التي ظهرت لا تشاهد بينها علاقة معقولة، فليس هناك علاقة معقولة بين السبب والنتيجة كما هو الحال في معجزات الأنبياء"[١].

ويقول: "كل هذه الأسباب عارضة، وليس هناك وجود حقيقي لأي منها، فإن لم يكلفنا ربنا تبارك وتعالى بالأخذ بالأسباب ما اضطررنا إلى اللجوء إلى أي منها وبما أن كل شيء في هذا العالم المفعم بالحكم متعلق بالأسباب، فنحن ننظر إليها على أنها شروط عادية فقط، أما النقطة الثابتة التي لا تتغير، والتي نركز عليها فهي يد القدرة الإلهية التي تقبض وحدها على جميع الأسباب"[٢].

كما هو واضح من كلام (كولن)، فليس هناك ترابط ضروري بين السبب والمسبب اتفاقا مع موقف الأشاعرة والماتريدية، مع اقترابه من الماتريدية في مفهوم الكسب كما سبق .

من خلال الحديث عن علاقة السببية بأفعال العباد يمكن الخروج بعدة نتائج:

١- ترى المعتزلة الترابط ضروريا بين السبب والمسبب ومن ثم فأفعال العباد تنسب إليهم حقيقة.

٢- ترى الأشاعرة أنه ترابط عادي يمكن تخلفه كما حدث في معجزات الأنبياء، فقد انخرقت العادة بأمر الله تعالى، ولوقلنا بالتلازم الضروري لما سوغ إثبات المعجزات عندهم، وقد ترتب على أصلهم هذا عدم تأثير القدرة الحادثة في مقدورها إلا على سبيل العادة، وليس اللزوم، فالله هو الخالق والمؤثر في الكون وما فيه .

٣- وترى الماتريدية كذلك أن الإرادة الجزئية للإنسان شرط عادي للتأثير في الفعل وليس ضروريا، إلا أنها ترى إرادة الإنسان لها تأثير حقيقي بخلاف الأشاعرة.

٤- الفلاسفة ترى الترابط بين السبب والنتيجة ترابطا ضروريا؛ ومن ثم تنسب إلى العبد الفعل والتأثير حقيقة.

٥- ويعتقد (كولن) بأن الإرادة الجزئية شرط عادي مؤثر في وقوع الفعل متوافقا مع الماتريدية.

و في النهاية بعد دراسة رأي (كولن) في مسألة(أفعال العباد) يمكن القول إن (كولن) يقترب من الماتريدية أكثر، أو هو يدين بنفس المذهب إن أردنا الدقة، فيرى أنه إذا توفرت الشروط والأسباب مع الميل والعزم على الفعل وقع الفعل بإرادة الإنسان الجزئية التي جعلها الله شرطا عاديا لحصول الفعل، مع التأكيد أن يد القدرة الإلهية تقبض على جملة الأسباب والموجودات.

وبذا يكون قد انتهيت من مبحث القدر عند (كولن) والذي تبين من خلاله عدة ملاحظات:

١- يتفق كولن في حقيقة القدر مع الماتريدية فالقدر قديم والقضاء حادث.

١- القدر ص ٢٧.

٢- فتح الله كولن: الاستقامة في العمل والدعوة ص ١٩ .

٢- اهتم (كولن) بالثمرات العملية من وراء فهم القدر وحقيقته، وهذا الجديد الذي ينبغي إدراجه عند دراسة القدر للنشء وعموم المسلمين حتى نحقق اليقين وقوة الإيمان للأفراد والمجتمعات.

٣- لجأ (كولن) إلى القرآن والسنة لاستقراء المعاني الروحية من خلالهما، وهذا من الجديد أيضا فينبغي أن نعود إلى هذين الأصلين، فعرضهما يتسم بالوضوح، ويؤثر في الوجدان وهذا ما يتطلبه الإنسان والعصر.

٤- اتفق مع أهل السنة في عموم إرادته تعالى.

٥- اتفق مع أهل السنة في أفعال الله تعالى من الهداية، والآجال، والأرزاق، وعدم وجوب شيء عليه تعالى، وتميز في عرضه لقضية المنع والمنح حيث جمع بين الإقناع العقلي والقلبي ببيان الحكمة من كل .

٦- اقترب من المعتزلة في قضية العوض على الإيلام، إلا أنه لا يقول بوجوب شيء على الله تعالى، ولا يقول بالتحسين والتقبيح العقليين.

٧- في أفعال الله تبني فكرة الكسب الماتريدي التي تجعل لإرادة الإنسان الجزئية تأثيرا حقيقيا ، وحرية بها يثاب ويعاقب .

المبحث الخامس: رؤية الله تعالى[1]:

اتفق أهل السنة على جواز رؤية الله تعالى في الدنيا، أما الرؤية في الآخرة، فواقعة للمؤمنين خلافا للمعتزلة.

١- يرى المعتزلة أن الله سبحانه وتعالى لا يرى في الدنيا ولا في الآخرة، والدليل على ذلك :

"أن الله تعالى قد قال:﴿ لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ وَهُوَ يُدْرِكُ ٱلْأَبْصَٰرَ ۖ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ ﴾ [2]، وإدراك الأبصار هو رؤية البصر، فيجب أن لا يرى به؛ ولأن البصر لا يرى به إلا ما كان في جهة دون جهة، وتعالى الله عن ذلك؛ لأن ذلك علامة الحدوث فيجب أن لا يرى بالأبصار، وإنما يرى بالقلوب والمعرفة والعلم، وقوله عز وجل: ﴿ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ﴿٢٢﴾ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴿٢٣﴾ ﴾[3]أي تنتظر ثواب الله، وتنتظر نعمه على ما روي عن المفسرين حتى يكون موافقا لدليل العقل والكتاب"[4].

٢- ويرى الأشاعرة أن رؤية الله تعالى بالأبصار جائزة عقلا في الدنيا ، وواجبة شرعا في الآخرة، والدليل على ذلك:

أ- من الأدلة السمعية قوله تعالى:﴿ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ﴿٢٢﴾ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴿٢٣﴾ ﴾، ولا يجوز أن يكون معنى قوله: ﴿ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴾ معتبرة؛ لأن الآخرة ليست دار اعتبار ولا متعطفة راحمة؛ لأن الباري لا يجوز أن يتعطف عليهم، ولا يجوز أن يعني منتظرة؛ لأن النظر إذا قرن بالوجوه كان معناه نظر العين"[5].

- وأما معنى قوله: ﴿ لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ وَهُوَ يُدْرِكُ ٱلْأَبْصَٰرَ ﴾ في الدنيا دون الآخرة لأن القرآن لا يتناقض، فالوقت الذي قال إنها لا تدركه الأبصار فيه غير الوقت الذي أخبرنا أنها تنظر إليه فيه[6].

ب- من الأدلة العقلية:

١- تعريف الرؤية: المشاهدة بالبصر، بمعنى العلم مجازا، النظر بالعين والقلب، وإذا كانت مع الإحاطة سميت إدراكا. ينظر: ابن منظور: لسان العرب ج ٥ ص ٨٤. القاموس المحيط ص ١٠٩٥.جميل صليبا: المعجم الفلسفي ج ١ ص ٦٠٤.

٢- سورة الأنعام الآية:١٠٣ .

٣- سورة القيامة الآية: ٣٢-٣٣ .

٤- القاضي عبد الجبار بن أحمد: الأصول الخمسة المنسوبة للقاضي عبد الجبار ص ٧٤ .

٥- ينظر: اللمع ص ٦٣و٦٤ .

٦- ينظر: الإمام أبو الحسن الأشعري: اللمع ص ٦٥، وكذلك الإبانة عن أصول الديانة ج ١ ص ٢٦ .

- "أن ما لا يجوز أن يوصف به الباري تعالى ويستحيل عليه، فإنما لا يجوز؛ لأن في تجويزه إثبات حدثه، أو إثبات حدث معنى فيه، أو تشبيهه، أو تجنيسه، أو قلبه عن حقيقته، أو تجويره، أو تظليمه، أو تكذيبه ...فلما لم يكن في إثبات الرؤية شيء مما لا يجوز على الباري لم تكن الرؤية مستحيلة، وإذ لم تكن مستحيلة كانت جائزة على الله"[١].

- أن الرب تعالى موجود، وكل موجود يصح أن يرى[٢].

- أن الله علقها بأمر جائز عقلا، وهو استقرار الجبل حين سأله موسى: ﴿ رَبِّ أَرِنِيٓ أَنظُرۡ إِلَيۡكَۚ قَالَ لَن تَرَىٰنِي وَلَٰكِنِ ٱنظُرۡ إِلَى ٱلۡجَبَلِ فَإِنِ ٱسۡتَقَرَّ مَكَانَهُۥ فَسَوۡفَ تَرَىٰنِيۚ ﴾[٣]وكل ما علق على الممكن لا يكون إلا ممكنا[٤].

٣- ويتفق الماتريدية مع الأشاعرة في أن الرؤية جائزة عقلا وأن المؤمنين سيرون ربهم في الآخرة ومن ذلك قولهم: "رؤية الله بالأبصار للمؤمنين في الآخرة بعد دخولهم الجنة جائزة عقلا ، واجبة سمعا، فنرى لا في مكان، ولا جهة، ولا اتصال شعاع، ولا ثبوت مسافة بين الرائي وبينه تعالى وغير ذلك من أمارات الحدوث ، ويستدلون بنفس الأدلة السمعية [٥]، مثل قوله:﴿ لَّا تُدۡرِكُهُ ٱلۡأَبۡصَٰرُ وَهُوَ يُدۡرِكُ ٱلۡأَبۡصَٰرَۖ ﴾ فيرى الإمام (أبو منصور الماتريدي) أن الله تعالى نفى الإدراك، ولم ينف الرؤية؛ لأن الإدراك هو الإحاطة بالمحدود والله يتعالى عن وصف الحد[٦].

ثالثا: رأي فتح الله كولن:

يرى (كولن) أن رؤية الله تعالى ممتنعة في الدنيا؛ لأن الرؤية إحاطة، ونحن لا نستطيع الإحاطة به سبحانه وتعالى، أما الرؤية في الآخرة فهي واقعة للمؤمنين.

١- : الرؤية في عالم الشهادة(الدنيا):

يرى (كولن) أن رؤية الله في عالم الشهادة ممتنعة، وأن محل رؤيته تعالى سيكون في الآخرة.

١- الإمام أبو الحسن الأشعري: اللمع في الرد على أهل الزيغ والبدع ص ٦٢ .

٢- ينظر: إمام الحرمين أبو المعالي الجويني : لمع الأدلة في قواعد عقائد أهل السنة والجماعة ص ١١٥ تحقيق: د/ فوقية حسين محمود عالم الكتب- بيروت ط الثانية ١٤٠٧هـ- ١٩٨٧م.وينظر: أبي مظفر الاسفراييني: التبصير في الدين وتمييز الفرقة الناجية عن الفرق الهالكين ص ١٥٧ .

٣- سورة الأعراف الآية: ١٤٣.

٤- ينظر: حاشية الباجوري على جوهرة التوحيد ص ١٩٥. .

٥- ينظر: الإمام أبو منصور الماتريدي: كتاب التوحيد ص ٧٨. وينظر: العلامة سعد الدين التفتازاني: شرح العقائد النسفية ص ٥١.أبو البركات النسفي: الاعتماد في الاعتقاد ص ٢١٤. .

٦- ينظر: كتاب التوحيد ص ٨١ .

يقول كولن:" إن الإنسان لا يستطيع رؤية الله في الدنيا؛ لأنه لا يملك هذه المؤهلات ولم يتهيأ لها، ولم يصل بعد إلى هذا المستوى من الاستعداد، ولا تتعلق المسألة بأبعاد الزمان و المكان أو بغيرها من الأبعاد، فالله تعالى أقرب إلينا من حبل الوريد وهو يهب لنا نعمه، ويتدخل بإرادته في شؤوننا، ويتصرف بقدرته اللانهائية، وإذا أردنا التعبير هذا تعبيرا تصوفيا نقول: "لا شيء أظهر من الله تعالى، ولكن لا يبدو لأصحاب العيون العمياء"، فإن كنا لا نستطيع رؤيته، فهذا يرجع إلى قصورنا وإزالة هذا القصور في يد الله تعالى، وسيزيله في الدار الآخرة، فيستطيع المؤمن رؤية جمال الله، ويصل إلى أمله وبغيته الأصلية"[١].

ويدلل على امتناع الرؤية في عالم الشهادة بعدة أدلة:

أ- الرؤية مسألة إحاطة، فمثلا هناك جراثيم في جسم الإنسان، وقد توجد ملايين البكتيريا أسفل سن واحدة، وهذه البكيتريا تستطيع نخر سن الإنسان وتخريبها ولكن الإنسان لا يستطيع سماع صوتها ولا يحس بوجودها، وكذلك لا تستطيع هي رؤية الإنسان إذن فعدم قدرتها على الإحاطة بالإنسان تمنعها من رؤيته، وهذا مثال من العالم الأصغر.

ويعطي مثالا من العالم الأكبر، وهو أن الجالس أمام التليسكوب يستطيع رؤية أمكنة على بعد أربعة مليارات سنة ضوئية، ومع ذلك فمعرفتنا حول الكون والمكان تعد قطرة في بحر[٢].

وبالنسبة لله تعالى، فيقول (ﷺ): "ما السماوات السبع في الكرسي إلا كدراهم سبعة ألقيت في ترس"[٣]،ويقول (ﷺ): "ما الكرسي في العرش إلا كحلقة من حديد ألقيت بين ظهراني فلاة من الأرض"[٤] فكيف ندعي الإحاطة بالكون "بينما الأماكن كلها والأكوان كلها تعد أشياء ميكروسكوبية بالنسبة إلى عرشه تعالى الذي هو مجرد محل تنفيذ الإرادة والأوامر الإلهية، أليس هذا اشتغال بالعبث، فإذا كان الأمر هكذا، فقس أنت درجة العبث في محاولة الإحاطة بالله تعالى"[٥].

١- محمد فتح الله كولن : أسئلة العصر المحيرة ،ترجمة: أورخان محمد علي ج ١ص ١٤ دار النيل ط الرابعة .

٢- ينظر: فتح الله كولن : أسئلة العصر المحيرة ج ١ ص ١٣، وينظر: الرد على شبهات العصر ص ٤٢.

٣- والحديث أخرجه أبو الشيخ الأصفهاني في العظمة، باب ذكر عرش الرب تبارك وتعالى وكرسيه وعظم خلقهما تحقيق: رضاء الله المباركفوري ج ٢ص ٥٨٧، دار العاصمة- الرياض، ط الأولى ١٤٠٨هـ. والحديث ضعيف جدا كما قال الألباني. ينظر: الألباني: سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة وأثرها السيئ في الأمة ج ١٣ ص٢٦٧ رقم ٦١١٨.

٤- أخرجه أبو محمد عبد الله بن محمد بن جعفر بن حيان الأنصاري المعروف بأبي الشيخ الأصبهاني (المتوفى: ٣٦٩هـ):العظمة ج ٢ص ٥٨٧، باب ذكر عرش الرب تبارك وتعالى وكرسيه وعظم خلقهما، والحديث ضعيف أخرجه محمد ناصر الدين الألباني في السلسلة الضعيفة (ج ١٣ ص ٢٦٧رقم ٦١١٨) .

٥-أسئلة العصر المحيرة ج ١ ص ١٤.

ثم يفسر قوله:﴿ لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ وَهُوَ يُدْرِكُ ٱلْأَبْصَٰرَ ﴾ بقوله: "لا تحيط به لا الأبصار ولا البصائر، فلكي تتم الرؤية يجب توفر الإحاطة ...وهو يدرك الأبصار ويحيط بعلمه بكل شيء، ولكن الأنظار والبصائر لا تدركه"[١].

فهو هنا متفق مع المعتزلة أن الإدراك بمعنى الرؤية، فنفي الإدراك في الآية معناه نفي الرؤية.

ب- يرى (كولن) أن النور حجاب الله؛ ولذا لا يستطيع أي إنسان أن يحيط به فيقول: "إن النور حجاب الله (ﷻ) وستار ونحن لا نستطيع حتى الإحاطة بالنور وقد سأل الصحابة النبي (ﷺ) بعد عودته من المعراج أرأيت ربك؟ فأجاب الرسول (ﷺ) حسب ما يرويه أبو ذر (رضي الله عنه):"هو نور أنى أراه؟" ،وفي مناسبة أخرى قال- ﷺ- "رأيت نورا"[٢] ،بينما النور مخلوق والله تعالى هو منور النور ومشكله ومقومه ومصوره ،فالنور ليس الله بل مخلوق له، وهذا يوضحه حديث آخر عن الله تعالى يقول: "حجابه النور"[٣] أي هناك نور بينكم وبينه وأنتم محاطون بالنور هنا عمق آخر، فنحن نقول مرة أخرى بأنه محيط، ولكن بصفاته، وليس بشيء آخر"[٤].

وهو هنا يعتقد أن النبي (ﷺ) لم ير ربه بالعين في ليلة المعراج، وسوف أذكر هذا تفصيلا في الحديث عن معراجه (ﷺ) في فصل النبوات.

ج- لا يوجد لله تعالى ضد، فلكي يمكن رؤيته يجب أن يكون له ضد فأنت تشاهد النور لوجود ضد له وهو الظلام[٥].

د- يرى (كولن) أن قوانين الفيزياء أثبتت أن الإنسان لا يرى نسبة خمسة في المليون من الأشياء المعروضة في الكون وكل ما يراه هو الموجات الضوئية التي لها طول وتردد معينين فيقول:" لنفرض أن عدد الأشياء المعروضة في معرض الكون يبلغ (مليارxمليار) شيئا لكي نشاهد عظمة الخالق ونقف تجاهها بكل تبجيل وتوقير غير أن نظرنا لا يستطيع إلا رؤية خمسة في المليون فقط من هذه الأشياء، أما الباقي فلا نراه ولا نعرفه. أجل فنحن لا نرى سوى الموجات الضوئية التي لها طول وتردد معينين"[٦].

١-أسئلة العصر المحيرة(١) ص ١٤، والرد على شبهات العصر ص ٤٣ .

٢- "نور أنى أراه"، "رأيت نورا": رواهما مسلم بن الحجاج: ينظر: صحيح مسلم رقم ١٧٨، باب في قوله: "نور أنى أراه"، وفي قوله: "رأيت نورا"، كتاب الإيمان ج ١ ص ١٦١ .

٣- جزء من حديث: "إن الله لا ينام ولا ينبغي له أن ينام يخفض القسط ويرفعه يرفع إليه عمل الليل قبل النهار وعمل النهار قبل الليل حجابه النور" رواه مسلم ينظر: صحيح مسلم رقم ١٧٩ باب في قوله: إن الله لا ينام وفي قوله: حجابه النور كتاب الإيمان ج ١ ص ١٦١ .

٤- أسئلة العصر المحيرة ص ١٥ .

٥- فتح الله كولن: أسئلة العصر المحيرة، وينظر كذلك خواطر من وحي سورة الفاتحة ص ٩١ .

٦- فتح الله كولن: أسئلة العصر المحيرة ص ١٥ والرد على شبهات العصر ص .٤٣

ثم السؤال بعد ذلك (لماذا لا نرى الله؟) تفكير متهافت وسطحي فنحن لا نستطيع رؤية غير خمسة بالمليون من الأشياء المعروضة في الكون فكيف يتسنى لنا رؤية الله تعالى[١].

إذن فكولن متفق مع المعتزلة في استحالة رؤية الله في الحياة الدنيا .

٢- رؤية الله في الآخرة:

يرى (كولن) وقوع رؤية الله في الآخرة للمؤمنين، فيقول: "وفي يوم القيامة يستطيع من أجهد فكره في الدنيا أمام الآيات الكونية أن يراه؛ لذا يستطيع النبي موسى- عليه السلام- ويستطيع سلطان الأنبياء محمد - ﷺ- رؤيته آنذاك، أما الآخرون فيرونه كل حسب مرتبته"[٢].

ويضيف (كولن) أن على المتشوقين لرؤيته واجبات في الدنيا للحصول على هذه الحظوة فيقول: "فالذين يريدون الحصول على الدرجات العليا في الآخرة عليهم أن يجددوا قلوبهم وأفكارهم، وبتعبير أصح عليهم أن يكونوا في هذه الدنيا أصحاب همة عالية، وروح، وفكر يليق بحظوة رؤية الله تعالى يوم القيامة، أي ألا يرحلوا من الدنيا بزاد قليل طبعا، كل حسب استعداده وقابليته"[٣].

وهو هنا متفق مع أهل السنة في أن رؤية الله تعالى واقعة للمؤمنين في الآخرة.

تعقيب:

١- يذهب كولن مع المعتزلة إلى امتناع رؤية الله في الدنيا ويفارقهم في الرؤية في الآخرة، فيرى أنها واقعة متحققة للمؤمنين، متوافقا في هذا مع أهل السنة .

٢- يسوق كولن عددا من الحجج العقلية على استحالة الرؤية في الدنيا معتمدا على العلم الحديث، وهذا دأبه دائما حتى يتواصل مع المسلم العصري ويقنعه بالمسائل الاعتقادية.

٣- لا يطرح أي مسألة عقدية إلا ويستخلص ثمرات تطبيقية من وراء الإيمان بها، وهي هنا الاستعداد بالزاد، والعمل الصالح حتى نستطيع رؤية الله في الآخرة.

تعقيب على الفصل:

بعد دراسة آراء (كولن) في الإلهيات أستطيع الخروج بعدة نتائج:

١- ينظر: أسئلة العصر المحيرة ص ١٥.

٢- أسئلة العصر المحيرة ص١٥، والرد على شبهات العصر ص٤٣.

٣- أسئلة العصر المحيرة ص١٦والرد على شبهات العصر ص٤٤.

١- اهتم (كولن) كثيرا بالطبيعة، وبدليل الأنفس والآفاق، واستخدمهما في معرفة الله تعالى، والاستدلال على وجوده .

٢- تفرد بذكر عدة أدلة على وجود الله استقاها كلها من آثاره تعالى في الكون، وهي طريقة لم تكن عند المتكلمين القدامى إلا قليلا، بينما هي عند المحدثين المجددين راسخة .

٣- اهتم بالرد على الملحدين بالطرق العقلية المختلفة، التي تبين مدى اطلاعه على الفلسفات المادية، وقدرته على تقييمها ودفعها.

٤- في تقسيمه للتوحيد اتبع طريقة السلف لا المتكلمين، فقسمه إلى توحيد الربوبية وتوحيد العبودية.

٥- كان حديثه عن الصفات مجملا في عمومه، مقتصرا فيه على إثباتها، وكذا حديثه حول التنزيهات.

٦- أكد في مبحث القدر على الجانب العملي التربوي من وراء الإيمان بالقدر خيره وشره.

٧- وافق الماتريدية في القدر وفي الكسب تحديدا، ووافق سائر أهل السنة في أفعال الله تعالى، والتحسين والتقبيح ، وعدم وجوب شيء على الله.

٨- كل ما يهتم به من وراء بحث الإيمان والإسلام هو التأكيد على الناحية العملية من خلالهما، وهي العمل أو التدين وفقهما وليس العلم النظري أو الإيمان الشكلي.

٨- رأى استحالة رؤية الله في الدنيا ووقوعها في الآخرة ودلل على ذلك بأدلة عقلية، وخرج بنتيجة عملية من وراء مبحث الرؤية وهي وجوب الاجتهاد في الطاعات والصالحات للمتشوقين لرؤية ربهم في الآخرة.

الفصل الثاني: النبوات

تمهيد:

النبوات من الموضوعات المهمة التي تناولها علم الكلام قديما وحديثا؛ لكونها خاصة بذات الرسل الكرام (عليهم الصلاة والسلام)، وبيان ما يجب في حقهم من صفات، وما يستحيل، وما يجوز .

وقد تناولها المتكلمون عادة بتعريف النبي والرسول، والفرق بينهما، والحكمة من النبوة وحكمها، وصفات الرسل وعددهم، وعصمتهم، والكلام عن بعثة النبي (صلى الله عليه وسلم) خاصة، والدلائل على نبوته .

وأما كولن فقد تناول في هذا الفرع من علم الكلام عدة أمور وهي: تعريف النبوة والرسالة دون بيان الفرق بينهما، وتناول كذلك حكم النبوة والغاية منها، وصفات الرسل وعددهم، واستفاض في بيان عصمة الأنبياء وعصمة نبينا - ﷺ- .

وكذا تحدث عن بعثة النبي (ﷺ)، ودلائل نبوته، وخاصة معجزة القرآن مع غض الطرف عن سائر المعجزات الحسية اللهم إلا كلاما يسيرا عن المعراج.

وقد جاء هذا الفصل مقسما إلي عدة مباحث:

المبحث الأول: النبوة حكمها وغايتها.

المبحث الثاني: عدد الأنبياء والرسل وصفاتهم .

المبحث الثالث: عصمة الأنبياء.

المبحث الرابع: بعثته- ﷺ-.

المبحث الخامس: دلائل نبوته- ﷺ-.

المبحث الأول:- النبوة: حكمها وغايتها

المطلب الأول: تعريف النبي والرسول:

أولا: التعريف اللغوي:

١- النبي: أ- الطريق. فالأنبياء طرق الهدى.

ب- من النباوة: وهي ما ارتفع من الأرض كالنَبْوة؛ لارتفاع قدره ولأنه شرف على سائر الخلق، أو من نبا ينبو إذا ارتفع [١].

ج- النبيء: المخبر عن الله (عز وجل) من النبأ، أي الخبر[٢] .

٢- الرسول: أ- الإرسال: التوجيه، والاسم: الرسالة، بالكسر والفتح .

ب- والرسول: المُرْسَل، والموافق لك في النضال ونحوه ﴿ فَأْتِيَا فِرْعَوْنَ فَقُولَآ إِنَّا رَسُولُ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾[٣]، ولم يقل رسل؛ لأن فعولا وفعيلا يستوي فيهما المذكر والمؤنث والواحد والجمع.

ج - والرسول: الذي يتابع أخبار الذي بعثه أخذا من قولهم جاءت الإبل رسلا أي متتابعه[٤].

ثانيا: التعريف الاصطلاحي:

١- تعريف المعتزلة: الرسول هو المبعوث من جهة الله تعالى وكذا النبي.

يقول القاضى عبدالجبار :"اعلم أن الرسول من الألفاظ المتعدية أى لابد من أن يكون هناك مرسل ومرسل إليه، وإذا أطلق فلا ينصرف إلا إلى المبعوث من جهة الله تعالى دون غيره حتى إذا أردت غير ذلك فلا بد من أن تقيد، وأما النبى فقد يكون مهموزا ومشددا، وإذا كان مهموزا فهو من الإنباء وهو الإخبار، وإذا وصف به الرسول فالمراد به: أنه المبعوث من جهة الله تعالى، وإذا كان مشدودا فإنه يكون من النباوة وهو الرفعة والجلالة، وإذا وصف به المبعوث، فالمراد به: أنه المعظم الذى رفعه الله تعالى وعظمه،

١- ينظر: محمد بن أحمد بن الأزهري الهروي: تهذيب اللغة، باب النون والباء، ص ٣٤٩/١٥. أبوبكر الحنفي الرازي: مختار الصحاح، باب: (ن ب ا) ص ١/ ٣٠٤. الفيروز أبادي: القاموس المحيط ص ١١٣٦ .

٢- الهروي: تهذيب اللغة ص ١٥/ ٣٥٠، ينظر: ابن منظور: لسان العرب (باب النون) ج ١٤ ص ٩ .

٣- سورة الشعراء الآية: ١٦.

٤- ينظر: ابن منظور: لسان العرب (باب الراء) ج ٥ ص ٢١٤، ٨٥٦.

وفى الخبر: "أن بعضهم قال للرسول-عليه السلام- يا نبيء الله مهموزا فقال له الرسول : لست بنبئ الله، وإنما أنا نبى الله"[١].

إذن كلاهما المبعوث أو المرسل من جهة الله، فلا فرق عند المعتزلة بين النبوة والرسالة ويؤكد ذلك القاضي عبد الجبار بقوله:
"فاعلم أنه لا فرق فى الاصطلاح بين الرسول والنبى... والذى يدل على اتفاق الكلمتين فى المعنى هو أنها يثبتان معا، ويزولان معا فى الاستعمال حتى لو أثبت أحدهما ونفى الآخر لتناقض الكلام، وهذا هو أمارة إثبات كلتا اللفظين المتفقتين فى الفائدة "[٢]

إذن لا فرق بين النبي والرسول عند المعتزلة؛ لأنهما يثبتان معا ويزولان معا في آيات القرآن الكريم على حد قولهم.

٢- تعريف الأشاعرة :
النبى: "إنسان بعثه الله لتبليغ ما أوحى إليه، وكذا الرسول[٣].

وقيل: الرسول: من له شريعة وكتاب، فيكون أخص من النبى، واعترض بما ورد فى الحديث من زيادة عدد الرسل على عدد الكتب[٤] .

وقيل: النبي من أتاه الوحي من الله (عز وجل)، ونزل عليه الملك بالوحي، والرسول من يأتي بشرع على الابتداء أو بنسخ بعض أحكام شريعة قبله[٥].

١- الحديث ضعيف. أخرجه العقيلي في " الضعفاء " (٣ / ٨١ / ١٠٥٠) وأخرجه الحاكم (٢ / ٢٣١) بسند صحيح عن الكسائي ، وقال: " صحيح على شرط الشيخين " كذا وقع فيه ورده الذهبي بقوله." قلت: بل منكر لم يصح؛ قال النسائي: حمران؛ ليس بثقة. وقال أبو داود: رافضي ".قلت: وضعفه ابن معين أيضا، وفي رواية= =عنه: " ليس بشيء ". الشيخ ناصر الدين الألباني: "سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة وأثرها السيئ في الأمة" جـ١٢ ص٥٧٤.

٢- القاضي عبد الجبار: الأصول الخمسة ص٥٦٧، ٥٦٨تحقيق: د عبد الكريم عثمان.

٣- ينظر: التفتازاني: شرح المقاصد المجلد الثالث ص ٢٦٨.

٤- زيادة عدد الرسل على عدد الكتب لها شاهد من حديث أبى ذر وفيه ، قلت: يا رسول الله كم الأنبياء؟ قال: «مائة ألف وأربعة وعشرون ألفا»، قلت: يا رسول الله كم الرسل؟ قال: «ثلاثمائة وثلاثة عشر جما غفيرا»، قلت: كثير طيب، قلت: يا رسول الله من كان أولهم؟ قال: «آدم»، قلت: يا رسول الله أنبي مرسل؟ قال: «نعم، خلقه الله بيده، ونفخ فيه من روحه، ثم سواه قبلا». وقال أحمد بن أنس: «ثم كلمه قبلا»، ثم قال: " يا أبا ذر أربعة سريانيون: آدم، وشيث، وخنوخ - وهو إدريس - وهم أول من خط بالقلم، ونوح. وأربعة من العرب: هود، وصالح، وشعيب، ونبيك يا أبا ذر "قال: قلت: يا رسول الله كم كتاب أنزله الله تعالى؟ قال: «مائة كتاب وأربعة كتب، أنزل على شيث خمسون صحيفة، وأنزل على خنوخ ثلاثون صحيفة، وأنزل على إبراهيم عشر صحائف، وأنزل على موسى قبل التوراة عشر صحائف، وأنزل التوراة والإنجيل والزبور والفرقان». الإمام أبو نعيم: "حلية الأولياء وطبقات الأصفياء" جـ١ باب [مواعظه] ص١٦٧. و(الحديث ضعيف)، ينظر: أبو عبد الرحمن محمود بن محمد الملاح: الأحاديث الضعيفة والموضوعة التي حكم عليها الحافظ ابن كثير في تفسيره ج ١ص ١٣٦ باب سورة النساء، قدم له: فضيلة الشيخ عبد الله بن مانع الروقي، الناشر: مكتبة العلوم والحكم، المدينة المنورة - المملكة العربية السعودية. الطبعة: الأولى، ١٤٣١ هـ - ٢٠١٠م.

٥- ينظر: البغدادي: أصول الدين ص ١٥٤

وقيل الرسول : هو من له كتاب أو نسخ لبعض أحكام الشريعة السابقة، والنبى قد يخلو من ذلك كيوشع - عليه السلام-"[١].

إذن النبوة أعم من الرسالة فكل رسول نبي، وليس كل نبي رسول، فالرسول خص إما بكتاب، أو شرع جديد، أو نزل عليه الملك بخلاف النبي فقد خلا من ذلك.

٣- تعريف الماتريدية:

الرسالة: "هى سفارة العبد بين الله تعالى، وبين ذوي الألباب من خليقته؛ ليزيح بها عِلَلَهم فيما قصرت عنه عقولهم من مصالح داريهم"[٢].

والرسول: إنسان بعثه الله تعالى إلى الخلق؛ لتبليغ الأحكام، وقد يشترط فيه الكتاب بخلاف النبي فإنه أعم[٣].

وقيل: الرسول من بعثه الله تعالى إلى قوم، وأنزل عليه كتابا، أو لم ينزل لكن أمره بحكم لم يكن ذلك الحكم في دين الرسول الذي قبله، والنبي: من لم ينزل عليه كتابا، ولم يأمره بحكم جديد، بل أمره أن يدعو الناس إلى دين الرسول الذي كان قبله.

وقيل: الرسول: من نزل عليه جبريل- عليه السلام-، وأمره بتبليغ رسالة الله تعالى إلى الناس، والنبي: من لم ينزل عليه جبريل، بل سمع صوتا، أو رأى في المنام إنك نبي فبلغ رسالة الله تعالى إلى الناس[٤].

وقيل: الرسول من يأتي بشرع ابتداء، أو ينسخ بعض أحكام شريعة قبله ، والنبي: إنسان بعثه الله إلى العباد ليبلغ ما أوحي إليه[٥].

والرأي الصحيح هو أن النبي لم ينزل الله عليه كتاب، ولم يأمره بحكم جديد، بل أمره أن يدعو الناس إلى دين الرسول الذي كان قبله بخلاف الرسول.

إذن النبوة أعم من الرسالة عند الماتريدية، فكل رسول نبي وليس كل نبي رسول، متفقين مع الأشاعرة تماما في هذه المسألة.

ثالثا: النبوة عند الأستاذ فتح الله كولن :

عرف (كولن) النبوة بقوله: "عطية وموهبة إلهية، منحها الله تعالى للأرواح التى هى كالرشحة فى استعدادها لعرضها ما ينعكس عليها من غير خلل وعطل، كما وهب

١- شرح المقاصد المجلد الثالث ص ٢٦٨..

٢- أبو معين النسفي: تبصرة الأدلة ج ١ ص ٤٤٧.

٣- ينظر: العلامة سعد الدين التفتازاني: شرح العقائد النسفية ص ١٩ .

٤- ينظر: كمال الدين بن أبي شريف: المسامرة شرح المسايرة لابن الهمام ص ١٨٥.

٥- ينظر: السمرقندي: الصحائف الإلهية ص ٤١٧. تحقيق: أ د/ أحمد عبد الرحمن الشريف.

لهم الفطرة السليمة والطبيعة المستقيمة الى جانب الوجدان المتوجه بكل ركن من أركانه إلى غاية وجوده، ويمكن أن نسميه الوجدان المنفتح تمام الانفتاح"[١].

وقال أيضا عن النبوة: "فهم مالا يفهم بالإدراك البشرى، والعلم به، ونقله إلى المخاطبين الآخرين من غير خلل أو انكسار"[٢].

والنبي: "هو قابلية، واستعداد، وجاهزية متعالية ربانية لأخذ وفهم العلم الذي هو من جملة العلم الضروري باعتبار وروده من الله تعالى، وذلك باستلامه وفهمه كما هو ثم نقله إلى الآخرين من غير أن يخلط به أدنى شيء يخالف جوهره ولبه وذاته"[٣].

فالمعنى أن النبي يختاره الله من ذوي الاستعدادات العالية في الفهم والتلقي، فيتلقى الوحي ويبلغه لأمته، كما أراد الله دون خلل في النقل أو قصور في الفهم لما يتميز به من فطنة فطرية وأمانة في التبليغ.

ولم يرد عنده نص في تعريف الرسالة أو الرسول، أو ما ينص على الفرق بينهما .

إذن يمكن القول بأن النبوة والرسالة بمعنى واحد عند (فتح الله كولن).

من خلال ما سبق:

يتبين أن المعتزلة لا يفرقون بين الرسالة والنبوة، أما أهل السنة فيفرقون بين النبى والرسول فى التعريف، فالنبي أعم والرسول أخص.

يمكن القول أن (كولن) يتبنى القول أن الرسالة والنبوة بمعنى واحد؛ إذ لم يرد عنه نص في التمييز بينهما.

والرأي الصحيح أن هناك فرق بينهما بدليل المغايرة بينهما في آيات القرآن الكريم مثل قوله: ﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ مِن رَّسُولٖ وَلَا نَبِيٍّ إِلَّآ إِذَا تَمَنَّىٰٓ أَلۡقَى ٱلشَّيۡطَٰنُ فِيٓ أُمۡنِيَّتِهِۦ فَيَنسَخُ ٱللَّهُ مَا يُلۡقِي ٱلشَّيۡطَٰنُ ثُمَّ يُحۡكِمُ ٱللَّهُ ءَايَٰتِهِۦۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٞ ﴾[٤]، فالعطف يقتضي المغايرة؛ ولذا أرجح رأي أهل السنة في هذه المسألة.

---

[١]- كولن: ونحن نبني حضارتنا ص ١٢٦.

[٢]- ونحن نبني حضارتنا ص ١٢٦.

[٣]- كولن: ونحن نبني حضارتنا ص ١٢٧.

[٤]- سورة الحج الآية: ٥٢.

المطلب الثاني: حكم النبوة للنساء:

اشترط جمهور أهل السنة الذكورة في النبي والرسول مع شرائط أخرى كسلامة العقل، والبراءة من الأمراض المنفرة، وعدوها شروطا شرعية للنبوة كما سماها محقق شرح الخريدة البهية[١]، أو خواص للنبوة كما سماها (أبو البركات النسفي) [٢].

فقالوا: النبوة مشروطة بالذكورة، وكمال العقل، وقوة الرأي والسلامة من المنفرات كزنا الآباء، وعهر الأمهات، والفظاظة، ومثل: البرص والجذام، والحرف الدنيئة، وكل ما يخل بالمروءة[٣].

وهناك اتفاق بين أهل السنة في سائر تلك الشروط عدا الذكورة فذهب مشايخ الحنفية إلى أن الذكورة شرط النبوة، وذهب الشيخ الأشعري ومن تابعه إلى أنها ليست شرطا لها، بل يصح نبوة النساء، وكان يقول كان في النساء أربع نبيات ولم يكن منهم رسول، واستدل الأشعري بقوله تعالى: ﴿ وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰٓ أُمِّ مُوسَىٰٓ ﴾ [٤] فدل على أنه وقع الإيحاء إليها والإيحاء من خصائص الأنبياء[٥].

وكلام الإمام الأشعري مردود بإجماع أهل السنة على اشتراط الذكورة في النبوة والرسالة وبأن الوحي هنا وحي إلهام وقذف في القلب من غير تكلف ولا كسب لا وحي إرسال[٦] .

.

واحتج الماتريدية بقوله تعالى:﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالًا نُّوحِىٓ إِلَيْهِمْ ﴾ [٧] فدل على أن الإرسال كان للرجال لا لغيرهم فنفى نبوة النساء[٨]، وأن الأنوثة تنافي الإشهار والدعوة؛ لأن النساء أمرن بالقرار في البيوت، والنبوة تقتضي الإشهار بالدعوة، وإظهار المعجزة[٩].

١- ينظر: العلامة أبو البركات أحمد بن محمد بن أحمد الدردير(المتوفى ١٢٠١هـ) : شرح الخريدة البهية ص ٧٦ تحقيق: ا.د/ فتحي أحمد عبد الرازق، قطاع المعاهد الأزهرية، ط: الثانية ٢٠١٣- ٢٠١٤م.

٢- ينظر: أبو البركات النسفي: الاعتماد في الاعتقاد ص ٢٥٦.

٣- ينظر: التفتازاني: شرح المقاصد المجلد الثالث ص ٣١٧. الشيخ: عبد القادر بن محمد بن سعيد بن أحمد السنندجي: تقريب المرام في شرح تهذيب الكلام ص ٥٦ القسم الثاني. دار السعادة ٢٠٠٤- ٢٠٠٥م. كمال الدين ابن أبي شريف: المسامرة شرح المسايرة لابن الهمام ص ١٩١ .

٤- سورة القصص الآية: ٧.

٥- محمد بن الحسن بن فورك: مقالات الشيخ الأشعري ص ١٨٠، تحقيق: ا د/ أحمد عبد الرحيم السايح، مكتبة الثقافة الدينية، ط: الأولى ١٤٢٥هـ- ٢٠٠٥م. شيخ زاده: نظم الفرائد ص ٤٣٧- ٤٣٨.

٦- ينظر: أبو منصور الماتريدي: تأويلات اهل السنة باب ١١٢ ص ٦٤٩/٣، وتفسير الفخر الرازي: مفاتيح الغيب ص ٢٦٦/١١..

٧- سورة النحل الآية: ٤٣.

٨- شيخ زاده: نظم الفرائد ص ٤٣٧- ٤٣٨.

٩- أبو البركات النسفي: الاعتماد في الاعتقاد ص ٢٥٦.

وأما (كولن) فقد أكد علو شأن الأنبياء – عليهم السلام- وتعرض فقط بالتفصيل لحكم نبوة النساء، فقرر على أن النبوة خاصة بالرجال دون النساء، ويستند في ذلك على تقرير الجمهور من أهل السنة، فيقول :

"إن علماء وفقهاء أهل السنة والجماعة، وجمهور المحدثين يقولون بعدم ظهور نبية، والروايات الواردة بنبوة مريم وآسيا (عليهما السلام) روايات شاذة وغير قوية"[١].

والنتيجة كما يري (كولن):

عدم وجود حكم قطعي حول ظهور أنبياء من النساء، وهذا لا يعد نقصا في حق النساء، بل هو جريان علي النظام الذي خلق الله عليه الكون من وجود موجب (+) وسالب (-)، فالأشياء المتشابهة، تتنافر وفي أجزاء الذرة لولا وجود قوة كبيرة تمسك الأجزاء لكان من المفروض أن تتنافر الأجزاء المتشابهة .

والإنسان يتبع نفس القانون أي يجب أن يكون فيه زوجان مختلفان؛ لكي يتم التجاذب بينهما. فالضعف والحنان من أحدهما، والقوة من الآخر هو الذي أدى إلى تآلفهما وتكوينهما العائلة.

وهذا القانون سار في أمر النبوة أيضا، فالمرأة تلد وتعجز عن أداء واجبها، وكذا الحيض والنفاس يعجزها عن العبادات، وكذا فترة الحمل؛ فلذا ستكون وظائف النبوة أصعب عليها، فيستحيل عند ذلك الاشتراك في المعارك، ووضع الخطط العسكرية والإدارية ؛ ولذا كان من المستحيل ظهور نبية من النساء بسبب الموانع الجسدية والوظيفية لدي المرأة، بينما النبي ينبغي أن يكون في الصف الأول في المعارك، وفي سائر المواقف شخص يقتدى به، ومرشد كامل يسترشد به، وإمام، وقائد.

ومع ذلك فهذا لا يقلل من شأن النساء فإن الأمور التي تخص المرأة كان نساء النبي مصدر التبليغ، والارشاد، والتعليم فيها[٢].

وكما هو واضح فإن (كولن) يحاول أن يشرح علة اختيار الذكر دون الأنثى لهذه المهمة بشكل علمي، وبقانون طبيعي هو الموجب والسالب؛ حتى يصل الأمر إلى فهم أبناء القرن الحادي والعشرين كما فهمه سلفهم سابقا.

١- كولن: أسئلة العصر المحيرة ص ٩٢، ترجمة: أورخان محمد علي، دار النيل، ط الرابعة.

٢- كولن: أسئلة العصر المحيرة ص ٩٣

المطلب الثالث: النبوة هبة أم اكتساب؟:

أولا: رأي المتكلمين:

يرى المتكلمون أن النبوة موهبة وفضل من الله تعالي، يختص بها من يشاء من عباده لا عن كسب واستحقاق.

١- عند المعتزلة: يرى واصل بن عطاء[١] ومن تابعه أن النبوة فضل من الله وليست عن استحقاق فيقول: " النبوة أمانة قلدها الله تعالى من كان في علمه الوفاء بها، والقبول لها، والثبات عليها من غير جبر؛ لقوله تعالى: ﴿ ٱللَّهُ أَعۡلَمُ حَيۡثُ يَجۡعَلُ رِسَالَتَهُۥ ﴾[٢] أي لم يجعلها الله تعالى إلا فيمن علم منه الوفاء بها، والقبول لها وثواب الأنبياء على قبولهم وتأديتهم الرسالة، لا على فعل الله فيهم وتعريضهم"[٣]، وقال بهذا أبو الهذيل[٤]، وبشر بن المعتمر،[٥] والنظام،[٦] وسائر المعتزلة[٧].

١- واصل بن عطاء: المتكلم المعتزلي في الطبقة الرابعة من طبقات المعتزلة. ولد سنة ٨٠هـ بالمدينة، يكنى أبا حذيفة، ويلقب بالغزال؛ لملازمته لهم، ، وكان أحد الأعاجيب وذلك أنه كان ألثغ في الراء قبيح اللثغة فيها فكان يخلص كلامه من الراء ولا يفطن لذلك لاقتداره وسهولة ألفاظه، قيل عنه: ليس أحد أعلم بكلام غالية الشيعة، ومارقة الخوارج، وكلام الزنادقة والدهرية، والمرجئة، وسائر المخالفين، والرد عليهم منه. من مصنفاته: أصناف المرجئة- كتاب التوبة- كتاب معاني القرآن. مات ١٨١وقيل ١٣١هـ وهو ابن إحدى وخمسين سنة. أحمد بن يحيى المرتضى: طبقات المعتزلة ص ٢٨- ٣٥ . ابن خلكان: وفيات الأعيان ص ١١/٦. ابن حجر العسقلاني: لسان الميزان ص ٨/ ٣٦٩رقم ٨٣٢٥، تحقيق: عبد الفتاح أبو غدة، دار البشائر الإسلامية، ط: الأولى ٢٠٠٢م.

٢- سورة الأنعام الآية ١٢٤. .

٣- سليمان الشواشي: واصل بن عطاء وآراؤه الكلامية ص ٢٤٨، الدار العربية للكتاب- ليبيا ١٩٩٣م. .

٤- أبو الهذيل: محمد بن الهذيل شيخ البصريين في الاعتزال ومن أكبر علمائهم من الطبقة الرابعة من طبقات المعتزلة، ويلقب بالعلاف لأن داره بالبصرة كانت في العلافين، ولد ١٣٤هـ أو ١٣١هـ، حكي أن له ستين كتابا في الرد على المخالفين ومناظراته مع المجوس والثنوية وغيرهم طويلة ممدودة ويقال إنه أسلم على يديه زيادة عن ثلاثة آلاف رجل توفي ٢٣٥هـ وقيل ٢٦٠ وقيل ٢٢٧هـ بسر من رأى عن ١٥٠ سنة وقيل ١٠٠ سنة وقيل ١٠٥سنة. ينظر: المرتضى: طبقات المعتزلة ص ٤٤- ٤٩. ابن خلكان: وفيات الأعيان ص ٢٦٥/٤.

٥- بشر بن المعتمر: أبو سهل بشر بن المعتمر الهلالي من أهل بغداد، وقيل: من أهل الكوفة، ولعله كان كوفيا، ثم انتقل إلى بغداد، وهو رئيس معتزلة بغداد من الطبقة السادسة في طبقاتهم، وله قصيدة أربعون ألف بيت رد فيها على جميع المخالفين، وكان زاهدا عابدا داعيا إلى الله، توفي سنة ٢١٠هـ. ينظر: المرتضى: طبقات المعتزلة ص ٥٢- ٥٤. ابن حجر العسقلاني: لسان الميزان ص ٣١٤/٢ رقم ١٥٠٩.

٦- النظام: أبو اسحاق إبراهيم بن سيار النظام مولى من أهل البصرة، شيخ المعتزلة في الطبقة السادسة من طبقات المعتزلة، روي عنه أنه كان لا يكتب ولا يقرأ وقد حفظ القرآن، والتوراة، والانجيل، والزبور، وتفسيرها، مع كثرة حفظه الأشعار، والأخبار، واختلاف الناس، والفتيا، من تصانيفه: الطفرة- الوعيد- النبوة- الجواهر والأعراض- حركات أهل الجنة، توفي بضع وعشرين ومائتين. المرتضى: طبقات المعتزلة ص ٤٩- ٥٢. الذهبي: سير أعلام النبلاء ص ٥٤٢/١٠.

٧- سليمان الشواشي: واصل بن عطاء وآراؤه الكلامية ص ٢٤٨ .

فكلامه بأنها أمانة جعلها الله فيمن علم قيامه وثباته عليها دون جبر أو قسر، دليل أنها موهبة وفضل من الله، لا مكتسبة عن طاعة ومجاهدة نفس.

٢- وعند الأشاعرة: الله سبحانه وتعالى قادر على أن يخص من يشاء من عباده بالوحي والمعجزة، وإرسال الملك إليه وإنزال الكتب عليه: "ولا يشترط في الإرسال شرط من الأعراض، والأحوال المكتسبة بالرياضات والمجاهدات في الخلوات والانقطاعات، بل الله سبحانه يختص برحمته من يشاء من عباده، فالنبوة رحمة وموهبة متعلقة بمشيئته فقط، وهو أعلم حيث يجعل رسالته، وهو الذي ذهب إليه أهل الحق بناء علي القول بالقادر المختار الذي يفعل ما يشاء ويختار ما يريد"[١].

٣- عند الماتريدية: البعثة لطف من الله ورحمة للعالمين لما فيها من حكم ومصالح قال البياضي: "والمختار أنها لطف من الله ورحمة يحسن فعلها ولا يقبح تركها ولا يبتني على استحقاق واجتماع شروط فيه كما زعمه الفلاسفة، بل الله تعالى يختص برحمته من يشاء وهو أعلم حيث يجعل رسالاته"[٢].

إذن يتفق المتكلمون على اعتبار البعثة محض فضل من الله، وليست عن استحقاق، أو اكتساب من العباد .

ثانيا: رأي الفلاسفة :

النبوة عند الفلاسفة مكتسبة بالمجاهدات والرياضات وتصفية النفس.

ومفهوم الفلاسفة للنبوة قائم على نظرية (العقول العشرة)[٣] وأن العقل الفعال - الذي هو آخر فيض إلهي وعنه صدر هذا العالم- قد يتصل الإنسان بهذا العقل الفعال عن طريق المخيلة أو البحث العقلي، فيتقبل منه المعارف، وتنكشف له مكنونات الغيب وغيرها[٤].

١- الجرجاني: شرح المواقف المجلد الرابع ص ٢٤٢.وينظر: البيضاوي : طوالع الأنوار من مطالع الأنظار ص ٢١١ .

٢- البياضي: إشارات المرام ص ٣١٢ .

٣- العقول العشرة نظرية تعني صدور الموجودات عن الله عن طريق سلسلة من الوسائط أو العقول وليس مباشرة، وتسمى الفيض أو الصدور، وقد أخذها الفارابي من فلسفة أفلوطين ولكنه ذهب إلى أنها أحد عشر عقلا وعن كيفية صدور الموجودات عن الله يرى الفارابي أن الموجود الأول هو السبب الأول لوجود سائر الموجودات ويفيض من الأول وجود الثاني، وهذا الثاني يعقل ذاته ويعقل الأول فبتعقله للأول يصدر عنه وجود ثالث وبتعقله لذاته يصدر عنه وجود السماء الأولى، والثالث بتعقله للأول يصدر عنه رابع وبتعقله لذاته يلزم عنه وجود كرة الكواكب الثابتة، والرابع يصدر عنه خامس وبتعقله لذاته يصدر عنه كرة زحل، ثم السادس وكرة المشترى، ثم السابع وكرة المريخ، ثم الثامن وكرة الشمس، ثم التاسع وكرة الزهرة، ثم العاشر وكرة عطارد، ثم العاشر و كرة القمر، وعند كرة القمر ينتهي وجود الأجسام السماوية وتبدأ الموجودات الأخرى، ثم حادي عشر يعقل ذاته ويعقل الأول ويدبر العالم . ينظر: الفارابي: آراء أهل المدينة الفاضلة ص ٣٧- ٦٣، تقديم: د/ ألبير نصري نادر، ط: السابعة دار المشرق- بيروت ١٩٩٦م .ينظر: د/عبد الرحمن بدوي: موسوعة الفلسفة ص ١٠٦.

٤- ا د/ عبد العزيز سيف النصر: مفهوم وحقيقة النبوة عند الفلاسفة ص ٢ ، كلية الدراسات الإسلامية والعربية والعربية بنات بالقاهرة. ا.د/ حامد الخولي: النبوة بين المتكلمين والفلاسفة الإسلاميين ص ٩، ط الثالثة: الدار الإسلامية للطباعة والنشر.

وقد أشار (الفارابي) إلي ذلك فقال عن القوة المتخيلة: " ولا يمتنع أن يكون الإنسان إذا بلغت قوته المتخيلة نهاية الكمال، فيقبل في يقظته عن العقل الفعال الجزئيات الحاضرة والمستقبلة أو محاكياتها من المحسوسات، ويقبل محاكيات المعقولات المفارقة وسائر الموجودات الشريفة ويراها فيكون بما قبله من المعقولات نبوة بالأشياء الإلهية"[١].

فعن طريق قوة المخيلة - كما يرى الفارابي- يستطيع المرء مطالعة الغيب ورؤية الملائكة فتحصل له النبوة.

وقال عن العقلية: "النبوة مختصة في روحها بقوة قدسية تذعن لها غريزة عالم الخلق الاكبر كما تزعن لروحك غريزة عالم الخلق الأصغر، فتأتي بمعجزات خارجة عن الجبلة والعادات، ولا تصدأ مرآتها، ولا يمنعها شيء عن انتقاش ما في اللوح المحفوظ من الكتاب الذي لا يبطل، وذوات الملائكة التي هي الرسل فتبلغ مما عند الله إلي عامة الخلق"[٢].

فبهذه القوى العقلية أو القدسية يستطيع الإنسان التأثير في الكون، والإتيان بالخوارق، ومعرفة الغيب .

ويقول ابن سينا "وأفضل الناس من استكملت نفسه عقلا بالفعل، ومحصلا للأخلاق التي تكون فضائل عملية، وأفضل هؤلاء هو المستعد لمرتبة النبوة"[٣]، وهو الذي في قواه النفسانية خصائص ثلاثة :

١- أن يسمع كلام الله تعالي، ويري ملائكته، وقد تحولت له علي صورة يراها ويحدث له في سمعه صوت يسمعه يكون من قبل الله والملائكة، فيسمعه من غير أن يكون ذلك كلاما من الناس والحيوان الأرضي، وهذا هو الموحي إليه[٤].

٢- الإتيان بالمعجزات:

يقول ابن سينا: "وواجب أن يكون له خصوصية ليست لسائر الناس حتي يستشعر الناس فيه أمرا لا يوجد لهم، فيتميز به منهم، فتكون له المعجزات التي أخبرنا بها".[٥].

٣- أن يكون له إطلاع علي الغيبيات:

١- الفارابي: كتاب آراء أهل المدينة الفاضلة ص ١١٥.

٢- الفارابي: فصوص الحكم/رسائل الفارابي ص ٢٠٩مكتبة الأسرة ٢٠٠٧م.

٣- ابن سينا: الشفاء /الإلهيات ص ٤٣٥راجعه وقدم له: دكتور/ إبراهيم مدكور، تحقيق الأستاذين: الأب قنواتي وسعيد زايد، منشورات ذوي القربى، ط: الأولى .

٤- ينظر: ابن سينا: الشفاء /الإلهيات ص ٤٣٥. .

٥- ابن سينا: الشفاء/الطبيعيات ص ٢٢٠ ج ٥ مراجعة: دكتور/ إبراهيم بيومي مدكور، تحقيق: دكتور/ محمود قاسم، منشورات ذوي القربى، ط: الأولى.

يرى (ابن سينا) أن النبي لشدة صفاء نفسه، وشدة الاتصال بالمبادئ العقلية ترتسم فيه الصور التي في العقل الفعال دفعة واحدة أو قريبا من دفعة ارتساما لا تقليديا، وهذه القوى أعلى قوى النبوة بل سماها بالقوة القدسية، وهي أعلى مراتب القوى الإنسانية[١].

إذن يشترط فيمن سيؤهل للنبوة عند الفلاسفة استكمال هذه الشرائط الثلاث وهي: رؤية الملائكة، ومعرفة الغيب، والإتيان بالخوارق.

وهم في هذا يخالفون أهل السنة وصريح القرآن الذي يقول: ﴿ ٱللَّهُ أَعۡلَمُ حَيۡثُ يَجۡعَلُ رِسَالَتَهُۥ ﴾ [٢] ، بل ويسوون بين الأنبياء وغيرهم إذ لا نعدم في البشر من لديه قوة مخيلة وقوة عقلية كالتي ينسبونها إلى النبي، إضافة إلى أنها دعوى قد تؤدي إلى استمرار النبوة إذا توافرت الشروط التي عقدوها، وبذلك يخالفون صريح القرآن الذي يقرر ختم النبوة﴿ مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَآ أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمۡ وَلَٰكِن رَّسُولَ ٱللَّهِ وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّـۧنَۗ وَكَانَ ٱللَّهُ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٗا ﴾[٣] .

ثالثا: رأي فتح الله كولن:

يتفق (كولن) مع أهل السنة في كون النبوة وهبية وليست كسبية، فيقول: "النبوة ورسالتها المصاحبة لها موهبة إلهية لا يمكن تحصيلها بجهد بشري"[٤].

والدليل على ذلك:

قوله- صلي الله عليه وسلم-: "أعطيت خمسا لم يعطهن أحد قبلي نصرت بالرعب مسيرة شهر، وجعلت لي الأرض مسجدا وطهورا فأيما رجل من أمتي أدركته الصلاة فليصل، وأحلت لي الغنائم ولم تحل لاحد قبلي، وأعطيت الشفاعة، وكان النبي يبعث إلي قومه وبعثت إلي الناس عامة"[٥].

فكولن متفق هنا مع أهل السنة في اعتبار النبوة موهبة وتفضل من الله تعالى.

إذن المسألة فيها رأيان :

الأول: أن النبوة تكتسب بخصائص وقوي نفسية فيكون عند الرسول استعداد للإتيان بالخوارق، ومعرفة الغيب، ورؤية الملائكة وهو رأي الفلاسفة.

١- ينظر: ابن سينا: الشفاء/الطبيعيات ص ٢٢٠ ج ٥ .

٢- سورة الأنعام الآية ١٢٤. .

٣- سورة الأحزاب الآية: ٤٠.

٤- كولن: النور الخالد ص ٢٣٦. .

٥- والحديث أخرجه البخاري في صحيحه، باب التيمم، كتاب العلم (ج ١ ص ٧٤ رقم ٣٣٥) .

والثاني: وهو أن النبوة موهبة وتفضل من الله لا يشترط لها شروط من مجاهدات أو رياضيات، وهو الذي اختاره أهل السنة و(فتح الله كولن) معهم في ذلك.

وهو المذهب الحق، فالنبوة والرسالة اصطفاء من الله تعالى :﴿ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰٓ ءَادَمَ وَنُوحًا وَءَالَ إِبْرَٰهِيمَ وَءَالَ عِمْرَٰنَ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾[1].

١- سورة آل عمران:آية:٣٣.

المطلب الرابع: الحكمة والغاية[١] من البعثة:

أولا: رأي المتكلمين:

يتفق المتكلمون في الغاية من البعثة خاصة في معرفة الأمور التي لا قبل للبشر بها من الشرائع والأحكام.

١- المعتزلة:

يرى المعتزلة أن الفائدة في بعثة الأنبياء: "لنعلم من جهتهم ما لا طريق لنا إلى معرفته إلا من قبلهم من الشرائع والعبادات وغيرها، ولولا هذا لما لزمنا النظر في معرفة الله؛ لأنا كنا لا نخاف إن لم ننظر من مضرة تلحق، وعقاب يسري، ويضر بالشرائع"[٢].

٢- أهل السنة:

يتفق الأشاعرة والماتريدية في تقرير الغاية من بعثة الأنبياء.

أ- معاضدة العقل فيما يستقل بمعرفته مثل: وجود الباري، وعلمه، وقدرته ﴿ رُّسُلًا مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى ٱللَّهِ حُجَّةٌۢ بَعۡدَ ٱلرُّسُلِۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴾[٣].

ب - استفادة الحكم من النبي فيما لا يستقل به العقل مثل: الكلام، والرؤية، والمعاد الجسماني، والإخبار بتفاصيل الثواب والعقاب[٤].

ج- تكميل النفوس البشرية بحسب استعدادتهم المختلفة، دلالة الخلق علي معالم العدل والصدق ومضار ضدهما.

د- بيان منافع الأغذية والأدوية، و مضارها، وتعليم الصنائع، والأخلاق الفاضلة[٥].

هـ- ارتفاع أسباب العبث والفساد، ودفع التنازع، والعداوة بين الناس التي قد تنشأ بسبب المعاملة.

١- الحكمة والغاية والفائدة كلمات متشابهة فالحكمة: هي إتقان الفعل والقول وإحكامهما، وفي الاصطلاح: تطلق على معان منها: علم الحكمة، ومنها: معرفة الحق لذاته، ومنها: الحجة القطعية المفيدة للاعتقاد، وتطلق على البرهان، ومنها: فائدة ومصلحة تترتب على الفعل من غير أن تكون باعثة للفاعل على الفعل، وتسمي بالغاية أيضا. ينظر: للعلامة محمد التهانوي: موسوعة كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم ج ١ ص ٧٠١ تقديم وإشراف ومراجعة: د رفيق العجم، تحقيق: د/ علي دحروج، نقل النص الفارسي إلى العربية: د/ عبد الله الخالدي، الترجمة الأجنبية: د/ جورج زيناتي، مكتبة لبنان، ناشرون، ط: الأولى ١٩٩٦م..

٢- القاضي عبد الجبار: المختصر في أصول الدين من رسائل العدل والتوحيد ج ١ص ٢٦٨.

٣- سورة النساء الآية :١٦٥.

٤- ينظر: الإمام سعد الدين التفتازاني : شرح المقاصد المجلد الثالث ص ٢٦٩ .

٥- ينظر: أبو منصور الماتريدي: كتاب التوحيد ص ١٧٧- ١٨٠.الإمام سعد الدين التفتازاني : شرح المقاصد المجلد الثالث ص ٢٦٩. .

و - احتياج البشر إلي العلم .

ز- احتياجهم إلى ناصح صدوق يستعينون به وقت الأزمات[١].

ثانيا: رأي الفلاسفة:

يقول (ابن سينا) بعد ذكر حاجة الناس إلي المشاركة والمعاملة: "ولابد للمعاملة من سنة وعدل، ولابد فيها من سان ومعدل حتي لا يختلف الناس، ولابد أن يكون هذا إنسان ...ثم هذا الإنسان هو الملي بتدبير أموال الناس علي ما تنتظم به أسباب معيشتهم، ومصالح معادهم، وهو إنسان يتميز عن سائر الناس بتألهه"[٢].

فضم ابن سينا في هذه العبارة القصيرة حاجة الناس إلي الرسل، وتتلخص في تنظيم أمور الدنيا ومصالح الآخرة.

ثانيا: رأي الأستاذ فتح الله كولن:

ذكر (كولن) عدة أمور في بيان الغاية من إرسال الرسل، وهي:[٣]

١- تأكيد العبودية :

﴿ وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴾ [٤]، وما جاء الأنبياء والرسل إلا لكي يدلونا علي هذه الغاية والطريق ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِىٓ إِلَيْهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعْبُدُونِ ﴾[٥].

٢- التبليغ : القيام بالتبليغ الديني فلو لم يأتوا لما عرفنا واجباتنا، وما فرض علينا، ولما عرفنا موقفنا من المحرمات، وهذا الأمر بإيجاز هو "وظيفة الرسالة" كما يقول كولن[٦].

[٦].

٣- القدوة الحسنة :

الأنبياء قدوة متبعة لأقوامهم ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُۖ فَبِهُدَىٰهُمُ ٱقْتَدِهْۗ قُل لَّآ

١- أبو منصور الماتريدي : كتاب التوحيد ص ١٧٧،١٨٠.أبوالبركات النسفي: شرح العمدة ص ٢٤١.

٢- ابن سينا : النجاة ج ٢ ص ١٧٠ تحقيق: د.عبد الرحمن عميرة دار الجيل بيروت.

٣-عنون لها كولن بعنوان :الغاية من إرسال الرسل والمتكلمون عادة ما يعنونون بالحكمة والفائدة .

٤- سورة الذاريات الآية:٥٦.

٥- سورة الأنبياء الآية:٢٥.

٦- كولن: النور الخالد ص ٥٧.

أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًاۖ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرَىٰ لِلْعَٰلَمِينَ ﴾[١] .

تضم هذه العبارة القصيرة حاجة الناس إلي الرسل، وتتلخص في تنظيم أمور الدنيا ومصالح الآخرة، فكما نتبع الإمام في الصلاة نتبع سلوك الأنبياء في جميع تفاصيل الحياة ونقتدي بهم[٢].

٤- تأمين التوازن بين الدنيا والآخرة :

فبمقياس التوازن الذي جاء به الأنبياء يستطيع ابن آدم أن يجد طريقه المستقيم ومنهاجه الصحيح، ويتخلص من الإفراط والتفريط ؛ والطريق الوسط هو الذي جاءنا بواسطة الوحي[٣].

٥- سد باب المعذرة :

أي سد باب معذرة الناس أمام الله (عز وجل) يوم القيامة ﴿ رُّسُلًا مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى ٱللَّهِ حُجَّةُۢ بَعْدَ ٱلرُّسُلِۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴾ [٤].

٦- اكتشاف ماهية الأشياء، وأسرار الطبيعة، وقوانينها الإلهية[٥].

٧- شرح الأسماء والصفات الإلهية لصاحب القدرة اللانهائية.

فقد بعث الله الأنبياء لدلالة البشر على أسماء وصفات الباري سبحانه وضرب مثلا يبين ذلك، فقال: "فبينما تري حاجة كل متحف صغير أو معرض صغير إلي مسئولين عن التشريفات، وإلي أدلاء .وأن زيارة هذه المتاحف والمعارض تفقد معناها وغايتها، وتكون عبثا في غياب المرشدين والأدلاء؛ لذا فكيف يمكن تصور مجيء الزوار إلي القصر الفخم لهذا الكون من دون وجود أدلاء ومرشدين يدلون الزوار إلي خصائص هذا القصر الضخم وإلي أسراره"[٦].

٨- اكتشاف الإنسان لماهيته الحقيقية وعمقه الداخلي:

١- سورة الأنعام الآية :٩٠.

٢- كولن: النور الخالد ص ٦١.

٣- السابق ص ٦٣.

٤- سورة النساء الآية:١٦٥.

٥- كولن: أسئلة العصر المحيرة(١) ص ٢٩ .

٦- كولن: أسئلة العصر المحيرة ص ٣٠.

فالإنسان ليس ذلك الجسد المادي فقط، بل له ماهية عليا تكمن في روحه، وهذه الماهية سبب تكريمه بين المخلوقات. والأنبياء هم من أطلعونا على هذه الحقيقة، يقول كولن:

"فبفضلهم ارتقى الإنسان من مستوى البيولوجية فبلغ مرتبة﴿لَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ فِىٓ أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ﴾[1]التي تعد تعبيرا آخر عن الإنسان الحقيقي، وبواسطتهم اكتشف ذاته وفهم موقعه بين الموجودات، وبالاقتداء بهم أحسن بالعمق الموجود في مستوى حياة ذوي الهمم العالية من أمثال الأولياء والأصفياء...ورأى الوجه الحقيقي للدنيا فاعتبرها مختبرا، أو دار كيمياء ، أو صيدلية، أو قصرا منيفا"[2].

٩- تمثيل الجانب الأرضي لرسائل الحق تعالى ضمن سماويتها:

والمعنى أن الله بعث الأنبياء بشرا مثلنا ليسهل تقليدهم واتباعهم يقول كولن: "إحساسهم بما نحس به في أبعادهم الحياتية، وتلذذهم بما يطيب لنا أيضا، وتذوقهم عين ما يؤلمنا وما يلذ لنا، وإحساسهم في أرواحنا بمثل احتياجاتنا وما نعده ضرورة، وتحملهم المسؤوليات والتكاليف من أمثال ما تحمل على أممهم ومخاطبيهم فنقول إنما حصل ذلك ليسهل تقليدهم، بل الأحرى اتباعهم"[3] .

وإلى جانب تلك الحكم ذكر (كولن) وظائف للأنبياء، وهي لا تخرج عما ذكر آنفا فيرى كولن أن هناك ثلاثة وظائف أصلية للأنبياء وهي:

١- تصفية الإنسان من الأخلاق الذميمة وتحفيز الأخلاق الحميدة.

٢- تذكيرهم بمواقعهم، ومسئوليتهم في علاقتهم مع الخالق والمخلوقين.

٣- يعلمهم عقيدة الألوهية، والربوبية ،وإرشادهم إلي ربط كل شيء برضا الله تعالي.

٤-إخبارهم بعقاب المنكرين، وبثواب المؤمنين[4].

وعلى العموم فالجميع متفقون في هذه المسألة إلا أن (كولن) يختلف في طريقة العرض، والأسلوب الجديد والتشبيهات، والأمثلة المقربة للمعاني، فهي وسائل ناجعة في شرح العقيدة، ومن تلك التشبيهات تشبيهه الأنبياء بالجبال في الثبات والاستقرار، فيقول:

"الأنبياء كالجبال بين الناس، فكما أن الجبال عامل أمن واستقرار، وعامل مساعد لثبات الأرض، ولتنقية الجو، كذلك الأنبياء بالنسبة للناس؛ لذا ذكر الاثنان (الأنبياء والجبال) معا أحيانا واقترنا معا .. فقد ذكر جبل الجودي مع النبي نوح -عليه السلام-، وجبل الطور مع النبي موسى- عليه السلام-، وجبل غار حراء مع النبي محمد- ﷺ-، وهذا الاقتران إيماءة وسحب قليل لستار الأستار عن هذا اللغز"[5].

---

[1]- سورة التين الآية: ٤.

[2]- ونحن نبني حضارتنا ص ١٢٤

[3]- السابق ص ١٢٨.

٤- ينظر: كولن: ونحن نبني حضارتنا ص ١٢٩ .

٥- كولن: الموازين ص ٩٥ ترجمة: أورخان محمد علي، دار النيل ٢٠١٢م- ١٤٣٣هـ.

وهذا التشبيه الجديد في وصف الأنبياء هو تفسير وجداني كعادة (كولن) في خواطره حول القرآن، ومع ذلك فهو يبين أن الغاية من الرسالة هي استقرار وأمن العالم كله، وهي وظيفة ليست باليسيرة، ولا ينهض بها إلا من صنعه الله على عينه من البشر .

المطلب الخامس: حكم البعثة :

تتراوح الأقوال في حكم البعثة بين القول بإمكان البعثة، والقول بوجوبها علي الله تعالي.

أولا: رأي المتكلمين:

١- رأي المعتزلة:

يرى المعتزلة أن إرسال الرسل واجب على الله؛ لكونه لطفا، وصلاحا للعباد.

يقول القاضي عبد الجبار: "وإذا كان صلاح المكلف لا يتم إلا بمعرفة من قبل الرسول وجبت البعثة، وإن كان قد تتم مصالحه دون ذلك، فهل تحسن البعثة أو لا تحسن، فإذا صح في بعثته تعالى الرسل غرض صحيح، ووجوه القبح عنها منتفية فالواجب القضاء بحسن ذلك"[١].

ويقول أيضا: "قال مشايخنا إن البعثة متى حسنت وجبت، علي معني أنها ما لم تجب قبحت لامحالة، وأنها كالثواب في هذا الباب، فهو أيضا فيما لا ينفصل حسنه عن الوجوب"[٢].

وواضح من هذه النصوص أن الوجوب عند المعتزلة يقابله القبح، فهو وجوب حسن ومصلحة للعباد وليس إلزام كالفلاسفة.

٢- رأي الأشاعرة :

يتفق الأشاعرة جميعا علي جواز البعثة، يقول (الباقلاني): "يجوز لله تعالي إرسال الرسل وبعث الأنبياء خلافا لما تدعيه البراهمة[٣]، والدليل عليه أيضا أنه مالك الملك يفعل ما يشاء مع ما سبق من أنه ليس في إرسال الرسل استحالة، ولا خروج عن حقائق العقول فدل علي جواز ذلك"[٤].

وقد دلل الإمام (الجويني) علي جواز البعثة بأنه ليس فيها ما يستحيل عقلا، ورد علي البراهمة المستندين في إنكار النبوة علي التحسين والتقبيح العقليين بقوله:

١- القاضي عبد الجبار بن أحمد: شرح الأصول الخمسة ص ٥٦٤، تحقيق: د/ عبد الكريم عثمان.

٢- القاضي عبد الجبار بن أحمد: شرح الأصول الخمسة ص ٥٦٤، تحقيق: د/ عبد الكريم عثمان.

٣- البراهمة: انتسبوا إلى رجل منهم يقال له براهم، وقد مهد لهم في نفي النبوات أصلا، وقرر استحالة ذلك في العقول بوجوه منها: أن الذي يأتي به الرسول لم يخل من أحد أمرين: إما أن يكون معقولا وإما أن لا يكون معقولا. فإن كان معقولا فقد كفانا العقل التام بإدراكه والوصول إليه فأي حاجة لنا إلى الرسول؟ وإن لم يكن معقولا فلا يكون مقبولا إذ قبول ما ليس بمعقول خروج عن حد الإنسانية، ودخول في حريم البهيمية، وقد تفرق البراهمة أصنافا منهم البددة(البد هو الطالب سبيل الحق بالصبر والزهد) وأصحاب الفكرة (يعظمون الفكر)، ومنهم أصحاب التناسخ. ينظر: الشهرستاني: الملل والنحل ص ٦٠١- ٦٠٦.

٤- القاضي الباقلاني : الإنصاف ص ٥٨.

"لا يمتنع تأكيد أدلة العقول بما جاء به الرسول، وهذا بمثابه قيام أدلة عقلية علي مدلول واحد، وإن كان الاكتفاء يقع بدلالة واحدة، فلا نجعل ما عداها عبثا، ثم لا يمتنع أن يقع في معلوم الله تعالي أن الرسول إذا انبعث كان انبعاثه لطفا في الأحكام العقلية "[١].

٣- رأي الماتريدية :

يرى الماتريدية أن إرسال الرسل واجب لكونه من مقتضيات حكمة الباري(عز وجل) فيقولون: "الإرسال واجب لا بمعنى الوجوب على الله تعالى، بل بمعنى أن قضية الحكمة تقتضيه لما فيه من الحكم والمصالح، وليس بممتنع كما زعمت السمنية[٢]، والبراهمة، ولا بممكن يستوي طرفاه كما ذهب إليه بعض المتكلمين"[٣].

ويفسرون الوجوب أيضا بالقول: " ولا نعني به أنه يجب على الله تعالى بإيجاب أحد أو بإيجابه على نفسه، بل المراد به أنه من مقتضيات حكمة القديم (جل وعلا)، ويستحيل ألا يوجد ما كان من مقتضيات حكمة الباري، وهذا؛ لأن الوجوب في الحقيقة لفظة يعبر بها عن فضل تأكد لوجود المذكور كما أن الامتناع يعبر به عن تأكيد تأكد لوجود لا وجود له، وهما في الحقيقة متقابلان تقابل الأضداد، وهذا كما أن ما علم الله تعالى وجوده يتحقق وجوده لا محالة ويجب وجوده لا على معنى أن وجوده بإيجاب أحد؛ بل لأن وجوده يتحقق لا محالة"[٤].

ثانيا: رأي الفلاسفة :

يتجه كلام الفلاسفة إلي إيجاب البعثة، ومن ذلك قول (ابن سينا) وهو يتحدث عن الحاجة إلي الرسول: "وواجب في الحكمة الإلهية إرساله، وأن جميع ما يسنه، فإنما هو ما وجب من عند الله أن يسنه"[٥].

فالوجوب عند الفلاسفة يختلف عن الماتريدية والمعتزلة فوجوب الفلاسفة إلزام مراعاة للحكمة الإلهية، ووجوب المعتزلة بناء على قوله بوجوب الصلاح والأصلح على الله لطفا بالعباد، ووجوب الماتريدية معناه تأكيد أو ترجيح جانب الوقوع لاقتضاء الحكمة ذلك، فلا يجب على الله شيء وفق مذهبهم.

١- إمام الحرمين الجويني: الارشاد ص ٣٠٣ .

٢- السَّمِنية: قوم كانوا قبل دولة الإسلام يقولون بقدم الدهر، وبتناسخ الأرواح، وأجازوا أن تنقل روح الإنسان إلى كلب، وروح الكلب إلى إنسان، وزعموا أن من أذنب في قالب ناله العقاب في قالب آخر، وكذلك القول في الثواب، وينفون النظر والاستدلال، ويقولون لا معلوم إلا من جهة الحواس الخمسة، وأنكر أكثرهم المعاد، والبعث بعد الموت. أبو مظفر الاسفراييني: التبصير في الدين وتمييز الفرقة الناجية من الفرق الهالكين ص ١٤٩. عبد القاهر البغدادي: الفرق بين الفرق ص ٢٥٣.

٣- سعد الدين التفتازاني: شرح العقائد النسفية ص ٨٥ .

٤- أبو البركات النسفي: شرح العمدة ص ٢٣٩.

٥- ابن سينا: النجاة ص ١٧٠ تحقيق: د/ عبد الرحمن عميرة. دار الجيل، بيروت، ط. الأولى ١٩٩٢م.

ثالثا: رأي فتح الله كولن:

وفي كلام (كولن) ما يشير إلي جواز البعثة، وإمكانها، وأنه تفضل من الله تعالي، ومن ذلك قوله: "ولولا أن تجلت الإرادة الإلهية بالإحسان في إرسال الرسل لعجزت أخصب الأدمغة علي توالي العصور والدهور، ومع أعظم الهمة والجهد عن تحصيل مثل هذه الحقائق قطعا وبتاتا، بل عجزها ظاهر للعيان بواقع الحال"[١].

إذن مما سبق يتبين أن:

١- لم يقل أحد باستحالة البعثة سوي البراهمة والسمنية، وقد أوسعهم المتكلمون ردا وتفنيدا علي حججهم الواهية.

٢- كولن متفق تماما مع الأشاعرة من إمكان البعثة وجوازها لا وجوبها. معتمدين في ذلك على أن الملك لله يفعل فيه ما يشاء ويختار، وأنه ليس في البعثة استحالة عقلية .

٣- المعتزلة والماتريدية والفلاسفة يقولون بوجوب البعثة.

فالمعتزلة يرون وجوبها علي الله لاعتقادهم بقضية الصلاح والأصلح، والتحسين والتقبيح العقليين، فهو وجوب لطف وصلاح للعباد.

والماتريدية تراه وجوبا اقتضته الحكمة لما فيه من المصالح .

ووجوب الفلاسفة وجوب إلزام على الله تعالى.

١- ونحن نبني حضارتنا ص ١٣٩.

المبحث الثاني: عدد الأنبياء والرسل وصفاتهم

هذا المبحث يدور عند المتكلمين حول عدد الأنبياء والرسل، وصفاتهم، وأولي العزم من الرسل، وهو أمر بحثه (كولن) أيضا مضيفا إلى ذلك الكلام على ترتيب الأنبياء، وخصائص دعوتهم، وتوسع بعد ذكر صفاتهم بتخصيص النبي - ﷺ- بالذكر، وبيان بلوغه الدرجة العليا في تلك الصفات(الصدق- الأمانة- التبليغ- الفطانة) إلى جانب لمحات وإشارات ودروس عملية من خلال كل مسألة.

أولا: عدد الأنبياء والرسل:

والآراء في عدد الرسل والأنبياء متقاربة تماما لورود النص عن النبي -صلى الله عليه وسلم- في ذلك.

١- رأي أهل السنة:

يرى أهل السنة أن الأولى الإيمان بجميع الأنبياء والرسل إجمالا وترك التنصيص على عدد معين مع إثباتهم العدد الوارد في الحديث الشريف: "وقد ورد في الحديث أن عدد الأنبياء مائة ألف وأربعة وعشرون ألفا، وعدد الرسل ثلاثمائة وثلاثة وعشرون[١] لكن الأولي ترك التنصيص ؛لأنه ربما يفض الي إثبات النبوة حيث ليس ونفيها حيث أيس"[٢] ويخالف ظاهر قوله تعالي:﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِّن قَبْلِكَ مِنْهُم مَّن قَصَصْنَا عَلَيْكَ وَمِنْهُم مَّن لَّمْ نَقْصُصْ عَلَيْكَ ﴾[٣].

أي الأفضل عدم النص علي عدد محدد؛ لأن ذلك ربما يجعلنا نثبت النبوة لمن ليس بنبي، أو ننفي النبوة عمن هو نبي، وهذه وتلك مخالفة خطيرة شرعا، وربما تخرج من الملة.

١- والحديث رواه أبو ذر: "قلت يا رسول الله كم الأنبياء؟ قال: مائة ألف وعشرون ألفا قلت: يا رسول الله كم الرسل من ذلك؟ قال: ثلاث مائة وثلاثة عشر جما غفيرا قال قلت: يا رسول الله من كان أولهم قال، آدم قلت: يا رسول الله أنبي مرسل قال: نعم خلقه الله بيده ونفخ فيه من روحه". أخرجه أحمد، وابن حبان، وأبو نعيم' ينظر: الإمام ابن حبان "صحيح ابن حبان" جـ٢ ص٧٧ باب [ذكر الاستحباب للمرء أن يكون له من كل خير]رقم الحديث ٣٦١ ، والإمام أبو نعيم " حلية الأولياء وطبقات الأصفياء " جـ١ باب [مواعظه] ص١٦٧. قال العلامة الألبانى : أخرجه أحمد (٥ / ٢٦٥) . وعلي بن يزيد وهو الألهاني ضعيف. ومعان بن رفاعة لين الحديث كما في " التقريب "، لكن يبدو أنه لم يتفرد به، فقد قال الهيثمي في " المجمع " (١ / ١٥٩) : " أخرجه أحمد والطبراني في " الكبير "، ومداره على علي بن يزيد، وهو ضعيف .ينظر: الشيخ الألبانى: سلسلة الأحاديث الضعيفة، جـ٦ ص٣٦٠.

٢-أَيس: كلمة قد أُمِيتَتْ، وذكر الخليل أنّ العَرَب تقول: ائتني به من حيث أيس وليس، ولم يستعمل أيس إلاّ في هذا، وإنما معناها كمعنى من حيث هو في حال الكينونة والوَجْد والجدة، وقال: إنّ (ليس) معناها: لا أَيْس، أي: لا وَجْد. والتَّأييسُ: الاستقلال، يقال: ما أَيَّسنا فلاناً خيراً، أي: استقللنا منه خيراً، أي: أردته، لأستخرج منه شيئاً فما قَدَرت عليه،.ينظر: الخليل بن أحمد: العين، باب اللفيف من السين (س ي ء، س ي ي ، س و ي، س) ص ٧/ ٣٣٠.

٣- سورة غافر الآية: ٧٨. التفتازاني: شرح المقاصد المجلد الثالث ص ٣١٧.وهو نفس رأي السنندجي، ينظر: تقريب المرام في شرح تهذيب الكلام القسم الثاني ص ٥٧

ويقول أبو معين: "إن الأنبياء (عليهم السلام)مائة وأربعة وعشرون ألفا، والرسل منهم ثلاثمائة وثلاثة عشر برواية أبي ذر(رضي الله عنه)مرفوعا إلى رسول الله (ﷺ)، وفي بعض الأخبار: "أن الأنبياء ألف ألف ومائتا ألف"[١].

ومن ثم يرى الماتريدية أن السلامة أن نؤمن بجميع الأنبياء والرسل كما جاء عن الله حتى لا ننسب الرسالة إلى من ليس بنبي أو نفيها عمن هو نبي[٢].

٢- رأي فتح الله كولن:

يؤكد (كولن) نفس رأي أهل السنة؛ لأن الحديث قاطع في ثبوت العدد والأهم من عددهم هو أن نور الهداية وصل إلى كل بقعة في الأرض وكل أمة فيها، يقول كولن: "لقد أرسل الأنبياء إلي جميع أرجاء الأرض لا نعرف عددهم بالضبط، ولكن هناك في كتب الحديث رواية أن عددهم كان ١٢٤ ألفا وفي رواية ٢٢٤ ألفا، واستنادا إلي علم الحديث، فإنه يمكن جرح جميع هذه الروايات وسواء أكان عددهم ١٢٤ ألفا أو ٢٢٤ألفا فليس هذا هو المهم .المهم أن الله تعالي لم يدع عهدا أو أمة دون نبي "[٣].

ويري (كولن) أن النص القرآني قاطع في أن الأنبياء أرسلوا إلي مختلف البلدان والمجتمعات ﴿ إِنَّآ أَرۡسَلۡنَٰكَ بِٱلۡحَقِّ بَشِيرٗا وَنَذِيرٗاۚ وَإِن مِّنۡ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٞ ﴾[٤].

إذن كل مجتمع علي سطح هذه الكرة الأرضية ظهر فيه نبي وفي قوله:﴿ وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبۡعَثَ رَسُولٗا ﴾[٥] دليل على أن الله لا يحاسب أمة لم يبعث لها رسولا، ولا يعذبها، فقال :﴿ فَمَن يَعۡمَلۡ مِثۡقَالَ ذَرَّةٍ خَيۡرٗا يَرَهُۥ ۝٧ وَمَن يَعۡمَلۡ مِثۡقَالَ ذَرَّةٖ شَرّٗا يَرَهُۥ ۝٨ ﴾[٦]، وهذا النص يبين أن عمل الخير واقتراف الشر لن يبقي دون جزاء، وبما أن الله سيحاسب علي عمل الخير والشر، إذن فهو قد أرسل الأنبياء لجميع الناس، وهذه القوانين الثلاثة المرتبط بعضها ببعض ثابتة بالنص القرآني القطعي.

إذن أرسل الله الأنبياء إلي جميع أنحاء الأرض في مختلف العهود والأدوار، ولم يقتصر علي جزيرة العرب فقط كما يتوهم البعض، ونحن لا نعرف منهم سوي ٢٨ نبيا الذين

١- بحر الكلام ص ٣٤٢..

٢- ينظر: بحر الكلام ص ٣٤٢.وشرح العقائد النسفية ص ٨٨.

٣- كولن: أسئلة العصر المحيرة(١) ص ٨٨ ، وينظر: نحو عقيدة صحيحة ص ٧٥.

٤- سورة فاطر الآية :٢٤.

٥- سورة الإسراء الآية:١٥.

٦- سورة الزلزلة الآية: ٧-٨.

ذكرهم القرآن[١]، ومعرفتنا في حق ثلاثة من هؤلاء قاصرة، وفيها شبه وعلامات استفهام كما يقول (كولن) [٢]، ولم يبين (كولن) ماهية هؤلاء الرسل الذين عناهم.

ومن الأمارات التي ذكرها كولن للتدليل علي ظهور الأنبياء في كل الأماكن ولكل الأجناس:

ماحكاه من أن أحد الأساتذة حكي له أنه اختلط بسكان أمريكا الأصليين وبالزنوج وأن عندهم عقائد تشبه عقائدنا مثل: (إن الله لا شريك له ذلك أنه لو وجد إلهان لاضطربت الإدارة)، وهذا يطابق قوله:﴿ لَوْ كَانَ فِيهِمَآ ءَالِهَةٌ إِلَّا ٱللَّهُ لَفَسَدَتَا ۚ فَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ رَبِّ ٱلْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴾[٣].إذ لو لم يقم نبي بإخبارهم بهذا، فمن أين للزنوج التوصل إلي هذه الحقيقة.

والأمر نفسه ذكره الدكتور (مصطفي محمود)[٤]عن قبائل (الماوماو)و(النيام نام)في أفريقيا[٥].

إذن يخلص (كولن) إلى القول بأن كل أمة جاءها رسول من قبل الله تعالى كما قال تعالى ﴿ وَإِن مِّنْ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٌ ﴾[٦] .

١- الحقيقة أن العدد المذكور في القرآن خمسة وعشرون نبيا ورسولا ثمانية عشر في قوله: ﴿ وَتِلْكَ حُجَّتُنَآ ءَاتَيْنَٰهَآ إِبْرَٰهِيمَ عَلَىٰ قَوْمِهِۦ ۚ نَرْفَعُ دَرَجَٰتٍ مَّن نَّشَآءُ ۗ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ ﴿٨٣﴾ وَوَهَبْنَا لَهُۥٓ إِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ ۚ كُلًّا هَدَيْنَا ۚ وَنُوحًا هَدَيْنَا مِن قَبْلُ ۖ وَمِن ذُرِّيَّتِهِۦ دَاوُۥدَ وَسُلَيْمَٰنَ وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ وَمُوسَىٰ وَهَٰرُونَ ۚ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٨٤﴾ وَزَكَرِيَّا وَيَحْيَىٰ وَعِيسَىٰ وَإِلْيَاسَ ۖ كُلٌّ مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٨٥﴾ وَإِسْمَٰعِيلَ وَٱلْيَسَعَ وَيُونُسَ وَلُوطًا ۚ وَكُلًّا فَضَّلْنَا عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٨٦﴾ ﴾ الأنعام: ٨٣ - ٨٦ ، والسبعة الباقية هم آدم، إدريس، هود، شعيب، صالح، ذو الكفل، محمد(عليهم الصلاة والسلام).

٢- أسئلة العصر ص٨٨، ٨٩ ، ونحو عقيدة صحيحة ص ٧٦.

٣- سورة الأنبياء الآية:٢٢.

٤- مصطفى محمود: طبيب ومفكر مصري ولد ٢٧ ديسمبر ١٩٢١م في شبين الكوم بمحافظة المنوفية، درس الطب وتخرج من الجامعة ١٩٥٣م واشتغل بالصحافة، اتهم بالإلحاد في زمن عبد الناصر ولكن برئت ساحته، قدم أكثر من ٨٠ كتابا في فروع الأدب والفلسفة والسياسة منها: الإسلام في خندق- حوار مع صديقي الملحد- اسرائيل البداية والنهاية، وتعود شهرته إلى برنامج (العلم والإيمان) الذي قدم منه على التليفزيون المصري ٤٠٠ حلقة، يوجد ميدان باسمه في الجيزة يضم مسجدا، ومركزا طبيا لعلاج غير القادرين، ومرصدا فلكيا، ومتحف للجيولوجيا توفي ٢٠٠٩م عن عمر ناهز ٨٨ عاما. ينظر: موقع العربية نت- القاهرة، بقلم: أشرف عبد الحميد، آخر إضافة بتاريخ الأربعاء ١ صفر ١٤٣٨هـ- ٢ نوفمبر ٢٠١٦م واطلعت عليه بتاريخ ١١مايو ٢٠١٨م.

٥- كولن: أسئلة العصر المحيرة ص ٩٢ ، وينظر: نحو عقيدة صحيحة ص ٧٦. ينظر د/ مصطفى محمود: حوار مع صديقي الملحد ص ٥٤ تقديم: د/ محمد عمارة هدية مجلة الأزهر جمادى الأولى ١٤٣٦هـ- مارس ٢٠١٥م.

٦- سورة فاطر الآية: ٢٤.

ثانيا: ترتيب الأنبياء:

ذكر (كولن) ترتيب الأنبياء حسب وجودهم، وحسب المعلومات المتوافرة، فأولهم آدم - عليه السلام - وآخرهم محمد (ﷺ)، ولا يعرف في الأغلب أين ظهروا وضرب أمثلة على ذلك منها:

١- قيل: إن قبر (آدم) -عليه السلام- موجود في مدينة (جدة)، ولا يعرف مدي صحة هذا القول[١]، فالروايات التي تتحدث عن لقاء (آدم) -عليه السلام- مع أمنا (حواء) في جدة ليست روايات بلغت درجة الصحة؛ لذا فلا يعرف أين بدأ آدم -عليه السلام - حياته، وأدى وظائف نبوته .

٢- هناك معلومات أكثر حول (إبراهيم) -عليه السلام- إذ ساح في بابل وفي الأناضول، ثم ذهب إلي الشام.

٣- و أن (لوطا) - عليه السلام - أدى مهمته بين قوم عاد وثمود حول بحيرة لوط "البحر الميت " .

٤- وسيدنا (شعيب) - عليه السلام - كان في مدينة (مدين)، وأن (موسي) -عليه السلام- نشأ في مصر.

٥- وأن (يحيى وزكريا) -عليهما السلام - عاشا في منطقة البحر المتوسط، ومن المحتمل أنهما انتقلا إلي الأناضول، فالآثار الموجودة في (أفس)، والمتعلقة بعيسي وبأمه مريم - عليهما السلام - تشير إلي هذا، ولكن هذه الروايات لا ترقي إلي مرتبة الثبوت القطعية.

ويقرر (كولن) أنه إذا استثنينا هؤلاء الأنبياء الثمانية والعشرين الذين ذكرهم القرآن، فإننا لا نعرف الأمكنة التي نشأ فيها الأنبياء الآخرون، وهكذا يتبين أننا لا نستطيع الحصول علي معلومات موثوق بها في هذا الموضوع[٢]، ولا سيما عندما تكون آثار تلك الأديان قد اندثرت وانمحت آثار النبوة فيها، فمثلا النصرانية تري أن الاجتماع الذي عقد في مدينة (إزنيك)[٣]غير العقيدة النصرانية من التوحيد إلي الأقانيم الثلاثة، وتعرض كتاب (المسيح) -عليه السلام- الذي جاء به من عند الله للتحريف وأضيف إلي (المسيح)، وأمه الألوهية حتي صارت النصرانية لا فرق بيها وبين عقيدة اليونان الوثنية.

ويري (كولن) أن هناك أديانا كثيرة شوهت من قبل الناس، وزال عنها الجانب الإلهي فمن يدري فقد يكون "كونفوشيوس نبيا ونحن لا نقول هذا علي وجه القطع والتأكد

---

[١]- اختلف في موطن دفن آدم - عليه السلام- فالمشهور أنه دفن عند الجبل الذي أهبط فيه في الهند وقيل: بجبل أبي قبيس بمكة، وقيل: نقل نوح - عليه السلام- آدم وحواء في تابوت زمن الطوفان، ودفنهما في بيت المقدس. ينظر: أبو الفداء اسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي : قصص الأنبياء، باب ذكر وفاة آدم ووصيته إلى ابنه شيث ص ٦٨، تحقيق: مصطفى عبد الواحد، مطبعة دار التأليف- القاهرة، ط: الأولى ١٣٨٨هـ- ١٩٦٨م.

٢- كولن: أسئلة العصر ص ٩٢وينظر: نحو عقيدة صحيحة ص ٧٧ .

[٣]- أَزْنِيكُ: بالفتح ثم السكون، وكسر النون، وياء ساكنة، وكاف: مدينة على ساحل بحر القسطنطينية، والمماطر الأزنيكية هي الغاية في الجودة. شهاب الدين أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله الرومي الحموي معجم البلدان ج ١ ص ١٦٩، دار صادر- بيروت ط الثانية ١٩٩٥م.

وتاريخ الأديان لا يعطي هنا ما يشفي الغليل ...ولكننا نعرف من التاريخ وجود كونفوشيوس[١] وبوذا[٢] وأنهما أتيا بدينين ونعلم أيضا أن شذوذا وأخطاء كبيرة موجودة في هذين الدينين ...لذا لا يمكننا قبولهما كدين، ولكن ربما كانا في السابق دينين حقين ثم أصابهما التحريف"[٣].

وأيضا الأمر ذاته ذكره مع (سقراط) [٤] فربما كان نبيا أيضا، ولكن هذا لا يمكن الجزم به؛ لأن إسناد النبوة إلي غير نبي كفر يماثل الكفر الناشئ عن إنكار نبوة نبي كما يري كولن.

ويبدو أن هدف (كولن) - فيما أرى- من الاسترسال في ذكر الأنبياء، وعددهم، وترتيبهم ليؤكد أن الأنبياء أرسلوا إلى جميع الأمم، واستوعبوا الأرض طولا وعرضا كما قال تعالى:﴿ إِنَّآ أَرۡسَلۡنَٰكَ بِٱلۡحَقِّ بَشِيرٗا وَنَذِيرٗاۚ وَإِن مِّنۡ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٞ ﴾ [٥]، وحتى لا يكون

---

[١]- كونفوشيوس: فيلسوف وأخلاقي صيني اسمه (كونغ فوزي) ولد في إمارة لو ٥٥١ ق. م، عمل بالزراعة وبعض الأعمال الإدارية. وتثقف واهتم بالتحصيل العلمي وراح يبشر بتعاليم إصلاحية تسعى إلى تطهير المجتمع وإصلاحه، فانتشرت تعاليمه، وكثر تلاميذه. تسلم رئاسة الوزراء في مسقط رأسه فأدخل عليها عدة إصلاحات أخلاقية، واجتماعية، واقتصادية، وأدار الحكم بمثالية أخافت حكام الولايات المجاورة، فمارسوا عليه ضغوطا دفعته إلى الاستقالة . آمن بوجود إرادة سماوية تنظم الكون اهتم بسلوك الإنسان واصلاحه. واتخذ منهج الحدس المباشر والتأمل الباطني بديلا عن العقل وأدلته. تنسب إلية عدة مؤلفات منها: أحاديث كونفشيوس- الدراسة الكبرى- كتاب مانغ. توفي في شمالي الصين ٤٧٨ ق. م. ينظر: روني إيلي ألفا: موسوعة أعلام الفلسفة العرب والأجانب ج ٢ ص ٢٨٤-٢٨٦.

[٢]- بوذا: هو سوهارتا جوتاما وبوذا هو لقبه (٥٦٠-٤٨٠ ق م) عاش في بدايته حياة الترف وحياة القصور، ثم ترك كل ذلك، ودرس الفلسفة، ثم لجأ إلى العزلة والتقشف ورياضة النفس، و فلسفتة وضعية انتحلت الصبغة الدينية، وفيها دعوة إلى التصوف والخشونة ونبذ الترف والمناداة بالمحبة والتسامح وفعل الخير. وبعد موت مؤسسها تحولت إلى معتقدات باطلة، ذات طابع وثني ، ولقد غالى أتباعها في مؤسسها حتى ألَّهوه. وقد انتشرت البوذية بين الشعوب الأسيوية وبلغ عدد معتنقيها ٦٠٠ مليون نسمة ولهم معبد كبير في نيبال. ينظر: روني إيلي ألفا: موسوعة أعلام الفلسفة العرب والأجانب ج ١ ص ٢٥٣-٢٥٥.الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة ص ٢/ ٧٥٨.

٣- كولن: اسئلة العصر المحيرة ص ٩٠.

٤- سقراط: فيلسوف يوناني ولد ٤٧٠ ق . م في أثينا لم يؤلف كتاب ولم يترك أثرا ومصدر معرفتنا به هو اكسيوفون، وأفلاطون، وأرسطو، انتقل من النظر إلى الطبيعة إلى النظر في الإنسان، واعتبر الفضيلة هي العلم فلا عمل في نظره دون علم وشعاره(اعرف نفسك بنفسك). كانت طريقته في الحوار تعتمد على التهكم والتوليد للأفكار من خلال بيان جهله بالمسألة ثم يبدأ التساؤلات حولها ومن إجابات الناس يولد الأفكار ويثبت ما يريده، كان يؤمن بآلهة اليونان، وبوجود إله فوق الآلهة، وفي عام ٣٩٩ ق م سيق للمحاكمة بعدة تهم منها إنكار الآلهة وإفساد الشباب، ولكن السبب الرئيس- كما يقول د/ بدوي- علاقاته ببعض الساسة واتهامه الناس بالجهل وحكم عليه بتجرع السم. د/ عبد الرحمن بدوي: موسوعة الفلسفة ج ٢ ص ٥٧٦-٥٧٩.روني إيلي ألفا: موسوعة أعلام الفلسفة العرب والأجانب ج ١ ص ٥٥٩.

٥- سورة فاطر: الآية٢٤.

لأحد حجة ﴿ رُّسُلًا مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى ٱللَّهِ حُجَّةٌۢ بَعْدَ ٱلرُّسُلِ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴾[١].

وأفضل الرسل هم أولوا العزم، وهم خمسة (نوح، وإبراهيم، وموسى، وعيسى، ومحمد-ﷺ-)وأفضلهم محمد(ﷺ).

فيرى (كولن) أنه طبقا للمعنى اللغوي فأولو بمعنى أصحاب، والعزم بمعنى الحزم والإصرار والثبات فيكون المعنى: أصحاب الإصرار والحزم[٢].

ويقول: "أما أولو العزم من الرسل فهم من ذكروا في الآية: ﴿ وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مِيثَـٰقَهُمْ وَمِنكَ وَمِن نُّوحٍ وَإِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ ۖ وَأَخَذْنَا مِنْهُم مِّيثَـٰقًا غَلِيظًا ﴾[٣].

أي هم، سيد السادات سيدنا محمد (ﷺ) المشار إليه بكاف الخطاب "منك"، وسيدنا نوح وسيدنا ابراهيم، وسيدنا موسى، وسيدنا عيسى -عليهم الصلاة والسلام-".

ويشير إلى الحكمة من تخصيص هؤلاء الأنبياء، فيقول: "وكل نبي له خصوصية غير أن هؤلاء الخمسة كل شيء في سوقهم غال وثمين، فكم من ابتلاءات شاقة عسيرة اجتازوها".[٤].

وهو هنا متفق تماما مع أهل السنة[٥] في ماهيتهم، وحكمة ذلك التفضيل والتخصيص.

ثالثا: صفات الأنبياء والرسل:[٦]

هناك اتفاق بين المتكلمين علي بلوغ الأنبياء الغاية العظمي من الصفات، والأحوال، والأفعال .

أولا: رأي المتكلمين:

١- ترى المعتزلة بلوغ الأنبياء الغاية في الكمال والتنزه عن النقائص، فيقول القاضي عبد الجبار: "ومن حقه - أي الرسول- ألا يجوز عليه ما يقدح في الأداء من كذب، أو

١- سورة النساء:١٦٥.

٢- ينظر: كولن: نحو عقيدة صحيحة ص ١٥٩ .

٣- سورة الأحزاب الآية: ٧.

٤- نحو عقيدة صحيحة ص ١٥٩.

٥- ينظر: حاشية الباجوري على جوهرة التوحيد ص ٢١٦.

٦- معنى الصفة: وصف الشيء يصفه وصفا وصفة: ذكر أوصافه ،والصفة: الحالة التي يكون عليها الشيء ويتميز بها أو اللازمة للشيء. ابن فارس: مجمل اللغة ص ١/ ٩٢٧. ينظر: القاموس المحيط ص ٦٧١.

كتمان، أو سهو، أو غلط إلي غير ذلك"[١].

ويعلل ذلك بأنه لا يجوز الكذب فيما يؤديه عن الله؛ لأنه تعالي مع حكمته، ومع أن غرضه بالبعثة تعريف المصالح لو علم أنه يختار الكذب فيما يؤديه لم يكن ليبعثه؛ لأن ذلك ينافي الحكمة، وكمثل هذه العلة لا يجوز عليه كتمان ما حمله من الرسالة او كتمان بعضه[٢].

٢- يرى أهل السنة أن الصفات الواجبة في حق الرسل أربعة حصرها العلامة (الدردير)[٣] في بيت واحد، فقال:

وصف جميع الرسل بالأمانة والصدق والتبليغ والفطانة.

أي :وصف أيها المكلف وجوبا جميع الرسل بهذه الصفات الأربع[٤].

وذكرها الماتريدية إجمالا مثل قول النسفي: "وكلهم كانوا مخبرين مبلغين عن الله تعالى صادقين ناصحين"[٥].فهذا يدل على اتصافهم بالصدق والتبليغ والأمانة .

ثانيا: رأي فتح الله كولن :

حدد (فتح الله كولن) الصفات الواجبة للأنبياء بأربع صفات كما هي عادة المتكلمين فذكر كل صفة وثوبتها في حق الأنبياء عامة، ثم أفرد النبي بالذكر، وفصل في كل صفة ذاكرا أقواله وأحواله- ﷺ- فيها؛ لأنه يذكر ذلك في إطار حديثه عن سيرة النبي (ﷺ).

أولها :الصدق :

١- صدق الأنبياء:

يري (كولن) بأن الصدق هو محور النبوة ومدار ارتكازها، فكل ما تلفظ به الأنبياء صدق خالص لا يمكن أن يجافي الواقع أو الحقيقة، والآيات في ذلك كثيرة منها :

١- القاضي عبد الجبار: المغني ج ١٥ ص ٢٧٩.

٢- ينظر: القاضي عبد الجبار: المغني ج ١٥ ص ٢٨١ .

٣- الشيخ الدردير(١١٢٧ - ١٢٠١ هـ = ١٧١٥ - ١٧٨٦ م) أحمد بن محمد بن أحمد العَدَوي، أبو البركات الشهير بالدردير: فاضل، صوفي، من فقهاء المالكية، مشارك في بعض العلوم. ،ولد في بني عَدِيّ (بمصر) وتعلم بالأزهر، وتولى مشيخة الطريقة الخلوتية، والافتاء بمصر، وتوفي بالقاهرة. من كتبه (أقرب المسالك لمذهب الإمام مالك) و (منح التقدير) مجلدان، في شرح مختصر خليل، فقه، و (تحفة الإخوان في علم البيان) ، رسالة في (متثابهات القرآن). ينظر: الزركلي: الأعلام ص ٢٤٤/١، عادل نويهض: معجم المفسرين من صدر الإسلام وحتى العصر الحاضر ص ٧٦/١.

٤- ينظر: الإمام الدردير: شرح الخريدة البهية ص ٥٣، وينظر: حاشية الإمام البيجوري على جوهرة التوحيد ص٢٠٠-٢٠٤.

٥- شرح العقائد النسفية ص ٨٩ .

﴿ وَٱذۡكُرۡ فِي ٱلۡكِتَٰبِ إِبۡرَٰهِيمَۚ إِنَّهُۥ كَانَ صِدِّيقٗا نَّبِيّٗا ﴾ [1]، وقوله: ﴿ يُوسُفُ أَيُّهَا ٱلصِّدِّيقُ أَفۡتِنَا فِي سَبۡعِ بَقَرَٰتٖ سِمَانٖ يَأۡكُلُهُنَّ سَبۡعٌ عِجَافٞ وَسَبۡعِ سُنۢبُلَٰتٍ خُضۡرٖ وَأُخَرَ يَابِسَٰتٖ لَّعَلِّيٓ أَرۡجِعُ إِلَى ٱلنَّاسِ لَعَلَّهُمۡ يَعۡلَمُونَ ﴾[2] .

٢- صدق الرسول- ﷺ- :

الصدق عند رسولنا - صلي الله عليه وسلم - يتمثل في ثلاثة محاور :

أ- الأمين قبل الرسالة: فقد اشتهر بين قومه بالصادق الأمين.

ب- الموصي بالصدق دائما. فكما عاش بالصدق أوصى أمته بالصدق دائما "عليكم بالصدق فإن الصدق يهدي إلى البر، وإن البر يهدي إلى الجنة، وما يزال الرجل يصدق، ويتحرى الصدق حتى يكتب عند الله صديقا"[3].

ج- أقواله علامة صدقه: فكل ما أخبر به النبي -ﷺ من أمور قريبة، أو بعيدة، أو ما يتصل بالعلوم صدقها الواقع والمستقبل، وهذا دليل على نبوته[4].

ومن الملاحظ هنا أن (كولن) مهتم بمسألة الإعجاز العلمي في السنة فقد سرد عدة أحاديث تتصل بالعلوم المختلفة أيدها العلم الحديث مثل:

حديث الذباب[5] والسواك[6] مما يدل على صدق رسولنا في خبره، ومن ثم صدق نبوته.

نبوته.
فكولن كما هو واضح حريص على استخدام العلم في خدمة قضايا العقيدة.

ثانيها :الأمانة:

١- سورة مريم الآية :٤١.

٢- سورة يوسف الآية:٤٦.

٣- أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب البر والصلة والآداب، باب قبح الكذب وحسن الصدق وفضله ص ٢٠١٣/٤ رقم ٢٦٠٧.

٤- ينظر: النور الخالد ص ٧٧- ١٢٣.

٥- والحديث عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ (رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ) أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم) قَالَ: «إِذَا وَقَعَ الذُّبَابُ فِي إِنَاءِ أَحَدِكُمْ فَلْيَغْمِسْهُ كُلَّهُ، ثُمَّ لِيَطْرَحْهُ، فَإِنَّ فِي أَحَدِ جَنَاحَيْهِ شِفَاءً، وَفِي الآخَرِ دَاءً». أخرجه البخاري في صحيحه باب إذا وقع الذباب في الإناء، كتاب الطب ص ١٤٠/٧ رقم ٥٧٨٢.

٦- وَقَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: " لَوْلاَ أَنْ أَشُقَّ عَلَى أُمَّتِي لَأَمَرْتُهُمْ بِالسِّوَاكِ عِنْدَ كُلِّ وُضُوءٍ". والحديث أخرجه البخاري في صحيحه، باب سواك الرطب واليابس للصائم، كتاب الصوم ص ٣١/٣وأخرجه بدون لفظ "عند كل وضوء" في كتاب التمني ص ٨٥/٩ رقم ٧٢٤٠.وأخرجه بلفظ "مع كل صلاة" باب السواك يوم الجمعة، كتاب الجمعة ص ٤/٢ رقم ٨٨٧.

١- أمانة الأنبياء:

يقول كولن: "وكلمة الأمانة مشتقة من الإيمان، فالمؤمن هو الشخص الذي يحمل صفة الإيمان، ويعطي انطباعا بالأمن، فكما أن الأنبياء في ذروة الإيمان، فكذلك هم في ذروة الأمانة"[١]، والقرآن يشير إلى ذلك في آيات عدة منها : جواب نوح وهود ولوط(عليهم السلام) على أقوامهم الذي حكاه القرآن الكريم: ﴿إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ﴾[٢].

٢- أمانة النبي(ﷺ):

والأمانة عند رسولنا حسب وصف القرآن: ﴿مُّطَاعٍ ثَمَّ أَمِينٍ﴾[٣]، وتتمثل في:

أ- أمانة تبليغ الرسالة: عاش حياته أمينا على رسالته إلى درجة حرصه على ألا تفوته كلمة من الوحي، وقد نبهه القرآن قائلا: ﴿لَا تُحَرِّكْ بِهِۦ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِۦٓ﴾[٤].

ب-والأمانة حيال الوجود كله: كان- ﷺ- أمينا على الناس والحيوان، ويروي في هذا قصة أم المؤمنين (صفية) لما وقفت تحدث النبي أمام المسجد فمر رجلين من الأنصار، فقال لهما النبي: على رسلكما إنما هي صفية بنت حيي فقالا: سبحان الله يا رسول الله وكبر عليهما، فقال النبي -ﷺ- :إن الشيطان يبلغ من الإنسان مبلغ الدم وإن خشيت أن يقذف في قلبكما شيء"[٥]، فأراد النبي أن ينقذ إيمانهما من الخطر خشية أن يلقي الشيطان شيئا في قلبيهما.

وكذا أمانته تجاه سائر الوجود، ويحكي قصة حمرة أخذ الصحابة فرخيها فجاءت تفرش أي ترفرف فقال النبي(ﷺ): "من فجع هذه بولدها ردوا ولدها إليها"[٦]، فكان ممثل الأمن والأمانة تجاه الوجود بهذه الأفعال.

وكذا ذكر نماذج كثيرة من حياة الصحابة الذين فتحوا الأرض بهذه الأمانة[١].

١- كولن: النور الخالد :ص ١٢٤.

٢- سورة الشعراء الآية: ١٢٥.

٣- سورة التكوير الآية: ٢١.والحقيقة أن جل التفاسير- فيما اطلعت عليه- تشير إلى كون الأمانة في هذه الآية تحديدا صفة لجبريل لا للنبي- ﷺ- ينظر: تفسير الزمخشري ص ٧١٢/٤، وتفسير الرازي ص ٧٠/٣١، الماتريدي: تأويلات أهل السنة ص ٤٣٦/١٠.

٤- سورة القيامة الآية:١٦.

٥- أخرجه البخاري ومسلم، ينظر: صحيح البخاري، باب صفة إبليس وجنوده، كتاب بدء الخلق ج ٤ ص ١٢٤ ١٢٤ رقم ٣٢٨١). صحيح مسلم، باب بيان أنه يستحب لمن رئي خاليا بامرأة وكانت زوجته أو محرما له أن يقول هذه فلانة ليدفع ظن السوء به (ج ٤ ص ١٧١ رقم ٢١٧٥).

٦- والحديث أخرجه أبو داود السجستاني، وقال الألباني: صحيح، ينظر: سنن أبي داود، باب في كراهية حرق العدو بالنار، كتاب الجهاد (ج ٣ ص ٨ ١٢رقم ٢٦٧٧)، دار الكتاب العربي- بيروت.

ج- ودعوة أمته إلي الأمن: وذكر أن من دواعي الأمانة وتحقيق الأمن أنه نهى أمته عن الغيبة كثيرا، وكان يستعيذ من الخيانة، ويحذر من مصير الخيانة يوم القيامة[٢].

ثالثها : التبليغ :

ومعناه عند كولن: بيان حقائق الإسلام أو الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وقد ذكر صفة التبليغ عند الأنبياء جميعا ثم ثنى بالنبي-ﷺ- على الوجه التالي:

١- التبليغ عند الأنبياء:

من صفات الأنبياء جميعا، فلولا مهمة التبليغ لكان إرسال الأنبياء عبثا، ودون معني كما يقول (كولن)، وهناك أسس ثلاثة للتبليغ حددها (فتح الله كولن) وهي:

أ- النظرة الشمولية، فالإنسان كل يشمل العقل والقلب.

ب- عدم انتظار الأجر من البشر، شعارهم ﴿إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى اللَّهِ﴾[٣].

ج- ترك النتائج لله.

٢- التبليغ عند النبي(ﷺ):

والنبي (ﷺ) في دعوته أسس مهمته في التبليغ علي" منطق النبوة "أي الفطنة في التبليغ، وأيضا التمثيل الجيد للدعوة في جميع مظاهر حياته، والحرص علي هداية الناس، وحمل هم الدعوة؛ ولذا سلك سبل التبليغ المختلفة كالدعوة الفردية، والرسائل إلي الرؤساء، والدول، وغير ذلك[٤].

رابعها : الفطنة :

وقد عرفها (كولن) بأنها (تجاوز العقل بالعقل)، أو هي (منطق النبوة).

وهذا المنطق هو النظر إلي الأشياء والحوادث من خلال منظار قد جمع بين الروح والقلب والحس وسائر اللطائف الإنسانية .

١- الفطنة عند الأنبياء:

وقد استدل (كولن) على فطنة الأنبياء عقلا، فقال :"لو لم توجد الفطنة لدي الأنبياء لما كان بإمكانهم الإجابة عن كل اقتراحات أعدائهم، وعن كل استفسارات وأسئلة أنصارهم، وإيضاح جميع المسائل لهم، ولو عجزوا عن القيام بهذا؛ لأدي ذلك إلي نتيجة حتمية، وهي عدم وضوح الدين، وصعوبة فهمه، فلا يكون هناك معني لفروضه، وعندما

١- ينظر: النور الخالد ص١٢٨، ١٢٩.

٢- ينظر: السابق ص ١٣٠.

٣- سورة يونس الآية: ٧٢ .

٤- ينظر: النور الخالد ص ١٣٨- ١٦٦.

لا يكون هناك معني لفروضه أصبح خلق الإنسان عبثا، ولكي لا تحصل كل هذه النتائج السلبية كان من الضروري تجهيز الأنبياء بمنطق خارق للعادة مما مكنهم من حل جميع المشاكل والعقد بيسر وسهولة"[١].

٢- فطنة الرسول(ﷺ):

أما عن فطنة نبينا (ﷺ)فتتمثل في :

أ- إجابته عن جميع المسائل والشبهات التي تدور في أذهان الناس.

ب- مخاطبة الناس علي قدر عقولهم؛ لأنهم علي درجات مختلفة من الفهم والإدراك.

وقد ظهرت فطنته (ﷺ) في مواقف كثيرة كخطاباته، ومواقفه مع الأعراب والبدو، وموقفه يوم وضع الحجر الأسود[٢]، وخطابه للأنصار في حنين بعدما أعطي الرسول الكثير لقريش، فوجد الأنصار في نفوسهم، ولكن بعد خطاب الرسول لهم انقلبوا راضين شاكرين الله علي بعثة النبي[٣]، وإقامته فيهم، وغيرها الكثير[٤].

٣- العلاقة بين العقل والوحي:

إن الفطنة - كما يقول كولن- ليست عقلا ومنطقا جافا، بل إن إضافة الإسلام إلي العقل والمنطق فحسب، والقول بأن الاسلام دين العقل أو دين المنطق ليس فقط جهلا، بل يعد الخطوة الأولي لتحريف كبير.

فليس الإسلام دين العقل أو المنطق فحسب كما يدعون، بل إنه دين الوحي الإلهي يقول كولن: "وإن عدم تناقض المسائل الإسلامية مع العقل والمنطق يعود إلي كون الاسلام آتيا من العلم الإلهي المحيط بكل شيء، ومفسرا بالمنطق النبوي الشامل بما يليق بمصدره السماوي، أي إنه إلهام نبوي ومنطق نبوي - هذا المنطق الذي له قدرة علي تلقي الوحي الإلهي، والذي ينفتح للحس والقلب والعقل والفلسفة التي تأتي بمعني اللطائف والحكم – أي إنه منطق فوق المنطق العادي؛ لذا نستطيع أن نسميه بالفطنة العظمي"[٥].

والإسلام موافق للعقل والمنطق وهو يستدعي التسليم والإذعان للوحي؛ لأن العقل والمنطق لا يأتيان بما يضاد الوحي، ومما يدلل على تلك العلاقة:

أ- أن الإسلام تناول المسائل التي يجب الإيمان بها في كتابه، وفسرها، وشرحها بشكل عقلي ومنطقي، فأثبت الألوهية والربوبية، وكذا النبوة بهذا الشكل وكذلك عقيدة البعث.

١- كولن: السابق ١٧١.

٢- والقصة أخرجها محمد بن اسحاق بن العباس المكي الفاكهي: أخبار مكة في قديم الدهر وحديثه ج ٥ ص ٢٢٧ ج تحقيق: عبد الملك عبدالله دهيش دار خضر- بيروت، ط: الثانية ١٤١٤هـ.

٣- والحديث أخرجه البخاري في صحيحه وفيه(لو سلكت الناس واديا وسلكت الأنصار شعبا لاخترت شعب الأنصار) ص ١٥٩/٥ رقم ٤٣٣٣باب غزوة الطائف كتاب المغازي.

٤- النور الخالد ص ١٧١.

٥- كولن: النور الخالد ص ١٧٠.

ب- جميع أفعال الله وإجراءاته مستندة إلى العقل والمنطق فهو العليم الحكيم لا يصدر منه أي عبث فلله تعالى حكمة في كل فعل، وهذه الحكمة عقلية منطقية؛ ولذا فآيات الله في الأنفس والآفاق تسوقنا إلى الإيمان .

ولكن هناك أمور من الصعب الاستدلال عليها بالعقل؛ وهي معاني الحقائق التي يحسها الإنسان في وجدانه وقلبه فهي من القوة بحيث أن جميع الأدلة تبقى بجانبها باهتة وتلك اختص بها أرباب القلوب .

وتبقى الأمور التعبدية فهي مظهر من مظاهر التسليم، فأساسها التسليم والإذعان ولاشك أننا لو دققنا فيها النظر سنجد حكما ومصالح صحية في الصلاة، وتأمين التوازن بين الأغنياء والفقراء في الزكاة، وتحقيق المساواة والوحدة كما في الحج.

وفي النهاية يخلص كولن إلى: " سواء أكانت نقطة انطلاقنا من العقل والمنطق فسنصل إلى الإذعان والتسليم، أم كانت نقطة انطلاقنا من الإذعان والتسليم فسنصل إلى العقل والمنطق، فالنتيجة واحدة، ومن ثم فالإسلام عقلي ومنطقي من جهة وإذعان وتسليم من جهة أخرى"[١].

ومن ثم لا يصح اجتزاء حقائق الإسلام بالقول إنه دين العقل والمنطق، - وإن كان دينا برهانيا يوافق العقل والمنطق-، فالإسلام قبل كل شيء هو دين إلهي بوحي معصوم، فإذا ما عجزنا أن نفهم حكمة ما من وراء أحد تشريعاته فلا نرفضه؛ لأنه وحي من الله، وإن قصورنا وعجزنا هو السبب وليس الإسلام نفسه .

إذن قرر (كولن) الصفات الأربع للأنبياء(الصدق والأمانة والتبليغ والفطانة) توافقا مع سائر أهل السنة إلا أنه أضاف وفصل في صفات النبي خاصة بعد ذكر كل صفة في حياة الأنبياء عامة.

رابعا: خصائص[٢] دعوة الأنبياء :

ذكر (كولن) عدة خصائص لدعوة الأنبياء- عليهم السلام- منها:

١- الربانية :

أي ما قام أي نبي بدعوته نتيجة تفكيره الذاتي، بل بوحي من الله، فنسيم الأنس الإلهي غذاء أرواحهم لا ينطقون إلا بما أراده الله، وبالأسلوب، والكيفية التي أرادها سبحانه[٣].

٢- التجرد والتوجه إلي الله :

١- كولن: أسئلة العصر المحيرة ص ١٥٢- ١٥٤.

٢- الخصائص :جمع خاصية والخاصية صفة لا تنفك عن الشيء وتميزه عن غيره. مجمع اللغة العربية: المعجم الوجيز ص ١٩٨ طبعة خاصة بوزارة التربية والتعليم ١٩٩٧م.

٣- ينظر النور الخالد ص ٦٧.

فهم لا ينتظرون أجرا أو مقابلا، ماديا كان أو معنويا ، شأنهم جميعا في مخاطبة أقوامهم: ﴿ فَإِن تَوَلَّيْتُمْ فَمَا سَأَلْتُكُم مِّنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى اللَّهِ ﴾﴿وَيَا قَوْمِ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مَالًا إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى اللَّهِ ﴾ .[١]

٣- الإخلاص :

معني الإخلاص هو أن يكون كل ما تعمله أو تتركه من عمل في سبيل الله، والأدلة على ذلك كثيرة، منها قوله تعالى:

﴿ وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ مُوسَىٰ إِنَّهُ كَانَ مُخْلَصًا وَكَانَ رَسُولًا نَّبِيًّا ﴾ [٢].

٤- الموعظة الحسنة :

لم يقبل الأنبياء علي الجدل والمراء والنقاش، ولم يهتموا بالأسلوب الفلسفي، بل كانت مهمتهم تنحصر في الدعوة إلي الله بالحكمة والموعظة الحسنة ﴿ ادْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ ﴾[٣]، أي: اشرح حكم الأشياء وأسرار الخلق بشكل هين لين، وبأسلوب ممتع دون أن تمس مشاعرهم بأذى محاولا إشباع عقولهم[٤].

٥- الدعوة إلي التوحيد :

قام الأنبياء جميعا بدعوة أقوامهم إلي توحيد الله: ﴿ وَإِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُ ﴾[٥]، فكل دعوات الأنبياء تبدأ بالدعوة لهذه الحقيقة وتنتهي بها .

ويري كولن أن هذه الاختلافات الموجودة في التيارات الفكرية والإنسانية، وهذا الاتفاق في النظم الإلهية التي جاء بها الوحي الإلهي تدلان علي أن الهوي هو المتبع في الأولي، والوحي هو المتبع في الثانية [٦].

١- سورة يونس الآية: ٧٢،سورة هود الآية: ٢٩.

٢- سورة مريم الآية:٥١.

٣- سورة النحل الآية :١٢٥.

٤- ينظر: كولن: النور الخالد ص ٧٢.

٥- سورة هود الآية:٨٤.

٦- ينظر: النور الخالد ص ٧٤.

مما سبق يتبين ما يلي:

١- أضاف (كولن)على ما ذكره المتكلمون في صفات الرسل، فقد استفاض في ذكر هذه الصفات، والتدليل عليها واحدة تلو الأخرى من حياة المصطفى - ﷺ-، وسيرته بخطاب يوقظ الإيمان، وينبه الغافلين من أبناء عصرنا.

٢- كان حديثه عن صفاته- ﷺ- خاصة دعوة للآخر ليعرفوا عظمة نبينا، وكماله في الأخلاق والسجايا حيث إن كتابه - النور الخالد- الذي يضم سيرة النبي (ﷺ)موجه إلى العالم كله، فقد ترجم إلى عدة لغات .

٣- ومن القضايا المهمة التي ذكرها (كولن) في كلامه عن الفطنة قضية أن الإسلام ليس عقلا فقط وإن كان يدعو إلى العقلانية، ويؤيد العقل والمنطق، ولا يناقضهما، فالإسلام دين الوحي قبل كل شيء .

وأرى أن هذه المسألة مهمة حتى لا يأتي أحد وينكر بعض حقائق الدين بدعوى أنها تناقض العقل- وقد كان- كمن ينكر حاليا بعض أحاديث الصحاح بتلك الحجة، متناسيا أنها أمورا ثابتة قطعية، وإن كان يجهل هو تفسيرها، أو لا تناسب عقله وهواه، ثم إن هناك أمورا تعبدنا الله بها، - وإن كنا لا نرى لها حكمة-؛ ليختبر طاعتنا وإذعاننا له (سبحانه وتعالى).

٤- وقضية أخرى ذكرها (كولن)، وهي أن مصادر المعرفة عندنا في الإسلام تجمع بين الحس، والعقل، والقلب مع الوحي، وسيكون هناك نقاش موسع في ذلك إن شاء الله- في فصل المعرفة لاحقا.

المبحث الثالث: عصمة الأنبياء

المطلب الأول: معنى العصمة وحكمها:

أولا: معنى العصمة:

أولا: العصمة في اللغة:

أ- عصم يعصم :اكتسب ومنع ووقى والعصمة بالكسر: المنع[١].

ب- عصم الله فلانا من الشر أو الخطأ عصمة: حماه، وحفظه، و وقاه، ودفع عنه . والعصمة: منحة إلهية تمنع من فعل المعصية، والميل إليها مع القدرة على فعلها[٢].

ثانيا: العصمة اصطلاحا:

١- تعريف أهل السنة:

أ- الأشاعرة: "حفظ الله للمكلف من الذنب مع استحالة وقوعه".[٣] ، وقيل: "ملكة نفسانية تمنع من الفجور، وتتوقف على العلم بمثالب السيئات، ومناقب الطاعات، وتتأكد في الأنبياء بتتابع الوحي على التذكير والاعتراض على ما يصدر عنهم سهوا والعقاب على ترك الأولى[٤].

ب- الماتريدية: وتعني العصمة عندهم: الحفظ بالمنع والإمساك عن الكفر[٥].

والمعنى واحد بين الفريقين .

٢- العصمة عند فتح الله كولن:

يعرف (كولن) العصمة بقوله: "حفظ الله تعالى أنبياءه من الذنوب كبيرها وصغيرها، أي إن الله تعالى لا يعطى للنبي الذى يرسله فرصة اقتراف الذنب إذ يحفظه من ذلك"[٦].

١- ينظر: الفيروز أبادي: القاموس المحيط ص ٩٧١.

٢- ينظر: الخليل بن أحمد: العين ص ٣١٣/١. مجمع اللغة العربية: المعجم الوجيز ص ٤٢٢ .

٣- الباجوري: حاشية الإمام الباجوري على جوهرة التوحيد ص ٢٢٢.

٤- البيضاوي: طوالع الأنوار ص ٢١٦.

٥- أبو البركات النسفي: شرح العمدة ص ٢٥٩.

٦- كولن: النور الخالد ص ٥١٣ .

فمثلا قوله: ﴿ سَـَٔاوِيٓ إِلَىٰ جَبَلٖ يَعۡصِمُنِي مِنَ ٱلۡمَآءِۚ ﴾[1] من فعل عصم، ومعناه: "حفظ"، وقوله: ﴿ قَالَتۡ فَذَٰلِكُنَّ ٱلَّذِي لُمۡتُنَّنِي فِيهِۖ وَلَقَدۡ رَٰوَدتُّهُۥ عَن نَّفۡسِهِۦ فَٱسۡتَعۡصَمَۖ وَلَئِن لَّمۡ يَفۡعَلۡ مَآ ءَامُرُهُۥ لَيُسۡجَنَنَّ وَلَيَكُونٗا مِّنَ ٱلصَّٰغِرِينَ ﴾[2] أي امتنع، صان نفسه، لم يقرب.

وكلمة اعتصموا الواردة فى قوله: ﴿ وَٱعۡتَصِمُواْ بِحَبۡلِ ٱللَّهِ جَمِيعٗا وَلَا تَفَرَّقُواْۚ ﴾[3] تأتى بمعنى: استمسكوا بحبل الله المتين؛ لكى تحفظوا أنفسكم من الوقوع في انحراف أي بمعنى الاستمساك بشيء قوى ومنيع، ومعنى المنع والحفظ في قوله أيضا: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغۡ مَآ أُنزِلَ إِلَيۡكَ مِن رَّبِّكَۖ وَإِن لَّمۡ تَفۡعَلۡ فَمَا بَلَّغۡتَ رِسَالَتَهُۥۚ وَٱللَّهُ يَعۡصِمُكَ مِنَ ٱلنَّاسِۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلۡكَٰفِرِينَ ﴾[4].

إذن العصمة في عرف أهل السنة تعني الحفظ والمنع من ارتكاب المنهي عنه، وكولن متفق معهم في هذا المعنى.

ثانيا: حكم العصمة:

هناك اتفاق بين سائر المسلمين في وجوب عصمة الأنبياء من الكبائر .وإن كان هناك اختلاف في أمر الصغائر.

أولا: رأي المتكلمين:

١- رأي المعتزلة :

يتفق المعتزلة مع أهل السنة في عدم صدور الكبائر من الأنبياء فيقول القاضي عبد الجبار: "لا يجوز على الأنبياء الكبيرة لا قبل البعثة ولا بعدها خلافا لما يقوله أهل الحشو، ويجري في كلام (أبي علي) في مواضع، فإن كلامه في مواضع يقتضي أنه يجوز على الأنبياء الكبيرة قبل البعثة، وإن كان لا يجوز بعدها، فأما الحشوية فقد جوزوا ذلك عليهم في الحالين"[5].

١- سورة هود الآية :٤٣ .

٢- سورة يوسف الآية:٣٢ .

٣- سورة آل عمران الآية:١٠٣ .

٤- سورة المائدة آية:٦٧ النور الخالد ص ٥١٣ .

٥- القاضي عبد الجبار: شرح الأصول الخمسة ص ٥٧٣.تحقيق: دكتور عبد الكريم عثمان.

ويقول أيضا : "أن الكبائر وما يجري مجراها في التنفير لا يجوز عليهم قبل البعثة، يدل علي ذلك أن وقوع ذلك منهم ينفر عن القبول، وتنزيههم عنه يقتضي سكون النفس إليهم، وأنه يقوي الدواعي في القبول منهم"[١].

وقد عدد أمورا يجب تنزيه الأنبياء عنها، منها: أن يكون الرسول منزها عما يقتضي خروجه من ولاية الله إلي عداوته قبل النبوة وبعدها، وما يقدح في الأداء من كذب، أو كتمان، أو سهو، أو غلط، و التورية، والتعمية، والصغائر المستخفة.

أما الصغائر فيقول : "إن الرسل - عليهم السلام - لا تجب عصمتهم في الصغائر التي لا تنفر؛ لأنه لا دليل يمنع من ذلك؛ ولأنه ليس فيه إلا الإقلال من الثواب فهو بمنزلة ترك الإكثار من النافلة"[٢].

ويؤكد ذلك في أكثر من موضع، فيقول: "إن الصغير الذي لا يستخف فاعله غير معتد به؛ لأنه بمنزلة الإقلال من النوافل؛ لأنه لا يؤثر في خروجه من ولاية الله سبحانه إلي عداوته، ولا له صفة في نفسه تنفر، فإذا علم أن إقلالهم من النوافل لا ينفر، فكذلك القول فيما حل هذا المحل من الصغائر"[٣] .

٢- رأي أهل السنة:

يري الإمام (الجويني) أنه تجب عصمة الأنبياء عما يناقض مدلول المعجزة، وهذا مما نعلمه عقلا، ومدلول المعجزة صدقهم فيما يبلغون، وكذا تجب عصمتهم إجماعا من الفواحش المؤذية بالسقوط وقلة الرياسة.

أما المعاصي فقال عنها: "وأما الذنوب المعدودة من الصغائر، فلا تنفيها العقول، ولم يقم عندي دليل قاطع سمعي علي نفيها، ولا علي إثباتها، ولا إجماع، والأغلب علي الظن عندنا جوازها"[٤].

ومما جاء في شرح المواقف بعد القول بعدم صدور الكبائر منهم: "أما صدور الصغائر سهوا فهو جائز اتفاقا بين أكثر أصحابنا، وأكثر المعتزلة إلا الصغائر الخسية، فإنه لا يجوز أصلا لا عمدا ولا سهوا".[٥]

والماتريدية وإن كانوا يتفقون مع الأشاعرة في وجوب العصمة عن الكبائر إلا أنهم يرون وجوب العصمة أيضا من الصغائر خلافا لبعض الأشاعرة يقول أبو عذبة: "غاية الخلاف بين الحنفية والأشاعرة على تقدير الثبوت راجع إلى تجويز الصغيرة على الأنبياء- عليهم السلام- بعد الوحي إما مطلقا كما ذكره القاضي، أو على سبيل السهو كما ذكر غيره،

١- القاضي عبد الجبار: المغني ج ١٥ص٢٧٩.

٢- السابق ج ١٥ ص ٣٠٤.

٣- السابق ج ١٥ ص ٣٠٩..

٤- الجويني: الإرشاد ص ٣٥٦.

٥- الجرجاني: شرح المواقف المجلد الرابع ص ٢٩٠.

وعدم تجويزها، فالحنفية لا يجوزونها، وبعض الأشاعرة يجوزون، والجمهور على عدم التجويز وهو الحق"[١].

يقول أبو البركات النسفي: "وعندنا لا يجوز منهم الذنب قبل الوحي إلا نادرا؛ لأنه قبل الوحي لا يجب على الخلق قبول قولهم، فلا يشترط العصمة بخلاف ما بعد الوحي، فلو جازت المعصية عليهم لجاز الكذب عليهم، لأنه معصية وحينئذ لا تلزم الحجة ولا تتضح المحجة؛ لأنه لا يعتمد على خبرهم لاحتمال الكذب في خبرهم وإنما أرسل الرسل ليقطع حجة العباد"[٢].

إذن يمنع الماتريدية وقوع المعصية من الأنبياء قبل الوحي-إلا نادرا- وبعد الوحي مطلقا؛ لما فيه من الإضرار بوظيفتهم، ومنع قبول الناس دعوتهم.

ثانيا: رأي فتح الله كولن:

يرى (كولن) وجوب عصمة الأنبياء، ولم يفرق بين صغيرة وكبيرة، ومن ذلك قوله : "كل الأنبياء معصومون، فلن تجد في حياة أي منهم أي انحراف مقصود، فهم أناس مختارون و مخلوقون بشكل استثنائي ... هم ليسوا أخيارا فحسب فهم مصطفون من بين أفضل الأخيار، وهؤلاء لا يقترفون طوال حياتهم أي شيء يلقى ظلا على اصطفائهم هذا، وعلى قدسية المهمة التي بعثوا من أجلها".[٣]

ويقول في الأمور أو الآثار التي توهم صدور الذنب عنهم :

"الأنبياء -على مذهب الجمهور- معصومون من الذنوب كبيرها وصغيرها، فلم يقترفوا أي ذنب مهما كان صغيرا .. وبعض الهفوات أو الهنات المنسوبة إلى بعض الأنبياء لا تعد ذنوبا أولا، وثانيا وقعت قبل نبوتهم، وفى كلتا الحالتين يبقى النبى معصوما"[٤] .

ثالثا: الأدلة على عصمة الأنبياء:

استدل (كولن) على عصمة الأنبياء بأدلة عقلية ونقلية، فأما النقلية فمنها:

١- يقول الله تعالى في معرض امتنانه على موسى- عليه السلام- ﴿ وَأَلْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةً مِّنِّي وَلِتُصْنَعَ عَلَىٰ عَيْنِيٓ ﴾[٥]، ويفهم من هذه الآية أن الله لم يدع تربية موسى - عليه السلام - في قصر فرعون لا إلى فرعون، ولا إلى أمه بل رباه هو، فكيف لا يكون مثل هذا النبي معصوما، وهو منذ طفولته تحت رعاية الله وعنايته وتربيته ؟"[٦] .

١- أبو عذبة: الرضة البهية فيما بين الأشاعرة والماتريدية ص ٥٨.
٢- أبو البركات النسفي: الاعتماد في الاعتقاد ص ٢٦٢.
٣- كولن: النور الخالد ص ٥١٣.

٤- السابق ص ٥١٦.

٥- سورة طه الآية:٣٩.

٦- النور الخالد ص ٥١٧.

٢- يقول الرسول (ﷺ) "ما من بنى آدم إلا يمسه الشيطان حين يولد فيستهل صارخا من مس الشيطان غير مريم وابنها"[١]، فإذا كان الله تعالى حفظ (عيسى) وأمه -عليهما السلام - من الشيطان منذ ولادته، فكيف لا يكون معصوما من الذنوب ؟"[٢]..

٣- أراد رسول الله (ﷺ) أن يلهو في صباه، فأراد أن يحضر حفلة عرس، فألقى الله عليه النعاس، فنام في المرتين، إذن فقد حفظه الله تعالى من رؤية *منظر قد يكون* حراما[٣].

٤- وكان-ﷺ- صبيا عندما اشترك في بناء الكعبة، فكان ينقل على ظهره الحجارة فتركت الحجارة أثرا على جلد ظهره، فقال العباس للنبي -ﷺ- "اجعل إزارك على رقبتك، فخر إلى الأرض، وطمحت عيناه إلى السماء، فقال: أرني إزاري فشده عليه"[٤].

إذن فهو يرى أن الأنبياء معصومون قبل وبعد النبوة.

أما الدليل العقلي فقال:

"لو اقترف هؤلاء الذين هم قدوة الناس وأئمتهم الذنوب فكيف يجوز اتباعهم ؛لأن الاتباع نابع عن بحث الإنسان عن الاستقامة، أما اتباع من يجوز عليه الانحراف فهو ضد هذا الميل الإنساني الباحث عن الاستقامة وعن الطريق القويم".[٥] .

١- رواه البخاري في صحيحه، باب: قول الله تعالى "واذكر في الكتاب مريم"، كتاب أحاديث الأنبياء، ص ١٦٤ ج ٤ رقم ٣٤٣١ .

٢- النور الخالد ص ٥١٨.

٣- والرواية أخرجها أبو نعيم عَنِ الْحَسَنِ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ جَدِّهِ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: " مَا هَمَمْتُ بِقَبِيحٍ مِمَّا كَانَ أَهْلُ الْجَاهِلِيَّةِ يَهُمُّونَ بِهَا إِلَّا مَرَّتَيْنِ الدَّهْرَ كِلْتَاهُمَا يَعْصِمُنِي اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ مِنْهَا قُلْتُ لَيْلَةً لِفَتًى مِنْ قُرَيْشٍ بِأَعْلَى مَكَّةَ فِي أَغْنَامٍ لِأَهْلِنَا نَرْعَاهَا: انْظُرْ غَنَمِي حَتَّى أَسْمُرَ هَذِهِ اللَّيْلَةَ بِمَكَّةَ كَمَا يَسْمُرُ الْفِتْيَانُ قَالَ: نَعَمْ فَخَرَجْتُ فَجِئْتُ أَدْنَى دَارٍ مِنْ دُورِ مَكَّةَ سَمِعْتُ غِنَاءً وَضَرْبَ دُفُوفٍ وَزَمْرًا فَقُلْتُ: مَا هَذَا؟ قَالُوا: فُلَانٌ تَزَوَّجَ فُلَانَةَ لِرَجُلٍ مِنْ قُرَيْشٍ تَزَوَّجَ امْرَأَةً مِنْ قُرَيْشٍ فَلَهَوْتُ بِذَلِكَ الْغِنَاءِ وَبِذَلِكَ الصَّوْتِ حَتَّى غَلَبَتْنِي عَيْنَيَّ فَمَا أَيْقَظَنِي إِلَّا مَسُّ الشَّمْسِ فَرَجَعْتُ إِلَى صَاحِبِي فَقَالَ: مَا فَعَلْتَ؟ فَأَخْبَرْتُهُ ثُمَّ قُلْتُ لَهُ لَيْلَةً أُخْرَى مِثْلَ ذَلِكَ فَفَعَلَ فَخَرَجْتُ فَسَمِعْتُ مِثْلَ ذَلِكَ فَقِيلَ لِي مِثْلَ مَا قِيلَ لِي فَلَهَوْتُ بِمَا سَمِعْتُ حَتَّى غَلَبَتْنِي عَيْنَيَّ فَمَا أَيْقَظَنِي إِلَّا مَسُّ الشَّمْسِ ثُمَّ رَجَعْتُ إِلَى صَاحِبِي فَقَالَ لِي: مَا فَعَلْتَ؟ فَقُلْتُ: مَا فَعَلْتُ شَيْئًا قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: فَوَاللَّهِ مَا هَمَمْتُ بَعْدَهُمَا بِسُوءٍ مِمَّا يَعْمَلُ أَهْلُ الْجَاهِلِيَّةِ حَتَّى أَكْرَمَنِي اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ بِنُبُوَّتِهِ ". أبو نعيم أحمد بن عبد الله بن أحمد بن إسحاق بن موسى بن مهران الأصبهاني (المتوفى: ٤٣٠هـ) دلائل النبوة ص ١/ ١٨٦ رقم ١٢٨، حققه: الدكتور/ محمد رواس قلعه جي، عبد البر عباس، دار النفائس، بيروت، الطبعة: الثانية، ١٤٠٦ هـ - ١٩٨٦ م. وقال ابن حجر العسقلاني: حديث حسن متصل ورجاله ثقات، ينظر: المطالب العالية بزوائد المسانيد الثمانية باب عصمة الله تبارك وتعالى رسوله قبل البعثة، كتاب السيرة والمغازي ص ١٧/ ٢٠٩ رقم ٤٢١٢.

٤- رواه البخاري في صحيحه، باب فضل مكة وبنيانها، كتاب الحج ج ٢ ص ١٤٦، رقم ١٥٨٢.

٥- كولن: النور الخالد ص ٥١٤.

رابعا: الافتراءات الشنيعة في الكتب السابقة حول الأنبياء :

ذكر (كولن) عدة نصوص من الكتب السابقة مليئة بالافتراء ونسبة الذنوب، بل والكبائر إلى مقام الأنبياء من تلك النصوص :

١- ما ورد فى التوراة من افتراءات شنيعة حول سيدنا (لوط)، وكيف أنه شرب الخمر وثمل، ثم زنى بابنته، وأن نسله دام فيها[١].

ويدفع (كولن) تلك الفرية بقوله: "تأملوا إن الله تعالى خسف بأهالي سدوم وعامورة الأرض؛ لأنهم لم يستمعوا إلى نبي طاهر مثل النبي (لوط) -عليه السلام- بل استهزؤوا به وبدعوته إلى الطهر والعفاف، فاستحقوا بذلك العقاب الجماعي، ولو لم يكن هناك شاهد آخر على عفة لوط الذى هو ابن أخ النبي-إبراهيم عليه السلام - غير أنقاض هذه المدن المخسوفة وغير الجدران المتهدمة لبيوتها أما كان شاهدا كافيا ؟"[٢].

٢- ما ورد في التوراة عن يهوذا بن يعقوب -عليه السلام- فيقول: "وفى الباب رقم ٣٨ في سفر التكوين يرد أن (يهوذا بن يعقوب) - عليه السلام - الذى هناك احتمال في كونه نبيا - زنى بزوجة ابنه، وعن طريق هذا الزنا جاء أسلاف أنبياء بنى اسرائيل أمثال (داود وسليمان)- عليهم السلام- [٣] .

٣- وما جاء عن (سليمان)- عليه السلام- أنه ارتد في أواخر حياته وبدأ يعبد الأصنام"[٤]

٤- أما (داود) - عليه السلام-: "يتحدث العهد القديم عن النبي داود -عليه السلام- فيقول أنه طمع فى زوجة قائده (أوريا)، وتسبب فى قتله ليأخذ زوجته"[٥].

٥- وما ورد عن سيدنا (يعقوب): وهو ادعاء غريب لا يقره عقل، وهو مصارعة اسرائيل- يعقوب عليه السلام – مع الله وتغلبه عليه"[٦].

وكلها كما نرى تهم لا تليق بحق أناس عاديين فكيف بحق أنبياء ورسل معصومين، وتدل من جهة أخرى على تحريف هذه الكتب التي يدعون قداستها.

إذن الأنبياء- عليهم السلام- معصومون من الكبائر والصغائر قبل النبوة وبعدها كما يرى (فتح الله كولن) ولعله متوافق في ذلك مع الماتريدية في هذه المسألة.

١- ينظر: سفر التكوين(لوط وابنتاه)باب ١٩ الكتاب المقدس ص ٢٠، دار الكتاب المقدس بمصر، ط التاسعة ٢٠١٥م.

٢- النور الخالد ص ٥٢٣.

٣- سفر التكوين (يهوذا وثامار) باب ٣٨ من الكتاب المقدس ص ٤٦.

٤- سفر الملوك الأول(زوجات سليمان) باب ١١من الكتاب المقدس ص ٤١٤.

٥- سفر صموئيل الثاني (داود وبثشبع) باب ١١ من الكتاب المقدس ص ٣٧٣.

٦- سفر التكوين (يعقوب يصارع مع الله) باب ٣٢ من الكتاب المقدس ص ٣٩.ينظر: النور الخالد ص ٥٢٥-٥٢٧.

المطلب الثاني: شبهات حول عصمة الأنبياء :

هناك بعض النصوص يوهم ظاهرها صدور الذنب عن الأنبياء، وقد استفاض المتكلمون في دفع هذه الشبهات .

أولا: دفع هذه الشبهات إجمالا:

يجيب الأشاعرة عن تلك النصوص: "أن ما كان منها منقولا بالآحاد وجب ردها ؛لأن نسبة الخطأ إلي الرواة أهون من نسبة المعاصي إلي الأنبياء، وما ثبت منها تواترا فمادام له محمل أخر حملناه عليه ونصرفه عن ظاهره؛ لدلائل العصمة، وما لم نجد له محيصا حملناه علي أنه كان قبل البعثة، أو كان من قبيل ترك الأولي، أو من صغائر صدرت عنهم سهوا، ولا ينفي كونه من قبيل ترك الأولي، أو الصغائر الصادرة سهوا تسميته ذنبا في مثل قوله: ﴿ لِّيَغْفِرَ لَكَ ٱللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنۢبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ وَيُتِمَّ نِعْمَتَهُۥ عَلَيْكَ وَيَهْدِيَكَ صِرَٰطًا مُّسْتَقِيمًا ﴾[1]، ولا الاستغفار منه، ولا الاعتراف بكونه ظلما منهم كما في قصة آدم -عليه السلام-؛ لأن ذلك من عظمه عندهم من باب أن حسنات الأبرار سيئات المقربين"[2].

والماتريدية يتبنون نفس الموقف أيضا فيرون ذلك محمولا على ترك الأفضل من باب حسنات الأبرار سيئات المقربين[3].

أما (كولن) فقد علل الآيات التي توهم صدور الذنب عن الأنبياء بواحد من ثلاث:

أولا: ترك الأولى:

يرى (كولن) أنه إذا اختار أي نبي الحسن مع وجود الأحسن، فهذا يعد زلة بالنسبة إليه، ولا يعد في مقاييسنا خطأ ولا زلة؛ لأن ما اختاره كان حسنا غير أن النبي عليه أن يختار الأحسن؛ لأنه من المقربين.

ثانيا :الاجتهاد الخاطئ :

يقول كولن: "يعد الأنبياء قبل كل شيء أئمة المجتهدين حيث يجتهدون في المواضيع التي لم ينزل فيها الوحى سواء أكانت أحكاما، أم أمورا شخصية، أم أمورا اجتماعية وفى معظم الأحوال تتوافق هذه الاجتهادات تماما مع المراد الإلهي، وفى أحيان قليلة قد لا تصيب تماما هذا الهدف مع أنهم يتحرون الرضا الإلهي إصابة دقيقة ولكن خطاؤهم في الاجتهاد لا يعد ذنبا أبدا، ولا يخل بعصمتهم؛ لذا فلا يحاسبون عليه"[4].

١- سورة الفتح الآية:٢.

٢- الجرجاني: شرح المواقف المجلد الرابع ص ٢٩٣ .

٣- أبو البركات النسفي: شرح العمدة ص ٢٦١ .

٤- كولن: النور الخالد ص ٥٢٧.

ثالثا : أن هذه الأمور البسيطة حدثت قبل نبوتهم﴿ إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ ﴾ [١] .

هذا جواب الأستاذ (فتح الله) إجمالا على تلك النصوص التى توهم الإخلال بالعصمة وهو متفق مع أهل السنة في هذا التعليل الإجمالي.

ثانيا: دفع هذه الشبهات تفصيلا:

أما تفصيلا فقد شرع (كولن) في ذكر بعض ما نسب إلى الأنبياء من دعاوى وشبهات، وبدأ في تفسيرها على ما يليق بمقام الأنبياء، وعصمتهم المقررة كالتالي:

أ- ما نسب إلى (آدم) -عليه السلام-:

قال تعالى:﴿ فَأَكَلَا مِنْهَا فَبَدَتْ لَهُمَا سَوْءَاتُهُمَا وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِن وَرَقِ الْجَنَّةِ وَعَصَىٰ آدَمُ رَبَّهُ فَغَوَىٰ ﴿١٢١﴾ ثُمَّ اجْتَبَاهُ رَبُّهُ فَتَابَ عَلَيْهِ وَهَدَىٰ ﴿١٢٢﴾ ﴾[٢].

وكان تفسير (كولن) لهذه الشبهة كالتالي:

١- أنقذ الله آدم وتاب عليه:

يقول كولن: "واستعملت الآية تعبير الاجتباء، والاجتباء: الاختبار والاصطفاء وهى عملية إنقاذ الشيء من أن يترسب إلى القاع، أو من أن يتغير يمينا وشمالا كالفقاعات أي أن الله تعالى أنقذ آدم من الوقوع في مثل هذا الوضع"[٣].

٢- سارع آدم بالتوبة فور الزلل:

يقول كولن: "نستطيع تعلم معنى الطاعة من آدم (عليه السلام)، فما إن زل حتى توجه إلى ربه الذى حفظه من السقوط ﴿ قَالَا رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴾ [٤].

٣- الزلة كانت قبل اجتبائه:

يرى (كولن) أن ذلك كان زلة من آدم، ولكن الله تعالى هداه إلى الطريق القويم بعد هذه الزلة، وإلى الهداية ونعلم من هذا أن هذه الزلة كانت قبل اجتبائه[٥] .

١- سورة القمر الآية:٤٩.

٢- سورة طـه الآية: ١٢١-١٢٢.

٣- كولن: النور الخالد ص ٥٢٨.

٤- سورة الأعراف الآية:٢٣.

٥- ينظر: النور الخالد ص ٥٢٨.

إذن كانت تلك الزلة قبل نبوة آدم -عليه السلام-، وكانت عبارة عن نسيان وعدم تذكر، والله تعالى يخبرنا بذلك فيقول: ﴿ وَلَقَدْ عَهِدْنَآ إِلَىٰٓ ءَادَمَ مِن قَبْلُ فَنَسِىَ وَلَمْ نَجِدْ لَهُۥ عَزْمًا ﴾[١] ، فيقول كولن في هذه الآية:

"والمعنى الأمثل عندي كان ما كان من آدم دون قصد منه، لكنه لم يكن عازما أو مخططا من قبل لفعل ما فعل، فمعنى ﴿ وَلَمْ نَجِدْ لَهُۥ عَزْمًا ﴾ أي إصرارا على ارتكاب ما كان منه"[٢] .

ويقول في موضع آخر: ﴿ وَقُلْنَا يَٰٓـَٔادَمُ ٱسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ ٱلْجَنَّةَ وَكُلَا مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾[٣]، ولكن آدم نسى هذا والنسيان طبيعة بشرية ويقول الرسول (ﷺ) ، وهو يحلل هذا الموضوع "ونسى آدم فنسيت ذريته"[٤].

إذن نسى آدم وقطف الفاكهة المحرمة خطأ، والحساب مرفوع عن الخطأ و النسيان فلا يعد إثما، وهذا من باب "حسنات الأبرار سيئات المقربين"[٥].

ومما يؤيد ذلك قول الرسول (ﷺ): "احتج آدم وموسى، فقال موسى: يا آدم أنت الذى خلقك الله بيده ونفخ فيك من روحه أغويت الناس، وأخرجتهم من الجنة فقال آدم: وأنت موسى الذى اصطفاك الله بكلامه أتلومني على عمل عملته كتبه الله علي قبل أن يخلق السموات والأرض قال: فحج آدم موسى"[٦] .

فهذا الحديث يبين أن آدم -عليه السلام - كان على حق في هذا النقاش، وهذا يعنى أنه لم يقترف ما يعد إثما كما يقول كولن[٧] .

وكلام (كولن) هنا فيه شطط حيث احتج (آدم) لرفع اللوم عنه بعد وقوع المعصية لكونها من قدر الله (ولم يكن احتجاج بالقدر للهروب من العقوبة) وهذا دليل على ارتكابه إثما لا العكس، ثم الآيات صريحة في عصيان آدم وتوبته، والتوبة تكون إثر ذنب، والأوفق تفسير الأمر بالنسيان بدليل مسارعته إلى التوبة.

١- سورة طه الآية: ١١٥.

٢- كولن: نحو عقيدة صحيحة ص ١٥٩ .

٣- سورة البقرة الآية: ٣٥.

٤- النور الخالد ص ٥٢٨، والحديث أخرجه الترمذي وقال: حسن صحيح ينظر: الجامع الكبير أو سنن الترمذي باب: ومن سورة الأعراف من أبواب تفسير القرآن ج ٥ ص ١١٧ رقم ٣٠٧٦.

٥- كولن: النور الخالد ص ٥٣٠.

٦- أخرجه الترمذي وقال: حسن غريب مِنْ حَدِيثِ سُلَيْمَانَ التَّيْمِيِّ، عَنِ الأَعْمَشِ ينظر سنن الترمذي باب ما جاء جاء في حجاج آدم وموسى من أبواب القدر(ج ٤ ص ١٢ رقم ٢١٣٤).

٧- ينظر: النور الخالد ص ٥٣١.

ب- ما نسب إلى (نوح) - عليه السلام-:

ناجى (نوح) -عليه السلام- ربه لينقذ ابنه فتم تنبيهه فقال:

﴿ وَنَادَىٰ نُوحٌ رَّبَّهُۥ فَقَالَ رَبِّ إِنَّ ٱبْنِى مِنْ أَهْلِى وَإِنَّ وَعْدَكَ ٱلْحَقُّ وَأَنتَ أَحْكَمُ ٱلْحَٰكِمِينَ قَالَ يَٰنُوحُ إِنَّهُۥ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ ۖ إِنَّهُۥ عَمَلٌ غَيْرُ صَٰلِحٍ ۖ فَلَا تَسْـَٔلْنِ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ ۖ إِنِّىٓ أَعِظُكَ أَن تَكُونَ مِنَ ٱلْجَٰهِلِينَ ﴾[1].

يقول فتح الله : "إنه ليس من أهلك - صحيح أنه من صلبك-، ولكن أهلك هو من سار على دربك ذلك ؛لأنه اقترف عملا غير صالح، ودخل مع الكفار فقادوه إلى الغرق في المياه، وقاده الغرق إلى خسران حياته الأبدية"[2] .

هذه هي الزلة الوحيدة لنوح -عليه السلام- الذى عاش تسعمائة وخمسين سنة، فلماذا سأل ربه نجاة ابنه الكافر ؟.

لقد بين القرآن أن الله أوصاه أن يحمل أهله والمؤمنين فى السفينة ﴿ قُلْنَا ٱحْمِلْ فِيهَا مِن كُلٍّ زَوْجَيْنِ ٱثْنَيْنِ وَأَهْلَكَ إِلَّا مَن سَبَقَ عَلَيْهِ ٱلْقَوْلُ وَمَنْ ءَامَنَ ۚ وَمَآ ءَامَنَ مَعَهُۥٓ إِلَّا قَلِيلٌ ﴾[3] كان هذا هو الوعد الذى أخذه نوح -عليه السلام - من ربه، وكان طلبه ودعائه مستندا إلى هذا الوعد، ولكن لم يكن يعلم صدور الحكم الإلهي ضد ابنه؛ لذا لم يكن طلبه إلا لوعد الله تعالى.

كان طلب (نوح) -عليه السلام- من ربه هداية ابنه، وهذا شيء طبيعي من أي أب[4] .

إذن كان لنوح مبرر من هذا الدعاء الذي دعاه، فقد كان معتمدا على وعد الله، ولم يكن يعلم أنه قد سبق القول بكفر الابن وغرقه مع الكافرين.

ج- ما نسب إلى (إبراهيم) -عليه السلام-:

القصة الأولى: الكوكب، والقمر، والشمس قال تعالى: ﴿ فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ ٱلَّيْلُ رَءَا كَوْكَبًا ۖ قَالَ هَٰذَا رَبِّى ۖ فَلَمَّآ أَفَلَ قَالَ لَآ أُحِبُّ ٱلْءَافِلِينَ ﴾[5] .

يحلل (فتح الله) تلك القصة بأن (إبراهيم) -عليه السلام- تظاهر بأنه مهتم بما يعده قومه آلهة، وذلك كخطة لكى يجرهم إلى المستوى الذى عينه للنقاش معهم، ولم يكن هناك حل آخر أمامه غير هذا، وأعاره قومه آذانهم على اعتبار أنه يتكلم عن آلهتهم ولكن عندما

١- سورة هود الآية:٤٥-٤٦.

٢- النور الخالد ص ٥٣٢.

٣- سورة هود الآية: ٤٠.

٤- النور الخالد ص٥٣٢- ٥٣٣.

٥- سورة الأنعام آية:٧٦.

انتهت المناظرة بينه وبينهم بالجمل الأخيرة لإبراهيم﴿ إِنِّي وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ حَنِيفًا وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴾[1]كانت جبهة الايمان قد انتصرت على جبهة الكفر والشرك[2] .

القصة الثانية :إحياء الموتى[3]: .

والقرآن يشرح هذه الحادثة فيقول ﴿ وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِ ٱلْمَوْتَىٰ قَالَ أَوَلَمْ تُؤْمِن قَالَ بَلَىٰ وَلَٰكِن لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِي ﴾ [4].

ويرى (كولن) أن السؤال كان حول كيفية الإحياء، وليس حول إمكانيته أو عدم إمكانيته، أو إنه التشوف إلى ملابسة سر الصنعة الإلهية، أراد أن يرى يد القدرة وهى تعمل ليحصل على مذاق هذه الملابسة، فيستروح بها ويتنفس فى جوها ويعيش معها[5] .

القصة الثالثة : التعريضات الثلاث:

١- عندما قال لقومه: إني سقيم :

كان إبراهيم يقصد الإشارة إلى السبب الرئيس لعدم شعوره بالراحة كانت الأصنام مصدر حزنه وسقمه[6][7] .

٢- وقوله: بل فعله كبيرهم:

﴿ قَالُوٓاْ ءَأَنتَ فَعَلْتَ هَٰذَا بِـَٔالِهَتِنَا يَٰٓإِبْرَٰهِيمُ ﴾ فيجيبهم : ﴿ قَالَ بَلْ فَعَلَهُۥ ﴾ [8]، ويسكت هنا والضمير هنا يعود إلى نفسه أي إبراهيم، ولكنه استطاع بمهارة توجيه أنظارهم إلى

---

[1]- سورة الأنعام الآية ٧٩.
٢- وينظر: النور الخالد ص ٥٣٦.

٣- يقول الإيجي: " إن السؤال ليس عن شك في الإحياء، بل طلبه؛ لأن في عين اليقين من الطمأنينة ما ليس في علم اليقين، وقد يقال: إنما سأل عن كيفية الإحياء لا عنه؛ لأن الإحاطة بالكيفية أقوى وأرسخ من المعرفة الإجمالية، وقال ابن عباس:" كان الله وعد أن يبعث نبيا يحي بدعائه الموتى فأراد ابراهيم أن يعلم أهو هو". ينظر: شرح المواقف المجلد الرابع ص ٢٩٦.

[4]- سورة البقرة الآية: ٢٦٠.
٥- ينظر: كولن النور الخالد ص ٥٣٨.

٦- النور الخالد ص ٥٤٠- ٥٤١.

٧- يقول الإيجي: إن النظر في النجوم ليستدل بها على توحيد الله وكمال قدرته من أعظم الطاعات وأما ترتيب الحكم بالقسم على النظر فلعل الله أخبره بأنه إذا طلع النجم الفلاني فإنه يمرض ". شرح المواقف المجلد الرابع ص ٢٩٦.

[8]- سورة الأنبياء الآية:٦٢، ٦٣.

الصنم الكبير :كبيرهم هذا، ولكنه عندما ربط الجملتين أصبحتا وكأنهما جملة واحدة[١] .. ﴿ بَلْ فَعَلَهُۥ كَبِيرُهُمْ هَٰذَا ﴾ ، وهنا يكمن التعريض، ويكمن هنا أيضا استهزاء خفى من الكفر ومن عبادة الأصنام"[٢] [٣] .

٣- عندما قال عن السيدة سارة:(أختى):

أوصى إبراهيم -عليه السلام - سارة إن سألها (النمروذ)[٤]، وأعوانه أن تقول: إنها أخته وإن سئل قال إنها أختي غير أن ما قاله ابراهيم - عليه السلام مطابق للحقيقة ذلك؛ لأن جميع المؤمنين إخوة كما يقول تعالي: ﴿ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا۟ بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴾ [٥] .

القصة الرابعة : استغفاره لأبيه وهو على الكفر:

﴿ وَٱغْفِرْ لِأَبِىٓ إِنَّهُۥ كَانَ مِنَ ٱلضَّآلِّينَ ﴾ [٦] ، ويشرح القرآن السبب الذي دعا إبراهيم إلي إلي هذا الدعاء: ﴿ وَمَا كَانَ ٱسْتِغْفَارُ إِبْرَٰهِيمَ لِأَبِيهِ إِلَّا عَن مَّوْعِدَةٍ وَعَدَهَآ إِيَّاهُ فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُۥٓ أَنَّهُۥ عَدُوٌّ لِّلَّهِ تَبَرَّأَ مِنْهُ ۚ إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ لَأَوَّٰهٌ حَلِيمٌ ﴾ [٧] .

ومن الملاحظات التي أبداها (كولن) هنا :

أولا : أن (آزر) وإن كان أبا لإبراهيم، وكان (إبراهيم) -عليه السلام - يقول إنه علي ضلال مبين، فذلك لا يقدح في نبوته.

١- أول الكسائي الآية نفس التأويل فقال: "وقف عند قوله (بل فعله) أي فعله فاعله فأضمر، ثم يبتديء، فيقول كبيرهم هذا فسألوهم عن ذلك الفعل". صحيح مسلم بشرح النووي، باب الفضائل ج ١٥ ص ١٢٥.

٢- كولن: النور الخالد ص ٥٤٣ .

٣- يقول الإيجي:"بل فعله كبيرهم هو من قبيل الإسناد إلى السبب فإن حامله على الكسر زيادة تعظيمهم لذلك الكبير" شرح المواقف المجلد الرابع ص ٢٩٦ .

٤- أورد ابن كثير هذه القصة عندما ارتحلوا إلى مصر وطلب إبراهيم من سارة أن تقول لملكها إنها أخته ولم يذكر اسمه، وهناك رواية أخرى تورد القصة وهم في طريقهم إلى الشام مروا على جبار من الجبابرة ولم يذكروا اسمه ولا من أي بلد هو .ينظر أبو الفداء اسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي: قصص الأنبياء باب ذكر هجرة الخليل - عليه السلام- إلى بلاد الشام ج ١ ص ١٩٣ تحقيق: مصطفى عبد الواحد مطبعة دار التأليف - القاهرة، ط: الأولى ١٣٨٨هـ - ١٩٦٨م.

٥- سورة الحجرات الآية:١٠.

٦- سورة الشعراء الآية:٨٦.

٧- سورة التوبة الآية:١١٤.

ثانيا : أن دعاء (إبراهيم) لأبيه شيء إنساني وفطري تماما؛ لذا نري نبينا وهو يدعو عمه (أبا طالب) إلى كلمة التوحيد ويتلهف لهدايته .

ثالثا : التبليغ هو غاية وجود الأنبياء ولكنهم لا يملكون الهداية.

رابعا : يري بعض المفسرين أن كلمة أب تأتي في اللغة العربية بمعني الجد والسلف؛ لذا يقولون أن هناك احتمالا بأن الذي خاطبه (إبراهيم) " يا أبت " ليس أباه بل هو جده أو عمه أو قريب آخر من أقربائه"[١] .

د- يوسف رمز العفة :

ما ينسب لسيدنا (يوسف)- عليه السلام- بالهم لعمل الفاحشة:

يقول القرآن: ﴿ وَرَٰوَدَتۡهُ ٱلَّتِي هُوَ فِي بَيۡتِهَا عَن نَّفۡسِهِۦ وَغَلَّقَتِ ٱلۡأَبۡوَٰبَ وَقَالَتۡ هَيۡتَ لَكَۚ قَالَ مَعَاذَ ٱللَّهِۖ إِنَّهُۥ رَبِّيٓ أَحۡسَنَ مَثۡوَايَۖ إِنَّهُۥ لَا يُفۡلِحُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴾[٢] .

وتعليق (فتح الله كولن) علي ما ينسب إلي نبي الله (يوسف) يتلخص في عدة أمور :

١- لا يغتاب القرآن إذ لا يذكر اسم المرأة، و المرأة هي التي قامت بغلق الأبواب والدعوة صادرة منها، فيأتي الجواب من رمز العفة ﴿ مَعَاذَ ٱللَّهِۖ إِنَّهُۥ رَبِّيٓ ﴾ - يقصد الله تعالي ، أو زوج المرأة- تلميحا إلي قوله لامرأته: ﴿ أَكۡرِمِي مَثۡوَىٰهُ ﴾ [٣]- ﴿ أَحۡسَنَ مَثۡوَايَۖ ﴾.[٤] .

٢- يقول القرآن: ﴿ وَلَقَدۡ هَمَّتۡ بِهِۦۖ وَهَمَّ بِهَا لَوۡلَآ أَن رَّءَا بُرۡهَٰنَ رَبِّهِۦۚ كَذَٰلِكَ لِنَصۡرِفَ عَنۡهُ ٱلسُّوٓءَ وَٱلۡفَحۡشَآءَۚ إِنَّهُۥ مِنۡ عِبَادِنَا ٱلۡمُخۡلَصِينَ ﴾ [٥].

فسر الهم: بالحزن والقلق، همت : أنها حزنت من جراء يوسف وقلقت بصده وداخلها حزن كبير بسببه، ثم إن يوسف -عليه السلام- قلق وحزن، واغتم أيضا فكما كان يوسف -عليه السلام- مصدر حزن لها؛ لأنها كانت تشتعل غراما به فإنه كان قلقا ومغتما باسم عفته وعصمته، ولم يزل قلقه حتي رأي برهان ربه، وعلم أنه في حفظ الله ورعايته[٦] .

١- النور الخالد ص ٥٤٤- ٥٤٦.

٢- سورة يوسف الآية :٢٣.

٣- سورة يوسف الآية: ٢١.

٤- كولن: النور الخالد ص ٥٤٨.

٥- سورة يوسف الآية:٢٤.

٦- النور الخالد ص ٥٤٩.

٣- كانت (زليخا) قد عقدت عزمها ورسمت هدفها بأنه يجب أن يكون يوسف-عليه السلام- لها، وهناك آية أخري تشرح وضعها: ﴿ وَقَالَ نِسْوَةٌ فِي ٱلْمَدِينَةِ ٱمْرَأَتُ ٱلْعَزِيزِ تُرَٰوِدُ فَتَىٰهَا عَن نَّفْسِهِۦ ۖ قَدْ شَغَفَهَا حُبًّا ۖ إِنَّا لَنَرَىٰهَا فِي ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴾ [١].

أما موقف (يوسف) -عليه السلام- فهو﴿ وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِۦ ۖ وَهَمَّ بِهَا لَوْلَآ أَن رَّءَا بُرْهَٰنَ رَبِّهِۦ ۚ كَذَٰلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ ٱلسُّوٓءَ وَٱلْفَحْشَآءَ ۚ إِنَّهُۥ مِنْ عِبَادِنَا ٱلْمُخْلَصِينَ ﴾ [٢] .

٤- لو كان لدى (يوسف) -عليه السلام- أي ميل للإثم لما كانت هناك مثل هذه المطاردة فيوسف بريء؛ لأن قميصه كان مقدودا من خلف، ولو كانت المحاولة من قبله وقاومت المرآة لكان من المفروض أن يقد قميصه من أمام كان هذا أحد البراهين التي رآها.

٥- ما قيل أنه رأى أباه (يعقوب) -عليه السلام- وهو يعض علي إصبعه محذرا يوسف فهو سفسطة، ومن قصص الإسرائيليات الموجودة في الكتب المحرفة ، ويورد (كولن) تفسيرا آخر للآية على لسان أحد الصوفية فيقول: ﴿ وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِۦ ۖ وَهَمَّ بِهَا ﴾ بأن زليخا همت لتحقيق غايتها وهم يوسف لمنعها ربما بضرب زليخا ورفع يده عليها"[٣] .

ويدفع (كولن) تلك التهمة أيضا بقوله:

"ثم كيف يمكن تصور شيء آخر لمن قال الرسول (ﷺ) في حقه "إنه الكريم بن الكريم بن الكريم يوسف بن يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم خليل الله" [٤]...وعندما زادت فتنة النساء وألاعيبهن تجاه هذا النبي التجأ إلى ربه فقال: ﴿ قَالَ رَبِّ ٱلسِّجْنُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدْعُونَنِيٓ إِلَيْهِ ۖ وَإِلَّا تَصْرِفْ عَنِّي كَيْدَهُنَّ أَصْبُ إِلَيْهِنَّ وَأَكُن مِّنَ ٱلْجَٰهِلِينَ ﴾[٥].

٦- أن يوسف (عليه السلام) "كان حرصه على عفته شديدا إلى درجة أنه عندما جاء وقت إطلاق سراحه من السجن رفض الخروج حتى يتثبتوا تماما من عفته ورفض الخروج من السجن حتى قامت (زليخا) بالاعتراف على الملأ، وأقرت كيف كان نموذجا للعفة"[٦] .

١- سورة يوسف الآية:٣٠.

٢- سورة يوسف الآية:٢٤.

٣- النور الخالد ص ٥٥٢.

٤- أخرجه البخاري في الأدب المفرد ج ١ ص ٤٨٣، تحقيق: سمير بن أمين الزهيري مستفيدا من تخريجات وتعليقات الشيخ الألباني، مكتبة المعارف- الرياض، ط: الأولى ١٤١٩هـ- ١٩٩٨م.

٥- سورة يوسف الآية:٣٣.

٦- كولن: النور الخالد ص ٥٥٣.

إذن كل ذلك يثبت براءة سيدنا (يوسف)- عليه السلام- مما نسب إليه، وبالتالي عصمة الأنبياء -عليهم السلام-.

وفي عرض (كولن) وتفسيره للآيات السابقة يلتقي كثيرا مع أهل السنة، وينفرد عنهم في أشياء له فيها اجتهاد خاص، ويتكلف أحيانا في نفي الذنب عن الأنبياء كما فعل مع (آدم)- عليه السلام- رغم نص القرآن على عصيانه وإعلانه التوبة، ولكنه على كل حال يرنو إلى تطهير جناب الأنبياء من كل ما يخل بمقامهم الشريف، أو يقدح في عصمتهم، وبالتالي في نبوتهم.

المطلب الثالث: عصمة سيدنا محمد - ﷺ -:

أولا: التنبيهات الواردة في حقه - ﷺ- في القرآن الكريم:

أن هذه التنبيهات لم تكن نتيجة اقتراف خطأ أو ذنب، بل ربما لقيامه باجتهاد منه باختيار الحسن مع وجود الأحسن.

ثانيا :ما وراء الأستار في التنبيهات الموجهة للرسول(ﷺ):

وقد ذكر كولن تحت هذا القسم الحوادث التي توهم صدور الذنب عن الرسول (صلى الله عليه وسلم) وهي:

١- أسرى بدر :

عندما اختار الرسول فداء الأسرى بالمال أو غيره، ولم يقتلهم خاطبه الله بقوله:

﴿ مَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَن يَكُونَ لَهُۥٓ أَسْرَىٰ حَتَّىٰ يُثْخِنَ فِى ٱلْأَرْضِ ۚ تُرِيدُونَ عَرَضَ ٱلدُّنْيَا وَٱللَّهُ يُرِيدُ ٱلْءَاخِرَةَ ۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٦٧﴾ لَّوْلَا كِتَٰبٌ مِّنَ ٱللَّهِ سَبَقَ لَمَسَّكُمْ فِيمَآ أَخَذْتُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿٦٨﴾ فَكُلُوا۟ مِمَّا غَنِمْتُمْ حَلَٰلًا طَيِّبًا ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٦٩﴾ ﴾ [١] .

رد (كولن) على هذه الشبهة:

أن النبي اختار الحسن مع وجود الأحسن، فيرى (كولن) أن معنى الآية: يجب ألا يكون للنبي أسري حتي يقوي وضعه، ويثبت رجله في الأرض دون الحاجة إلي معونة من أحد، أي ما كان له إطلاق الأسري حتي مقابل الفدية، أي أنكم اجتهدتم وأخذتم الحسن، وغاب عنكم الأحسن الذي يريده الله تعالي منكم[٢].

و(فتح الله كولن) بهذا التفسير متوافق مع أهل السنة[٣] .

٢- غزوة تبوك:

عندما أذن النبي- ﷺ- لبعض المنافقين بالقعود والتخلف عن الغزو بينما كان المفروض ألا يأذن لهم فخاطبه الله بقوله: ﴿ عَفَا ٱللَّهُ عَنكَ لِمَ أَذِنتَ لَهُمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكَ

١- سورة الأنفال الآية :٦٧- ٦٩.

٢- ينظر: النور الخالد ص٥٥٥- ٥٥٦.

٣- يقول الإيجي: "ما كان لنبي أن يكون له أسرى أنه عتاب على ترك الأولى الذي هو الإثخان فإن تحريم الفداء مستفاد من هذه الآية فقبل نزولها فلا تحريم ومعنى قوله تعالى "لولا كتاب "الانفال:٦٨ أنه لولا سبق تحليل الغنائم لعذبتكم بسبب أخذكم هذا الفداء" .شرح المواقف المجلد الرابع ص ٣٠٤.

ٱلَّذِينَ صَدَقُواْ وَتَعۡلَمَ ٱلۡكَٰذِبِينَ ﴾[1] .

رد (كولن) على هذه الشبهة:

أن النبي - ﷺ- قبل ظاهرهم بناء على ما تعللوا به من أسباب تمنع خروجهم معه فيقول: "في موضوع الإذن - هذا أيضا- لعب خلقه الكريم هنا دورا كبيرا، فلم يشأ أن يهتك سر أي أحد راجعه واستأذنه، وقبل ظاهرهم وأذن لهم"[2] .

٣- عبوس النبي في وجه الأعمى :

يجيب (كولن) عما نسب إلي النبي من عبوسه في وجه أحد السائلين بعدة أجوبة :

أولا :انشغاله بالدعوة:

يقول كولن: "عندما كان النبي منشغلا بكل جوارحه في جو الدعوة إلي الله دخل أحدهم، وبدأ يتكلم ويخل بالجو الموجود هناك، صحيح أن للقادم عذرا في هذا إذ كان أعمي لايري، فإذا عبس الرسول (ﷺ)، وأعرض عنه فله عذره الشرعي في ذلك؛ لذا لا نتفق مع الذين يريدون استعمال هذه الحادثة في الطعن بالرسول (ﷺ) هذا هو الجواب إن كانت الحادثة جرت بهذا الشكل"[3].

ثانيا: الرواية المتداولة غير صحيحة:

فيقول: "لا يوجد في كتب الأحاديث المعتبرة كالبخاري ومسلم وابن ماجه وأبي داود والترمذي والنسائي ومسند ابن حنبل والمستدرك جريان هذه الحادثة بالشكل الوارد في بعض التفاسير التي تشير إلى بطلين في هذه الحادثة هما الرسول – ﷺ- وابن ام مكتوم وإلي شخصين ثانويين هما أبو جهل وعتبة بينما يذكر المفسرون المحققون أسماء مختلفة للشخص الذي أتي الرسول"[4] .

ثالثا: الأعمى غير مخلص في طلبه:

يقول كولن: "ومن يدري فقد يكون الأعمى الذي جاء الرسول (ﷺ) من سيىء النية ولما كان الرسول (ﷺ) يعلم أنه غير مخلص في طلبه، فقد عبس وتولي عنه"[5].

رابعا :الضمير في عبس يعود لغير الأعمى:

١- سورة التوبة الآية:٤٣.

٢- "عفا الله عنك" يقول الإيجي:"إنه تلطف في الخطاب على طريقة قولك أرأيت رحمك الله وغفر لك ..وإن سلم أن هناك عتابا قلنا أن ذلك العتاب إنما كان بترك الأولى فيما يتعلق بالمصالح الدنيوية" شرح المواقف المجلد الرابع ص ٣٠٤.

٣- النور الخالد ص ٥٦٥.

٤- النور الخالد ص ٥٦٥.

٥- النور الخالد ص ٥٦٦.

يقول كولن: "هناك شيء آخر يسترعي الملاحظة، فقد أورد بعض المفسرين أن الضمير في عبس وتولي يعود إلي (الوليد ابن المغيرة)، وورد فعل عبس في القرآن مرتين أحدهما هنا و الأخري في سورة المدثر في حق أحد الكفار ...فإذا كان القرآن الكريم استعمل كلمة عبس في حق كافر، فكيف يستعملها في وصف رسول الله (صلى الله عليه وسلم) وهو الشخص الذي كان دائم التبسم"[١].

وتعليقا على جواب (كولن) أقول:

الرواية التي يقصدها (كولن) عن هشام بن عروة عن أبيه (وروايات أخرى عن عائشة) أنه قال: أنزلت عبس وتولى في عبد الله بن أم مكتوم جاء إلى رسول الله ﷺ فجعل يقول يا محمد استدنيني وعند النبي (صلى الله عليه وسلم) رجل من عظماء المشركين فجعل النبي يعرض عنه، ويقبل على الآخر ويقول: يا أبا فلان هل ترى بما أقول بأسا فيقول: لا والدماء ما أرى بما تقول بأسا، فأنزلت ﴿ عَبَسَ وَتَوَلَّىٰٓ ﴾ وهذه رواية الموطأ وابن حبان والترمذي والمستدرك[٢] .

وفي مسند أبي يعلى عن قتادة عن أنس "جاء ابن أم مكتوم إلى النبي -ﷺ- وهو يكلم أبي بن خلف فأعرض عنه، فأنزل الله عبس وتولى، فكان النبي بعد ذلك يكرمه"[٣].

وفي رواية البيهقي عن مسروق دخلت على عائشة وعندها رجل مكفوف تقطع له الأترج وتطعمه إياه بالعسل، فقلت من هذا يا أم المؤمنين فقالت: هذا ابن أم مكتوم الذي عاتب الله فيه نبيه ﷺ قالت: أتى النبي ﷺ وعنده عتبة وشيبة فأقبل رسول الله -ﷺ- عليهما فنزلت ﴿ عَبَسَ وَتَوَلَّىٰٓ ۝١ أَن جَآءَهُ ٱلۡأَعۡمَىٰ ۝٢ ﴾[٤]، ونفس الرواية عند الطبراني[٥].

١- النور الخالد ص ٥٦٦.

٢- أخرجه الترمذي، ومالك بن أنس، وابن حبان والحاكم وقال: غريب وقال الألباني: صحيح الإسناد، ينظر سنن الترمذي باب سورة عبس (ج ٥ ص ٤٣٢ رقم ٣٣٣١). مالك ابن أنس: الموطأ رواية يحيى الليثي، باب ما جاء في القرآن (ج١ ص ٢٠٣ رقم ٤٧٦)، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي- مصر، وقال شعيب بن الأرنؤوط: إسناده صحيح على شرط مسلم. ينظر: محمد بن حبان: صحيح ابن حبان بترتيب ابن بلبان باب الجار(ج ٢ ص ٢٩٣ رقم ٥٣٥)، تحقيق: شعيب بن الأرنؤوط مؤسسة الرسالة- بيروت، ط: الثانية ١٤١٤هـ- ١٩٩٢م، وينظر: أبو عبد الله الحاكم محمد بن عبد الله بن محمد: المستدرك على الصحيحين ج ٢ ص ٥٥٨ تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية- بيروت، ط : الأولى ١٤١١هـ- ١٩٩٠م.

٣- أخرجه أبو يعلى في مسنده، ينظر: أحمد بن علي بن المثنى أبو يعلى الموصلي : مسند أبي يعلى والأحاديث مذيله بأحكام حسين سليم أسد عليها باب قتادة عن أنس ج ٥ ص ٤٣١ رقم ٣١٢٣، تحقيق: حسين سليم أسد، دار المأمون للتراث- دمشق، ط: الأولى ١٤٠٤هـ- ١٩٨٤م.

٤- أخرجه البيهقي في شعب الإيمان، ينظر: أبو بكر بن الحسين البيهقي: شعب الإيمان فصل في التواضع وترك الزهو والصلف والخيلاء والفخر والمدح (ج ٦ ص ٢٨٦ برقم ٨١٧٨)،تحقيق: محمد السعيد بسيوني زغلول، دار الكتب العلمية- بيروت.

٥- أخرجه الطبراني في المعجم الوسط. ينظر: سليمان بن أحمد بن أيوب اللخمي الشامي أبو القاسم الطبراني: المعجم الأوسط باب من اسمه الهيثم ج ٩ ص ١٥٥ رقم ٩٤٠٤ ، تحقيق: طارق بن عوض الله بن محمد - عبد المحسن الحسيني، دار الحرمين - القاهرة.

إذن من خلال هذه الروايات نلاحظ أن:

أولا: الرواية جاءت في كتب الحديث(الترمذي، والموطأ، وابن حبان، والمستدرك، والبيهقي، وأبو يعلى، والطبراني) تشير إلى أن الأعمى هو عبد الله ابن أم مكتوم وجاء يطلب من النبي أن يرشده .

ثانيا: أن النبي تشاغل عنه بدعوة بعض عظماء قريش، وبعض الروايات حددت شخصيته بأنه (أبي بن خلف) وبعضها بأنه (شيبة) و(عتبة).

ثالثا: مما يدل على إعراض النبي، وعتاب الله له إكرام النبي له بعد هذا العتاب، وقول عائشة السابق.

وبناء على ذلك، أرى أن تأويل (كولن)وتفسيره للقصة فيه تكلف لا تتحمله الروايات السابقة، فكلها دالة على إعراض النبي، وعتاب الله له، وأرى أن الأقرب هو أن ذلك كان خلاف الأولى كما رجح الإيجي ذلك، إذ يرى في قوله: ﴿ عَبَسَ وَتَوَلَّىٰٓ ﴾ [1] "أنه ترك الأولى مما يليق بخلقه العظيم ومثله يعاتب على مثله"[2].

٤- اقتراح ثقيف:

يقول الله تعالي: ﴿ وَإِن كَادُواْ لَيَفْتِنُونَكَ عَنِ ٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ لِتَفْتَرِىَ عَلَيْنَا غَيْرَهُۥ ۖ وَإِذًا لَّٱتَّخَذُوكَ خَلِيلًا ﴿٧٣﴾ وَلَوْلَآ أَن ثَبَّتْنَٰكَ لَقَدْ كِدتَّ تَرْكَنُ إِلَيْهِمْ شَيْـًٔا قَلِيلًا ﴿٧٤﴾ إِذًا لَّأَذَقْنَٰكَ ضِعْفَ ٱلْحَيَوٰةِ وَضِعْفَ ٱلْمَمَاتِ ثُمَّ لَا تَجِدُ لَكَ عَلَيْنَا نَصِيرًا ﴿٧٥﴾ ﴾[3] .كانت ثقيف تطلب من الرسول بعض الامتيازات مثل: أن يدع لهم اللات ولا يهدمها ثلاث سنين، وأن يعفيهم من الصلاة، وألا يكسروا أصنامهم بأيديهم، فأبى الرسول أن يترك الأصنام لأي أجل، وكذا الصلاة فلم يرخص لهم تركها، وأما كسر الأصنام فأعفاهم منه .

وهذه الكلمات التي جاءت في القرآن - كما يقول (كولن) -عرضت في معرض فرض المستحيل أي يجب النظر إليها علي أنها إظهار لسمو الرسول، وعلو هامته وقامته أي إننا جعلنا لك إيمانا قويا راسخا بحيث لا يميل قيد شعرة هنا أو هناك[4] .

٥- خلق النبي-ﷺ- نحو الفقراء :

يقول فتح الله كولن: "إن هناك آية مديح أخري جاءت بمظهر التنبيه، ونزلت عندما طلب الملأ من قريش من رسول الله(ﷺ) طرد العبيد والضعفاء من مجلسه؛ لأنه لا يجوز لهم أن يجلسوا معه مع هؤلاء المساكين، ففي رواية: مر الملأ من قريش علي

---

[1]- سورة عبس الآية: ١.

٢- شرح المواقف المجلد الرابع. ص ٣٠٥ .

٣- سورة الإسراء الآيات:٧٣-٧٥.

٤- كولن: النور الخالد ص ٥٧١.

رسول الله (ﷺ)، وعنده خباب بن الأرت، وصهيب، و بلال، وعمار فقالوا: يا محمد أرضيت بهؤلاء ؟ لو طردت هؤلاء لاتبعناك، فأنزل الله تعالي: ﴿ وَلَا تَطْرُدِ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِٱلْغَدَوٰةِ وَٱلْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُۥ ۖ مَا عَلَيْكَ مِنْ حِسَابِهِم مِّن شَىْءٍ وَمَا مِنْ حِسَابِكَ عَلَيْهِم مِّن شَىْءٍ فَتَطْرُدَهُمْ فَتَكُونَ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾[1] .

واستدل (كولن) بعدة أحاديث توضح تواضع الرسول ومعاملته مع الفقراء منها :

١- قوله (ﷺ): "إن الجنة تشتاق إلي أربعة: علي، وعمار، وسلمان، والمقداد"[2]، وكلهم فقراء .

٢- وقوله (ﷺ) لأبي ذر: "إنك امرؤ فيك جاهلية"، وذلك عندما غضب علي بلال وعيره بأمه قائلا له: يا ابن السوداء، ثم قال له ناصحا ومرشدا: إخوانكم خولكم جعلهم الله تحت أيديكم فمن كان أخوه تحت يده فليطعمه مما يأكل وليلبسه مما يلبس ولا تكلفوهم ما يغلبهم فإن كلفتموهم فأعينوهم"[3].

٣- كان (ﷺ) متواضعا يدخل الجميع إلي مجلسه الغني، والفقير، والسيد، والعبد كيف لنبي هذا الدين أن يطرد بعض المؤمنين لكونهم فقراء ؟ أليس هو الذي كان يدعو الله: "اللهم أحيني مسكينا، وأمتني مسكينا، واحشرني في زمرة المساكين يوم القيامة"[4].

ولكن مع هذا كان نبينا يرغب في هداية الجميع بنفس الدرجة، ويروي أنه دعا الله بهداية (عمر بن الخطاب) إلي الاسلام[5].

يقصد أنه - ﷺ- كان حريصا على هداية الأغنياء والفقراء على السواء.

١- سورة الأنعام الآية:٥٢، والحديث جاء بألفاظ أخرى في كثير من كتب السنة منها: صحيح مسلم باب في فضل سعد بن أبي وقاص، كتاب الفضائل (ج ٤ ص ١٨٧٨ رقم ٢٤١٣). وكذا سنن ابن ماجه، باب مجالسة الفقراء، كتاب الزهد ج ٢ ص ١٣٨٣ .

٢- أخرجه أبو القاسم الطبراني في المعجم الكبير، باب سهيل بن حنظلة، باب السين (ج ٦ ص ٢١٥ رقم ٦٠٥٨)، تحقيق: حمدي عبد المجيد السلفي مكتبة العلوم والحكم- الموصل، ط: الثانية ١٤٠٤هـ- ١٩٨٢م. والحديث ضعيف، ذكره الألباني في سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة وأثرها السيئ في الأمة(ج ٥ ص ٣٥١ برقم ٢٣٢٨) ..

٣- أخرجه البخاري ومسلم ينظر: صحيح البخاري، باب المعاصي من أمر الجاهلية، كتاب الإيمان (ج ١ ص ١٥ رقم ٣٠). صحيح مسلم، باب إطعام المملوك مما يأكل، كتاب الإيمان (ج ٣ ص ١٢٨٢ رقم ١٦٦١).

٤- أخرجه الترمذي وقال: غريب ينظر: سنن الترمذي ما جاء أن فقراء المهاجرين يدخلون الجنة قبل أغنيائهم (ج ٤ ص ١٥٥ رقم ٢٣٥٢) . سنن ابن ماجه باب مجالسة الفقراء أبواب الزهد (ج ٥ ص ٢٤١ رقم ٤١٢٧).

٥- والحديثَ عنْ نَافِعٍ، عَنِ ابْنِ عُمَرَ، أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: اللَّهُمَّ أَعِزَّ الإِسْلاَمَ بِأَحَبِّ هَذَيْنِ الرَّجُلَيْنِ إِلَيْكَ بِأَبِي جَهْلٍ أَوْ بِعُمَرَ بْنِ الخَطَّابِ قَالَ: وَكَانَ أَحَبَّهُمَا إِلَيْهِ عُمَرُ. أخرجه الترمذي، وقال: هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ غَرِيبٌ مِنْ حَدِيثِ ابْنِ عُمَرَ. ينظر: سنن الترمذي، باب مناقب أبي حفص عمر بن الخطاب، أبواب المناقب (ج ٦ ص ٥٨ رقم ٣٦٨١).

٦- تذكير :

يري (كولن) أن هناك أوامر عديدة في القرآن موجهة إلي الرسول والمؤمنين وهذه الأوامر والنواهي بمثابة أحكام، ولا تعني أنهم كانوا يعملون العكس فمثلا:

عندما يخاطب القرآن النبي حول إقامته الصلاة والصوم لا يعني أن الرسول (صلى الله عليه وسلم) لم يكن يصلي أو يصوم.

فعندما تأتي أية تقول: ﴿ وَلَا تَطْرُدِ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم ﴾[١]، فلا يعني ذلك أن النبي (صلى الله عليه وسلم)طرد الذين يدعون ربهم، فهذا أمر جاء تصديقا للقرار الذي اتخذه الرسول (ﷺ)في هذا الامر وإعلانا لعصمة رسوله وفطنته[٢].

وكلامه هنا موافق تماما لما ذهب إليه الإيجي، في قوله: ﴿ وَلَا تَطْرُدِ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم ﴾ إذ يقول: "النهي لا يدل على الوقوع ؛لاحتمال أن يراد به التثبت والاستمرار في الزمان الآتي على ما كان عليه في الماضي"[٣].

٧- زواجه بالسيدة زينب بنت جحش (رضي الله عنها) :

﴿ وَإِذْ تَقُولُ لِلَّذِىٓ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَأَنْعَمْتَ عَلَيْهِ أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ وَٱتَّقِ ٱللَّهَ وَتُخْفِى فِى نَفْسِكَ مَا ٱللَّهُ مُبْدِيهِ وَتَخْشَى ٱلنَّاسَ وَٱللَّهُ أَحَقُّ أَن تَخْشَىٰهُ ۖ فَلَمَّا قَضَىٰ زَيْدٌ مِّنْهَا وَطَرًا زَوَّجْنَٰكَهَا لِكَىْ لَا يَكُونَ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ حَرَجٌ فِىٓ أَزْوَٰجِ أَدْعِيَآئِهِمْ إِذَا قَضَوْا۟ مِنْهُنَّ وَطَرًا ۚ وَكَانَ أَمْرُ ٱللَّهِ مَفْعُولًا ﴾[٤] .

أورد (الباجوري) هذه الشبهة تحت صفة التبليغ ؛ لأن بعض المغرضين يرون أن النبي كتم شيئا من الوحي.

ويرد على هذه الشبهة فيرى أن أصح محامله أن الله قد أعلم النبي -ﷺ- أن زينب ستكون من أزواجه، وأخفى ذلك في نفسه "ومعنى الخشية استحياؤه -ﷺ- من الناس أن يقولوا تزوج زوجة ابنه أي من تبناه، فعاتبه الله على هذا الاستحياء لعلو مقامه".[٥] .

وأما (كولن) فيشرح أبعاد تلك الشبهة التي أثارها كثير من الأعداء وأخطأ في تفسيرها الكثير من الأصدقاء على النحو التالي:

١- سورة الأنعام الآية: ٥٢.

٢- النور الخالد ص٥٧٤- ٥٧٥.

٣- شرح المواقف المجلد الرابع ص ٣٠٥.

٤- سورة الأحزاب الآية:٣٧.

٥- حاشية الباجوري على جوهرة التوحيد ص ٢٠٤ .

أولا: كان رسول الله (ﷺ)يحب (زيدا بن حارثة) حبا جما، فهو الشخص الوحيد الذي تبناه، وكان زيد يقابل هذا الحب بحب مثله أو أكثر إلي درجة أن الناس ينظرون إليه وكأنه ابنه.

ثانيا: قام رسول الله بتزويج بنت عمته (زينب بنت جحش) من زيد الذي كان عبدا عتيقا، وكانت هي ذات حسب ونسب؛ لذا لم يتم التوافق والانسجام بين الزوجين، ورأي زيد بفراسته عدم وجود تكافؤ فطلب من الرسول مرات عديدة الانفصال، وكان النبي في كل مرة يقول له: ﴿ أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ وَاتَّقِ اللَّهَ ﴾ .

ثالثا: علم النبي عن طريق الوحي أن (زينب) ستكون زوجة له، ولكنه لم يتلق الإذن بعد لإعلان هذا الامر، فأخفاه في نفسه، وكما قالت أمنا عائشة - رضي الله عنها- "لو كان محمد (ﷺ) كاتما شيئا مما أنزل الله عليه لكتم هذه الآية.

رابعا: كان هذا الزواج إعلانا من الله بأن المتبنين والأدعياء ليسوا مثل الأبناء الحقيقين"[١] .

ويدحض (فتح الله كولن) آراء المفسرين في رغبة النبي في زينب - رضي الله عنها-[٢] بقوله :

أولا : لم يكن الرسول (ﷺ)يري زينب للمرة الأولي لقد شاهدها منذ صغرها وحتي أصبحت شابة ..فلم تكن رؤيته لها مفاجأة كما تصور القصة الكاذبة.

ثانيا : لو كان الرسول (ﷺ)يحمل أي ميل نحو زينب - رضي الله عنها- فلماذا يقوم بتزويجها من زيد.

١- كولن: النور الخالد محمد (ﷺ)مفخرة الإنسانية ص ٥٧٥- ٥٧٨

٢- يقول القرطبي: "واختلف الناس في تأويل هذه الآية، فذهب قتادة وابن زيد وجماعة من المفسرين، منهم الطبري وغيره- إلى أن النبي ﷺ وقع منه استحسان لزينب بنت جحش، وهي في عصمة زيد، وكان حريصا على أن يطلقها زيد فيتزوجها هو، ثم إن زيدا لما أخبره بأنه يريد فراقها، ويشكو منها غلظة قول وعصيان أمر، وأذى باللسان وتعظما بالشرف، قال له: (اتق الله) أي فيما تقول عنها، و (أمسك عليك زوجك)، وهو يخفي الحرص على طلاق زيد إياها. وهذا الذي كان يخفي في نفسه، ولكنه لزم ما يجب من الأمر بالمعروف."
وأما ما اختاره هو وعدد من المحققين فهو ما رواه علي بن الحسين "أن النبي - ﷺ- كان قد أوحى الله تعالى إليه أن زيدا يطلق زينب، وأنه يتزوجها بتزويج الله إياها، فلما تشكى زيد للنبي - ﷺ- خلق زينب، وأنها لا تطيعه، وأعلمه أنه يريد طلاقها، قال له رسول الله - ﷺ- على جهة الأدب والوصية: (اتق الله في قولك وأمسك عليك زوجك) وهو يعلم أنه سيفارقها ويتزوجها، وهذا هو الذي أخفى في نفسه، ولم يرد أن يأمره بالطلاق لما علم أنه سيتزوجها، وخشي رسول الله - ﷺ- أن يلحقه قول من الناس في أن يتزوج زينب بعد زيد، وهو مولاه، وقد أمره بطلاقها، فعاتبه الله تعالى على هذا القدر من أن خشي الناس في شيء قد أباحه الله له، بأن قال:" أمسك" مع علمه بأنه يطلق. وأعلمه أن الله أحق بالخشية، أي في كل حال. قال علماؤنا رحمة الله عليهم: وهذا القول أحسن ما قيل في تأويل هذه الآية، وهو الذي عليه أهل التحقيق من المفسرين والعلماء الراسخين، كالزهري، والقاضي بكر بن العلاء القشيري، والقاضي أبي بكر بن العربي وغيرهم. والمراد بقوله تعالى:" وتخشى الناس" إنما هو إرجاف المنافقين بأنه نهى عن تزويج نساء الأبناء وتزوج بزوجة ابنه. فأما ما روي أن النبي - ﷺ - هوي زينب امرأة زيد - وربما أطلق بعض المجان لفظ عشق- فهذا إنما يصدر عن جاهل بعصمة النبي - ﷺ- عن مثل هذا، أو مستخف بحرمته". محمد بن احمد بن أبي بكر القرطبي : الجامع لأحكام القرآن ج ١٤ ص ١٨٩- ١٩١ تحقيق: أحمد البردوني- إبراهيم أطفيس، دار الكتب المصرية - القاهرة ١٩٦٤م.

ثالثا : كان أهل (زينب) يتلهفون لزواج زينب من الرسول (ﷺ) فما المانع من قيام الرسول بتحقيق أمنيتهم؟.

ويخلص كولن إلى :

" كان زواج الرسول من زينب - رضي الله عنها- من أجل تنفيذ أمر ....وكل كلام آخر لا يعد إلا تخريفا وتضليلا من قبل أعداء الدين"[١].

٨- تحريم المباح على نفسه:

يقول كولن: "عندما حلف النبي- ﷺ- ألا يشرب شراب العسل [٢]لترضية زوجاته لم يوافقه القرآن في هذا، بل عاتبه ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَآ أَحَلَّ ٱللَّهُ لَكَۖ تَبۡتَغِي مَرۡضَاتَ أَزۡوَٰجِكَۚ وَٱللَّهُ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ﴾ [٣]وهذا لكون النبي من المقربين، وهو متوافق في ذلك مع أبي البركات النسفي حيث يرى الأمر هنا " محمول على ترك الأفضل من باب حسنات الأبرار سيئات المقربين"[٤].

٩- عدم الاستثناء:

وهي أن النبي - ﷺ- لم يقل إن شاء الله عندما سألته قريش عن الروح، وعن أصحاب الكهف، وعن ذي القرنين، فقال لهم رسول الله (ﷺ)أخبركم بما سألتم عنه غدا ولم يستثن[٥].

١- كولن: النور الخالد ٥٧٩.

٢- رواية تحريم شرب العسل ذكرها الثعالبي وأبي حيان الأندلسي مع رواية أنه حرم جاريته على نفسه. ينظر عبد الرحمن بن محمد بن مخلوف الثعالبي: تفسير الجواهر الحسان في تفسير القرآن ص ٣١٤ ج ٤ مؤسسة الأعلمي للمطبوعات- بيروت. وينظر أبي حيان الأندلسي: تفسير البحر المحيط ج ٨ ص ٢٨٤ باب سورة التحريم تحقيق: عادل احمد عبد الموجود- علي محمد معوض دار الكتب العلمية- لبنان- بيروت ٢٠٠١م.وانفرد الطبري برواية أنه حرم جاريته على نفسه ينظر: محمد بن جرير الطبري : جامع البيان في تأويل القرآن ج ٢٣ ص ٤٧٧ تحقيق: أحمد محمد شاكر، مؤسسة الرسالة، ط: الأولى ٢٠٠م.

٣- سورة التحريم الآية :١ .

٤- الاعتماد في الاعتقاد ص ٢٦١.

٥- كولن: أسئلة العصر المحيرة(١) ص ٨٤،٨٣.

والحديث: روي أن اليهود قالوا لقريش اسألوا محمدا عن ثلاث فإن أخبركم باثنتين وأمسك عن الثالثة فهو نبي: اسألوه عن أصحاب الكهف وعن ذي القرنين وعن الروح فسألوا رسول الله ﷺ عن هذه الثلاثة فقال عليه السلام: غدا أخبركم ولم يقل إن شاء الله فانقطع عنه الوحي أربعين يوما، ثم نزل الوحي بعده: "ولا تقولن لشيء إني فاعل ذلك غدا إلا أن يشاء الله" [الكهف: ٢٣، ٢٤]، ثم فسر لهم قصة أصحاب الكهف، وقصة ذي القرنين، وأبهم قصة الروح، ونزل فيه قوله تعالى: "ويسألونك عن الروح قل الروح من أمر ربي"، وبين أن عقول الخلق قاصرة عن معرفة حقيقة الروح، فقال: "وما أوتيتم من العلم إلا قليلا "، ومن الناس من طعن في هذه الرواية من وجوه: أولها: أن الروح ليس أعظم شأنا ولا أعلى مكانا من الله تعالى، فإذا كانت معرفة الله تعالى ممكنة، بل حاصلة فأي مانع يمنع من معرفة الروح. وثانيها: أن اليهود قالوا: إن أجاب عن قصة أصحاب الكهف وقصة ذي القرنين، ولم يجب عن الروح فهو نبي، وهذا كلام بعيد عن العقل؛ لأن قصة أصحاب=

فمكث الرسول خمس عشرة ليلة وتملكه الحزن لما تكلمت به قريش حتى جاءه جبريل بسورة الكهف فيها معاتبته إياه على حزنه عليه، وخبر ما سألوه عنه ومن أجل كونه لم يقل إن شاء الله نزلت آية تحذره وتقول له: ﴿ وَلَا تَقُولَنَّ لِشَاْىْءٍ إِنِّي فَاعِلٌ ذَٰلِكَ غَدًا ﴿٢٣﴾ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ ۚ وَٱذْكُر رَّبَّكَ إِذَا نَسِيتَ وَقُلْ عَسَىٰٓ أَن يَهْدِيَنِ رَبِّي لِأَقْرَبَ مِنْ هَٰذَا رَشَدًا ﴿٢٤﴾ ﴾ [١].

ثانيا: شبهات حول الرسول- ﷺ-:

ذكر (كولن) شبهات أخرى واردة حول النبي-ﷺ- غير التنبيهات القرآنية السابقة وتتمثل في شبهتين:

الشبهة الأولى: حادثة تلقيح النخل:

والشبهة هنا هي ادعاء أن النبي أخطأ في اجتهاده لما أشار على أصحابه بترك تلقيح النخل فلم تثمر فهذا ينافي صدق النبي - ﷺ- [٢].

والحديث عن رافع بن خديج قال: "قدم النبي -ﷺ- المدينة وهم يؤبرون النخل - يقول يلقحون- قال فقال: ما تصنعون فقالوا: كنا نصنعه فقال: لعلكم لو لم تفعلوا كان خيرا، فتركوها فنفضت أو نقصت قال: فذكروا ذلك له فقال: - ﷺ إنما أنا بشر إذا أمرتكم بشيء من دينكم فخذوا به وإذا أمرتكم بشيء من رأي فإنما أنا بشر"[٣].

ويجيب كولن عن هذه الشبهة:

يقول النبي ﷺ :"والذي نفسي بيده ما يخرج منه إلا حقا وأومأ بأصبعه إلى فمه ﷺ" ولما أشار على أصحابه بترك تلقيح النخل فلم يثمر قال: إنما أنا بشر فكيف نجمع بين الحديثين ؟.

سبب ورود الحديث الأول : قال سيدنا عبد الله بن عمر - رضي الله عنه- : قالت لي قريش تكتب عن رسول الله -ﷺ- إنما هو بشر يغضب كما يغضب البشر فأتيت رسول الله ﷺ فقلت يا رسول الله إن قريشا تقول تكتب عن رسول الله، وإنما هو بشر يغضب كما

=الكهف، وقصة ذي القرنين ليست إلا حكاية من الحكايات، وذكر الحكاية يمتنع أن يكون دليلا على النبوة، وأيضا فالحكاية التي يذكرها إما أن تعتبر قبل العلم بنبوته، أو بعد العلم بنبوته، فإن كان قبل العلم بنبوته كذبوه فيها، وإن كان بعد العلم بنبوته فحينئذ صارت نبوته معلومة قبل ذلك، فلا فائدة في ذكر هذه الحكاية .الإمام الرازي: مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير ج ٢١ ص ٣٩١- ٣٩٢.

١- سورة الكهف الآية:٢٤.وينظر:أسئلة العصر المحيرة(١) ص ٨٣.

٢- وقد أوردها شارح الجوهرة في الشبهات على صفة الصدق، وكان جوابه: "بأن هذا من قبيل الإنشاء؛ لأن المعنى كان في رجائي ذلك والإنشاء لا يتصف بصدق، ولا كذب وعدم وقوع المترجى لا يعد نقصا". حاشية الإمام الباجوري على جوهرة التوحيد ص ٢٠٢ .

٣- أخرجه مسلم في صحيحه، باب وجوب امتثال ما قاله شرعا دون ما ذكره من معايش الدنيا على سبيل الرأي، كتاب الفضائل ج ٤ ص ١٨٣٥ رقم ٢٣٦٢.

يغضب البشر قال فأومأ إلى شفتيه وقال -ﷺ-: والذي نفسي بيده ما يخرج بينهما إلا حق فاكتب"[١].

"أما الواقعة الثانية: "لما شرف النبي المدينة بقدومه رأى أهل المدينة يلقحون النخيل قال، ما أظن ذلك يغني شيئا، وفي رواية لو لم تفعلوا لصلح". لم يقل ليس للتلقيح أي فائدة، بل أشار إلى أن هذا ليس مؤثرا حقيقيا، وترك أهل المدينة التلقيح فلم يثمر النخيل في تلك السنة ومن يدري فلعله كان من قضاء الله وقدره ألا يثمر النخيل في تلك السنة أبر أو لم يؤبر، فقال النبي(ﷺ)بعدئذ "أنتم أعلم بأمر دنياكم "[٢].

ولا يصح أن يفهم من هذا كما يقول كولن: "أنتم تعلمون أفضل مني"، فيحتمل أنه (ﷺ) قصد بقوله "ما أظن ذلك يغني شيئا":

أنتم تلقحون النخيل لكن ذلك لا يغني عن قدر الله ومشيئته شيئا، فبعض النباتات تثمر سنة وسنة، فمن الممكن اتفق أن النخيل لم يثمر في تلك السنة، فلحظ النبي (ﷺ) أحوالهم، وعلم أنهم لم يستوعبوا حكمة كلامه، فقال (ﷺ):"أنتم أعلم بأمر دنياكم"، فكأنه يريد بهذا أنه لم يحن بعد فهم أمر جلل لا يتأتى استيعابه إلا بعد تجربة روحية.

استخرج (كولن) من هذه القصة عدة دروس أراد النبي تعليمها للمسلمين:

١- "أن إسناد التأثير إلى الأسباب اعتقاد سائد جدا في الجاهلية، فكان لابد من استئصال شأفة هذا الاعتقاد، وإظهار أن الأمر كله لله، وأن الله متفرد بربوبيته كما أنه متفرد بألوهيته"[٣].

٢- انتشرت في الجاهلية عقيدة أن التلقيح يؤتي النخل أكله أضعافا مضاعفة وبدونه لا يثمر فاستهدف النبي هدم تلك العقيدة الباطلة؛ ليبين لهم أن الأسباب ما هي إلا حجب رفيعة أمام عزة الله وعظمته، فلقنهم درسا أولا فلما كشفوا عن نظرة تغاير ما قصده قال لهم: أنتم أعلم بأمور دنياكم[٤].

وأرى أن الأمر لوكان كما أشار (كولن) لأثمرت النخيل هذا العام عندما تركوا التلقيح ليعلموا أن الأسباب بيد الله؛ ولذا أظن أنه متكلف في التأويل حتى حدث تناقض في إبداء فكرته وتدعيمها منطقيا، وفي رأيي أنه كان اجتهادا من النبي في أمور الدنيا، وليست وحيا؛ لذا فالخطأ والصواب وارد فيها دون أمور الوحي.

٣- لو علمهم النبي (ﷺ) كل شيء في أمور الدنيا لكان عليهم وعلينا أن نمتثل تلك الأوامر إلى قيام الساعة بيد أنه زادهم بقوله هذا ثقة بأنفسهم ليثروا معارفهم، وتجاربهم،

١- والحديث أخرجه الدارمي في سننه وقال المحقق: إسناده صحيح .سنن الدارمي ج١ ص ٤٢٩، دار المغني للنشر والتوزيع- المملكة العربية السعودية، ط: الأولى ١٤١٢هـ- ٢٠٠٠م.

٢- "والحديث عن أنس أن النبي – ﷺ – مر بقوم يلقحون فقال لو لم تفعلوا لصلح قال: فخرج شيصا فمر بهم فقال: ما لنخلكم قالوا: قلت: كذا وكذا قال: أنتم أعلم بأمر دينكم". أخرجه مسلم، باب وجوب امتثال ما قاله شرعا دون ما ذكره - ﷺ- من معايش الدنيا على سبيل الرأي، كتاب الفضائل ص ١٨٣٦ ج ٤ رقم ٢٣٦٣ .

٣- كولن: الرد على شبهات ص٧٠.

٤- ينظر: الرد على شبهات ص٧٠.

وممارستهم، فالسنبلة ربما تغدو مائة حبة أو عشرا فبالتجربة، والتلقيح ربما تبلغ أترجة حجم الشمام أو البطيخ[١].

٤- " إن الله أوكل إلى الإنسان أمر التدخل في الكون فهو خليفته في الأرض فبهذا كان للإنسان الأمر والتصرف في الأشياء التي خلقها الله له على مستوى الشرط العادي وتلك هي حكمة منح الإرادة للإنسان، بل إنها مقتضى خلافته في الأرض، فلو لم يكل النبي (ﷺ) الأمر إليهم فقيدهم في الشريعة الفطرية كما التشريعية لقالوا: إنما امتثلنا الأمر فلقحنا أو النهي فتركنا. فتجف حينئذ منابع العلم والمعرفة البشرية، وتذهب التجارب والخبرات هباء منبثا"[٢].

٥- " كان النبي(ﷺ) إنسانا فهو أعلم بمعنى حرية الإنسان.. فلذا لم يقيد إرادتهم، بل جربهم، ثم قال: خير لكم أن تفعلوا ما كنتم تفعلون؛ لتنالوا ثمرة إرادتكم وينال الذين يأتوا بعدكم ثمرات إرادتهم وجلا تلك الحقيقة بقوله: أنتم أعلم بأمر دنياكم"[٣].

الشبهة الثانية: تعدد زوجات النبي(ﷺ):

من الشبهات التي أثيرت قديما وحديثا على أيدي المستشرقيين زواج النبي - ﷺ- بعدد كبير من النساء، واتهام النبي- ﷺ- بأنه كان رجلا شهوانيا-حاشاه-.

وقد دفع هذه الشبهة عدد من العلماء [٤] ومنهم (فتح الله كولن) إذ حاول بيان الموضوع وتجليته من جميع جوانبه فقال: "لزواج سيد المرسلين (ﷺ) وجوه عدة منها ما يتعلق بذاته الكريمة (ﷺ)، وأهداف ومقاصد لوحظت في زواجه، وحاجات وضروريات، وأخيرا أحوال خاصة تتعلق بأزواجه، ويجب تنفيذها"[٥].

وقد حلل (كولن) كل هذه الأمور ليبين الحكمة من تعدد زوجاته (ﷺ)، وهي كالتالي:

أولا: الموضوع وعلاقته بتلك الشخصية الزكية:

١- ينظر الرد على شبهات ص٧١- ٧٢.

٢- الرد على شبهات العصر ص ٧٣.

٣- الرد على شبهات العصر ص ٧٣.

٤- منهم الدكتور(محمد حسين هيكل) إذ عدد زوجات النبي (ﷺ)، وبين الغرض من كل زيجة فقد تزوج خديجة ولم يشرك معها غيرها ثمان وعشرين سنة حتى قبضت، فتزوج سودة، ولم يكن لها نصيب من الجمال وتزوجها؛ لأنها كانت أرملة أحد السابقين في الإسلام؛ ليعولها، ثم تزوج عائشة وحفصة؛ تقوية للروابط بينه وبين وزيريه أبي بكر وعمر، ثم تزوج زينب بنت خزيمة التي استشهد زوجها يوم بدر، وقد تخطت الشباب، ولم تكن ذات جمال، ولم تلبث إلا سنة أو سنتين ثم قبضت، أما أم سلمة فقد توفي زوجها، ولها عدة أبناء فتزوجها رعاية لأبنائها، وأما زواجه بزينب بنت جحش فيرى هيكل أنه كان لإبطال عادة التبني، ولم يكن اشتهاء لها كما يزعم المستشرقين فهي ابنة عمته، وهي أمامه في كل مراحلها، فلو أرادها لتزوجها. ينظر: الدكتور محمد حسين هيكل: حياة محمد ص ٣٢٦- ٣٣٦ .

٥- كولن: الرد على شبهات العصر ص ٧٤.

فالنبي (ﷺ) لم يتزوج حتى بلغ الخامسة والعشرين والجميع سلم بعفته، فالعفة عنده سجية، وتلك دلالة قوة إرادته وتحكمه في نفسه، ولو أن لديه أدنى ميل لسارع أعداؤه قديما وحديثا إلى إشاعة ذلك في العالم، ولكنه لم يحدث .

كان زواجه الأول بسيدة لها منزلة عند الله، وعند رسوله، ولكن عمرها أربعون سنة وتزوجت مرتين قبله، وكان عمر هذا العش السعيد ثلاثا وعشرين سنة، فقد توفيت في السنة الثامنة من البعثة، وكان (ﷺ) في الثالثة والخمسين[١]، ثم تزوج بأخريات في سن تضعف فيه الرغبة، فدعوى اتباع الشهوات بعدئذ في ذلك البلد الحار تجافي المنطق والإنصاف.

ثم يؤكد (كولن) أن التعدد لا ينافي النبوة، ويرى أن من ينتقد هذا الأمر إما أنه لا يلتزم بدين، أو مبدأ أخلاقي، أو إما أن يكون من أهل الكتاب، فلينظر هؤلاء إلى كتبهم المقدسة، فهناك عدد من الأنبياء عددوا كسليمان وداود (عليهما السلام)، فتعدد الزوجات ليس منافيا للنبوة، بل إنه إذا ما قرن بالنبوة فله فوائد عدة كما يصرح كولن منها: تبليغ نساء النبي أحكام الأسرة، وقضايا المرأة الخاصة بهن[٢] .

ثانيا:- الحكم التي تخص أزواجه وحدهن:

ذكر (كولن) عدة حكم من التعدد تخص أزواج النبي- ﷺ - منها:

١- لما تفاوتت أعمارهن فكان منهن الشابة والكهلة والعجوز، ولكل مرحلة أحكامها اتخذ الرسول منهن طريقا إلى تطبيق الأحكام الخاصة بكل مرحلة.

٢- لما كان أزواجه الطاهرات من قبائل شتى نشأت مودة راسخة بين تلك القبائل، ثم بينها وبينه (ﷺ)، فأصبحوا أتباعا له.

٣- قامت كل منهن بتبليغ الرسالة إلى قبيلتها في حياته(ﷺ)، وبعد وفاته[٣].

ثالثا: ظروف زواجه بأمهات المؤمنين:

١- السيدة (خديجة) زوجته الأولى أكبر منه بخمسة عشر عاما، وكان زواجا مثاليا وبقى وفيا لها حتى بعد وفاتها، وظل زمنا بعدها بلا زواج رغم أن له منها أيتاما تحمل رعايتهن، أفهذا سلوك المغرم بالنساء؟.

٢- السيدة (عائشة بنت أبي بكر الصديق) أقرب من صحبه ونصره، وكان زواجه من بنته أثمن هدية منه إليه نال بها منزلة شريفة، وأصبحت هي أكبر مرشدة مبلغة في بيت النبوة.

---

[١]- إذا كان عمر النبي خمسة وعشرين عاما عندما تزوج بأم المؤمنين السيدة خديجة- رضي الله عنها- واستمر الزواج ثلاثة وعشرين عاما كما يقول (كولن) فيكون عمر النبي وقت وفاتها ثمان وأربعين عاما تقريبا، أما على قول (هيكل) أن الزواج استمر ثمان وعشرين سنة فيكون عمر النبي بالفعل ٥٣ عاما.
٢- الرد على شبهات العصر ص ٧٤.

٣- ينظر: الرد على شبهات العصر ص ٧٩.

٣- (أم سلمة المخزومية) من أوائل من أسلمت وهاجرت هي وزوجها متحملة معه مشاق الدعوة، وتوفي بالمدينة، ولها منه خمسة أطفال، فخطبها النبي ليكون عونا لها وغوثا لأطفالها، وقد أوتيت ذكاء وفطنة، وكانت من مرشدات بيت النبوة.

٤- أم حبيبة (رملة بنت أبي سفيان) كان أبوها قبل إسلامه رمزا للكفر وأتاح هذا الزواج لأبي سفيان وعائلته زيارة بيت النبوة بلا حرج فلانت عريكتهم.

٥- (زينب بنت جحش) نسيبة شريفة تجمعها بالنبي قرابة زوجها النبي من (زيد بن حارثة)؛ لتأسيس المساواة بين الناس، ثم حدث الطلاق، فأمره الله بالزواج منها لحكمة إلهية فكان أهل الجاهلية يعدون الابن بالتبني ابنا حقيقيا وزوجته زوجة الابن فأراد الله إبطال هذه العادة فبدأ بنبيه (ﷺ).

٦- (جويرية بنت الحارث) أسرت مع قبيلتها في أحد الغزوات، فنال ذلك من عزتها وكبريائها، وهي شريفة نسيبة في قومها، فامتلأت عداوة للمسلمين فتزوجها النبي فأشرق حب الإسلام في قلبها هي وقبيلتها، وأعتق الصحابة سبي قبيلتها؛ لكونهم أصهار النبي (ﷺ)، وكان النبي قد ناهز الستين[١].

٧- السيدة (صفية بنت حيي) كانت بنت رأس يهود خيبر قتل أبوها، وزوجها، وأخوها، وأسرت قبيلتها، وكان قلبها يشتعل حقدا، وغيظا، فتزوجها النبي وأطفأ الأحقاد، وأصبحت جسرا يصل اليهود بالنبي (ﷺ).يقول (فتح الله كولن): "ففي زواج نساء من الأمم الأخرى فائدة جليلة في النفوذ إلى سرائر هذه الأمم ومكاشفتها بشرط صون أسرارنا لئلا تفشى للأعداء"[٢].

٨- (سودة بنت زمعة) من طليعة المسلمين، ومن المهاجرين إلى الحبشة مع زوجها فلما توفي وجدت نفسها وحيدة، فواساها الرسول ولا رغبة لها في الدنيا إلا الموت وهي زوجة لرسول الله(ﷺ).

ومن حكم هذا التعدد أن يكون النبي قدوة لأمته كزوج يقول (كولن): "انظر إلى جهده وعدله (ﷺ)في نفقته على هذا العدد من النساء من مسكن، وملبس، ومأكل ومشرب، وانظر إلى دقته في معاملتهن الخاصة ورعايته...وسده لما يطرأ من مشكلات بينهن"[٣].

أما لماذا عدد أكثر من العدد المباح لأمته فيقول:" أما أن عدد أزواجه أكثر من العدد المباح لأمته، فهذا تشريع خاص. أجل إنه تشريع خاص قد نعلم أو لا نعلم كثيرا من حكمه ومنافعه"[٤].

إذن شبهة التعدد لأغراض نفسية أو غريزية باطلة ولا تنم إلا على حقد أعداء الإسلام، وقد توسع (كولن) وبحث الموضوع من عدة جوانب ليثبت عصمة النبي-ﷺ-.

١- ينظر: الرد على شبهات العصرص٧٩- ٨١.

٢- الرد على شبهات العصرص٨٠

٣- السابق ص٨٠

٤- السابق ص ٨١.

وأخيرا كانت هذه بعض الشبهات الموجهة إلى النبي - ﷺ- وهي شبهات مؤولة بما يليق بمكانته وعلو مقام النبوة الكريم، مما يثبت براءة جناب النبي - ﷺ- وعصمته. وأعتقد أن أسلوب (كولن) واضح، وفي استدلاله على فكرته جمع بين الأدلة النقلية والعقلية، بل إنه بسط في الأدلة العقلية وعرضها بشكل منطقي.

ومن خلال هذا المبحث(عصمة الأنبياء) يتبين أن:

١- استفاض (كولن) في ذكر عصمة الأنبياء من خلال ذكر بعض الآيات والقصص التي ظاهرها عدم العصمة كعصيان آدم، ودعاء نوح بشأن ابنه، وإبراهيم بشأن أبيه وهم يوسف وغيرها، ودفع تلك الشبهات الواردة عليها متفقا تارة مع أهل السنة ومنفردا تارة باجتهاد خاص .

٢- استفاض كذلك في بيان عصمة رسولنا- ﷺ- وإن تكلف وبالغ في رد بعض الشبهات الواردة على عصمته- ﷺ- .

٣- في رده على الشبه المثارة حول الرسول- ﷺ- كان كلامه أكثر تنظيما، وترتيبا، ودقة وشمولية لأطراف المشكلة، وهذا التفكير العلمي هو الأنسب للعصر والإنسان الحديث.

المبحث الرابع: بعثة النبي (صلي الله عليه وسلم)

أولا: أبعاد رسالته- ﷺ-:

يرى (فتح الله كولن) أن مجيء محمد(ﷺ) كان من أكبر نعم الله (سبحانه وتعالي) علي العالمين، وأفضل إحسانه، وهذا ما يشير إليه القرآن الكريم: ﴿ لَقَدْ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُواْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُواْ مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴾[١] .

ويرى لذلك ملمحا في عقيدة الفداء عند النصارى، فيقول: "فإن كان النصارى يعتقدون خطأ بأن الله ضحي بابنه عيسي ليفتدي به الخطيئة الأولي للإنسانية، وهذه عقيدة خاطئة من جهة، وضالة من جهة أخري إلا أن لها تلميحا صحيحا، وهو أن الله تعالي أرسل أفضل خلقه محمدا (ﷺ) إلي الناس مع علمه بما سيتعرض له من أذي وآلام وذلك؛ ليخلصهم من الضلالة والانحراف والطغيان حتى لا يضيعوا في الطرق والمتاهات، بل يرقوا الى المستوى اللائق بالإنسان الكامل"[٢] .

وأرى أن (كولن) هنا أخطأ في تعبيره أن الفداء له ملمح صحيح والأولى- في نظري- البعد عن التشبيه والتمثيل بالعقائد المحرفة؛ حتى لا يظن أن لها أي وجه من الصحة فإنها من صنع البشر، ولا يصح التمثيل بها على بعثة الرسل أو أي عقيدة أخرى؛ لأن بعثة الرسل أجمعين كانت قبل تحريف النصارى، ولحكم ومصالح عديدة سبق أن تعرضت لها سابقا.

ويضيف (كولن) بأن هذه البعثة المباركة كانت بعد الجاهلية التي عبدت الأوثان، ووأدت البنات، وقلبت معايير القيم والأخلاق، وشاع الفحش والزنا، والانحلال، ولم يكن شرب الخمر، ولعب القمار عيبا، ولم يكن الاحتكار شيئا غريبا، أما طرق النهب والسلب، وامتصاص دماء الناس فكان يعد ذكاء ومهارة؛ ومن ثم كانت هناك حاجة ماسة إلي شخص ماهر البيان مؤثر الكلام ليقول لكل هذا الفساد قف[٣] .

وقد حدد (كولن) ثلاثة أبعاد لرسالته (ﷺ)، وهو يفسر قوله تعالي:﴿ وَإِذَا جَآءَتْهُمْ ءَايَةٌ قَالُواْ لَن نُّؤْمِنَ حَتَّىٰ نُؤْتَىٰ مِثْلَ مَآ أُوتِىَ رُسُلُ ٱللَّهِ ٱللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُۥ سَيُصِيبُ ٱلَّذِينَ أَجْرَمُواْ صَغَارٌ عِندَ ٱللَّهِ وَعَذَابٌ شَدِيدٌۢ بِمَا كَانُواْ يَمْكُرُونَ ﴾.[٤] .

١- سورة آل عمران الآية:١٦٤.

٢- النور الخالد ص ٢٦.

٣- ينظر: النور الخالد ص ٣١.

٤- سورة الأنعام الآية:١٢٤.

أولها :البعد الإنساني للرسالة: فالله أعلم بالرسول الذي يختاره، ويوكل إليه أمانة التبليغ في عهد كان يظن أن (الوليد بن المغيرة) أو (عروة بن مسعود) أولي، ولكن أمر النبوة بيد الله تعالي، وهو يعلم اللطائف الإنسانية الموجودة في روح الإنسان وقلبه فهو الأعلم بأنسب شخص لهذه المهمة ﴿ ٱللَّهُ يَصۡطَفِي مِنَ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ رُسُلٗا وَمِنَ ٱلنَّاسِۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعُۢ بَصِيرٞ ﴾[1] .

وعظمة النبي (ﷺ)، ولباقته، وقابلياته معروفة ومسلم بها في جميع العصور والعهود وفي الكتب السابقة، فرسالته شاملة لدعوات جميع الأنبياء؛ ولذا كانت هي الخاتمة وجانب آخر يضيفه الأستاذ كولن، وهو "أن نبوة محمد (ﷺ) ورسالته كانت قبل جميع الأنبياء والمرسلين فقد ورد في أحد الأحاديث: "أول ما خلق الله نوري"[2]، وفي حديث آخر: "كنت نبيا، وآدم منجدل في طينته "[3] أي أن تخطيط إرساله نبيا كان قبل الجميع، وقد تناول المتصوفة هذ الأمر تحت عنوان (الحقيقة الأحمدية)ووقفوا عندها كثيرا، وهم يرون أن الحقيقة الأحمدية هي في الوقت نفسه حقيقة الكون وأرادوا به إظهار عظمة الرسول وأنه مظهر لأعظم رسالة"[4]، وسيكون هناك تفصيل لهذه الحقيقة لاحقا في فصل التصوف- إن شاء الله-.

إلي جانب أن النبي وصل إلي غاية لم يصل إليها أحد من ناحية الكم والكيف- أي من خلال انتشار دعوته في الآفاق(الكم)، ومن خلال الأخلاق التي دعمها والانحلال الذي قضى عليه(الكيف)- وهذا أكبر دليل علي عظمة رسالته فجميع الرسالات أصابها التحريف[5] .

ثانيهما :البعد المكاني للرسالة يتحدث الأستاذ هنا أن لنشأة النبي في مكة حكما عديدة منها:

١- سورة الحج الآية:٧٥.

٢- أخرجه اللكنوي عبد الحي بن محمد عبد الحليم الأنصاري اللكنوي في الآثار المرفوعة في الأخبار الموضوعة، باب ذكر بعض القصص المشهورة وقال: وهو حديث لم يثبت بهذا المبنى ، وإن ورد غيره موافقا له في المعنى ص ٤٣ تحقيق: محمد السعيد بسيوني زغلول، مكتبة الشرق الجديد- بغداد، وأخرجه الزرقاني في شرحه على المواهب اللدنية بالمنح المحمدية ج ١ ص ٥٤ ينظر: لأبي عبد الله محمد بن عبد الباقي بن يوسف بن أحمد بن شهاب الدين: شرح الزرقاني على المواهب اللدنية بالمنح المحمدية، دار الكتب العلمية، ط: الأولى ١٤١٧هـ- ١٩٩٦م.

٣- بلفظ (كنت نبيا وآدم بين الماء والطين) وفي رواية (وكنت نبيا ولا آدم ولا ماء ولا طين) أخرجه اللكنوي في الاثار المرفوعة في الأخبار الموضوعة وقال: موضوع بهذا اللفظ ص ٤٥/١، وأخرجه السيوطي في الدرر المنتثرة في الأحاديث المشتهرة وقال: لا أصل له، باب الكاف ص ١/ ١٦٣ رقم ٣٣١ تحقيق: محمد بن لطفي الصباغ، عمادة شؤون المكتبات- جامعة الملك سعود- الرياض. وقال الزركشي في التذكرة في الأحاديث المشتهرة: لا أصل له ص ١٧٢/١، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية- بيروت- لبنان، ط: الأولى ١٤٠٦هـ- ١٩٨٦م. وأخرجه أحمد في مسنده حديث العرباض بن سارية بلفظ: " إني عبد الله خاتم النبيين وإن آدم لمنجدل في طينته وسأنبئكم بأول ذلك دعوة أبي إبراهيم وبشارة عيسى بي ورؤيا أمي التي رأت وكذلك أمهات النبيين ترين" ، وقال الشيخ شعيب الأرنؤوط: حديث صحيح لغيره دون قوله "وكذلك أمهات النبيين ترين". ينظر: مسند الإمام أحمد بن حنبل ج ٨ ص ٣٧٩ رقم ١٧١٥٠، تحقيق: شعيب الأرنؤوط - عادل مرشد وآخرون، إشراف: د عبد الله بن عبد المحسن التركي، مؤسسة الرسالة، ط : الأولى ١٤٢١هـ- ٢٠٠١م.

٤- كولن: أضواء قرآنية ص ١٣٥.

٥- ينظر: كولن: أضواء قرآنية ص ١٣٥.

١- إن مكة تحيط بسرة الأرض والكعبة سرة الأرض، وقلب الوجود، ويقول بعض الأولياء من أرباب الكشف: (إن الكعبة والرسول خلقا معا، وأن حقيقة الكعبة والحقيقة الأحمدية مترافقان ومتقاربان"[١]وقد وصفها القرآن بأنها أم القرى[٢].

٢- كانت مكة بلدة استراتيجية، فهي كانت ملتقي عدة دول، وكانت مع المدينة مهدا لمدنيات قديمة مثل: مدينة سبأ، وحضر موت وصنعاء[٣]، وكانت علي علاقة ببيزنطة والساسانيين. إذن كانت الجزيرة العربية أرضا ملائمة لتقديم رسالة الاسلام العالمية.

٣- كانت مكة مركزا تجاريا مهما يأتيها التجار من مختلف البلدان للاستيراد والتصدير، وكان التجار المكيين بفضل تمرسهم بالتجارة الدولية علي علم بالبنية الاجتماعية والثقافية للدول العظمي .

٤- ظهور هذه الرسالة في جو الصحراء الملتهب يعد شيئا إيجابيا فقد بلعت هذه الصحاري غزاة عديدين، أما المسلمون فكانوا منتصرين في كل معركة دخلوها وأيضا لم تكن تلك الصحراء مطمعا من قبل الدول الكبري؛ ولذا لم تنفذ ثقافات هذه الدول إلي مكة، وإلا لتعرضت مكة والمدينة لاحتلال فكري وثقافي أجنبي ولصادفت رسالة الإسلام صعوبات إضافية[٤] .

البعد الثالث : البعد اللغوي للرسالة:

يري (كولن) أن نزول القرآن باللغة العربية بين كمال تلك اللغة، ولذا كان عهد الرسالة هو العهد الذهبي للغة العربية.

لقد تحدي القرآن معارضيه ببلاغته وإعجازه ولكنهم خابوا وفشلوا.

وقد سحرت بلاغة القرآن أعدى أعداء الإسلام، وبسبب هذه اللغة يستطيع القانوني أن يجد بغيته، وكذا المتكلم، والمفسر، فيجد كل مختص كل دقائق ساحة علمه واختصاصه مع العلم أن لغة القانون، وعلم الكلام، والأدب مختلفة، ولكن القرآن يراعي جميع دقائق اللغة في جميع هذه المساحات المختلفة.

إذن فخلاصة الأمر الله أعلم حيث يجعل رسالته لمن يعطي هذه الرسالة، في أي بلد وبأي لغة[٥] .

والبداية بهذه الأبعاد أو الحكم - من اختيار شخصية الرسول، والأرض، واللغة- ، رأيتها مدخلا مناسبا لنا كمسلمين ولغيرنا ممن يحرص (كولن) على تقديم الإسلام ورسوله إليهم بصورة مختلفة جذابة وقد فعل.

---

[١]- وسوف أتناول هذه القضية في فصل التصوف -إن شاء الله-.
[٢]- كولن: أضواء قرآنية في سماء الوجدان ص ١٣٦.
[٣]- هذه المدنيات التي ذكرها كولن قامت في اليمن وليست في مكة أو المدينة.
٤- كولن: أضواء قرآنية في سماء الوجدان ص ١٣٩.

٥- أضواء قرآنية ص ١٤٢.

وكلام (كولن) عن اختيار الموقع الجغرافي وسطا بين الأمم، واختيار اللغة العربية لغة لهذا الدين، وكون محمد -ﷺ- أميا شبيه جدا بكلام الشيخ (البوطي)[١]، وهما متعاصران، فلا أدرى أيهما تأثر بالآخر، وكلاهما معجب بالآخر وبفكره[٢].

وبهذا المدخل العقلي استطاع (فتح الله كولن)أن يلخص الحكمة في بعثة الله تعالى لمحمد -ﷺ- خاصة بهذه اللغة في هذا المكان.

ولكن في محاولة شرح أبعاد اختيار محمد -ﷺ- وبيان فضله استشهد بأحاديث موضوعة وبأفكار صوفية ينكرها العلماء من غير الصوفية، وسيكون لهذه القضية تفصيل لاحقا- إن شاء الله-.

ثانيا: عموم رسالته(ﷺ):

أ- رأي العلماء :

يتفق جميع المسلمين على عموم رسالته - ﷺ-:

١- رأي المعتزلة: يقرر القاضي (عبد الجبار) عموم رسالة النبي- ﷺ- فيقول: "فإن نبينا(صلوات الله عليه و آله) كان على شريعة منفردة ناسخة لسائر الشرائع لازم للمكلفين إلى آخر الأبد، وهو مبعوث إلى الناس كافة ممن تقوم عليه الحجة متظاهر من دينه وشريعته"[٣] .

٢- رأي أهل السنة : اتفق أهل السنة على عموم رسالته فالله تعالى بعث محمدا إلى سائر العالمين، وهم أحزاب مشتتون، وفرق متباينون[٤]، وشرعه ناسخ لجميع من خالفه من الملل، والدليل على ذلك ثبوت نبوته، وصدق مقاله[٥]، وما ثبت بالقرآن مثل قوله:﴿ قُلۡ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّي رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيۡكُمۡ جَمِيعًا ﴾ [٦]، والسنة مثل قوله: " بعثت إلى الأسود والأحمر"[٧].

١- ينظر: محمد سعيد رمضان البوطي: فقه السيرة النبوية مع موجز لتاريخ الخلافة الراشدة ص ٤٩- ٩٠ دار الفكر المعاصر (بيروت- لبنان)- دار الفكر(دمشق- سوريا) ط العاشرة ١٤١١هـ – ١٩٩١م.

٢- هذا واضح من كلام البوطي عن كولن وحركته في تسجيلات صوتية له، وإعجاب كولن بفكره ونشره عددا من مقالات البوطي في مجلة حراء التابعة له، ودفاعه عن موقف الشيخ إزاء الثورة السورية.

٣- القاضي عبد الجبار: المختصر في أصول الدين/رسائل العدل والتوحيد ج ١ ص ٢٦٩.

٤- الإمام أبو الحسن الأشعري: رسالة إلى أهل الثغر ص ١٣٧ تحقيق: عبد الله شاكر محمد الجنيد، مكتبة العلوم والحكم، ط: الثانية ١٤٢٢هـ - ٢٠٠٢م..

٥- القاضي أبو بكر الباقلاني: الإنصاف ص ٥٩ .

٦- سورة الأعراف الآية:١٥٨.شرح المقاصد المجلد الثالث ص ٣٠٥ .

٧- أخرجه أحمد، وابن حبان، والحاكم. ينظر: مسند أحمد باب حديث أبي موسى الأشعري (ج ٣٢ ص ٥١٢ رقم ١٩٧٣٥)، وينظر: محمد بن حبان الدارمي البستي : الإحسان في تقريب صحيح ابن حبان ذكر البيان بأن=

وما ثبت بالتواتر من دعوته اليهود والنصارى وكسرى وقيصر إلى دينه[١].

٣- رأي الاستاذ فتح الله كولن:

يؤكد (كولن) عموم رسالته (ﷺ)فيقول :"كان الأنبياء السابقون مبعوثين لأممهم وقبائلهم لا غير أي في دائرة ضيقة، أما خاتم الرسل، وسيد الأنبياء فقد أرسل للناس وللوجود بأكمله؛ لذا فإن دعوة الأنبياء السابقين كانت قائمة مادامت قبائلهم وأقوامهم موجودة، أما هذه الرسالة، فهي عامة وشاملة، وتضم الوجود كله؛ لذا فهي باقية ومستمرة حتي يوم القيامة"[٢] .واستدل على ذلك:

١- قوله تعالي: ﴿ قُلْ أُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ اسْتَمَعَ نَفَرٌ مِّنَ الْجِنِّ فَقَالُوا إِنَّا سَمِعْنَا قُرْآنًا عَجَبًا ﴾[٣] .فالآية دليل أن نبوته ورسالته العالمية شملت الإنس والجن[٤].

٢- قوله -ﷺ- :"أعطيت خمسا لم يعطهن أحد قبلي ....وكان النبي يبعث إلى قومه خاصة وبعثت إلى الناس عامة"[٥].فالحديث فيه دلالة يقينية على عموم رسالته.

إذن المسألة فيها اتفاق بين جميع المسلمين، لأن فيها نصوصا قطعية من القرآن الكريم والسنة النبوية كما سبق.

ب- شبهة أن رسالة النبي خاصة والرد عليها:

وتتمثل هذه الشبهة في ادعاء أن رسالة الإسلام خاصة بالعرب فقط، وليست للعالمين من الإنس والجن جميعا، وهي شبهة قديمة حديثة، أثارها اليهود قديما وجميع الحاقدين حديثا.

وقد دفع هذه الشبهة جميع المسلمين ومنهم المعتزلة، فقد رد القاضي عبد الجبار على من زعم بأن محمدا كان مبعوثا إلى العرب فقط بقوله: "أنه (ﷺ)إذا ادعى أنه مبعوث إلى الكافة، ثم صدقه الله تعالى بالأعلام المعجزة، فإنه لابد من أن يكون مبعوثا إلى الأحمر والأسود"[٦].

=قوله ﷺ شفاعتي لأمتي أراد به من لم يشرك به منهم دون من أشرك باب الحوض والشفاعة (ج ١٤ ص ٣٧٥ رقم ٦٤٦٢)، تحقيق: شعيب الأرنؤوط ، مؤسسة الرسالة ط الأولى ١٩٨٨م.وقال الحاكم في المستدرك على الصحيحين: حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه بهذه السياقة، وإنما أخرجا ألفاظا من الحديث متفرقة(ج ٢ ص ٤٦٠ رقم ٣٥٨٧).

١- أبو البركات النسفي: شرح العمدة ص ٢٥٥ .

٢- كولن: النور الخالد ص ٢٣٨، وينظر: الموشور(١) ص ١٠.

٣- كولن: أضواء قرآنية ص ٣٤٢ .

٤- سورة الجن الآية:١.

٥- سبق تخريجه.

٦- القاضي عبد الجبار: شرح الأصول الخمسة ص ٥٨٣ تحقيق: عبد الكريم عثمان .

وكذلك بين أهل السنة فساد هذا القول بأدلة منها:

١- " أن هؤلاء سلموا أنه رسول صادق إلى العرب، فوجب أن يكون كل ما يقوله حقا، وثبت بالتواتر أنه كان يدعي أنه رسول الله إلى كل العالم فلو كذبناه في ذلك لزم التناقض"[١].

٢-- "أن الكل في احتياج إلى من يجدد أمر الشريعة وحاجتهما (اليهود والنصارى)أكثر؛ لاختلال دينهم بالتحريفات والضلالات [٢].

أما (فتح الله كولن) فله حديث طويل عن عالمية الرسالة فيقول: "لا دليل أو أمارة تثبت أن رسالة نبينا (ﷺ)خاصة بعهده كما لا دليل على أنه (ﷺ)إنما أرسل إلى العرب خاصة، بل إن الدلائل كلها تبرهن أنه (ﷺ)كان يصل ليله بنهاره طوال حياته السنية ليبلغ رسالته ما بلغ الليل والنهار"[٣].

وقد تحدث (كولن) كثيرا عن عالمية الإسلام فهو يقدم رسالته للناس جميعا في كل زمان ومكان، ويتناول كل ما يخص الإنسان بجوانبه الإيجابية والسلبية[٤].

ومن الدلائل التي ذكرها (كولن) عن عالمية الإسلام وعموم رسالته :

١- أدلة القرآن الكريم ومنها:

أ- ﴿ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِّلْعَٰلَمِينَ ﴾[٥].

ب- ﴿ لِّيُنذِرَ مَن كَانَ حَيًّا وَيَحِقَّ ٱلْقَوْلُ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ ﴾[٦] .

ج- ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا كَآفَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴾[٧].

﴾[٧]. أضف إلى ذلك أن القرآن يتحدث عن الأنبياء السابقين، وأن دعوتهم كانت خاصة بأقوامهم؛ ليبين الفرق بين الأنبياء كافة، وبين رسول العالمين (ﷺ) [٨].

١- الرازي: أصول الدين ص ١١١ ونفس الحجة ساقها أبو البركات النسفي في شرح العمدة ص٢٥٥.

٢- التفتازاني: شرح المقاصد المجلد الثالث ص ٣٠٥ .

٣- فتح الله كولن : الرد على شبهات العصر ص ٦١.

٤- ينظر كولن: الموشور ص ١٠٣ترجمة:عبد الرازق محمد أحمد دار النيل ٢٠١٥م.

٥- سورة ص الآية:٨٧.

٦- سورة يس الآية:٧٠.

٧- سورة سبأ الآية:٢٨.

٨- كولن: الرد على شبهات العصر ص ٦٥.

٢- أدلة الحديث الشريف، ومنها:

أ- "كان النبي يبعث إلى قومه خاصة، وبعثت إلى الناس عامة"[١]، وفي رواية:

"بعثت إلى الأحمر والأسود"[٢]، ويتقوى هذا بما جاء في تاريخ الطبري أن النبي (صلى (ﷺ) خرج على أصحابه ذات غداة، فقال لهم: "إني بعثت رحمة وكافة، فأدوا عني يرحمكم الله"[٣].

ب- ولما جاء رسولا كسرى قال لهما النبي (ﷺ): "قولا له: إن ديني وسلطاني سيبلغ ما بلغ ملك كسرى"[٤].

ج- أمر الرسول أصحابه بالهجرة إلى الحبشة، فعرف سفراء الهداية الأوائل كثيرا من أهل الحبشة بالإسلام، فاستجابة (النجاشي) ومن معه لهذه الدعوة تبرهن أنه رسول الله إلى الناس كافة.

د- كان من الرعيل الأول في عصر الصحابة أجناس مختلفة منهم (بلال الحبشي)، و(صهيب الرومي)، و(سلمان الفارسي)، وآخرون تسنموا مناصب رفيعة أكثر بكثير من العرب، وهذا يدلنا على أن رسالة الإسلام عالمية.

هـ- بشر الرسول (سراقة بن مالك) يوم الهجرة بسواري كسرى قبل فتح العراق بسنوات، وتلك إشارة منه إلى أن رسالته ستبلغ بلاد فارس[٥].

و- حديث أم حرام بنت ملحان أن النبي (ﷺ) قال يوما في بيتها، فاستيقظ وهو يضحك قالت: يا رسول الله ما يضحكك قال: "عجبت من قوم من أمتي يركبون البحر كالملوك على الأسرة"[٦]..

١- والحديث أخرجه البخاري في صحيحه، باب التيمم، كتاب العلم (ج ١ ص ٧٤ رقم ٣٣٥).

٢- سبق تخريجه ص ٣٤١.

٣- الرد على شبهات العصر ص ٦٣.والحديث أخرجه الطبراني في المعجم الكبير ص ٨/٢٠ رقم ١٢ تحقيق: حمدي بن عبد المجيد السلفي، مكتبة ابن تيمية، ط: الثانية. وقال الإمام الهيثمي في مجمع الزوائد ص ٣٠٦/٥ رقم ٩٥٨٦، رواه الطبراني وفيه محمد بن اسماعيل بن عياش وهو ضعيف. ينظر: أبو الحسن نور الدين علي بن أبي بكر بن سليمان الهيثمي (المتوفى: ٨٠٧هـ):مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، تحقيق: حسام الدين القدسي، مكتبة القدس - القاهرة ١٤١٤هـ- ١٩٩٤م.

٤- كولن: الرد على شبهات العصر ص ٦٤.والحديث أخرجه أبو نعيم في دلائل النبوة ص ٣٤١حديث رقم ٢١واسناده حسن .ينظر أبو نعيم الأصفهاني(المتوفى٣٠هـ):دلائل النبوة تحقيق: د/محمد رواس قلعه جي عبد البر عباس، دار النفائس – بيروت، ط: الثانية١٤٠٦هـ- ١٩٨٦م.

٥- والبشارة قوله- ﷺ- لسراقة بن مالك كيف بك إذا ألبست سواري كسرى فلما فتحت فارس دعاه عمر وألبسه سواري كسرى. أبو الحسن علي بن محمد بن محمد بن حبيب البصري البغدادي، الشهير بالماوردي (المتوفى: ٤٥٠هـ): أعلام النبوة، فصل أقسام أخبار الآحاد ص ١/ ١١٧.الناشر: دار ومكتبة الهلال - بيروت، الطبعة: الأول - ١٤٠٩ هـ

٦- رواه البخاري في صحيحه، باب ركوب البحر، كتاب الجهاد والسير(ج ٤ ص ٣٦ رقم ٢٨٩٤).

وهذه بشارة أن الرسالة ستمخر عباب البحار، وتحققت البشارة في عهد الصحابة[١].

ز- وجه النبي (ﷺ) أصحابه إلى بقاع العالم كافة فأخبرهم بفتح القسطنطينية قبلها بقرون[٢]، وكذا بشر النبي صحابته بفتح مصر[٣]، وفتح الحيرة، وصنعاء، ومدائن كسرى، وبلاد الشام[٤].

ح- ودلت كتب السير والحديث أن النبي بعث بكتب إلى ملوك العالم؛ ليبلغ دعوته إلى العالم كافة، فالمسألة كما يقول الأستاذ قطعية الثبوت[٥].

إذن كل هذه الأدلة القطعية تثبت عموم رسالته –ﷺ- وتقطع بتهاوي هذه الشبهة الظاهرة البطلان التي بثها أعداء الإسلام قديما وحديثا.

ثالثا: ختم النبوة:

١- يتفق جميع المسلمين المعتزلة [٦] و أهل السنة[٧] على أنه (ﷺ) خاتم النبيين.

يدل عليه من القرآن الكريم قوله تعالى: ﴿ مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَآ أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَٰكِن رَّسُولَ ٱللَّهِ وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمًا ﴾ [١] .

١- كولن: الرد على شبهات العصر ص ٦١.

٢- الرد على شبهات العصر ص ٦٤، والحديث: " لتفتحن القسطنطينية فلنعم الأمير أميرها ولنعم الجيش ذلك الجيش "مسند أحمد، باب حديث بشر الخثعمي مسند الكوفيين ج ٣١ص ٢٨٧ برقم ١٨٩٥٧.وينظر: أبو القاسم الطبراني: المعجم الكبير باب بشر الغنوي باب الباء ج ٢ ص ٣٨ رقم ١٢١٧ ، تحقيق: حمدي عبد المجيد السلفي مكتبة دار العلوم والحكم - الموصل ط الثانية ١٩٨٣م.وقال الهيثمي: رواه أحمد والبزار والطبراني ورجاله ثقات .ينظر: أبو الحسن نور الدين علي بن أبي بكر بن سليمان الهيثمي (المتوفى: ٨٠٧هـ) مجمع الزوائد ومنبع الفوائد(ج ٦ ص ٢١٨ رقم ١٠٣٨٤)،.

٣- إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) قَالَ: "إِنَّكُمْ ستقدمون على قوم جعد رؤوسهم، فَاسْتَوْصُوا بِهِمْ، فَإِنَّهُ قُوَّةٌ لَكُمْ، وَبَلَاغٌ إِلَى عدوكم بإذن الله" يعني قبط مصر". رجاله ثقات رجال الصحيح إلا أنه مرسل. ينظر: محمد بن حبان بن أحمد بن حبان بن معاذ بن مَعْبدَ، التميمي: الإحسان في تقريب صحيح ابن حبان ص ٦٩/١٥ رقم ٦٦٧٧ .

٤- أخرجه البخاري في صحيحه، قال- ﷺ- لعدي بن حاتم: «يَا عَدِيُّ، هَلْ رَأَيْتَ الحِيرَةَ؟» قُلْتُ: لَمْ أَرَهَا، وَقَدْ أُنْبِئْتُ عَنْهَا، قَالَ «فَإِنْ طَالَتْ بِكَ حَيَاةٌ، لَتَرَيَنَّ الظَّعِينَةَ تَرْتَحِلُ مِنَ الحِيرَةِ، حَتَّى تَطُوفَ بِالكَعْبَةِ لاَ تَخَافُ أَحَدًا إِلَّا اللَّهَ، - قُلْتُ فِيمَا بَيْنِي وَبَيْنَ نَفْسِي فَأَيْنَ دُعَّارُ طَيِّئٍ الَّذِينَ قَدْ سَعَّرُوا البِلاَدَ -، وَلَئِنْ طَالَتْ بِكَ حَيَاةٌ لَتُفْتَحَنَّ كُنُوزُ كِسْرَى»، قُلْتُ: كِسْرَى بْنِ هُرْمُزَ؟ قَالَ: " كِسْرَى بْنِ هُرْمُزَ، ... قَالَ عَدِيٌّ: فَرَأَيْتُ الظَّعِينَةَ تَرْتَحِلُ مِنَ الحِيرَةِ حَتَّى تَطُوفَ بِالكَعْبَةِ لاَ تَخَافُ إِلَّا اللَّهَ وَكُنْتُ فِيمَنِ افْتَتَحَ كُنُوزَ كِسْرَى بْنِ هُرْمُز"٠ ينظر: صحيح البخاري باب علامات النبوة في الإسلام كتاب المناقب ص ١٩٧/٤ رقم ٣٥٩٥.

٥- ينظر: الرد على شبهات العصر ص ٦٦.

٦- ينظر: القاضي عبد الجبار: شرح الأصول الخمسة ص ٥٨٢.

٧- ينظر: أبو معين النسفي: بحر الكلام في أصول الدين ص ٣٣٨.

ومن السنة النبوية قوله (ﷺ):"لا نبي بعدي".[٢] .

٢- رأي الأستاذ فتح الله كولن:

يرى (كولن) أن المصطفى(ﷺ) قد جمع فضائل الأنبياء قبله، وكانت رسالته عالمية شاملة لأفكار جميع الأنبياء ورسالاتهم، فهو يعد من جهة تأسيس جميع قضايا الإيمان الضرورية مؤسسا، ومن جهة تصحيحه للتحريفات السابقة مصححا، ويعد مجددا في الأمور التي احتاجت للتجديد والتكميل؛ لذا فلا رسول ولا نبي بعده؛ لأن قضايا العقيدة وصلت إلى وحدة متكاملة.

ويضيف سبب ختمه للرسالات فيقول: "أن الإنسانية وصلت به في الفكر، والشعور، وفي الدين، والعقيدة، وفي الإدارة، والسلوك والطريق إلى جميع مفاتيح المغاليق في العقيدة، والفكر، والحياة بحيث لم تبق هناك حاجة لرسالة جديدة"[٣].

إذن (كولن) هنا متفق مع أهل السنة فهي قضية معلومة من الدين بالضرورة وأضاف تعليلا لذلك فيه شيء من الجدة وهو:

١- كونه مؤسسا للقضايا الجديدة، ومصححا لتحريفات الرسالات السالفة، ومجددا لما يحتاج إلى تجديد، ومكملا للناقص منها.

٢- أنه حل جميع معضلات الحياة في العقيدة، والسلوك، والفكر، والحياة، فهو دين شامل يلبي جميع متطلبات الإنسانية، فلا حاجة لغيره.

رابعا: أفضلية محمد (ﷺ) علي سائر الأنبياء :

أ- رأي أهل السنة:

اتفق أهل السنة على أفضلية سيدنا محمد- ﷺ- على سائر الأنبياء والمرسلين .

يقول الإمام (الرازي) في تعليل ذلك: "إن تأثير دعوة محمد (ﷺ) في علاج القلوب المريضة، والنفوس الظلمانية كان أتم وأكمل من تأثير دعوة سائر الأنبياء، فوجب القطع بأنه أفضل من جميع الأنبياء والرسل في كل ما يتعلق بالنبوة والرسالة، وهذا برهان ظاهر من باب برهان اللم[٤]، فإنا بحثنا عن حقيقة النبوة والرسالة، ثم بينا أن كمال تلك

١- سورة الأحزاب الآية:٤٠.

٢- والحديث أخرجه أبو داود والترمذي ينظر: سنن أبي داود، باب ذكر الفتن ودلائلها، كتاب الفتن (ج ٤ ص ١٥٧ رقم ٤٢٥٤)، ورواه الترمذي وقال: هذا حديث صحيح، ينظر: سنن الترمذي، باب لا تقوم الساعة حتى يخرج كذابون، كتاب الفتن (ج ٤ ص ٤٩٩ رقم ٢٢١٩).

٣- أضواء قرآنية ص ١٣٥.

٤- البرهان اللمي ويسمى (تعليلا)أيضا: وهو الذي يكون الحد الأوسط فيه علة للنسبة في الذهن والعين أو الخارج، مثل: هذا متعفن الأخلاط وكل متعفن الأخلاط فهو محموم فهذا محموم، والبرهان الإني ويسمى استدلالا: وهو الذي يكون الحد الأوسط فيه علة للنسبة في الذهن فقط مثل: هذا محموم وكل محموم متعفن الأخلاط فهذا متعفن الأخلاط. والحاصل أن الاستدلال من المعلول على العلة برهان إني وعكسه برهان لمي

الماهية ما حصل لأحد من الأنبياء كما حصل لمحمد (ﷺ)"[١] .

ويشرح ذلك في أصول الدين بشيء من التفصيل بأن العالم كان عند مقدم محمد(ﷺ) مملوء بالكفر والفسق، فاليهود والنصارى حرفت أديانهم والعرب عبدوا الاصنام، وفي النهب والغارة بلغوا الغاية، فلما قام بدعوته(ﷺ)انقلبت الدنيا من الباطل إلي الحق، ومن الكذب إلي الصدق، وبطلت هذه الكفريات، وزالت هذه الجهالات، وانطلقت الألسن بتوحيد الله، واستنارت العقول بمعرفته، فما حصل من هذا الأثر بسبب مقدم محمد - صلي الله عليه وسلم- أكمل وأكثر مما ظهر بسبب مقدم موسي أو عيسي - عليهما السلام- فتبين من كل هذا أنه كان سيد الأنبياء، وأفضلهم جميعا.[٢].

ويستدل على ذلك بالنقل والعقل:

أما النقل: فهو أنه تعالي وصف الأنبياء بالأوصاف الحميدة، ثم قال لمحمد (ﷺ):

﴿ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُۖ فَبِهُدَىٰهُمُ ٱقۡتَدِهۡۗ قُل لَّآ أَسۡـَٔلُكُمۡ عَلَيۡهِ أَجۡرًاۖ إِنۡ هُوَ إِلَّا ذِكۡرَىٰ لِلۡعَٰلَمِينَ ﴾[٣]، وإذا أتي بجميع ما أتوا به من الخصال، فقد اجتمع فيه ما كان متفرقا فيهم فيكون أفضل منهم.

وأما العقل: فهو أن دعوته بالتوحيد والعبادة وصلت إلي أكثر بلاد العالم بخلاف سائر الأنبياء فظهر أن انتفاع أهل الدنيا بدعوة محمد (ﷺ)أكمل من انتفاع سائر الأمم بدعوة سائر الأنبياء[٤] .

وهناك وجه آخر لأفضلية محمد (ﷺ) هو تفضيل الله لأمته إلي جانب خصائصه الفريدة، كما يقول صاحب المقاصد.[٥] .

وهو نفس ما ذهب إليه الماتريدية في وجه تفضيله- ﷺ- على سائر الأنبياء فذكروا خيرية أمته، وكماله في القوى النظرية والعملية، وانتشار دعوته، وتطهير الأرض من خبثها وفسادها [٦].

.قطب الدين الرازي: تحرير القواعد المنطقية شرح الرسالة الشمسية لنجم الدين عمر بن علي القزويني= =وبأسفل صحائفه حاشية على تحرير القواعد المنطقية للشريف الجرجاني ص ١٦٧مطبعة مصطفى البابي الحلبي ط الثانية ١٣٦٧هـ- ١٩٤٨م. ينظر: التهانوي: كشاف اصطلاحات العلوم والفنون ص ٣٢٤.

١- الرازي: النبوات وما يتعلق بها ص ١٨٣ تحقيق: د/ أحمد حجازي السقا، مكتبة الكليات الأزهرية.

٢- ينظر: الإمام فخر الدين الرازي: أصول الدين ص ٩٧..

٣- سورة الأنعام الآية: ٩٠.

٤- ينظر: أصول الدين ص ١٠٩.

٥- ينظر: شرح المقاصد، المجلد الثالث، ص ٣٠٦ .

٦- ينظر: أبو البركات النسفي: شرح العمدة ص ٢٦٣- ٢٦٥.

ب- رأي فتح الله كولن :

يرى (كولن) أن الله تعالى، - وإن كان قد اختار جميع رسله-، فضل بعض هؤلاء الرسل على بعضهم وفقا لقوله تعالى: ﴿ تِلْكَ ٱلرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ ﴾ [١].

فهذه الآية تثبت أن الله خص بعض رسله بفضائل معينة ورفعهم إلى درجات لا يبلغها أنبياء آخرون، وأفضلهم أولو العزم من الرسل(إبراهيم ونوح وموسى وعيسى ومحمد - عليهم السلام-وأفضل هؤلاء الخمس محمد (ﷺ) .

ويتفق (كولن) مع الإمام (الرازي) في طريقته، وهي أن زوال الجهالات، وانتشار الدين من أكبر دلائل نبوته، ومن أكبر الدلائل علي أفضليته فيقول :

"إن الرسول وصل إلي مرتبة لم يصل إليها أحد إذا أخذنا في نظر الاعتبار النور الذي نشره من ناحية الكم، ومن ناحية الكيف أيضا، ولا يستطيع أحد الوصول إليه وهذا من الناحية العملية أكبر دليل وبرهان علي عظمة الرسالة التي حملها ونشرها"[٢] .

ويؤكد هذا المعني في عدة مقامات منها قوله :

"وقبل قدومك إلي الدنيا وتشريفك لها نادي مئات، بل ألوف من أصحاب الوجوه النيرة بدعوي التوحيد لكن أحدا منهم لم يبلغ مبلغ (داوديتك) - نسبة إلي نبي الله داود الذي كان حسن الصوت-، فقد كان لمواهبهم حدود معينة ما كان لهم أن يتخطوها فيصلوا إلي أفاقك، وقد سعوا في سبيل نشر رسالاتهم وتبليغاتهم أعظم السعي ...ولكنك وحدك من بينهم أسمعت صوتك القارات المختلفة، ووقفت منتصب القامة من غير تزعزع واهتزاز، ولم يتخلف من أصحابك الذين اتبعوك تائه في الطريق إلا عدد قليل من المتفلتين"[٣].

وقد ذكر خصائص كثيرة للنبي (ﷺ) في كثير من كتبه تدل علي أفضليته منها :

١- أنه هو الوارث لجميع الأنبياء والمرسلين السابقين، فقد أخذ الله الميثاق من الأنبياء علي القبول بنبوته .

٢- هو المرسل برسالة عالمية وأبدية، ولم يبعث إلي قوم معينين أو لبلاد معينة كغيره.

٣- هو الرحمة المجسمة المهداة إلي البشرية، وهاديها الأخير، والقرآن وسيرته برهان صريح على ذلك .

٤- هذه الرحمة صارت درعا واقية لأمته من الهلاك العام من بعده، وهو أمان لم يعط لأمم الأنبياء.

١- سورة البقرة الآية: ٢٥٣، ينظر: أسئلة العصر المحيرة(١) ص ٢٢٥ .

٢- كولن: أضواء قرآنية ص ١٣٦.

٣- كولن: ونحن نبني حضارتنا ص ١٦٦.

٥- أقسم الحق تعالي به وحده من بين سائر الأنبياء وأيده بحيازة امتياز (لعمرك).

٦- خاطب الحق الأنبياء بأسمائهم، وخصه في الخطاب بعنواني النبوة والرسالة، وفيه عبرة للمؤمنين ليتأدبوا معه.

٧- وهو الذي أوتي جوامع الكلم، ونصر بالرعب، وأوتي الكتاب المحفوظ من التحريف والتبديل إلي يوم القيامة.

٨- وهو المكرم بشرف رؤية عالم الآخرة يوم المعراج، وبه تنورت العدالة، وانقشع الظلام[١] .

وفي كتابه النور الخالد تحت عنوان مميزات خمسة لسيد البشرية عدد خصائص النبي (ﷺ) المذكورة في قوله: "أعطيت خمسا لم يعطهن أحد قبلي نصرت بالرعب مسيرة شهر، وجعلت لي الأرض مسجدا وطهورا، فأي رجل من أمتي أدركته الصلاة فليصل، وأحلت لي الغنائم، ولم تحل لأحد قبلي، وأعطيت الشفاعة، وكان النبي يبعث إلي قومه خاصة، وبعثت إلي الناس عامة"[٢] .

ومن ثم فإن محمدا - ﷺ - أفضل الأنبياء لخصائصه الذاتية، وانتشار دينه وتأثيره، وهو في هذه الأخيرة متفق مع الإمام (الرازي) .

وبناء على ما سبق:

يتفق كولن مع أهل السنة وعموم المسلمين في أفضلية محمد- ﷺ- لخصائصه النفسية، وانتشار دعوته، وتأثيره في محو الجهالات، وتثبيت دعائم التوحيد، إلى جانب تفضيل الله لأمته﴿ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ ﴾ [٣]، فهذا إقرار بأفضلية رسول هذه الأمة أيضا.

١- ينظر: ونحن نبني حضارتنا ص ١٦١،١٦٠.

٢- النور الخالد ص ٥٣٦.

٣- سورة آل عمران الآية: ١١٠.

تعقيب على المبحث:

ظهر من خلال هذا المبحث عدة أمور:

١- الحكمة من اختيار الرسول لهذه الدعوة، واختيار مكة مهدا لها، واللغة العربية لغة هذه الرسالة الخالدة هو اختيار إلهي لمصلحة الرسالة والبشرية كلها.

٢- اتفاق كلمة المسلمين على عموم رسالته- ﷺ-.

٣- رد كولن على شبهة المستشرقين حول عموم رسالة النبي -ﷺ- بأدلة متنوعة تثبت عموم رسالته، وتدحض الدعاوى حولها.

٤- اتفاق كلمة المسلمين على كونه خاتم النبيين والمرسلين.

٥- دلل (كولن) على أفضلية النبي - ﷺ- من خلال انتشار دعوته، وما أحدثه من تغير في العالم، ومن خلال خصائصه النفسية أيضا.

المبحث الخامس: دلائل نبوته -ﷺ-

تمهيد:

هناك عدة دلائل تؤكد نبوة سيدنا محمد -ﷺ- أولها في الاعتبار المعجزة لاتفاق كلمة الأمة على اعتمادها دلالة على صدق الرسول، ثم ما ذكر في الكتب السابقة عن البشارة به وبرسالته، ثم أحواله، وأخلاقه، وانتشار دينه.

وقد تحدث (كولن) عن معجزات النبي خاصة القرآن واستفاض في ذلك ذاكرا أوجه إعجازه العلمي، لما لها من أهمية في هذا العصر في إقناع غير المسلمين وتحقيق اليقين للمسلمين، وعلى جانب آخر أغفل الكلام والتفصيل عن باقي المعجزات، اللهم إلا عن معجزة المعراج، ويبدو أن هذا منهج جميع المعاصرين في الاعتماد فقط على القرآن في الدلالة على صدق الرسول -ﷺ-.

لم يتحدث (فتح الله كولن) عن المعجزات الحسية، في مقابل حديثه الموسع عن القرآن الكريم إلا أنه يؤكد على ثبوتها، ويرى أن منكري المعجزات منكرون لقدرة الله تعالى، فيقول: "الذين لا يؤمنون بالمعجزات لا يعرفون عظمة الله تعالى إذن، ولا يدركون قدرته، والادعاء بأن القمر لا يمكن أن ينشق بالمعجزة هذا ادعاء بأن الله لا يستطيع شق القمر، والذي يقول: إن الموتى لن يعودوا إلى الحياة إنما يدعي بأن الله عاجز عن إحياء الموتى"[١].

بالإضافة إلى ذلك فله حديث جديد وجدير بالملاحظة تجاه هذه المعجزات الحسية فتكمن أهميتها - كما يرى كولن- في إطلاع الإنسان على وسائل الارتقاء المادي في المستويات المختلفة لتجليات المعجزة، فقد حركت معجزات الأنبياء أنظمة الاستقبال والاستطلاع لدى الإنسان، وفتحت أبواب التقدم التكنولوجي في خياله، وهيأت له الأرضية لإثارة العصف الذهني، يقول كولن: "كل معجزة هي إشارة وإشعار وتذكير، وتداع باعتبار الأوامر التكوينية، ودعوة إلى تفحص خصائص هؤلاء المصطفين في مختلف المجالات كالسفينة المعجزة المصنوعة في الترسانة النبوية لنوح- عليه السلام-، وقميص (إبراهيم)- عليه السلام- المخيط في معمل "حسبي الله" المقاوم للنار والمذكر (بالأمينت)[٢] المتحمل لأعلى درجات الحرارة"[٣].

١- كولن: الموازين ص ١٧٧ .

٢- الأمينت: الحرير الصخري وهو مادة معدنية مركبة من فتائل طويلة تشبه الحرير ذات أهداب، وتركيبها الليفي والذي لا يتأثر بالنار جعل القدماء يستعملون منها نسيجاً غير قابل للاحتراق. ولهذا الغرض فهم يضعون الحرير الصخري (ألأميانت) في الماء الحار ويطرقونه ويجعلون منه خيوطاً تنسج كما تنسج غيرها من الخيوط، وهم يتخذون منها حصراً ومناديل يدخلونها في النار إذا اتسخت فتخرج نظيفة. **المؤلف: رينهارت بيتر آن دُوزِي (المتوفى: ١٣٠٠هـ) : تكملة المعاجم العربية باب (سمند، سمندر، سمندل) ص ٦/ ١٥٢، نقله إلى العربية وعلق عليه: جـ ١ - ٨: محمَّد سَلِيم النعَيمي، جـ ٩، ١٠: جمال الخياط، الناشر: وزارة الثقافة والإعلام، الجمهورية العراقية، الطبعة: الأولى، من ١٩٧٩ - ٢٠٠٠ م.**

٣- ونحن نبني حضارتنا ص ١٢٤.

ومن الأمثلة الأخرى التي ضربها (كولن): "عصا (موسى) التي تذكر بمضخات الماء والآبار الارتوازية، وتليين الحديد لداود- عليه السلام- بتذويبه وتشكيله وتفريغه في القوالب الذي يصور في الأذهان صناعة الصلب والحديد، وجلب (سليمان) لعرش بلقيس برسمه وشكله وصورته وربما بكل زينته المحيطة به هذا الذي يجلب معه خيال التليفزيون والأنترنت وما هو أبعد منهما، وأيضا قطع هذا النبي مسافة شهرين في يوم واحد المحفز لتكنولوجيا الطائرات الحديثة، وكذلك إجراءاته -عليه السلام- في عالم ما وراء المادة والفيزياء بتسخير الجن والعفاريت والشياطين له، التي تشير إلى المداخلة في العوالم الميتافيزيقية، والتي تضع الحدود النهائية للباحثين في حقل عالم الأرواح، وكذلك تحاوره بمنطق الحيوانات الدال على فن ألسنة الطير، والنمل، والحيوانات الأخرى، وتعلم شفرات التفاهم بينها، بل حثه على ذلك، ومعجزات (عيسى) التي تتعدى خيال الإنسان إلى مسافات أبعد مما توصل إليه الطب الحديث وعلم الجينات"[١].

فكل معجزة من معجزات الأنبياء تحث المرء على الاكتشاف والبحث العلمي لمحاولة الوصول إلى أفقها ومن ثم نتقدم في مجالات عدة كالطب، والتكنولوجيا، وعلم الحيوان، والجيولوجيا، وحتى العوالم الروحانية بإمكان الاستفادة من إمكانياتها بشكل علمي كما يرى (كولن)[٢].

وجملة القول: "إن معجزات الأنبياء تشكل حدودا معينة، وتخط أفقا محددا للعلم الإنساني، ويعد ذكر القرآن لها حثا ودفعا للإنسان ليبلغ حدود هذه المعجزات، ومن ثم فعلى الإنسان أن يسعى حتى يصل إلى تلك النقطة، ويقترب من حدود تلك المعجزات الخارقة، ولو فرضنا أنه خطا خطوة واحدة وراء ذلك الحد لجال في الآفاق التي تتدلى منها ثمرات هذه المعجزات. قد يستطيع الإنسان أن يتقدم في علم الطب حتى يقترب من حدود إحياء الموتى، ولكنه سيقف عاجزا أمام الموت نفسه ذلك؛ لأن الموت مثله مثل الحياة مخلوق من قبل الله سبحانه وتعالى"[٣].

ورغم أن استعمال الوسائل ومحاولة تسخير الكون حق ومطلب للتقدم، أرى أنه مهما بلغ العلم فلن يصل إلى حدود المعجزة أو يقترب منها؛ لأنها من خصائص الأنبياء، وبها يتميزون، وبها تحدوا أقوامهم، وأخشى أن تكون المغالاة الشديدة في هذه الدعوة يمكن أن تؤدي إلي تهوين شأن المعجزة، وتستغل كمعول هدم – بالتالي- لرسالة الأنبياء- عليهم السلام-.

وسيكون الحديث في هذا المبحث عن المعجزة والكرامة، ووقوعهما، والفرق بينهما وعن رأي المتكلمين والمعاصرين في دلائل نبوته- ﷺ-، ثم أتلو ذلك ببيان رأي (فتح الله كولن) على النحو التالي:

المطلب الأول: المعجزة والكرامة.

المطلب الثاني: رأي العلماء قديما وحديثا في دلائل نبوته.

---

[١]- ونحن نبني حضارتنا ص ١٢٤- ١٢٥.
[٢]- وسيكون هناك تفصيل لهذا الأمر في فصل السمعيات إن شاء الله-
[٣]- كولن: النور الخالد ص ١١٤.

المطلب الثالث: دلائل النبوة عند فتح الله كولن.

المطلب الأول: المعجزة والكرامة:

اتفقت كلمة أهل السنة والمعتزلة على اعتبار المعجزة هي الدلالة الأقوى على صدق الرسل -عليهم السلام-.

ويرى (كولن) كذلك أنها أمارات وعلامات على صدق الأنبياء، ويراها ألطافا ربانية من الله تعالى للأنبياء، وأجرة عاجلة لهم مقابل عبوديتهم، وشعورهم بالمسئولية، ومن جهة أخرى لبعث الاطمئنان في نفوس أممهم، يقول كولن: " إن تحويل الحجر والتراب إلى ذهب وتبر، والفحم إلى ألماس على يد الأنبياء، وإحياء الموتى بأنفاسهم مقترنا بدعوة النبوة، هو تجل للألطاف الإلهية في طريق القبول بنبوتهم ونسيم إحسان لسوق آمالهم إلى اليقين"[١].

ولكن يرى أن الأعجب من المعجزة أن يحول الله قلوب المنكرين إلى الإيمان؛ ولذا فإنه يعد المعجزات وسيلة ثانوية فيقول: " هذه المعجزات التي حصلت بخلق الله تعالى هي وقائع ثانوية وتبعية لا تعد في محور الفلك الأصلي للنبوة، بل هي تأييد وتسلية للأنبياء ووسيلة إذعان وتسليم للمخاطبين"[٢].

أولا: تعريف المعجزة والكرامة:

١- تعريف المعجزة :

أ- عند المعتزلة: المعجزة ماهي إلا نقض العادة، أو الفعل الذي يدل على صدق المدعي للنبوة.

وشرطها كما يرى القاضي (عبد الجبار): أن يكون المعجز واقعا من قبل الله تعالى، وأن يكون مما تنتقض به العادة، وأن يتعذر على العباد فعل مثله، وأن يكون مختصا بمن يدعي النبوة على جهة التصديق له، وأن يكون واقعا عقيب دعوى المدعي للنبوة[٣].

ب- أهل السنة :

هناك اتفاق بين الأشاعرة والماتريدية في حقيقة المعجزة فهي: "أمر خارق للعادة مقرون بالتحدي وعدم المعارضة، وقيل: أمر قصد به إظهار صدق من ادعى النبوة والرسالة، وزاد بعضهم قيد موافقة الدعوى، وبعضهم مقارنة زمن التكليف إذ عند انقراضه تظهر الخوارق لا لقصد التصديق"[٤].

---

[١]- ونحن نبني حضارتنا ص١٢٤.

[٢]- ونحن نبني حضارتنا ص ١٢٩.

٣- ينظر: القاضي عبد الجبار المغني في أبواب التوحيد والعدل ج ١٥ص١٨٥، ١٩٠وينظر: شرح الأصول الخمسة ص ٥٦٩- ٥٧٢ .

٤- البيضاوي: طوالع الأنوار ص ٢٠٩.

وقيل: "أمر خارق للعادة من ترك أو فعل مقرون بالتحدي مع عدم المعارضة"[١].

وعند الماتريدية أيضا: " أمر خارق للعادة مع عدم المعارضة مقرون بالتحدي تصديقا له[٢].

إذن اتفقت كلمة جميع المتكلمين في تقرير حقيقة المعجزة وشروطها.

ج- رأي فتح الله كولن:

عرف (كولن) المعجزة بقوله: "أمر خارق للعادة يجريه الله على يد الأنبياء؛ لإثبات دعوى النبوة"[٣].

أما شروط المعجزة: فيقول:" أن تكون خارقة للعادة، وأن يكون صدورها متزامنا مع دعوى النبوة، وموافقا لها"[٤].

وتعريف كولن للمعجزة ليس جامعا ولا مانعا لأنه اقتصر على بعض شروطها حيث يشترط فيها وفقا لأهل السنة: أن تكون خارقة للعادة- مقرونة بالتحدي- تكون من الله- تظهر على يد مدعي النبوة- مقرونة بدعوى النبوة- تكون في زمن التكليف- مصدقة له- موافقة للمطلوب- تتعذر معارضتها[٥]..

٢- تعريف الكرامة :

والكرامة عند أهل السنة: أمر خارق للعادة يظهر على يد عبد ظاهر الصلاح، ملتزم لمتابعة نبي كلف بشريعته، مصحوب بصحيح الاعتقاد، والعمل الصالح علم بها أو لم يعلم[٦].

يقول كولن: "الكرامة هوية إلهية يظهرها أخلاء الحق من الذين لم يدعو النبوة "[٧].

إذن الكرامة موهبة إلهية يتفضل بها الله على أهل الصلاح من عباده وجاء بقيد (لم يدعو النبوة) لتخرج المعجزة، فإنها تكون مقرونة بدعوى النبوة.

ثانيا: وقوعهما والفرق بينهما:

وجميع المسلمين متفقون على وقوع المعجزات، واختلفوا في الكرامة.

١- التفتازاني: شرح المقاصد ص ٢٧٣.

٢- السمرقندي: الصحائف الإلهية ص٤١٧ تحقيق: ا د/ أحمد عبد الرحمن الشريف.

٣- كولن: خواطر من وحي سورة الفاتحة ص ٣٩.

٤- السابق.

٥- ينظر: أبو معين النسفي: كتاب التمهيد لقواعد التوحيد ص ٢٣٦- ٢٣٨.

٦- الباجوري: حاشية الباجوري على جوهرة التوحيد ص ٢٥٣ .

٧- فتح الله كولن: الموازين أو أضواء على الطريق ص ١٧٨.

أ- رأي المتكلمين:

١- رأي المعتزلة:

المعتزلة ينكرون الكرامات أصلا للأولياء من الصحابة وغيرهم[١].

وعللوا ذلك مخافة التباس النبي بغيره إذ الفرق هو المعجزة، يقول القاضي عبد الجبار جوابا عن هل تظهر المعجزات على غير الأنبياء؟.

"لا يجوز ذلك؛ لأنها تدل على التفرقة بين النبي، ومن ليس بنبي ؛لأن الرسول يقول لغيره: أنا وإن كنت بشرا مثلكم فكما كان المعجز يلزمكم الانقياد لي وطاعتي فلابد أن يختص بذلك ليصح هذا المعنى؛ فلهذا لا يجوز ظهوره على غير الأنبياء، وأيضا فلو ظهرت على غيرهم لزهد في النظر في معجزات الأنبياء ونفر عن ذلك"[٢].

وقد أجاب الأشاعرة عن اعتراض المعتزلة بقولهم:

إن الكرامة لا تقارن دعوى النبوة، وكثرتها تكون استمرار نقض العادة، والمقارنة للدعوى تفيد القطع بالصدق عادة، والكرامة تزيد جلالة قدر الأنبياء حيث نالت أمتهم ذلك ببركة الاقتداء[٣].

ويرد الماتريدية شبهة المعتزلة بأن النبوة لا تختلط بالكرامة بقولهم: بأن النبي يتميز بالتحدي والدعوى بخلاف الكرامة[٤].

٢- رأي الأشاعرة:

يرى الأشاعرة أن: "الولي هو العارف بالله تعالى الصارف همته عما سواه، والكرامة: ظهور أمر خارق للعادة من قبله بلا دعوى النبوة، وهي جائزة ولو بقصد الولي، ومن جنس المعجزات لشمول قدرة الله تعالى، وواقعة كقصة مريم، وآصف، وأصحاب الكهف، وما تواتر جنسه من الصحابة، والتابعين، وكثير من الصالحين"[٥].

٣- الماتريدية:

والماتريدية كذلك مع ثبوت الكرامة للأولياء متفقين تماما مع الأشاعرة فيما ذهبوا إليه فالكرامة عندهم جائزة مستدلين بعدة وقائع منها: قصة صاحب سليمان الذي نقل عرش بلقيس، وحمل مريم، وحضور الرزق عندها كلما دخل عليها (زكريا)، وإبقاء

١- ينظر: القاضي عبد الجبار الأسد آبادي: المغني في أبواب التوحيد والعدل ج ١٥ ص ٢١٨.

٢- القاضي عبد الجبار: المختصر في أصول الدين/رسائل العدل والتوحيد ج ١ ص ٢٧١ .

٣- ينظر: شرح المقاصد ص ٣٢٦.

٤- ينظر: النسفي: بحر الكلام ص ٢٧٦.

٥- التفتازاني: شرح المقاصد ص ٣٢٦.

أصحاب الكهف ثلاث مائة سنة وزيادة أحياء، ورؤية (عمر) جيشه بنهاوند وقوله: يا سارية الجبل وسماع سارية صوته وبينهما خمسمائة فرسخ[١].

ب- رأي فتح الله كولن:

يؤكد (كولن) على ثبوت ووقوع الكرامات، ويفرق بينها وبين المعجزة، فيقول: "الكرامة حدث غير اعتيادي لدى الأولياء، وهي بالتالي تؤيد معجزات النبي، وتؤيد نبوته كذلك"[٢].

ويرى (كولن) أن للولي خصائص منها:

١- الولي يمكن أن يظهره الله بين الناس بأنعام وألطاف كثيرة، ويمكن أن يخفي أثره حتى عن نفسه حتى محطته الأخيرة في الحياة.

٢- الولي عنده ظل حقيقة النبوة، ولكن هناك مسافة بين النبي والولي كما المسافة بين الولي والإنسان العادي في الشعور، والفهم، والانفتاح على المواهب العالية السامية.

٣- والولي كذلك هو صاحب الحكمة؛ ولذا يعلو على الفيلسوف بدرجة كبيرة[٣].

٤- الولي قد يطلع على قسم من الغيب عن طريق الكرامة .

واستشهد بقوله -ﷺ- "قد كان يكون في الأمم قبلكم محدثون فإن يكن في أمتي منهم أحد فإن عمر بن الخطاب منهم"[٤]، واستشهد بقول (عمر) وهو على المنبر يا سارية الجبل ..الجبل وسماع سارية صوته على ما بينهما من مسافة[٥].

فالكرامة إذن عند كولن:

١- أمر خارق للعادة من قبل الله تعالى، وفي هذا تتشابه مع المعجزة.

٢- تظهر على يد الولي .وهنا تخالف المعجزة التي تظهر على يد مدعي النبوة.

٣- غير مقرونة بدعوى النبوة، وهي هنا تفترق عن المعجزة .

٤- تؤيد معجزات الأنبياء، وهو هنا يقترب من رأي (التفتازاني) السابق.

٥- الولي أدنى من درجة النبي، وأعلى درجة من الفيلسوف.

١- ينظر: التفتازاني : شرح العقائد النسفية ص٩٢، وينظر: أبو البركات النسفي: شرح العمدة ص ٢٧١.

٢- كولن: الموازين ص ١٧٨.

٣- كولن: الموازين ص ١٧٨.

٤- أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب فضائل الصحابة، باب من فضائل عمر- رضي الله تعالى عنه- ص ١٨٦٤/٤ رقم ٢٣٩٨ .

٥- كولن: الموازين ص ١٧٨.

فخلاصة الأمر أن هناك فارق بين النبوة والولاية، وبين المعجزة والكرامة، وهو نفس ما ذهب إليه أهل السنة.

وإشارة صريحة إلى علو مقام الأنبياء- عليهم السلام- على مقام الأولياء.

المطلب الثاني: رأي العلماء قديما وحديثا في دلائل نبوته (ﷺ):

اعتمد علماء الكلام قديما المعجزة بشقيها-الحسي والمعنوي- دليلا على صدق الرسول، وفصلوا القول في إعجاز القرآن كما فعلوا الأمر نفسه مع باقي المعجزات الحسية على السواء.

أما العلماء المحدثون والمعاصرون، فاقتصروا على القرآن الكريم، واعتدوا به فقط في إقرار النبوة، وغضوا الطرف عن باقي المعجزات، وذلك شائع عند الجميع كأنه صار منهجا يقتفيه الخلف جميعا.

أولا: رأي المتكلمين:

اتفق المتكلمون على اعتبار المعجزة بشقيها المعنوية أو العقلية والحسية من أكبر الدلائل على صدق الرسول - ﷺ-.

١- رأي المعتزلة :

يقول القاضي عبد الجبار: "قد علمنا باضطرار أولا أن محمدا هو الذي كان بمكة، ثم هاجر إلي المدينة، وأنه كان يدعي النبوة، ويجعل الدلالة علي نبوته القرآن، ويتحدى به العرب كل ذلك بالنقل المتواتر"[١].

فأما كون القرآن معجزا ؛ فذلك لكونه تحدى به العرب، وهم أهل الفصاحة، وعجزوا عن معارضته، وأنهم لو عارضوه لنقل كنقل القرآن؛ لأن الزمن واحد، والدواعي فيه متساوية[٢] .

وإلى جانب القرآن فقد أثبتت المعتزلة جميع المعجزات الحسية أيضا وهي كثيرة نحو مجيء الشجرة وعودها إلي مكانها تخد الارض خدا[٣]، ونحو حنين الجذع[١]إلي غير ذلك مما لا يكاد يحصي كثرة، والله لا يظهر المعجزات إلا علي أيدي الصادقين[٢].

١- مختصر أصول الدين ص ٢٢٦، .

٢- مختصر أصول الدين ص ٢٢٧- ٢٦٦.

٣ - أخرجه الدارمي عن ابن عمر، رضي الله عنهما قال: كنا مع رسول الله ﷺ، في سفر فأقبل أعرابي فلما دنا منه، قال له رسول الله ﷺ: «أين تريد؟» قال: إلى أهلي قال: «هل لك في خير؟» قال: وما هو؟ قال: «تشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأن محمدا عبده ورسوله» فقال: ومن يشهد على ما تقول؟ قال: «هذه السلمة» فدعاها رسول الله ﷺ وهي بشاطئ الوادي فأقبلت تخد الأرض خدا حتى قامت بين يديه، فاستشهدها ثلاثا، فشهدت ثلاثا أنه كما قال، ثم رجعت إلى منبتها، ورجع الأعرابي إلى قومه، وقال: إن اتبعوني أتيتك بهم، وإلا رجعت، فكنت معك. والحديث صحيح، ينظر: أبو محمد عبد الله بن عبد الرحمن بن الفضل بن بهرام بن عبد

وفي المغني يقول : "اعلم أنها (المعجزات)تدل علي صدق الرسول فيما يدعيه من النبوة حيث يقع موقع التصديق، فإذا كان التصديق لو وقع منه تعالي عقيب ادعائه الرسالة، وعن التماسه من جهة التصديق لدل علي النبوة، فكذلك إذا وقع المعجز من قبله تعالي"[٣] .

١- رأي الاشاعرة :

يقول (الباقلاني): "إن صدق مدعي النبوة لم يثبت بمجرد دعواه، وإنما يثبت بالمعجزات، وهي أفعال الله تعالي الخارقة للعادة المطابقة لدعوي الأنبياء، وتحديهم للأمم بالإتيان بمثل ذلك"[٤] .

ويتحدث عن سيدنا محمد - صلي الله عليه وسلم- فيقول: "واعلم أن أكبر معجزاته القرآن العربي، وفيه وجوه من الإعجاز :

أحدها : ما اختص به من الجزالة، والنظم، والفصاحة الخارجة عن أساليب الكلام، وتحدي به فصحاء العرب بأن يأتوا بسورة من مثله فعجزوا عن الإتيان بمثله، وهم أهل الفصاحة والبلاغة، ولم يتأت لهم ذلك في مدة ثلاث وعشرين سنة.

الثاني: اشتماله علي قصص الأولين، وما كان من أخبار الماضيين مع القطع بأنه -صلي الله عليه وسلم- كان أميا لا يكتب ولا يقرأ.

الثالث : اشتماله على غيوب متعلقة بالمستقبل، مثل قوله: ﴿ وَٱلْعَـٰقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ ﴾[٥]،

﴿ لَتَدْخُلُنَّ ٱلْمَسْجِدَ ٱلْحَرَامَ ﴾ [٦]إلي غير ذلك من وجوه الإعجاز .

وقد أشار أن له (ﷺ)آيات ومعجزات سوي القرآن: كانشقاق القمر[٧]، واستنزال المطر[١]،

الصمد الدارمي التميمي السمرقندي: سنن الدارمي باب (ما أكرم الله به نبيه) ج ١ ص ١٦٦ رقم الحديث(١٦)، تحقيق: حسين سليم أسد، دار المغني للنشر والتوزيع - المملكة العربية السعودية، ط: الأولى ١٤١٢هـ-٢٠٠٠م.

[١]- رواية حنين الجذع: أخرجها البخاري في صحيحه، باب علامات النبوة في الإسلام، كتاب المناقب (ص ١٩٥/٤ رقم ٣٥٨٣).

٢- القاضي عبد الجبار : مختصر أصول الدين ص ٢٦٨.

٣- القاضي عبد الجبار: المغني ص ١٦٨ ج ١٥ .

٤- الباقلاني: الإنصاف ص ٥٨.

٥- سورة الأعراف الآية١٢٨.

٦- سورة الفتح الآية: ٢٧.

[٧]- أخرجه البخاري في صحيحه، باب علامات النبوة في الإسلام، كتاب المناقب ص ٢٠٧/٤ رقم ٣٦٣٨.وأخرجه الترمذي وقال: حديث حسن صحيح وقال الألباني: صحيح، ينظر:سنن الترمذي مذيلة بأحكام الألباني عليها، باب سورة القمر، كتاب تفسير القرآن (ج ٥ ص ٣٩٧ رقم ٣٢٨٥) .

وإزالة الضرر من الأمراض[٢]، ونبع الماء[٣]، وتسبيح الحصي[٤] إلي غير ذلك.[٥] .

ويتفق الإمام (الجويني) مع (الباقلاني) في اعتبار المعجزة هي دليل صدق الرسول فيقول: "لا دليل علي صدق النبي غير المعجزة"[٦]، واستفاض في إثبات نبوة محمد، وتحديه للعرب بالقرآن، وتكلم عن وجوه الإعجاز فيه، وعن باقي معجزاته (ﷺ)[٧] .

أما الإمام (الرازي)، فاستدل بثلاثة طرق لإثبات نبوة محمد (ﷺ):

الطريق الأول :أنه ادعي النبوة، وظهر المعجز عليه، وكل من كان كذلك كان نبيا ودعواه النبوة ثابت بالتواتر، وظهور المعجز علي يده، فلثلاثة أوجه :

أحدها :أنه أتي بالقرآن معجز، وتحدى الفصحاء، فعجزوا عن معارضته.

ثانيهما :أنه نقل عنه معجزات كثيرة كنبع الماء، ومكالمة الحيوان، وغير ذلك.

---

[١]- عن أنس بن مالك، قال: أصابت الناس سنة على عهد رسول الله ﷺ، فبينا رسول الله ﷺ يخطب على المنبر يوم الجمعة قام أعرابي، فقال: يا رسول الله، هلك المال، وجاع العيال، فادع الله لنا أن يسقينا، قال: فرفع رسول الله ﷺ يديه وما في السماء قزعة، قال: فثار سحاب أمثال الجبال، ثم لم ينزل عن منبره حتى رأيت المطر يتحادر على لحيته، قال: فمطرنا يومنا ذلك، وفي الغد، ومن بعد الغد، والذي يليه إلى الجمعة الأخرى، فقام ذلك الأعرابي - أو رجل غيره - فقال: يا رسول الله، تهدم البناء وغرق المال، فادع الله لنا، فرفع رسول الله ﷺ يديه، وقال: «اللهم حوالينا، ولا علينا» قال: فما جعل رسول الله ﷺ يشير بيده إلى ناحية من السماء إلا تفرجت،= =حتى صارت المدينة في مثل الجوبة حتى سال الوادي، وادي قناة شهرا، قال: فلم يجئ أحد من ناحية إلا حدث بالجود. أخرجه البخاري في صحيحه جـ٢ باب[من تمطر فى المطر] ص٣٢رقم الحديث[١٠٣٣] . ٠

[٢]- روى البخاري في صحيحه عن سهل بن سعد (رضي الله عنه) أنه سمع النبي -ﷺ-، يقول: يوم خيبر: «لأعطين الراية رجلا يفتح الله على يديه»، فقاموا يرجون لذلك أيهم يعطى، فغدوا وكلهم يرجو أن يعطى، فقال: «أين علي؟»، فقيل: يشتكي عينيه، فأمر، فدعي له، فبصق في عينيه، فبرأ مكانه حتى كأنه لم يكن به شيء، فقال: نقاتلهم حتى يكونوا مثلنا؟ فقال: «على رسلك، حتى تنزل بساحتهم، ثم ادعهم إلى الإسلام، وأخبرهم بما يجب عليهم، فو الله لأن يهدي بك رجل واحد خير لك من حمر النعم». ينظر: صحيح البخارى، باب [دعاء النبى - ﷺ-] ، جـ٤ ص٤٧ رقم الحديث[٢٩٤٢] .

وحديث أبي سعيد الخدري، قال: جاء رجل إلى النبي -ﷺ- فقال: إن أخي استطلق بطنه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم «اسقه عسلا» فسقاه، ثم جاءه فقال: إني سقيته عسلا فلم يزده إلا استطلاقا، فقال له ثلاث مرات، ثم جاء الرابعة فقال: «اسقه عسلا» فقال: لقد سقيته فلم يزده إلا استطلاقا، فقال رسول الله ﷺ: «صدق الله، وكذب بطن أخيك» فسقاه فبرأ "الإمام مسلم بن الحجاج: صحيح مسلم(باب التداوي بسقي العسل)، ج ٤ ص ١٧٣٦ رقم الحديث(٢٢١٧) . ٠

[٣]- أخرجه البخاري ومسلم، ينظر: صحيح البخاري، باب التماس الوضوء إذا حانت الصلاة، كتاب الوضوء ج ١ ص ٤٥ رقم ١٦٩، وينظر: صحيح مسلم في معجزات النبي -ﷺ-، كتاب الفضائل ج ٤ ص ١٧٨٣ رقم ٢٢٧٩ .

[٤]- أخرجه البزار في مسنده٤٣٤/٩حديث رقم ٤٠٤٤(مسند البزار لأبي بكر أحمد بن عمرو بن عبد الخالق تحقيق: محفوظ الرحمن زين الله مكتبة العلوم والحكم- المدينة المنورة، ط: الأولى، وقال الهيثمي: أخرجه البزار ورجاله ثقات وفي بعضهم ضعف، ينظر: مجمع الزوائد ٢٩٩/٨.

٥- ينظر: الباقلاني: الإنصاف ص٥٩-٦٠.

٦- الجويني: الإرشاد ص٣٣١،

٧- الإرشاد ص٣٣٢- ٣٥٣، وينظر كذلك: رسالة إلى أهل الثغر ص ١٦٨-١٨٩.

ثالثهما : أنه أخبر عن الغيب والإخبار عن الغيب معجز.

الطريق الثاني: إثبات نبوته-عليه السلام- بالاستدلال بأخلاقه، وأفعاله، وأحكامه، وسيره.

الطريق الثالث : إخبار الأنبياء المتقدمين في كتبهم السماوية عن نبوته.[١] .

ويقرر الإمام (الرازي) أن التمسك بطريق المعجزات من باب (برهان الآن)، وهو الاستدلال بالأثر علي المؤثر، أما الاستدلال بأحواله، وتأثير دعوته وانتشاره، وهو الطريق الثاني فهو من باب (برهان اللم)، وهو عنده أكمل وأفضل من الطريقة الاولي[٢].

إذن مع اعتداد (الرازي) بالمعجزة إلا أن الأولى عنده دلالة هو الاستدلال بأحواله وتأثير دعوته وانتشار دينه.

٢- رأي الماتريدية :

يقرر الإمام (أبو منصور الماتريدي) عدة وجوه في إثبات نبوة الأنبياء وبخاصة رسولنا (ﷺ) فقال: "إنها تثبت بالجوهر، ثم بآيات حسية وعقلية، ثم بموافقة ظهور الأحوال التي هي أحوال الحاجة إليه"[٣].

أي مما يثبت رسالته بلوغه الكمال في جوهره أي خلقته وخُلقه، ثم المعجزات الحسية كحنين الجذع وغيره، والعقلية المتمثلة في القرآن وإعجازه، ثم بموافقة مجيئه وقت الحاجة إذ كان الوقت وقت فترة ودروس للعلم .

أما الإمام (أبو معين النسفي)، فيرى أن النبي أتي بمعجزات خارجة عن مقدور البشر ولا قدرة عليها إلا لله تعالي فتصديق الله إياه بهذه الخوارق بعد ادعاء النبوة نازل منزلة قوله: صدقت.

ومن الأمور الأخرى التي تثبت النبوة عنده فيما مضي من الأزمنة اهتداء الناس إلي الأغذية، والأدوية، والعلوم، وغيرها، وكلها أمور تقصر عنها العقول إذ لابد أن كلها توقيف من عند الله بوحي إلى من اصطفاه لرسالته[٤].

إذن فالجميع متفقون على دلالة المعجزة العقلية(القرآن)، والحسية على صدق الرسول-ﷺ- .

وأضاف (الرازي) أحواله وأخلاقه وإخبار الأنبياء عنه.

وأضاف أبو منصور جوهره (الخلقة السليمة من العيوب والأخلاق السامية).

ثانيا: رأي الفلاسفة:

١- ينظر: الرازي: محصل أفكار المتقدمين والمتأخرين ص ٢٠٨ .

٢- ينظر: الرازي: النبوات وما يتعلق بها ص ١٨٤، وكذلك أصول الدين ص ٩٧.

٣- أبو منصور الماتريدي : كتاب التوحيد ص ٢٧٦.

٤- أبو معين النسفي: تبصرة الأدلة ج ١ ص٤٧٢، ٤٧٥ .

ينتقد (ابن رشد) من يرى أن الخارق هو دليل صدق النبوة، ولا يعتبر إلا بالقرآن الكريم في إثبات رسالة النبي (ﷺ)، فيقول: "وأنت تتبين من حال الشارع (ﷺ)أنه لم يدعُ أحدا من الناس، ولا أمة من الأمم إلى الإيمان برسالته، وبما جاء به بأن قدم على يدي دعواه خارقا من خوارق الأفعال، مثل قلب عين من الأعيان إلى عين أخرى، وما ظهر على يديه -ﷺ- من الكرامات الخوارق، فإنما ظهرت في أثناء أحواله من غير أن يتحدى بها ...فخارقه (ﷺ)الذي تحدى به الناس، وجعله دليلا على صدقه فيما ادعى من رسالته هذا الكتاب العزيز"[١].

وكون القرآن دليلا على صدق رسالته مبني على أصلين عند (ابن رشد):

أحدهما: أن الصنف الذي يسمون رسلا وأنبياء معلوم وجودهم بنفسه، وهم الذين يضعون للناس الشرائع بوحي من الله.

الأصل الثاني: أن كل من وجد منه هذا الفعل(وضع الشرائع بوحي من الله تعالى) فهو نبي.

والدليل على كون القرآن خارقا ومعجزا من نوع الخارق الذي يدل دلالة قطعية على صدق النبوة يرى ابن رشد أن ذلك متحقق من عدة وجوه:

الأول: أن الشرائع التي تضمنها من العلم والعمل ليست مما يمكن أن يكتسب بتعلم بل بوحي .

الثاني: ما تضمنه من الإعلام بالغيوب.

الثالث: من نظمه الذي هو خارج عن نظم بلغاء العرب[٢] .

إذن تختلف رؤية (ابن رشد) عن المتكلمين في الاعتداد بالقرآن فقط دون المعجزات الحسية .

ثالثا: رأي العلماء حديثا:

كلام العلماء المعاصرين يصب في اتجاه اعتبار القرآن هو المعجزة الدالة على صدق الرسول؛ لدلالتها العقلية العلمية، وسوف أستعرض بعضا من أقوالهم كالتالي:

١- الشيخ محمد عبده:

يرى الشيخ (محمد عبده) حال النبي - ﷺ- مع نزول القرآن عليه دليلا نبوته ورسالته فيقول: "جاء القرآن فانتهج بالدين منهجا لم يقم عليه ما سبقه من الكتب المقدسة، منهجا يمكن لأهل الزمن الذي أنزل فيه، ولمن يأتي بعدهم أن يقوموا عليه، فترك الاستدلال على نبوة النبي - ﷺ- بما عهد الاستدلال به على النبوات السابقة، وحصر

١- ينظر: ابن رشد: مناهج الأدلة في عقائد الملة ص ٢١٤ تقديم وتحقيق: د/ محمود قاسم، ط: الثانية، مكتبة الأنجلو المصرية ١١٩٦٤م.

٢- ينظر: مناهج الأدلة في عقائد الملة ص٢١٧.

الدليل في حال النبي مع نزول الكتاب عليه في شأن من البلاغة يعجز البلغاء عن محاكاته فيه ولو في مثل أقصر سورة منه"[١].

فالقول بأن الاستدلال على نبوته خالف النبوات السابقة قول بأن الخوارق كانت دليل من سبقه، أما نبوته فاقتصرت على طريقين: أحواله وإعجاز القرآن العظيم، ومما يؤيد ذلك أنه في رسالته لم يتحدث إلا عن القرآن الكريم فقط، ولم يتعرض لا إجمالا ولا تفصيلا لسائر المعجزات الحسية.

وقال أيضا في النص على القرآن الكريم كدليل لنبوته: "فثبت بهذه المعجزة العظمى وقام الدليل بهذا الكتاب الباقي الذي لا يعرض عليه التغيير ولا التبديل، أن نبينا محمدا- صلى الله علي وسلم- رسول الله إلى خلقه، فيجب التصديق برسالته، والاعتقاد بجميع ما ورد في الكتاب المنزل عليه، والأخذ بكل ما ثبت عنه من هدي وسنة متبعة"[٢].

وللحقيقة لم يرد في الرسالة نص يصرح برأيه في باقي المعجزات، فما ورد اقتصر على القرآن الكريم، فلا أستطيع الجزم هل رؤيته هي نفس رؤية الفلاسفة أم يكون له رؤية غيرها.

٢- محمد رشيد رضا:

يلتقى (رشيد رضا) مع الفلاسفة في اعتبار القرآن هو الآية الدالة على صدق الرسول، ويعلل ذلك بأن البشر قد دخلوا في طور الرشد الذي لا يقيم وزنا سوى لقواعد العلم والعقل لا للخوارق، فيقول: "إن الله تعالى جعل نبوة محمد ورسالته قائمة على قواعد العلم والعقل في ثبوتها وفي موضوعها؛ لأن البشر قد بدؤوا يدخلون في سن الرشد والاستقلال النوعي الذي لا يخضع عقل صاحبه فيه لاتباع من تصدر عنهم أمور عجيبة مخالفة للنظام المألوف في سنن الكون...فجعل حجة نبوة خاتم النبيين عين موضوع نبوته، وهو كتابه المعجز للبشر بهدايته، وبعلومه، وبإعجازه اللفظي والمعنوي، وبأنباء الغيب الماضية والحاضرة والآتية فيه ليرى البشر على الترقي في هذا الاستقلال إلى ما هم مستعدون له من الكمال"[٣].

أما عن المعجزات الحسية عنده فهي نوع من الرحمة والعناية لا حجة للتحدي فيقول "وأما ما أكرمه الله تعالى به من الآيات الكونية فلم يكن لإقامة الحجة على نبوته ورسالته، بل كان من رحمة الله تعالى، وعنايته به، وبأصحابه في الشدائد كنصرهم على المعتدين من الكفار الذين يفوقونهم عددا وعتادا واستعدادا بالسلاح والطعام"[٤].

٣- محمد حسين هيكل:

١- الشيخ محمد عبده: رسالة التوحيد ص ١٨.

٢- ينظر: الشيخ محمد عبده: رسالة التوحيد ص ١٣٤.

٣- الوحي المحمدي ص٤٧. مؤسسة اقرأ ٢٠١٤م.

٤- الوحي المحمدي ص ٤٨. مؤسسة اقرأ ٢٠١٤م.

ويقرر الدكتور (هيكل) نفس الحجة السالفة في اعتبار القرآن هو آية التحدي دون غيره من المعجزات، فيقول: "أراد الله أن تكون معجزة محمد معجزة إنسانية عقلية لا يستطيع الإنس والجن الإتيان بمثلها...ولو أراد الله أن تكون المعجزة المادية وسيلة إلى اقتناع من نزل الإسلام على رسوله بينهم لكانت ولذكرها في كتابه لكن من الناس من لا يصدقون إلا ما يقره العقل؛ لذلك كانت الوسيلة إلى إقناع الناس كافة برسالة محمد أوثق ما تكون اتصالا بقلوبهم وعقولهم، فجعل الله القرآن حجته البالغة معجزة الأمي إليهم"[١].

أما عن المعجزات الحسية فيقول (هيكل): "إن ما ورد في كتب السيرة، والحديث عن المعجزات قد اختلف فيه أحيانا، وقد كان على الرغم من ثبوته في كتب الحديث موضع النقد أحيانا أخرى...وهذا الاختلاف في الوقائع يجعل تأكيدها والقطع بها أمرا غير ميسور في نظر العلم"[٢].

لذا يرى (هيكل) أن القرآن هو المعجزة الخالدة المعتبرة؛ لكونها عقلية يقينية موجودة؛ ولذا فقد اختار السبيل في دراسة حياة محمد كلها الدراسة العلمية على الطريقة الحديثة.

إذن فحديث العلماء في العصر الحديث والمعاصر يقترب من معنى واحد، وهو اعتبار القرآن هو المعجزة الدالة على صدق الرسول، أما سائر المعجزات الحسية المادية فلا يعولون عليها؛ لاختلاف الروايات حولها؛ ولأنه ممكن أن يتوجه إليها نقد من الغرب كما يرى (هيكل)، أو أنها عرضة للنقد وكان وقوعها رحمة وعناية للرسول وصحابته في الشدائد وليست لإقامة الحجة كما يرى (رشيد رضا).

ومن الملاحظ تقارب رأي المحدثين مع الفلاسفة الإسلاميين في الاعتماد على القرآن الكريم، وعدم الاعتبار بالخوارق والمعجزات الحسية .

١- د/ هيكل: حياة محمد ص ٧٢. الهيئة المصرية العامة للكتاب، ط : السادسة ٢٠١٢م.

٢- د/ هيكل: حياة محمد ص ٧٥.

المطلب الثالث: دلائل النبوة عند فتح الله كولن :

ويسميها (كولن) علامات النبوة، وتنحصر في علامات قبل النبوة، وبشارات الأنبياء به، وأخلاقه، وانتشار دعوته، والمعراج، ومعجزة القرآن الكريم .

أولا :علامات سبقت نبوته (ﷺ)وهي :

١- رحلته الأولي إلي الشام وتصريحات (بَحِيرَى) الراهب بشأن نبوة محمد (ﷺ)حيث رأي (بحيرى) غمامة تظله -ﷺ- وسأل عن حاله ورأى عليه علامات النبوة، فعلم أنه نبي آخر الزمان، فطلب من عمه أن يرجع به حتى لا يراه اليهود فيعرفونه بصفته فيقتلوه[١].

٢- رحلته الثانية إلي الشام، وكان عمره وقتها خمسة وعشرين عاما في قافلة تجارية للسيدة خديجة بنت خويلد، ومعرفة أحد الرهبان ويسمى (نَسْطُورا) بكونه نبيا من علامات النبوة كإظلال الغمام له[٢] .

٣- الرؤيا الصادقة: فكان لا يرى رؤيا إلا جاءت مثل فلق الصبح[٣] يقول كولن: "أما صاحب أعظم روح وأسماها، والذي أغرق الدنيا بالنور، فقد بدأ سيره في بحار الحقيقة والمعرفة بالرؤى"[٤] .

ثانيا: بشارات الأنبياء والكتب السماوية به :

أ- دعاء (إبراهيم) وبشارة (عيسى) -عليهما السلام-:

سأله أحد الصحابة يوما ما كان بدء أمرك فقال: "أنا دعوة إبراهيم وبشري عيسي بن مريم"[٥]، أما دعاء إبراهيم: ﴿ رَبَّنَا وَٱبۡعَثۡ فِيهِمۡ رَسُولٗا مِّنۡهُمۡ يَتۡلُواْ عَلَيۡهِمۡ ءَايَٰتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ

١- ينظر: كولن: النور الخالد ص ٣٤.والقصة بتمامها عند ابن اسحاق في السير. ينظر: محمد بن إسحاق بن يسار المطلبي بالولاء، المدني (المتوفى: ١٥١هـ) : سيرة ابن إسحاق (كتاب السير والمغازي) ص ٧٣/١، تحقيق: سهيل زكار، الناشر: دار الفكر - بيروت، الطبعة: الأولى ١٣٩٨هـ /١٩٧٨م.

٢- النور الخالد ص ٣٥.والقصة أخرجها ابن هشام في السيرة النبوية ص ١٨٨/١.

٣- " لا يرى رؤيا إلا جاءت كفلق الصبح" جزء من حديث للسيدة عائشة أخرجه البخاري في صحيحه باب بدء الوحي (ج ١ ص ٧ رقم ٣).

٤- كولن: الموازين ص ٩٢.

٥- كنز العمال، في معجزاته - ﷺ- الباب الأول في فضائل نبينا – ﷺ-، كتاب الفضائل من قسم الأفعال (ج ١١ ص ٣٨٤ رقم ٣١٨٣٠)، والحديث: (قال الحاكم: صحيح الإسناد ولم يخرجاه)، ينظر: أبو عبد الله الحاكم محمد بن عبد الله بن محمد بن حمدويه بن نُعيم بن الحكم الضبي الطهماني النيسابوري المعروف بابن البيع (المتوفى: ٤٠٥هـ):المستدرك على الصحيحين رقم ٤١٧٤ج ٢ ص ٦٥٦.تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت، ط: الأولى ١٤١١هـ - ١٩٩٠م.

ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ ۚ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴾ [١]، أما بشرى عيسى فقوله الذي حكاه القرآن الكريم: ﴿ وَإِذْ قَالَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ يَٰبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُم مُّصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَىَّ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ وَمُبَشِّرًۢا بِرَسُولٍ يَأْتِى مِنۢ بَعْدِى ٱسْمُهُۥٓ أَحْمَدُ ۖ فَلَمَّا جَآءَهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ قَالُوا۟ هَٰذَا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴾ [٢] .

ب- بشارات التوراة والإنجيل به:

فمن دلائل نبوته ما ورد في الكتب المقدسة من بشارات به يقول (كولن): "ومع أن الكتب المنزلة القديمة حرفت، فإن علماء أجلاء من أمثال العلامة (رحمة الله الهندي)[٣] والعلامة (الجسر)[٤] وجدوا في هذه الكتب أربع عشرة ومئة بشارة ونصا حول مجيء هذا الرسول الكريم، أجل، فقد أجمع الأنبياء اعتبارا من داود، وسليمان، وموسى - عليهم السلام- وانتهاء إلي يحيى، وزكريا، وعيسى - عليهم السلام- علي البشارة بقدوم هذا الرسول الكريم"[٥] .

وقد ذكر (كولن) عدة نصوص من التوراة منها :

١- "جاء الله من سيناء، وأشرق لهم من ساعير، واستعلن من جبال فاران"[٦]، وقد شرح (كولن) هذا النص بأن سيناء الموضع الذي كلم الله فيه موسي، أما ساعير ففلسطين، حيث

١- سورة البقرة الآية: ١٢٩.

٢- سورة الصف الآية:٦.ينظر النور الخالد ص ٣٥.

٣- رحمت الله الهندي: (١٢٣٣-١٣٠٨هـ= ١٨١٨- ١٨٩١م):محمد رحمت الله بن خليل الرحمن الكيراوي العثماني الهندي الحنفي، نزيل الحرمين باحث عالم بالدين والمناظرة، ولد في كيرانه بالهند وبدأ تعليمه الأول على يد والده، وأفراد عائلته المشهورين بالعلم والدين، وحفظ القرآن، وأتقن الفارسية، ثم ارتحل إلى دلهي لطلب التعليم العالي، فدرس الطب وآداب اللغة الفارسية والعلوم الرياضية والهندسية، وظهر نبوغه في العلوم الشرعية، فتصدر للدرس والإفتاء، وافتتح مدرسة في كيرانه، ولما زاد النفوذ التنصيري بالهند أثناء الاحتلال الإنجليزي تفرغ للتأليف والرد على المنصرين وناظر القس (فندر) في مناظرة علنية، وكانت الغلبة للشيخ، فأراد الانجليز قتله، فهاجر إلى مكة، واستقر بها، وأعطي إجازة التدريس في المسجد الحرام، وافتتح مدرسة (الصولتية) بمكة، من مؤلفاته: إظهار الحق- التنبيهات في إثبات الاحتياج إلى البعثة والحشر والميقات، وتوفي بها ١٣٠٨هـ عن عمر يقارب خمسا وسبعين سنة. الموقع الرسمي للمكتبة الشاملة//author/٥ htt://shamela.ws/index.php/

٤- هو العالم الشيخ حسين الجِسر بن محمد بن مصطفي الجسر، أديب وفقيه. ولد بطرابلس الشام سنة ١٢٦١هـ "١٨٤٥ميلادية"، وتلقى مبادئ العلوم على صهره عبد القادر الرافعي، ورحل إلي مصر، والتحق بالأزهر، وعاد طرابلس سنة ١٢٨٤هـ ١٨٦٧ميلادية، واشتغل بالفقه والصحافة، وأنشأ جريدة طرابلس، وأسس مدرسة، وتوفر على التأليف من مؤلفاته: "نزهة الفكر" في ترجمة أبيه- رياض طرابلس (عشرة أجزاء مجموعة دراسات) - والرسالة المحمدية في حقيقة الديانة الإسلامية- وإشارات الطاعة في حكم صلاة الجماعة- والكواكب الدرية في الفنون الأدبية، وله نظم شعر كثير، توفي عام ١٣٢٧هـ الموافق ١٩٠٩ميلادية، وخلف ابنا فقيها هو محمد الجسر توفي عام ١٣٥٣هـ رحمه الله ووالده وجميع المسلمين، وقد ترجم للشيخ حسين الجسر ترجمة مطولة الشيخ محمد رشيد رضا في مجلة المنار ١٣٢٧هـ.ينظر:عبد الرحمن بن عبد اللطيف بن عبد الله بن عبد اللطيف : مشاهير علماء نجد وغيرهم ص ٢٨٩/١.

٥- كولن: أضواء قرآنية ص ١٣٤.

٦- ينظر: سفر التثنية باب ٣٣(موسى يبارك الأسباط) الآية: ٢، ص ٢٥٠ من الكتاب المقدس.

جاء الوحي إلي عيسى(عليه السلام)، أما جبال فاران - مكة-، فقد ظهر محمد (صلى الله عليه وسلم)[١] .

٢- "وسوف أقيم لهم نبيا مثلك من بين إخوتهم، وأجعل كلامي في فمه، ويكلمهم بكل شيء آمر به"[٢].

فالله يخاطب موسى -عليه السلام- إنني سأرسل لهم - لبني اسرائيل- نبيا مثلهم ومن بين إخوتهم لكي يبلغهم بأوامري[٣]

أما بشارات الإنجيل به - صلي الله عليه وسلم-:

فيضرب (كولن) أمثلة عديدة منها: ١- "جاء في إنجيل يوحنا: "إن كنتم تحبونني أطعتم أوامري أما أنا فسأبتهل إلى الرب ليرسل لكم معينا آخر وروح الحقيقة فارقليط لكي يبقى معكم على الدوام"[٤].

ويأتي (فارقليط) بمعني روح الحق الذي يفرق بين الحق والباطل، وهو محمد (ﷺ)[٥].

٢- وجاء في إنجيل يوحنا قول المسيح: لن أكلمكم كثيرا بعد، فإن سيد هذا العالم قادم علي ولا شيء له فيّ"[٦] .

فلفظ سيد العالم إشارة إلى نبينا محمد- ﷺ-.

إلي جانب ذلك كان عدد كبير من الحنفاء يبشرون بقدومه مثل: (زيد بن عمرو بن نقيل) و(ورقة بن نوفل)، وكذا حبر اليهود (عبد الله بن سلام)، ولكن كولن يتساءل لماذا لم يؤمن هؤلاء اليهود والنصارى رغم تلك البشارات وغيرها، يرى (كولن) أن ذلك راجع لعدة أسباب :

١- الغيرة والحسد كونه عربيا، ولم يكن يهوديا، ولا نصرانيا رغم معرفتهم التامة بكونه رسول الله﴿ وَلَمَّا جَآءَهُمْ كِتَٰبٌ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَهُمْ وَكَانُوا۟ مِن قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى

١- ينظر: كولن: النور الخالد ص ٣٦.

٢- ينظر: سفر التثنية باب ١٨ الآية:١٨ ص ٢٣١ من الكتاب المقدس.

٣- كولن: النور الخالد ص ٣٧.

٤- كل النصوص التي أوردها كولن، وفيها لفظ (فارقليط) وجدتها في الانجيل بلفظ (المعزى)، وهذا النص الذي استشهد به جاء بلفظ: "إن كنتم تحبونني فاحفظوا وصاياي، وأنا أطلب من الآب، فيعطيكم معزيا آخر ليمكث معكم إلى الأبد". ينظر: انجيل يوحنا الباب ١٤ الآية: ١٠، ١٦ ص ١٤٤ من الكتاب المقدس.

٥- النور الخالد ص ٤٠.

٦- والنص بلفظه: "لا أتكلم أيضا معكم كثيرا لأن رئيس هذا العالم يأتي وليس له في شيء" ينظر: انجيل يوحنا يوحنا باب ١٤ الآية" ٣٠ ص ١٤٥ من الكتاب المقدس.

ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فَلَمَّا جَآءَهُم مَّا عَرَفُواْ كَفَرُواْ بِهِۦۚ فَلَعۡنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلۡكَٰفِرِينَ ﴾[١].

٢- شعور المنافسة: وهو نفس شعور قريش تجاه النبي- ﷺ- ورسالته، ففي رواية لأبي جهل قال: "تنازعنا نحن، وبنو عبد مناف الشرف أطعموا فأطعمنا، وحملوا فحملنا، وأعطوا فأعطينا حتي إذا تجاثينا علي الركب، وكنا كفرسي رهان قالوا: منا نبي يأتيه الوحي من السماء، فمتي ندرك هذه، والله لانسمع له أبدا، ولا نصدقه"[٢].

٣- أسباب أخرى كمشاعر الخوف، والطمع، والحرص، والعناد مع علمهم أنه نبي ﴿ قَدۡ نَعۡلَمُ إِنَّهُۥ لَيَحۡزُنُكَ ٱلَّذِي يَقُولُونَۖ فَإِنَّهُمۡ لَا يُكَذِّبُونَكَ وَلَٰكِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ يَجۡحَدُونَ ﴾[٣] .

ثالثا: أخلاق الرسول دليل نبوته:

وقد استفاض (كولن) في ذكر أخلاقه الكريمة، وذكر أمثلة عديدة على ذلك في كتابه النور الخالد، بل وجعل أخلاقه وأحواله سببا في تفضيله على جميع الأنبياء والمرسلين كما سنذكر بعد قليل.

فيرى (كولن) - مثلا - في كلامه عن صفة الصدق عند النبي(ﷺ) أن أقواله علامة صدقه وصدق نبوته، ويقرر أن هناك ما يقارب من ثلاثمائة معجزة نبوية مذكورة في أحاديثه- ﷺ، وقد قسمها إلى ثلاثة مجموعات:

الأولى: أخبار الغيب المتعلقة بزمانه: مثل معرفته مصارع أهل بدر قبل المعركة[٤]، وما يدور بنفس (أبي سفيان) من هم على الحشد لقتاله بعد فتح مكة[٥]، وما اتفق عليه (عمير بن وهب) و(صفوان بن أمية) من قتله-ﷺ-[٦]، وغيرها.

---

[١]- سورة البقرة الآية:٨٩.

[٢]- الشيخ أبو بكر البيهقي: "دلائل النبوة ومعرفة أحوال صاحب الشريعة"، باب (اعتراف مشركى قريش)ج ٢ ص٢٠٦ الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت الطبعة: الأولى - ١٤٠٥ هـ.

٣- النور الخالد ص ٤٨ .سورة الأنعام الآية:٣٣.

٤- والحديث أخرجه مسلم في صحيحه عن عمر" إِنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، كَانَ يُرِينَا مَصَارِعَ أَهْلِ بَدْرٍ، بِالْأَمْسِ، يَقُولُ: «هَذَا مَصْرَعُ فُلَانٍ غَدًا، إِنْ شَاءَ اللهُ»، قَالَ: فَقَالَ عُمَرُ: فَوَالَّذِي بَعَثَهُ بِالْحَقِّ مَا أَخْطَئُوا الْحُدُودَ الَّتِي حَدَّ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ". ينظر: صحيح مسلم، كتاب صفة القيامة والجنة والنار، باب عرض مقعد الميت من الجنة أو النار ص ٢٢٠٢/٤ رقم ٢٨٧٣.

٥- عَنْ أَبِي إِسْحَاقَ السَّبِيعِيِّ، أَنَّ أَبَا سُفْيَانَ بْنَ حَرْبٍ بَعْدَ فَتْحِ مَكَّةَ كَانَ جَالِسًا فَقَالَ فِي نَفْسِهِ: لَوْ جَمَعْتُ لِمُحَمَّدٍ جَمْعًا إِنَّهُ لَيُحَدِّثُ نَفْسَهُ بِذَلِكَ إِذْ ضَرَبَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بَيْنَ كَتِفَيْهِ وَقَالَ إِذًا يُخْزِيَكَ اللهُ قَالَ فَرَفَعَ رَأْسَهُ فَإِذَا النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَائِمٌ عَلَى رَأْسِهِ، فَقَالَ مَا أَيْقَنْتُ أَنَّكَ نَبِيٌّ حَتَّى السَّاعَةِ، إِنْ كُنْتُ لَأُحَدِّثُ نَفْسِي بِذَلِكَ". ينظر: البيهقي: دلائل النبوة، باب(إسلام هند بنت عتبة بن ربيعة)، كتاب جماع أبواب فتح مكة ص ١٠٢/٥.

[٦]- والقصة بكاملها أخرجها المقريزي، ينظر: أحمد بن علي بن عبد القادر، أبو العباس الحسيني العبيدي، تقي الدين المقريزي (المتوفى: ٨٤٥هـ): إمتاع الأسماع بما للنبي من الأحوال والأموال والحفدة والمتاع، المحقق: محمد عبد الحميد النميسي، الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤٢٠ هـ - ١٩٩٩ م

الثانية: الأخبار المتعلقة بالمستقبل: سواء المستقبل القريب من فتن، ونصر للمسلمين وقتل لبعض أصحابه، أو المستقبل البعيد كإخباره عن فتح اسطنبول[١] والوهن الذي يصيب الأمة[٢].

الثالثة: الأخبار المتعلقة بالعلوم المختلفة:

فما ذكره النبي من مسائل تتعلق بالعلوم منذ أربعة عشر قرنا تقطع العلوم الحديثة - بعد أشواط ومراحل وقرون- بصدقه فما من حديث تعرض لتكذيب أو لتخطئه، وهذا دليل شاهد على صدقه فقول الرسول: " فر من المجذوم كما تفر من الأسد"[٣] دعوة للوقاية والحجر الصحي حتى لا يتلوث السليم بالمرض، وحديث ولوغ الكلب[٤] ووجوب التطهير بالماء والتراب أثبت العلم ضرر برازه ولعابه، وغيرها الكثير. فقد ذكر ما يقرب من اثنا عشر حديثا يخص عدة علوم، وشرح كيف أيدها العلم الحديث وهذا جانب من إعجاز السنة وصدق صاحبها - عليه الصلاة والسلام-[٥].

فكل ما أخبر به النبي –ﷺ من أمور قريبة أو بعيدة صدقها الواقع، وهذا دليل على نبوته، ومن الملاحظ هنا أن الأستاذ مهتم أيضا بمسألة الإعجاز العلمي في السنة - كما القرآن- فقد سرد عدة أحاديث أيدها العلم الحديث، وهو دائما حريص على استخدام العلوم بما يخدم مسائل العقيدة .

وهذا بالنسبة للصدق وقد عرض جميع أخلاقه الأخرى تفصيلا فيقول مثلا عن فطنته وصبره ورحمته: "قد تصل العلوم إلى نقطة معينة فلا تستطيع تجاوزها إلا أن الفطنة النبوية والمنطق النبوي تحلق فوق الذرى التي تبدو مستحيلة البلوغ، وهذا الأمر دليل آخر على نبوته، ونحن نحاول أن نستخرج دليل نبوته في كل صفة من صفاته، فعندما نرى صبره لا يسعنا إلا التصديق بأنه رسول الله ...فالذي تحدى المهالك جميعها وتصدى للمصائب بهذا الشكل لابد أن يكون رسول الله، وعندما ندقق سيرته من ناحية رحمته تظهر أمامنا الحقيقة نفسها كالشمس في رابعة النهار"[٦].

---

[١]- والحديث: " لتفتحن القسطنطينية فلنعم الأمير أميرها ولنعم الجيش ذلك الجيش "مسند أحمد برقم ١٨٩٥٧باب حديث بشر الخثعمي مسند الكوفيين ج ٣١ص ٢٨٧ .وينظر أبو القاسم الطبراني: المعجم الكبير رقم ١٢١٧ باب بشر الغنوي باب الباء ج ٢ ص ٣٨. وقال الهيثمي: أخرجه أحمد والبزار والطبراني ورجاله ثقات .ينظر: أبو الحسن نور الدين علي بن أبي بكر بن سليمان الهيثمي (المتوفى: ٨٠٧هـ) مجمع الزوائد ومنبع الفوائد رقم ١٠٣٨٤ج ٦ ص ٢١٨.

[٢]- عَنْ ثَوْبَانَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «يُوشِكُ الْأُمَمُ أَنْ تَدَاعَى عَلَيْكُمْ كَمَا تَدَاعَى الْأَكَلَةُ إِلَى قَصْعَتِهَا»، فَقَالَ قَائِلٌ: وَمِنْ قِلَّةٍ نَحْنُ يَوْمَئِذٍ؟ قَالَ: «بَلْ أَنْتُمْ يَوْمَئِذٍ كَثِيرٌ، وَلَكِنَّكُمْ غُثَاءٌ كَغُثَاءِ السَّيْلِ، وَلَيَنْزَعَنَّ اللَّهُ مِنْ صُدُورِ عَدُوِّكُمُ الْمَهَابَةَ مِنْكُمْ، وَلَيَقْذِفَنَّ اللَّهُ فِي قُلُوبِكُمُ الْوَهْنَ»، فَقَالَ قَائِلٌ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، وَمَا الْوَهْنُ؟ قَالَ: «حُبُّ الدُّنْيَا، وَكَرَاهِيَةُ الْمَوْتِ» والحديث أخرجه أبو داود وقال الألباني: صحيح. ينظر سنن أبو داود باب في تداعي الأمم على الإسلام كتاب الملاحم (ص ١١١/٤ رقم ٤٢٩٧).

[٣]- أخرجه البخاري في صحيحه، باب الجذام، كتاب الطب،(ص ٧/ ١٢٦ رقم ٥٧٠٧).

[٤]- عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «طَهُورُ إِنَاءِ أَحَدِكُمْ إِذَا وَلَغَ فِيهِ الْكَلْبُ، أَنْ يَغْسِلَهُ سَبْعَ مَرَّاتٍ أُولَاهُنَّ بِالتُّرَابِ». أخرجه مسلم في صحيحه، باب حكم ولوغ الكلب، كتاب الطهارة ص ١/ ٢٣٤ رقم ٢٧٩.

٥- ينظر: كولن: النور الخالد ص ٨٨- ١٢٣.

٦- ينظر: كولن: النور الخالد ص ٢٧٠.

إذن فأخلاقه- ﷺ- دليل واضح على نبوته ورسالته، وقد سبقه في هذا الباب عدد من المتكلمين القدامى كالإمام أبو منصور الماتريدي، والإمام الرازي، وقد سقت كلامهما سابقا.

وكذا من المعاصرين من سبقه في التعداد لأخلاق النبي وخصائصه كجمال الدين القاسمي[١]، و(بديع الزمان النورسي) حيث اعتبر (النورسي) أخلاقه، ومعاملاته، وسلوكه مع الناس من دلائل نبوته أيضا[٢] .

رابعا: أثر النبوة في تغيير العالم دليل صدقه:

فقد انتشر دينه شرقا وغربا، ووصلت دعوته، وبلغت مبلغا لم يقع مع أي نبي قبله أو دين من الأديان، وزالت بدعوته الجهالات، والانحرافات، وهذا ما لم يحدث قبله، يقول كولن :"إن الرسول وصل إلى مرتبة لم يصل إليها أحد إذا أخذنا في نظر الاعتبار النور الذي نشره من ناحية الكم، ومن ناحية الكيف أيضا، ولا يستطيع أحد الوصول إليه، وهذا من الناحية العملية أكبر دليل وبرهان على عظمة الرسالة التي حملها ونشرها"[٣].

وقد سبقه في هذا الباب الإمام (الرازي)، و(أبو منصور الماتريدي) قديما وقد سقت كلامهما في هذا الشأن، ومن المعاصرين بديع الزمان النورسي[٤].

خامسا: معراجه - صلي الله عليه وسلم- :

من سائر معجزات النبي -غير القرآن- اقتصر (كولن) على معجزة معراج النبي - صلى الله عليه وسلم- كأحد أبرز خصائص النبي، ومن دواعي تفضيله على غيره من الأنبياء.

وقد اختلف المسلمون في معراجه - صلى الله عليه وسلم- هل كان بالروح وبالجسد أم بالروح فقط ؟، هل كان مناما أم يقظة؟، ثم هل رأى ربه بقلبه أم بعينه؟.

١- ثبوت المعراج:

أ- رأي المعتزلة:

يقرر القاضي (عبد الجبار) ثبوت الإسراء والمعراج وكونهما معجزتان من قبل الله كما كانت الريح من معجزات سيدنا سليمان-عليه السلام-، فيقول: "فإذا كان الصلاح أن يريه الآيات التي ببيت المقدس، فلابد من أن يسري به إلى هناك، وما روي في خبر

١- ينظر جمال الدين القاسمي: دلائل التوحيد ص ١٧٥ دار الكتب العلمية – بيروت- لبنان ١٤٠٥هـ - ١٩٨٤م.

٢- النورسي: الكلمات ص ٦٨٩، وينظر: الشعاع السادس ص ١٦٦الشعاعات (٤) كليات رسائل النور .

٣- كولن: أضواء قرآنية ص ١٣٦.

٤- النورسي: الكلمة التاسعة عشر /الكلمات ص ٢٥٨.

المعراج ففيه ما يجوز وفيه ما لا يصح كما ذكر فيه أنه تعالى في مكانه وأنه - صلى الله عليه سلم- كان يذهب إليه ويعود تعالى الله عن قولهم علوا كبيرا"[١]

إذن عند المعتزلة لا خلاف في أمر الإسراء، أما المعراج ففيه ما يجوز وفيه ما لا يصح وأورد القاضي فقط ما قيل عن وجود الله بمكان وتردد النبي عليه، ولم يذكر هل كان بالجسد والروح يقظة أم مناما؟.

وقذ ذكر (الزمخشري) الخلاف في المعراج بين القول أنه بالروح، أو رؤيا رآها ولم يرجح أحد الآراء[٢]، أما (النسفي) فقد ذكر أن المعتزلة اختاروا القول بكونه رؤيا، واستبعدوا الصعود إلى السماء؛ لأن الإنسان من طبعه السقوط وليس العلو[٣]، ولم اهتد إلى مصدر هذا النقل.

ب- رأي أهل السنة:

يتفق أهل السنة على ثبوت المعراج وكونه كان في اليقظة بالجسد والروح.

فيرى (الرازي) أن القول بالمعراج حق، أما من مكة إلي بيت المقدس؛ فلقوله تعالي: ﴿ سُبْحَٰنَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ لَيْلًا مِّنَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ إِلَى ٱلْمَسْجِدِ ٱلْأَقْصَا ٱلَّذِى بَٰرَكْنَا حَوْلَهُۥ لِنُرِيَهُۥ مِنْ ءَايَٰتِنَآ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴾ [٤]، وأما من المسجد الأقصى إلي ما فوق السموات؛ فلقوله تعالي: ﴿ لَتَرْكَبُنَّ طَبَقًا عَن طَبَقٍ ﴾ [٥].

أما استبعاد صعود شخص من البشر إلي ما فوق السماوات فهو بعيد لوجوه شتي:

الاول :أنه كما يبعد في العادة صعود الجسم الثقيل إلي الهواء العالي فكذلك يبعد نزول الجسم الهوائي إلي الأرض فلو صح استبعاد صعود محمد (ﷺ) لصح استبعاد نزول جبريل -عليه السلام-، وذلك يوجب إنكار النبوة.

والثاني : أنه لما لم يبعد انتقال إبليس في اللحظة الواحدة من المشرق إلي المغرب وبالضد، فكيف يستبعد ذلك من محمد (ﷺ)؟.

الثالث: الله تعالي قادر علي جميع الممكنات[٦] .

١- القاضي عبد الجبار: تنزيه القرآن عن المطاعن ص ٢٥٠.

٢- الزمخشري: الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل ص ٢/ ٦٤٨.

٣- النسفي: بحر الكلام ص ٢٨٩.

٤- سورة الإسراء الآية:١.

٥- سورة الانشقاق الآية:١٩.

٦- الرازي: أصول الدين ص ١١٠ ، ١١١.

وجاء في شرح المقاصد أن معراج رسول الله (ﷺ) كان في اليقظة، وبالجسد بإجماع القرن الثاني، ثم إلي السماء بالخبر المستفيض، ثم إلي الجنة، أو العرض، أو طرف العالم بخبر الواحد، وحديث عائشة "والله ما فقد جسد رسول الله"، وحديث معاوية "أنها كانت رؤيا صالحة" [١]لا يصلح حجة في مقابلة ما ورد من الاحاديث، وأقوال كبار الصحابة، وإجماع القرون اللاحقة، وأيضا لو كان المعراج بالروح أو في المنام لما أنكره الكفار كل هذا الإنكار[٢] .

أما الماتريدية فيرون كذلك أن المعراج كان في اليقظة من مكة إلى بيت المقدس، ثم من بيت المقدس إلى السماء؛ لأنه روي عن أكثر أصحاب رسول الله - ﷺ)، وحديث أم هانئ أنها قالت: قال النبي (ﷺ): ألا أحدثك بأعجب ما رأيت قالت: بلي يا رسول الله قال عليه - الصلاة والسلام- "كنت نائما وقلبي يقظان، فجاء جبريل وذكر الحديث إلي آخره"[٣].

وقد أجاب (أبو البركات النسفي) على اعتراضات المعتزلة حول المعراج (بكونه كان في الرؤيا؛ لأن العقل لا يقبل بغير ذلك، وأن من طبع الإنسان السقوط، وليس العلو) بقوله :

- الكافر يري نفسه في المنام أنه في السماء، وإنما يظهر في تخصيص النبي (ﷺ)أن كان ذلك في اليقظة.
- وأما قوله إن من طبعه السقوط أو الهبوط فجوابه أنه لا يصعد بنفسه، وإنما عرج به؛ لقوله تعالي: ﴿ سُبْحَٰنَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ لَيْلًا مِّنَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ إِلَى ٱلْمَسْجِدِ ٱلْأَقْصَا ﴾ فالحجر والمدر من طبعه السقوط، ومع هذا إذا رماه إنسان يصعد إلي الهوا، ثم يقول: "فالنبي (ﷺ)إذا كان مركبه البراق، وجبريل سابقه، والله تعالي هاديه أولى بأن يصعد إلي السماء، وكذلك من اتخذ قوسا وسهما يمكن له أن يرمي به السهم في الهواء، فالنبي (ﷺ) إذا كان السرى قوسه، ومركبه البراق، وخادمه جبريل بإذن الله أولى بأن يجاوز السموات"[٤].

١- ذكر الزيلعي حديث: عائشة رضي الله عنها:" والله ما فقد جسد رسول الله ﷺ ولكن عرج بروحه"، ثم قال: قال محمد بن إسحاق في السيرة: حدثني يعقوب بن عتبة بن المغيرة ابن الأخنس أن معاوية بن أبي سفيان كان إذا سئل عن مسرى رسول الله ﷺ قال: كانت رؤيا من الله صادقة، وحدثني بعض آل أبي بكر أن عائشة كانت تقول:" ما فقد جسد رسول الله ﷺ ولكن أسري بروحه". ينظر: جمال الدين الزيلعي : "تخريج الأحاديث والآثار الواقعة في تفسير الكشاف للزمخشري"جـ٢ باب [سورة بنى اسرائيل] ص٢٥٩ تحقيق الشيخ : عبد الله بن عبد الرحمن السعد الناشر: دار ابن خزيمة – الرياض الطبعة: الأولى، ١٤١٤هـ.وحديث عائشة ضعيف، أخرجه ابن اسحاق بإسناد منقطع. ينظر: علوي بن عبد القادر السقاف: تخريج أحاديث وآثار كتاب في ظلال القرآن، رقم ٥٨٠ج ١ ص ٢٩٩، دار الهجرة للنشر والتوزيع ط الثانية ١٤١٦هـ - ١٩٩٥م.
٢- ينظر: التفتازاني: شرح المقاصد المجلد الثالث ص ٣٠٧ .

٣- أبو معين النسفي: بحر الكلام ص ٢٨٧.أبو البركات النسفي: الاعتماد في الاعتقاد ص ٢٦٨.وحديث أم هانيء بدون قوله كنت نائما وقلبي يقظان أخرجه الإمام الطبراني في المعجم الكبير، باب عكرمة عن أم هانيء، ج ٢٤ ص ٤٣٢ رقم ١٠٥٩وعزاه ابن كثير في تفسيره إلى الطبراني ثم حكم عليه فقال: وعبد الأعلى بن أبي المساور كذاب. ينظر: تفسير القرآن العظيم ج ١٥ ص ٤١ تحقيق: سامي سلامة، دار طيبة للنشر والتوزيع، ط الثانية: ١٤٢٠هـ- ١٩٩٩م.

٤- النسفي: بحر الكلام ص ٢٨٩.

إذن الماتريدية هنا يثبون المعراج، وأنه كان في اليقظة لا في المنام، وكذا الأشاعرة كما سبق.

ج- رأي فتح الله كولن :

أكد (كولن) على ثبوت المعراج، وأنه كان بالروح والجسد، فيقول: " جمهور العلماء يرون أن معراجه كان بالروح والجسد معا، فجسده كان قد اكتسب نورانية وروحانية إلي درجة وصل بها إلي كل مكان وصل إليه روحه قد يستطيع غيره أن يعرج بروحه في منامه، ولكن المعراج بالروح والجسد كان من نصيب سيدنا محمد رسول الله (ﷺ) فقط"[١] .

ويقول في مقام مدح المصطفي (ﷺ) :

"هو المكرم بشرف رؤية عالم الآخرة، والاطلاع عليها بكل أعماقها، وهو لايزال في الدنيا، وقد كوفئ في لطف مقام المعراج بكرامة عمق عبوديته، وبالمواهب هناك في ذهابه، وبثمرات رسالته كهدايا حملها معه في إيابه"[٢].

يتحدث (كولن) هنا عن مشاهدات النبي في رحلته، والتي تتمثل في رؤية بعض عوالم الآخرة من نعيم الجنان وعذاب النيران، وعن حيازته شرف القرب ومخاطبة الله، وتلك مواهب لم تمنح لغيره، إضافة إلى الهدايا التي حملها معه إلى الأرض- ولعله يقصد فرض الصلاة والتخفيف على أمته -.

٢- رؤية النبي لله تعالى:

هل رأى النبي ربه سبحانه وتعالى تلك الليلة؟ اختلفت الآراء في ذلك على النحو التالي:

أ- رأي المتكلمين:

هناك ثلاثة آراء في المسألة هل كانت الرؤية بالبصر، أم بالقلب، أم التوقف:

الرأي الأول: الرؤية بالقلب:

فقد ذهب أهل السنة وجمهور الصوفية إلى كون النبي- ﷺ- رأى ربه بقلبه لا ببصره.

فقد نفى الأشاعرة الرؤية البصرية فجاء في المقاصد: "وما قال به بعض السلف من وقوع الرؤية بالبصر ليلة المعراج، فالجمهور علي خلافه، وقد روي أنه سئل (ﷺ):"هل رأيت ربك ؟ فقال: رأيت ربي بفؤادي"[٣].

١- كولن: النور الخالد ص .٥٩.

٢- كولن: ونحن نبني حضارتنا ص ١٦١.

٣- التفتازاني: شرح المقاصد المجلد الثالث ص ١٥٦.

وصرح (النسفي) بوجود خلاف في المسألة فقيل: رآه بقلبه وما رآه بعينه لما روي عن النبي (ﷺ) قيل له: هل رأيت ربك ليلة المعراج، فقال: "سبحان الله سبحان الله رأيت بفؤادي وما رأيت بعيني"[١]، وعن عائشة أنها قالت سألت رسول الله - ﷺ- عن الرؤية فأجاب مثل ذلك.. قال الله: ﴿ مَا كَذَبَ ٱلْفُؤَادُ مَا رَأَىٰٓ ﴾ ، و أضاف الرؤية إلي الفؤاد لا إلي العين[٢] .

فقد حكي (النسفي) قول الفريق الأول الذي يرى أن الرؤية كانت بالفؤاد، ولم يذكر الرأي الثاني، ويبدو أنه مع الرأي الأول.

وقد صرح (التفتازاني) بالرأي الأول، واختاره، فقال: "ثم الصحيح أنه -عليه السلام- إنما رأى ربه بفؤاده لا بعينه"[٣].

وجمهور الصوفية مع هذا الرأي، ودليلهم رواية عائشة - رضي الله عنها- "من زعم أن محمدا رأى ربه فقد كذب"[٤]، ومنهم الجنيد[٥]، والثوري[٦]، وأبو سعيد الخراز[٧].

---

[١]- أخرجه جلال الدين السيوطي في "مناهل الصفا في تخريج أحاديث الشفا" جـ١ باب [مناهل الصفا] ص٩٩ رقم الحديث [٤١٥] . تحقيق الشيخ/ سمير القاضي الناشر: مؤسسة الكتب الثقافية - دار الجنان للنشر والتوزيع الطبعة: الأولى، ١٤٠٨ هـ - ١٩٨٨م.
٢- بحر الكلام ص ٢٨٧.

٣- شرح العقائد النسفية ص ٩٢ تحقيق: الدكتور أحمد حجازي السقا مكتبة الكليات الزهرية ١٩٨٨م.

[٤]- عن مسروق، قال: كنت متكئا عند عائشة، فقالت: يا أبا عائشة، ثلاث من تكلم بواحدة منهن، فقد أعظم على الله الفرية، قلت: ما هن؟ قالت: من زعم أن محمدا -ﷺ- رأى ربه فقد أعظم على الله الفرية. الإمام مسلم: "المسند الصحيح " باب[معنى قوله تعالى : (ولقد رآه نزلة أخرى)] ج ١ص١٥٩، رقم الحديث [١٧٧].
وقد ورد بلفظ أخر : عن مسروق عن عائشة قالت: "من زعم أن محمدا رأى ربه فقد أعظم على الله الكذب وعلى رسوله" أنا سألته فقال (رأيت جبريل).والحديث: صحيح، وإسناده ضعيف .الشيخ أبو نعيم الأصبهاني: " المسند المستخرج على صحيح الإمام مسلم" جـ١ ص٢٤١ رقم الحديث [٤٤١] تحقيق الشيخ: محمد حسن إسماعيل الشافعي الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت – لبنان الطبعة: الأولى، ١٤١٧هـ - ١٩٩٦م.
[٥]- الجنيد: أبو القاسم الجنيد بن محمد الجنيد الخراز القواريري الزاهد المشهور سيد هذه الطائفة- يقصد الصوفية- وإمامهم. أصله من نهاوند، ومنشأه ومولده بالعراق، وكان فقيها على مذهب أبي ثور، وقيل على مذهب الثوري. وكان يفتي بحضرة أبي ثور، وهو ابن عشرين سنة صحب خاله السري، والحارث المحاسبي، والقصاب، ومات سنة سبع وستين ومائتين. ينظر: أبو القاسم عبد الكريم بن هوازن القشيري: الرسالة القشيرية في علم التصوف ص ٨٦ تحقيق: هاني الحاج المكتبة التوفيقية. ابن خلكان: وفيات الأعيان ص ١/ ٣٧٤.
[٦]- الثوري: أبو عبد الله سفيان بن سعيد بن مسروق بن حبيب الثوري الكوفي؛ كان إماماً في علم الحديث وغيره من العلوم، مصنف كتاب الجامع، أجمع الناس على دينه، وورعه، وزهده، وثقته، وهو أحد الأئمة المجتهدين مولده في سنة خمس، وقيل ست، وقيل سبع وتسعين للهجرة. وتوفي بالبصرة أول سنة إحدى وستين ومائة متوارياً من السلطان، ودفن عشاء رحمه الله تعالى؛ ولم يعقب. وقيل: إنه توفي سنة اثنتين وستين، والأول أصح. ينظر: ابن خلكان: وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان ج ٢ ص ٣٩١. أبو سهل محمد بن عبد الرحمن المغراوي: موسوعة مواقف السلف في العقيدة والمنهج والتربية ص ٢/ ٣٩٤.
[٧]- أبو سعيد الخراز: أبو سعيد أحمد بن عيسى الخراز من أهل بغداد، صحب ذا النون المصري، والنباجي، وأبا وأبا عبيد البسري، والسري، وبشر، وغيرهم. مات سنة سبع وسبعين ومائتين. القشيري: الرسالة القشيرية في علم التصوف ص ٩٤.

الرأي الثاني: الرؤية بالبصر:

وأما الرؤية البصرية فقد رجحها الإمام (الدردير) صاحب الخريدة، وعدد من العلماء كابن حجر[١]، مستندين إلي رواية ابن عباس[٢]، ومن معه من الصحابة"[٣] .

الرأي الثالث: التوقف:

واشتهر عن القاضي (عياض)[٤] صاحب (الشفا)التوقف لعدم ورود نص قاطع يقيني عن النبي -ﷺ- في المسألة [٥].

وأميل إلى رأي القاضي عياض، لأن الأحاديث تحتمل التأويل سواء من قال بالرؤية البصرية أو القلبية حتى (ابن عباس) نفسه له أحاديث تقول بالرؤية القلبية، فالأسلم التوقف في المسألة.

ثانيا: رأي كولن:

يشير (كولن) إلى حالتين في الرؤية:

الأولى: رؤية عوالم الآخرة بمعنى المشاهد التي رآها النبي من أنبياء، وملائكة، وجنة، ونار، وسدرة المنتهى، فكل تلك العوالم رآها بعين البصر.

---

[١]- ابن حجر: أحمد بن علي بن محمد بن محمد بن علي بن محمد بن أحمد العسقلاني حافظ الوقت العلامة شيخ الاسلام شهاب الدين أبو الفضل ابن القاضي نور الدين المعروف بابن حجر المصري الشافعي. كان أبوه من أعيان التجار معتنيا بالعلم ذا حظ في الأدب وغيره فمات وترك ولده الحافظ شهاب الدين طفلا فحبب الله إليه العلم، وولع بالنظم، فنظم الشعر الكثير قصائد وغير ذلك، وبرع في الفقه، والعربية، وفي الحديث كان أحفظ أهل زمانه للأحاديث والرواة وسافر في سماعه إلى نابلس، والقدس، وغزة، والرملة، ودمشق. من مؤلفاته: لسان الميزان- تعليق التعليق- نخبة الفكر توفي ٨٥٢هـ. ينظر: محمد بن أحمد بن علي، تقي الدين، أبو الطيب المكي الحسني الفاسي (المتوفى: ٨٣٢هـ) ذيل التقييد في رواة السنن والأسانيد ص ١/ ٣٥٧.المحقق: كمال يوسف الحوت، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، الطبعة: الأولى، ١٤١٠هـ/١٩٩٠م.السيوطي: حسن المحاضرة في تاريخ مصر والقاهرة ص ٣٦٣/١.

[٢]- المقصود قول ابن عباس: "أتعجبون أن تكون الخلة لإبراهيم والكلام لموسى والرؤية لمحمد- ﷺ-". أخرجه النسائي في السنن الكبرى باب قوله: ما كذب الفؤاد ما رأى سورة النجم ص ١٠/ ٢٧٦ رقم .١١٤٧٥ وقال ابن حجر في فتح الباري شرح صحيح البخاري: إسناده صحيح، ينظر: فتح الباري ص ٨/ ٦٠٨ باب قوله سورة والنجم. دار المعرفة- بيروت ١٣٧٩هـ.

٣- العلامة أبو البركات الدردير: شرح الخريدة البهية ص ٤٧ .

[٤]- القاضي عياض: الإمام أبو الفضل القاضي عياض بن موسى بن عَيَاض اليَحْصُبي السَّبْتي المالكي المتوفى بمرّاكش سنة أربع وأربعين وخمسمائة، عن ثمان وستين سنة. نشأ في طلب العلم، ورحل إلى الأندلس، فسمع بها وبَرَعَ في العلوم، فأجلسه علماء بلده للمناظرة، وهو ابن ثمانية وعشرين، ثم ولي قضاء سَبْتَة، وهو ابن خمس وثلاثين، ثم نُقل إلى قضاء غرناطة، ثم رحل إلى سلا، ثم إلى مرّاكش ومات بها. وكان حافظاً للمسائل والحديث والأخبار، حامل آداب ولغة، عارفاً بالشروط والأحكام، جيد الشعر، من مؤلفاته: "كتاب الشفا بتعريف حقوق المصطفى"، و"كتاب إكمال المعلم بشرح مسلم"، و"كتاب التنبيهات المستنبطة على المدونة والمختلطة"، و"كتاب ترتيب المدارك وتقريب المسالك بمعرفة أعلام مذهب مالك". ينظر: الذهبي: سير أعلام النبلاء ص ٢٠/ ٢١٢. وينظر: حاجي خليفة: سلم الوصول إلى طبقات الفحول ج ٢ ص ٤٣٢.

٥- العلامة القاضي عياض : الشفا بتعريف حقوق المصطفى ج ١ ص ٢٠٧ دراسة وتقديم: د/ محمد عمارة، مجلة الأزهر ١٤٣٦هـ.

والثانية: رؤية الله تعالى، وكانت بالقلب لا بالبصر، ودليله أحاديث النبي التي تنفي الرؤية.

أما عن الأولى فيتكلم (كولن) عن رؤية عوالم الآخرة بعين الرأس دون غبش أو زيغ، فيقول: "وهو العارج العابر، وقاب قوسين حيث ترنو إليه الأبصار، وضيافة (سدرة المنتهي) هبة مهداة إليه وحده، وما رآه في مضمون ﴿ مَا زَاغَ ٱلْبَصَرُ وَمَا طَغَىٰ ﴾ من غير دوار في الرأس أو غبش في العين ... تلطف الله تعالي بها عليه. شاهد ظهور الآية الكبرى بخصائص ذاتها فما غشت عليه ألبتة، وإذ ذاك صار (المشار إليه بالبنان) في أهل السماء كافة. معه صار جبريل لأول مرة رفيقا و خادما لبشر في سفر سماوي لا يدرك، وكان هو في سفره هذا يمضي إلي ما وراء العوالم المادية عابرا العوالم المادية بسرعة تتحدي سرعة ضوء البراق، فيرى مالا يرى (وسدرة المنتهي) أول منزل و ﴿ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَىٰ ﴾ [1] ذروة ليتسلم فيها العقل، ولقاء الله خطوة تتعدى أفق إدراكنا وفهمنا"[2].

وهذا النص لم يذكر تفاصيل لقاء الله وكيفية الرؤية؛ لأنه فوق ما يستوعبه العقل، وأما الثانية: رؤية الله تعالى: فهناك نص ينفي فيه (كولن) الرؤية البصرية، فيقول: "إن النور حجاب الله (ﷻ) وستار ونحن لا نستطيع حتى الإحاطة بالنور، وقد سأل الصحابة النبي (ﷺ) بعد عودته من المعراج أرأيت ربك؟، فأجاب الرسول (ﷺ) حسب ما يرويه أبو ذر (رضي الله عنه):"هو نور أنى أراه؟"، وفي مناسبة أخرى قال- ﷺ- "رأيت نورا"[3] بينما النور مخلوق، والله تعالى هو منور النور، ومشكله، ومقومه ومصوره، فالنور ليس الله، بل مخلوق له، وهذا يوضحه حديث آخر عن الله تعالى يقول: "حجابه النور"[4]أي هناك نور بينكم وبينه"[5].

إذن في هذا النص ينفي (كولن) الرؤية البصرية، وبذلك يلتقي مع جمهور أهل السنة.

و(كولن) له كلام لطيف رائق في كيفية هذه الرحلة المباركة، ولكنه أدخل في باب التصوف والروح منه في مبحث النبوة[6].

إذن في هذه المسألة يتفق (كولن)مع أهل السنة في إثبات المعراج، وكونه بالجسد والروح معا، ومتفق معهم كذلك في نفي الرؤية البصرية.

---

[1]- سورة النجم الآية: ٩.

٢- كولن: ونحن نبني حضارتنا ١٦٤.

٣- أخرجه مسلم في صحيحه، باب نور أن أراه ورأيت نورا، كتاب الإيمان، (ج ١ ص ١٦١رقم ١٦٨) .

٤- جزء من حديث أخرجه مسلم في صحيحه باب إن الله لا ينام، كتاب الإيمان ص ١٦١/١ رقم١٧٩ "إن الله عز وجل لا ينام ولا ينبغي له أن ينام يخفض القسط ويرفعه يرفع إليه عمل الليل قبل عمل النهار وعمل النهار قبل عمل الليل حجابه النور". وأخرجه ابن ماجه في سننه ص ١٢٩ برقم ١٩٥.

٥- كولن: أسئلة العصر المحيرة ص ١٤ والرد على شبهات العصر ص ٤٣.

٦- ينظر: ونحن نبني حضارتنا ص ١٦٧.

ولكنه أضاف وزاد عليهم بجعل هذه الرحلة من خصائص أفضلية الرسول- صلى الله عليه وسلم- على غيره فهو مقام لم يصل إليه بشر أو ملك من الملائكة.

سادسا: القرآن الكريم:

يعرف (كولن) القرآن بأنه مشتق من قرأ بمعنى القراءة، وبمعنى الجمع والضم؛ ولذا فهو كتاب جامع يجمع الأجزاء المتفرقة، ويؤلفها ويصوغ وحدة متكاملة منها ليس هناك أمر لم يتطرق إليه القرآن، وفي هذا يقول الله تعالى: ﴿ وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِي ٱلْأَرْضِ وَلَا طَٰٓئِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلَّآ أُمَمٌ أَمْثَالُكُم ۚ مَّا فَرَّطْنَا فِي ٱلْكِتَٰبِ مِن شَيْءٍ ۚ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يُحْشَرُونَ ﴾[١].

ويؤكد هذا المعنى بقوله: "القرآن قلادة بيان منظومة من الكلام الإلهي، وفيض من العلم الذي يشكل الحدود النهائية للإدراك البشري، وخارطة لكل الوجود مرسومة ومزينة ومحاكة بالحرير اللاهوتي"[٢].

ويري (كولن) أن القرآن أكبر دليل وبرهان علي نبوته - ﷺ- وهو يعد معجزة خالدة أبد الدهر[٣]، فيقول: "فلم يكن القرآن في أي يوم من الأيام - مثل غيره من الكتب- كتابا بقي ضمن إطار زمن أو مكان معينين، بل هو معجزة كبيرة، وشاملة وغنية تتجاوز كل الأزمنة والأمكنة، وتلبي جميع المطالب الإنسانية بدءا من العقائد وانتهاء بأصغر الآداب الاجتماعية.

وتحدي القرآن باق في جميع العصور كما كان في الماضي تماما فقال: "وهو يستطيع حتي اليوم تحدي الجميع، وتحدي جميع المتحديات قام في العهد الذي أنزل فيه بمواجهة جميع اعتراضات مخاطبيه وتحداهم أن يأتوا بكتاب أو حتي بسورة أو بآية من مثله ذهل منه المعارضون الأولون له، وسحروا من بيانه، ومن بلاغته حتي اتهموا الرسول (صلى الله عليه وسلم) بأنه ساحر، وأنه شاعر، وإزاء أخباره الغيبية التي أتى بها من وراء الأستار فقدوا صوابهم، فقالوا عنه إنه كاهن، ولكنهم عجزوا تماما عن الإتيان بمثله أي أن أبطال الشعر، والنثر، والخطابة، وأعلامها من معارضيه اضطروا إلي الصمت والخرس والانسحاب إلي جحورهم"[٤] .

وقد تحدث (كولن) عن مسألتين عند حديثه عن معجزة القرآن الكريم :

الأولى: القرآن من حيث إعجازه، والثانية: من حيث مضامينه.

١- سورة الأنعام الآية:٣٨ وينظر: كولن: خواطر من وحي سورة الفاتحة ص ٢٣.

٢- كولن: ترانيم روح وأشجان قلب ص ١٧ ترجمة :أورخان علي، دار النيل، ط: الرابعة ٢٠١٠م.

٣- النور الخالد ص٣٦.

٤- كولن: أضواء قرآنية في سماء الوجدان ص ٢٥ دار النيل، ط : الرابعة ٢٠٠٩م.

المسألة الأولى: وجوه الإعجاز في القرآن الكريم:

ينفى (كولن) كون إعجاز القرآن كان بصرف الهمم عن معارضته وأكد على أنه معجز بكل ما اشتمل عليه، وقد عجز المخالفون عن معارضته ولو بأقل سورة مثله، فيقول: "هناك من ادعى أن الله صرف الهمم عن معارضة القرآن؛ ولذلك لم يستطيعوا أن يأتوا بمثله إلا أن القلب لا ينصاع لتقبل هذه المقولة، فالقرآن بكلماته وآياته، وجمله يتحدى في الميدان فليتفضل أهل هذا العصر، وليأتوا بنظيره أو على الأقل بعشر سور تنافس سوره أو حتى بسورة من مثله"[١].

وأما عن وجوه إعجاز القرآن الكريم فكثيرة منها:

١- نضارته على الدوام كأنه منزل الآن[٢] .

٢- صموده ضد التغيير والتحريف الذي نال غيره من الكتب.

٣- إحياؤه للقلوب، وحل معضلات الأمور، وهو في كل ذلك يخاطب الوجدان .

٤- الإخبار عن الغيب الماضي والمستقبل.

فقد أخبر عن أنباء الأمم الماضية، وأخبر عن أمور مستقبلية كفتح مكة، وهزيمة الروم، وانتصار الإسلام ﴿ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرۡسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلۡهُدَىٰ وَدِينِ ٱلۡحَقِّ لِيُظۡهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًا ﴾[٣] .

٥- نظم القرآن: فنظمه بديع يختلف عن كل أشكال النظم المعروفة، تعجب منه أهل الجاهلية، ولم يستطيعوا أن يسندوا إليه أي نقص، فنظمه معجز من هذه الناحية، ومن جانب آخر قد أثرى اللغة العربية، وأثر فيها، واستخدم كل كلمة في مكانها المناسب، وضبط القواعد النحوية، والبلاغية، وقعد قواعدها، وكأنه نزل بأسس قواعد علم الصرف والنحو والبلاغة، ومع ذلك واجه الناس بأسلوب تعبيري فريد.

٦- يتمتع القرآن بجزالة خارقة لا ند لها، فالقضايا التي تناولها كبيرة جامعة منطوية على معان شتي، فليس بمقدور البشر أن يحيط بها علما، فقد تناول الحقائق التاريخية بأحكم شكل منذ بدء الخلق إلى يومنا، وهذا هو القرآن المعجز البيان[٤].

١- كولن: خواطر من وحي سورة الفاتحة ص ٤١.

٢- وسماه بديع الزمان النورسي(شبابية القرأن وفتوته) وسماه أحد الباحثين "إعجاز الجدة"، فالقرآن جديد كلما تلوته أحسست كأنك تتلوه لأول مرة . ينظر: الكلمة الخامسة والعشرون - الكلمات ص ٤٧١، ينظر: محمد الهادي زيان: من أجل طرح جديد لقضايا علم التوحيد ص ٦١ جمعية الدعوة الإسلامية العالمية – طرابلس، ط: الأولى ١٤٢٧هـ- ١٩٩٨م.

٣- سورة الفتح آية :٢٨ ينظر: أسئلة العصر المحيرة ص ٧٧ .

٤- ينظر: خواطر من وحي سورة الفاتحة ص ٤٠.

٧- بلاغة القرآن:

يقول كولن: "إن القرآن ذروة في البلاغة، فلا ند له أو مثيل في هذا الأمر؛ لذا فلا يمكن عزوه إلى إنسان"[١] .

فقد وقف الشعراء، والبلغاء، وأهل البيان موقف الدهشة والعجز عن معارضته، ولو بسورة من مثله .

وفي نفس الوقت الذي ظهر فيه معارضون للقرآن من الكفار وأهل الكتاب والمستشرقين نجد آلافا من المفكرين والباحثين ورجال العلم أبدوا إعجابهم وتقديرهم لبلاغة القرآن وأسلوبه، وقد ذكر كولن عدة شواهد من أقوال هؤلاء منهم: (أرنست رينان) ، و(كوستاف لوبون)[٢]، إلى جانب آخرين ذكر إعجابهم وكلماتهم عن القرآن الكريم[٣].

٨- التناسب والانسجام :

رغم تعدد الأحداث والمناسبات في القرآن إلا أنه اتسم بالتناسب والانسجام كأنه وحدة واحدة، يقول كولن: "القرآن الكريم نزل في ثلاثة وعشرين عاما، وفي مناسبات مختلفة، وخاطب فئات متنوعة، وشرائح متعددة لكنه بانسجامه الخارق، وتناسبه القوي يبدو وكأنه نزل مرة واحدة، ولسبب واحد، ولمخاطب واحد"[٤].

فالحال أن القرآن مبني على التناسب والانسجام، والناظر إليه يراه كأنه وحدة متكاملة.

٩- التربية والتأثير في جيل الصحابة:

فمن الأمور الجديرة بالذكر أن (كولن) اعتبر بناء جيل من الصحابة من معجزات هذا الكتاب الخالد، فيقول: "لقد أحدث القرآن في أول عهده بالنزول، وأول عهده بتشريفه الدنيا تأثيرا لا يمكن تصوره في الأرواح، وفي العقول أيضا بحيث إن درجة الكمال التي وصلت إليها الأجيال التي نشأت في جوه النوراني كانت معجزة قائمة بذاتها لا تحتاج

١- أسئلة العصر المحيرة ص ٨٦.

٢- كوستاف لوبون (١٨٤٢- ١٩٣١م) طبيب فرنسي من أشهر علماء الاجتماع، ويرتبط اسمه بالتيار الوضعي، ويعد أحد أشهر المستشرقين والمؤرخين وعلماء الأنثربولوجيا الذين أولوا اهتماما بالغا بدراسة الحضارات الشرقية على وجه العموم والعربية والإسلامية منها خاصة، ولد عام ١٨٤١م، درس الطب، ثم توجه للانثربولوجيا، وعكف على دراسة علم النفس، وخاصة الاجتماعي، وأبرز مؤلفاته ترجمت إلى العربية منها: روح الثورات، والثورة الفرنسية، وفلسفة التاريخ، حضارة العرب، سيكولوجية الجماهير، القوانين النفسانية لتطور الشعوب. ويركز على دور الأخلاق في بناء الحضارة. لم يسر على نهج سابقيه من المستشرقين والمؤرخين وإنما أنصف الحضارة الإسلامية، وأقر بأن المسلمين هم من مدنوا أوروبا، ورأى أن سر انتشار الإسلام يكمن في وضوحه، وسر قوته يكمن في توحيده، وما أمر به من عدل، ومساواة، وتهذيب للنفس. توفي لوبون ١٩٣١م . ينظر: (ج .بنروبي): مصادر وتيارات الفلسفة المعاصرة في فرنسا ص ٢٢٣، ترجمة: عبد الرحمن بدوي، مراجعة: محمد ثابت الفندى، مكتبة الأنجلو المصرية ١٩٦٤م وكذلك: الدكتورة/ هنادي الشوا، مقال: (غوستاف لوبون المستشرق الذي أنصف العرب) نشر في ٢٠١٤/١١/٩م العدد ٩٧٣٣، صحيفة العرب (أول صحيفة عربية تأسست في لندن ١٩٧٧م).

٣- ينظر: أسئلة العصر المحيرة(١) ص ٨٦.

٤- كولن: خواطر من وحي سورة الفاتحة ص ٤٠.

معها إلى ذكر أي نوع آخر من معجزاته، ولا يمكن العثور على أي مثال لهم في مستواهم في ناحية التدين، والتفكير، وأفق الفكر، والخلق، ومعرفة أسرار العبودية، فالحقيقة أن القرآن قد أنشأ جيلا من الصحابة آنذاك لا نبالغ إن قلنا أنهم كانوا في مستوى الملائكة"[١].

فهؤلاء الصحابة خلقوا مجتمعا متميزا مباركا أثر على خمس البشرية كما يقول (كولن)، وفتحوا القلوب الميتة، وغيروا وجه الدنيا حسب مبادئه السماوية[٢] .

١٠- العلاقات التي أقامها بين الكون والإنسان:

تكلم (كولن) عن فهم جديد وبيان جديد استخلصه من القرآن لم يتكلم فيه المتكلمون وهو العلاقات التي أقامها بين الإنسان، والكون، والأشياء، فيقول مثلا:" لقد أتى القرآن بنظرة متميزة للكون، وللأشياء، وللإنسان، وبأسلوب غاية في الروعة والسحر إنه يتناول الإنسان ككل ضمن الوجود بأكمله، ولا يهمل أي شيء، بل يضع كل شيء مهما كان صغيرا في مكانه المناسب الجزء فيه مرتبط ارتباطا وثيقا ودقيقا بالكل والأجوبة المختلفة عن أدق الأسئلة التي تخطر على بال الإنسان في هذا المعرض الكوني الهائل ترد فيه .وبينما يقوم بتحليل أدق المسائل الموجودة سواء في عالم الشهود أم فيما وراء الأستار حتى أدق تفاصيلها لا يدع هناك تردد، أو شبهة، أو علامة استفهام في العقول"[٣].

ويؤكد أنه يجلي جميع الحقائق أمام العقل، والمشاعر والوجدان، وهو المفتاح الذهبي الذي يحوي جميع مسائل القواعد، والأسس العامة المتعلقة بالإنسان والوجود والكون[٤] .

وكأن (كولن) بحديثه هذا يجاوب أصداء النداء الذي وجهه الدكتور (عبد الهادي أبو ريدة) نحو التجديد في علم الكلام من قبل، حين قال :" لا نجد كلاما عن توثيق نص القرآن بحسب أحسن المعايير لحفظه حتى وصل إلينا، ولا كلاما عن لغته المتميزة، وطريقته في الكلام عن الله، والإنسان، والكون، ولا عن هدايته المتكاملة وخصوصا عن انفراده بين الكتب الدينية والفلسفية بالكلام عن الكون من شتى جوانبه الكلية والجزئية"[٥] .

فها هو (كولن) يتحدث عن إعجاز القرآن، ولغته، وبيانه، ويذكر حديث القرآن عن الكون من جميع جوانبه وعن الإنسان ككل، وهذا من معالم التجديد الذي نادى به (أبو ريدة).

١- أسئلة العصر المحيرة ص٢٠.

٢- ينظر: أسئلة العصر المحيرة ص ٢١.

٣- ترانيم روح واشجان قلب ص١٩.

٤- ينظر: ترانيم روح واشجان قلب ص ٢٠.

٥- أعمال غير منشورة محمد عبد الهادي أبو ريدة تجديد الخطاب الديني والفلسفي/الفلسفة الإسلامية ص ٦٠٣تحقيق: د/ فيصل عون .الهيئة العامة للكتاب ٢٠١١م.

المسألة الثانية: القرآن من حيث مضامينه:

يتحدث (كولن) هنا عن مضامين القرآن الكريم وهي عديدة منها:

أولا- القرآن تفسير لكتاب الكون :

لا بد لكتاب الكون من قارئ يقرأه، ويمعن النظر فيه، وهذا القارئ هو الإنسان، والذي يفسر هذا الكتاب، ويشرحه، ويعين الإنسان على فهمه هو القرآن الكريم، فالكون ملك لله، والقرآن كلام الله، والإنسان عبد لله، والذي يؤسس العلاقة بين هذه العناصر هو الله تعالى، فيقول تعالى: ﴿ سَنُرِيهِمْ ءَايَٰتِنَا فِى ٱلْءَافَاقِ وَفِىٓ أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ ۗ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ ﴾[1].

فالقرآن يفسر لنا شتى آيات الله وقوانينه السارية في الكون التي يسميها الآيات التكوينية .

هذه المسألة طرقها كثير من المجددين تحت مسمى "الإعجاز العلمي". فما حقيقة الإعجاز العلمي، وما علاقة القرآن بالعلوم الحديثة، وما ضوابط التعامل مع الآيات العلمية؟ هذا ما سيكون عنه الحديث القادم.

١- حقيقة الإعجاز العلمي:

كان للأستاذ (فتح الله) نصيب واف في الحديث عن الإعجاز العلمي في القرآن الكريم في أكثر من كتاب ومقال، ورغم حديثه الوافي في هذه المسألة، واستخدامه العلم في خدمة قضايا الدين إلا إنه هنا وضع ضوابط في التعامل مع هذه المسألة كما سنرى.

يرى (كولن) بداية أن لله تبارك وتعالى كتابين اثنين القرآن الكريم والكون، ويستحيل تعارضهما، فيقول: "فالقرآن المعجز البيان مصدره صفة الله (الكلام)، وكتاب الكون الكبير مصدره صفة الله(القدرة والإرادة)، والقرآن الكريم ترجمة أزلية، وقول شارح، وبرهان واضح لكتاب الكون...وبتعبير آخر القرآن يفسر الأوامر التكوينية، والأسرار الإلهية، والأفعال الربانية، ولما كان الفرقان العظيم الشأن يفسر الكون ويشرحه تضمن إشارات لبعض العلوم والفنون التي تبحث في حوادث الكون"[2].

وشرح هذه المسائل والفنون من معجزات هذا الكتاب الخالد يقول كولن: "وقيام القرآن بشرح المسائل العائدة لأيامنا الحالية، وللعهود والعصور القادمة، وتناوله للمسائل التي تهم الإنسانية، وكيفية تطور هذه المسائل والأحوال التي ستصير إليها يعد من معجزات القرآن، وشيئا خاصا به وحده"[3].

١- سورة فصلت الآية: ٢٣، ينظر: خواطر من وحي سورة الفاتحة ص ٤٤.

٢- فتح الله كولن : شد الرحال لغاية سامية ص ١٢١، ترجمة: عبدالله محمد عنتر- د. عبد الرازق أحمد، سلسلة الجرة المشروخة، دار النيل ٢٠١٤م.

٣- فتح الله كولن: أسئلة العصر المحيرة(١) ص ٧١ .

فكل الحقائق العلمية جاء بها القرآن الكريم منذ نزوله على النبي- ﷺ-، فيقول:" فكم من حقيقة علمية عبر عنها القرآن بجملة واحدة، وكم من بحوث تمت في ساحات عديدة، فتبين أن الحقائق العلمية المستحصلة منها توافق ما جاء في آيات القرآن وشوهدت هناك بصمته"[١].

فالقرآن تحدث عما كان وما سيكون مما يصل بالإنسان إلى الرقي المادي والمعنوي ولو لم يفعل القرآن هذا وقصر الحديث عن جزء من عجائب الحضارة في القرن العشرين؛ لضاع حق التعريف والبيان للكثير من الحقائق الثابتة، والاكتشافات المستقبلية، وهذا يتناقض مع روح القرآن كما يقول كولن[٢].

إذن كما كان القرآن معجزا في لغته وبلاغته وأحكامه فهو معجز علميا بما بثه من حقائق كونية، تخص مختلف العلوم والفنون.

٢- علاقة القرآن بالتقنية والعلوم الحديثة:

كل ما في الوجود وما اكتشف حديثا جاء به القرآن فليس في القرآن ما يعارض العلم الحديث ولا مكتشافاته، يقول كولن :"أقام القرآن جسورا بين الإنسان والوجود، فنجا بها الإنسان من استيحاش الوجود، فصار يرى الوجود وكأنه أنيسه وجليسه، ومن هذا الوجه لنا أن نقول: ما ترك سيدنا رسول الله (ﷺ) شيئا في الوجود إلا بينه منذ أربعة عشر قرنا، ولن يأتي العلم بما يعارضه أو يخالفه مهما تقدم وتطور إلى يوم القيامة، وما ينبغي أن يفهم هذا - كما وهم بعضهم- بأنه (ﷺ) أخبر من قبل بكل ما تم اكتشافه في الفيزياء، والكيمياء، والرياضيات، والأحياء، والتشريح فما نريد قوله هو أنه ليس في هذه العلوم ما يعارض ما جاء به مفخرة الإنسانية (ﷺ)، بل إنها تعززه وتؤكده، وهذا يكشف أهمية العلم، ويتيح لنا أن نقول: "كل شيء ينبني على العلم"[٣].

إذن القرآن لا يعارض العلم بل يعززه؛ ولذا تكلم كولن كثيرا عن وجوب اللحاق بركب التكنولوجيا والعلم الحديث، وعدم الركون إلى التخلف، وإلى وجوب تجديد العلوم الإسلامية[٤].

كما يرى (كولن) أن معظم المؤلفات التي تحدثت عن مسألة الإعجاز العلمي وقعت تحت تأثير ثقافة وفن عصرها، وحوت كثيرا من التأويلات المتكلفة؛ محاولة للتوفيق بين حقائق القرآن والنظريات العلمية التي لم تثبت بعد فأدى هذا إلى نوع تحريف للقرآن وتقليل من شأنه؛ لذا يرى كولن أن الصحابة والتابعين والمفسرين الأوائل من أمثال الطبري[٥] آراءهم متوافقة تماما مع الحقائق العلمية الثابتة في حين أن تفسيرات الخلف

١- كولن: الرد على شبهات العصر ص٧١ .

٢- ينظر: كولن: الرد على شبهات العصر ص٧١، ١٤٠ .

٣- ينظر: كولن: الموشور٢١٥.

٤- ينظر: الموشور٢١٥- ٢١٧.

٥- أبو جعفر محمد بن جرير بن يزيد بن خالد، الطبري، وقيل: يزيد بن كثير ابن غالب، صاحب التفسير الكبير، والتاريخ الشهير، كان إماما في فنون كثيرة منها: التفسير، والحديث، والفقه، والتاريخ، وغير ذلك، وله

متكلفة لا تتوافق مع روح العلم، ويعزو ذلك أن الأوائل لم يتأثروا بعصرهم فكانوا أقرب إلى روح القرآن من غيرهم[١].

إذن يؤمن (كولن) بالإعجاز العلمي ويرى عدم التكلف في تفسير الآيات العلمية وقد ذكر في كتابه(شد الرحال لغاية سامية) عددا من المفسرين الذين اهتموا بهذا الجانب، وذكر جانبا من تفسيراتهم من أمثال الطبري، ومحمد عبده، ورشيد رضا، وطنطاوي جوهري [٢]، والدكتور زغلول النجار[٣].

٣- ضوابط التعامل مع الآيات العلمية:

ينبغي أن يكون هناك منهج خاص وضوابط محددة في التفسير العلمي للقرآن والبعد عن التكلف، وقد وضع (كولن) عدة ملاحظات وضوابط لمن يتصدى لمثل هذا العمل منها:

أ- الموضوعية والثقة برصانة النص الرباني وصفائه، واتخاذه مرآة عاكسة لهذه الأحداث، بدلا من توفيق الأحداث على القرآن.

ب- معرفة دقيقة باللغة وأسباب النزول وأسرار الكلمات[٤].

=مصنفات في فنون عديدة تدل على سعة علمه وغزارة فضله، وكان من الأئمة المجتهدين، لم يقلد أحدا، وكان ثقة في نقله، وتاريخه أصح التواريخ وأثبتها، وذكره الشيخ أبو إسحاق الشيرازي في طبقات الفقهاء، وكانت ولادته سنة أربع وعشرين ومائتين، بآمل طبرستان، وتوفي سنة عشر وثلثمائة ببغداد: ابن خلكان: وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان ج ٤ ص ١٩٢. أبو القاسم علي بن الحسن بن هبة الله المعروف بابن عساكر (المتوفى: ٥٧١هـ) تاريخ دمشق ج ٥٢ ص ١٩٠، المحقق: عمرو بن غرامة العمروي، الناشر: دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع١٤١٥ هـ - ١٩٩٥م.

١- كولن: الرد على شبهات العصر .

٢- طنطاوي جوهري: ولد عام ١٨٧٠م وتوفي ١٩٤٠م. عالم بالدين، وفيلسوف مصري. حفظ القرآن، وتعلم في الأزهر، وتخرج من دار العلوم، وعين أستاذا فيها قبل أن ينتقل إلى الجامعة المصرية له تفسير للقرآن يسمى الجواهر(٢٦ جزءا)، وأبحاثه كلها مركزة على التفسير والعلوم الفلسفية .ينظر الأستاذ: روني إيلي ألفا: أعلام الفلسفة العرب والأجانب ج٢ ص ٦٦ .

٣- الدكتور زغلول النجار: أستاذ علوم الأرض بجامعة قناة السويس، رئيس لجنة الإعجاز العلمي بالمجلس الأعلى للشئون الإسلامية. ولد في قرية مشال بالغربية ١٩٣٣م، تعلم القرآن منذ صغره على يد والده، تخرج من جامعة القاهرة ١٩٥٥م حاصلا على بكالوريوس العلوم بمرتبة الشرف فمنحته الجامعة جائزة بركة للجيولوجيا، وكان أول الحاصلين عليها حصل على الدكتوراه من جامعة ويلز ١٩٦٣م، عمل بعدة شركات ومشروعات، وبعدد من الجامعات في مصر، والسعودية، والكويت، وقطر، وأمريكا، وبريطانيا . حصل على الأستاذية ١٩٧٢م، له أكثر من عشرين بحثا، وأكثر من عشرين كتابا ومترجما بلغات مختلفة، وأشرف على أكثر من خمسة وأربعين رسالة علمية، عضو في العديد من الجمعيات العلمية المحلية والعالمية، والجمعيات الخيرية، والمؤتمرات العالمية، له مقال أسبوعي في الأهرام المصرية عن الإعجاز العلمي، جاب دول العالم محاضرا عن الإسلام، وقضايا المسلمين، وعن الإعجاز العلمي في القرآن والسنة باللغة العربية والانجليزية، منح جائزة دبي للقرآن الكريم، وتم اختياره الشخصية الإسلامية الأولى لعام ٢٠٠٦م.موقع دار المعرفة وموقع دكتور زغلول النجار www.elnaggarzr.com. بتاريخ ١٩ نوفمبر ٢٠١٧م.

٤- الرد على شبهات العصر ص ١٤١.

ج- أن أولويات القرآن الكريم هي توجيه البشر إلى طريق السعادة الدنيوية والآخروية، والمسائل العلمية جاءت في درجة تالية، فالقرآن كتاب يخاطب الناس جميعا[١]لا أرباب العلوم فحسب[٢].

د- تجنب عقدة الدونية والتأويلات المتكلفة فيقول: "أما تقويم حقائق القرآن الكريم في ضوء نتائج العلوم الوضعية فهو سوء أدب مع كلام الله تعالى ؛أجل إن السعي وراء تطويع تفسير القرآن الكريم للقضايا العلمية والطبيعية وكأن تلك العلوم واختراعاتها هي الأصل والاستعانة بها لإثبات صحة قضايا القرآن الكريم منهج لا يتناسب مع كلام الله ألبتة "[٣].

هـ - "إن للقرآن الكريم أسلوبا خاصا به في عرض القضايا العلمية، وهذا الأسلوب مناسب لمستوى كل المخاطبين في الماضي، ومن قطعوا مسافات هائلة في العلوم والفنون اليوم، أي ليس هناك أي تضاد أو تعارض بين ذكره لحقائق علمية تكتشف اليوم، وكونه آيات بينات راعت مستوى فهم الناس في ذلك العصر"[٤].

و-لا بد لمن يفسر الآيات والأحاديث في ظل التطورات العلمية أن يذكر أن في المسألة احتمالات ممكنة، وأنه لا قطع فيها أي قد تتضمن معاني أخرى، فالقطع بتفسير الآيات قبل أن تتضح ماهية المسائل العلمية خطأ فادح، ولا بد من الرجوع إلى الدراسات السابقة في التفسير للوقوف على ما ذكرته حتى الآن في الموضوع.

ز - ينبغي لمن يعمل في التفسير العلمي أن يكون على دراية كبيرة بالعلوم الشرعية، وإتقان للغة العربية، وأن يتزود بمعلومات في العلوم الطبيعية بقدر يؤهله تفهم هذه العلوم، وكذا على الباحث في العلوم الوضعية أن يتزود بمعارف موسوعية في العلوم الدينية.

فإذا رغب المسلمون في تأليف كتاب تفسير للقرآن يخاطب مستوى إنسان العصر فلا بد أولا - كما يقول كولن- من تشكيل لجنة من المتخصصين في كافة العلوم في ضوء معايير علم الأصول وأصول الدين[٥].

٤- صور من الإعجاز العلمي:

وبدوره ذكر (كولن) عددا من صور الإعجاز العلمي التي جاء بها الوحي، وقد ورد ذلك في عدد من كتبه ومقالاته مثل:

١- من وجوه الإعجاز عند النورسي: خطابه كل طبقة من طبقات الناس، فكل طائفة من الناس تأخذ حظها من الدرس من مشهد من مشاهد القرآن". ينظر: النورسي: الكلمات ص ٤٧٨ .

٢- كولن : شد الرحال لغاية سامية ص ١٢٤.

٣- شد الرحال ص١٢٤.

٤- شد الرحال ص١٢٥.

٥- شد الرحال ص١٢٦- ١٢٨.

أ- تقل نسبة الأكسجين كلما صعد الإنسان إلى أعلى:

وتلك حقيقة جاء بها القرآن الكريم في قوله تعالى: ﴿ فَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يَهْدِيَهُۥ يَشْرَحْ صَدْرَهُۥ لِلْإِسْلَٰمِ ۖ وَمَن يُرِدْ أَن يُضِلَّهُۥ يَجْعَلْ صَدْرَهُۥ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِى ٱلسَّمَآءِ ۚ كَذَٰلِكَ يَجْعَلُ ٱللَّهُ ٱلرِّجْسَ عَلَى ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ ﴾[1].

فهذه الآية تشير إلى قانون من قوانين الطبيعة، وهو كلما صعد الإنسان، وارتفع عن الأرض قل الضغط، وصعب تنفسه؛ لأن الضغط الجوي يقل درجة واحدة كلما صعد الإنسان مائة متر في ارتفاع ٢٠٠٠متر فوق سطح البحر، فيضطر الإنسان إلى استعمال أجهزة تنفس خاصة[2].

ب- توسيع السماء:

يقول (كولن): "يتميز القرآن بثراء معاني كلماته حتى إنه ليذكر عددا كبيرا من الحقائق ..ببضع كلمات"، ومن ذلك مسألة توسع الكون: ﴿ وَٱلسَّمَآءَ بَنَيْنَٰهَا بِأَيْيْدٍ وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ ﴾[3].

ج- قانون الجذب المركزي بين الأجرام:

ينبه القرآن إلى القانون في تقارب الأجرام السماوية، وتباعدها، ودورانها بقوله: ﴿ ٱللَّهُ ٱلَّذِى رَفَعَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا ۖ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ ۖ وَسَخَّرَ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ ۖ كُلٌّ يَجْرِى لِأَجَلٍ مُّسَمًّى ۚ يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ يُفَصِّلُ ٱلْءَايَٰتِ لَعَلَّكُم بِلِقَآءِ رَبِّكُمْ تُوقِنُونَ ﴾[4].

وفي قوله: ﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ سَخَّرَ لَكُم مَّا فِى ٱلْأَرْضِ وَٱلْفُلْكَ تَجْرِى فِى ٱلْبَحْرِ بِأَمْرِهِۦ وَيُمْسِكُ ٱلسَّمَآءَ أَن تَقَعَ عَلَى ٱلْأَرْضِ إِلَّا بِإِذْنِهِۦٓ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ بِٱلنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴾ .[5]

١- سورة الأنعام الآية:١٢٥.

٢- كولن: أسئلة العصر المحيرة(١) ص ٧٣، وينظر: خواطر من وحي سورة الفاتحة ص ٤٦.

٣- سورة الذاريات الآية :٤٧ . الرد على شبهات العصر ص ١٤٤، وينظر: خواطر من وحي سورة الفاتحة ص ٥٤.

٤- سورة الرعد:٢.

٥- الرد على شبهات العصر ص ١٤٦.سورة الحج الآية: ٦٥.

وهذا هو قانون الجذب المركزي بين الأجرام، وسواء فسر بقانون الجاذبية العامة عند نيوتن[١] ،أم نظرية الحيز التي ابتكرها عصر الفلك الحديث فالمعنى واضح[٢].

د- مسألة الصعود إلى القمر:

كان لها نصيب من بيانات القرآن فقال تعالى:﴿ لَتَرْكَبُنَّ طَبَقًا عَن طَبَقٍ ﴾، فالمعنى إخبار عن صعود الإنسان إلى القمر؛ ولذا جاءت بعد قوله تعالى: ﴿ وَٱلْقَمَرِ إِذَا ٱتَّسَقَ ﴾[٣].

هـ- تغير شكل الكرة الأرضية:

يشير القرآن إلى تلك الحقيقة فيقول:﴿ أَوَلَمْ يَرَوْاْ أَنَّا نَأْتِي ٱلْأَرْضَ نَنقُصُهَا مِنْ أَطْرَافِهَا ۚ وَٱللَّهُ يَحْكُمُ لَا مُعَقِّبَ لِحُكْمِهِۦ ۚ وَهُوَ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ ﴾[٤]. فهناك احتمال قوي أن معنى "ننقصها من أطرافها" هو تفلطح الأرض عند المناطق القطبية وليس تآكل الجبال بفعل المطر والسيل والريح[٥].

إضافة إلى ذلك ذكر (كولن) أمثلة كثيرة للإعجاز العلمي عن خلق الكون، وأمثلة من علم الفلك، وعلم الأرصاد الجوية، وعلم الفيزياء[٦] .

وهذه كله يؤكد - كما يقول فتح الله كولن - أنه كلما مر الزمان تجدد شباب القرآن عن طريق العلوم المختلفة التي تشرح لنا أسراره، وتبين إعجازه، وسيأتي اليوم الذي يهتدي فيه كبار علماء الغرب الذين يبحثون عن أسرار العلوم، وحقائقها عندما يفهمون القرآن حق الفهم[٧].

وهذا هو نفس تعبير (النورسي) فقد تحدث عن شبابية القرآن وفتوته فقال: "إن القرآن الكريم قد حافظ على شبابيته وفتوته حتى كأنه ينزل في كل عصر نضرا فتيا"[٨]، ويقول

١- قانون الجذب العام: أن أي جسمين يجذب كل منهما الأخر بقوة جذب تتناسب هذه القوة طرديا مع حاصل ضرب كتلة الجسمين وعكسيا مع مربع المسافة بينهما . سامح سعيد عبود: رحلة الكون عبر الزمان ص ٢٠ الهيئة المصرية العامة للكتاب ٢٠١٥م.

٢- الرد على شبهات العصر ص ١٤٦.

٣- كولن: الرد على شبهات العصر ص ١٤٦.سورة الانشقاق الآية:١٨-١٩.

٤- سورة الرعد الآية:٤١.

٥- كولن: الرد على شبهات العصر ص ١٤٦.

٦- ينظر: كولن: الرد على شبهات العصر ص ١٤٢ وما بعدها. وأسئلة العصر المحيرة ج ١ص ٧٩وما بعدها بعدها وينظر: خواطر من وحي سورة الفاتحة ص ٤٥-٥٧.

٧- أسئلة العصر المحيرة ص ٧٢.

٨- النورسي: الكلمات ص ٤٧١ .

أيضا: "إن آثار البشر وقوانينه تشيب، وتهرم، وتتغير وتبدل إلا أن أحكام القرآن، وقوانينه لها من الثبات والرسوخ بحيث تظهر متانتها أكثر كلما مرت العصور"[١].

وهذه نقطة التقاء أخرى بين هذين العلمين المجددين وجانب من جوانب التجديد في فكريهما .

ثانيا- القرآن مفتاح خزائن الأسماء الإلهية:

فالقرآن يفسر ويشرح معاني أسماء الله الحسنى ويطلع القارئ على تجلياتها في الكون والكائنات، يقول كولن: "فالقرآن يكشف عن الأسماء الإلهية المكنونة في السماوات والأرض، ونفس الإنسان. أي يظهر لنا كيف وأين تتجلى، وتتموج كل أسماء الله الحسنى"[٢].

ثالثا- القرآن ترجمان للصفات الإلهية :

فالقرآن هو مصدر العلم والمعرفة بالله تعالى، فإننا نأخذ كل المعلومات حول ذات الله، وصفاته من القرآن الكريم كقوله:﴿ قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ﴿١﴾ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ﴿٢﴾ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ﴿٣﴾ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ ﴿٤﴾ ﴾ [٣].

رابعا- القرآن تفسير للشئون الإلهية :

القرآن مصدر المعرفة بأفعال الله تعالى فهو يفسر شئون الذات الإلهية التي تعجز العقول عن إدراكها كقوله: ﴿ قُلِ ٱللَّهُمَّ مَٰلِكَ ٱلْمُلْكِ تُؤْتِى ٱلْمُلْكَ مَن تَشَآءُ وَتَنزِعُ ٱلْمُلْكَ مِمَّن تَشَآءُ وَتُعِزُّ مَن تَشَآءُ وَتُذِلُّ مَن تَشَآءُ ۖ بِيَدِكَ ٱلْخَيْرُ ۖ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴾ [٤].

خامسا- القرآن خارطة مقدسة لعالم الآخرة:

فكل ما يخص عالم الآخرة هو من قبيل الغيب ومصدر معرفتنا الوحيدة له هو القرآن الكريم، إضافة إلى أنه يعرض عالم الآخرة بأسلوب جذاب، وآخذ بالقلوب والألباب، من هذه الصور قوله: ﴿ يَوْمَئِذٍ تُعْرَضُونَ لَا تَخْفَىٰ مِنكُمْ خَافِيَةٌ ﴾[٥].

١- النورسي: الكلمات ص ٤٧١ .

٢- كولن: خواطر من وحي سورة الفاتحة ص ٥٨ .

٣- سورة الإخلاص الآيات:١-٤ وينظر: خواطر من وحي سورة الفاتحة ص ٦٠ .

٤- سورة آل عمران الآية: ٢٦ وينظر: خواطر من وحي سورة الفاتحة ص ٦٠ .

٥- سورة الحاقة الآية:١٨، وينظر: خواطر من وحي سورة الفاتحة ص ٦١ .

سادسا- القرآن كتاب شريعة:

القرآن فوق أنه كتاب عقيدة وهداية للعالمين، فهو مصدر للشرائع والأحكام الإلهية إذ به تتبين الأوامر والنواهي، والحلال والحرام، وعلاقات الأسرة، والمجتمع، والدولة[١] .

سابعا- القرآن كتاب حكمة:

القرآن مصدر الحكمة الصافية اليقينية التي تبعث على الاطمئنان؛ ولذا يفترق عن تصورات وفرضيات الفلاسفة والمفكرين .

لا أحد من المفكرين لم يتحدث عن حقيقة الوجود، ومناسبة الموجودات فيما بينها لكن هناك بون شاسع بين هذا الحديث وحديث القرآن، لأن القران كلام من أبدع الوجود، فبينما يتحدث غيره عن نظريات وفرضيات، يتحدث هو بأسلوب قطعي، وبلا تناقض يشوش الأذهان، ككلام غيره.

ثامنا- القرآن كتاب دعاء:

القرآن فوق كونه كتاب عقيدة، وشريعة، وحكمة، فهو أيضا كتاب دعاء .

يدعو المسلمون بتعبيرات القرآن المعجز البيان، وكذا كان الرسول - ﷺ- يفعل حينما يسأل ربه بلسان القرآن، فالقرآن كتاب دعاء لا نظير له في التضرع[٢].

تاسعا- القرآن كتاب مقدس نزل من العرش الأعظم:

فهو أعلى وأعظم مراتب الأسماء الحسنى وهو أسمى أنواع كلام الله نزل على أكمل إنسان لتبليغه إلى أكمل مجتمع من البشر[٣].

وبهذا أكون قد وصلت إلى نهاية القول في معجزة القرآن الكريم ووجوه إعجازه ومضامينه في فكر (فتح الله كولن).

ويتبين من خلال الدراسة لها عدة أمور:

١- رغم اعتزاز (فتح الله كولن) بالعلم الطبيعي، واستخدامه في إثبات قضاياه وإقناع الناس في عصرنا، ورغم حديثه الطويل عن مسألة الإعجاز العلمي فإنه لم ينبهر بالعلم، فالقرآن عنده ظل في المقام الأول كتاب عقيدة ومنهج وتشريع، وهو ما توافق فيه مع عدد من العلماء كالدكتور (مصطفى محمود)[٤]؛ ولذا وضع ضوابط في مسألة تفسير القرآن بالعلم أو الإعجاز العلمي في القرآن.

١- ينظر: خواطر من وحي سورة الفاتحة ص ٦٢.

٢- خواطر من وحي سورة الفاتحة ص ٦٣ .

٣- النورسي: الكلمات ص ٤٧١ .

٤- ينظر: مصطفى محمود: حوار مع صديقي الملحد ص ١٣٦.

٢- العلم الحديث له دور كبير في خدمة قضايا الدين، ولاسيما في إقناع الغرب، والعلماء المعاصرين، وإنسان العصر الحديث بصفة عامة بقضايا الإسلام.

٣- مسألة الإعجاز العلمي مهمة جدا في هذا العصر، وأثرت في علماء كثيرين ودفعتهم إلى اعتناق الإسلام؛ لأنه تأكد لهم عدم بشرية القرآن، وأنه من لدن حكيم عليم.

المطلب الرابع: شبهة بشرية القرآن:

ترمي هذه الشبهة إلى اعتبار القرآن من تأليف النبي-ﷺ- وليس وحيا إلهيا، وتعرض فكرة بشرية القرآن من جانب المدعين في إحدى صورتين:

الصورة الأولى: أن القرآن انطباع في نفس محمد (ﷺ) نشأ عن تأثره ببيئته التي عاش فيها بمكانها وزمانها، ومظاهر حياتها المادية، والروحية، والاجتماعية .

الصورة الثانية: أنه تعبير عن الحياة التي عاش فيها محمد (ﷺ) بما فيها المكان والزمان، وجوانب الحياة الاقتصادية، والسياسية، والدينية، والاجتماعية.

وكلتا الصورتين تفصح عن أن القرآن عمل خاص بمحمد (ﷺ) تأثر فيه كما يتأثر الإنسان العادي، وعبر به عن المعاني التي كانت في نفسه من بيئته كما يعبر الإنسان عن أية معان تجول بنفسه[١].

وادعاء أن القرآن من عند بشر، وأن النبي (ﷺ) هو من صاغه، أو ألفه بنفسه، أو تعلمه من غيره - وتلك صورة ثالثة تضاف إلى ما سبق-، وليس وحيا من قبل الله تعالى هي شبهة قديمة أول من آثارها كفار قريش يقول القرآن: ﴿ وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُۥ بَشَرٌ ۗ لِّسَانُ ٱلَّذِى يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِىٌّ وَهَٰذَا لِسَانٌ عَرَبِىٌّ مُّبِينٌ ﴾[٢].

وتبنى هذه الشبهة جل المستشرقين إن لم يكن كلهم على السواء من أمثال: (ريتشارد بل)[٣]الذي اعتبر القرآن من تأليف النبي متأثرا بالبيئة المحلية كاليهودية، والنصرانية والوثنية، والبيئة الخارجية كالمجوسية، والزرادشتية، و(آرثر جيفري) [٤]الذي حاول في كتابه (المفردات الأجنبية في القرآن) الربط بين بعض المفردات في القرآن وبين بعض

١- د / محمد البهي : الفكر الإسلامي الحديث وصلته بالاستعمار الغربي ص ١٧٧ مكتبة وهبة، ط: الرابعة عشر ١٤٢٦هـ-٢٠٠٥م.

٢- سورة النحل الآية: ١٠٣.

٣- ريتشارد بل: من رجال الدين وأستاذ اللغة العربية في جامعة(أدنبرا). صرف سنين كثيرة في دراسة القرآن وتاريخه، وأول كتبه عنه أكد فيه العلاقات المسيحية بالنبي، ويرى أن النبي اعتمد في كتابته للقرآن على الكتاب المقدس وخاصة على العهد القديم في قسم القصص. وترجمته للقرآن غرضه منها تحليل الصور المتفرقة بوضع قوانين النقد الأدبي لها. من مؤلفاته: الحديث عند المسلمين- ورؤى محمد - وأسلوب القرآن- وأهل الأعراف- والطلاق في الإسلام(١٩٣٩م) وسورة الحشر(١٩٤٨م).ينظر: نجيب العقيقي: المستشرقون ج٢ ص ، ٥٢٨دار المعارف بمصر، ط: الثالثة ١٩٦٥م. وينظر: د/ محمود حمدي زقزوق: الاستشراق والخلفية الفكرية للصراع الحضاري ص ٨٨، دار المعارف.

٤- آرثر جيفري: متعصب سافر ضد الإسلام والمسلمين، من مؤلفاته: الكلمات الدخيلة في القرآن- مصادر تاريخ القرآن- القرآن كتاب ديني .ينظر: د/ عبد المتعال محمد الجبري: الاستشراق وجه للاستعمار الغربي، دراسة في تاريخ الاستشراق، وأهدافه، وأساليبه الخفية في الغزو الفكري للإسلام ص ٥٨، مكتبة وهبة، الطبعة: الأولى ١٩٩٥م.

اللغات الأخرى؛ لإثبات أن القرآن من تأليف محمد -ﷺ-[١].

وقد دفع هذه الشبهة عدد كبير من العلماء المسلمين قديما وحديثا[٢]وممن له جهود في ذلك المجال (فتح الله كولن)، فتحدث عن عدم إمكانية نسبة القرآن إلى غير الله ومن ذلك قوله: "إن الادعاء بأن القرآن وضع من قبل سيدنا محمد(ﷺ)، أو من قبل آخرين ادعاء انحصر في بعض رجال العهد الجاهلي قديما، وعند بعض المستشرقين من أعداء القرآن، ونحن نرى بأن مشركي الأمس واليوم ليسوا حياديين في تفكيرهم، بل تصرفوا بحقد وعداء؛ ذلك لأن من يتأمل القرآن بإنصاف وفكر محايد يتبين أن مصدره إلهي؛ لأنه في مرتبة عالية بحيث يتجاوز القدرة البشرية"[٣].

ويدلل على ذلك بعدة أدلة عقلية منها:

١- هناك فرق كبير جدا بين أسلوب القرآن، وبين أسلوب الحديث النبوي، فالعرب ذهلوا من الأسلوب المعجز للقرآن بينما يرون الحديث مثل أسلوبهم في الحوار، يقول كولن: "عندما تقرأ الأحاديث تحدس وراءها شخصا يفكر ويتحدث قد ملأته خشية الله تعالى، بينما تجد في القرآن مهابة وجلالا وأسلوبا قاهرا؛ لذا فمن المستحيل أن يجتمع في أسلوب شخص وفي بيانه مثل هذا الفرق الكبير"[٤].

٣- من المستحيل قيام شخص أمي مثل نبينا- ﷺ- لم ير مدرسة، ولم يقرأ كتابا بوضع نظام كامل لا نقص فيه ولا قصور، يقول كولن في وصفه: "نظام يتناول الفرد، والعائلة، والمجتمع، والاقتصاد، والقانون مثل هذا الافتراض يصادم العقل والفكر والبداهة، ولا سيما إن كان هذا النظام صالحا للتطبيق طوال عصور عديدة، وعند أمم مختلفة، وشعوب متفرقة، ولا يزال محتفظا بنضارته، وقوته، وقابليته على التطبيق حتى اليوم"[٥].

وقد أشار إلى هذه الحيوية والتجدد في مقالات عدة، وكذا أشار إلى قدرة الإسلام على حل مشكلات الحياة.

٤- " الحياة والوجود في القرآن، وما يتعلق بهما من مواضيع العبادات والمعاملات تراها متوازنة بعضها مع البعض توازنا مدهشا.. ؛ذلك لأن مسألة واحدة فقط من المسائل

---

[١]- د/ عمر بن إبراهيم رضوان : آراء المستشرقين حول القرآن الكريم وتفسيره، دراسة ونقد، ص١٤٩- ١٥٠ دار طيبة للنشر- الرياض.

٢- منهم الشيخ (رشيد رضا) فيدفع شبهة الأخذ عن بحيرا الراهب أو ورقة بن نوفل بالقول: بأن النبي (ﷺ) لم ير هذا الراهب إلا وقتما خرج مع عمه بتجارة إلى الشام، وهو ابن تسع سنين، وقيل اثنا عشرة سنة، والروايات الواردة ضعيفة الأسانيد، وليس فيها أنه سمع من (بحيرا) شيئا من عقيدته أو دينه. أما دعوى الأخذ عن ورقة، فيرى رشيد رضا أنها باطلة أيضا؛ لأن ورقة كان عند بدء الوحي أعمى ولم يلبث أن مات. ينظر: السيد محمد رشيد رضا: الوحي المحمدي ص ٥٩- ٦٠ مؤسسة اقرأ للنشر والتوزيع والترجمة٢٠١٤م مكتبة الفنون والآداب- القاهرة- مصر.

٣- كولن: الرد على شبهات العصر ص ١٤٩.

٤- السابق ص١٤٩.

٥- الرد على شبهات العصر ص ١٥٠.

المذكورة آنفا تتجاوز قدرة أكبر العباقرة"[١]، فكيف تنسب كل هذه المسائل إلى شخص أمي (عليه الصلاة والسلام).

٥- يعد القرآن كلاما معجزا بما يحتويه من أخبار الغيب للماضي والمستقبل؛ لذا لا يمكن أن يعد من كلام البشر.

٦- ثم إن القرآن تحدى الإنس والجن، فلم يتجرأ أحد للتصدي والمعارضة له، وهذا أسطع دليل على صدقه وإعجازه.

٧- وحديث القرآن عن بعض الحقائق العلمية يؤكد أنه لا يمكن إسناده إلى البشر، فقد تحدث عن خلق الكون، وعن علم الفلك، وعلم الأرصاد الجوية، والفيزياء، فمن علم الرسول الأمي هذه الحقائق، لابد أنها من قبل الله تعالى.

٨- القرآن ذروة في البلاغة، ولا ند ولا مثيل له في هذا الخصوص؛ لذا لا يمكن عزوه إلى إنسان.

وعجز بلغاء العرب عن معارضته حتى بآية واحدة وكذا - إذا صرفنا النظر عن أهل الكتاب والمستشرقين- فإننا نرى آلافا من المفكرين والباحثين الغربيين أبدوا إعجابهم ببلاغة وأسلوب القرآن[٢]، وقد ذكر (كولن) عددا منهم، وبعضا من أقوالهم من هؤلاء المنصفين: (أرنست رينان) [٣]و(أميل درمنهيم)[٤] و(كوستاف لوبون)[٥].

١- كولن: الرد على شبهات العصر ص١٢٢.

٢- ينظر: كولن: الرد على شبهات العصر ص١٢٢- ١٦١.

٣- أرنست رينان لم يكن منصفا كل الإنصاف ففي محاضرة له ألقاها في السوربون عنوانها(الإسلام والعلم) ١٨٨٣م، هاجم فيها الإسلام، وادعى أن الإسلام يضطهد العلماء والفلاسفة، وليس عند العرب علما، فلم ينتج الجنس العربي شيئا، فما يميز المسلم هو كراهية العلم، وقد رد عليه الأفغاني ردا مترفقا مما أغضب الشيخ محمد عبده ولم يرد حفظا لسمعة أستاذه كما يقول الدكتور عبد الرحمن بدوي. بل ويقول د/الجبري: "وأشد المستشرقين حدة وحقدا على الإسلام ورسوله وتاريخه الفرنسيون والكاثوليك الذين تحتضنهم في العالم جمهورية فرنسا ومن أشهرهم: أرنست رينان، وكيمون، وهانوتو، وفولتير". ينظر: د/ عبد الرحمن بدوي: موسوعة المستشرقين ص ٣١٥.وينظر: عبد المتعال محمد الجبري: الاستشراق وجه الاستعمار الفكري ص ٢٢٣مكتبة وهبة ط الأولى ١٤١٦هـ- ١٩٩٥م.

٤- إميل درمنهيم أو درمنغم(١٨٩٢- ١٩٧١م): مستشرق فرنسي ألف كتاب(حياة محمد)تحدث فيه عن حياة النبي في شتى مراحلها، وتكلم عن إعجاز القرآن، وقوته، وقيمته الأدبية، وكونه أقوى دليل على صدق رسالة النبي= =د/ عز الدين فراج: نبي الإسلام في مرآة الفكر الغربي ص ٥٨ المجلس الأعلى للشئون الإسلامية: الإسلام في عيون المنصفين ج ١ ص ١٤٣. كولن: الرد على شبهات العصر ص ١٦١.

٥- رغم إنصاف (لوبون) في حديثه عن الحضارة العربية إلا أنه أساء في الجانب الديني والغيبي، فقد رد عليه (محمد فريد وجدي) ما جاء في كتابه(حضارة العرب) من وصفه للوحي بأنه خيالا مرضيا أو لونا من الهوس. وقد رد عليه أيضا مجمع البحوث الإسلامية حينما عرض عليه الكتاب للفحص وقال بأن الكتاب منصف للحضارة الإسلامية والعربية، وفيه دفاع منطقي عن عقيدة التوحيد، ولكن به أخطاء فاحشة، وذلك لكون صاحبه لا يؤمن بما وراء الطبيعة، وتطبيقه للمنهج الوضعي على الأديان فقد ادعى أن العلة تسيطر على حوادث التاريخ، ووصف الوحي بالهوس، والأنبياء بالمتهوسين، واعتبار القرآن من تأليف محمد؛ لقلة الترتيب بين=

إذن دعوى أن القرآن ليس وحيا إلهيا مردودة عقلا، وقد دفع هذه الشبهة آلاف المنصفين حتى من غير المسلمين وثبت قطعا أنه وحي إلهي ومعجزة خالدة.

تعقيب:

من خلال دراسة دلائل النبوة عند (فتح الله كولن) يتبين عدة أمور:

١- هناك اتفاق كبير بين جميع الفرق الكلامية بمن فيهم المعتزلة في دلائل نبوته - صلى الله عليه وسلم- مما يجلي أن المسألة فيها إجماع من المسلمين.

٢- اهتم المتكلمون القدامى بالمعجزات الحسية واعتبروها من دلائل نبوته ﷺ - على حين حدث تهوين من شأنها عند المعاصرين، وعدم اعتداد بكونها من دلائل نبوة محمد- صلى الله عليه وسلم-.

٢- حديث (كولن) عن معجزة القرآن والتوسع فيها على حساب المعجزات الحسية - وهو موقف عدد من المعاصرين مثل: (رشيد رضا) و(محمد حسين هيكل) كما سبق القول- يبين جانبا مهما، وهو أنه يريد أن ينفذ الى قلب المؤمن، ووجدانه، وعقله ولذا ربطه بمعجزة معنوية خالدة لا معجزة حسية[١].

٣- كلامه عن القرآن أقوى وأبعد أثرا في النفس، ومليء بالتشبيهات والأمثلة التي تقرب المعاني إلى العقول والنفوس، فهو بحق لا يريد من وراء كلامه أن يقنع العقول فحسب، بل يريد أن يبني عقيدة تسيطر وتهيمن على القلوب، وهذا ينبغي أن يكون أول أهداف علماء العقيدة في العصر الراهن بناء العقيدة في القلوب بأسلوب سهل يخاطب الوجدان؛ لبناء جيل قوي متمسك بعقيدته في وجه التيارات والمذاهب المادية والإلحادية، وليس دارسا فقط لمفاهيم وأدلة نظرية، وهذا في رأيي التجديد الذي نريده في علم الكلام الإسلامي.

٤- مسألة تربية القرآن لجيل الصحابة يؤكد الأستاذ من خلالها على تربية الأمة بالقرآن أيضا، فإننا لو توجهنا بكليتنا إلى هذا الكتاب الكريم، وأقبلنا عليه لاستطعنا أن نحدث التغيير المطلوب في أنفسنا ومجتمعنا.

فالتركيز على الإنسان مطلوب عندما ندرس أي جزء من العقيدة، بل ينبغي أن يكون ضمن أسس تكوين علم الكلام الجديد كما يقول الدكتور (أبو ريدة)[٢]، وكما ترى الدكتورة

=أجزائه. ينظر محمد فريد وجدي: الرد على الماديين ص ١٢ وتذييل الكتاب بقلم محمد عمارة الذي نشر فيه بيان المجمع ص ٨٠-٨٥. مجلة الأزهر جمادى الأولى ١٤٣٤هـ- مارس ٢٠١٣م.

١- وإن كان بعض المحدثين كالقاسمي يعتبر القرآن آية حسية عقلية صامتة ناطقة .ينظر دلائل التوحيد ص ١٤٨.

٢- ينظر: أبو ريدة: تجديد الخطاب الديني والفلسفي/الفلسفة الإسلامية ص ٦٠٤ .

(يمنى الخولي) في نظرتها لتأسيس علم الكلام الجديد[1].

٥- حديث (كولن) عن الإعجاز العلمي في القرآن متوازن وموضوعي، فهو لا يلوي عنق الآيات من أجل تطويعها للعلوم الحديثة؛ لأن القرآن هو الأصل والوحي السماوي، وهو دليل على كل شيء، فلا يحتاج للعلم الطبيعي أو غيره ليؤكد صدقه؛ ولذا وضع ضوابط لمسألة العلاقة بين القرآن والعلم الحديث نبراسا لمن يتناول هذه المسألة من بعد.

تعقيب على الفصل الثاني:

من خلال ما سبق في فصل النبوات يتبين أن:

١- يتفق (كولن) مع المتكلمين في كثير من القضايا مثل: شروط النبوة، وحكم البعثة، وصفات الأنبياء، وعصمتهم- عليهم السلام-.

٢- عرض (كولن) شرط الذكورة وناقشه بشكل علمي، ومن خلال طبيعة الجنسين الذكر والأنثى لينتهى إلى القول بأن النبوة حصر على الرجال لخصائصهم الوجودية التي تختلف عن طبيعة النساء؛ ولذا منعوا من توليها.

٣- ذكر صفات الأنبياء كالمتكلمين وانفرد عنهم بذكر، صفات النبي -ﷺ- متوسعا فيها، وداعما لها بالأمثلة من سيرته- ﷺ-.

٤- استفاض (كولن) في الحديث عن النبي -ﷺ-، وبعثته ودلائل صدقه ، واقتصر على معجزة القرآن الكريم مع إغفاله سائر المعجزات- مع تأكيده على ثبوتها وأهميتها- اللهم إلا حديثه عن معراجه (ﷺ) حديث الصوفي لا المتكلم.

٥- دفع الشبهات المثارة حول الرسالة والرسول- ﷺ- بالحجج العقلية والمنطقية وعرض كل ما يتصل بها من خلفية تاريخية ومن آراء غربية واستشراقية مما يدل على ثقافته الموسوعية.

٦- استخدام شواهد كثيرة من القرآن والسنة لتأكيد قضاياه، وكذا العلم الحديث، كما استخدم وسائل متعددة لتقريب المعاني كضرب الأمثلة، والتشبيه، وغيرها .

٧- اطلاعه على الفلسفات القديمة والحديثة، واستخدامها فيما يدعم فكرته، والرد على الأفكار السلبية في هذه الفلسفات.

٨- رغم تقديره للعلم الحديث إلا أنه وضع ضوابط لمن يخوض في التفسير العلمي للقرآن، وأكد على كون القرآن الأصل والعلم تابع وخادم له، فلا ينبغي في زهوة الانبهار بالعلم أن نلوي عنق الآيات أو نؤولها حتى تتفق مع النظريات العلمية، فهذا تشويه وغض من قيمة القرآن؛ وبذا يريد أن يغرس في نفس المسلم الثقة واليقين بدينه وأهم أركانه القرآن الكريم.

١- ينظر: أ.د يمنى طريف الخولي: الطبيعيات في علم الكلام من الماضي إلى المستقبل ص ٤٤مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة.

الفصل الثالث: السمعيات

تمهيد:

العلاقة بين السمعيات والغيبيات:

الغيبيات أعم من السمعيات فالغيب ما دل عليه دليل عقلي ونقلي كالله تعالى وصفاته، أو ما دل عليه السمع و النقل فقط؛ ولذا يسمى الأخير عند المتكلمين بالسمعيات وهي اليوم الآخر ومراحله، وهو ما أقصده في هذا الفصل؛ لذا سميته بالسمعيات ولكن رأيت لكولن كلاما عن الغيب وشبهات حوله فآثرت أن أذكره في هذا التمهيد إتماما للفائدة، ولذا سأعرف بداية معنى الغيب، ثم الشبهات التي أثيرت حديثا عن الغيب ورد (كولن) عليها، ثم أعقب ذلك بالسمعيات، ومنهج (كولن) في بحثها.

أولا: معنى الغيب:

أ- في اللغة:

١- خلاف الشهادة.

٢- ما اطمأن من الأرض.

٣- كل ما غاب عن الإنسان، أو ما غاب عن العيون سواء أكان محصلا في القلوب أم غير محصل، وتكلم عن ظهر الغيب، وسمعت صوتا من وراء الغيب: من موضع لا أراه، أو تستر الشيء عن العيون.

٤- ما غاب مما لا يعلمه إلا الله[١].

ب- معنى الغيب في الاصطلاح:

سأقوم بتعريف الغيب في الاصطلاح من خلال تفسير المتكلمين لقوله تعالى: ﴿ ٱلَّذِينَ يُؤۡمِنُونَ بِٱلۡغَيۡبِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقۡنَٰهُمۡ يُنفِقُونَ ﴾[٢].

١- عند المعتزلة: مصدر يدل على: "الخفي الذي لا ينفذ فيه ابتداء إلا علم اللطيف الخبير، وإنما نعلم منه نحن ما أعلمناه، أو نصب لنا دليلا عليه...وذلك نحو الصانع

١- ينظر: أبو منصور الهروي: تهذيب اللغة، باب الغين والميم ج ٨ ص ١٨٣. ابن فارس: مقاييس اللغة، باب الغين والياء ج ٤ ص ٤٠٣. الفيروز أبادي: القاموس المحيط ص ١١٧. المعجم الوجيز ص ٤٥٨.

٢- سورة البقرة الآية: ٣.

وصفاته، والنبوّات وما يتعلق بها، والبعث والنشور والحساب، والوعد والوعيد، وغير ذلك. وإن جعلته حالا كان بمعنى الغيبة والخفاء"[١].

٢- عند الأشاعرة: "الغيب هوَ الذي يكون غائبا عن الحاسة ثم هذا الغيب ينقسم إلى ما عليه دليل، وإلى ما ليس عليه دليل. فالمراد من هذه الآية مدح المتقين بأنهم يؤمنون بالغيب الذي دل عليه دليل بأن يتفكروا ويستدلوا فيؤمنون به، وعلى هذا يدخل فيه العلم بالله تعالى، وبصفاته والعلم بالآخرة، والعلم بالنبوة، والعلم بالأحكام وبالشرائعِ فَإن في تحصيل هذه الْعلوم بالاستدلال مشَقة فَيصْلح أَن يَكون سَببًا لاستحقاق الثناء"[٢].

٣- الماتريدية: "ما غاب عنهم مما أنبأهم به النبي -عليه السلام- من أمر البعث، والنشور، والحساب، وغير ذلك، فهو بمعنى الغائب تسمية بالمصدر من قولك غاب الشيء غيباً هذا إن جعلته صلة للإيمان، وإن جعلته حالاً كان بمعنى الغيبة والخفاء أي يؤمنون غائبين عن المؤمن به وحقيقته متلبسين بالغيب"[٣].

وقيل المراد بالغيب: "القلب؛ لأنه مستور، والمعنى يؤمنون بقلوبهم، لا كمن يقولون بأفواههم ما ليس في قلوبهم". [٤].

٤- فتح الله كولن: أما الغيب عند كولن: هو ما استأثر الله سبحانه وتعالى بعلمه[٥].

ثانيا: لا يعلم الغيب إلا الله:

وقد استأثر الله تعالى بأمور خمسة لا يعلمها ملك مقرب ولا نبي مرسل إلا بعض ما أطلعهم الله عليها تيسيرا لمهمتهم كالمعجزات التي يتم بها الإخبار عن أمور غيبية حاضرة أو مستقبلة تصديقا لهم .

وهذه الغيبيات ذكرها الله في القرآن الكريم في قوله: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥ عِلۡمُ ٱلسَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ ٱلۡغَيۡثَ وَيَعۡلَمُ مَا فِي ٱلۡأَرۡحَامِۖ وَمَا تَدۡرِي نَفۡسٞ مَّاذَا تَكۡسِبُ غَدٗاۖ وَمَا تَدۡرِي نَفۡسُۢ بِأَيِّ أَرۡضٖ تَمُوتُۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرُۢ ﴾ [٦] .

وقد رد (كولن) على بعض الشبهات المثارة حول بعض الغيبيات كقول البعض إن نزول المطر، وعلم ما في الأرحام قد خرجا عن الغيبيات، ففي هذا العصر أمكننا معرفتهما والتنبؤ بأحوالهما، وهي:

١- الزمخشري: الكشاف باب سورة البقرة آية(٣) ج ١ ص ٣٧.

٢- الرازي: مفاتيح الغيب باب سورة البقرة(٢) آية(٣) ج٢ ص ٢٧٣.

٣- أبو البركات النسفي: تفسير النسفي مدارك التنزيل وحقائق التأويل باب (٣) ج ١ ص ٤١.

٤- السابق.

٥- كولن: الرد على شبهات العصر ص ١٦٧.

٦- سورة لقمان الآية:٣٤.

١- نزول المطر :

الشبهة المثارة حول المطر: أننا اليوم نعلم متى ينزل المطر، بناءً على نتائج علم الأرصاد الجوية؛ إذن لا معنى لقولنا إنها من الغيبيات.

يقول (كولن) في جوابه عن هذه الشبهة:

" ما العلاقة بين ما يدّعون معرفته بالتقنيّات الحديثة وبين الغيب؟، نعم، إن تنبؤهم بوقت نزول المطر- وقد لاحت في الأفق أماراته، وبدأت تظهر في عالَم الشهادة علاماته -لا يمتُّ إلى معرفة الغيب بِصلة"[١].

وقد ضرب مثلا يوضح هذه الفكرة:

نفترض أننا عبّأنا غرفة بثاني أكسيد الكربون، ولما أجرينا تجاربنا بآلات تكشف عن وجود ثاني أكسيد الكربون كانت النتيجة بعد ساعتين سيشعر من بالغرفة جميعًا بثقل وصداع، فإذا ما وقع هذا أفيكون علمًا بالغيب؟ كلا فهذا ليس غيبًا[٢] .

ومن ثم يطبق ذلك على المطر، فيقول: "معرفة وقت نزول المطر، ومكانه، وقدْرِه تفصيلا في سنة أو سنوات قادمة هذا يعدّ غيبًا، أمَّا التنبؤ بنزول المطر غدًا في مكانٍ ما فليس من الغيب في شيء، ومع هذا إن عدم وقوع تنبؤاتهم أحيانًا يُثبت أن معرفتهم بالأمر ناقصة، وإن المتخصصين في هذا العلم يسمّونه: "تنبُّؤًا"...وإن العلم بوقت نزول المطر إذا لاحت أماراته في عالم الشهادة لا يعوزه آلات ولا أدوات فهناك كثيرون من الناس يتنبؤون بذلك بتجربتهم وخبرتهم"[٣] .

وقد عرض (كولن) وجها من وجوه الإعجاز العلمي في السنة النبوية في حديث أقرت البحوث العلمية الحديثة بمفاده، وهو :"ما عام بأمطر من عام"[٤]أي معدل المطر لا لا يختلف بين عام وآخر، أما قدر ومكان نزول المطر فذاك هو الغيب الذي لا يعلمه إلا الله[٥].

٢- علم ما في الأرحام:

والشبهة المثارة هنا: إن الأشعة السينية تنتج لنا اليوم تشخيص حالة الجنين ومعرفة نوعه ذكرا كان أو أنثى فليس ذلك غيبا.

١- كولن: الرد على شبهات العصر ص ١٦٦.

٢- الرد على شبهات العصر ص ١٦٧.

٣- السابق.

٤- والحديث: "ما عام بأمطر من عام ولا هبت ريح جنوب إلا سال وادي كذا" .أخرجه أبوبكر البيهقي: السنن الكبرى، باب كثرة المطر وقلته، كتاب صلاة الاستسقاء ج ٣ ص ٥٠٧ رقم ٦٤٨١ ، كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال الفصل الثالث في النوافل ذات الأسباب والأوقات من الباب السابع في النوافل ج ٧ ص ٨٣٢ رقم ٢١٥٨٨.والحديث ضعيف كما ذكره الألباني في ضعيف الجامع الصغير وزيادته، ص ٧٣٦/١رقم .٥١٠٢

٥- الرد على شبهات العصر ص ١٦٨.

وجواب (كولن) هو ما سبق أن قرره في الرد على الشبهة السابقة من أنه ليس من الغيب معرفة شيء أصبحت مقدماته ظاهرة للعيان، فتحديد الحيوان المنوي ليس من الغيب؛ لتقدم العلم بالأسباب الدالة عليه [١]، ويؤيد قوله بأمرين:

الأول: بقوله -ﷺ-: "إذا سبق ماء الرجل ماء المرأة نزع الولد، وإذا سبق ماء المرأة نزعت"[٢]، والمعنى كما يقول كولن: "إذا سبق الحيوان الذكري الأنثوي، ولقح البويضة كان المولود ذكرا، وإلا كان أنثى...وهذا من الإعجاز العلمي في السنة النبوية، واليوم يقرره العلماء فمن عرف مسألة كهذه بعد ظهور مقدماتها، وعد هذا علما بالغيب فقد خدع نفسه"[٣].

الثاني: أن كلمة ما في قوله: ﴿ وَيَعْلَمُ مَا فِي ٱلْأَرْحَامِ ﴾ [٤] من ألفاظ العموم يعلم كل ما في الأرحام، وليس نوع الجنين فقط، فيعلم مراحل حياته كلها، ومستقبله، وشقي أو سعيد[٥].

إذن لا يعلم الغيب الحقيقي إلا الله تعالى، أما الغيب الذي يستدل عليه بأمارات وخبرات ومعلومات، فليس غيبا، بل شهادة .

ثالثا: السمعيات:

أما باقي الغيبيات والتي يسميها المتكلمون أيضا بالسمعيات أي "ما يتوقف على السمع من الاعتقادات التي لا يستقل العقل بإثباتها كالحشر، والنشر، وعذاب القبر ونعيمه"[٦].

وجرت عادة المتكلمين بأن تبدأ بالموت وحياة القبر نعيما أو عذابا، ثم علامات الساعة، والبعث والنشور لتبدأ مراحل القدوم على الله للحساب، ثم غايتها ومنتهاها مقر الخلود إما جنة وإما نار، وإما نعيم وإما جحيم.

وقد اقتضب (كولن) وأجمل في تلك المراحل، واقتصر على ماله صلة في تربية المرء روحيا، والتأثير عليه عاطفيا؛ لينجي نفسه بالعمل والاجتهاد في الطاعة مما يخاف ويحاذر.

١- ينظر الرد على شبهات العصر ص ١٦٨.

٢- ورد بلفظ "ذهب بالشبه.. ذهبت بالشبه مسند الإمام أحمد بن حنبل ج ٢١ص ٣٤٩ رقم ١٣٨٦. محمد بن حبان : صحيح ابن حبان بترتيب ابن بلبان وصف الجنة وأهلها، ج ١٦ ص ٤٤٢ رقم ٧٤٢٣ . والحديث صحيح ذكره الألباني في: التعليقات الحسان على صحيح ابن حبان وتمييز سقيمه من صحيحه، وشاذه من محفوظه، باب وصف الجنة وأهلها، كتاب إخباره- ﷺ- من مناقب الصحابة ص ١٠/ ٤٠٨ رقم ٧٣٨٠، الناشر: دار با وزير للنشر والتوزيع، جدة - المملكة العربية السعودية، الطبعة: الأولى، ١٤٢٤ هـ - ٢٠٠٣ م.

٣- الرد على شبهات العصر ص ١٦٨.

٤- سورة لقمان الآية:٣٤.

٥- ينظر: الرد على شبهات العصر ص ١٧٠.

٦- كمال الدين بن أبي شريف: المسامرة شرح المسايرة لابن الهمام ص ٢٠٩..

بحث (كولن) مسألة المعاد في ضوء الظاهر من الكتاب والسنة، وابتعد عن الجدل الدائر حولها بين المتكلمين والفلاسفة.

وانفرد كولن بفلسفته عن الموت، والساعة، واليوم الآخر، فليس في المسألة ما يبعث على القلق أو الخوف، بل ينبغي أن تبعث على الراحة والاطمئنان على ما سنذكر من كلامه لا حقا - إن شاء الله-.

وجاء الفصل مقسما إلى عدة مباحث:

المبحث الأول: الروح.

المبحث الثاني: الموت والقبر.

المبحث الثالث: علامات الساعة.

المبحث الرابع: اليوم الآخر.

المبحث الخامس: الروحانيون.

المبحث الأول: الرُوح

أولا: تعريف الرُوح:

أ- الروح في اللغة:

١- النفس، فالروح والنفس بمعنى واحد.

٢- ما به حياة الجسد.

٣- النفس الذي يتنفسه الإنسان، وهو جار في جميع الجسد[١].

وكلها تشير إلى مفهوم واحد وهو: أنها ما تقوم به حياة الجسد، وأشار بعضها أن الروح بمعنى النفس.

ب- الروح في الاصطلاح:

هناك من نفي وجود الروح ولم يثبتوا غير الجسد فقط، وأما المثبتون لوجودها وهم أكثر المسلمين فانقسموا إلى رأيين في بيان حقيقتها:

الأول: جسم متعلق بالبدن:

وهو اختيار بعض المتكلمين، ومنهم (الجويني) إذ يقول: "الروح أجسام لطيفة مشابكة للأجسام المحسوسة أجرى الله تعالى العادة باستمرار حياة الأجسام ما استمرت مشابكتها لها، فإذا فارقتها يعقب الموت الحياة في استمرار العادة"[٢].

الثاني: جوهر مجرد عن المادة.

وهو قول بعض المحققين كالإمام (الغزالي) إذ يطلق لفظ القلب، والنفس، والروح كل منها على معنيين أحدهما هو المعنى الذي أراده الله في قوله:﴿ وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلرُّوحِۖ قُلِ ٱلرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا ﴾ ويعرفها- القلب أو الروح أو النفس- بقوله: "لطيفة ربانية رُوحَانية لها بهذا القلب الجسماني تعلق، وتلك اللطيفة هي حقيقة الإنسان، وهو المدرك العالم العارف من الإنسان، وهو المخاطب، والمعاقب، والمعاتب، والمطالب"[٣].

وقال الرازي: "جوهر بسيط مجرد لا يحدث إلا بمحدث قوله: كن فيكون"[٤].

١- ينظر: الخليل بن أحمد: العين باب الحاء والراء ج٣ ص ٥٩١. ابن فارس: مجمل اللغة باب النون والفاء ج ١ ص ٨٧٩. ابن منظور: لسان العرب ج ٥ ص ٣٥٩،٣٦١ .

٢- الجويني: الإرشاد إلى قواطع الأدلة في أصول الاعتقاد ص ٣٧٧ .

٣- الإمام أبو حامد الغزالي : إحياء علوم الدين ج ٤ ص ٤ تحقيق: الشحات الطحان- عبد الله المنشاوي مكتبة الإيمان- المنصورة ط الأولى ١٤١٧هـ -١٩٩٦م.

٤- الرازي: مفاتيح الغيب باب سورة الإسراء(١٧) الآية (٨٥) ج ٢١ ص ٣٩٣..

كما قال بجوهرية النفس أيضا الفلاسفة، فقد أقام (ابن سينا) عدة براهين على جوهرية النفس، وغناها عن البدن[١].

وكذا الصوفية قالوا بأن الروح لطيفة من عالم المجردات تعلقت بالجسم وتدبيره[٢].

ج- تعريف الروح عند فتح الله كولن:

"الروح قانون أمري حي شاعر نوراني، وذات حقيقة جامعة معدة لاكتساب الكلية والماهية الشاملة، وقد ألبست وجودا خارجيا"[٣]، وهو تعريف (النورسي)، وقد اعتمده (كولن) لكونه وافيا وشاملا كما يقول.

ويشرح (كولن) ذلك بقوله: "إن الروح غير متركب من مادة وهو من عالم الأمر - كما جاء في القرآن- وليس من عالم الخلق (أي ليس وجودا ناشئا من اجتماع الذرات)، بل هو من القوانين النورانية الشاعرة جاء إلى الوجود مثل الملائكة الكرام بأمر من الله تعالى، أي أن الروح قانون مثل قانون الجاذبية الموجودة بين نواة الذرة والالكترونيات، ومثل قانون النمو الموجود داخل البذرة، ولكنه يملك شعورا بينما لا تملك القوانين الأخرى حياة ولا شعورا"[٤].

إذن (كولن) مع رأي الفريق الذي يعد الروح جوهرا مجردا عن البدن .

وهنا شبهة قد تثار، ذكرها (كولن) وقام بالرد عليها:

وهي أن الروح بسيطة بمعنى أنها غير مركبة من المادة؛ لذا لا تتحلل، ولها وجود ثابت؛ لذا قد يخطر على بال البعض بأنها تشبه الله- حاشا لله- من هذه الناحية، أي كما أن الله منزه عن التغير، فالروح أيضا لا تتغير فما الفرق؟.

وكان جواب (كولن): "إن الله تعالى منزه عن التبدل والتغير، وعن الألوان والأشكال تنزها نابعا من ذاته، بينما خلق الروح بسيطا من قبل الله تعالى، فالله خالق والروح مخلوق، والله قائم بذاته بينما الروح - وكذا سائر الموجودات- قائمة به، فكل شيء يمد يده يطلب العون والمساعدة منه"[٥] .

وضرب (كولن) مثالا على ذلك بالشمس والقمر، فالقمر يستمد نوره من الشمس، فإذا فنيت الشمس فلا نور للقمر، فنور القمر عرض من الأضواء الأصلية الموجودة في الشمس[٦].

١- ينظر: ابن سينا: أحوال النفس ص ١٧٢، تحقيق ودراسة: د/ أحمد فؤاد الأهواني، دار بيبليون- باريس.

٢- ينظر: الأمير عبد القادر الجزائري: المواقف في التصوف والوعظ والإرشاد، المجلد الأول ص ٧٣٧، الهيئة العامة لقصور الثقافة- القاهرة ٢٠١١م.

٣- ينظر كولن: نحو عقيدة صحيحة ص ١٤١ والنورسي: الكلمات الكلمة التاسعة والعشرون ص ٦١١.

٤- كولن: الرد على شبهات العصر ص ٢٢٥ وأسئلة العصر المحيرة ص ١٢٦.

٥- الرد على شبهات العصر ص ٢٢٦واسئلة العصر ص ١٢٧.

٦- السابق.

ثانيا: نشأة الروح:

اتفق المتكلمون على حدوث الروح، ولكنهم اختلفوا هل هي حادثة مع البدن أم قبله؟.

الرأي الأول: أن الروح مخلوقة قبل البدن: ونسبه الجرجاني إلى بعض المتكلمين دون تحديد، وعزاه بعض العلماء إلى جمهور المتكلمين مستدلا بقوله: ﴿ وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنۢ بَنِيٓ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْۖ قَالُواْ بَلَىٰۛ شَهِدْنَآۛ أَن تَقُولُواْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَٰذَا غَٰفِلِينَ ﴾[1].

الرأي الثاني: أن الروح مخلوقة مع البدن: نسبه الجرجاني إلى بعض المتكلمين ودليلهم قوله: ﴿ ثُمَّ أَنشَأْنَٰهُ خَلْقًا ءَاخَرَۚ ﴾ والمراد بالإنشاء إفاضة النفس على البدن[2].

وهذا القول هو ما ذهب إليه الماتريدية، والفلاسفة أيضا.

فيرى الماتريدية أن الأرواح خلقت مع الأجساد بدليل: ﴿ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْۖ قَالُواْ بَلَىٰۛ ﴾[3]، والخطاب والسؤال للأجساد مع الأرواح[4].

ويرى (ابن سينا) أنه من المحال وجودها قبل البدن، ويختار أنها حادثة مع حدوث البدن[5].

ويرى الصوفية أن الروح مخلوقة حادثة وليست قديمة[6] دون بيان هل حدوثها مع البدن أم قبله.

رأي فتح الله كولن:

وأما (كولن) فيرى أن روح الإنسان لها وجود مستقل، وأنها خلقت قبل الجسد وأن الله عقد معها الميثاق حينئذ، ورأت الأرواح كل شيء واضحا جليا لعدم توسط برزخ الجسمانية مستدلا بقوله: ﴿ وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنۢ بَنِيٓ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ

١- سورة الأعراف الآية: ١٧٢. ينظر: شرح المواقف المجلد الرابع ص ٢٥٧. وينظر: الشيخ محمد حسنين مخلوف: المطالب القدسية في أحكام الروح وآثارها الكونية ص ٦٠، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده، ط: الثانية ١٣٨٢هـ- ١٩٦٣م.

٢- ينظر: شرح المواقف المجلد الرابع ص ٢٥٧.

٣- سورة الأعراف الآية: ١٧٢.

٤- ينظر: أبو معين النسفي: بحر الكلام ص ١٧٩.

٥- ينظر: الشيخ الرئيس ابن سينا: أحوال النفس ص ٩٦ .

٦- ينظر: أبو نصر عبد الله علي السراج الطوسي: اللمع في تاريخ التصوف ص ٤٥٣ تحقيق: عماد زكي البارودي المكتبة التوفيقية. أبو القاسم عبد الكريم بن هوازن القشيري : الرسالة القشيرية في علم التصوف ص ١٦١ تحقيق: هاني الحاج، المكتبة التوفيقية.

أَلَسۡتُ بِرَبِّكُمۡۖ قَالُواْ بَلَىٰۚ شَهِدۡنَآۚ أَن تَقُولُواْ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ إِنَّا كُنَّا عَنۡ هَٰذَا غَٰفِلِينَ ﴾ [1]، فالله قد أخذ العهد والميثاق على الأرواح، وهي في عالم الذر قبل خلق الأبدان[2]مما يدل على أنها خلقت قبل البدن .

ثالثا: موقف كولن من التناسخ:

يتفق المسلمون على أن كل جسد له روح مستقلة تختص به، وبعد الموت النعيم والعذاب يكون للروح والجسد معا، ولم يقل أحد بانتقال تلك الروح لبدن آخر إلا بعض الفرق الضالة، وهم من يطلق عليهم أصحاب التناسخ، وقد دفع هذا المذهب كثيرا من المسلمين - ومنهم (فتح الله كولن)- لبيان حقيقته ، وتاريخ ومنشأ عقيدة التناسخ، ورأي الإسلام في هذا المسلك.

١- حقيقة التناسخ:

التناسخ في اللغة: "انتقال الروح بعد الموت من جسد إلى آخر، وأصحاب التناسخ الذين يقولون بتناسخ الأرواح في الأجساد كما ينسخ الكتاب من واحد إلى آخر[3].

التناسخ في الاصطلاح:

وردت عدة تعريفات متقاربة في بيان حقيقة التناسخ عند القائلين به، منها:

أ- "التناسخ هو أن تتكرر الأكوار والأدوار إلى ما لا نهاية له، ويحدث في كل دور مثل ما حدث في الأول، والثواب والعقاب في هذه الدار لا في دار أخرى لا عمل فيها، والأعمال التي نحن فيها إنما هي أجزية على أعمال سلفت منا في الأدوار الماضية، فالراحة، والسرور، والفرح، والدعة التي نجدها هي مرتبة على أعمال البر التي سلفت منا في الأدوار الماضية، والغم، والحزن، والضنك، والكلفة التي نجدها هي مرتبة على أعمال الفجور التي سبقت منا"[4].

ب- " تعلق الروح بالبدن بعد المفارقة من بدن آخر من غير تخلل زمان بين التعلقين للتعشق الذاتي بين الروح والجسد"[5].

ج- "انتقال النفس الناطقة من بدن إلى بدن آخر من غير تخلل زمان بين تعلقها بالأول، وتعلقها بالثاني للتعشق الذي بين الروح والجسد"[6] .

---

[1]- سورة الأعراف الآية:١٧٢.

٢- ينظر: كولن: القدر في ضوء القرآن والسنة ص ١٠٨ .

٣- الخوارزمي: مفاتيح العلوم، الفصل الخامس في أسامي أرباب الملل والنحل ص ٥٥/١. مجمع اللغة العربية: المعجم الوجيز ص ٦١٣ .

٤- الشهرستاني: الملل والنحل ج ٢ ص ٣٦٦ .

٥- السيد الشريف علي بن محمد الجرجاني : التعريفات ص ٣١ .

٦- جميل صليبا: المعجم الفلسفي ج ١ ص ٣٤٦.

يقول (جميل صليبا): "والتناسخ عقيدة شاعت بين الهنود وغيرهم من الأمم القديمة مؤداها أن روح الميت تنتقل إلى موجود أعلى أو أدنى، لتنعم أو تعذب جزاء على سلوك صاحبها الذي مات، ومعنى ذلك عندهم أن نفسا واحدة تتناسخها أبدان مختلفة إنسانية كانت، أو حيوانية، أو نباتية، والغرض من هذا التناسخ امتحان النفس حتى تكتسب بذلك ما ينقصها من الكمال، وتصبح مجردة عن التعلق بالأبدان"[١].

د- ويعرف كولن التناسخ بأنه:" انتقال الأرواح من جسد إلى جسد آخر، ويطلق عليه الفرنسيون (ميتامبسيكوز) أي التقمص، والقائلون به يرون أن الأجساد أشبه بقوالب للأرواح كأنها ثكنة عسكرية تدخلها الأرواح، وتعيش فيها وتعمرها، فإذا ما تحللت الأجساد انتقلت الأرواح إلى أجساد أخرى، وتظل كذلك في تداول زمني مستمر"[٢].

والمعنى واحد عند الجميع وهو انتقال الروح إلى جسد آخر بعد موت البدن لتنعم أو تعذب حسب عمل صاحبها.

٢- تاريخ ومنشأ التناسخ:

وقد عدد (كولن) المراحل التاريخية التي مرت بها هذه العقيدة حسب القائلين بها:

فذكر أن من الناس من يرى أن عقيدة التناسخ قديمة، ولها جذور عميقة وقيل: كانت بداية ظهور التناسخ في حوض النيل ويمكن استشعار هذا في أوجه المومياوات البشعة، وفي الأهرامات الحافلة بالأسرار، فكانت عقيدة خلود الروح راسخة، وهذا واضح في آثار إخناتون مصر وعقيدة المصريين.

ثم انتقلت إلى الهند، ثم اليونان، وكذا تأثرت بعض الأديان السماوية بهذه الفكرة كاليهودية' ثم انتقلت إلى الإسلام وتأثرت بها فرقة من متصوفة الإسلام[٣]، وغلاة الشيعة[٤].

واشتهر التناسخ في العصر الحالي الذي كثرت فيه التجارب الميتافيزيقية، وغدا مذهبا عقائديا أساسه انتقال الأرواح، وعظم الاهتمام بهذه النوعية من المسائل كرد فعل للفشل

١- جميل صليبا: المعجم الفلسفي ص ٣٤٦.

٢- نحو عقيدة صحيحة ص ٢٩ .

٣- قد يكون حديث الصوفية المتأخرين يوهم ظاهره التناسخ؛ ولذا دفع الأمير عبد القادر الجزائري هذه الشبهة بقوله: " الموت عبارة عن عزل الوالي- أي الروح- عن تدبير الجسم، وتوليته لتدبير آخر، لا على طريق التناسخية فإنهم يقولون برجوع الأرواح إلى تدبير أجسام عنصرية في هذا العالم المحسوس، فالموت بطلان معترف الروح في الجسم الذي كان لها التصرف فيه فقط، وإذا أراد الله أن ينشأ النشأة الآخرة كانت الصورة التي ينشئها للبقاء طبيعية لا عنصرية فتقبل الاستحالة والفناء فهي كالأجسام التي خلقها الله للبقاء، العرش والكرسي...أعني صور السعداء وأما الأشقياء فإن صورهم عنصرية ولذا قبلت النضج والتبديل في الجلود كما ورد، فالنشأة الآخرة ما هي الأولى من كل وجه، ولا نشأة الناس كلهم فيها سواء". الأمير عبد القادر الجزائري: المواقف المجلد الأول ص ٧٣٩.

٤- القول بالتناسخ ينسب إلى فرقة من فرق الهاشمية الشيعية قال إمامهم عبد الله بن عمرو بن الكندي: أن الأرواح تتناسخ من شخص إلى شخص، والثواب والعقاب في هذه الأشخاص، وروح الله تناسخت حتى وصلت إليه وحلت فيه، وادعى الإلهية والنبوة معا وعبده الحمقى، وكفروا بالقيامة لاعتقادهم أن التناسخ في الدنيا والثواب والعقاب في الأشخاص. ينظر: الشهرستاني: الملل والنحل ص ١٧٥.

الذي منيت به المادية في المحافل الاجتماعية، حتى إنه ما اجتمع نفر في مكان ما إلا دار بينهم حديث عن تأثير ما وراء الطبيعة في الطبيعة، وقوانينها، وظهور الأرواح وتنبيهها أو إغوائها وإضلالها[١].

ويرى (كولن) أن الحلول والاتحاد هما منشأ ظاهرة التناسخ فيقول: "ومما يلفت النظر أن الحلول والاتحاد قاسم مشترك بين الأمم القديمة والحديثة المعتقدة في التناسخ، وهذا خطأ عام وقعت فيه أقوام سلكت هذا الطريق المنحرف فذهبت المذهب نفسه، فالإخناتونية في حق اخناتون، والبراهمانية في براهمان، واليهودية في عزير- عليه السلام-، والمسيحية في المسيح – عليه السلام-، وغلاة الشيعة في سيدنا علي -رضي الله عنه-، أما في أقوال بعض المتصوفة مما يوهم التناسخ فهو إما من درج المغرضين، وإما من الرموز التي يجب تأويلها، وأما علماء أهل السنة المحدثون منهم، والفقهاء، والمفسرون، والمتكلمون، فقد أجمعوا على أن عقيدة التناسخ تناقض حقيقة الإسلام"[٢] .

إذن عقيدة التناسخ لها جذور في التاريخ الإنساني، واعتنقها الهنود وطوروها، وتأثر بهم ذوو النزعة الروحية في الأديان السماوية من فلاسفة وصوفية، وشيعة، ولكن (كولن) دفع عن الصوفية تلك التهمة، واعتبر ما ورد عنهم إما من دس المغرضين، أو رموز يمكن تأويلها؛ وذلك لاتجاهه الصوفي الواضح .

٣- موقف الإسلام من التناسخ:

وقد اتفق المتكلمون والفلاسفة على استحالة التناسخ وفرقوا بين البعث والتناسخ فالأول رد النفس إلى بدنها المعاد، والمؤلف من أجزائه الأصلية، والتناسخ رد النفس إلى مبتدأ أو في عالم آخر[٣].

والذي عليه أهل الحق من الصوفية كما يقول (الطوسي) أن الروح أمر من أمر الله غير متناسخة، ولا تخرج من جسم فتدخل في غيره، وتذوق الموت كما يذوقه البدن وتنعم بتنعمه، وتعذب بعذابه، وتحشر في البدن الذي تخرج منه، وكذا يقر القشيري بأن المثاب والمعاقب الروح والجسد، والحشر أيضا لهما معا[٤].

وساق العديد من المتكلمين والفلاسفة أدلة في إبطال التناسخ، منهم:

١- الإمام (الرازي) إذ يقول: "والأقوى في نفي التناسخ أن يقال: "لو كنا موجودين قبل البدن لوجب أن نعرف أحوالنا في تلك الأبدان كما أن من مارس ولاية بلدة سنين كثيرة، فإنه يمتنع أن ينساها"[٥].

١- ينظر: نحو عقيدة صحيحة ص ٢٩- ٣٢.

٢- نحو عقيدة صحيحة ص ٣٥ .

٣- ينظر: البيضاوي: طوالع الأنوار من مطالع الأنظار ص ٢٢٤.

٤- ينظر: الطوسي: اللمع في تاريخ التصوف ص ٤٥٣. أبو القاسم القشيري: الرسالة القشيرية في علم التصوف ص ١٦١ .

٥- فخر الدين الرازي: أصول الدين ص ١١٩ .

٢- وكذا (ابن سينا) في رسالته الأضحوية[١]، وكذا في رسالة أحوال النفس فيرى أن من المقرر أن كل بدن يستحق نفسا تحدث معه فلو قلنا أن نفسا تناسختها أبدان فمعنى ذلك أن البدن الواحد سيتعلق به نفسان، وكل منا يستشعر نفسه نفسا واحدة، ثم إضافة إلى ذلك أن العلاقة بين النفس والبدن علاقة اشتغال به، فيستحيل إذا أن تحل روح أخرى بالبدن ولا يشعر بها[٢].

٣- وقد رد الدكتور (المسير) على من يعتقد بالتناسخ فقال :

أ- قولهم بعدم عودة الروح إلى بدنها الأول قد نسلم به بناءً على رأي المحققين وهو أن البعث عودة الروح إلى مثل بدنها مع ضرورة الإبقاء على الصورة الإنسانية تحقيقا لتمايز الأنواع.

ب- قولهم أن الدنيا دار جزاء لا نسلم به؛ لأن الدنيا دار تكليف ومنطق العقل يقول بترتيب الجزاء بعد إنهاء فرصة الحياة .

ج- إنكارهم للقيامة والجنة والنار مصادمة للنص الديني القاطع وإجماع أهل الأديان.

د- لا فائدة ترجي من وراء الإيمان بنظرية التناسخ بحجة التطهير من أدران البشر، فليس من دليل على أن المعاصي المرتكبة في هذه الدنيا يجب أن يكفر عنها في هذه الحياة، وليس من شهادة الوجدان أننا مررنا بحيوات سابقة[٣].

رأي فتح الله كولن:

يرى (كولن) أن التناسخ يتناقض مع حقيقة الإسلام نهائيا، وقد عزا استحالة قبول هذه العقيدة الفاسدة لعدة أمور:

أولا: مقتضى الإيمان باليوم الآخر أن المرء سيحاسب بحسب منعطفات حياته فبأية حال ستثاب أو تعاقب روح حلت في آلاف الأجساد[٤].

ثانيا: "الدنيا دار ابتلاء، والابتلاء فيها قائم على أساس الإيمان بالغيب فعقيدة التناسخ تنقض نفسها بنفسها، وتقوض نفسها بنفسها؛ إذ أنها تقضي بان الروح التي اقترفت الآثام في الدنيا تعاقب بحلولها في جسد مخلوق وضيع، وإذا سنحت الفرصة للانتقال إلى جسد آخر فستحاول التخلص من تكرار عملية الحلول لما تجرعت من معاناة وآلام فلم يعد في المسألة شيء له صلة بالإيمان بالغيب"[٥] .

١- ابن سينا: رسالة أضحوية في أمر المعاد ص ٩٠، ضبطها وحققها: سليمان دنيا، دار الفكر العربي، ط: الأولى ١٣٦٨هـ- ١٩٤٩م.

٢- ينظر: ابن سينا أحوال النفس ص ١٠٧ .

٣- ينظر: د/ محمد سيد أحمد المسير: الروح في دراسات المتكلمين والفلاسفة ص ١٧٧- ١٧٩ دار المعارف ط الثالثة.

٤- ينظر: نحو عقيدة صحيحة ص ٣٥.

٥- كولن: نحو عقيدة صحيحة ص ٣٥

ثالثا: "لو قضي بأن تنتقل الأرواح بين الأجساد من هذا إلى ذاك، ومنه إلى آخر لينعم كل فرد بالسعادة المطلقة لترتب على ذلك نسبة العبث - حاشا لله- إلى وعد الله ووعيده بالثواب للصالحين وبالعقاب للظالمين، وهذا باطل ومحال في حق الذات الإلهية"[١].

رابعا: "في القرآن الكريم والكتب السماوية أن غفران الذنوب ممكن، وهذا شأن من وسعت رحمته كل شيء، وهذا يعني أن الرحلة الطويلة التي تقطعها الأرواح في ألم ومعاناة طلبا للعفو والغفران والتطهر من الذنوب لا جدوى منها ولا طائل"[٢].

خامسا: التناسخ وتلك الرحلة الطويلة الشاقة التي تقطعها الروح طلبا للرقي في تداول زمني مستمر أمر يناقض رحمة الله تعالى وإرادته.

سادسا: من أتباع الرسل من ارتكبوا المعاصي قبل إسلامهم، وبعد ماض مظلم بلغوا رتبة عالية، وبذوا الأولياء، وانتقال الأرواح بين الأبدان طلبا للرقي دعوى باطلة ومتهافتة.

سابعا: "التسليم بأن لكل جسد روحا خاصة من مقتضيات الإيمان بقدرة الله المطلقة على الخلق، أما القول بانتقال طائفة محدودة من الأرواح وإدخالها في الأجساد وإخراجها منها فإنه إسناد العجز إلى من هو على كل شيء قدير"[٣].

ثامنا: أليس من الضروري وجود أمارات لدى بضعة ملايين من بين بضعة مليارات نسمة يعيشون على وجه الأرض على الأقل لتبرهن على التجارب الحياتية التي خاضتها أجساد انتقلت منها الأرواح؟ أو على الأقل تشكل ثقافة عامة متراكمة لدى بعض الناس ؟ولو حدث هذا ولو بنسبة ١/١٠٠٠ من سكان العالم للقينا منهم واحدا أو أكثر أينما ذهبنا لكن أين هم؟.

تاسعا: وكان لابد أن يظهر في مختلف شرائح المجتمع أطفال ذوو مكتسبات قديمة ورثوها من أرواح قديمة، ولم يحدث هذا ،فإذا شوهدت أحوال خارقة من بعض النابهين فذلك مدد إلهي أو قوة حافظة من نبيه فطن ،وليس مكتسبا عن تناسخ الأرواح[٤] .

عاشرا: "لم تظهر أية أمارة حتى اليوم تثبت وجود طبائع إنسانية في كائنات حية أخرى، ولو سلمنا بوجود روح تحمل خصائص اكتسبتها من أجساد دخلتها من قبل فإنها مهما بلغت خسة حياتها، فلابد أن يكون لها انفعالات تكاد تتجاوز حدود طبيعتها ورغم تقدم الدراسات النباتية إلا أننا لم نجد في النباتات أية أمارة على التناسخ" [٥].

وقصارى القول كما يقول كولن: " منشأ عقيدة التناسخ انحراف عقائدي لدى الأمم السابقة، وأما الإنسان اليوم، فلا أصل للتناسخ عنده إلا في مكر الأرواح الخبيثة، وتلبس الشياطين ببعض الأجساد، وتحكمها بها، ويدلنا قول الصادق المصدوق- ﷺ-: "إن

١- نحو عقيدة صحيحة ص ٣٦.

٢- السابق.

٣- السابق.

٤- السابق ص ٣٧.

٥- السابق ص ٣٧.

الشيطان يجري من ابن آدم مجرى الدم "[١]،أن الشيطان له سلطان على العقل والقلب، ويظهر لنا الحديث شيئا من الوجه الحقيقي لذلك الهذيان الذي يسمى تناسخ، ولا يعقل أن يعتقد الإنسان – الذي خلقه الله في أحسن تقويم- بخرافة لا تقوم على تجربة ولا عقل ولا نقل"[٢].

وبناء على ما سبق :

١- يرى (كولن) أن الروح جوهر مجرد عن البدن مخالفا في ذلك بعض المتكلمين متفقا مع بعض المحققين والصوفية و الفلاسفة .

٢- يرى (كولن) أن الروح حادثة قبل البدن مخالفا في ذلك الماتريدية والفلاسفة متفقا مع بعض المتكلمين .

٣- استفاض (كولن) في إبطال عقيدة التناسخ معتمدا على العقل، والنقل، وعدم المشاهدة والتجربة في الواقع؛ ليؤكد على حقيقة الروح، وأنها الملازمة لجسد الإنسان من البداية حتى النهاية، وكونها محل الحساب والجزاء، والسعادة والثواب لا روح أو أرواح جديدة، ثم لا جدوي من هذه الدعوى وفي الإسلام توبة ومغفرة للذنوب؛ ومن ثم لا حاجة لمعاناة النفس الذي تراه التناسخية.

١- أخرجه البخاري في صحيحه باب الشهادة تكون عند الحاكم في ولايته القضاء، كتاب الأحكام ص ٧٠/٩ رقم ٧١٧١.

٢- كولن: نحو عقيدة صحيحة ص ٣٨.

المبحث الثاني: الموت والقبر

المطلب الأول: الموت:

أولا: معنى الموت:

١- المعنى اللغوي:

أ- الموت والموتان: ضد الحياة، والموات بالضم الموت، وقيل: الموات والموتان الأرض لم تحي بعد بزرع ولا إصلاح[١] .

ب- ذهاب القوة من الشيء[٢].

ج- السكون، وكل ما سكن فقد مات، وقد قيل: المنام: الموت الخفيف، والموت: النوم الثقيل[٣].

٢- الموت اصطلاحا:

انقسم المتكلمون في تعريف الموت إلى فريقين منهم من يقول إنه وجودي كالأشاعرة، ومنهم من يقول إنه عدمي، ومنهم الزمخشري .

الرأي الأول: "الموت كيفية وجودية تضاد الحياة فلا يعرى الجسم الحيواني عنهما ولا يجتمعان فيه، وليس بعدم محض ولا فناء صرف، وإنما هو انقطاع تعلق الروح بالبدن، ومفارقة وحيلولة بينهما، وتبدل حال بحال، وانتقال من دار إلى دار"[٤]. وقال الرازي: "قال أصحابنا إنه صِفَةٌ وُجُودِيَّةٌ مُضَادَّةٌ لِلْحَيَاةِ وَاحْتَجُّوا عَلَى قَوْلِهِمْ بِأَنَّهُ تَعَالَى قَالَ: ﴿ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْمَوْتَ وَٱلْحَيَوٰةَ ﴾[٥] الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ. وَالْعَدَمُ لَا يَكُونُ مَخْلُوقًا هَذَا هُوَ التَّحْقِيقُ"[٦].

إذن يرى الأشاعرة أن الموت أمر وجودي تماما كالحياة .

١- ينظر: ابن فارس: مجمل اللغة باب الميم والواو ص ٨١٩/١. ابن منظور: لسان العرب ص ٢١٧ج ١٣.

٢- ينظر: ابن فارس مقاييس اللغة باب(موت) ص ٥/ ٢٨٣.

٣- ينظر: لسان العرب ص ٢١٨ج ١٣.

٤- حاشية محمد بن محمد الأمير على شرح عبد السلام بن إبراهيم المالكي لجوهرة التوحيد للإمام اللقاني وبهامشها إتحاف المريد ص ١٣٧ مطبعة مصطفى البابي الحلبي، الطبعة: الأخيرة ١٣٦٨هـ - ١٩٤٨م.

٥- سورة الملك الآية: ٢.

٦- الرازي: مفاتيح الغيب، باب سورة الملك الآية (٢) ص ٣٠/ ٥٧٩.

والرأي الثاني: الموت عدم الحياة. ومن القائلين به الزمخشري والنسفي، يقول الزمخشري: "الحياة: ما يصح بوجوده الإحساس، وقيل: ما يوجب كون الشيء حيا، وهو الذي يصح منه أن يعلم ويقدر. والموت عدم ذلك فيه"[١].

ويقول النسفي: "والحياة أي ما يصح بوجوده الإحساس والموت ضده ومعنى خلق الموت والحياة إيجاد ذلك المصحح وإعدامه"[٢].

إذن فالموت على هذا الرأي أمر عدمي يضاد الحياة.

وأرى وأطمئن إلى الرأي الأول القائل بوجودية الموت لتعليل (الرازي) السابق، ولما سيورده (كولن) من تحليل لفكرة وجودية الموت.

ثانيا: رأي كولن:

يتفق (كولن) مع الأشاعرة في القول بأن الموت أمر وجودي، وليس عدميا، وكان هذا أيضا اختيار بديع الزمان النورسي قبله[٣].

يقول كولن: " فليس الموت النهاية الطبيعية للأشياء، ولا انقراضا أو فناء، ولا عدما أبديا"[٤].

كما يرى (كولن) أن وجود الحي بعد عدمه دليل على وجود الله، كذلك فناؤه دليل عليه تعالى، فيقول: "الحياة والموت في الدنيا ابتلاء، وعرض، وظهور. ووجود أي شيء بعد أن كان عدما دليل جلي وترجمان فصيح على وجود خالق لا تدركه الأبصار، وفناء ذلك الشيء بانقضاء أجله دليل أيضا على أن ذلك الخالق الأزلي باق لايفنى﴿ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْمَوْتَ وَٱلْحَيَوٰةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْغَفُورُ ﴾ [٥]، وما ينبغي للإنسان أن يهتم به هو فقه معنى الوجود، والفوز في الامتحان في الدنيا والتهيؤ للرحيل"[٦].

ويدلل (كولن) كذلك بفناء الإنسان على صفات الله تعالى فيقول: "البدايات أمارات النهايات، والحدوث دليل الفناء، ومن لا بداية له لا نهاية له، ومن ثبت قدمه استحال عدمه"[٧].

١- الزمخشري: الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، باب سورة الملك (الآيات ١إلى ٤) ص ٥٧٤/٤.

٢- أبو البركات النسفي: مدارك التنزيل وحقائق التأويل باب (١٢) ج ٣ ص ٥١٠

٣- ينظر: النورسي: المكتوبات ص ٨ .

٤- كولن: أسئلة العصر المحيرة ص ٦٠ ، وينظر: ترانيم روح وأشجان قلب ص ١٤٢ .

٥- سورة الملك الآية: ٢.

٦- كولن: نحو عقيدة صحيحة ص٦٤.

٧- كولن : نحو عقيدة صحيحة ص ٦٣.

فهو يدلل بالحدوث على فناء الإنسان، ويدلل بفناء الإنسان الحادث على قدم الله تعالى وبقائه.

وهو هنا يهتم بتطبيق مسائل العقيدة على الواقع المعاش، وتصحيح أفكارنا وفقها، وهذا من مسائل التجديد في فكر (كولن)، وهي هنا:

١- وجودنا وفناؤنا دليل على وجود الله .

٢- أن يفقه الإنسان معنى وجوده في الدنيا حتى يتهيأ بالزاد للحياة الأبدية.

٣- نسبة كل شيء إلى فاعله الحقيقي.

فيرى (كولن) أن من الخطأ إطلاق لفظ (طبيعي) على بث المخلوقات وظهورها أو رحيلها عن مسرح الحياة، وكذا إطلاقه على الآفات وآثارها، فما من شيء يظهر من العدم إلى الوجود من تلقاء نفسه بل بأمر رباني وإرادة ربانية[١] .

وفي هذا إشارة إلى أن المؤثر المحيي المميت هو الله لا الطبيعة ولا قوانينها، فما هما إلا نواميس تجري بإرادة الله تعالى.

وقد نظر (كولن) لقضية الموت بعين فيها من الجدة والاختلاف ما يظهر الموت بمثابة سياحة، وترفيه، وراحة من العناء، وسيتبين ذلك من خلال الحديث عن فلسفة الموت عنده.

ثالثا: فلسفة الموت عند كولن:

يرى (كولن) أن للموت بعدا آخر غير ما يظهر للناس، فليس شبحا مرعبا، أو فناء وعدما.

وتتلخص فلسفة الموت أو (الوجه الآخر للموت) [٢] عند (كولن) في عدة نقاط:

١- الموت نعمة وراحة:

يرى (كولن) أن الموت ليس عدما أبديا، بل هو تغيير مكان، وتغيير حال وإجازة وانتهاء من أعباء وظيفة، والوصول إلى الراحة، وإلى الرحمة، بل هو من بعض الوجوه رجوع كل شيء إلى أصله، وجوهره، وحقيقته؛ لذا فالموت جذاب جاذبية الحياة ومفرح فرح الوصال مع الأحباب والأصدقاء وهو نعمة كبيرة؛ لأنه يوصل إلى الحياة الخالدة[٣].

٢- الموت تحول نحو الأكمل والأحسن والأجمل:

يرى (كولن) أن الموت نوع من التصفية والتطهير للكائن الحي حتى يرتقى إلى حالة أسمى وأكمل، فيقول: "بما أن كل كمال وترق، وبعبارة أخرى كل نعمة وصلة

١- ينظر: كولن: نحو عقيدة صحيحة ص ٦٣ .

٢- حسب تسمية كولن لها في ترانيم روح وأشجان قلب ص ١٤٢.

٣- كولن: أسئلة العصر المحيرة ص ٦٠ ، وينظر: ترانيم روح وأشجان قلب ص ١٤٣.

مرتبطة بالمرور من بعض أجهزة التصفية والتنقية، ومن بعض الأوعية التي تعطيها شكلا خاصا كذلك فإن جميع الموجودات يتسلق نحو الأعالي بهذه الطرق من الإذابة والتصفية مثلا: معدن الذهب وجوهر الحديد لا يصلان إلى مستوى هويتهما الحقيقية إلا بعد إذابتهما أي بعد مرورهما بنوع من الموت...ولكنه في الحقيقة ليس إلا انتقالا إلى حال أعلى وأسمى"[١].

٣- الموت انتهاء وظيفة وتجديد في مسرح الحياة:

يقول كولن: "كل موجود مكلف بوظيفة استعراض خاص به أمام خالقه الذي أوجده وعندما تنتهي مراسيم الاستعراض بالنسبة إليه، وعليه أن يذهب ويخلي مكانه لغيره لكي تتم الحيلولة دون سير الأمور على وتيرة واحدة في مسرح الاستعراض هذا، وإكسابه حيوية ونشاطا بكادر جيد وجديد ...وهكذا يتم التجديد وتتحقق الحيوية والنشاط في خضم هذا المجيء والرحيل والشروق والغروب"[٢].

٤- الموت وصول إلى الأبدية ووصال مع الحبيب الأزلي:

يرى (كولن) أن الموت وصول إلى الخلود والسعادة والاجتماع بالحبيب الذي لا يتغير ولا يزول فيقول: "الموت يتضمن نصيحة صامتة بليغة وهي إن أي موجود لا يكون قائما بذاته، بل إن كل شيء يشير(مثل المصابيح التي تتعاقب فيها الإضاءة و الانطفاء إلى الشمس الأبدية التي لا تنطفئ) إلى طريق الاطمئنان والسعادة للقلوب ...عند ذلك يتحرك في قلوبنا شعور بالبحث عن حبيب لا يزول ولا يغرب، ونبض هذا الشعور في قلوبنا هو المرحلة الأولى للوصول إلى الأبدية"[٣].

وهنا تبرز النزعة الصوفية لكولن فكل الكائنات تجلي للنور الإلهي الأزلي، وبالموت يتصل الكائن بهذا الحبيب الأزلي الأبدي.

٥- الموت تسريح من وظيفة العبودية ورجوع إلى الوطن الحقيقي:

يرى (كولن) أن الموت يحمل معنى التحرر من تكاليف العبودية، فيقول: "يحمل معنى التسريح من وظيفة العبودية والأوان الذي يقول فيه الحق لعبده "لقد آن لك أن ترجع لي بكليتك"... ﴿ يَٰٓأَيَّتُهَا ٱلنَّفۡسُ ٱلۡمُطۡمَئِنَّةُ ٢٧ ٱرۡجِعِيٓ إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةٗ مَّرۡضِيَّةٗ ٢٨ فَٱدۡخُلِي فِي عِبَٰدِي ٢٩ وَٱدۡخُلِي جَنَّتِي ٣٠ ﴾[٤].

١- أسئلة العصر المحيرة ص ٦٢.

٢- السابق ص ٦٢.

٣- كولن: أسئلة العصر ص ٦٢، ينظر: ترانيم روح ص ١٤٥.

٤- سورة الفجر الآيات: ٢٧-٣٠. ترانيم روح وأشجان قلب ص ١٤٣.

فالروح التي تتلقى هذه الدعوة لا تستطيع الانتظار دقيقة واحدة في الدنيا؛ لأن معنى هذه الدعوة: هو آن لك أيتها الروح مغادرة هذه الدنيا الضيقة، والتخلص من جوها الكئيب الخانق، والرجوع إلى الجنة التي فقدتها رجوعا إلى الوطن الحقيقي لك.

فمن ينظر إلى الموت بهذه النظرة يدرك كم هو نعمة وفضل وأنه كالتسريح من الخدمة والتكاليف الشاقة، وكالولادة الثانية للإنسان[١].

٦- تحرر من سجن الجسد:

فالجسد سيفنى ويتحلل، والروح تبقى في حياة إلى الأبد؛ لذا كما يقول (كولن) ينبغي أن: "نفرح للموت الذي يعد تمزيقا لهذا القفص الجسدي وتحريرا لنا من سجن ضيق إلى جنات واسعة، وبساتين خضراء شاسعة. نفرح؛ لأن الموت هو الجسر الوحيد لهذا العالم السحري"[٢] .

٧- الموت رحمة وحكمة وعدم الموت مصيبة:

لولا الموت ما استطاع الإنسان ولا أي كائن العيش على سطح الأرض؛ ولذا فعدم الموت مصيبة كبرى للأحياء، يقول كولن: "إن الخلود الشامل وعدم الموت الشامل والساري في جميع مناحي الحياة يعد مصيبة مفزعة وعبثا ...فكروا لحظة وتصوروا أنه ما من شيء يموت في هذه الحالة لا يستطيع الإنسان وحده - حتى في العصور الأولى- بل لا تستطيع ذبابة واحدة العثور على مكان للعيش في الحياة. يكفي النمل والنباتات المتسلقات أن تسيطر على العالم بأسره في ظرف عصر واحد فقط إن لم يتعرضا للموت والتحلل، فلا يبقى شبر واحد فارغ على سطح الكرة الأرضية"[٣].

ويتساءل كولن: "وهل كنا نستطيع مشاهدة منظر من مناظر الجمال الخلابة التي يحفل بها الكون؟...أكان الإنسان الذي خلق، وسخر له هذا الكون الرائع يستطيع العيش في مثل هذا الوسط القبيح؟[٤].

عدم الموت حقا مصيبة للأحياء؛ لأنها لن تجد مكانا للحياة مع كثرة الأحياء وعدم فنائها وهذا مراد (كولن)، ولكن الموت في حد ذاته مصيبة كما وصفه الله تعالى: ﴿ فَأَصَٰبَتۡكُم مُّصِيبَةُ ٱلۡمَوۡتِۚ ﴾[٥].

١- ينظر: ترانيم روح وأشجان قلب ص ١٤٤.

٢- ترانيم روح وأشجان قلب ص ١٤٥.

٣- أسئلة العصر ص ٦٣.

٤- أسئلة العصر ص ٦٤.

٥- سورة المائدة الآية: ١٠٦.

و(كولن) هنا متأثر بالنورسي في كل فلسفته عن الموت إلى درجة التطابق، فمثلا من أقوال النورسي: "إن الموت في حقيقته تسريح وإنهاء لوظيفة الحياة الدنيا، وهو تبديل مكان، وتحويل وجود، وهو دعوة إلى الحياة الباقية الخالدة ومقدمة لها"[١] .

رابعا: ملك الموت وقبض الأرواح:

اتفق أهل السنة أن عند انتهاء الأجل يقبض رسول الموت وهو عزرائيل[٢] -عليه السلام- الروح أي يخرجها من مقرها، وله أعوان بعدد من يموت[٣].

ويرى (كولن) أن الموت من الغيبيات الخمس التي استأثر الله بعلمها، فإننا لا ندري متى سيأتينا ملك الموت لقبض أرواحنا ﴿وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ﴾ [٤].

وهذا متفق فيه مع أهل السنة وعموم المسلمين .

وهناك تساؤلات عن قدرات ملك الموت فمن أبناء عصرنا من ينظر بمنظور الحس والقدرة البشرية ويتعجب كيف يقبض ملك الموت أرواح من يموتون في كارثة واحدة معا، كيف يستطيع قبض أرواح الآلاف في لحظة واحدة ويجيب (كولن) عن هذا التساؤل بعدة حقائق منها:

١- أن مالك الملك بيده مقاليد كل شيء فهو كما أنشأ وخلق كل شيء من الذرات إلى المجرات في طرفة عين يميت كل شيء في لمح البصر:﴿ وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ ٱلْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَآ إِلَّا هُوَ ۚ وَيَعْلَمُ مَا فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ ۚ وَمَا تَسْقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٍ فِى ظُلُمَٰتِ ٱلْأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مُّبِينٍ ﴾[٥].

٢- وأن عدد الملائكة الموكلة بقبض الأرواح كثير، يصدرون عن مشيئة الله وبيدهم كتب تهديهم إلى كل من جاء أجله، وأهل السنة على مثل هذا القول فيرون أن لملك الموت أعوانا بعدد من يموت كما سبق.

١- النورسي: المكتوبات ص ٨-٩. ينظر: للمزيد عن فلسفة الموت عند النورسي: الأستاذ الدكتور/ مصطفى بن حمزة: مقال فلسفة الموت عند بديع الزمان سعيد النورسي ص ٥٠ ضمن كتاب سعيد النورسي عملاق الفكر الديني في العصر الحديث تحرير: إحسان قاسم الصالحي- أديب الدباغ- أجير إشيوك، دار النيل- القاهرة، ط الأولى ١٤٣٢هـ - ٢٠١١م.

٢- اسم عزرائيل لم يرد في كتاب أو سنة فما جاء إلا باسم ملك الموت أما اسم عزرائيل فهو من الاسرائيليات . محمد ناصر الدين الألباني: تخريج العقيدة الطحاوية لأبي جعفر أحمد بن محمد بن سلامة بن عبد الملك بن سلمة الأزدي الحجري المصري المعروف بالطحاوي (المتوفى: ٣٢١هـ)، ص ٧١/١ رقم ٧٩، المكتب الإسلامي- بيروت، الطبعة: الثانية، ١٤١٤ هـ.

٣- ينظر: حاشية الباجوري على جوهرة التوحيد المسمى تحفة المريد على جوهرة التوحيد ص ٢٦١.

٤- سورة لقمان الآية: ٣، وينظر: كولن: الرد على شبهات العصر ص ١٦٦ .

٥- سورة الأنعام: الآية ٥٩.

٣- وقد نرى زلزالا شديدا مات من جرائه الآلاف، وقد نجد تحت الأنقاض أطفالا لم يمسسهم سوء لمدة أيام، أو تغرق شاحنة، وينجو أحدهم، أو تسقط طائرة ولم ينجُ إلا رضيعا ألقته الطائرة على بعد أمتار، كل ذلك لا يحدث بالصدفة أو من تلقاء نفسه، بل بإرادة الله تعالى.

٤- الموجودات خلقت لوظيفة مكتوبة في سجل كل منها، وهي أن تفقه أسرار الفطرة الدقيقة ولما وراء الطبيعة من أسرار، وأن تكون ترجمانا ومرآة تتجلى فيها آثار أسماء من خلقها، وأسكنها هذه الدار، ثم ينقضي أجل كل بتمام وظيفته فيغادرونها فرادى أو جماعات.

٥- قد يقال في النكبات والآفات: قد يهلك أبرياء مع من حق عليهم العذاب، لا عجب في هذا فسيبعثون على حسب أعمالهم ونياتهم.[١] .

ويخلص (كولن) إلى أن: " الأجل أو الموت : الوقت الذي تنتهي فيه الوظيفة في هذه الدنيا وهذا الوقت قدر مكتوب في الأزل كأنه خطة مرسومة ومدونة في السجل تدوينا لا ينافي الإرادة الإنسانية، ولا فرق ألبتة في تنفيذ هذه الخطة على الخلق أفرادا كانوا أو جماعات، فإذا آن الآوان نفذ أمر من يرى ويعلم كل شيء وفق مشيئته وإرادته سبحانه"[٢].

إذن فالأجل واحد لا يقبل الزيادة ولا النقصان ﴿ فَإِذَا جَآءَ أَجَلُهُمْ لَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ ﴾ [٣] كما يرى أهل السنة كذلك[٤].

و يهتم (كولن) - فوق هذا- بإبراز تجليات أسماء الله الحسنى في حياة الإنسان، ويدلل على قدرة الله وحكمته من خلال أمثلة محسوسة في قضية الموت في الكوارث وغيرها .

تعقيب:

وأخيرا ومن خلال حديث (كولن) عن الموت يتبين أن :

١- اتفق (كولن) مع الأشاعرة في وجودية الموت.

٢- استطاع (كولن) أن يقرب للأذهان فكرة وجودية الموت بصورة بسيطة دون تعقيدات أو تأويلات .

٣- أعطى صورة غير ما في الأذهان عن الفزع والرعب من الموت فالموت سياحة وتحول إلى الأكمل والأفضل، وهو وصول الى الأحباب والأصحاب .

١- ينظر: نحو عقيدة صحيحة ص ٦٦، ٦٧.

٢- نحو عقيدة صحيحة ص ٦٧.

٣- سورة الأعراف الآية:٣٤.

٤- البيجوري على جوهرة التوحيد ص ٢٣٦.

٤- وهو دليل على وجود الله القائم بنفسه الذي لا يغيب، ومقدمة للوصول إليه .

٥- وهو رفض لفلسفة التشاؤم والعدم، فالموت ليس عدما بل اتصال حياته الأخرى بالأولى.

٦- إن تحليل الموت بهذه الصورة مفيد على الجانب النفسي؛ لكونه يكسب المرء اطمئنانا وانسجاما ويهون من شأن الموت فلا يجعله شبحا مرعبا، فهو رحلة نحو حياة تقر فيها النفس وتطمئن.

المطلب الثاني: القبر :

القبر عند أهل السنة: ما استقر فيه جسد الإنسان، ولو كان جوف الوحوش والطيور والحيتان[١].

وقد أجمعت الأمة على الإيمان بالقبر نعيمه وعذابه، وما روي من قصة منكر ونكير، والمساءلة التي تقع فيه[٢].

أولا: حقيقة الحياة بعد الموت:

اتفقت الأمة على إحياء الله الموتى في قبورهم، وسؤالهم، ثم اختلفوا هل السؤال والعذاب للروح، أم للروح والجسد معا إلى فريقين:

الأول: رأي الجمهور: أن الله يعيد نوع حياة إلي الميت به يسمع السؤال ويجيب عنه، ومن ثم فالعذاب والنعيم للروح والجسد[٣] .

الثاني: رأي ابن حزم: وهو أن عذاب القبر ومسألته إنما هو للروح فقط بعد فراق الجسد قبر أو لم يقبر، يقول ابن حزم: "إن الإنسان يعذب قبل يوم القيامة وينعم يعني النفس دون الجسد"[٤].

رأي فتح الله كولن:

يجزم (كولن) بوجود حياة بعد الموت وما يكون بها من سؤال ونعيم وعذاب، ولكن لم يصرح هل السؤال والحساب للروح والجسد معا أم للروح فقط.

يقول كولن: "فالصادق الأمين -ﷺ- يخبرنا بأن منكرا ونكيرا سيأتيان ويحاسباننا في القبر فكيف يتم الحساب ؟هل سيخاطبان روح الميت أم جسده؟ النتيجة واحدة سواء أكان الخطاب لروحه أم لجسده فالميت سيسمعهما، أما الموجودون حواليه وبالقرب منه فلا يسمعون شيئا، ولو وضعت مسجلا ومددت الميكرفون إلى القبر، فلا يمكن تسجيل اي

١- ينظر: حاشية الباجوري على جوهرة التوحيد ص ٢٧٦، ينظر: بحر الكلام في أصول الدين ص ٣١٨،وينظر: الغزالي: قواعد العقائد من إحياء علوم الدين ص ١٣٦ ج ١، وينظر: الروح في دراسات المتكلمين والفلاسفة ص ١٠٩- ١١٢.

٢- ينظر: الأصول الخمسة المنسوب للقاضي عبد الجبار بن أحمد الأسد آبادي ص ٩٦-٩٧. الإبانة في أصول الديانة ص ٢٧، وينظر: للقاضي ناصر الدين البيضاوي: طوالع الأنوار من مطالع الأنظار ص ٢٣٢. وينظر: الإمام أبو معين النسفي: بحر الكلام في أصول الدين ص ٣١٧.

٣- ينظر: حاشية الباجوري على جوهرة التوحيد ص ٢٧٦،ينظر: بحر الكلام في أصول الدين ص ٣١٨، وينظر: الغزالي: قواعد العقائد من إحياء علوم الدين ص ١٣٦ ج ١، وينظر: الروح في دراسات المتكلمين والفلاسفة ص ١٠٩- ١١٢.

٤- الإمام ابن حزم الأندلسي الظاهري: الفصل في الملل والأهواء والنحل ج ٣ ص ٢٤٠ تحقيق: أحمد السيد سيد احمد علي، المكتبة التوفيقية ..

صوت؛ لأن الخطاب يتم هنا في أبعاد أخرى فكما ذكر (أنشتاين) [١] وغيره عن وجود بعد رابع وخامس فإن الأمور تكون مختلفة باختلاف الأبعاد"[٢] .

و الفرق بين رأي المتكلمين وكولن:

أن (كولن) يتبني في السمعيات ظاهر النص، ولا يعرض لما وراء النص من خلافات المتكلمين، فلا يجزم هنا هل السؤال متوجه للروح أم للجسد؟ بل يقرر السؤال والعذاب والنعيم، ويتوقف عن ما وراء ذلك.

ثانيا: فلسفة القبر عند كولن:

كما فعل (كولن) في نظرته للموت وتصويره بصورة ووجه آخر عن نظرة الإنسان فعل الأمر نفسه مع القبر، فقام بفلسفة حياة القبر بحيث يبدل خوف المرء أمنا، وفزعه ورعبه طمأنينة.

فالقبر ممر للوصول إلى السعادة الأبدية، يقول كولن: "لا يعد القبر بئرا مظلمة، ولا حفرة محاطة بالعدم كما يحسب، ولا غرفة سجن وعزل، بل هو باب مفتوح لعالم مضيء، وممر ينقل الإنسان إلى عوالم نورانية، وموضع انطلاق الروح إلى عوالم أخرى سامية ...ليصلوا إلى سعادة لم تشاهد مثلها عين ولا سمعت به أذن ولا خطرت على قلب بشر"[٣].

فالقبر مجرد ستار وفاصل توجد خلفه مباشرة، وعلى بعد خطوة واحدة فقط بهجة وسعادة لا توصفان ولا تخطران على بال[٤].

إذن فالقبر عند (كولن) مرحلة وممر للعبور إلى السعادة الدائمة في الجنان والوصال مع رب الأرباب سبحانه وتعالى؛ ولذا فهو أمر يبعث على الفرح والحبور، لا الحزن والفزع كما يظن عامة الناس .

١- قبل اينشتين كان العلماء يظنون أن الأبعاد هي الطول والعرض والارتفاع حتى جاء اينشتيتن فذكر وجود أبعاد أخرى هي الزمان وهو البعد الرابع، وقال بأن الزمان نسبي على عكس الاعتقاد السابق فالآن على الأرض ليس هو الآن على عطارد وغيره من الكواكب، وكذلك المكان نسبي، فالأرض في حالة حركة باستمرار ولا شيء ثابت، وكذلك الكتلة نسبية وأنها مقدار متغير وأنها تتغير بحركة الجسم كلما ازدادت سرعة الجسم ازدادت كتلته أي أن الكتلة تتحول إلى طاقة والطاقة إلى كتلة. ينظر الدكتور مصطفى محمود: اينشتين والنسبية ص ٣٣- ٦٤، وينظر: أسامة أبو حليمة: تأملات علمية ص ٩٨ الهيئة المصرية العامة للكتاب ٢٠١٥م.

٢- كولن: أسئلة العصر المحيرة ج ١ ص ١١٣ .

٣- ترانيم روح واشجان قلب ص ١٤٣.

٤- السابق ص ١٤٤.

تعقيب:

من دراستنا لهذا المبحث(الموت والقبر) يتبين عدة أمور:

١- لا يعلم الغيب إلا الله حقيقة أكدها (كولن) بالأدلة العقلية والسمعية.

٢- استطاع (كولن) أن يقرب للأذهان فكرة وجودية الموت بصورة بسيطة دون تعقيدات، أو تأويلات، وجعله دليلا على وجود الله تعالى الذي لا يغيب ومقدمة للوصول إليه.

٣- أعطى صورة غير ما في الأذهان عن الفزع والرعب من الموت، فالموت سياحة وتحول إلى الأكمل والأفضل، وهو وصول الى الأحباب والأصحاب .

٤- قاوم فلسفة التشاؤم وبث بديلا عنها الأمل والحبور بحياة جديدة أرغد وأكمل.

٥- لم يصرح في حديثه عن القبر هل السؤال والنعيم والعذاب للروح أم للجسد والروح معا.

٦- تحدث عن وجه آخر للقبر- كما فعل في الموت- فهو ممر للعبور إلى السعادة الأبدية، وليس أمرا مفزعا كما يظن، وهذه نظرة جديدة ومتفائلة لتلك المرحلة الغامضة من حياة الإنسان .

المبحث الثالث: علامات الساعة[١]

أولا: وقت الساعة :

يرى (كولن) أن هذه المسالة من الغيبيات التي استأثر الله بعلمها ليس لأي شخص أن يدلي بدلوه فيها، والدليل على ذلك:

١- ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥ عِلۡمُ ٱلسَّاعَةِ ﴾ [٢].

٢- حين سأل جبريل عن الساعة قال (ﷺ) "ما المسئول عنها بأعلم من السائل"[٣]؛ لأنه (ﷺ) وجبريل يشتركان في علم أنه لا يعلم وقت القيامة إلا الله[٤] .

ثانيا: كيفية قيام الساعة:

لا وجود لحقيقة مؤكدة يقينية بهذا الخصوص؛ ولذا يضع (كولن) عدة احتمالات علمية، فيقول: "فهناك أسباب كثيرة في دائرة الإمكان يكفي أحدها لقيامها كاصطدام نجم مذنب بالأرض، وانشطار الشمس، أو انطفائها وفقا لقانون الديناميكية الحرارية[٥]، وظهور سلسلة تفاعلات بخطأ يرتكبه الناس فينتج عنها تدمير النظام الشمسي وهكذا"[٦].

١- الساعة في اللغة: الوقت الحاضر، جزء من الليل والنهار لا يلحظ فيه التحديد، وكذا القيامة أو الوقت الذي تقوم فيه .ينظر: زين الدين أبو عبدالله محمد بن أبي بكر الرازي: مختار الصحاح باب(س و ع)ص ١/ ١٥٧. مجمع اللغة العربية: المعجم الوجيز ص ٣٢٨.

٢- سورة لقمان الآية :٣٤.

٣- رواه البخاري في صحيحه، باب سؤال جبريل النبي - ﷺ- عن الإيمان والإسلام والإحسان وعلم الساعة، كتاب الإيمان (ص ١٩/١ رقم ٥٠)، وابن ماجه في سننه، باب في الإيمان، كتاب أبواب السنة (ج ١ ص ٤ رقم ٦٥)، والترمذي في سننه، باب وصف جبريل للنبي- ﷺ- الإيمان والإسلام، كتاب الإيمان (ج ٥ ص ٦ رقم ٢٦١٠) .

٤- ينظر: الرد على شبهات العصر ص ١٦٥.

٥- قوانين الديناميكا الحرارية: "تدل على ان مكونات هذا الكون تفقد حرارتها تدريجيا، وأنها سائرة حتما إلى يوم تصير فيه جميع الاجسام تحت درجة من الحرارة بالغة الانخفاض هي الصفر المطلق، ويومئذ تنعدم الطاقة، وتستحيل الحياة. ولا مناص من حدوث هذه الحالة من انعدام الطاقات عندما تصل درجة حرارة الاجسام إلى الصفر المطلق بمضي الوقت". نخبة من العلماء الأمريكيين بمناسبة السنة الدولية لطبيعيات الأرض: الله يتجلى في عصر العلم ص ١٢/١، أشرف على تحريره: جون كلوفر مونسيما، ترجمة: الدكتور الدمرداش عبد المجيد سرحان، راجعه وعلق عليه: الدكتور محمد جمال الدين الفندي، الناشر: دار القلم، بيروت – لبنان.

٦- الرد على شبهات العصر ص ١٦٦.

ثالثا: علامات الساعة:

يعتقد (كولن) بعلامات عشر للساعة كسائر أهل السنة[١] ولكن لم أجد له حديثا عن تلك العلامات تفصيلا اللهم إلا (دابة الأرض) في إطار سؤال وجه إليه هل هناك علاقة بين دابة الأرض ومرض الإيدز؟.

فيرى أن الدابة المذكورة هي ما جاء ذكرها في قوله: ﴿ وَإِذَا وَقَعَ ٱلْقَوْلُ عَلَيْهِمْ أَخْرَجْنَا لَهُمْ دَآبَّةً مِّنَ ٱلْأَرْضِ تُكَلِّمُهُمْ أَنَّ ٱلنَّاسَ كَانُوا۟ بِـَٔايَـٰتِنَا لَا يُوقِنُونَ ﴾[٢].

فإذا رفعت الأقلام، وجفت الصحف، أخرج الله دابة من الأرض تكلمهم بلسان حالها، أو مقالها، أو بمكبر صوت خاص بها تعلن أن الناس لن يؤمنوا بربهم من الآن وصاعدا أي ارتفع الإيمان، وتلت هذه الآية آيات تتحدث عن يوم القيامة، وهذا يوحي بأن هذه العلامة من العلامات الكبرى كما يرى (كولن)[٣].

فدابة الأرض من علامات الساعة العشر[٤]، ولعلها من الآيات الأخيرة التي تظهر قبيل الساعة كما يرى (كولن).

أما عن علاقة الإيدز بدابة الأرض :

١- فقد أشار (كولن) إلى مسألة مهمة وهي محاولة التوفيق بين قضايا ذكرت في القرآن والسنة وبين المسائل العلمية التجريبية، فرأى أن حقائق القرآن لا تفتقر إلى العلوم الطبيعة لما فيه من نور وحكمة، ولكن مع ذلك لا ينتقد أصحاب النوايا الحسنة الذين يريدون تأكيد الكتاب والسنة بما ورد من أحداث ومكتشفات، ولكن ينتقد حمل حقيقة القرآن والسنة على

١- يقول الباجوري: علامات الساعة الكبرى عشرة: "ظهور المهدي، ثم خروج الدجال، ثم نزول عيسى بن مريم، ثم خروج يأجوج ومأجوج، وخروج الدابة التي تكتب بين عيني المؤمن مؤمنا، فيضيء وجهه وبين عيني الكافر كافرا، فيسود وجهه وطلوع الشمس من مغربها، وظهور الدجال يمكث في الأرض أربعين يوما، والدخان يخرج من أنف الكافر وعينيه وأذنيه ودبره حتى يصير كالسكران، ويصيب المؤمن منه كهيئة الزكام، وخراب الكعبة على أيدي الحبشة بعد موت عيسى، ورفع القرآن من المصاحف والصدور، ورجوع أهل الأرض كلهم كفارا". حاشية الإمام الباجوري على جوهرة التوحيد ص ٢٨٩.

٢- سورة النمل الآية:٨٢.

٣- نحو عقيدة صحيحة ص ٨٨.

٤- وحديث الدابة أخرجه مسلم في صحيحه باب في الآيات التي تكون قبيل الساعة، كتاب الفتن وأشراط الساعة، ص ٢٢٢٦/٤ رقم ٢٩٠١.ونصه: (حَدَّثَنَا عُبَيْدُ اللهِ بْنُ مُعَاذٍ الْعَنْبَرِيُّ، حَدَّثَنَا أَبِي، حَدَّثَنَا شُعْبَةُ، عَنْ فُرَاتٍ الْقَزَّازِ، عَنْ أَبِي الطُّفَيْلِ، عَنْ أَبِي سَرِيحَةَ حُذَيْفَةَ بْنِ أَسِيدٍ، قَالَ: كَانَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي غُرْفَةٍ وَنَحْنُ أَسْفَلَ مِنْهُ، فَاطَّلَعَ إِلَيْنَا، فَقَالَ: مَا تَذْكُرُونَ؟ " قُلْنَا: السَّاعَةَ، قَالَ: " إِنَّ السَّاعَةَ لَا تَكُونُ حَتَّى تَكُونَ عَشْرُ آيَاتٍ: خَسْفٌ بِالْمَشْرِقِ، وَخَسْفٌ بِالْمَغْرِبِ، وَخَسْفٌ فِي جَزِيرَةِ الْعَرَبِ وَالدُّخَانُ وَالدَّجَّالُ، وَدَابَّةُ الْأَرْضِ، وَيَأْجُوجُ وَمَأْجُوجُ، وَطُلُوعُ الشَّمْسِ مِنْ مَغْرِبِهَا، وَنَارٌ تَخْرُجُ مِنْ قُعْرَةِ عَدَنٍ تَرْحَلُ النَّاسَ " قَالَ شُعْبَةُ: وَحَدَّثَنِي عَبْدُ الْعَزِيزِ بْنُ رُفَيْعٍ، عَنْ أَبِي الطُّفَيْلِ، عَنْ أَبِي سَرِيحَةَ، مِثْلَ ذَلِكَ، لَا يَذْكُرُ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وقَالَ أَحَدُهُمَا فِي الْعَاشِرَةِ: نُزُولُ عِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وقَالَ الْآخَرُ: وَرِيحٌ تُلْقِي النَّاسَ فِي الْبَحْرِ).

نظريات العلوم الطبيعية؛ لكونها هزيلة هشة ليست قطعية، وعرضة للتغير والتبدل كل يوم [١].

٢- أما الإيدز فيرى أنه بلا شك أنه أحد القبائح التي أطلت برأسها في هذا العصر ولكن ينفي أن يكون من جنس دابة الأرض لأسباب:

أولها: هناك أمراض كثيرة كانت منتشرة ثم ظهر لها دواء:

يقول كولن: "لو صح أن الإيدز فرد من أفراد جنس دابة الأرض، فلن يصح القول بأن الإيدز هو دابة الأرض؛ لأن تأويل الآية به لا غير يبطل حقيقتها إذا ما تبين فساد هذا التأويل، فكم من مرض مدمر تفشى حتى اليوم، ثم اندثر واضمحل قال رسول الله ﷺ- " ما أنزل الله داء إلا وأنزل له دواء"[٢]، وفي رواية: "لكل داء دواء"[٣].

فهناك أمراض كثيرة كانت موجودة، واختفت بالأدوية كالسل والطاعون، وأما السرطان فيستغل آخر حصونه، والعقبى للإيدز؛ ولذا فمثل هذه التأويلات فيها خطر وضرر كبير للدين؛ لأنه من الجناية على النصوص الشرعية تأويلها بنظريات لا وزن لها ولا قوة[٤].

ثانيها: دابة الأرض أمر خارق وظهورها دليل على نهاية العالم.

يقول كولن: "ربما يكون الإيدز - بل والسرطان الذي ما زال يفني ويبيد- فردا من أفراد جنس دابة الأرض، ويؤدي وظيفة من وظائفها إلا أن هذا لا يعد سببا كافيا لأن نطلق على كل منهما دابة الأرض؛ لأن خروج دابة الأرض أمارة على نقص إيمان الناس، وربما يكون سبب خروجها سوء توظيف الناس التقنيات والعلوم الحديثة، فدابة الأرض بمعناها الخاص بها أمر خارق للعادة ...ويتعذر إدراكها لغرابتها، وخروجها دلالة على نهاية رسالة القيم الإسلامية على وجه الأرض"[٥].

ويخلص إلى نتيجة مفادها: "ومن الخطأ الاعتراف بصحة ما نسميه أدلة أولا ثم ترتيب المدعَى عليه، والحال أنه يمكن بلوغ النتيجة بالتدليل من أعلى إلى أسفل فنقول مثلا: الله

١- نحو عقيدة صحيحة ص ٨٨، ٨٩.

٢- أخرجه النسائي في السنن الكبرى باب لبن البقر ج ٦ ص ٢٩٨ رقم ٦٨٣٦، تحقيق: حسن عبد المنعم شلبي اشراف: شعيب الأرنؤوط، تقديم: عبد الله بن عبد المحسن التركي الرسالة ط الأولى ٢٠٠١م.، وأخرجه ابن ماجه في سنن، باب "ما أنزل الله داء إلا وأنزل له شفاء ج ٤ ص ٤٩٨ رقم ٣٤٣٧.والحديث أخرجه الحاكم من طرق، وقال صحيح على شرط مسلم. ينظر: إسماعيل بن محمد بن عبد الهادي الجراحي العجلوني الدمشقي، أبو الفداء (المتوفى: ١١٦٢هـ): كشف الخفاء ومزيل الإلباس ص ١٦٤/٢الناشر: المكتبة العصرية تحقيق: عبد الحميد بن أحمد بن يوسف بن هنداوي، الطبعة: الأولى، ١٤٢٠هـ - ٢٠٠٠م.

٣- أخرجه مسلم في صحيحه، باب لكل داء دواء، واستحباب التداوي، كتاب السلام ج ٤ ص ١٧٢٩ رقم ٢٢٠٤.

٤- ينظر: نحو عقيدة صحيحة ص ٩٣.

٥- نحو عقيدة صحيحة ص ٩٤.

موجود وهذه الأدلة شاهدة على وجوده ورسول الله - صلى اله عليه وسلم- خاتم النبيين وتلك أدلة تشهد بذلك"[١].

وهذا من باب برهان اللم، وقد استخدمه (كولن) من قبل في دلالة نبوته- ﷺ-.

ثالثها: ظهور دابة الأرض الآن يعارض أحاديث انتشار الإسلام :

يرى (كولن) أن ظهور دابة الأرض في هذا العصر يعارض أحاديث انتشار الإسلام مثل قوله-ﷺ-: "إن الله زوى لي الأرض فرأيت مشارقها ومغاربها، وإن أمتي سيبلغ ملكها ما زوي لي منها"[٢]، ويقول:

" إن صوت الإسلام سيدوي في أنحاء العالم كافة ...فلو خرجت دابة الأرض الآن لكانت ضربة قوية تطيح بآمالنا؛ لأن دابة الأرض إذا خرجت قالت: لا إيمان ولا تصديق بعد هذا، ويلي ذلك سقوط وتخلف، وإننا على يقين بأن الإسلام سيرفرف بجناحيه في أرجاء العالم كلها...ونحن ننتظر خروج دابة الأرض لاحقا ففي عقيدتنا أنها تخرج قرب قيام الساعة على الكفار، وأي قول غير هذا مخالف لعقيدتنا "[٣].

إذن دابة الأرض من علامات الساعة الكبرى، وهي لم تخرج بعد، وستخرج قرب قيام الساعة دليلا على نهاية العالم .

تعقيب:

يتبين من حديث (كولن) عن الساعة ما يلي :

١- كلام (كولن) مقتضب ومجمل فيما يخص الحديث عن الساعة وعلاماتها، اللهم إلا حديثه عن دآبة الأرض.

٢- يؤكد على علو القرآن وعدم حمل حقيقة القرآن على العلوم أو النظريات العلمية، لأنه هو الأصل وهو مصدر النور والحكمة للمسلمين، أما العلوم والنظريات ففي تبدل وتغير، وقد سبق رأيه في هذه المسألة عند الحديث عن الإعجاز العلمي في القرآن.

١- نحو عقيدة صحيحة ص ٩٣.

٢- أخرجه مسلم في صحيحه، باب (هلاك هذه الأمة بعضهم ببعض) كتاب الفتن وأشراط الساعة ج ٤ ص ٢٢١٥ رقم ٢٨٨٩ ، وأخرجه الترمذي في سننه، باب (سؤال النبي - ﷺ- ثلاثا في أمته)، كتاب أبواب الفتن، ج ٤ ص ٤٢ رقم ٢١٧٦.

٣- كولن: نحو عقيدة صحيحة ص ٩٥.

المبحث الرابع: اليوم الآخر

تمهيد:

وأول اليوم الآخر من وقت الحشر إلى ما لا يتناهى على الصحيح، وقيل: إلى أن يدخل أهل الجنة الجنة، وأهل النار النار[١].

ويسميه (كولن) يوم الدين ويعرفه بقوله:

"يوم الجزاء والحساب، إنه اليوم الذي سيلقى فيه الخير والشر جزاءه، ففي ذلك اليوم سينفخ في الصور، وسيكون الحشر والنشور، وسيؤتى الناس صحائف أعمالهم، ومن بعد ذلك سيلقى الأبرار ثواب حسناتهم، والأشرار عقاب سيئاتهم"[٢].

كان حديث (كولن) عن اليوم الآخر حديث الفيلسوف الذي يغوص في أعماق الأحداث ليكشف معان جديدة، فهو دائما ما يعرض مشاهد الساعة وما بعدها، وما تلقاه كل نفس (المؤمنة والكافرة)، فمن يحمل بذرة الإيمان غير من يحمل بذرة الكفر تجاه أحداث الساعة، فيقول كولن: "والخلاصة أن البذرة التي تحملها كل زمرة في قلوبها تنمو حتى تعكس بشكل مفصل كل ما يختبئ من معان في هذه القلوب، وكل ما تشاهده وما تعيشه كل زمرة وترى كل شيء عيانا بيانا" [٣]، ويفسر ذلك على النحو التالي:

١- فمن بداية قيام الساعة في ذلك اليوم يصبح عالي الأرض سافلها، وتنقطع الروابط بين النجوم، وتتناثر يمينا وشمالا، حينئذ تنمو بذور جهنم الموجودة في الأدمغة، وبذور الجنة المستقرة في القلوب، فيحس المرء بنشوة النعيم ونسائم الجنة أو بريح السموم الصادرة من جهنم ﴿ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ﴿٢٢﴾ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴿٢٣﴾ وَوُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ بَاسِرَةٌ ﴿٢٤﴾ تَظُنُّ أَن يُفْعَلَ بِهَا فَاقِرَةٌ ﴿٢٥﴾ ﴾[٤].

٢- وفي الموقف فزع وأمن ﴿ وَٱقْتَرَبَ ٱلْوَعْدُ ٱلْحَقُّ فَإِذَا هِىَ شَٰخِصَةٌ أَبْصَٰرُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ يَٰوَيْلَنَا قَدْ كُنَّا فِى غَفْلَةٍ مِّنْ هَٰذَا بَلْ كُنَّا ظَٰلِمِينَ ﴿٩٧﴾ إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ أَنتُمْ لَهَا وَٰرِدُونَ ﴿٩٨﴾ ﴾[٥]، والفريق الآمن: ﴿ لَا يَحْزُنُهُمُ ٱلْفَزَعُ ٱلْأَكْبَرُ وَتَتَلَقَّىٰهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ هَٰذَا يَوْمُكُمُ ٱلَّذِى كُنتُمْ تُوعَدُونَ ﴾[٦].

١- ينظر: الباجوري: حاشية الباجوري على جوهرة التوحيد ص ٢٨٨.

٢- محمد فتح الله كولن: خواطر من وحي سورة الفاتحة ص ١٦١ .

٣- ترانيم روح وأشجان قلب ص ١٧٧.

٤- سورة القيامة الآيات: ٢٢- ٢٥ وينظر: ترانيم روح وأشجان قلب ص ١٧٨.

٥- سورة الأنبياء الآيات: ٩٧- ٩٨.

٦- سورة الأنبياء الآية: ١٠٣.

٣- ثم فرحة المؤمنين حين يأخذون كتبهم بيمينهم وصرخات المجرمين ﴿ فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَٰبَهُۥ بِيَمِينِهِۦ فَيَقُولُ هَآؤُمُ ٱقْرَءُوا۟ كِتَٰبِيَهْ ﴿١٩﴾ إِنِّى ظَنَنتُ أَنِّى مُلَٰقٍ حِسَابِيَهْ ﴿٢٠﴾ فَهُوَ فِى عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ ﴿٢١﴾ ﴾ [١] ﴿ وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَٰبَهُۥ بِشِمَالِهِۦ فَيَقُولُ يَٰلَيْتَنِى لَمْ أُوتَ كِتَٰبِيَهْ ﴿٢٥﴾ وَلَمْ أَدْرِ مَا حِسَابِيَهْ ﴿٢٦﴾ ﴾ [٢].

٤- وفي النهاية فرحة بالنعم المنهمرة كالمطر للمؤمنين ﴿ هَٰذَا ذِكْرٌ ۚ وَإِنَّ لِلْمُتَّقِينَ لَحُسْنَ مَـَٔابٍ ﴿٤٩﴾ جَنَّٰتِ عَدْنٍ مُّفَتَّحَةً لَّهُمُ ٱلْأَبْوَٰبُ ﴿٥٠﴾ ﴾ [٣]. ﴿ وَأَصْحَٰبُ ٱلْيَمِينِ مَآ أَصْحَٰبُ ٱلْيَمِينِ ﴿٢٧﴾ فِى سِدْرٍ مَّخْضُودٍ ﴿٢٨﴾ وَطَلْحٍ مَّنضُودٍ ﴿٢٩﴾ وَظِلٍّ مَّمْدُودٍ ﴿٣٠﴾ ﴾ [٤].

وأما المجرمون ففي ضلال وسعر: ﴿ يَوْمَ يُسْحَبُونَ فِى ٱلنَّارِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ ذُوقُوا۟ مَسَّ سَقَرَ ﴾ [٥] ﴿ وَأَصْحَٰبُ ٱلشِّمَالِ مَآ أَصْحَٰبُ ٱلشِّمَالِ ﴿٤١﴾ فِى سَمُومٍ وَحَمِيمٍ ﴿٤٢﴾ وَظِلٍّ مِّن يَحْمُومٍ ﴿٤٣﴾ ﴾ [٦].

هذه صورة اليوم الآخر كما صورها القرآن الكريم واستقاها (كولن) منه ترد كل فرد إلى مثل ما عاش عليه، وما نبت في قلبه من بذور الخير أو الشر، فيلقى جزاءه إن خيرا فخير، وإن شرا فشر.

وحديث (كولن) عن اليوم الآخر عامة مجمل فقد أثبت اليوم الآخر، وأحواله من حشر وحساب، وصراط، ولكن الكلام موجز، ولكنه متوافق مع أهل السنة، فمثلا يقول عن الصراط: "الجسر الممدود على متن جهنم، والذي لا بد لمن يريد دخول الجنة من أن يمر به"[٧].

وهو متوافق مع تعريف (الغزالي) الذي يقول فيه: "الصراط جسم ممدود على متن جهنم يرده الخلق كافة"[٨].

١- سورة الحاقة الآيات:١٩-٢٢.

٢- سورة الحاقة آية:٢٥- ٢٩.

٣- سورة ص الآية:٥٥- ٥٦.

٤- سورة الواقعة الآيات:٢٧- ٣٠.

٥- سورة القمر الآية:٤٨.

٦- سورة الواقعة الآية:٤١- ٤٤.ينظر: ترانيم روح ص ١٧٤- ١٨٠.

٧- السابق ص ١٩٩.

٨- حجة الإسلام أبو حامد الغزالي: الاقتصاد في الاعتقاد ص ١٣٧دار الكتب العلمية- بيروت - لبنان، ط: الأولى ١٤٠٣هـ- ١٩٨٣م.

فلا اختلاف بين (الغزالي) و(كولن) في حقيقة الصراط كما هو واضح للعيان.

وقد أثبت (كولن) جميع أحوال القيامة، ولم يفصل غير في أربعة مسائل، وهي:

١- البعث والنشور.

٢- الشفاعة.

٣ - الجنة والنار.

٤- الأعراف.

وستكون هذه المراحل موضوع الحديث القادم- إن شاء الله-.

المطلب الأول: البعث والنشر:

أولا: تعريف البعث:

أ- البعث والنشر في اللغة:

١- البعث: الإرسال، الإحياء من الله للموتى، وبعث الموتى نشرهم ليوم البعث، ويوم البعث: يوم القيامة[١].

٢- نشر الله الميت: ينشره نشرا ونشورا وأنشره فنشر الميت لا غير: أحياه يقال نشرهم الله أي بعثهم والنشر: الريح الطيبة، البسط، الحياة بعد الموت[٢].

فالبعث والنشر إذن بمعنى واحد وهو الإحياء.

ب- المعنى الاصطلاحي للبعث(النشر):

١- أهل السنة:

يتفق أهل السنة على كون البعث إحياء الله الموتى بجمع الأجزاء الأصلية، فيقول الأشاعرة: إحياء الله الموتى وإخراجهم من قبورهم بعد جمع الأجزاء الأصلية، وهي التي من شأنها البقاء من أول العمر إلى آخره[٣].

وعند الماتريدية: "أن يبعث الله تعالى الموتى من القبور بأن يجمع أجزاءهم الأصلية ويعيد الأرواح إليها"[٤].

فهناك اتفاق بين الأشاعرة والماتريدية في معنى البعث .

أما (كولن) فلم يذكر تعريف البعث والنشور، ولكنه اهتم بالحكمة من وراء الإيمان به، وكذا التدليل على وقوعه بكافة الأدلة العقلية والنقلية والتاريخية .

ثانيا: آراء العلماء في البعث(المعاد):

١- الأقوال الممكنة في المعاد خمسة أقوال[٥]:

الأول : إنكار البعث وعدم ثبوت شيء منه.

١- الخليل بن أحمد: العين (باب العين والثاء والباء معهما ع ب ث، ث ع) ص ١١٢/٢. لسان العرب ج ١ ص ٤٣٨ ، المعجم الوجيز ص ٥٦.

٢- ينظر: الخليل بن أحمد: العين باب (الشين والراء والنون معهما ش ن ر، ن ش) ص ٦/ ٢٥١. وأبو منصور الهروي: تهذيب اللغة (أبواب الشين والراء)ص ١١/ ٢٣٢. لسان العرب ج ١٤ ص١٤٠ .

٣- حاشية الباجوري على جوهرة التوحيد ص ٢٧٨.

٤- كمال الدين بن أبي شريف: المسامرة شرح المسايرة لابن الهمام ص ٢٠٩. ينظر: التفتازاني: شرح العقائد النسفية ص ٦٨.

٥- ينظر: الجرجاني: شرح المواقف ص ٣٢٤، وكذلك موسوعة الفلسفة الإسلامية ص ٣١٧ .

والثاني: التوقف وعدم ترجيح هل هو جسماني أو روحاني .

الثالث: أن المعاد جسماني، وهو قول أكثر المتكلمين[١]، وكثير من المعتزلة[٢] .

بناء على قولهم إن الروح جسم لطيف سار في البدن وأن إحياء الأبدان بعد موتها ممكن عقلا ومؤكد سمعا، وأنه يمكن إعادة الأجسام بعينها، والمعتبر إعادة الأجزاء الأصلية[٣].

الرابع: البعث للجسم والروح معا وهو قول كثير من المحققين من الفرق المختلفة مثل الإمام الغزالي، وبعض المعتزلة، وجمهور متأخري الإمامية، وكثير من الصوفية قالوا: إن الإنسان هو المركب من نفس وبدن، وهو المكلف والمطيع والعاصي والبدن آلة بالنسبة للنفس، والنفس باقية بعد موت البدن، وعند البعث ترد إلى البدن من جديد إما بتجميع البدن أو خلق بدن جديد.

فمذهب أهل الحق من الإسلاميين أن إعادة كل ما عدم من الحادثات جائز عقلا وواقع سمعا، ولا فرق في ذلك بين أن يكون جوهرا أو عرضا[٤].

الخامس: المعاد روحاني فقط، وهو قول الفلاسفة الإسلاميين؛ لأن الجسم عندهم ينعدم بصوره وأعراضه، فلا يمكن إعادته، أما الروح فهي جوهر بسيط مجرد فلا سبيل إلى إفنائه[٥].

فيرى (ابن سينا) أن المعاد لا يكون للبدن وحده، ولا للبدن مع النفس، ولا للنفس على سبيل التناسخ، فالمعاد إذن للنفس وحدها وذلك؛ لأن الشيء المعتبر في الإنسان الواقع عليه معنى أنا هو نفسه ضرورة، فيقول: "إن معنى ما يقوله الإنسان إنه نصيبي خير أو شر بالحقيقة هو نصيب نفسه وحده والخيرات والشرور الواصلة إلى بدنه هي خارجة عنه"[٦].

ويقرر أن المعاد للنفس، وإنما اضطر واضعو الشرائع لترغيب وترهيب العامة إلى القول بأن السعادة الآخروية باللذة الحسية والشقاوة الآخروية بالألم الحسي[٧].

١- ينظر: الإمام الرازي: أصول الدين ص ١٢٦، وينظر: البيضاوي: طوالع الأنوار من مطالع الأنظار ص ٢٢١.النسفي: شرح العمدة ص ٢٣٨. التفتازاني: شرح العقائد النسفية ص ٦٨.

٢- ينظر: القاضي عبد الجبار الأسد آبادي: المغني في ابواب العدل والتوحيد ج ١١ ص ٤٥٩ .

٣- ينظر: الإمام الفخر الرازي: أصول الدين ص ١٢٧.

٤- ينظر: أبو الحسن الآمدي: غاية المرام في علم الكلام ص ٣٠٠ .وينظر: الإمام الجويني: الإرشاد إلى قواطع الأدلة في أصول الاعتقاد ص ٣٧٤.

٥- ينظر: السيد الشريف الجرجاني ومعه حاشية السيالكوتي والحلبي: شرح المواقف ص ٣٢٤ . وينظر: الأستاذة الدكتورة/ منى أحمد أبو زيد : البعث ص ٣١٧- ٣١٨، موسوعة الفلسفة الإسلامية .

٦- ابن سينا: رسالة أضحوية في أمر المعاد ص ٩٦.

٧- السابق ص ٩٦- ٩٧.

وهذا بناء على اعتقاده أن ما يقال للعامة والجمهور ينبغي أن يكون رموزا وإشارات يفهمونها، وليس عين الحقيقة.

مع أن (ابن سينا) يقرر في رسالة أحوال النفس أن المعاد منه ما هو مقبول من الشرع وثابت بخبر النبوة، وهو بعث البدن، ومنه ما هو ثابت بالعقل والقياس البرهاني وهو بعث النفس[١].

فهو إذن يعترف بالمعاد الجسماني في هذه الرسالة مع أن المشهور عن (ابن سينا) وعموم الفلاسفة قولهم بالمعاد الروحاني فقط .

وذهب (ابن رشد) إلى ما ذهب إليه (ابن سينا) فيرى أن الغاية المقصودة من خلق الإنسان هي أفعاله التي تخصه، وهي أفعال النفس الناطقة، وهي جزآن عملي وعلمي؛ ولذا كان المطلوب الأول منه أن يوجد على كماله في هاتين القوتين، والذي يكسب النفس هاتين الفضيلتين هي الخيرات والحسنات، والتي يعوقها هي الشرور والسيئات، ثم يقول: "ولما كان الوحي قد أنذر في الشرائع كلها أن النفس باقية وقامت البراهين عند العلماء على ذلك، وكانت النفوس يلحقها بعد الموت أن تتعرى عن الشهوات الجسمانية، فإن كانت زكية تضاعف زكاؤها بتعريها عن الشهوات الجسمانية، وإن كانت خبيثة زادتها المفارقة خبثا ...اتفقت الشرائع على تعريف هذه الحال للناس وسموها السعادة الأخيرة والشقاء الأخير"[٢].

ويرى أنه لما كانت هذه الأحوال ليس لها في الشاهد مثال اتفقت الشرائع على تمثيل أحوال النفوس للعامة، ويرى أن التمثيل الجسماني أشد تحريكا لنفوس الناس من التمثيل الروحاني.

ويرى أن النفس تعود إلى مثل البدن لا إليه بعينه؛ لأنه قد يرتب عليه المحال بخلاف الأولى[٣] .

إذن، كلام الناس في مسألة المعاد مبنيٌ على رأيهم أو اعتقادهم في النفس وماهيتها فمن قال إنها جسم قال بالمعاد الجسماني، ومن قال بتجردها قال بالمعاد الجسماني والروحاني معا، ومن قال إن النفس هي الشيء المعتبر في الإنسان والبدن منعدم نادى بالمعاد الروحاني فقط[٤] .

١- ينظر: ابن سينا : أحوال النفس ص ١٢٨ .

٢- ابن رشد: مناهج الأدلة في عقائد الملة ص ٢٤١- ٢٤٢ .

٣- ينظر: مناهج الأدلة في عقائد الملة ص ٢٤٤- ٢٤٥.

٤- ينظر: الدكتور/ إياد كريم الصلاحي: مشكلة المعاد في الفكر الفلسفي دراسة تحليلية ص ١٤٥، ٢٣٧،بيت الحكمة- بغداد ٢٠١١م- ١٤٣٢ه.

٢- رأي فتح الله كولن:

يختلف (كولن) مع كثير من المتكلمين والفلاسفة فهو يؤكد أن البعث روحا وجسدا متفقا مع كثير من المحققين .

يقول كولن: "إن المحشر هو المكان الذي يبعث فيه الناس جميعا روحا وجسدا والقرآن الكريم يؤكد هذه الحقيقة، وهو يتحدث عن البعث في سياقات مختلفة وفي مشاهد عديدة"[١].

ويقرر أن جمهور المسلمين ذهبوا المذهب ذاته في أن البعث روحا وجسدا، وأن قلة هي من ذهبت إلى أن البعث هو للروح فقط.

وأرى أن هذا هو الرأي الأصوب في المسألة والذي قال به أغلب المسلمين[٢]، وهو أيضا - فيما أعتقد- الأنسب لتفسير النعيم والعذاب، فهناك نعيم وعذاب حسي، وهناك معنوي فمن الأجدر الإعادة للجسد والروح معا؛ ليتحقق ذلك.

وهو بعد يسلم بالبعث كما ورد بالسمع دون التطرق إلى مناقشات الأمور الفرعية التي لم يرد بها نص، فيقول: "ولن ندخل هنا في تفاصيل ما إذا كان البعث هو بعث ذرات الجسد أم بعث الذرات الأصلية التي تشكل جوهر الإنسان فقد ذهب في تأويل ذلك كل من الإمام الغزالي[٣]، والإمام فخر الدين الرازي[٤] مذاهب شتى أما نحن فإننا نؤمن بحقيقة البعث والنشور كما جاء ذكرها في كتاب الله تعالى وسنة رسوله - ﷺ- ، ونحيل ما لا يدخل في إطار استيعابنا إلى علم العليم الخبير"[٥].

فكولن هنا - وكما سبق أن ذكرت- يعرض رأيه في السمعيات حسب نصوص القرآن والسنة، ولا يتعرض لمواطن الخلاف والجدال الذي دار بين المتكلمين، فهو اختار أن البعث جسدا وروحا ونأى عن الجدل فيما وراء ذلك.

١- نفخة البعث ص ١٠٥.

٢- ينظر: موسوعة الفلسفة الإسلامية ص ٣٣١.

٣- يرى الغزالي أن النفس باقية بعد الموت، وهي جوهر قائم بنفسه، وأن بعث البدن ممكن بردها إلى بدن أي بدن كان سواء من مادة البدن الأول أو من غيره، أو من مادة استؤنف خلقها، فإنه هو بنفسه لا ببدنه إذ تتبدل عليه أجزاء البدن من الصغر إلى الكبر. ينظر الإمام الغزالي: تهافت الفلاسفة ص ٢٩٩ تحقيق وتقديم: دكتور سليمان دنيا دار المعارف ط الثامنة.

٤- يرى الإمام الرازي أن الله لا يعدم الأجسام، بل يبقيها بأعيانها، وإذا كانت باقية بأعيانها، فهي قابلة للحياة والعقل والقدرة، فحينئذ يصح أن عودة ذلك البدن بعينه ممكن، ويرى أن المعتبر إعادة الأجزاء الأصلية. ينظر الرازي: أصول الدين ص ١٢٧،١٢٨ .

٥- نفخة البعث ص ١٠٦.

ثالثا: حكم الإيمان بالبعث والنشور:

يجب الإيمان بالبعث والنشور، فهو مما أجمعت الأمة على وقوعه[١].

يقول كولن: "القيامة واقعة لا محالة، وهي حقيقة أكدتها العلوم الوضعية، وأهل العلم بالإجماع إلا أن العلماء يتوقعون ذلك في مستقبل بعيد في حين يمكن أن تقع في أي لحظة نتيجة حدث من الأحداث الاستثنائية العديدة التي تطرأ على الأرض يوميا"[٢].

وضرب عدة أمثلة منها: فلو أراد القمر مثلا الذي انفصل عن الكرة الأرضية أن يعود إليها، فسوف يؤدي هذا إلى انفجار هائل يدمر الأرض؛ ولذا كان النبي- صلى الله عليه وسلم- يقول لأمنا عائشة وهو يشير إلى القمر: "يا عائشة استعيذي بالله من شر هذا فإن هذا هو الغاسق إذا وقب"[٣]؛ ولذا اعتبر العلماء رؤية القمر في الرؤية شر.

وقد تقوم القيامة باصطدام مذنب بالكرة الأرضية أو بتجربة نووية خاطئة إذن مهما كانت الأسباب الظاهرية سينفخ في الصور، وتقوم القيامة الكبرى لا مناص كما يرى كولن[٤].

إذن ينتهي (كولن) إلى وجوب الإيمان بالبعث والنشور.

رابعا: فاعلية البعد الأخروي في حياة الإنسان:

يرى (كولن) أن حياة البشر وتأمين سعادتهم وثيق الصلة بالإيمان بالبعث والنشور.

فلن تستقيم حياة الإنسان ما لم يؤمن أنه محاسب على كل فعل من أفعاله، فلك أن تتصور حياة إنسان مؤمن بأنه سيحاسب كيف ستكون ثمرة محاسبته لنفسه ومراقبة كل كلمة تخرج من فيه، وترصد كل رغبة تختلج صدره، وبالتالي ستستقيم حياته بميزان دقيق يقول تعالى: ﴿ وَمَا تَكُونُ فِي شَأْنٍ وَمَا تَتْلُواْ مِنْهُ مِن قُرْءَانٍ وَلَا تَعْمَلُونَ مِنْ عَمَلٍ إِلَّا كُنَّا عَلَيْكُمْ شُهُودًا إِذْ تُفِيضُونَ فِيهِ ۚ وَمَا يَعْزُبُ عَن رَّبِّكَ مِن مِّثْقَالِ ذَرَّةٍ فِي ٱلْأَرْضِ وَلَا فِي ٱلسَّمَآءِ وَلَآ أَصْغَرَ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكْبَرَ إِلَّا فِي كِتَٰبٍ مُّبِينٍ ﴾[٥] .

وقد عدد (كولن) هذه الفاعلية والثمار تفصيلا وهي:

١- بلسم الأطفال:

١- ينظر: الإمام أبو الحسن الأشعري: الإبانة ص ٢٧.

٢- نفخة البعث ص ٢٧.

٣- أخرجه الترمذي والنسائي، قال أبو عيسى: حسن صحيح، محمد بن عيسى أبو عيسى الترمذي : سنن الترمذي ج ٥ ص ٤٥٢، أحمد بن شعيب النسائي : السنن الكبرى ج ٩ ص ١٢٢.

٤- ينظر: كولن: نفخة البعث ص ٢٨.

٥- سورة يونس الآية:٦١.

فيرى (كولن) أنه لا سبيل لمواساة قلب الطفل الرقيق إذا مات أحد أبويه أو أحبته وإخراجه من مصابه إلا إذا آمن أنهم ذهبوا إلى الجنة، وأنه سيرافقهم هناك، وإذا كان هذا الفقيد كبيرا، فإنه سيضمه إلى صدره في الجنة، ويجلسه على حجره ويمنحه حبه وحنانه، وبذلك تخفت حرقة الفراق، وتندمل الجراح[١] .

٢- أنيس الشيوخ:

فيتساءل (كولن) :هل من سلوان لهؤلاء الشيوخ الذين يدنون من الموت خطوة خطوة وقد غادرهم الشباب والجمال والمنصب والجاه، وفارقوا أحبة، وعانوا آثارا رهيبة إلا الإيمان بأن القبر ليس غولا وما هو إلا باب ينفتح إلى ممر يبلغ بصاحبه إلى رياض الجنة، ومنزلا تتعاقب فيه أمواج الرحمة والمغفرة[٢].

٣- حِمى الشباب:

يرى (كولن) أن الشباب يعني كل شيء كما قال عمر (رضي الله عنه): "إن القوم إذا ضاع فتيانهم فقد هلكوا"[٣].

ويرى (كولن) أن سبب شقاء البشرية اليوم هو فساد شبابها وتصرفاتهم الطائشة، والعلاج يكمن في عقيدة البعث، فعندما يثبت الإيمان بالبعث في قلوب الشباب يكتشفون أسرار نفوسهم، وحقيقة ذواتهم فتستقيم حياتهم، يقول الله تعالى: ﴿ وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ وَنَهَى ٱلنَّفْسَ عَنِ ٱلْهَوَىٰ ﴿٤٠﴾ فَإِنَّ ٱلْجَنَّةَ هِىَ ٱلْمَأْوَىٰ ﴿٤١﴾ ﴾[٤].

يقول كولن: "فمن خاف هنا، أمن هناك، أي دستور غير هذا يكبح جماح الشباب؟، وأي حمى غير هذا الحمى يقي الإنسان من التشرد والعصيان؟"[٥].

٤- رفيق المرضى والمظلومين والمنكوبين:

فيرى أن المريض الذي يقترب من الموت والقبر ليس له من أمل أو سلوى عن آلام المرض إلا إذا تيقن أن القبر ردهة تنفتح إلى عالم آخر من البهجة والسرور؛ ولذا نجد على شفاه أولياء الله عند موتهم بسمة ورضا، فعندما خير النبي -ﷺ- بين الدنيا والآخرة قال: "اللهم الرفيق الأعلى"[٦]، وكذا أبو بكر وعمر - رضى الله عنهما-.

١- ينظر: نفخة البعث شواهد الحياة بعد الموت ص ١٣.

٢- ينظر: نفخة البعث ص ١٥.

٣- ينظر: كولن: نفخة البعث ص ١٩.

٤- النازعات الآيات: ٤٠-٤١.

٥- كولن: نفخة البعث ص ١٩.

٦- أخرجه صحيح البخاري في صحيحه، باب آخر ما تكلم به النبي – ﷺ- كتاب المغازي ،ج ٦ ص ١٥ رقم ٤٤٦٣ وأخرجه مسلم في صحيحه، باب في فضل عائشة- رضي الله عنها-، ج ٤ ص ١٨٩٤ رقم ٢٤٤٤ .

ولا تخمد ثورة المظلوم الذي يتحرق شوقا للثأر من الظالم إلا إذا تصور ذلك اليوم الذي يؤخذ فيه بتلابيب هذا الظالم أخذ عزيز مقتدر.

ويقول كولن: "أما المنكوب الذي دهته مصائب سماوية وأرضية... هذا الرجل لا يسليه عما ألم به من المصائب إلا تصور البعث بعد الموت، فهذا التصور يخبره بأن المال الذي ضاع في الكارثة صدقة، والنفوس التي زهقت شهيدة، وهكذا يتنسم قلبه برد السكينة والاطمئنان"[١].

٥- أحلام المدينة الفاضلة:

يرى (كولن) أننا لن نستطيع تحقيق المدينة المثالية التي نادى بها (أفلاطون) [٢] في جمهوريته[٣] ولا المدينة الفاضلة التي رسمها (الفارابي) في الواقع؛ لأنها محرومة من الأركان التي تقوم عليها، وأعظم ركن ينشر السلام في الحياة هو الشعور بصغار الدنيا والزهد فيها، ثم الإيمان بالآخرة، والتطلع الدائم إليها، وهذا أعظم انجازات النبي -صلى الله عليه وسلم- أنه أقام نظام العالم على فكرة الحساب على الأعمال، فما هذه الحياة إلا مزرعة للآخرة، وقد بث النبي هذا الدرس في قلوب الصحابة، فأثمرت هذا الجيل الذهبي[٤].

وذكر عدة مواقف من حياة الصحابة(رضوان الله عليهم) منها:

١- عن أم سلمة (رضي الله عنها) قالت: أتى رجلان يختصمان في مواريث لهما لم تكن لهما بينة إلا دعواهما، فقال النبي (ﷺ) "إنما أنا بشر وإنكم تختصمون إلي ولعل بعضكم أن يكون ألحن بحجته من بعض، وأقضي له على نحو ما أسمع، فمن قضيت له من حق أخيه شيئا، فلا فإنما أقطع له قطعة من النار فبكى

١- كولن: نفخة البعث وشواهد الحياة بعد الموت ص ٢١، ٢٢.

٢- أفلاطون(أجينا ٤٢٧- ٤٢٨/أجينا ٣٤٧- ٣٤٨): أعظم فلاسفة العصور القديمة أسس جامعة سماها(الأكاديمية) لتربية وتخريج فلاسفة سياسيين ونادى بنظرية المثل فعالم الأفكار هو العالم الحقيقي أما المحسوس فهو وهم وخداع ،والجزء الأهم في فلسفته هو الذي يبحث في السياسة. ويحدد الجمهورية الفاضلة العادلة بالتي تختار الحكماء لمهمة الحكم، من مؤلفاته: وهي عبارة عن محاورات: هيبياس الكبير- هيبياس الصغير- أيون- فيدون- الجمهورية- السياسي. ينظر: الأستاذ/ روني إيلي ألفا: موسوعة أعلام الفلسفة العرب والأجانب ج ١ ص ٩٧- ١٠٦.

٣- جمهورية أفلاطون: هو النظام السياسي الفلسفي الذي تصوره أفلاطون في كتابه(الجمهورية) إلا أن المختصين بالفلسفة يطلقونه على مجمل أفكاره الاجتماعية والسياسية وأبرز ميزات الجمهورية أنها اتصفت بالثورة تجاه أنظمة الحكم والتقاليد الاجتماعية السائدة، ورأت أن الخلاص يكمن في أن يحكم الفيلسوف ولمفهوم حكم الفيلسوف الملك علاقة وثيقة بمفهومين عند أفلاطون وهما: أن المعرفة هي الفضيلة وأن الاجتماعيات ومنها السياسيات ممكن أن تخضع للمعالجة العقلية وبالتالي فهي علم؛ ولذا فإن الملك الفيلسوف هو الشخص الذي يمكنه معرفة المثل ومنها العدالة، فالمعرفة من أهم شروط الحكم ويكون ايضا صاحب كفاءات أدبية وأخلاقية وقرارات الفيلسوف الحاكم ليست اعتباطية بل مستوحاة من عالم المثل .ينظر د عبد الوهاب الكيالي : موسوعة السياسة ج ٢ ص ٩٠- ٩١ .

٤- ينظر: نفخة البعث ص ٢٣،٢٤.

الرجلان، وقال كل واحد منهما: حقي لك، فقال لهما النبي - ﷺ-: أما إذ فعلتما ما فعلتم فاقتسما وتوخيا الحق، ثم استهما، ثم تحالا"[١].

وغيرها الكثير من الصور التي ضربها كولن من حياة الصحابة .

خامسا: الأدلة على البعث والنشور:

يسوق (كولن) عدة أدلة للتدليل على عقيدة البعث والنشور:

أ- القرآن الكريم وحقيقة البعث والنشور:

لقد بسط القرآن أدلة دامغة على وجود البعث من خلال التمثيل القياسي عبر آيات الكون، يقول كولن: "لقد عالج القرآن الكريم حقيقة البعث بعد الموت من زاوية التمثيل القياسي[٢] وتقديم النظير فمن خلال هذه الزاوية يثبت القرآن الكريم وجود البعث والنشور حيث يقدم أدلة من الكون الشاسع تارة، وأدلة من عالم الذرة الصغير تارة أخرى، كما يجمع بين آيات الكون العظيمة وعجائب الذرة في سياق واحد وهذا ما نسميه ب(الدليل الكلي)إذ يتم التأكيد به على الخلق بمعناه المطلق"[٣].

ويقول" إن التمثيل القياسي في القرآن الكريم هو منهج استدلالي واضح وعن طريقه تقدم أدلة وبراهين من العالم الفسيح الذي نعيش فيه لإثبات خلاقية الله سبحانه وتعالى جلية؛ ولتهيئة الأذهان للإيمان بخلق الكون من جديد، ومن ثم يزداد الإنسان يقينا بيوم البعث والنشور"[٤].

وقد ذكر عدة أمثلة من القرآن وقام بشرحها منها :

أدلة البعث من خلال آيات الكون:

١- ﴿ يَوْمَ نَطْوِي ٱلسَّمَآءَ كَطَيِّ ٱلسِّجِلِّ لِلْكُتُبِۚ كَمَا بَدَأْنَآ أَوَّلَ خَلْقٍ نُّعِيدُهُۥۚ وَعْدًا عَلَيْنَآۚ إِنَّا كُنَّا فَٰعِلِينَ ﴾[٥]أي" سنطوي كتاب الكون الذي أخرجناه من محفظته وفرشناه أمام

١- أخرجه الإمام ابن الجارود: المنتقى من السنن المسندة، باب ما جاء في الأحكام ج ١ ص ٢٥٠ رقم الحديث ١٠٠٠ ، تحقيق الشيخ/ عبد الله عمر البارودي، الناشر: مؤسسة الكتاب الثقافية- بيروت- ط الأولى ١٤٠٨هـ-١٩٨٨م.وقال الألباني: حديث حسن، ينظر: ناصر الدين الألباني المتوفى(١٤٢٠هـ): إرواء الغليل في تخريج أحاديث منار السبيل ج ٥ ص ٢٥١ .

٢- التمثيل: اثبات حكم جزئي وجد في جزئي آخر لمعنى مشترك بينهما .قطب الدين محمود بن محمد الرازي: تحرير القواعد المنطقية ص ١٦٦ .

٣- نفخة البعث ص ٢٨.

٤- نفخة البعث ص ٢٨.

٥- سورة الأنبياء الآية:١٠٤.

بصائركم ثم نعيده إلى محفظته كما بدأناه في أول خلقه فكل المخلوقات ستعود إلى خلقها الأول في نهاية المطاف"[١].

٢- ﴿ أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَلَمْ يَعْيَ بِخَلْقِهِنَّ بِقَادِرٍ عَلَىٰ أَن يُحْيِيَ الْمَوْتَىٰ ۚ بَلَىٰ إِنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾[٢]، فالله الذي خلق السماوات والأرض وسيرهما داخل نظام بديع دون عي أو تعب قادر على أن يحيي الموتى من جديد مصداقا لقوله:

﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ وَمَا مَسَّنَا مِن لُّغُوبٍ ﴾[٣].

٥- ﴿ أَوَلَيْسَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِقَادِرٍ عَلَىٰ أَن يَخْلُقَ مِثْلَهُم ۚ بَلَىٰ وَهُوَ الْخَلَّاقُ الْعَلِيمُ ﴾[٤] أو يعجز القدير المطلق الذي خلق العوالم كلها وكل ما يحيط بالإنسان من قوانين وأنظمة أن يبعثكم ويقيم لكم قصورا في الجنة كما أقام قصر الكون المعجز[٥].

٦- ﴿ وَمِنْ آيَاتِهِ أَنَّكَ تَرَى الْأَرْضَ خَاشِعَةً فَإِذَا أَنزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ ۚ إِنَّ الَّذِي أَحْيَاهَا لَمُحْيِي الْمَوْتَىٰ ۚ إِنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾[٦]، فقد أثبت الله البعث من خلال الأحداث التي تقع على الأرض، فكما أن الله يحيي البذور بعد موتها، فكذا سيحيي الإنسان الذي تآكل جسده في قبره[٧].

أدلة البعث من خلال دلائل الأنفس:

وفي السياق نفسه نجد القرآن أثبت البعث عبر دلائل أنفسية، ويحيل أنظارنا إلى عالم الذرة بقوله:

١- ﴿ قُلْ أَمَرَ رَبِّي بِالْقِسْطِ ۖ وَأَقِيمُوا وُجُوهَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَادْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ ۚ كَمَا بَدَأَكُمْ تَعُودُونَ ﴾[٨] .

١- كولن: نفخة البعث وشواهد الحياة بعد الموت ص ٢٩.

٢- سورة الأحقاف الآية: ٣٣.

٣-سورة ق الآية:٣٨.ينظر: نفخة البعث ص ٣٠.

٤- سورة يس الآية:٨١:

٥- ينظر: نفخة البعث ص ٣٠.

٦- سورة فصلت الآية:٣٩.

٧- ينظر: نفخة البعث ص ٣٢.

٨- سورة الأعراف الآية:٢٩.

٢- ﴿ أَوَلَمْ يَرَ ٱلْإِنسَٰنُ أَنَّا خَلَقْنَٰهُ مِن نُّطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُّبِينٌ ﴿٧٧﴾ وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِيَ خَلْقَهُۥ ۖ قَالَ مَن يُحْيِ ٱلْعِظَٰمَ وَهِيَ رَمِيمٌ ﴿٧٨﴾ قُلْ يُحْيِيهَا ٱلَّذِيٓ أَنشَأَهَآ أَوَّلَ مَرَّةٍ ۖ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ ﴿٧٩﴾ ﴾[١].

فكما خلقكم أول مرة من تراب، ثم من نطفة، ثم علقة، ثم مضغة، فكذلك سيجمعكم، ويعيد ذراتكم إلى أصلها مرة أخرى.

٣- ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّنَ ٱلْبَعْثِ فَإِنَّا خَلَقْنَٰكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ مِن مُّضْغَةٍ مُّخَلَّقَةٍ وَغَيْرِ مُخَلَّقَةٍ لِّنُبَيِّنَ لَكُمْ ۚ وَنُقِرُّ فِي ٱلْأَرْحَامِ مَا نَشَآءُ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى ثُمَّ نُخْرِجُكُمْ طِفْلًا ثُمَّ لِتَبْلُغُوٓا۟ أَشُدَّكُمْ ۖ وَمِنكُم مَّن يُتَوَفَّىٰ وَمِنكُم مَّن يُرَدُّ إِلَىٰٓ أَرْذَلِ ٱلْعُمُرِ لِكَيْلَا يَعْلَمَ مِنۢ بَعْدِ عِلْمٍ شَيْـًٔا ۚ وَتَرَى ٱلْأَرْضَ هَامِدَةً فَإِذَآ أَنزَلْنَا عَلَيْهَا ٱلْمَآءَ ٱهْتَزَّتْ وَرَبَتْ وَأَنۢبَتَتْ مِن كُلِّ زَوْجٍۭ بَهِيجٍ ﴾[٢] .

٤- ﴿ أَيَحْسَبُ ٱلْإِنسَٰنُ أَن يُتْرَكَ سُدًى ﴿٣٦﴾ أَلَمْ يَكُ نُطْفَةً مِّن مَّنِيٍّ يُمْنَىٰ ﴿٣٧﴾ ثُمَّ كَانَ عَلَقَةً فَخَلَقَ فَسَوَّىٰ ﴿٣٨﴾ فَجَعَلَ مِنْهُ ٱلزَّوْجَيْنِ ٱلذَّكَرَ وَٱلْأُنثَىٰٓ ﴿٣٩﴾ أَلَيْسَ ذَٰلِكَ بِقَٰدِرٍ عَلَىٰٓ أَن يُحْـِۧيَ ٱلْمَوْتَىٰ ﴿٤٠﴾ ﴾[٣] .

إن الله الذي تنقل بكم في منازل من الخلق شتى حتى سواكم على هذه الهيئة الرائعة التي أنتم عليها ألا يستطيع أن يبعثكم من جديد؟، بلى إنه على كل شيء قدير.

فكولن إذن استخدم الأنفس والأفاق للتدليل على وقوع البعث، وساق ذلك من خلال آيات القرآن الكريم، وهو لم يخرج عما استشهد به جمهور المسلمين[٤]، وإن استخدم عبارات أوضح واسترسل في شرح الآيات واستخراج مكنونها، وساق المسألة بطريقة وجدانية مخاطبا القلوب مع العقول .

ب- أدلة البعث من السنة النبوية:

ساق (كولن) عدة أدلة من أحاديث النبي- ﷺ تدل على البعث والنشور منها:

١- سورة يس الآية:٧٧- ٧٩.

٢- سورة الحج الآية:٥ .

٣- سورة القيامة الآيات:٣٦- ٤٠ .

٤- ينظر: الإمام أبو الحسن الأشعري: اللمع في الرد على أهل الزيغ والبدع ص ٢١-٢٢. وينظر: د/ المسير: الروح في دراسات المتكلمين والفلاسفة ص ١٩١- ١٩٣ .

١- قوله "أيها الناس إنكم محشورون إلى الله حفاة عراة غرلا"[١].

٢- وقوله: "لم يلق ابن آدم شيئا منذ خلقه الله عز وجل أشد عليه من الموت ثم قال: "إن الموت أهون مما بعد وإنهم ليلقون من هول ذلك اليوم شدة حتى يلجمهم العرق حتى لو أن السفن أجريت فيه لجرت"[٢].

ج- الأدلة العقلية على البعث والنشور:

ذكر (كولن) عدة حجج عقلية تؤيد البعث والنشور منها:

١- القدرة الخارقة تقتضي الآخرة:

إننا نرى في جميع الكون في باطن الأشياء والأحداث وظاهرها قدرة الله الباهرة بجلاء كما نرى انتظاما رياضيا محكما يمتد من عالم الذرات إلى عالم المجرات فهل الذرة العمياء العاجزة التي لا تملك عقلا ولا إرادة ولا قدرة هي التي أسست هذا الانضباط والتدبير أم الله ذو العظمة والجلال؟[٣].

يقول كولن: "إن صاحب القدرة اللانهائية سبحانه يَعِد بأن هذا الكون الذي خلقه كتابا سيطويه يوما لينشره في يوم آخر من جديد، وما دام هو القائل، وما دام الأنبياء والصديقون والأولياء المعنيون بهذا الموضوع يشهدون على ذلك، فإن البعث سيتحقق بكل تأكيد، فعلينا أن ننظر إلى البعث على اعتباره واجب الوقوع وليس ممكن الوقوع"[٤].

٢- دورة الموت والحياة:

عندما نشاهد وجه الأرض في بعض فصول السنة نجد كل شيء دخل في وتيرة الانبعاث المتواصل اخضرارا وحياة، ثم تساقطا وجفافا، ثم انتعاشا وحياة من جديد، يقول كولن: "إن البعث العام بعد الموت العام يتحقق بحيوية عظيمة تشكل قناعة راسخة لدى الناظر أن سنموت نحن كذلك، ولكن سنبعث في ربيع عالم آخر ...ويشير القرآن إلى هذه الحقيقة بقوله تعالى: ﴿ قُلْ سِيرُواْ فِي ٱلْأَرْضِ فَٱنظُرُواْ كَيْفَ بَدَأَ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ ٱللَّهُ يُنشِئُ ٱلنَّشْأَةَ ٱلْآخِرَةَ

---

[١]- أخرجه البخاري في صحيحه، باب قول الله تعالى: "واتخذ الله إبراهيم خليلا"، سورة النساء آية: ١٢٥ كتاب أحاديث الأنبياء ج ٤ ص ١٣٩ رقم ٣٣٤٩ .

٢- ينظر: نفخة البعث ص ٢٦. والحديث اسناده ضعيف، أخرجه أبو القاسم سليمان بن أحمد الطبراني في المعجم الأوسط ج ٢ ص ٢٧٧، تحقيق: طارق بن عوض الله بن محمد- عبد المحسن بن إبراهيم الحسيني، دار الحرمين- القاهرة.

٣- ينظر: نفخة البعث ص ٧١-٧٣.

٤- كولن: نفخة البعث ص ٧٣.

إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ ﴾ [1] ﴿ فَٱنظُرۡ إِلَىٰٓ ءَاثَٰرِ رَحۡمَتِ ٱللَّهِ كَيۡفَ يُحۡيِ ٱلۡأَرۡضَ بَعۡدَ مَوۡتِهَآۚ إِنَّ ذَٰلِكَ لَمُحۡيِ ٱلۡمَوۡتَىٰۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ ﴾ [2].

٣- الإعادة أهون من الخلق الأول:

يرى (كولن) أن من جمع ملايين الكتب في صفحة واحدة دون خلل وفرشها أمام أنظارنا قادر على جمعها إذا فكك أجزاءها، وإن مخترعا ماهرا اخترع آلة جديدة لا مثيل لها قادر على إعادتها إذا فرق أجزاءها، وإن قائدا عظيما صف جنده ورتبهم، ثم أعطاهم استراحة بعد التدريب قادر أن يجمعهم مرة ثانية رغم شتاتهم، هذه الأمثلة البسيطة كما يقول (كولن) تؤكد استحالة إنكار البعث بعد الموت[3].

٤- حكمة تحيط بالكون:

يرى (كولن) أن هناك حكما كثيرة تحيط بالكون بأكمله بدءا من العالم الكبير(الكون) إلى العالم الصغير(الإنسان) إلى العالم الأصغر(الذرة)، فلا يعقل لكائن مثل الإنسان قد كرم بين الكائنات وزود بآلاف الحكم صورة وشكلا أن يأتي إلى الدنيا، ويرحل دون أن يبعث من جديد، فالإنسان لديه نزوع للخلود، فلا بد أن يكون هناك عالم آخر يستجيب لهذا النزوع ﴿ أَفَحَسِبۡتُمۡ أَنَّمَا خَلَقۡنَٰكُمۡ عَبَثٗا وَأَنَّكُمۡ إِلَيۡنَا لَا تُرۡجَعُونَ ١١٥ فَتَعَٰلَى ٱللَّهُ ٱلۡمَلِكُ ٱلۡحَقُّۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ ٱلۡعَرۡشِ ٱلۡكَرِيمِ ١١٦ ﴾ [4] .

فصاحب الرحمة اللانهائية لن يترك الإنسان في ظلمات العدم دون إحيائه من جديد، يقول كولن: "لقد وضع لكل بضاعة في هذه الدنيا ميزان لتحديد قيمتها لكن لم يوضع أي ميزان لوزن نتاج العقل والقلب والحس والروح ...إذا فالحكمة تقتضي أن يأتي يوم يقام فيه ميزان يستوعب كل تلك المشاعر السامية ويقيمها، وذلك يوم الآخرة يقول المولى (عز وجل): ﴿ وَنَضَعُ ٱلۡمَوَٰزِينَ ٱلۡقِسۡطَ لِيَوۡمِ ٱلۡقِيَٰمَةِ فَلَا تُظۡلَمُ نَفۡسٞ شَيۡـٔٗاۖ وَإِن كَانَ مِثۡقَالَ حَبَّةٖ مِّنۡ خَرۡدَلٍ أَتَيۡنَا بِهَاۗ وَكَفَىٰ بِنَا حَٰسِبِينَ ﴾ [5].

فالله تعالى سيضع الميزان ويبعث الإنسان الذي عشش الشر في باطنه يبعثه حطبا يابسا، وكذا العظماء سيبعثون ليجزل لهم العطاء.

١- سورة العنكبوت الآية:٢٠.

٢- سورة الروم الآية:٥٠ ،نفخة البعث ص ٧٦.

٣- ينظر: نفخة البعث ص ٧٩.

٤- سورة المؤمنون الآيات:١١٥-١١٦، ينظر: نفخة البعث ص ٤٠.

٥- سورة الأنبياء الآية:٤٧، نفخة البعث ص ٤٢.

يقول كولن: "علما بأنه لا يجب على الله شيء، ولا يلزمه شيء، ولا يضطره شيء على فعل شيء، ولكن انطلاقا من تجليات اسمه (الحكيم)، واستشهادا بالمنح الواردة على عباده من هذا الباب نخلص إلى أن البعث حقيقة لا شبهة عليها"[١].

وهنا يؤكد أنه لا وجوب على الله في شيء فالله يفعل ما يشاء ويختار، ويذكر تجليات اسم الله (الحكيم) في قضية الآخرة فحكمته اقتضت أن يكون هناك بعث وآخرة ليعطى كل إنسان حقه .

٥- الكريم الرحيم وضرورة الآخرة:

فيرى (كولن) أن هناك رعاية فائقة تقدم في هذا الكون لأصغر الكائنات، وأعجزها وأضعفها، وندرك من هذا أن هناك ربا رحيما كريما يجزل العطاء للكائنات برمتها إذن سيكون عطاؤه متواصلا، وهذا الإنعام يقتضي استمرار حياة الإنسان المستقبل لهذا الإحسان، إذا لا بد من عالم سرمدي تدوم فيه هذه النعم وتلك المكرمات[٢].

وكذا هنا يذكر تجليات اسمي الله (الكريم الرحيم) ليدل على أثرهما في حياتنا.

٦- شفقة شاملة تشير إلى الآخرة:

ويعرف الشفقة: بأنها هي الإحساس بالرأفة، والرحمة، والحنان، هي العطف على المظلوم، والجريح، والمريض، والضعيف كشفقة الله على الجنين في رحم الأم، وبعد ولادته، وتغذيته بلبنها، وهو غذاء يؤثر على صحة الطفل تأثيرا إيجابيا يصعب إيجاده في الأغذية الأخرى، والمياه التي تتدفق لتلبي حاجة النبات والهواء إكسير الحياة للإنسان وغيرها الكثير[٣].

يقول كولن: "إننا ومن خلال جميع آثار الشفقة المتجلية في الكون نخلص إلى حكم مفاده هو أن الله (عز وجل) الذي شملت آفاق شفقته جميع الموجودات من الذرة إلى المجرة ومن الخلية إلى أضخم المخلوقات لا شك سيقيم الآخرة، وسيحيي البشرية من جديد، ومن ثم سيحلي هذا الإنسان الذي أغدق عليه بالنعم في هذه الدنيا الفانية بنعم أبدية لا نهاية لها في الآخرة"[٤] .

٧- عزة وجلال يقتضيان الآخرة:

يقول كولن: "إن الذي أغدق علينا النعم من أعلى رؤوسنا إلى أخمص أقدامنا له العزة والجلال، فكما لا يشرك أحدا في عطائه هذه النعم لا يرضى كذلك أن يشكر غيره مقابل هذا الإنعام "[٥].

١- كولن: نفخة البعث ص ٤٤.

٢-ينظر: نفخة البعث ص ٤٩- ٥٠.

٣- ينظر: نفخة البعث ص ٥١.

٤- السابق ص ٥٣.

٥- كولن: نفخة البعث ص ٥٥.

فعزة الله وجلاله يقتضيان تأديب جاحدي النعم ومكافأة الشاكرين لها ﴿ كُلُواْ وَٱشۡرَبُواْ هَنِيٓـَٔۢا بِمَآ أَسۡلَفۡتُمۡ فِي ٱلۡأَيَّامِ ٱلۡخَالِيَةِ ﴾ [1] .

يقول تعالى في الحديث القدسي: "أعددت لعبادي الصالحين ما لا عين رأت، ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر"[2] .

٨- سخاء يشير إلى الآخرة:

نجد النعم مبثوثة أمامنا ابتداء من كأس الماء الذي نشربه إلى الهواء الذي نتنفس، وفي كل فصل من فصول السنة تدر علينا آلاف الأنواع من الفاكهة، والشمس، والقمر يعملان خادمين مطيعين لنا .

يقول كولن: " لكن حاشا لصاحب هذا السخاء العظيم والكرم العميم أن يحرمنا هذه النعم بعد أن أذاقنا حلاوتها، بل إن صاحب هذا السخاء الذي تفضل علينا في هذه الدنيا الفانية بألوان من الإكرام والإنعام سيديمها علينا إلى الأبد، ولا بد أنه يملك عالما حافلا بخزائن من النعم الخالدة التي لا تنفد فهو هنا اتحفنا بعينات منها أصولها هناك، ولا بد ان إكرامه علينا سيمتد في ذلك العالم نقطف من أصولها وننعم بها أبد الآبدين"[3].

٩- جمال فان يستدعي جمالا باقيا:

يرى (كولن) أن الجمال الموجود في الكون هذا الجمال الفاني يستدعى عالما آخر به جمال خالد، يقول كولن: "إن تلك المحاسن والجماليات التي أبدعها جل شانه لا تعد ولا تحصى، وهذا يستدعي عالما أبديا تصبح فيه هذه المحاسن العابرة من هذه الدنيا الفانية خالدة أبدية أجل، فكما انبهرنا بتجليات جماله المبثوثة في أرجاء هذه الدنيا سننبهر يوما بالنظر إلى جمال الذات المقدسة غارقين في نشوة ما بعدها نشوة ﴿ وُجُوهٞ يَوۡمَئِذٖ نَّاضِرَةٌ ٢٢ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٞ ٢٣ ﴾[4].

١٠- التناغم البديع في الوجود:

النعم التي بثها الله في الدنيا ماهي إلا عينات من النعم الحقيقية التي ستمنح للإنسان في الجنة، يقول كولن: "ثمة علاقة وثيقة بين الإنسان والأشياء، وما هذه العلاقة إلا دليل على وحدة خالقها و وحدانيته، فالذي خلق ما نراه وما نسمعه وما نتذوقه هو نفسه من وهبنا

١- سورة الحاقة الآية:٢٤.

٢- أخرجه البخاري ومسلم، ينظر: محمد بن اسماعيل البخاري: صحيح البخاري، باب ما جاء في صفة الجنة وأنها مخلوقة، كتاب بدء الخلق، ج ٤ ص ١١٨رقم ٣٢٤٤. مسلم بن الحجاج القشيري : صحيح مسلم، كتاب الجنة ونعيمها وأهلها ج ٤ ص ٢١٧٤ رقم ٢٨٢٤ .

٣- كولن: نفخة البعث ص ٥٩.

٤- سورة القيامة الآية:٢٢-٢٣.

حاسة البصر، والسمع، والتذوق...إن النعم المبثوثة في هذه الدنيا عينات للنعم الأصلية التي ستمنح في الجنان الخالدة، وإنه لمن الحمق أن نقر بوجود تناغم بين تلك النعم في هذه الدنيا، ثم نرفض صلتها وعلاقتها بالآخرة لقد خلق الله تعالى هذه الدار وتلك الدار وجعل بينهما رابطا وثيقا وحبلا متينا لا ينفك أبدا"[١].

فهو اتخذ من النظام والعناية الموجودة في الكون دليلا على الوحدانية، ودليلا آخر على وجود حياة أخرى بعد انتهاء الحياة الدنيا.

١١- الحفيظية العجيبة:

يرى (كولن) أن ثمة حفظا عجيبا يسود الكون برمته فماهية الإنسان وجوهره محفوظان في خلية منوية، وأدق تفاصيل مزاجه، وطبيعته، ومستقبله محفوظ في كروموسوماته، واستشهد بأقوال عددٍ من العلماء منهم (جيمس جان) أحد مؤسسي علم الفيزياء الذرية، إذ يقول "لا شك أن خالق هذا الكون رياضي قدير "مشيرا إلى أن هذا الكون لا يحيد في سيره، وحركته، واتجاهه عن المقاييس الرياضية الكونية قِيْدَ أنملة.

ويستنبط من ذلك: "أن (الحفيظ) الذي حفظ الإنسان في النطفة، والشجرة في البذرة، والدجاجة تحت قشرة بيضتها هل يترك الإنسان - محور الحراك الكوني وخليفة الأرض وسلطانها- سدى بعد مماته؟ كلا، بل سيبعثه في عالم آخر كما يبعث البذرة المنثورة في أحشاء التراب ويتوجه بحياة كريمة تناسب مكانته"[٢].

وهو هنا يشير إلى تجليات أسماء الله الحسنى في حياة الإنسان من خلال اسم الله (الحفيظ).

١٢- عناية كبيرة لأصغر الكائنات:

إذا كانت عناية الله تشمل أصغر الكائنات من ثم لن يحرم الإنسان من هذه الرعاية والعناية، يقول كولن: "نرى بوضوح أن الخالق الحكيم كلف أصغر المخلوقات بتنفيذ أعمال غاية في الضخامة حيث أعطى مهمة تنظيف الأرض لكائنات تعيش ملايين منها في حفنة من تراب فقط، وهكذا فالمدبر الرحيم سبحانه الذي لم يترك السليلوز وخلايا البكتيريا سدى، بل شملها ومثيلاتها من الكائنات الصغرى برعاية خاصة عظيمة هل يعقل أن يترك الإنسان بلا عناية، وهو سلطان هذه الكائنات كلها؟"[٣].

١٣- فكرة الخلود :

فكرة الخلود التي سيطرت على الإنسان منذ فجر التاريخ تشير إلى تحقق البعث وعلى وجود عالم آخر وراء هذه الحياة الفانية، يقول كولن: "كيف خطرت فكرة الخلود ببال هذا الإنسان المحصور في قوالب محدودة ؟ لا يمكن ادعاء أنه وصل إلى هذه الفكرة من تلقاء نفسه، كما لا يوجد على الأرض مخلوق يمكن أن يلهم الإنسان هذه الفكرة، إذن

١- ينظر: كولن: نفخة البعث ص ٦٥.

٢- كولن: نفخة البعث ص ٦٩.

٣- كولن: نفخة البعث ص ٨٢.

إحساسه هذا ما هو إلا رسائل أرسلت إليه من عالم آخر، فكما أن تسرب المياه دليل قطعي على مجاري المياه، فكذلك تسربات الخلود دليل قطعي على العالم الأبدي"[١].

١٤- السمو الروحي:

الإنسان أحيانا يجني ثمارا روحية، وملكات لدنية، ويعرض عن الدنيا ويسمو عليها محرزا مكانة عليا، فهذه الحالة السامقة تدل دلالة قطعية على أن هذا الإنسان له علاقة وثيقة بموجود غير مقيد بعالم الإمكان، بل واجب فهذه الدنيا المحدودة التي ستهدم يوما ما تشير إلى دار لن تهدم أبدا، فكل كائن يشي إلى خالقه من ناحية، ويشير إلى امتداده في العالم الآخر من ناحية أخرى[٢].

ومن الملاحظ أن أدلة (كولن) العقلية جميعها قائمة على دلالة الآفاق والأنفس.

وقد تأثر (كولن) إلى حد كبير بآراء النورسي والحكم التي ساقها للتدليل على الحياة الأخرى، بل وصل إلى حد التطابق في المعاني و الأفكار أحيانا[٣] .

د- التاريخ والفلسفة يقران بعقيدة البعث:

يؤكد (كولن) على البعث من خلال استقراء هذه العقيدة عبر مراحل التاريخ من القديم حتى الحديث فيؤكد على ما يلي:

١- إذا ما استقرأنا التاريخ من زاوية عقيدة البعث نجد البشرية قد تبنتها منذ الإنسان الأول إلى يومنا هذا بدليل أن الفيلسوف والمؤرخ (ول ديورانت) ذكر في كتابه (تاريخ الحضارة) فهوما شتى لأقوام عديدة حول البعث بعد الموت، وسجل ما نحتوه على الجدران من كتابات ورسوم حول طقوس دفن الموتى.

٢- الفراعنة وهم من هم في حب الدنيا والتعلق بالمادة كانوا يولون البعث بعد الموت أهمية كبرى، وذلك من خلال العبارات المنحوتة على الجدران والوصايا التي تدفن مع الموتى التي تعرف ب(كتاب الموتى)؛ ولذا كانوا يضعون معهم في مقابرهم ألوانا شتى من الطعام، والملابس، والحلي، ويرسمون على الجدران صور الحيتان، والثعابين معتقدين أنها ترضي الالهة[٤] .

٣- زرادشت:[٥] ورد عنه أنه قال: "لقد أرسل الإنسان إلى دار الدنيا بمهمة فمن أجاد القيام بها فسوف تصفو روحه وينضم إلى سكان الملأ العلى، أما الفاشلون فسوف يسجنون

١- كولن: نفخة البعث ص ٨٣.

٢-السابق ص ٨٤.

٣-ينظر: النورسي: القيامة ودمار الدنيا والحياة الآخرة، الكلمات ص ٦٠١-٦٣٣.

٤- ينظر: نفخة البعث ص٩١، ٩٢.

٥- زرادشت بن يورشب (عام ٧٠٠ أو ٦٣٠ أو ٦٠٠ قبل الميلاد- ٥٨٣ ق م) مصلح ديني إيراني من مؤلفاته الأفستا، نشأ في أذربيجان وذكرت حوله قصص وأساطير، وادعى النبوة، وقد انتشر دينه في بلخ أولا ثم انتقل إلى جميع فارس، ويقال إنه مات مقتولا، ويؤمن بوجود قوى للخير وأخرى للشر أو النور والظلمة وعنهما=

في أسفل طبقات الأرض إلى الأبد"[١].

٤- الهند: التي فيها مئات الأديان تلتقي جميعا في نقطة مشتركة وهي عقيدة استمرارية الأرواح، ومع أن عقيدة التناسخ تتناقض مع الإسلام إلا أن ما يهمنا هنا هو إيمانهم بخلود الروح.

٥- اليونان: هناك عدد من فلاسفتها اعتقدوا بالبعث وخلود الروح فقد تحدث بعضهم عن منازل الأرواح، وأن الأرواح التي تلبس لباس الأجسام لها منازل خاصة بها في مكان آخر، و(فيثاغورس)[٢] يعتقد أن الروح الزكية ترتقي إلى العالم العلوى، والخبيثة فستحيق بها النيران وتبقى حبيسة في سجن الأرض، وكذا (سقراط) الذي كانت أحد الأسباب التي قادته إلى الإعدام هو إيمانه بحياة أخرى، وقد دافع (أفلاطون) عن مواقف (سقراط) من خلال عدة أدلة منها:

أ- دليل الطبيعة الفاضلة فقد خلق الإنسان من أجل الفضيلة، وبلوغه قمة الفضيلة لا يتحقق إلا بابتعاده عن النزعات الحيوانية والشهوانية.

ب- دليل توالي الأضداد: فالأضداد تتعاقب في هذه الحياة، نهار بعد ليل ونور يعقبه ظلام، وكذلك الحياة الدنيا سيعقبها حياة أخرى.

ج- دليل الذاكرة: يقع للمرء أحيانا أنه يرى مشهدا ما فيخطر في قلبه كأنه رأى هذا المشهد من قبل، إذن ما نتذكره هي أحوال سبق أن عشناها في عالم آخر، ومن ثم فهذا العالم ثمرة لعالم سابق وبداية لعالم لاحق.

وكذا ورد عن (أرسطو) رغم اعتباره أحد رموز الفكر المادي قوله أن هناك كائنا في جسم الإنسان منفصلا عن الجسم وذلك الكائن لا يموت.

والفلسفة الرواقية تلتزم ببعض المبادئ الأخلاقية منها أن الذات العلية الذي خلقت الموت، وأكرمت الإنسان يستحيل عليها أن تميت الإنسان ولا تبعثه مرة أخرى[٣].

٦- الفلسفة الإشراقية كان لها كلام في البعث، ونشأ في ظلها عدد من الشخصيات مثل: الحلاج[٤]،

=ومن امتزاجهما نشأ العالم وما فيه من خير وشر وطهارة وفساد. ينظر: الشهرستاني: الملل والنحل ص ٢٨١. وينظر: روني إيلي ألفا: موسوعة أعلام الفلسفة ج١ص ٥٢٣.

١- ينظر: نفخة البعث ص ٩٣.

٢- فيثاغورس(٥٧٠- ٥٠٠ ق م) فيلسوف ورياضي يوناني اقتصر في تعاليمه على الإلقاء المسموع بين تلاميذه الذين يلتزمون بسرية مذهبهم فلم يكتبها لذا لا يوجد له مؤلفات . اتجه إلى الدين، واتخذ منحى صوفيا يهدف إلى فصل الروح والجسد للارتفاع بها نحو الاتصال الإلهي ، ونظر إلى العدد نظرة دينية صوفية اعتبرت أن كل شيء في الوجود هو عدد . ينظر: روني إيلي ألفا: موسوعة أعلام الفلسفة العرب والأجانب ج ٢ ص ١٩٤.

٣- ينظر: نفخة البعث ص ٩٦.

٤- الحلاج: أبو مغيث الحسين بن منصور الحلاج، وهو من أهل بيضاء وفارس، ونشأ بواسط والعراق، وصحب الجنيد، وأبا الحسين النوري، وعمرا المكي، والفوطي وغيرهم، والمشايخ في أمره مختلفون . رده=

وابن عربي[١]، السهروردي[٢]، وكانت ترى البعث ضروري لهذه الحياة.

٧- أبو العلاء المعري[٣] رغم أنه اختلطت عليه بعض أمور العقيدة إلا أنه في رسالة الغفران يرسم مشاهد يوم الحشر بصورة دقيقة.

وكان دانتي[٤] ذلك الشاعر الإيطالي قد قرأ مشاهد المعري تلك، ثم نقلها في أعماله الأدبية التي صور فيها مقاطع عجيبة من الجنة والنار، ومواقف الأعراف، وهناك أدباء وشعراء كثيرون يحملون عداء للدين ومع ذلك تحدثوا عن البعث.

٨- (ديكارت) كان له كتاب يتحدث عن وجود الله وأبدية الروح اسمه(سانحة)تطرق فيه إلى مفهوم الروح، وكيفية بقائها وغيرها من مباحث الآخرة.

=أكثر المشايخ ونفوه وأبوا أن يكون له قدم في التصوف ،وقبله من جملتهم أبو العباس بن عطاء ومحمد بن خفيف وأبو القاسم النصراباذي، وأثنوا عليه، وصححوا له حاله، وحكوا عنه كلامه، وجعلوه أحد المحققين حتى قال محمد بن خفيف :"الحسين بن منصور عالم رباني" قتل ببغداد بباب الطاق سنة تسع وثلاثمائة ٠أبو عبد الرحمن السلمي: الطبقات الصوفية ص ١٠٣كتاب الشعب سلسلة دار الشعب ١٩٩٨م.فريد الدين العطار: تذكرة الأولياء المجلد الثاني ص ٢٢٧الهيئة المصرية العامة للكتاب ٢٠٠٨م.

١- ابن عربي (١١٦٥- ٥٦٠هـ- ١٢٤٠م- ٦٣٨هـ): محمد بن علي بن محمد محيي الدين المعروف بابن عربي ولد في مرسية بأسبانيا. كان يكتب الانشاء لبعض ملوك العرب، ثم تزهد، وتعبد، وساح، ودخل مصر، والشام، والحجاز، والروم، أجمع علماء عصره على جلالته في سائر العلوم، يروى أنه كتب أربعمائة مجلد أهمها الفتوحات المكية- فصوص الحكم في خصوص الكلم- التجليات. وقد هوجم بضراوة من الفقهاء لآرائه في وحدة الوجود وغيرها لمناقضتها مبادئ الشريعة . ينظر: عبد الوهاب الشعراني: الطبقات الكبرى ص ٣١٨ المكتبة التوفيقية. ينظر موسوعة أعلام الفلسفة العرب والأجانب ج ١ ص ٣٥ .

٢- السهروردي(٥٤٩- ٥٨٦أو ٥٨٧هـ): أبو الفتوح يحيى بن حبش بن أميرك، الملقب شهاب الدين، السهروردي الحكيم المقتول بحلب، وقيل اسمه أحمد حكيم اشراقي جمع بين الفلسفة العقلية، وأذواق التصوف القلبية، وبرع أيضا في الأصول الفقهية دخل في مناظرات مثيرة، واستفزازية مع فقهاء حلب فاشتكوه لصلاح الدين الأيوبي فأمر بقتله؛ ولذا لقب بالشيخ المقتول واختلف العلماء في أمره بين الثقة في دينه وبين اتهامه بالإلحاد والزندقة، من مؤلفاته: التنقيحات، التلويحات، الهياكل، حكمة الإشراق. ينظر: ابن خلكان: وفيات الأعيان ص ٦/ ٢٦٨.ابن حجر: لسان الميزان ص ٩/ ٢٠٥. موسوعة أعلام الفلسفة العرب والأجانب ج ١ ص ٥٧٤ .

٣- أبو العلاء المعري: هو أبو العلاء أحمد بن عبد الله بن سليمان من أهل معرة النعمان من بلاد الشام، كان غزير الفضل، وافر العلم، عالما حاذقا بالنحو، جيد الشعر جزل الكلام، ولد بمعرة النعمان سنة ثلاث وستين وثلاثمائة واعتلّ علة الجدريّ التي ذهب فيها بصره سنة سبع وستين وثلاثمائة، وقال الشعر وهو ابن احدى عشرة سنة، ورحل إلى بغداد سنة ثمان وتسعين وثلاثمائة، أقام ببغداد سنة وسبعة أشهر، ثم رجع إلى بلده فأقام به ولزم منزله إلى أن مات سنة تسع وأربعين وأربعمائة في أيام القائم. شهاب الدين أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله الرومي الحموي (المتوفى: ٦٢٦هـ): معجم الأدباء = إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب ج ١ ص ٢٩٦،المحقق: إحسان عباس ،الناشر: دار الغرب الإسلامي، بيروت ،الطبعة: الأولى، ١٤١٤ هـ - ١٩٩٣م. جمال الدين أبو الحسن علي بن يوسف القفطي (المتوفى: ٦٤٦هـ): إنباه الرواة على أنباه النحاة ص ١/ ٨١، المحقق: محمد أبو الفضل إبراهيم، الناشر: دار الفكر العربي- القاهرة، ومؤسسة الكتب الثقافية - بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤٠٦ هـ - ١٩٨٢م.

٤- دانتي(١٢٦٥- ١٣٢١)كان مجددا عظيما باعتباره شاعرا، أما باعتباره مفكرا فقد تخلف عن عصره بعض التخلف، فكان فكره غير ذي أثر، ولم يكن يلائم عصره من كتبه: الملكية- الكوميديا الإلهية. ينظر: برتراند رسل: تاريخ الفلسفة الغربية الكتاب الثاني الفلسفة الكاثوليكية ص ٢٥٣ ترجمة: د/ زكي نجيب محمود الهيئة المصرية العامة للكتاب.

وأعقبه فلاسفة عقليون في مجال اللاهوت مثل(ليبنتز)الذي طرح نظرية المونادات[١]، والفيلسوف(اسبينوزا)، و(باسكال)، و(برجسون) من الفلاسفة الفرنسيين المتأخرين آمنوا أيضا بهذه العقيدة.

يخلص (كولن) بعد هذا السرد التاريخي: "إن عقيدة البعث حقيقة لاشك فيها وهي من الصدق بحيث أجبرت أعداء الدين على تصديقها والحديث عنها"[٢].

هـ- الكتب السماوية وعقيدة البعث:

١- القرآن الكريم:

يقرر (كولن) أن ثلثي آي القرآن تقريبا متعلق بموضوع الآخرة بشكل أو بآخر[٣]، وقد سبق الاستدلال بآيات عديدة في أول هذا المبحث للتدليل على عقيدة البعث.

٢- التوراة والانجيل:

يقرر (كولن) أن الإنجيل في الأصل جاء مصححا لما حرف في التوراة، وقد تحدثت التوراة عن الآخرة ومراحلها بإسهاب[٤]؛ ولذا اكتفى الإنجيل بتصديقها، ولم يفصل في الموضوع مرة أخرى، ومع ذلك نجد الإنجيل يشتمل على العديد من العبارات التي تتحدث عن البعث، وقد ذكر (كولن) عدة عبارات من الإنجيل تبرهن على ذلك منها:

أ- ما ورد في إنجيل متى: "من عمل صالحا في هذه الدنيا، فسوف يرقى إلى ملكوت الرب، طوبى للمساكين، فإنهم سيرقون إلى ملكوت السماوات، طوبى للرحماء، فإنهم ينالون رحمة الرب في العالم الآخر، طوبى للمتقين فإنهم سيرون ربهم"[٥].

١- المونادات: الكون يتألف من وحدات قوة تتشكل الأجسام من مجاميع عناصرها البسيطة تسمي المونادات ونحس بها في داخلنا ويمكن تحديدها بكونها نفوسا أو أرواحا نائمة غامضة تعيش في الحاضر ولا تهدف إلى المستقبل وهي تتالي تراتبيا نحو مزيد من الوجود الحقيقي في أسفل التراتب: النفس المادية، وتتبعها النفس النباتية، وفوقها النفس الحيوانية، وتعلوها الروح، وهي النفس الإنسانية، وتعلوها الأرواح الفائقة التي تتوسط= =بين الإنسان والله الذي هو الموناد المطلقة الحقيقية، وهو الملك الكامل لهذه المدينة التراتبية. ينظر: الأستاذ: روني إيلي ألفا : موسوعة أعلام الفلسفة العرب والأجانب ج ٢ص ٣٥٣ .

٢- ينظر: نفخة البعث ١٠١.

٣- ينظر: نفخة البعث ص ١٠١.

٤ - كانت الديانة اليهودية في أصلها تقرر البعث والنشور واليوم الآخر، ولكن أسفار العهد القديم التي بين أيدينا الآن قد خلت من ذكر اليوم الآخر، ومن ثم لا نجد من فرق اليهود الشهيرة من يؤمن باليوم الآخر على الوجه الذي يقرره الإسلام. ينظر: ا د محمد شلبي شتيوي- د/ أحمد محمد علي حسين: علم الملل والنحل مصطلحات علمية وتطبيقات واقعية .دار القدس.

٥- ونص الإنجيل: " طوبى للمساكين بالروح لأن لهم ملكوت السماوات طوبى للحزانى؛ لأنهم يتعزون، طوبى للودعاء؛ لأنهم يرثون الأرض، طوبى للجياع والعطاش إلى البر؛ لأنهم يشبعون طوبى للرحماء؛ لأنهم يرحمون، طوبى للأتقياء القلب؛ لأنهم يعاينون الله". انجيل متى، الاصحاح ٥ آية ٣-٩ ص ٥ من الكتاب المقدس.

ب- وما ورد في إنجيل متى: "في ذلك اليوم سيأتي الملك فيقف الأبرار عن يمينه والأشرار عن شماله، سيقول الملك للأبرار: اليوم سأكافئكم"[١].

وهذا يدل من وجه آخر أن أصول الأديان واحدة؛ ولذا فهي متفقة في التوحيد وجميع السمعيات، ولكنها حرفت بعد ذلك.

١- ونص الإنجيل: "ثم يقول الملك للذين عن يمينه: تعالوا يا مباركي أبي رثوا الملكوت المعد لكم منذ تأسيس العالم". إنجيل متى الاصحاح ٢٥ آية: ٣٤ص ٣٧ من الكتاب المقدس.

المطلب الثاني: الشفاعة:

أولا: تعريف الشفاعة:

١- الشفاعة لغة:

أ- شفع لي يشفع شفاعة وتشفع: طلب، وشفع إليه: في معنى طلب إليه، والشافع الطالب لغيره يتشفع به إلى المطلوب، والشفاعة: كلام الشفيع للملك في حاجة يسألها لغيره[١].

ب- من الشفع: وهو خلاف الوتر وهو ما كان من العدد أزواجا[٢].

٢- اصطلاحا:

عند المعتزلة: مسألة الغير أن ينفع غيره أو أن يدفع عنه مضرة.

وعند أهل السنة: سؤال الخير من الغير للغير[٣].

وهناك اتفاق بينهما في التعريف كما هو واضح.

ولم يتعرض (كولن) لتعريف الشفاعة، واقتصر على بيان حكمها.

ثانيا: حكم الشفاعة:

اتفق المتكلمون على أن الشفاعة حق للمؤمنين.

واختلفوا في الفساق، فيرى أهل السنة أن الشفاعة تشملهم، ورأى المعتزلة والخوارج أنهم مخلدون في النار.

١- رأي الخوارج: والخوارج يكفرون مرتكب الكبيرة يقول الشهرستاني: "الوعيدية داخلة في الخوارج، وهم القائلون بتكفير صاحب الكبيرة، وتخليده في النار"، والعجاردة كذلك يكفرون بالكبائر[٤].

٢- رأي المعتزلة: يرى المعتزلة أن الشفاعة حق وهي للمؤمنين دون الفاسقين زيادة رفعة ومنزلة في الجنة، وكرامة لرسول الله -ﷺ-، وأن الله توعد الفساق بالنار في القرآن الكريم، فقال القاضي (عبد الجبار): "فقد دل بهذه الآيات أن كل من ارتكب الكبيرة فهو من أهل النار إلا أن يتوب، فإن قيل: أفتقولون أنهم يخلدون في النار ويبقون فيها دائما أم

١- ينظر: الخليل بن أحمد: العين: باب العين والشين والفاء(ش ع ف، ش)ص ا/ ٢٦٠. أبو منصور الهروي: تهذيب اللغة باب العين والشين مع الفاء ص ١/ ٢٧٨. ابن منظور: لسان العرب المجلد الرابع ص ٢٢٨٩ .

٢- ينظر: الخليل بن أحمد: العين ص ١/ ٢٦٠ . أبو بكر محمد بن الحسن بن دريد الأزدي (المتوفى: ٣٢١هـ): جمهرة اللغة، ص ٢/ ٨٦٩، المحقق: رمزي منير بعلبكي، الناشر: دار العلم للملايين- بيروت، الطبعة: الأولى، ١٩٨٧م.

٣- القاضي عبد الجبار: شرح الأصول الخمسة ص ٦٨٨. حاشية الإمام الباجوري على جوهرة التوحيد ص ٣٠٥.

٤- الشهرستاني: الملل والنحل ص١٣٢، ١٤٨.

يخرجون منها؟ فقيل له: بل يخلدون فيها على ما أخبر الله عز وجل في كتابه فقال:﴿ وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُۥ يُدْخِلْهُ نَارًا خَٰلِدًا فِيهَا وَلَهُۥ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴾ [١].

وأما ما ورد في الأحاديث عن خروج أقوام من النار فتلك أخبار آحاد لا يقطع بصحتها كما يقول القاضي، وحديث "شفاعتي لأهل الكبائر من أمتى"[٢] فأجاب عنه القاضي: "لا يجوز أن نترك ظاهر كتاب الله (عز وجل) لخبر لا نقطع بصحته وإن صح فمعناه أن من ارتكب الكبائر ثم تاب فهو من أهل الشفاعة لا محالة"[٣] .

٣- رأي أهل السنة:

اتفق أهل السنة على إثبات الشفاعة و أن شفاعة النبي ﷺ- حق في فساق الأمة[٤] .

أ- لقوله: ﴿ فَمَا تَنفَعُهُمْ شَفَٰعَةُ ٱلشَّٰفِعِينَ ﴾[٥]،وهذا التخصيص يدل على أن حال المؤمن بخلافه.

ب- أمر الله نبيه أن يستغفر للمذنب ﴿ فَٱعْلَمْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَمَثْوَىٰكُمْ ﴾[٦].

ج- ﴿ مَن ذَا ٱلَّذِى يَشْفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذْنِهِۦ ﴾ [٧].

د- قوله -ﷺ- "شفاعتي لأهل الكبائر من أمتي" [٨].

١- سورة النساء الآية:١٤.

٢- أخرجه أبو داود والترمذي، أخرجه أبو داود في سننه ج ٤ ص ٣٧٩ وقال الألباني: صحيح. وأخرجه الترمذي في سننه ج ٤ ص ٦٢٥ ، وقال: هذا حديث حسن صحيح غريب.

٣- القاضي عبد الجبار الأصول الخمسة المنسوبة للقاضي عبد الجبار ص ٩٠- ٩٤.

٤- ينظر: القاضي أبي بكر الباقلاني: التمهيد ص ٣٦٥، وينظر: الرازي: العقيدة النظامية ص ٨١. ينظر: أبو معين النسفي: بحر الكلام ص ٣٠٧.

٥- سورة المدثر الآية:٤٨.

٦- سورة محمد الآية:١٩.

٧- سورة البقرة الآية:٢٥٥.

٨- سبق تخريجه في نفس الصفحة.

٤- رأي فتح الله كولن:

أ- الشفاعة حق لجميع المؤمنين:

يرى (كولن) أن الشفاعة حق لجميع المؤمنين بدليل قوله - ﷺ- " أُعْطِيتُ خَمْسًا لَمْ يُعْطَهُنَّ أَحَدٌ قَبْلِي: نُصِرْتُ بِالرُّعْبِ مَسِيرَةَ شَهْرٍ، وَجُعِلَتْ لِي الأَرْضُ مَسْجِدًا وَطَهُورًا، فَأَيُّمَا رَجُلٍ مِنْ أُمَّتِي أَدْرَكَتْهُ الصَّلاَةُ فَلْيُصَلِّ، وَأُحِلَّتْ لِي المَغَانِمُ وَلَمْ تَحِلَّ لِأَحَدٍ قَبْلِي، وَأُعْطِيتُ الشَّفَاعَةَ، وَكَانَ النَّبِيُّ يُبْعَثُ إِلَى قَوْمِهِ خَاصَّةً وَبُعِثْتُ إِلَى النَّاسِ عَامَّةً"[١]، فالشفاعة حق ويجوز أن يقوم كل واحد بالشفاعة بإذن الله تعالى، ولكن الشفاعة العظمى يوم القيامة من ناحية شمولها وإحاطتها، وعلاقتها بكل الناس نعمة وميزة معطاة له - ﷺ- وحده، وهي من الخصائص الأحمدية[٢].

يقول كولن: "فقد وهب كل نبي دعوة مستجابة وشفاعة، فاستعملوها في الدنيا أما رسول الله (ﷺ) فقد ادخرها للآخرة؛ لذا سيكون صاحب الشفاعة العظمى؛ إذ ستجتمع أمته من (الحمادين) تحت (لواء الحمد)؛ لكي يقوم صاحب المقام المحمود بالشفاعة التي سينال كل فرد من هذه الأمة المحمدية حصته حسب استحقاقه"[٣].

ب- أصحاب الكبائر لهم شفاعة:

يرى كولن ثبوت الشفاعة للعصاة مستدلا بأن النبي – ﷺ- قد ادخر شفاعته لأهل الكبائر من أمته وفقا للحديث الشريف "شفاعتي لأهل الكبائر من أمتي".

ج- حدود الشفاعة وشروطها:

يرى (كولن) أن الله جعل للشفاعة حدودا حتى لا تترك لعواطف الناس فيطلبون الشفاعة لمن لا يستحق .

ويرد على (الحلاج) عندما كان يشرح حديث "شفاعتي لأهل الكبائر من أمتي" فأخذته الجذبة فخرج عن حده وقال ما معناه: "يا سلطان الأنبياء لماذا وضعت مثل هذه الحدود، ولماذا لم تطلب الشفاعة للناس جميعا فلو أنك طلبت هذا من ربك لاستجاب لطلبك "، فقال كولن في الرد على الحلاج: "ولو كان واعيا آنذاك لعلم أن الرسول – ﷺ- لم يكن ليقول ذلك الكلام من نفسه ﴿ وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ ﴾[٤]...ولكن الرسول كان في غاية الأدب تجاه ربه"[٥].

يقصد أن (الحلاج) قال ذلك في حالة السكر، ولو كان في حالة اليقظة لما صدر منه ذلك؛ لأن ما يقوم به النبي وحي من عند الله لا هوى من قبل نفسه .

١- أخرجه البخاري في صحيحه كتاب التيمم ج ١ ص ٧٤، رقم ٣٣٥.

٢- ينظر: النور الخالد محمد – ﷺ- مفخرة الإنسانية ص ٢٣٨ .

٣- أسئلة العصر المحيرة ج ١ ص ٢٧٧ .

٤- سورة النجم الآية: ٣.

٥- أسئلة العصر المحيرة ج ١ ص ٢٧٨ .

فالشفاعة لها شرطان:

أولهما: إذن الله للشافع: فلا تتم إلا حسب مشيئة الله وبإذنه ؛لقوله تعالى:﴿ مَن ذَا ٱلَّذِى يَشْفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذْنِهِۦ ﴾[1] .

ثانيهما: استحقاق المشفوع له: فمن ضمن المقاييس التي وضعها الله (عز وجل) للشفاعة استحقاق الشخص لهذه الشفاعة، وإلى هذا المعنى تشير الآية الكريمة:﴿ فَمَا تَنفَعُهُمْ شَفَٰعَةُ ٱلشَّٰفِعِينَ ﴾[2].

إذن يرى (كولن) أن الشفاعة ليست دون حدود، وليست للجميع كما لا يوجد شرط قبول أحدهم دون الآخر، فالأساس هنا هي المشيئة الإلهية الموجودة في كل شأن وأمر[3].

مما سبق في (الشفاعة)يتبين الآتي:

١- يتفق (كولن) تماما مع أهل السنة في أمر الشفاعة، وفي شفاعة النبي -ﷺ- لمرتكب الكبيرة.

٢- جعل هناك شروطا أو حدودا وضعها الله للشفاعة، الأول: إذن الله للشافع والثاني: استحقاق الشخص للشفاعة، وأرى من ضم كلامه إلى بعض أن هؤلاء غير المستحقين هم الكفار، ومن على شاكلتهم؛ لأنه صرح بأن جميع المسلمين سينالون الشفاعة بمن فيهم مرتكب الكبيرة.

٣- وكلامه عن شروط الشفاعة استقاه من أدلة القرآن الكريم .

١- سورة البقرة الآية:٢٥٥.

٢- سورة المدثر الآية:٤٨ .

٣- ينظر: أسئلة العصر المحيرة ص ٢٧٨.وينظر: نحو عقيدة صحيحة ص ١٧٨.

المطلب الثالث: الجنة والنار:

اتفقت الأمة على أن هناك دارا للثواب وأخرى للعقاب، ثم اختلفوا في النعيم والعذاب في الدارين هل هو للبدن والروح أما للروح فقط؟ وهذا هو مجال البحث فيما يلي:

١- رأي أهل السنة:

اتفق أهل السنة على أن الجنة والنار مخلوقتان، فالنار: هي دار العذاب ثابتة بالكتاب والسنة، واتفاق الأمة، أوجدها الله فيما مضى، والجنة دار الثواب أوجدها الله فيما مضى[١].

واتفقوا كذلك على أن النعيم والعذاب في الدارين للروح والجسد معا[٢].

يقول الإمام الأشعري: "إن المسلمين اتفقوا على أن الجنة فيها ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر من العيش السليم، والنعيم المقيم، وليس نعيم في بالجنة أفضل من رؤية الله تعالى بالأبصار"[٣].

وهذا دليل على أن النعيم للبدن والروح، فالعيش السليم والنعيم المقيم لذة حسية للبدن و رؤية الله نعيم معنوي للروح.

ويقول أبو البركات النسفي: "وما أخبر الله تعالى من الحور، والقصور، والأنهار، والأشجار، والأطعمة، والأشربة، وعذاب أهل النار من الزقوم، والحميم، والسلاسل،

والأغلال حق، خلافا للباطنية[٤]

١- الأشعري: الإبانة في أصول الديانة ج ١ ص ٣٢، وينظر: طوالع الأنوار ص ٢٢٤ ، ينظر: الجويني: العقيدة النظامية ص ٧٩،ينظر: حاشية الباجوري على الجوهرة ص ٢٩٨ .وينظر: أبو معين النسفي: بحر الكلام ص ٣١٥.أبو البركات النسفي: شرح العمدة أو الاعتماد في الاعتقاد ص ١٥٩.

٢- ينظر: حاشية الباجوري على جوهرة التوحيد ص ٣٠٠,

٣- الإمام الأشعري: الإبانة في اصول الديانة ص ٥٤ .

٤- الباطنية: لزمهم هذا اللقب لحكمهم بأن لكل ظاهر باطنا ولكل تنزيل تأويلا وأن زعمائها يعرفون أسرار الأشياء وخواصها ولهم ألقاب كثيرة على لسان كل قوم فبالعراق يسمون: الباطنية، والقرامطة، والمزدكية، وبخراسان: التعليمية والملحدة، وهم يقولون نحن الإسماعيلية لتميزهم عن فرق الشيعة بهذا الاسم والشخص، والذين أسسوا هذه الدعوى جماعة منهم ميمون بن ديصان المعروف بالقداح ومحمد بن الحسين الملقب بذيذان في سجن العراق ثم ظهرت دعوتهم بعد خلاصهم من السجن وظهرت أولا في زمان المأمون ثم انتشرت في زمان المعتصم، والذين وضعوا أساسها من أولاد المجوس مائلين إلى دين أسلافهم ولم يجسروا على اظهاره خوفا من سيوف المسلمين فصاروا في الباطن إلى تفضيل أديان المجوس، وتأولوا القرآن والسنة لموافقة أساسهم، وزعموا أن هناك مدبرين للعالم، واحتالوا في اظهاره عبادة النيران فدعوا المسلمين إلى تجمير المساجد، ورفضوا المعجزات، وأنكروا نزول الملائكة بالوحي، وتأولوا كل ركن من أركان الشريعة تأويلا يورث تضليلا، وزعموا أن من عرف معنى العبادة سقط عنه فرضها، وأباحوا لأتباعهم نكاح البنات والأخوات وشرب الخمر واللواط، والباطنية القديمة قد خلطوا كلامهم ببعض كلام الفلاسفة وصنفوا كتبهم على هذا المنهاج، فالباري موجود ولا موجود، لا عالم ولا جاهل. وهم نفاة الصفات حقيقة. وأصحاب الدعوة الجديدة هم أتباع=

والفلاسفة "[١].

وهو إثبات للنعيم الحسي والعذاب الحسي، وهو ما ينفيه الفلاسفة، ويرون أن هذه الأمور على خلاف الظاهر.

٢- رأي الفلاسفة:

يرى الفلاسفة أن اللذة الحقيقية هي للنفس وكذا العذاب، يقول (ابن سينا): "ينبغي أن تعلم أن اللذة ليست كلها حسية، بل من اللذات ما ليست محسوسة، ولا يدانيها المحسوسة، وكذلك الآلام، بل اللذة هي إدراك الملائم والملائم هو الداخل في تكميل جوهر الشيء وتتميم فعله"[٢].

ويقول بناء على ذلك: " فالسعادة الآخروية عند تخلص النفس عن البدن، وآثار الطبيعة وتجرده كامل اللذات ناظرا نظرا عقليا إلى: ذات من له الملك العظيم، وإلى الروحانيين الذين يعبدونه، وإلى العالم الأعلى، وإلى وصول كماله إليه، واللذة الجليلة عند ذلك، والشقاوة الآخروية عند ضد ذلك"[٣].

إذن اللذة القصوى في الآخرة هي رؤية الله تعالى، والملائكة، والعالم العلوي، والشقاوة الحرمان من ذلك، وكلها لذات معنوية تحصل للنفس، وهذه لا ينفيها أهل السنة، ولكن يثبتون معها اللذات الحسية توافقا مع نصوص الكتاب والسنة.

٣- رأي كولن:

يرى (كولن) أن الجنة والنار مخلوقتان وموجودتين الآن، فيقول: "إن الجنة والنار نتيجتان مهمتان، وإن أسماء الله وصفاته يقتضيان وجودهما ضرورة"[٤].

إضافة إلى ذلك يتحدث عن أمرين من خلال النظر فيما كتبه عن الجنة والنار وهما:

أولا: تربية جهنم:

يرى (كولن) أن جهنم تربي البشر في الدنيا؛ لأن الخوف منها يحملهم على الاستقامة، وتربيهم في الآخرة فتطهر بعض الناس من الذنوب، ومن ثم يستأهل دخول الجنة.

=الحسن بن محمد الصباح استظهر بالرجال وتحصن بالقلاع ودعا الناس إلى تعيين إمام صادق في كل زمان وتمييز الفرقة الناجية ثم ادعى أن لهم إماما وليس لغيرهم إمام وحاجة الناس إلى معلم، ثم أرجع كل مقالة وكلمة إلى إثبات المعلم، وكل كلامه خلط فالتوحيد هو التوحيد والنبوة معا حتى يكون توحيدا، والنبوة هي النبوة والإمامة معا حتى تكون نبوة ، ومنع العوام من الخوض في العلوم وكذا الخواص إلا بشروط. ينظر: ينظر: البغدادي: الفرق بين الفرق ص ٢٦٥-٢٧١، والاسفراييني: التبصير في الدين ص ١٤١، الشهرستاني: الملل والنحل ص ٢٢٨-٢٣٥.

١- أبو البركات النسفي: شرح العمدة ص ٤٥٢.

٢- ابن سينا : رسالة أضحوية في أمر المعاد ص ١١٢.

٣- السابق ص ١١٩.

٤- نفخة البعث ص ١٠٦.

فيرى (كولن) أن الجنة رحمة في نظر المؤمن كما أن النار رحمة، ويستدل على هذا المعنى بقوله تعالى: ﴿ يُرْسَلُ عَلَيْكُمَا شُوَاظٌ مِّن نَّارٍ وَنُحَاسٌ فَلَا تَنتَصِرَانِ ﴿٣٥﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٣٦﴾ ﴾[1]، فأي نعم تلك التي قصدت هنا؟ يتساءل كولن ويجيب:

"أجل إذا كانت جهنم بهولها ذاك تثير الخوف في قلب الإنسان فتحركه لكي ينظم حياته وفق مرضاة الله تعالى فإنها نعمة له حقا"[2].

ويقرر (كولن) أن من لم يستقم في الدنيا، فأمامه سير آخر يبدأ من القبر تغشاه صنوف العذاب، فمن الناس من ينقضي أمرهم في القبر، ومنهم من ينجيه عذاب القبر من وطأة الحساب والميزان، ويمضي آخرون فيما هم فيه حتى المحشر، فيحاسبون فيه أولا، ثم يدخل بعضهم جهنم، فيتدارك ما فاته في الدنيا، ثم يخرجهم الله، فيدخلون الجنة، ويقال لهم(الجهنميون)، إذن فجهنم لها دور في تهذيب وإصلاح أهلها[3] .

وهذا التدرج في تصفية الإنسان من ذنوبه و أكداره عن طريق محطات العذاب من البرزخ إلى القيامة يسميه كولن (تربية جهنم)، وهذا يشير أيضا إلى اهتمامه بالجوانب التربوية في دراسته للعقيدة، فهناك من تؤثر فيه الرغبة فساق الله له أخبار الجنة ونعيمها، وهناك من لا يؤثر فيه سوى الرهبة، فيسوق الله لها أخبار النار وأهوالها، فإن لم يرعو في الدنيا مسته في الآخرة بقدر عمله وسعيه حتى يطهر.

ثانيا: الجنة والنار تؤكدان حقيقة البعث:

يؤكد (كولن) في عدة مواضع أن الجنة والنار دليلان على أن البعث روحا وجسدا يقول كولن: "إن القرآن الكريم قد بين حقيقة الجنة والنار في أكثر من مائة وعشر آيات إن بالتفصيل أو بالإجمال، وفي هذا البيان الذي يصور فيه مشاهد النار والجنة يؤكد على معية الروح والجسد أثناء البعث بعد الموت"[4].

ويقول عن تلك المشاهد:

"فمن دخل الجنة فإن البشاشة تعلو وجهه، وذلك إشارة إلى سكينة الروح واطمئنان النفس، كما أنه يلقى ما لذ وطاب من الأطعمة والأشربة حاضرا، وترافقه زوجته، وترفرف الحور العين من حوله، وهذه بطبيعة الحال نعم متصلة بجسد الإنسان، وفي المقابل فإن مشاعر الندم التي يحس بها أهل النار وآلام الحسرة التي تدمي ضمائرهم هي

١- سورة الرحمن الآية:٣٥-٣٦.

٢- نفخة البعث ص ١٠٦.

٣- ينظر: نحو عقيدة صحيحة ص ١٩١- ١٩٢.

٤- نفخة البعث ص ١٠٧.

كلها روحية لا شك في ذلك، ولكن دخولهم النار، وتبديل جلودهم المحترقة بجلود غيرها، وشهود أعضائهم على أفعالهم السيئة هذه كلها ألوان من العذاب الجسدي"[١].

وهذا دليل على أن النعيم والعذاب مادي ومعنوي وليس معنويا فقط وهو نفس رأي النورسي في الكلمات[٢]، ورأي أهل السنة جميعا[٣].

وقد صرح (كولن) بذلك كثيرا، من ذلك قوله: "والنعم الآخروية أيضا منها ما هو مادي وما هو معنوي، فبعض هذه النعم تكون على هيئة المعرفة الإلهية بحيث إننا نحس بلذتها في وجداننا ونتذوقها في ضمائرنا، في حين أن البعض الآخر منها قد أعدت بحيث تلبي رغباتنا الجسمانية"[٤].

إذن نعيم الجنة منه ما هو معنوي نحسه ونتذوقه في وجداننا، ومنه ما هو حسي يلبي رغبات أجسادنا ، والنتيجة أن النعيم والعذاب بالجسد والروح معا.

١- نفخة البعث ص ١٠٧.

٢- ينظر: الكلمة الثامنة والعشرين الكلمات ص ٥٨٥.

٣- حاشية الباجوري على جوهرة التوحيد ص ٣٠٠.

٤- خواطر من وحي سورة الفاتحة ص ٢١٨.

المطلب الرابع: الأعراف:

أولا: معنى الأعراف:

في اللغة : مفرد عرف وهو عرف الفرس[١].

والأعراف: الحاجز بين الجنة والنار، وفي القرآن الكريم:﴿ وَنَادَىٰٓ أَصۡحَٰبُ ٱلۡأَعۡرَافِ رِجَالٗا يَعۡرِفُونَهُم بِسِيمَىٰهُمۡ قَالُواْ مَآ أَغۡنَىٰ عَنكُمۡ جَمۡعُكُمۡ وَمَا كُنتُمۡ تَسۡتَكۡبِرُونَ ﴾ [٢].

و يقول كولن: "الأعراف لغة جمع عرف وهو كل عال مرتفع، وعند المفسرين[٣] سور بين الجنة والنار ...وأصل الأعراف ما بين هذا المكان وذاك من منزل وسور ويستنبط من آيات الأعراف أنها تقع بين الجنة والنار، أما ماهيتها فلا علم لأحد بها"[٤].

ثانيا: أصحاب الأعراف:

أما أصحاب الأعراف فقد ذكر (كولن) أن في المسالة أقوالا كثيرة، ولم يرد فيها نقل إلا ما ورد في القرآن في ثلاثة مشاهد، فدلت تلك المشاهد على أن بين أصحاب الأعراف وأصحاب الجنة اتصالا، وكذا بينهم وبين أصحاب النار[٥].

وذكر أقوالا عديدة في المسألة مستندا إلى أقوال الصحابة والعلماء؛ لأنه لا نص يعتمد عليه منها:

١- أن من الصحابة من يرى أن الأعراف ذروة سنام الصراط، وأن أصحاب الصراط قوم استوت حسناتهم وسيئاتهم .

ب- ويرى آخرون أنهم الأنبياء، والشهداء، والعلماء .

٣- وفي بعض الاسرائيليات قوم استوت حسناتهم وسيئاتهم، وفي بعضها أنهم ملائكة على صورة بشر.

٤- ومنهم من يرى أنه حكم عليهم بأن يقضوا أمدا في معاناة وألم حتى يغدوا بحق أهلا لدخول الجنة، فأحيانا يكون تجرع الألم تكفيرا للذنوب وتطهيرا، ومن لم يتطهر في الدنيا

---

[١]- الخليل بن أحمد العين باب (العين والراء والفاء ع ر ف، ع ف) ص ١٢١/٢.
٢- سورة الأعراف الآية:٤٨ ،المعجم الوجيز ص ٤١٥.

[٣]- قال الزمخشري: "السور المضروب بين الجنة والنار وهي أعاليه، جمع عرف استعير من عرف الفرس وعرف الديك". وقال الرازي: "أَصْحَابَ الْأَعْرَافِ هُمْ أَشْرَافُ أَهْلِ الْقِيَامَةِ فَعِنْدَ وُقُوفِ أَهْلِ الْقِيَامَةِ فِي الْمَوْقِفِ يُجْلِسُ اللَّهُ أَهْلَ الْأَعْرَافِ فِي الْأَعْرَافِ وَهِيَ الْمَوَاضِعُ الْعَالِيَةُ الشَّرِيفَةُ"، وعند أبي منصور الماتريدي: السور بين الجنة والنار . الزمخشري: الكشاف ص ١٠٧/٢. الرازي: مفاتيح الغيب ص ١٤/ ٢٥١.وينظر: أبو منصور الماتريدي: تأويلات أهل السنة باب ٤٦ ص٤٣٠/٤.
٤- نحو عقيدة صحيحة ص ١٨٧.

٥- ينظر: نحو عقيدة صحيحة ص ١٨٨.

جرى له التطهير في الآخرة كما يرى (كولن)[1].

إذن فالأعراف مرحلة تصفية وتهذيب قبل استقرار أهل الخلدين كل في دار إقامته.

تعقيب:

من خلال حديث (كولن) عن اليوم الآخر يتبين ما يلي:

٧- تبنى (كولن) في السمعيات الاعتماد على ظاهر النص بعيدا عن الجدال الدائر بين المتكلمين أنفسهم، وبينهم وبين غيرهم.

٨- استخدم (كولن) العلم الحديث في التدليل والإقناع بهذه المسائل السمعية حتى يقرب لهم المعنى، فكأنه استحضر الغائب في صورة الشاهد وهذه طريقة استخدمها المتكلمون من قبل .

٩- ساق حججا وحكما عقلية كثيرة لإثبات البعث، أظنها لإقناع المسلم في عصر انتشر فيه الإلحاد والإنكار، وأيضا لاستدعاء المعقول في صورة محسوسة حتى يصل لأفهام الماديين.

١٠- اهتم بتجليات أسماء الله الحسنى في الكون كاسم الله (الحكيم) واسم الله (الحفيظ) و(العليم) فبذا يرتبط المسلم بأسماء الله الحسنى ويعايشها.

١١- فلسفة البعث واليوم الآخر عند (كولن) تزرع في النفس الارتياح والاطمئنان، لا الخوف والفزع.

١٢- أغفل الحديث عن مراحل اليوم الآخر اللهم إلا حديثا قصيرا عن الجنة والنار والشفاعة، وأصحاب الأعراف.

١٣- اتفق مع أهل السنة في الشفاعة لأهل الكبائر، وفي خلق الجنة والنار، وفي كون النعيم والعذاب للجسد والروح.

١- ينظر نحو عقيدة صحيحة ص ١٨٩.

المبحث الخامس: الروحانيون

تمهيد:

تعريف الرُوحَانيون:

١- تعريف الرُوحَاني في اللغة:

أ- بالضم ما فيه الروح، وكذلك النسبة إلى الملك والجن، والجمع: روحانيون، أو ما خلقه الله روحا بغير جسد كالملائكة والجن[١].

ب- موصوف بعلم الروح(النفس)، طبيب روحاني، طب روحاني: نوع من علاج النفس، العلم الروحاني: علم السحر وهو من يدعي الاتصال بالأرواح.

ج- مهتم بالروح[٢].

٢- الروحانيون في الاصطلاح:

الروحانيون ثلاثة:

أخيار وهم الملائكة، وأشرار وهم الشياطين، وأخيار وأشرار وهم الجن[٣].

وقد أشار (كولن) في حديثه - وإن كان حديثا متفرقا- إلى الثلاثة، وبيان ما يتعلق بهم من ظواهر روحانية لم يطرقها المتكلمون قبله لعدم انتشارها إلا في عصرنا.

ومن ثم ستكون المناقشة في ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: الملائكة.

المطلب الثاني: الجن.

المطلب الثالث: الشياطين.

١- الخليل بن أحمد: العين باب (الحاء والراء و(واي)معهما ح ر و، ح) ص ٣/ ٢٩١. الهروي: تهذيب اللغة باب(الحاء والراء) ص ٥/ ١٤٦. زين الدين الرازي: مختار الصحاح باب(روح) ص ١/ ١٣١.

٢- د/ أحمد مختار عبد الحميد عمر : معجم اللغة العربية المعاصرة، باب(ر و ح) ج ٢ ص ٩٥٦ .

٣- جميل صليبا: المعجم الفلسفي ج ١ ص ٤١٥.

المطلب الأول: الملائكة:

أولا: تعريف الملائكة:

١- في اللغة: المَلَكُ والملائكة وأصله مألك من الأَلُوك وهي الرسالة، ثم تركت همزته؛ لكثرة الاستعمال فقيل: ملك، فلما جمعوها ردوها إليه فقالوا: ملائكة وملائك[١].

٢- في الاصطلاح:

أ- أهل السنة:

هناك اتفاق بين أهل السنة في حقيقة الملائكة، يقول الأشاعرة: "الملائكة أجسام لطيفة تظهر في صور مختلفة وتقوى على أفعال شاقة، هم عباد مكرمون يواظبون على الطاعة والعبادة لا يوصفون بالذكورة والأنوثة "[٢]وقيل:

"الملائكة أجسام لطيفة نورانية قادرة على التشكل بأشكال مختلفة، في أشكال حسنة شأنها الطاعة، ومسكنها السموات غالبا، ومنهم من يسكن الأرض يسبحون الليل والنهار لا يفترون، ولا يعصون الله ما أمرهم، ويفعلون ما يؤمرون لا يوصفون بذكورة ولا بأنوثة"[٣] . ولا فرق بين التعريفين فكلاهما ينص على حقيقة الملائكة النورانية، وقدراتها الخارقة، وخضوعها لأمر بارئها، ومواظبتها على عبادته.

وعند الماتريدية: "عباد الله تعالى العاملون بأمره لا يوصفون بذكورة ولا أنوثة"[٤].

وهو كالتعريف السابق في بيان وصفهم وخضوعهم لأمر الله، إلا أنه لم يبين ماهيتهم النورانية.

ب- تعريف الملائكة عند فتح الله كولن:

يقول كولن: "كلمة الملائكة مشتقة من كلمة (المَلْك)بمعنى القوة أم من (المَلَك) بمعنى الرسول فمن حيث الاشتقاق الأول يكون المعنى: القوي جدا، ومن حيث الاشتقاق الثاني يكون المعنى: الرسول الناقل لأوامر الله تعالى هذه الأوصاف الممتازة موجودة في عموم الملائكة المكلفين بتبليغ الوحي الإلهي خاصة وهذه المخلوقات السامية بدءا من

١- ينظر: أبو بكر بن دريد الأزدي: جمهرة اللغة باب(كلم) ص ٢/ ٩٨١. ابن منظور: لسان العرب فصل الميم، ج ١٣ ص ١٨٦ .

٢- سعد الدين التفتازاني: شرح المقاصد المجلد الثالث ص ٣١٨ .

٣- حاشية الباجوري على جوهرة التوحيد ص ٢١٧ وينظر: أيضا الإمام الشيخ عبد الله الشرقاوي: حاشية الشرقاوي على شرح العلامة الهدهدي على السنوسية ص ١٢٦، دار إحياء الكتب العربية. وينظر: الشيخ اسماعيل الكلنبوي: حاشية الكلنبوي على شرح جلال الدين الدواني الصديقي ص ٢٢٣ مطبعة عثمانية ١٣١٦هـ.

٤- سعد الدين التفتازاني: شرح العقائد النسفية ص ٩٠.

الملائكة المكلفين بمراقبة الحياة والممات، و انتهاء بحملة العرش، والموجودين في الحضرة الإلهية مكلفة وموظفة لمشاهدة ورؤية خلق الله تعالى وشؤونه الأخرى"[١].

إذن الملائكة أجسام لطيفة قادرة على التشكل، ولا تتصف بأوصاف البشر كما ذكر المتكلمون، أما تعريف كولن فيتجه إلى المعنى اللغوي فقط، ولكنه يتفق معهم في حقيقة الملائكة من النورانية و التشكل وغيرها كما سيأتي.

ثانيا: وظائف الملائكة:

نظرا لحقيقة الملائكة النورانية فهي تقوم بأعمال جمة ومتنوعة في الكون.

ومن المعلوم أن الملائكة لهم من العلوم، والأحوال، والإرادات، والأعمال ما لا يحصيه إلا ذو الجلال سبحانه وتعالى[٢].

وقد حصر (كولن) كل أعمال ووظائف الملائكة في أمور ثلاثة:

١- أنه يوكل إليها تصريف كل الأعمال، بدءا من عالم الإنسان إلى الكون بأكمله، فجميع القوانين الكونية تجري بواسطتهم.

٢- الإشراف والمراقبة على كل التغيرات والتحولات الكونية.

٣- تلقي الوحي ، والأوامر الإلهية، وتبليغها إلى الرسل والأنبياء.

فيقول كولن: "كل الأعمال بدءا من العالم الكبير (الكون) وانتهاء بالعالم الصغير(الذرة)وكل التغيرات والتركيبات والتحولات تقع بإشراف ومراقبة هذه الكائنات المتميزة السامية، كما تقوم هذه الكائنات القوية والأمينة بنقل التشريعات والأوامر الإلهية النابعة من صفة الكلام الإلهي...فلا يمكن تصور وقوع حادثة خارج مهامهم لا تنزل قطرة مطر، ولا يبرق برق من دونها، أي إن جميع القوانين الكونية والفطرية تجري بواسطتهم أي بواسطة هذه القوى المدركة والواعية كل حسب قابلياتها واستعداداتها التي وهبها لها صاحب الملك والقوة - سبحانه وتعالى- كما يتجلى بواسطتها الإلهام والوحي الإلهي المرسل لتوجيه سلوك الإنسان الذي هو من أشرف مخلوقات الله تعالى وتنظيمه وتصحيحه"[٣] .

وهذا ما يتفق عليه عموم المسلمين، فالملائكة رسل الله في تنفيذ أمره الكوني الذي يدبر به السموات والأرض، وأمره الديني الذي تنزل به على الأنبياء.

١- محمد فتح الله كولن: أسئلة العصر المحيرة ص ٤٤، والرد على شبهات العصر ص ٢٠٦.

٢- ينظر: شيخ الإسلام ابن تيمية: نقض المنطق ص ١٠١. حقق الأصل وصححه: الشيخ/ محمد عبد الرازق حمزة والشيخ سليمان بن عبد الرحمن الصنيع، صححه: محمد حامد الفقي، مكتبة السنة المحمدية.

٣- كولن: الرد على شبهات العصر ص ٢٠٧ وأسئلة العصر ص ٤٥.

ثالثا: النورانية والتمثل عند الملائكة:

يرى (كولن) أن الملائكة تختلف في الخلق عن الإنسان، فلا تحمل جسدا ماديا، ولا يجري عليها زمان، وهذا الفرق ناشئ عن الساحة الواسعة لمهماتها ووظائفها فهي تتميز بأمرين:

الأول :الماهية النورية اللطيفة:

يقول كولن: "فالطبيعة النورية تجعلها أكثر نفوذا وسيالية؛ لذا فهي تملك قابلية الانعكاس في لحظة واحدة لدى أرواح عديدة، وقابلية المشاهدة من قبل أنظار عديدة، ويملك الملك الواحد قابلية التجلي المتعدد، وهناك حديث ترويه أمنا عائشة - رضي الله عنها - عن الرسول (صلى الله عليه وسلم) من أن الملائكة خلقت من النور[١]؛ لذا فهي تملك خصائص النور ...علما بأن الملائكة التي تملك ماهية خفيفة ولطيفة تختلف اختلافا كبيرا عن الأشياء المادية مثل الشمس، فهي تملك قابلية التشكل في أشكال وصور مختلفة، كما تستطيع التمثل في الوقت نفسه في أشكال مختلفة"[٢].

وهو هنا يتفق مع تعريف المتكلمين السابق بكون الملائكة ماهية لطيفة تتشكل بأشكال مختلفة.

الثاني: التشكل والتصور ويسميه كولن(التمثل):

فقد وهب الله الملائكة قدرة عالية على التشكل والتصور بالصور المختلفة، والقرآن يحكي ظهور الملائكة لقوم (لوط) وإتيانهم (إبراهيم) و(لوط) -عليهما السلام-، وتمثلهم لمريم، وفي العصر النبوي كان (جبريل) يأتي النبي -ﷺ- في صور مختلفة[٣] .

يقول كولن: "التمثل معروف عند المتدينين منذ القديم، ولكنه أصبح الآن موضوعا شائعا ومعروفا لدى محافل الطبقة الأرستقراطية[٤] الغنية إلى درجة كبيرة بحيث أصبحت قطعيا كقطعية النتائج المأخوذة من التجارب"[٥].

---

[١]- أخرجه مسلم في صحيحه باب في أحاديث متفرقة كتاب الزهد والرقائق ج ٤ص ٢٢٩٤ رقم ٢٩٩٦.
٢- كولن: أسئلة العصر ص ٤٦.

٣- ينظر: مصطفى عاشور: عالم الملائكة أسراره وخفاياه ص ١٧ مكتبة القرآن – القاهرة .

[٤]- أرستقراطية: باليونانية تعني سلطة خواص الناس وكفكرة سياسية تعود في تكوينها إلى أفلاطون إذ يكره الحكم الديمقراطي، ويدعو في(الجمهورية)إلى طبقة أرستقراطية يسميهم الطبقة الذهبية، ولكن مفهومه مفهوم قيمي لا طبقي، وكانت تلك الطبقة أو الأشراف هي صاحبة الحل والعقد في القرون الوسطى، وتقلصت صلاحياتها مع قيام الدولة الحديثة، ولكن ظل لها بعض الامتيازات الشرفية والمنفعية، وترتكز تاريخيا على الأراضي المملوكة، وعلى مبدأ الوراثة، وقد ترتكز على الثروة والأرض أو على الدين، وهي عدو المبدأ الديمقراطي. ينظر: د/ عبد الوهاب الكيالي: موسوعة السياسة ج ١ ص ١٤٧- ١٤٨ ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر – دار الهدى- بيروت .
٥- كولن: أسئلة العصر المحيرة ص ٤٦.

أما عن التمثل قديما:

فيقول (كولن): "إن تمثل الملائكة والأرواح كان معروفا منذ القديم، وقام كثير من أرباب القلوب، وعلى رأسهم الأنبياء بشرح مشاهداتهم في هذا الخصوص".[١]

وقد ضرب (كولن) عدة أمثلة على ذلك منها:

١- كان جبريل -عليه السلام- يظهر في صور مختلفة، وذلك حسب المناسبة التي يظهر فيها فقد تمثل في صورة الصحابي(دحية الكلبي)[٢].

٢- وتمثل ملك آخر في صورة (مصعب بن عمير) في غزوة أحد دفاعا عن النبي (ﷺ) بعد مقتل مصعب[٣] .

٣- تمثلت ملائكة أخرى في صورة (الزبير بن العوام) في غزوة بدر وشدوا من عزيمة المؤمنين[٤] .

٤- التمثل كان معروفا في حياة الأولياء :

يقول كولن: "هناك أمثلة لا تعد ولا تحصى حول اتصال بعض أرباب القلوب وأولياء الله مع أرباب العالم الآخر، أما هذا الاتصال بوساطة الرؤى فهو شيء لا يمكن إنكاره، فهو شائع حتى عند عامة الناس، فيكاد كل إنسان يملك شواهد من قيام أحد الأرواح التي يعرفها بإرشاده وإنارة الطريق أمامه عند ظهوره في رؤياه، وهناك بعض من يدعي أن الرؤى ليست إلا فعالية اللاشعور".[٥]

علما بأن (كولن) يؤكد دائما أن الرؤى وغيرها من وسائل الاتصال بعالم الملكوت- كالاتصال بالجن- ليست مصدرا للأحكام الشرعية فساحة التكليف هي اليقظة - فالنوم والإغماء ونحوها عوارض يرتفع بها التكليف- فلا تقبل دليلا، أو حجة ملزمة والمقبول منها ما وافق الشرع، وما الرؤى إلا رسائل خاصة للرائي مبشرات أو منذرات.

١- أسئلة العصر المحيرة ص ٤٦.

٢- حديث جبريل أخبرني ما الإسلام وفي نهايته: "وإنه لجبريل نزل في صورة دحية الكلبي"، والحديث قال الألباني: صحيح، أخرجه أحمد بن شعيب النسائي في السنن الصغرى أو المجتبى من السنن، باب صفة الإيمان والإسلام، كتاب الإيمان وشرائعه ج ٨ ص ١٠١ رقم ٤٩٩١، تحقيق: عبد الفتاح أبو غدة، مكتب المطبوعات الإسلامية- حلب ط الثانية ١٤٠٦هـ- ١٩٨٦م.

٣- قال الواقدي: حَدَّثَنِي الزَّبَيْرُ بْنُ سَعْدٍ، عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ الْفَضْلِ، قَالَ: أَعْطَى رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مُصْعَبَ بْنَ عُمَيْرٍ اللِّوَاءَ، فَقُتِلَ مُصْعَبٌ فَأَخَذَهُ مَلَكٌ فِي صُورَةِ مُصْعَبٍ. فَجَعَلَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ لِمُصْعَبٍ فِي آخِرِ النَّهَارِ: تَقَدَّمْ يَا مُصْعَبُ، فَالْتَفَتَ إِلَيْهِ الْمَلَكُ فَقَالَ: لَسْت بِمُصْعَبٍ فَعَرَفَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ مَلَكٌ أُيِّدَ بِه". الواقدي: المغازي، غزوة أحد ، ص ٢٣٤/١

٤- ينظر: كولن: أسئلة العصر المحيرة ص ٤٧.

٥- أسئلة العصر المحيرة ص ٤٧.

ويرى أن البشارات عن طريق الرؤي من باب الأفضال والألطاف لا غير، فلو تمثل الرسول وسائر الأنبياء والأولياء في المنام، فينبغي على الرائي اتباع الضوابط الشرعية وعدم العمل بسواها .

وذكر (كولن) بأن علة النهي عن السير في طريق الرؤى، والاتصال بالجن والشياطين؛ أن ذلك يجر المسلم إلى الضلال والخسران، كما حدث لأناس كثيرين مشوا في طريق الرياضات الروحية كالبراهمة والبوذية[١] فتنكبوا الصراط المستقيم كما حدث مع (غلام أحمد) [٢] الذي انتهى به الحال إلى ادعاء المهدوية والنبوة. ويخلص إلى أن:

"استخدام الجن والشياطين انحراف عن الصراط المستقيم ...إن إتباع الكتاب والسنة هو الواجب، ولو رقيتم إلى السماوات مثلا، والتقيتم بسيدنا رسول الله- ﷺ- فوق الزمان والمكان، وحظيتم برؤية تجليات الحق تعالى عيانا، فلا يعادل شيء من هذا تطبيق السنة السنية"[٣] .

إذن الأصل عندنا في التكليف الكتاب والسنة، فتجاوز الكتاب والسنة اعتمادا على مثل هذه الأمور هو من تلبيس إبليس، فالله لا يعبد إلا بما هو واجب أو مستحب كما قال (ابن تيمية)[٤].

١- البوذية: تنسب إلى سوهارتا جوتاما الملقب ببوذا(٥٦٠-٤٨٠ ق م) عاش في بدايته حياة الترف وحياة القصور، ثم ترك كل ذلك، ودرس الفلسفة، ثم لجأ إلى العزلة والتقشف ورياضة النفس، وهي فلسفة وضعية انتحلت الصبغة الدينية، وقد ظهرت في الهند بعد الديانة البرهمية الهندوسية في القرن الخامس قبل الميلاد. وكانت في البداية تناهض الهندوسية وتتجه إلى العناية بالإنسان، كما أن فيها دعوة إلى التصوف والخشونة ونبذ الترف والمناداة بالمحبة والتسامح وفعل الخير. وبعد موت مؤسسها تحولت إلى معتقدات باطلة، ذات طابع وثني ولقد غالى أتباعها في مؤسسها حتى ألَّهوه. وتقوم البوذية على فكرة أن بؤس الإنسانية إنما هو في الوجود والوجود ينبثق عن الجهل المسبب من الأهواء والرغبات، فيجب البعد عنها، وعن جميع الممنوعات من السرقة، والقتل، والكذب، وممارسة الفضائل كالصبر ومحبة الآخرين، ومذهبه استقاه من البرهمانية، وتؤكد البوذية كذلك أزلية المادة، وعدم فنائها، وتقول بالتناسخ، وأن جهنم ليست أبدية، وبإمكان النفس التحرر منها بعد قضاء مدتها، ومسيرة الخاطيء هي ولادة جديدة في طبيعة إنسانية متدنية ، والفاضل له ولادة جديدة أيضا ينعم بحياة قرب الآلهة، وأطلقوا على تحرر النفس وخلاصها(النرفانا). وقد انتشرت البوذية بين الشعوب الأسيوية وبلغ عدد معتنقيها ٦٠٠ مليون نسمة ولهم معبد كبير في نيبال. ينظر: روني إيلي ألفا: موسوعة أعلام الفلسفة العرب والأجانب ج ١ ص ٢٥٣-٢٥٥.الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة ص ٢/ ٧٥٨.

٢- غلام أحمد القادِياني(١٢٥٥- ١٣٢٦ هـ = ١٨٣٩ - ١٩٠٨ م): أحمد بن مرتضى بن محمد القادياني، ويسمى مرزا غلام أحمد بن غلام مرتضى ابن عطاء حمد، ويلقب بالمسيح الثاني: زعيم القاديانية ومؤسس نحلتهم. هندي له كتابات عربية. نسبته الى (قاديان) من قرى (بنجاب) ولد ودفن فيها. قرأ شيئا من الأدب العربيّ، واشتغل بعلم الكلام. خدم الحكومة الانكليزية (أيام احتلالها للهند) مدة عمل بها كاتبا في المحكمة الابتدائية بمدينة سيالكوت. لما تم القرن الثالث عشر (الهجريّ) نعت نفسه بمجدّد المئة. ثم أعلن أنه (المهدي) وزاد فادعى أن الله أوحى اليه، وآمن به جمهور من الهنود، على أنه (نبي) تابع للشريعة الإسلامية، وأنه (أحمد) المعنيّ بآية (ومبشرا برسول يأتي من بعدي اسمه أحمد)، ووضع كتبا بالعربية والأردية. منها، مما تغلب عليه العربية، (حمامة البشرى الى أهل مكة وصلحاء أمّ القرى) و (ترياق القلوب) و (حقيقة الوحي) و (مواهب الرحمن).ينظر: الزركلي: الأعلام ص ٢٥٦/١.

٣- كولن: الموشور ص ١٤٥.

٤- ينظر: شيخ الإسلام أحمد بن عبد الحليم بن تيمية: الجن ص ٥٨ مكتبة الإيمان.

أما عن التمثل حديثا :

ذكر (كولن) توارد وجود هذه الظاهرة فلا يمر يوم إلا وتنشر الجرائد والمجلات عن ظاهرة من هذه الظواهر الروحية الغريبة فيما يدعى في علم تحضير الأرواح[١] ب(الجسم السيال) أو (مثيل الإنسان) فترد الأخبار عن مشاهدة إنسان في مكان بعيد عن مكان وجوده، وإظهار هذ ا الجسم المثيل قدرات عجيبة وقابليات فائقة[٢].

لم يعلق كولن على هذه المسألة لا من جهة العقيدة أو جهة الشريعة، وحمل كلامه القبول بها إذ يقول:" ومهما كان أصل المسألة، فإن للموجودات اللطيفة كالأرواح قابلية سيالية وقدرات أكبر من الأجسام المادية، وحرية حركة وتنقل أوسع من الإنسان العادي، وهذه السيالية، والجوالية التي تتجاوز المادة تشير إلى كون نشاط وفعالية الجسم المثيل أكبر من الإنسان العادي كما أن الملائكة تملك قابلية أكبر من قابلية الروح في هذا المجال، وهذا يشير إلى كونها فوق القوانين الطبيعية السارية في عالمنا"[٣] .

ويقول أيضا: "وفي أيامنا الحالية انتشر تحضير الأرواح والوسطاء، ومحاولة تأسيس علاقة مع الكائنات غير المرئية، وانتشر التنويم المغناطيسي[٤]، وعلم الروحانيات (spiritualism)[٥]، وغيرها من الفعاليات التي تتجاوز القوانين الفيزيائية والتي تشير إلى وجود قوانين أخرى لها خاصية الشعور، وهذه الأمور أصبحت شائعة إلى درجة اكتسابها قناعة قطعية؛ لذا فإن الملائكة التي تشبه هذه الموجودات تستطيع القيام بوظائف أضعاف هذه الموجودات"[٦].

إذن لا ينكر (كولن) هذه الظواهر النفسية باعتبارها علما يخضع للبحث والملاحظة، ولتكرار وقوعها .

ويحاول هنا أن يشرح حقيقة الملائكة النورانية، وقدرتها على التشكل بأشكال مختلفة بما هو شائع حديثا في علم تحضير الأرواح من تشكل روح ما، وقيامه بأمور غريبة، وغير

١- تحضير الأرواح: "يدعي أرباب هذه النزعة أن أرواح الموتى تعايشنا في هذا العالم، وتحيط بنا من كل جانب، ويمكن الاستفادة منها في كشف أسرار العلم ونواميس الطبيعة، والاستعانة بها في قضاء المصالح وشفاء المرضى". د محمد سيد أحمد المسير: الروح في دراسات المتكلمين والفلاسفة ص ١١٦.

٢- كولن: أسئلة العصر ص ٤٦.

٣- كولن: أسئلة العصر المحيرة ص ٤٦.

٤- التنويم عند الأطباء هو النعاس وهو حالة تقارب النوم تحدث تلقائيا أو اصطناعيا بتأثير المنوم وله عدة خصائص منها: ازدياد الحركات اللاإرادية، وازدياد قابلية الايحاء، وطريان الخلل على الذاكرة والشخصية والإدراك، وخضوع شخصية النائم لإرادة المنوم، ويطلق مصطلح التنويم المغناطيسي على الظواهر المتعلقة بالتنويم، أو على الطرق العملية المستعملة في إحداثه، أو على التطبيقات العلاجية الناتجة منه. ينظر جميل صليبا: المعجم الفلسفي ج ١ ص ٣٥٥، دار الكتاب اللبناني - مكتبة المدرسة- بيروت- لبنان ١٩٨٢م.

٥- علم الكائنات الروحية: علم نظري يبحث في طبيعة الكائنات الروحية إنسانية كانت أو غير إنسانية، وبعضه قصر البحث في أرواح غير الروح الإنسانية كأرواح الملائكة، والجن، وغيرهما. ينظر: جميل صليبا: المعجم الفلسفي ج ١ ص ٦٢٨ .

٦- كولن: أسئلة العصر المحيرة ص ٤٩.

ذلك من الظواهر النفسية، فإن الملائكة تستطيع القيام بأعمال أكبر بكثير من تلك الأرواح بقدراتها الخارقة الممنوحة لها من قبل الله تعالى، وليس أدل على ذلك من قيام ملك الموت بقبض أرواح كثير من البشر في اللحظة نفسها في أماكن متعددة.

فيشرح قدرات الملائكة الخارقة بالتمثيل بملك واحد منهم هو ملك الموت وكيفية قبضه أرواح العديدين الذين يموتون في لحظة واحدة، فيقرر (كولن) عدة حقائق تتصل بالملائكة منها:

١- أن الملائكة تستطيع التمثل في كل شيء يكون مرآة لها، ولا يضير الملك أنه فرد واحد؛ لأنه يستطيع أن ينعكس من مكانه كشعاع فيصل إلى أي مكان يريده، ولا يعوقه لا البعد، ولا المسافة، ولا كثرة الذين يجب الوصول إليهم كالشمس مع كونها واحدة تستطيع الوصول بأشعتها إلى كل مكان، كذلك تستطيع الملائكة، وهي مخلوقات نورانية الظهور في كل مكان، وتقوم بمهامها من نفخ للحياة أو قبض للأرواح.

٢- إن الله هو الذي يقبض في الحقيقة، وليس ملك الموت سوى مراقب وستار، و صاحب القدرة اللانهائية لا يعجزه شيء.

٣- ثم يسوق صورة تقريبية مفادها: أن من يتأمل الآلاف من أجهزة المذياع وأجهزة الاستقبال التي تعمل على تردد معين، حين نقوم بالضغط على زر لمرسل يعمل على هذا التردد تسمع الإشارات في جميع هذه الراديوات في اللحظة نفسها .كذلك فإن المخلوقات بكل عجزها وفقرها متوجهة نحو صاحب القدرة، وعندما يحين الوقت الموعود في خلقها وإيجادها، أو قبض روحها تشعر في روحها بالإشارة المعينة، فإذا كان الإنسان العاجز يستطيع بالضغط على زر واحد التأثير في أجهزة متعددة بعيدة عنه فكيف يعجز صاحب القدرة عن التأثير في أرواحنا متى شاء ؟[١] .

يقول كولن: "ففي هذه العملية يكون الحي الذي حان أجله في حالة استعداد، وتلاؤم، وعلى نفس التردد مع هؤلاء الملائكة، ثم إن المكلفين بهذه المهمة ليسوا واحدا، بل كثيرين إلى درجة يصعب عدها، وإذا أخذنا بنظر الاعتبار أن من الممكن إرسال ملك واحد لقبض روح أي محتضر تبين لنا عدم وجود مشكلة في الأمر"[٢] .

وهو هنا متفق مع أهل السنة في القول بأن عدد الملائكة الموكلة بقبض الروح تكون بعدد من يموت من البشر.

ومسألة قياس الغائب على الشاهد[٣] مأخوذ بها في علم الكلام، أما مسألة الظواهر

١- ينظر: كولن: أسئلة العصر ص ٤٨.

٢- كولن: أسئلة العصر ص ٤٩.

٣- يقول الإمام الغزالي: "التمثيل: وهو الذي تسميه الفقهاء قياسا ويسميه المتكلمون رد الغائب إلى الشاهد ومعناه: أن يوجد حكم في جزئي معين واحد فينقل حكمه إلى جزئي آخر يشابهه بوجه ما" .وهو بالأصل مفهوم أصولي فقهي ولكنه انتقل إلى علم الكلام ليكون طريقا لإثبات الأحكام الاعتقادية بناء على وجود نظائر لها في الواقع المشاهد وهذا معنى قياس الغائب على الشاهد . الإمام أبو حامد الغزالي: معيار العلم ص ١٦٥ تحقيق:=

الروحية كتحضير الأرواح وغيرها، فلم يطرقها المتكلمون قديما[1] إذ لم يكن الحديث شائعا عنها كما هو الحال الآن.

ورغم أن (كولن) استخدم هذه المسألة في إيضاح فكرته، وقرر ما للجسم المثيل من قدرات إلا أنه في مقام لاحق ذكر أن الذي يحضر في جلسات تحضير الأرواح إنما هو الجن أو الشيطان، وليس الروح ؛ إضلالا للبشر.

ويبدو أنه يحذر من الوقوع تحت خداع الدجالين الذين يدعون العلم وهم كثر في زماننا، فهو إذن معتقد بها كعلم خاضع للبحث، - وكظواهر كثيرة المشاهدة لا يمكن القطع باستحالتها-، و غير موافق، بل ومحذر من الدجل والخداع من خلالها.

=دكتور/ سليمان دنيا، دار المعارف- مصر ١٩٦١م.وينظر: د/ حسن الشافعي: المدخل لدراسة علم الكلام ص ١٦٣. كراتشي- باكستان.

[1]- أما الإشارة إلى حقيقة الروح وطبيعتها اللطيفة وقدرتها على التجول في العوالم وخرق العوايد فقد أشار إلى ذلك المتكلمون ومنهم جلال الدين الدواني في رسالته حقيقة الإنسان وكان مما قال: "إن الله لما جعل الإنسان مركبا من جسم كثيف وهو الجسد، وجسم لطيف وهو السائر في حالة النوم، ومن روح هو الرابطة بينهما جعل الكثيف مربوطا بعادات بحيث لا يقطع المسافة إلا بالخطى ولا يستعلي إلا بالصعود ...وجعل الجسم اللطيف مربوطا بخرق العوائد بحيث لا يستحيل عليه شيء، فتراه إذا فارق الكثيف في حالة النوم يطير في الهواء، ويمشي على الماء، ويجتمع بالأنبياء". العلامة جلال الدين محمد بن سعد الدين الصديقي الدواني: حقيقة الإنسان والروح الجوال في العوالم ص ١٥ تعليق: الشيخ محمد زاهد الكوثري، المكتبة الأزهرية للتراث- القاهرة ٢٠٠٦م.

المطلب الثاني: الجن:

أولا: تعريف الجن:

الجن في اللغة: الجن ولد الجان خلق من نار ثم خلق منه نسله، ضد الإنس، نوع من العالم سموا بذلك؛ لاجتنانهم عن الأبصار؛ لأنهم استجنوا عن الناس فلا يرون والجمع جنان وجِنة[١] .

اصطلاحا:

تعريف الجرجاني: الجن والشياطين من الجواهر الغائبة عن حواسنا وهي أجسام تتشكل بأي شكل وتقدر أن تتولج في بواطن الحيوانات وتنفذ في منافذها الضيقة نفوذ الهواء المستنشق[٢].

تعريف التفتازاني: الجن لطيفة هوائية تتشكل بأشكال مختلفة وتظهر منها أفعال عجيبة منهم المؤمن والكافر والمطيع والعاصي[٣].

تعريف فتح الله كولن:

" أجسام لطيفة مخلوقة من مارج من نار أي من عالم المادة، إلا أنهم مثلنا ذوو شعور وأرواح تسيطر على المادة، فلم يصنفوا في الجمادات والكائنات الأخرى؛ لأنهم ذوو شعور وإدراك، فهم مكلفون مثلنا بالإيمان بالله والعبادات دون أدنى فرق"[٤] .

وهذا ما عليه أهل السنة فهم مكلفون يثاب المسلم منهم ويعاقب المسيء كالإنس تماما، واتفقوا على أن الكافر منهم يعذب بالنار اتفاقا؛ لقوله: ﴿ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ ٱلْجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ أَجْمَعِينَ ﴾[٥]أما إثابتهم بالجنة فقد توقف فيها بعضهم؛ لأن القرآن لم يبين ثوابهم[٦].

ثانيا: وجود الجن:

على الرغم من أن الجن لا تدرك بالحواس، ولكن علمنا بضرورة العقل إمكان كونهم؛ لأن قدرة الله لا نهاية لها، وكذا أخبرت الرسل بوجودهم؛ لذا وجب ضرورة العلم بخلقهم ووجودهم، وقد جاء النص بذلك، وبأنهم أمة عاقلة، مميزة، متعبدة، متوعدة،

١- الخليل بن أحمد: العين باب الجيم مع النون (ج ن، ن ج) ص ٢٠/٦. أبو منصور الهروي: تهذيب اللغة باب (الجيم والنون) ص ١٠/ ٢٦٥. زين الدين أبو عبد الله محمد بن أبي بكر الرازي: مختار الصحاح باب (ج ن ن) ص ١/ ٦٢.

٢- الجرجاني: شرح المواقف المجلد الرابع ص ٢٦٦ .

٣- التفتازاني: شرح المقاصد المجلد الثاني ص ٥٠٠ .

٤- كولن: نحو عقيدة صحيحة ص ١٤٣.

٥- سورة هود الآية: ١١٩.

٦- ينظر: أبو البركات النسفي: شرح العمدة ص ٤٥٢.

متناسلة، يموتون، وهم يروننا ولا نراهم كما قال تعالى: ﴿ يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ لَا يَفۡتِنَنَّكُمُ ٱلشَّيۡطَٰنُ كَمَآ أَخۡرَجَ أَبَوَيۡكُم مِّنَ ٱلۡجَنَّةِ يَنزِعُ عَنۡهُمَا لِبَاسَهُمَا لِيُرِيَهُمَا سَوۡءَٰتِهِمَآۗ إِنَّهُۥ يَرَىٰكُمۡ هُوَ وَقَبِيلُهُۥ مِنۡ حَيۡثُ لَا تَرَوۡنَهُمۡۗ إِنَّا جَعَلۡنَا ٱلشَّيَٰطِينَ أَوۡلِيَآءَ لِلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ ﴾ [1]، وأجمع المسلمون، وكذا النصارى، واليهود- عدا السامرة- [2]، والمجوس، والصابئة على ذلك، فمن أنكر الجن أو تأول تأويلا يخرجهم عن هذا فهو كافر كما يقول (ابن حزم)[3].

يقول كولن: "الجن كالروح قانون ذو شعور يشبه القوانين الكونية مثل قانون الجاذبية ...والفرق أن قانون الجاذبية بلا عقل، ولا إرادة، ولا شعور، أما الجن والروح، والملائكة، فلهم عقل، وإدراك، وشعور، ولهم وجود خارجي حقيقي لا نسبي ولا اعتباري"[4].

ويقصد أن الجن مخلوق موجود وثابت كسائر القوانين الموجودة في الكون التي يعترف بها كافة الناس، ولكن القوانين الكونية بلا شعور، والجن يملك الشعور والإرادة، فإذا كنا نسلم بوجود تلك القوانين الجامدة فمن باب أولى يجب الإيمان بوجود هذه الموجودات الشاعرة.

ويؤكد (كولن) وجودهم ويستدل على ذلك بأدلة متنوعة، منها :

١- شهادة القرآن الكريم:

يقول كولن: "والحق أن القول الفصل في هذه المسألة للقرآن الكريم لا تكاد الآيات تذكر خلق الإنسان إلا وتتبعه بذكر خلق الجن قال تعالى: ﴿ وَلَقَدۡ خَلَقۡنَا ٱلۡإِنسَٰنَ مِن صَلۡصَٰلٖ مِّنۡ حَمَإٖ مَّسۡنُونٖ ﴿٢٦﴾ وَٱلۡجَآنَّ خَلَقۡنَٰهُ مِن قَبۡلُ مِن نَّارِ ٱلسَّمُومِ ﴿٢٧﴾ ﴾ [5] وقال تعالى:﴿ خَلَقَ ٱلۡإِنسَٰنَ مِن صَلۡصَٰلٖ كَٱلۡفَخَّارِ ﴿١٤﴾ وَخَلَقَ ٱلۡجَآنَّ مِن مَّارِجٖ مِّن نَّارٖ ﴿١٥﴾ ﴾ [6].

٢- رؤية الأنبياء والأصفياء لهم:

١- الأعراف الآية:٢٧.

٢- السامرة: من فرق اليهود وهم قوم يسكنون جبال بيت المقدس، وقرايا من أعمال مصر، ويتقشفون في الطهارة أكثر من سائر اليهود. أثبتوا نبوة موسى، وهارون، ويوشع، وأنكروا نبوة من بعدهم من الأنبياء، وافترقوا إلى أربعة فرق، وكلهم أجمعوا على أن التوراة بشرت بواحد بعد موسى، وافترقوا في تعيين ذلك الواحد. ينظر: الشهرستاني: الملل والنحل ص ٢٦٠- ٢٦٢ .

٣- ينظر: ابن حزم: الفصل في الملل والأهواء والنحل ج ٣ ص ١٨١.

٤- كولن: نحو عقيدة صحيحة ص ١٤٠-١٤١.

٥- سورة الحجر الآية: ٢٦-٢٧.

٦- سورة الرحمن الآية:١٤-١٥ ينظر: كولن: نحو عقيدة صحيحة ص ١٤٣.

فلقد شاهدهم الأنبياء، وقابلهم الأصفياء، والتقى بهم كثير من أهل الكشف، والتحقيق، فإنكار قلة من الماديين مكابرة وعناد[١].

٣- شهادة الواقع بوجود أشياء دون رؤيتها:

لاسيما أننا في عصر نسلم فيه بوجود أشياء كثيرة لا نراها، وفي وقت غدت فيه مسألة الجن مثار اهتمام الملايين في أنحاء العالم، ومما يؤيد ذلك أننا لا نرى إلا ٤-٥ بالمليون مما يعرض على أنظارنا في عالم الشهادة، يعني أن أمامنا مليون مخلوق من أنواع شتى، ولا نستطيع أن نرى منها إلا أربعا، أو خمسا، ولا نستطيع أن نرى غيرها[٢].

٤- شهادة العقل والعلم:

هناك آلاف القوانين السارية في الكون تشبه الجن في سريانه، وهذا يدل على أن وجود الجن ممكن عقلا، فكما يقر المنكرون بوجود التيار الإلكتروني عليهم أن يقروا بوجود الجن، ولكن الجن لا يمكن أن يعرف بالتيار الإلكتروني يقول تعالى: ﴿ وَخَلَقَ ٱلْجَآنَّ مِن مَّارِجٍ مِّن نَّارٍ ﴾[٣].

يقول كولن: "قد يعرف بعض الناس الجن بالفوتونات[٤] والجسيمات[٥]، والحق أن الجن أجسام لطيفة خلقت من مارج من نار لا من فوتونات أو جسيمات مكلفة كالإنسان فلا موجب للقول بعدمها، ودعوى العدم مكابرة وخلاف المنطق"[٦].

ثالثا: التصور والتشكل(التمثل) :

الجن يتصورون في صور مختلفة فيظهرون في صورة الإنس والبهائم، وفي صور الحيات والعقارب وغيرها[٧] .

١- يقر أهل السنة بإمكان رؤية الجن؛ لأنه ممكن أن يكتسبوا صورة أجسام كثيفة فتراهم الأبصار، ثم أن ذلك ممكن في قدرة الله، لما تواتر عن رؤية بعض الأنبياء والأولياء لهم ومكالمتهم . ينظر: التفتازاني: شرح المقاصد المجلد الثاني ص ٥٠٢.

٢- كولن: نحو عقيدة صحيحة ص ١٣٩- ١٤٠.

٣- سورة الرحمن الآية:١٥، ينظر: نحو عقيدة صحيحة ص ١٤٢.

٤- الفوتون: عبارة عن شحنات، أو حزم، أو حبيبات، أو ذرات من الطاقة. ينظر: الدكتور مصطفى محمود: اينشتين والنسبية ص ٢٩.

٥- الجسيم: جزء صغير جدا من المادة لا يرى إلا بالمجهر، وكان من قبل يطلق على الذرة "جسيمات ألفا ،بيتا ،جاما". د أحمد مختار عبد الحميد عمر: معجم اللغة العربية المعاصرة باب ج فصل ١١٧٦ ج س م . ج ١ ص ٣٣٥ .

٦- نحو عقيدة صحيحة ص .١٤٣

٧- ابن تيمية: الجن ص ٥٢ .

يقول كولن "الجن المخلوق من مارج من نار، يتمثل في صور شتى، فكما يتمثل لبعض الناس في عالم المعنى في الرؤيا قد يتمثل لهم خارجها، ويشاركهم العالم الذي يعيشونه "[١].

فالجن كما يقول (كولن) يظهر للناس رأي العين لكن لا يرونه بهويته الحقيقية، وما يرونه هو انعكاس لمرايا أرواحهم، وهذا الانعكاس يأتي على حسب استعداد المستقبِل، وهذا يفسر لنا - كما يقول (كولن)- لما كانت رؤية سيدنا (عمر بن الخطاب) مختلفة عن غيره من الصحابة، فسيدنا (ابن مسعود) رآهم في صورة ظل، ورآهم سيدنا (عمر) على صورة إنسان ضعيف نحيل، وكذا (أبو ذر) و(أبو هريرة)- رضي الله عنهم-[٢].

رابعا: الاتصال بالجن:

يرى (كولن) أن مسألة مس الجن، وحضورهم، وتحضيرهم، وإمكان رؤيتهم انتشرت في هذا العصر، وأصبحت من الأمور المسلم بها، وسرد في ذلك عدة وقائع حدثت معه أو أخبره بها بعض الثقات.

١- مسألة تسخير الجن في المستقبل:

يرى (كولن) أن الاتصال بالجن في آخر الزمان سيكون على مستوى أعلى، وقد تمكن التطورات العلمية من تلقي الأخبار عن طريقهم في أمور الشهادة - ؛ لأن الجن لا يعلمون الغيب- وإجراء اتصالات استخباراتية من خلالهم[٣].

وأما مسألة علم الغيب فالجن كالإنس لا تعلم الغيب بدليل عدم علمهم بموت (سليمان)- عليه السلام-: ﴿ فَلَمَّا قَضَيْنَا عَلَيْهِ ٱلْمَوْتَ مَا دَلَّهُمْ عَلَىٰ مَوْتِهِۦٓ إِلَّا دَآبَّةُ ٱلْأَرْضِ تَأْكُلُ مِنسَأَتَهُۥ ۖ فَلَمَّا خَرَّ تَبَيَّنَتِ ٱلْجِنُّ أَن لَّوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ ٱلْغَيْبَ مَا لَبِثُوا۟ فِى ٱلْعَذَابِ ٱلْمُهِينِ ﴾[٤]، يقول الرازي: " كانت كانت الجن تعلم ما لا يعلمه الإنسان، فظن أن ذلك القدر علم الغيب وليس كذلك، بل الإنسان لم يؤت من العلم إلا قليلا، فهو أكثر الأشياء الحاضرة لا يعلمه، والجن لم تعلم إلا الأشياء الظاهرة، وإن كانت خفية عن الإنسان، وتبين لهم الأمر بأنهم لا يعلمون الغيب؛ إذ لو كانوا يعلمونه لما بقوا في الأعمال الشاقة ظانين أن سليمان حي"[٥] .

ويرى (كولن) أيضا - من خلال نصه السابق- أنهم لا يعلمون الغيب، ولكن يرى أنه من الممكن تسخيرهم في المستقبل للحصول على معلومات من عالم الشهادة.

١- كولن: نحو عقيدة صحيحة ص ١٤٤.

٢- السابق.

٣- السابق ص ١٤٤- ١٤٧.

٤- سورة سبأ الآية: ١٤.

٥- فخر الدين الرازي: تفسير الفخر الرازي المشتهر بالتفسير الكبير ومفاتيح الغيب ج ٢٥ ص ٢٥١ .

٢- تحضير الأرواح :

انتشر علم الروحانيات في عصرنا، ومسألة تحضير الأرواح، وانقسمت الآراء بشأنها ما بين مؤيد ومعارض على النحو التالي:

أ- رأي المؤيدين:

الأمر بقبول هذه الظواهر اكتسب قناعة لدى بعض العلماء النفسيين، والمفكرين، ورجال الدين بسبب تكرار المشاهدة والوقوع، وخاصة أنها أصبحت من العلوم التي تخضع للملاحظة والبحث في هذ العصر كما يذكرون ومنهم:

- عباس محمود العقاد: يرى عدم التسرع بإنكار هذه الظواهر النفسية طالما دخلت في نطاق البحث العلمي فيقول (العقاد) بعد حديثه عن بعض الملكات النفسية التي تتجاوز الحواس كالشعور على البعد والتنويم المغناطيسي : " ومما لا نزاع فيه أن حق الفكر الإنساني في قبول هذه الظواهر أرجح جدا من حقه في إنكارها، والبت باستحالتها كأنها شيء لا يتأتى وقوعه بحال من الأحوال، فلا استحالة في ظاهرة من هذه الظواهر غير مستثنى منها النادر المستغرب بالغا ما بلغ من الندرة والغرابة في جميع الأزمان، فالاطلاع على المستقبل غريب لم تثبته تجربة علمية قابلة للتكرار، ولكننا لا نستطيع أن نجزم باستحالته إلا إذا استطعنا أن نجزم بحقيقة الزمن، وحقيقة المستقبل ثم جزمنا أن هذه الحقيقة تناقض العلم بشيء قبل أن يأتي أوانه، ويجري في مجراه"[١].

ويرى (العقاد) أن هذه الظواهر ليست جديدة في تاريخ الإنسان، ولكن الجديد في زماننا أنها دخلت في متناول البحوث العلمية، أما في الأزمنة الماضية، فكان الناس يصدقونها أو يكذبونها دون دليل أو بحث؛ ومن ثم يقول: "ولا يشعر العالم اليوم أنه يعطي العلم حقه من الوقار حين يبتدئ بالإنكار في هذا المجال أو يرجح بغير دليل قاطع يقاوم أدلة التصديق فمن لم يقبلها من العلماء لم يأنف من اعتبارها صالحة للقبول مع توافر الأدلة، وتمحيص التجربة من الوهم وخطأ الملاحظة"[٢].

إضافة إلى ذلك أن هذه الظواهر سواء دخلت في مقررات العلم أم لم تدخل لن تكون وحدها هي عماد الإيمان والتصديق بالغيوب "فإن الإنسان لا يؤمن على قدر علمه وإنما يؤمن على قدر شعوره بما يعتقد، ومجاوبته النفسية لموضوع الاعتقاد"[٣].

- الشيخ (محمد حسنين مخلوف): يرى الشيخ أنه وإن اختلف في مستقر الروح بعد الموت ولكن من المؤكد أن لها جولان في ملك الله حيث شاء الله، فتظهر بعض الأرواح ويراها الأحياء وتتلاقى أرواح الموتى وتتزاور[٤]؛ ولذا يؤيد ما يقوم به بعد المجربين فيقول: "وهناك أدلة ترجح أن هذه الأرواح التي تظهر للمجربين أرواح الموتى منها تكلم الروح بلغة المتوفى الخاصة واستخدامها عبارته المألوفة وتذكير أهله بحوادث قديمة...إلى غير ذلك من الحوادث التي تدل دلالة واضحة

---

[١]- عباس محمود العقاد : الله ص ٢٧ نهضة مصر ط الرابعة أغسطس ٢٠٠٥م.
[٢]- العقاد: الله ص ٢٩ .
[٣]- العقاد: الله ص ٣٠.
[٤]- الشيخ محمد حسنين مخلوف: المطالب القدسية في أحكام الروح وآثارها الكونية ص ١٨٧.

على ثبوت الروح الإنساني، واتصال أرواح الأحياء بالأموات، وأن لها آثارا كونية، وأمرية، وتصرفا حال الحياة وبعد الممات في هذا العالم المحسوس، وأن تصرفها بعد مفارقتها لهذا اللبوس البشري والهيكل الجسماني البدني أتم وأكمل"[١].

إذن الشيخ(مخلوف) يؤكد ويدلل على تحضير الأرواح، وكونه حقيقة من خلال ماهية الروح، ومن خلال الوقائع والمشاهدات، ورسالته تلك ملأى بالوقائع والشواهد.

ب- رأي المعارضين:

وعلى الجانب الآخر هناك معارضون كثر لهذه المسألة، ويرونها تضليل وخداع منهم:

- ابن تيمية: إذ يرى أن من يحضر هو الجن والشيطان وليس الروح فيقول: "وكثيرا ما يتصور الشيطان بصورة المنادى المستغاث به إذا كان ميتا، وكذلك قد يكون حيا ولا يشعر بالذي ناداه، بل يتصور الشيطان بصورته، فيظن المشرك اتصال المستغيث بذلك الشخص، وأن الشخص نفسه أجابه وإنما هو الشيطان"[٢]، وهذا من تخييل الجن وكذبهم على البشر كما يقول(ابن تيمية) [٣].
- الدكتور(محمد أحمد المسير) الذي نقض مزاعم القائلين بتحضير الأرواح وقرر أن الذي يحضر هو الجن، أو روح شيطاني، وليس الأرواح، وقد تكون نوعا من السحر، فضلا أن هذا المذهب ظاهر البطلان ومرفوض بإجماع أهل الأديان السماوية التي تقر بأن هناك سؤالا وجزاء يتوجه إلى الروح والجسد بعد الموت[٤]
- الدكتور(محمد حسين) فيرى أن تحضير الأرواح خداع وتدليس على الناس إذ يرى أن أعمال الروحيين تدخل في واحد من ثلاثة احتمالات :

الأول: الغش والخداع: وقد تعايش بنفسه فترة مع أحد الروحيين، وكان مؤمنا بهذه الأمور، ثم تبين له وجه الصواب وخداع هؤلاء، فتراجع عنها.

الثاني: التأثير المغناطيسي على الحاضرين، ومن ثم لا ينكر التنويم المغناطيسي، وإن أنكر التلباثي، وتحضير الأرواح .

الثالث: الاتصال بشرار خلق الله: يقصد أنهم يتصلون بالجن في هذه المهمة[٥].

١- الشيخ/ حسنين مخلوف: المطالب القدسية ص ١٢٦ .

٢- شيخ الإسلام ابن تيمية: الجن ص ٥٧.

٣- السابق.

٤- ينظر: د/ محمد سيد أحمد المسير: الروح في دراسات المتكلمين والفلاسفة ص ١١٩- ١٢١.

٥- دكتور/ محمد محمد حسين: الروحية الحديثة دعوة هدامة تحضير الأرواح وصلته بالصهيونية العالمية ص ٧٥ مؤسسة الرسالة.

وفوق هذا يرى هذه الدعوة ذات صلات بالصهيونية والماسونية، تبغي هدم الأديان وتمجيد الوثنيين والشيوعيين[١].

- الشيخ(محمود شلتوت) شيخ الأزهر أيضا من منكري هذا الطريق إذ قام بالرد على أحد تلك الجلسات الروحية في لقاء له في الإذاعة مما جعله مرمى لسهامهم[٢].

رأي فتح الله كولن:

يقر (كولن) أن ما يحدث من تحضير الأرواح إنما هو خداع للناس، وأن الذي يحضر في هذه الجلسات الجن والشياطين، وليست الروح هذا من ناحية، ومن ناحية أخرى يرى أن هذه الظاهرة لو بحثت في ضوء العلم فستكون لها نتائج مفيدة، ومن هذه الناحية لا يستطيع إنكارها كغيرها من الظواهر النفسية التي انتشرت في هذا العصر كما سبق، بل استخدمها في توضيح فكرته وهو يتحدث عن حقيقة الملائكة وقدراتها .

يقول كولن: "يدعي بعض الناس أنهم يحضرون الأرواح، والراجح في الواقع أن الذي يحضر هو الجن، فيصبح من يقوم بهذا أضحوكة للجن والشياطين، وأظن أن هذا الأمر لو بحث بعمق ونظر فيه بعناية أكثر، فقد تظهر نتائج مفيدة، أما ما يفعله هؤلاء الآن، فلا يعدو أن يكون أضحوكة وتخليطا"[٣].

إذن يرى (كولن) أن ما يفعل الآن من تحضير الأرواح تضليل للناس، وما هو إلا اتصال بالجن، ولكن يرى أنه لو خضع للبحث ستكون له نتائج مفيدة.

وفيما أرى أنه هنا متوافق مع منهجه كعالم يقدر العلم الحديث، ويستدل به كثيرا؛ لذا فهو لا يستطيع رفضها حتى يثبتها العلم أو ينفيها، أو كتلميذ تربى في محاضن الصوفية وسمع عن الأولياء الذي شوهد بعضهم في الحج، ولم يحج ذاك العام، أو رؤي في مكانين في وقت واحد مما يدل على فاعلية الأرواح.

ويتفق (كولن) مع (ابن تيمية) و(المسير) و(محمد حسين)في النقطة الأولى وهو أن الذي يحضر هو الجن أو الشيطان وليس الروح حقيقة.

إذن (كولن) يقبل بفكرة تحضير الأرواح وغيرها من الظواهر النفسية خاصة إذا صارت علما مفيدا، فمعنى ذلك أنه متوافق مع وجهة (العقاد) باستحالة إنكارها - وإن كان حديث (العقاد) لم يتطرق صراحة لتحضير الأرواح، فقد ذكر التلباثي والتنويم، والاطلاع على الماضي أو المستقبل-؛ لوقوعها ومشاهدتها؛ ولأنها في مرمى البحث العلمي فلا يستطيع إنكارها حتى يحكم العلم بذلك، وكذا متوافق مع الشيخ(حسنين مخلوف) إذ يؤيد هذه الفكرة- تحضير الأرواح والتنويم المغناطيسي- صراحة للوقائع والشواهد الكثيرة التي تدل على وجودها[٤].

---

[١]- ينظر: الروحية الحديثة ص ٦٥- ٧٨.

[٢]- ينظر: الروحية الحديثة ص ٧٥.

٣- كولن: نحو عقيدة صحيحة ص ١٤٨.

[٤]- الشيخ حسنين مخلوف: المطالب القدسية ص ١٢١- ١٢٦ .

أما الظواهر الروحية القائمة على الدجل والغش، فلا يرضاها (كولن)متوافقا مع الدكتور (المسير) والدكتور(محمد حسين) .

وعلى كل حال ينبغي الحذر والتيقظ لما يمارس من دجل واستغلال لعامة الناس من قبل الدجالين والمتاجرين بحاجات الناس، وينبغي أن يكون للعلماء والفلاسفة دور في نشر هذا الوعي بين الناس.

وأرى أنه من المفيد بحث هذه الظواهر في علم الكلام - بعد الاستفادة من المتخصصين وأهل الذكر في فهمها- وبيان حقيقتها للناس، وخاصة التأكيد على أن الضار والنافع هو الله، وما الجن والشياطين إلا مخلوقات من أمر الله لا تملك ضرا ولا نفعا، وذلك لعموم البلوى في الاعتقاد بهم وكذا بالدجالين والسحرة ومن على شاكلتهم مما يمثل خطرا على العقيدة ينبغي دفعه والوقاية منه.

المطلب الثالث: الشياطين:

أولا: تعريف الشيطان:

١- في اللغة:

أ- مشتق من شاط يَشيط وتشيّط، إذا لفحته النارُ فأثّرت فِيهِ، فهلك واحترق، وَالنُّون فِيهِ زَائِدَة.

ب- وَمن قَالَ إِن النُّون فِيهِ أَصْلِيَّة فَهُوَ من شَطَنَ فَهُوَ شاطن، أَي بعُد عَن الْخَيْر[١].

ج- الشيطان: كل عات متمرد من إنس، أو جن، أو دابة. وشيطن وتشيطن فعل فعله"[٢] .

٢- في اصطلاح المتكلمين:

أ- "أجسام نارية، شأنها إلقاء النفس في الفساد والغواية؛ بتذكير أسباب المعاصي واللذات، وإنساء منافع الطاعات"[٣].

ب- "ما يشمل إبليس وأعوانه، وهم أولاده من ظهره، وهو أبو الشياطين كما أن آدم أبو الإنس، والعداوة بين الثقلين فرع العداوة بين الأبوين"[٤].

ج- "نوع من الجن لكنهم المتمردون منهم، وهم لا يأتي منهم إلا الشر والوسوسة بالشر، ومنهم إبليس، وهو اسم أعجمي، وقيل: مشتق من الإبلاس بمعنى اليأس والقنوط من رحمة الله، وقيل: إن إبليس أبو الشياطين وهو أول من تمرد على أوامر الله بالسجود لآدم، فطرد من رحمة الله إلى يوم القيامة"[٥].

وأغلب كلام أهل السنة أن الجن يشمل المؤمن والكافر أم الشيطان فهو الكافر المتمرد من الجن وهو إبليس وذريته، وبعضهم يعرفهما بحقيقة واحدة كالجرجاني وقد سبق تعريفه باعتبار الجن والشياطين من الجواهر الغائبة عن حواسنا والتي تتشكل بأي شكل شاءت، ومنهم من يفرقون بينهم في الحقيقة كالتفتازاني حيث يعد الجن أجساما لطيفة هوائية، أما الشيطان فأجسام نارية [٦].

١- أبو بكر الأزدي: جمهرة اللغة، باب (شطن) ص ٢/ ٨٦٧. الهروي: تهذيب اللغة، أبواب (الشين والطاء) ص ١١/ ٢١٣

٢- ابن فارس: مجمل اللغة، باب (الشين والطاء) ص ١/ ٥٠٢. ومقاييس اللغة، باب(شطن) ص ٣/ ١٨٤ .

٣- التفتازاني: شرح المقاصد المجلد الثاني ص ٥٠١.

٤- حاشية الإمام الباجوري على جوهرة التوحيد ص ٣٤٨.

٥- ا.د/ محمد السيد الجليند: الجن ص ٤٦٣ موسوعة العقيدة الإسلامية، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية.

٦- ينظر: الجرجاني: شرح المواقف المجلد الرابع ص ٢٦٦، والتفتازاني: شرح المقاصد المجلد الثاني ص ٥٠١.

٣- تعريف كولن:

يقول كولن: "الشيطان مخلوق مطرود من رحمة الله واشتقاقها من جذرين: الأول: شطن: بعد عن الله وعن رحمته، والثاني: شاط- يشيط: احترق وهلك، وأشاطه: أذهبه، وكلاهما صحيح في الشيطان؛ لأنه مخلوق طرد من رحمة الله، فاستحق الحرق والإبعاد"[١].

ويمكن شرعا إطلاق كلمة الشيطان على كل طاغ وباغ، وكل متمرد من الإنس والجن والحيوان[٢].

إذن تعريف (كولن) الاصطلاحي مبني تماما على الاشتقاق اللغوي، وهو موافق تماما لأهل السنة في حقيقته.

ثانيا: سبب طرد الشيطان من رحمة الله:

يرى (كولن) أن سبب طرد الشيطان من رحمة الله؛ لإساءته توجيه قدراته ومشاعره الجبلية فلقد خلق الله الإنسان في أحسن تقويم يحتوي على جوهر كل شيء يدل على الكون كله [٣]، ولكن الشيطان اغتر وتكبر، فقال: ﴿ قَالَ مَا مَنَعَكَ أَلَّا تَسْجُدَ إِذْ أَمَرْتُكَ قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِّنْهُ خَلَقْتَنِي مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُ مِن طِينٍ ﴾[٤]، ودافع عن نفسه بحجج واهية، وأبى الاعتراف بذنبه، ثم غدا العدو اللدود لبني آدم: ﴿ قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴾[٥]، فاختار الغواية طريقا وكتب عليه "الختم الإلهي" - أي ختم على قلبه-، فلم يعد يفكر إلا في الشر[٦] .

أما كيفية الغواية والتسلل إلى الإنسان، فقد جاءت على لسانه: ﴿ ثُمَّ لَآتِيَنَّهُم مِّنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَانِهِمْ وَعَن شَمَائِلِهِمْ وَلَا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَاكِرِينَ ﴾[٧]، فيضرب حيله حولهم يزين لهم المستقبل كله ظلاما وجحودا، فلا بعث، ولا جنة، ولا نار، ويهيج مشاعر اليأس والقنوط، ويشعل الحسد والرياء في قلوبهم، ويبث الفلسفات المضطربة في عقولهم[٨]﴿ وَلَا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ

١- كولن: الموشور (١) ص ١٦٦ خواطر من وحي سورة الفاتحة ص ٦٦ .

٢- ينظر: كولن: الموشور ص ١٦٦-١٦٧.

٣- ينظر: الموشور ص ١٦٧.

٤-سورة الأعراف الآية:١٢.

٥- سورة ص الآية:٨٢.

٦- ينظر: كولن: نحو عقيدة صحيحة ص ٨٣-٨٤.

٧- سورة الأعراف الآية:١٧.

٨- ينظر: كولن: الموشور ص ١٦٨- ١٦٩.

أَكْثَرَهُمْ شَٰكِرِينَ ﴾ أي سيكفرون النعمة ما عاشوا فسترزقهم، ويعبدون سواك، وتغرقهم بالنعم ويجحدونك[١].

فيرى (كولن) أن الشيطان له سلطان على العقل والقلب؛ وفقا لقول النبي -ﷺ- "أن الشيطان يجري من ابن آدم مجرى الدم "[٢] .

وهو هنا يتفق مع السلف [٣] وأهل السنة، إذ يرون أن الشياطين لهم عمل على بني آدم في الظاهر والباطن- خلافا للمعتزلة القائلين: ليس لهم عمل عليهم ونفس الإنسان هي التي توسوس- في الباطن بالوساوس مصداقا لقوله: "إن الشيطان يجري من ابن آدم مجرى الدم"، وفي الظاهر بتزيين المعاصي في قلوب العباد مصداقا لقوله:

﴿ وَجَدتُّهَا وَقَوْمَهَا يَسْجُدُونَ لِلشَّمْسِ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَزَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَعْمَٰلَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ ٱلسَّبِيلِ فَهُمْ لَا يَهْتَدُونَ ﴾[٤]، وقوله:﴿ وَعَادًا وَثَمُودَاْ وَقَد تَّبَيَّنَ لَكُم مِّن مَّسَٰكِنِهِمْ وَزَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَعْمَٰلَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ ٱلسَّبِيلِ وَكَانُواْ مُسْتَبْصِرِينَ ﴾[٥].

ويرى الإمام (الغزالي) أن الحديث إشارة إلى سريان أثره في جميع باطن الإنسان، ثم يقول: "وأما كيفية مباشرته للقلوب، فليس بتخايل يظهره الحس، فإني أصادف الوساوس في قلبي، ولست أتخيل شيئا، ولا أشاهده بعيني عند اختلاج الوساوس ...بل الوسواس[٦] من الشيطان كالإلهام[٧]من الملك"[٨] .

١- كولن: نحو عقيدة صحيحة ص ٨٣.

٢- أخرجه البخاري في صحيحه، باب الشهادة تكون عند الحاكم في ولايته القضاء أو قبل ذلك للخصم، كتاب الحكام (ج ٢ ص ٧٠ رقم ٧١٧١) . ينظر: نحو عقيدة صحيحة ص ٣٨ .

٣- ينظر: الإمام أحمد عبد الحليم ابن تيمية : الجن ص ٣٥ .

٤- سورة النمل الآية: ٢٤.

٥- سورة العنكبوت الآية: ٣٨، وينظر: الإمام أبي معين النسفي: بحر الكلام في أصول الدين ص ٢٧٩.

٦- يقول الغزالي: "والخاطر المذموم - أعني الداعي إلى الشر- يسمى وسواسا". إحياء علوم الدين ج ٣ ص ٣٩.

٧- الإلهام: "وهو أن يلقي الله في نفس الإنسان أمرا يبعثه على فعل الشيء أو تركه، وذلك بلا اكتساب، أو فكر، فكر، ولا استفاضة، وهو وارد غيبي يشترط فيه أن يكون باعثا على فعل الخير أو ترك الشر؛ ولذلك فسره بعضهم بإلقاء الخير في قلب الغير بلا استفاضة فكرية منه، وهذا يخرج الوسوسة؛ لأن الإلقاء من الله أما الوسوسة فمن الشيطان". جميل صليبا: المعجم الفلسفي ج ١ ص ١٣٠ .

٨- الغزالي: قانون التأويل مجموعة رسائل الإمام الغزالي ص ٦٢٨بإشراف مكتب البحوث والترجمة المكتبة التوفيقية- القاهرة.

ثالثا: الحكمة من خلق الشيطان:

ويرى (كولن) أن الله منزه عن العبث في أفعاله فهو حكيم فيما يفعل وفيما يخلق؛ ولذا فالحكمة من خلق الشيطان وتسليطه على الناس يحمله على الحذر والوقاية: "فالعقارب والثعابين السامة في الحقول تحمل العاملين فيها على اليقظة والحذر وتكشف قدراتهم في التنبه ...لقد نمت بهذا مهارات الإنسان وقدراته على الهرب من الشيطان، والتخلص منه ونقض حيله كلها، بل غدا وسيلة للجوء الناس إلى الله، وإلى قلعة السنة السَنية، وأشار القرآن إلى هذا مرارا من ذلك قوله: ﴿ وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ ٱلشَّيۡطَٰنِ نَزۡغٞ فَٱسۡتَعِذۡ بِٱللَّهِۚ إِنَّهُۥ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾ [1].

إذن الحكمة من خلق الشيطان تكمن في عدة أمور منها:

- حمل الإنسان على الحذر والوقاية.

- اللجوء إلى الله تعالى .

- التحصن برحاب السنة النبوية.

وقد تكلم (النورسي) سابقا عن هذه الحكم، وأشار إلى أنها تكمن في المجاهدة التي يقوم بها الإنسان لمكائد الشيطان؛ ومن ثم ترتفع درجته عن الملائكة، بل وتتراوح درجات البشر ومنازلهم وفقا لذلك، وإلا لتساوى الفحم مع الألماس كما يقول (بديع الزمان)[2].

رابعا: الوقاية من تسلط الشيطان:

وقد اهتم غير واحد من المتكلمين، والسلف، والصوفية بدراسة هذه المسألة، ومنهم الإمام (أبو حامد الغزالي)، والإمام (ابن قيم الجوزية)، والإمام (ابن الجوزي)[3]، وغيرهم.

وقد عدد (فتح الله) عدة أمور للوقاية من تسلط الشيطان منها على وجه الإجمال:

١- الاعتصام بالله و الاستعاذة به: [4]

يقول كولن: "إن الإنسان قد لا يشعر بوساوس الشيطان ...فكأن الشيطان قد أسس محطة في قلب الإنسان، وقعد على رأسه ليتحكم فيه، ومن بعد ذلك ركز فيه لاقطا أو

١- سورة الأعراف الآية: ٢٠٠ ، الموشور ص ١٧٢، وينظر: أسئلة العصر المحيرة ص ٥٢.

٢- ينظر: النورسي: اللمعة الثالثة عشر من اللمعات ص ١١٠. والمكتوب الثاني عشر من المكتوبات ص ٥٢ .

٣- ينظر: إحياء علوم الدين للغزالي، وتلبيس إبليس لابن الجوزي، وإغاثة اللهفان للإمام ابن القيم.

٤- كولن: الموشور(١) ص ١٧٢ .

جهاز استقبال خاص بالوساوس الشيطانية "[١].

فالنجاة والخلاص كما يقول (كولن) هو اللجوء إلى السميع لدفع هذه الوساوس بقول: "أعوذ بالله السميع العليم من الشيطان الرجيم"[٢].

٢- ترك التكاسل:

فالشيطان يهاجم الخاملين العاطلين عن خدمة دينهم وأنفسهم، فلنملأ حياتنا بالفكر والعمل والمداومة على الأذكار والأوراد[٣].

٣- الوفاء بالعهد لدين الله ونصرته:

العمل لله ونصرة دينه من أسباب الوقاية من الشيطان يقول تعالى:

﴿ يَٰبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ ٱذۡكُرُواْ نِعۡمَتِيَ ٱلَّتِيٓ أَنۡعَمۡتُ عَلَيۡكُمۡ وَأَوۡفُواْ بِعَهۡدِيٓ أُوفِ بِعَهۡدِكُمۡ وَإِيَّٰيَ فَٱرۡهَبُونِ ﴾[٤].

٤- تجنب الوحدة:

البعد عن الوحدة والعزلة فهو أمضى سلاح للتحصن من إضلال الشيطان[٥].

٥- استماع الوعظ والنصائح[٦].

٦- الأدعية الواقية من شر الشيطان[٧] .

إذن تعرض (كولن) في حديثه عن الشيطان للحكمة من خلقه، وكيفية الوقاية من وساوسه، وهو أمر موطنه كتب الرقائق، ولكن (كولن) يحاول إيجاد ناحية عملية وراء كل مسألة عقدية؛ لذا فقد آثر الحديث عن هذه الأمور ابتغاء التكامل بين فروع العلم المختلفة من غير اجترار الفواصل والحدود المانعة من التربية الروحية والسمو الأخلاقي اللذين يستهدفهما من المسلم الصالح في عالم اليوم .

وهذا من نواحي التجديد أو من أبرز الخطوات المطلوبة لتجديد علم العقيدة، وهو عقد رباط وثيق بين الناحية العلمية النظرية والناحية العملية الواقعية، وذلك عبر إحياء المعاني القلبية من الحب، والبغض، والخوف، والرجاء، والخشوع، وما يجب أن ينتج عن ذلك

١- كولن: خواطر من وحي سورة الفاتحة ص ٦٧.

٢- كولن: خواطر من وحي سورة الفاتحة ص ٦٧.

٣-الموشور ص ١٧٣.

٤- سورة البقرة الآية:٤٠ ،ينظر الموشور(١) ص ١٧٣.

٥-الموشور(١) ص ١٧٤.

٦-الموشور (١) ص ١٧٦.

٧- فتح الله كولن: الموشور (١) ص ١٧٧.

من يقظة الإيمان في القلوب، وصدق اللجوء إلى الله، والتوكل عليه، والخوف منه لا من أحد سواه[1].

تعقيب

من خلال دراسة رأي (فتح الله كولن) في هذا الفصل (السمعيات) يتبين الآتي:

١- اتفق (كولن) مع سائر الأمة في تقرير مسائل السمعيات من خلال النص عليها، ولكن الجديد أنه يحاول أن يربط تلك الغيبيات بأمور مشاهدة، وكأنه يصور الغائب في صورة الشاهد حتى يصل المعنى للمسلم المعاصر.

٢- تأثر (كولن) إلى حد كبير بكلام (النورسي) عن الموت، والبعث، والقيامة، واستخرج معان جديدة، وأدلة وحكما عقلية، ووجدانية تلامس عقل ووجدان المسلم، وهذا من الجدة بمكان. و أرى أن يستفيد المتكلمون الجدد من هذه الطريقة في دراسة مسائل السمعيات .

٣- استطاع (كولن) أن يقرب للأذهان فكرة وجودية الموت بصورة بسيطة دون تعقيدات أو تأويلات، وجعله دليلا على وجود الله تعالى الذي لا يغيب ومقدمة للوصول إليه.

٤- أعطى صورة غير ما في الأذهان عن الفزع، والرعب من الموت، فالموت سياحة، وتحول إلى الأكمل والأفضل، وهو وصول الى الأحباب والأصحاب وكذا فعل نفس الأمر في الحديث عن القبر، والساعة، والبعث.

٥- لم يتحدث عن مراحل اليوم الآخر، اللهم إلا حديثا مقتضبا الجنة، والنار، وأصحاب الأعراف، ومتوسعا بعض الشيء في الحديث عن البعث والشفاعة.

٦- درس حقائق كل من الملائكة، والجن، والشياطين دراسة جديدة مؤكدا على جانب الروح في خلقهم، ورابطا إياها بالمسائل الحديثة من تحضير الأرواح والتلباثي؛ لإثباتها وإقناع المسلم المعاصر بوجودهم، وماهيتهم الروحية، وما ينبغي عليه تجاههم.

٧- يؤمن ببعض الظواهر النفسية كالتواصل عن بعد(التلباثي)، وتحضير الأرواح -غير ما يحدث الآن من دجل-، وهو أمر انقسمت فيه الآراء ما بين مؤيد ومعارض .

٨- يؤكد على الجوانب العملية والتربوية من وراء مسائل العقيدة، كتأكيده على الوقاية من مكائد الشيطان، وعلى خطورة طريق الرؤى والاتصال بالجن.

٩- لا ينسى أن ينبه على الحكم الشرعي وهو يدرس علم العقيدة، كتأكيده على أن الرؤى والاتصال بالجن ليست مصدرا للأحكام الشرعية.

١- ينظر: د/ عدنان محمد أمامة: التجديد في الفكر الإسلامي ص ١٣٦، دار ابن الجوزي، ط الأولى ١٤٢٤هـ.

الباب الثاني

آراء فتح الله كولن الفلسفية

الفصل الأول: المعرفة.

الفصل الثاني: الأخلاق.

الفصل الثالث: التصوف.

الباب الثاني: آراء فتح الله كولن الفلسفية

تمهيد: (فتح الله كولن والفلسفة):

أولا: الفلسفة الإسلامية في العصر الحديث:

ازدهرت الفلسفة الإسلامية قديما عندما وجدت بيئة مناسبة للنمو كما حدث زمن (الكندي) و(الفارابي)، و(ابن سينا)، و(ابن رشد)، وتوارت عندما رفضها المجتمع أو السلطة الزمنية ابتداء من القرن السابع - باستثناء (ابن تيمية)، و(ابن خلدون)-، وفي العصر الحديث تعرض العالم الإسلامي لأكبر هزة في تاريخه عن طريق التقائه بالغرب الأوربي، فلجأ المسلمون إلى الفلسفة من جديد في بداية القرن التاسع عشر.

وبعض الباحثين أرخ لبداية الفلسفة الإسلامية في العصر الحديث مع بداية التاريخ الإسلامي الحديث الذي يبدأ بالحركة السلفية الوهابية(١٧٠٣- ١٧٩١)الداعية إلى تنقية العقيدة من الشرك والوثنية، وليس مع قدوم الحملة الفرنسية على مصر والشام (١٧٩٨-١٨٠١م) [١].

وهناك طريقان سلكتهما الفلسفة الإسلامية في العصر الحديث:

الأول: طريق مباشر: حركات الإصلاح :

فبعد فترة ركود طويلة ظهرت الفلسفة الإسلامية من جديد مع طلائع النهضة الإسلامية في العصر الحديث، وعناصر تلك الفلسفة موجودة في أصوات الإصلاح الديني والاجتماعي والسياسي والأدبي، حيث قامت بدور كبير في إشاعة التنوير داخل المجتمعات الإسلامية، وإيقاظ وعيها على حركة التقدم العلمي في العالم وضرورة البحث عن منهج ملائم للنهضة[٢].

ولذا يمكن القول إن الفلسفة الإسلامية في العصر الحديث تتكون من: "مجموعة النظريات والأفكار الإصلاحية التي نادى بها زعماء الإصلاح، وعدد من الكتاب وأساتذة الجامعات في المجتمع الإسلامي منذ مطلع القرن التاسع عشر حتى الآن وذلك للنهوض بالعالم الإسلامي"[٣].

الطريق الثاني: طريق غير مباشر، وهو الجامعات حيث انحصرت هذه الفلسفة داخل الجامعات، وتحول اهتمامها الأساسي من مواجهة الحاضر واستشراف المستقبل إلى العكوف الأكاديمي على منجزات الماضي، وبيان جوانب الروعة فيه ومدافعة عن أصالته

١- ينظر: د/ حامد طاهر: الفلسفة الإسلامية في العصر الحديث ص ١٤- ١٦، مكتبة نهضة مصر، ط الثانية ٢٠٠٩م..
٢- السابق ص ٥.
٣- السابق ص ١٥.

في وجه الاتهامات، ولعلها أرادت أن تزود المسلمين بجرعة ثقة يتمكنون بها من الصمود والتحدي[١].

ويرى الدكتور (حامد طاهر)[٢]أن دراسة الفلسفة في عصورها القديمة مهمة، لكن لا ينبغي أن تستحوذ على كل الاهتمام، وتغفل مشاكل المسلمين الحالية، يقول: "صحيح أن الدراسة الأكاديمية المتعمقة لقضايا الفلسفة الإسلامية في عصورها القديمة مهمة أساسية بل إنها ضرورية، ولكنها ينبغي ألا تستحوذ - وحدها- على كل الاهتمام فلا بد أن تصحبها مواجهة صريحة لمشكلات المسلمين الحاضرة، وبحث دؤوب لاكتشاف حلول لها، ثم العمل على بلورة التصور الإسلامي الحديث في صيغ عصرية تتمشى مع ما وصل إليه العلم من تقدم، وما بلغه من تطور"[٣].

إذن لا تقليل من قيمة الفلسفة الإسلامية القديمة، ولكن من الأمور الأكثر جدية وأولوية الآن أن نجعل تلك الفلسفة وثيقة الصلة بحياتنا المعاصرة.

مجالات الفلسفة الإسلامية:

يرى الشيخ (مصطفى عبد الرازق)[٤]أن الفلسفة الإسلامية تشمل عدة مجالات، وهي:

١- مباحث الفلسفة والحكمة.

٢- مباحث علم الكلام.

٣- التصوف.

وقد تأثر في هذه المشرب بعدد من المستشرقين، فيقول "أصبح لفظ الفلسفة الإسلامية

أو العربية شاملا كما بينه الأستاذ (هورتن) [١] لما يسمى فلسفة أو حكمة ولمباحث علم الكلام، وقد اشتد الميل إلى اعتبار التصوف أيضا من شعب هذه الفلسفة خصوصا في

١- د/ حامد طاهر: الفلسفة الإسلامية في العصر الحديث ص ٥، ٦.

٢- الأستاذ الدكتور/ حامد طاهر: من أعلام الفكر العربي المعاصر أستاذ الفلسفة الإسلامية ومناهج البحث بكلية دار العلوم، من مناصبه نائب رئيس جامعة القاهرة، حصل على دكتوراه الدولة في الفلسفة ومناهج البحث من جامعة السوربون بباريس .ينظر: نهضة مصر في تعريفها للمؤلف في كتابه الفلسفة الإسلامية في العصر الحديث ط الثانية ٢٠٠٩م.

٣- ينظر: د/ حامد طاهر: الفلسفة الإسلامية في العصر الحديث ص ٦.

٤- الشيخ مصطفى عبد الرازق: ولد ١٣٠٢هـ الموافق ١٨٨٥م في قرية أبو جرج بالمنيا بمصر لأسرة مرموقة عرفت بالعلم وانشغالها بالقضاء. حفظ القرآن، وتعلم القراءة والكتابة بالقرية، ثم التحق بالأزهر الشريف حصل على العالمية، ثم انتدب للتدريس في مدرسة القضاء الشرعي، وسافر إلى باريس، وتعلم الفرنسية، وتابع دروس دركهايم في علم الاجتماع، ثم حضر في جامعة (ليون) دروس في تاريخ الفلسفة والأدب الفرنسي، وتولى تدريس اللغة العربية في ليون، ولما عاد إلى مصر عين موظفا في المجلس الأعلى للأزهر، فسكرتيرا له، ثم مفتشا بالمحاكم الشرعية، ثم عين أستاذ مساعدا للفلسفة بكلية الآداب، ثم أستاذا للفلسفة، ثم وزيرا للأوقاف عدة مرات، ثم عين شيخا للأزهر ١٩٤٥م، وانتقل إلى رحمة الله ١٩٤٧م من مؤلفاته: تمهيد لتاريخ الفلسفة الإسلامية- الدين والوحي والإسلام- الإمام محمد عبده. ينظر: د/ محمود جمدي زقزوق : سلسلة الموسوعات الإسلامية المتخصصة(٣) موسوعة أعلام الفكر الإسلامي ص ١٠٧٤- ١٠٧٥ .

العهد الأخير الذي عني فيه المستشرقون بدراسة التصوف ويعِد الأستاذ (ماسينيون) [٢] من متصوفة الإسلام (الكندي) و(الفارابي) و(ابن سينا) وغيرهم من الفلاسفة"[٣].

٤-علم أصول الفقه.

ويضمه الشيخ(مصطفى عبد الرازق) أيضا إلى مباحث الفلسفة، فيقول: "وعندي أنه إذا كان لعلم الكلام ولعلم التصوف من الصلة بالفلسفة ما يسوغ جعل اللفظ شاملا لهما، فإن علم أصول الفقه المسمى "علم أصول الأحكام" ليس ضعيف الصلة بالفلسفة ومباحث أصول الفقه تكاد تكون في جملتها من جنس المباحث التي يتناولها علم أصول العقائد الذي هو علم الكلام، بل إنك لترى في كتب أصول الفقه أبحاثا يسمونها" مبادئ كلامية" هي من مباحث علم الكلام، وأظن أن التوسع في دراسة تاريخ الفلسفة الإسلامية سينتهي إلى ضم هذا العلم إلى شعبها"[٤].

ويتفق مع الشيخ (مصطفى عبد الرازق) الدكتور (عبد الحليم محمود)[٥] إذ يجمع تحت لواء الفلسفة الإسلامية، المباحث العقلية، وعلم الكلام، والتصوف إلا أنه يخرج علم

١- ماكس هورتن(١٨٧٤-١٩٤٥م) مستشرق ألماني عني بالفلسفة وعلم الكلام فأصدر عددا كبيرا من الدراسات والترجمات لكن قلة بضاعته في اللغة العربية والمصطلحات الفلسفية والكلامية العربية من ناحية وسوء النشرات التي اعتمد عليها من ناحية أخرى قد أصابا إنتاجه بالخلل وسوء الفهم وبالتالي الخطأ في الترجمة، من هذه الأبحاث: كتاب الفصوص للفارابي- فلسفة أبي رشيد النيسابوري- النظرات الفلسفية للرازي والطوسي- المذهب الفلسفي للشيرازي- الفكر الديني عند المسلمين المتعلمين في العصر الحاضر- المشاكل الفلسفية في علم الكلام النظري في الإسلام .ينظر: د/ عبد الرحمن بدوي: موسوعة المستشرقين ص ٦١٨.

٢- ماسينيون(لويس) ١٨٨٣- ١٩٦٢م: مستشرق فرنسي عرف خصوصا بدراساته في التصوف الإسلامي عامة، وفي الحلاج بخاصة، ومعظم ما كتب عن التصوف الإسلامي في دائرة المعارف الإسلامية بقلمه، وعني بالآثار الإسلامية، ومشاكل العالم الإسلامي، وناصر قضاياهم، وتاريخ النظم الاجتماعية في الإسلام، وتوفر على دراسة الشيعة بكل تطوراتها، وفروعها، وخصوصا المغالية منها انتدب لتدريس تاريخ الفلسفة في الجامعة المصرية فألقى ٤٠ محاضرة بالعربية، وحضر الدروس بالجامع الأزهر بالزي الأزهري، وطاف عدة بلاد كالجزائر، والقدس، والحجاز، والآستانة، وحلب، وبيروت، ثم استقر في باريس، وترقى في المناصب الجامعية، وحصل على الدكتوراه برسالة عن آلام الحلاج ١٩٢٢م، وتولى تحرير مجلة العالم الإسلامي والدراسات الإسلامية. من مؤلفاته: عذاب الحلاج شهيد التصوف الإسلامي- بحث في نشأة المصطلح الفني في التصوف الإسلامي- ديوان الحلاج- تاريخ المصطلحات الفلسفية بالعربية- تقويم العالم الإسلامي- توفي ١٩٦٢م.ينظر الدكتور عبد الرحمن بدوي: موسوعة المستشرقين ص ٥٢٩.ينظر: نجيب العقيقي: المستشرقون ص ١/ ٢٨٧- ٢٩١.

٣- مصطفى عبد الرازق : تمهيد لتاريخ الفلسفة الإسلامية ص ٤٢ ، تقديم: محمد حلمي عبد الوهاب، دار الكتاب العربي القاهرة - دار الكتاب اللبناني، بيروت ٢٠١١م .

٤- الشيخ مصطفى عبد الرازق: تمهيد لتاريخ الفلسفة الإسلامية ص ٤٢- ٤٣.

٥- الشيخ عبد الحليم محمود (١٣٢٨ - ١٣٩٨ هـ) (١٩١٠ - ١٩٧٨ م)العالم الصوفي المتعمِّق، شيخ الأزهر ولد بقرية (أبو أحمد) بلبيس محافظة الشرقية حفظ القرآن بالقرية، ثم التحق بالأزهر ١٩٢٣م واختصر فترة الدراسة بأن تقدم للحصول على الثانوية الأزهرية من الخارج، وحصل عليها ١٩٢٨م، نال العالمية ١٩٣٢م، ثم سافر إلى فرنسا على نفقته الخاصة؛ لاستكمال دراسته بالسوربون وقد حول إلى البعثة الأزهرية عام ١٩٣٨م، وحصل على الدكتوراه ١٩٣٨م، وبعد عودته إلى مصر عمل مدرسا لعلم النفس بكلية اللغة العربية، ثم أستاذا للفلسفة بكلية أصول الدين، ثم عميدا للكلية، فأمينا عاما لمجمع البحوث الإسلامية، فوكيلا للأزهر، فوزيرا= =للأوقاف، ثم شيخا للأزهر عام ١٩٧٣م، وزار العديد من البلاد الإسلامية والعربية والأوربية، واستعانت أكثر من دولة أو جامعة عربية بجهوده. ساهم في معظم المؤتمرات الفلسفية والعلمية التي عقدت في البلاد الإسلامية، واشترك فيها ببحوثه وساهم فيها بجهوده وخبراته. وكانت له محاضرات وأحاديث في الإذاعة والتلفزيون، من مؤلفاته: الإسلام والعقل- فلسفة ابن طفيل- التفكير الفلسفي في الإسلام- التصوف عند ابن سينا، وحقق، وترجم عددا من الكتب .ينظر: أ. د محمود حمدي زقزوق: موسوعة أعلام الفكر الإسلامي ص ٦٣٩- ٦٤٢. محمد خير

أصول الفقه من مباحثها[١]، وعلى نفس الرأي عدد من المعاصرين، ومنهم الدكتور (عبد الهادي أبو ريدة)[٢] إذ يرى أن الفكر الفلسفي يجمع عدة علوم هي علم الكلام، والتصوف، والأخلاق، ومذاهب فلاسفة الإسلام[٣].

والدكتور (علي سامي النشار) في موسوعته نشأة الفكر الفلسفي في الإسلام يجعل جزءا كاملا وهو الجزء الثالث لدراسة التصوف بجميع أطواره، فالتصوف إذن جزء أصيل من الفلسفة الإسلامية.

ويرى الدكتور (حامد طاهر) أن مجالات الفلسفة الإسلامية عديدة تشتمل على أكثر من عشرة مجالات وهي:

علم الكلام - علم مقالات الفرق- علم التصوف - علم الأخلاق (التجارب الذاتية والتأملات) - أصول الفقه- فلسفة التاريخ - المنطق وشروحه- مناهج البحث النظرية وتطبيقاتها في مختلف العلوم العربية والإسلامية - آداب الجدل والمناظرة

إذن الفلسفة الإسلامية تضم عدة مجالات، ومنها التصوف، ومن هنا سيكون له موقعه في فكر (كولن) إلى جانب قضايا وعلوم أخرى.

أما المشكلات التي ينبغي أن تناقشها الفلسفة المعاصرة وتحاول حلها فهي عديدة ومن أبرزها:

الفهم المنقوص للإسلام- التعصب المغلق - التخلف الحضاري- التبعية الثقافية للغرب-

مشكلة الأصالة والمعاصرة- موضوعات الحوار والعولمة[٤].

بن رمضان بن إسماعيل يوسف: تَكملَة مُعجم المُؤلفين، وَفيات (١٣٩٧ - ١٤١٥ هـ) = (١٩٧٧ - ١٩٩٥ م) ص ١/ ٢٧٣الناشر: دار ابن حزم للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت- لبنان، الطبعة: الأولى، ١٤١٨ هـ - ١٩٩٧ م.

[١]- ينظر: د/ عبد الحليم محمود: التفكير الفلسفي في الإسلام ص ١٧٨، دار المعارف ط الثانية.

٢- محمد عبد الهادي أبو ريدة: ولد بالعريش ١٩٠٩م حفظ القرآن، وتلقى تعليمه الابتدائي بها، ثم أكمل دراساته الثانوية بالزقازيق، ثم التحق بقسم الفلسفة بكلية الآداب جامعة القاهرة، وكان أول دفعته عمل موظفا بالكلية، ثم معيدا، ثم سافر في بعثة إلى فرنسا للحصول على الدكتوراه، ولكنه عاد إلى مصر وحصل على الماجستير ١٩٣٨م، ثم عاد إلى باريس، ثم لم يستمر هناك إثر قيام الحرب العالمية الثانية فتوجه إلى سويسرا، وحصل على الدكتوراه ١٩٤٥م، وبعد عودته إلى مصر عمل مدرسا بكلية الآداب، ثم اختير مستشارا ثقافيا لمصر في إسبانيا، وأنشأ هناك المعهد المصري للدراسات الإسلامية، ثم عاد إلى مصر ١٩٥٢م منخرطا مرة أخرى في سلك التدريس، ثم أعير إلى ليبيا، ثم عاد إلى مصر ليعمل أستاذا بقسم الفلسفة بكلية الآداب، ثم أعير إلى الكويت، وأنشأ بجامعتها قسم الفلسفة، ثم عاد إلى مصر ليعمل بآداب الزقازيق، وافته المنية بسويسرا أثناء حضوره مناظرة علمية مع المستشرق "جاك بيرك"، ودفن هناك ١٩٩١م في مدافن الجامع الإسلامي بجنيف، من مؤلفاته: إبراهيم بن سيار النظام وآراؤه الكلامية والفلسفية- تفنيد الغزالي للفلسفة اليونانية في تهافت الفلاسفة- مبادئ الفلسفة والأخلاق، إلى جانب كثير من المقالات والتحقيقات والترجمات. ينظر: دكتور/ فيصل بدير عون: أبو ريدة آراؤه الكلامية والفلسفية ص ٢١- ٢٤الهيئة المصرية العامة للكتاب ٢٠١٠م.

٣- ينظر: أعمال غير منشورة محمد عبد الهادي أبو ريدة الجزء الأول الفلسفة الإسلامية ص ١٥٦.

٤- ينظر: د/حامد طاهر: الفلسفة الإسلامية في العصر الحديث ص ٨- ١٤.

وقد عرض الدكتور (حامد طاهر) لبعض القضايا المتفرعة عن تلك المشكلات ورأى أنها من صميم الفلسفة الإسلامية، ودعا المهتمين و دارسي الفلسفة المعاصرين إلى تناولها ومنها:

الإسلام والغرب- معضلة التقدم والتخلف- الحضارة الإسلامية- التصوف الإسلامي- الخطاب الديني- الديمقراطية- الإرهاب- الضمير- مكانة المرأة- التعبير عن الرأي- أزمة الفكر الإسلامي الراهن- أبجديات المشروع الحضاري، إلى غير ذلك من الموضوعات التي طرحها.

وأما عن دور الفلسفة الإسلامية الجديد في العالم المعاصر فهو :

أ- بيان المفهوم الصحيح للإسلام.

ب- الرد على الافتراءات الموجهة ضد الإسلام.

ج- تأصيل فكرة التعايش بين الأديان.

د- حوار الثقافات.

هـ- تمييز المشكلات الحقيقية من الزائفة.

و- تأصيل الاتجاه العقلي[١].

أما الدكتور (مصطفى النشار) فيتساءل عن دور الفلسفة هل انتهى في هذا العصر -عصر العلم والتقنية- ولم يعد المجتمع بحاجة إلى إليها؟.

وأجاب بالنفي، فالفلسفة في رأيه لها دور كبير بالنسبة للعلم، فهي تبحث في مفاهيمه، وتقيم نتائجه، وترشد توجهاته، وهذا ما يعرف ب (فلسفة العلم)فمثلا دعوات الحفاظ على البيئة، وتحجيم تدخل العلم في الطبيعة إنما هي دعوات فلسفية، وهي ما يسمى (فلسفة علم البيئة)، وهي أحدث الفروع الفلسفية.

إضافة إلى ذلك تحاول الفلسفة المساهمة في تطوير مناهج العلم، وتجديد تقنياته، وهذا هو دور المنطق ومناهج البحث العلمي، ولها دور أكبر بالنسبة للدين، فالاجتهاد في الشريعة مناطه العقل كما هو معروف، فضلا عن أن دورها المعرفي لم ينقطع فما زال الإنسان في كل عصر يسأل عن الوجود وماهيته، وماهية الوجود الإنساني[٢].

أما دور الفلسفة والفلاسفة في عصرنا الحالي من وجهة نظر الدكتور (مصطفى النشار)[٣]، فقد استقيت من خلال حديثه عدة أمور ومنها:

١- ينظر: د/ حامد طاهر: الفلسفة الإسلامية في العصر الحديث ص ٢٣٦- ٣٤٦ .
٢- ينظر: د/ مصطفى النشار: ضد العولمة ص٢٦٥- ٢٦٦ دار قباء، ط: الأولى ١٩٩٩م.
٣- مصطفى النشار: أستاذ الفلسفة بكلية الآداب جامعة القاهرة من مؤلفاته: نظرية المعرفة عند أرسطو- فلاسفة أيقظوا العالم - فلسفة التاريخ معناها ومذاهبها- مدخل جديد للفلسفة- مكانة المرأة في فلسفة أفلاطون. ينظر: ضد العولمة للمؤلف ص ٢٧٧ .

أ- تحديد نوع الأزمة التي يعاني منها المجتمع أولا حتى يتم العلاج والتقويم.

ب- وضع تاريخ للفلسفة الإسلامية خاص بنا: فينبغي أن نبدأ من تاريخنا نحن من ماضينا لا من تاريخ اليونان وينبغي أن يكون لفلسفتنا تاريخ خاص بها، وبهويتها تبدأ منه، وإلا لن ننتج شيئا.

ج- في محاولات التجديد المطروحة الآن ينبغي استخدام اللغة العربية الواضحة حتى نصل إلى الناس، وليس المصطلحات التغريبية المعقدة وينبغي أن نفكر لمصلحتنا العامة، وليس لتحقيق أمجاد شخصية زائفة.

د- القدرة على الحوار، وتقبل النقد والقبول بالتطوير والتجديد[1].

وهو يتحدث عن فلسفة عربية تضم جميع العناصر في المجتمع تحت لوائها، وليس المسلمين فقط.

إذن، مطلوب من جميع المشتغلين بالفلسفة وضع رؤية عصرية تتناسب مع تطور المجتمع، والانفتاح الذي نشهده، بحيث لا تكون منعزلة عن الواقع ومشكلات العالم وحياة البشر، وتتوخى الوضوح والسهولة وليس التعقيد.

فأرى - متضامنة مع بعض الرؤى الموجودة- أن نجدد ونعرض القضايا التي تهم العصر، ونقتصد في إيراد تاريخ الفلسفة اليونانية أو الإسلامية - وإن كانت سلسلة مهمة في بيان تطور التاريخ الإنساني- ولكن الأولى الآن بحث مشكلاتنا، فإن لم نصنع لنا كيانا ونقيم فلسفة خاصة بنا ستمحونا يد الزمان من التاريخ الفلسفي، وإن لم نضع لنا سهما في معالجة قضايانا سنضطر - ويضطر أبناؤنا- إلى استيراد حلولٍ تخالف هويتنا وثقافتنا، ووقتها لن يغفر لنا أبناؤنا ولا التاريخ تقصيرنا .

ثانيا: كولن والفلسفة:

١- أصول فكر كولن:

من النظر والمطالعة لما كتب وألف ندرك أن (كولن) مطلع على الثقافات السائدة في زمنه، والفلسفات والتيارات الحديثة والقديمة، فضلا عن معرفة بالفكر الإسلامي وفنونه .

ومما يدل على عمق تلك المعارف أنه يستشهد بالكثير منها في تأييد كلامه حين يتحدث عن نظرية علمية أو فلسفية، ويتجلى اطلاعه حين يمارس النقد تجاه تلك الرؤى والفلسفات في أحايين كثيرة، وخاصة ما كان منها متعارضا مع الفكر الإسلامي، ويمكن أن نحدد تلك الأصول التي قام عليها فكر (كولن) في الآتي :

أ- القرآن الكريم والسنة النبوية :

١- ينظر: د مصطفى النشار: ضد العولمة ص ٢٧٤- ٢٧٥ .

يهتم (كولن) بالقرآن والسنة باعتبارهما المصدرين الأساسيين في حياة المسلم اللذين يشكلان فكره ونظرته للحياة والكائنات؛ ولذا نجد مقالات عديده تبين مكانة هذين المصدرين، وتدعو إلى الرجوع إليهما، وله محاولة في تفسير أو وضْع خواطر حول القرآن، وكذا وضَع مبحثا كبيرا حول السنة في كتابه النور الخالد، وكذلك نراه كثير الاستدلال بهما في جل المسائل والموضوعات التي يطرحها، وهو لا يجنح في تأويل آياته - كما سبق وأن أشرت في مبحث الإعجاز العلمي- لتناسب الحقائق العلمية، ويرى ذلك تكلفا؛ لأن القرآن أعلى من ذلك الطرح العصري.

ب- العلوم الشرعية:

من خلال كتاباته نراه ملما بقدر ما من العلوم الشرعية كالتفسير، و الحديث والفقه وأصوله، معليا من قيمة أصول الفقه كنسق عقلي وفلسفي انفرد بها المسلمون؛ حتى ليمكن القول أن حضارة المسلمين هي حضارة الفقه وأصوله كما يرى[١].

ج- التصوف.

اشتغل (كولن) بالتصوف علما وتأليفا وواقعا معاشا، فجمع بين العلم والعمل حتى عده بعض الباحثين صوفيا رغم كونه يصرح بخلاف ذلك،[٢]ولقبه آخرون ب"رومي تركيا الحديث"؛ إشارة إلى تقارب (كولن) الروحي من (جلال الدين الرومي) المدفون بقونية بتركيا[٣].

وكان لهذه الحياة الروحية أثر في كل ما كتب فإن تلك النزعة الروحية تبدو جلية حتى وهو يعرض لقضايا كلامية أو فلسفية.

هـ- علم الكلام.

يبدو أن (كولن) - من خلال ما تمت الإشارة إليه في الجزء الأول من هذه الرسالة- كان دارسا ومطلعا على المذاهب والفرق الإسلامية المختلفة، ويوازن بينها في كلامه، كما فعل دائما تجاه فكر المعتزلة وخصومها من الأشاعرة والماتريدية، ومع كونه حنفيا ماتريديا- كما يقول بعض الباحثين- فقد كان منفتحا على باقي المذاهب والفرق، فلم يكن متعصبا أو من المكفرين لأيهم، مع إيثاره طريقة أهل السنة والجماعة دائما، يقول أحد الباحثين في فكره: "وكولن حنفي المذهب لكنه غير متزمت ألبته، بل سمته الرفق وسعة الأفق"[٤].

و- الفلسفة الإسلامية والحديثة.

١- ينظر: ونحن نبني حضارتنا ص ٨٠.
٢- مايمول حسن خان: فتح الله كولن الرؤية والتأثير تجربة فعلة في المجتمع المدني ص ٤٨ ترجمة: أحمد سعيد عبد الوارث- محمود علي جمعه دار النيل ٢٠١٥م، وينظر: ا د/ زكي ساري توبراك: السلام والتسامح في فكر كولن ص ٣٨ ، دار النيل- ٢٠١٤م.
٣- ينظر: مايمول حسن خان: فتح الله كولن الرؤية والتأثير تجربة فاعلة في المجتمع المدني ص ٣٠ .
٤- مايمول حسن خان: فتح الله كولن الرؤية والتأثير ص ١٢٢.

على الرغم من عدم الدراسة الأكاديمية لكولن نراه مطلعا جيدا على الفلسفات القديمة والحديثة مستوعبا لها ومبسطا وشارحا لدقائقها.

ومن بين فلاسفة وعلماء الغرب المعاصرين الذين لفتوا انتباه (كولن)، وقرأ لهم: (ديكارت) و(ايمانويل كانت)وآخرون غيرهما[١].

فهو مقدر شديد التقدير للفكر، والبحث، ومكانة العقل، ودوره، ولكن في الوقت نفسه ناقد لما يراه منحرفا غير متناسب مع فكرنا، فالنقد هو أداة الفيلسوف وعينه في تقييم الأمور، فقد انتقد الفلسفة اليونانية، وكذا الفلسفة الإسلامية التي كانت عبارة عن ترجمة وشروح لفلسفة أرسطو، وانتقد الفلسفة الحديثة وماديتها الطاغية، وكذا التيارات الهدامة التي وفدت إلينا كالداروينية، والوجودية، والعلمانية، والتغريب والمادية، وكثير من كتاباته ينتقد الحضارة الغربية المبنية على تلك الفلسفات والتيارات؛ لكونها جلبت الشقاء للإنسان الغربي، وفي الوقت نفسه يبرز خصائص الفكر الإسلامي وفلسفة الحياة عند المسلمين، واهتم (كولن) كذلك بالقضايا الكبرى كحقوق الإنسان، والسلام، والحوار .

وبالنسبة لعلم المنطق لم أجد له كتابا أو حديثا منفردا، ولكن لاحظت أنه أحيانا يستخدم ألفاظ المنطق في التعبير عن فكرة ما، مما يدل على اطلاعه على مسائله على الأقل، فمثلا فكرة أو لفظ (القوة والفعل)استخدمها في مناسبات عديدة مثل قوله في حديثه عن الإنسان: "ولابد أن تكون التربية التي تسمو به من درجة إنسان "بالقوة" إلى إنسان "بالفعل" ذات افق لاهوتي ومحور وهبي"[٢] وقد شرح مترجم الكتاب مقصده فقال: المقصود من القوة هنا: حال الإمكان والكمون فإذا تحرك من الإمكان أو الكمون أو المكنون إلى الحدوث أو الظهور، فقد تحول من القوة إلى الفعل"[٣].

وهو نفس المفهوم في المنطق مما يدل على اطلاعه على هذا العلم الذي اعتبر فيما مضى مقدمة أساسية لدراسة الفلسفة، ويعتبر الآن من مباحث الفلسفة.

و- المجهود الشخصي.

ما توصل إليه (كولن) وما حصله من معارف كان الجزء الأكبر منه مجهوده الشخصي، حيث كان يدرس ذاتيا بعد رحلة قصيرة في التعليم التقليدي، فاستطاع بناء فكره، وتكوين شخصيته المستقلة بالاطلاع على أنواع العلوم، والمعارف، والثقافات، والفلسفات في المشرق والمغرب حتى العلوم التطبيقية استوعبها وعرضها بشكل مبسط في خدمة قضايا العقيدة وغيرها، وكذا الفلسفات والتيارات ناقشها بشكل واضح، مبينا جوانب القصور فيها فرغم دراسته للفكر الغربي وإقامته بين أركان حضارته المادية ظل وفيا للفكر الإسلامي ينادي بفلسفة ونظامٍ فكريٍ ذاتيٍ نابعٍ من قيمنا وتاريخنا، مشيدا بحضارة الإسلام، وفضلها على الدنيا، ووجوب إحيائها ونهضتها من جديد.

١- ينظر: هامش السلام والتسامح في فكر فتح الله كولن ص ٦٧ .
٢- ونحن نقيم صرح الروح ص ١٠١.
٣- ونحن نقيم صرح الروح ص ١٠١ .

٢- مفهوم الفلسفة عند كولن:

يهتم (كولن) بالفلسفة وقضايا الفكر كثيرا، فهو مطالع جيد للفلسفة الإسلامية وكتابات رموزها، وكذا متابع للفلسفة الحديثة، وكتابات رموزها، ومذاهبها، يستند كثيرا إلى بعض المقولات إما تأييدا لفكرة ما يتحدث عنها، أو رفضا لها وتفنيدا لبطلانها، والفلسفة عند (كولن) هي معاناة الفكر والروح للوصول إلى الحكمة، و لا بد أن تستند إلى الفيوضات الإلهية، وإلا ضلت طريقها وهدفها.

يقول (كولن): "الفلسفة الحقيقية هي معاناة فكرية وروحية نتيجة للتشويق الإلهي للإنسان لطلب الحكمة، ومن هنا يرى أن: "كل فلسفة لا تستند إلى الفيوضات الإلهية تعد فكرا زائفا"[١].

وهو متفق مع الدكتور (عبد الحليم محمود) فبعد أن عرف الشيخ الحكمة بأنها "معرفة الله التي تتضمن المعرفة بالخير والعمل به"[٢]، رأى أن طريقها هو الفلسفة وهي جزآن بحث عقلي وطريق للتصفية، ثم انتهى إلى تعريف الفلسفة بأنها: "المحاولات التي يبذلها الإنسان عن طريق العقل وطريق التصفية ليصل بها إلى معرفة الله"[٣]، وهو اتجاه صوفي واضح لكل من العلمين، كما أنه دليل على أن التصوف جزء أصيل من الفلسفة الإسلامية.

ويصطلح (كولن) على تسمية الفلسفة الإسلامية بالحكمة، وأظنه بهذه التسمية يرمى أو يروم إلى إقامة فلسفة خاصة مرتبطة بديننا وتراثنا، فاستخدم المصطلح العربي حكمة، ولم يستخدم المصطلح اليوناني فلسفة بدليل نقده - كما سنرى- للفلاسفة الإسلاميين المقلدين لليونان .

وتسميتها حكمة تسمية قديمة سبقه بها فلاسفة الإسلام يقول الشيخ (مصطفى عبد الرازق): "ولا يفوتنا أن نشير إلى أن فلاسفة الإسلام استعملوا إلى جانب كلمة "فلسفة" اليونانية، وما اشتق منها كلمة "حكمة" العربية، وما أخذ منها فقالوا: حكمة وحكيم، وعلوم حكمية، ويظهر أن هذا الاستعمال بعيد العهد يتصل بأول نقل للعلوم القديمة في الإسلام"[٤].

إشارة منه إلى تسمية خالد بن يزيد بن معاوية (المتوفى ٨٥هـ)بحكيم آل مروان[٥].

وقد استعمل فلاسفة الإسلام الأوائل مصطلح الحكمة والفلسفة كما يظهر عند الكندي والفارابي، إلا أن ابن سينا غلب عنده استخدام لفظ الحكمة بدلا من الفلسفة[٦] .

١- الموازين ص١٦٤.
٢- د/ عبد الحليم محمود: التفكير الفلسفي في الإسلام ص١٦٨، دار المعارف، ط: الثانية.
٣- د/ عبد الحليم محمود: التفكير الفلسفي في الإسلام ص١٧٧.
٤- مصطفى عبد الرازق : تمهيد لتاريخ الفلسفة الإسلامية ص ٧١.
٥- تمهيد لتاريخ الفلسفة الإسلامية ص ٧٢.
٦- ينظر: د/ فيصل عون: أعمال غير منشورة /محمد عبد الهادي أبو ريدة الجزء الأول الفلسفة الإسلامية وبعض قضايا الفلسفة ص ٧٤.

يقول (الكندي) في تعريف الفلسفة: "علم الأشياء بحقائقها بقدر طاقة الإنسان"[١]، وأطلق (ابن سينا) عليها مصطلح الحكمة، وقال في تعريفها: "استكمال النفس الإنسانية بتصور الأمور والتصديق بالحقائق النظرية والعملية، على قدر الطاقة الإنسانية"[٢] .

ويرى (كولن) أن الفلسفة الإسلامية أو الحكمة تظهر في المناطق والمواضع التي يكون فيها الفكر الصحيح سائدا، أما الفلسفة الخادعة كما يقول فتظهر في الأماكن التي تسود فيها الأفكار الناقصة والعوجاء[٣].

وغاية الحكمة هي "تنوير الطرق المؤدية إلى الله وإلى الروح، وهذا التنوير يحدث أحيانا من الأثر إلى المؤثر، وأحيانا من المؤثر إلى الأثر، والذي يحمل شعلة الحكمة في يده يستطيع أن يوصل الإنسان - بدرجة سلامة نيته وقوة نظره- إلى الخير وإلى الجمال المطلق في كلا الطريقين"[٤] .

ويعطي (كولن) قيمة كبيرة للفلسفة الإسلامية، ويتبين ذلك من خلال النصوص التالية:

١- الحكمة نور للقلب:

يقول كولن: "من أهم منابع النور التي تنقذ فكر الإنسان من الأكدار، وقلبه من الوحشة وتصفي روح الإنسان، والتي تعطي وجدان الإنسان شعلة تنير طريقه وتساعده على التعرف على سر الوجود، هي الحكمة أو الفلسفة الإسلامية"[٥].

٢- الحكمة تعلو على العلم والعقل:

يرى (كولن) أن موقف الحكيم تجاه العالم كموقف العالم أمام الجاهل، ويرى أن مجال العلوم يقع في دائرة العقل، أما الحكمة فترداد إقليم الروح والمعنويات، وتدرك ما وراء الأستار.

فيرى (كولن) أن مسائل الحكمة دقيقة جدا لا يستطيع العقل إدراكها فالعقل لا يتجاوز حدود المادة أما الحكمة فتحدس ما ورائها، وله عدة تعبيرات في إعلاء شأن الحكمة، منها:

"قد ينظر العالم إلى ما حواليه من جمال بعينه دون أن يحس صدى هذا الجمال في قلبه، بل قد يعده قبحا، أما الحكيم فلأنه ينظر إلى ما وراء الأستار في كل شيء فإنه يتابع جميع العمليات والنشاطات الفكرية بروح العبادة"[٦].

---

[١]- أبو يوسف يعقوب بن اسحاق الكندي: كتاب الفلسفة الأولى من رسائل الكندي الفلسفية ص ٢٥ تحقيق: محمد عبد الهادي أبو ريدة، مطبعة حسان- القاهرة ط الثانية.

[٢]- أبو علي الحسين بن عبد الله بن سينا: الطبيعيات من عيون الحكمة من رسائل في الحكمة والطبيعيات ص ٢ ترجمه من اليوناني: حنين بن اسحاق، مطبعة الجوائب - القسطنطينية، ط الأولى ١٢٩٨.

[٣]- الموازين ص ١٦٥.

[٤]- كولن: الموازين أو أضواء على الطريق ص ١٦٤.

[٥]- الموازين ص ١٦٥.

٦- الموازين ص ١٦٥.

"لا يتم تصديق الحكمة بواسطة العقل، بل بشهادة الروح وتقديره، أجل لا تفهم الحكمة سوى الحكمة، أما العقل فهو إما عدوها أو صديقها غير المخلص"[١].
" يصل العقل إلى الإدراك عن طريق الحواس، أما الحكمة فبالبصيرة، وإذا كانت العين ترى الأشياء من خلف نظارة، فالحكمة تراها بالتليسكوب"[٢].
"الحكيم الذي امتلأت فطرته وذاته بالحكمة يستطيع - وهو قابع بين جدران أربعة في غرفة صغيرة - أن يتأمل الكون فيصل إلى مواضع وأماكن يعجز السياح الذين جابوا أقطار الأرض من الوصول حتى إلى واحد بالمائة مما وصل إليه"[٣].
وكلها نصوص تشير إلى قيمة الحكمة في نفوذها إلى ما وراء المحسوس، وإلى علو الروح والبصيرة على طريق العقل والعلم .

وكما اصطلح (كولن) على استخدام الحكمة بدلا عن الفلسفة استقر أيضا على تسمية الفيلسوف بالحكيم، فيقول: "إن أطلقنا اسم الحكمة على الفلسفة، وغضضنا النظر على كل عيوبها ونقائصها، عند ذلك يمكن أن نطلق اسم الحكيم على الفيلسوف ومعناه "محب الحكمة"[٤].

ونلاحظ أنه يقصد بالحكمة الجانب الروحي المعتمد على الإلهام والبصيرة لا القائم على العقل ودلالة ذلك قوله: "يقولون عن الفيلسوف أنه هو الشخص الذي يعرف الكون ويعرف الحقيقة، وأنا أقول بأن من لا يعرف الله لا يمكن أن يكون فيلسوفا بحق"[٥].

وهذا لا ريب جزء من الفلسفة الإسلامية كما يرى بعض العلماء كالشيخ (مصطفى عبد الرازق)، والدكتور (النشار)، والدكتور (حامد طاهر)، وليس كل الفلسفة .

ويبدو أن (كولن) متابع في هذا المعنى للنورسي إذ يورد من معاني الحكمة تعريف (النورسي) بأنها: "تبيان القضايا الإسلامية التي علمناها حقا وحقيقة بالكشف والمشاهدة والاطلاع على ما وراء الحجب "، ويعلق بالقول: "وما نعلمه نحن علم اليقين ونستدل عليه بالعقل يكتشفه أهل الله في ضمائرهم ويحسون به، بل يعيشونه"[٦].

وللحقيقة فقد أورد (كولن) عدة معان في تعريف الحكمة إضافة إلى المعنى السابق منها كذلك:

١- "النظر في قضايانا المعاصرة في ضوء المنطق لمواجهة تلك الأفكار- المنحرفة- أي ننظر من خلال مبادئ العلوم التجريبية والاجتماعية في ضوء منهج عقلي ومنطقي موافق للكتاب والسنة"[٧].

١- السابق ص ١٦٦
٢- السابق ص ١٦٧.
٣- الموازين ص ١٦٧.
٤- الموازين ص ١٦٥.
٥- الموازين ص ١٦٨
٦- الموشور(١) ص ٢٠٢.
٧- الموشور ص ٢٠٤.

٢- "البحث عما بين قوانين الكون وقوانين الحياة البشرية ومبادئها من تطابق وإدراك فإبراز ما بين الكتاب المسطور والمنظور من توافق ...إن إدراك تطابق الكتابين وتطبيقه على الحياة وقوانينها لهو أهم ركن في الحياة الدينية"[١].

ويرى (كولن) أن من ثمرة هذا الإدراك ونتاجه المهم التفقه والفقه الإسلامي، ويدلل على ذلك بالفقه الحنفي الذي هو فقه القياس والرأي، ورغم أن الحنفية أصابهم نقد كثير إلا أن (كولن) يعتبرهم المدرسة الفقهية التي تبرز العلاقة بين الدين والإنسان والكون على أفضل وجه وعدت الأساس الديني والقانوني لإدارة الدول الكبرى مثل: دولة السلاجقة، والعثمانيين، والعباسيين؛ لأنها ملائمة للتطور والتمدن بسبب مرونتها وسعتها في القضايا الكلية[٢].

ومن الملاحظ أن (كولن) لا يترك مجالا ولا مقالا إلا ويذكر بأهمية النظر في الكون والإنسان، والدين، أو القرآن، وإدراك الروابط والتوافق بينهم؛ ليسعد المرء في الدارين.

إذن (كولن) رغم تقديره للجانب الروحي إلا أنه يقدر الفلسفة بجانبها العقلي - أو من الممكن القول يريد الجمع بين الروح والعقل كما هو منهجه حتى في دراسة علم الكلام-، ويراها جديرة بتفسير العلاقات بين الكون، والقرآن، وتفسير العلاقات بين قوانين الكون من جهة، والحياة من جهة أخرى، فهو إذن يقدر الجانب العقلي كما الروحي تماما.

٣- نقد كولن للفلسفة:

ومع كل تلك الجوانب الإيجابية التي ذكرها (كولن) للحكمة، وأهميتها نراه يتوجه بالنقد للفلسفة، ويبرز سلبياتها، ويبدو أنه يقصد تلك الفلسفة المعتمدة على الحس البعيدة عن الوحي، والبصيرة، أو الفلسفة المادية؛ لذا يقول: "خلط الفلسفة المادية بالحكمة تعبير عن عدم فهمهما معا"[٣] فهو - مثلا- ينتقد الفلاسفة الإسلاميين قديما وحديثا المقلدين أو المترجمين فقط للفلسفة اليونانية، وإهمالهم إقامة فلسفة ذاتية إسلامية المصدر.

وينتقد تهاوننا والسماح بتسلل أفكار فلسفية غربية إلى فكرنا في الوقت الذي يعلي فيه جهود علماء الكلام في الرد على شبه الفلاسفة، ويعتبر طريقتهم كالمضادات الحيوية التي تقضي على الجراثيم والفيروسات، فإذا تحدث الفلاسفة عن التسلسل مثلا أبطله المتكلمون، وتحدث كذلك عن جهود (الغزالي) في التهافت في الرد على الفلاسفة ويرى أن إفراط أهل السنة، وظهور أهل الظاهر، وتحجر عقولهم على النص دون ترجيح أو فهم هو سبب تفريط الفلاسفة[٤].

وينتقد كذلك الفلسفة المادية ويحذر من خطورتها على العالم الإسلامي، ويتبين أوجه النقد للفلسفة من بعض النصوص على سبيل المثال:

١- الموشور ص ٢٠٥.
٢- ينظر: الموشور ص ٢٠٥.
٣- الموازين ص١٦٧.
٤- ينظر: الموشور ص ٢٠٣.

أ- في إطار حديثه عن النبوة والمفاضلة بينها وبين الفلسفة يعلي قيمة النبوة عن الفلسفة وجدلياتها، فيقول: "الفلسفة كانت ولا تزال تمثل الأنانية، والنبوة تمثل الحق، والتواضع طريق الفلسفة حافل بالشكوى، والشبه، والخداع، والشدة، والغضب، وصدامات عنيفة كصدامات جبال الثلج وتفتتها، بينما نجد النور في طريق النبوة، وانشراح القلوب، ونجدة الملهوف، والتساند والتعاون"[١].

ب- أيضا وفي إطار المفاضلة بين الفلسفة والتصوف يعلي من قيمة التصوف؛ لأن طريق القلب- في نظره- هو الموصل إلى الحقيقة الإلهية، بينما يعجز طريق العقل عن ذلك، فيقول: "التصوف هو درب البحث عن طريق القلب وعن طريق عين القلب عن الحقيقة الإلهية التي تعجز الفلسفة عن مد يدها نحوها، وبينما يرجع العقل من هذا الدرب بخفي حنين نرى القلب يطير فوقه بجناحيه في محاولة لفهم وإدراك ذلك الموجود المعلوم، ثم يعبر عن مدى المعرفة التي حصل عليها بترديده "ما عرفناك حق معرفتك يا معروف"[٢].

فعن طريق مسلك القلب الذي هو طريق التصوف يصل الإنسان إلى المعرفة الإلهية - وهي مهما تكاثرت وارتقت فهي متقاصرة عن معرفة الله وكنهه حق المعرفة-، أما العقل الذي هو وسيلة الفلسفة فهو عاجز لا يمد يده إلا في حدود المادة والمحسوس، أما الماورئيات - وأرفعها معرفة الله- فليست مجاله ولا يستطيع الحوم حول حماه.

ولذا يعلي (كولن) من قيمة الولي على الفيلسوف فيقول: "الولي هو صاحب الحكمة وبنسبة علو الحكمة وسموها على الفلسفة يعلو الحكيم على الفيلسوف، بل إن هذا العلو كبير إلى درجة لا تقاس"[٣].

ج- وينتقد الفلاسفة في سعيهم لتقليد ونقل الفلسفة اليونانية فيقول: "الفلاسفة الجدد عندنا هم أقل الناس علاقة بالفلسفة، فكل ما عمله هؤلاء هو القيام ببعض التراجم الناقصة، و يا ليت هذه التراجم كانت تراجم صحيحة وجيدة"[٤].

وفي موضع آخر يقول: "ومن الضروري أن نميز بين النسق الفلسفي والفكري لمترجمي نظام الفلسفة اليونانية المتجمعة في الحوض الفكري لأرسطو من أمثال (الكندي) و(الفارابي) و(ابن رشد) وإلى حد معين (ابن سينا) وبين نسقنا الفكري وفلسفتنا في الحياة الموصولة الجذور بالسموات القديمة كالأزل لكن الجديدة جدة من الجدة ذاتها إلى درجة القدرة على استيعاب كل العصور والمنضودة[٥] من الحكمة والحكم"[١].

١- الموازين ص ٤٢.
٢- الموازين ص .١٢٣.
٣- السابق ص ١٧٨.
٤- الموازين ص ١٦٦.
٥- (نَضَدَ متَاعَه يَنْضِدُه): جعل بعضه فوقَ بَعضٍ، ضَمَّ بَعضَه إلى بعضٍ، مُتَّسِقاً أَو مرْكُوماً ، وفي التَّنْزِيل: {لَّهَا طَلْعٌ نَّضِيدٌ} (سُورَة ق، الْآيَة: ١٠) أَي منْضُود، وقيل: طَلْعٌ نَضِيدٌ يَعْنِي الكُفُرَّي مَا دامَ فِي أَكْمَامِه فَهُوَ نَضِيدٌ، وَقيل: النَّضيد: شِبْهُ مِشْجَبٍ نُضِّدَتْ عَلَيْهِ الثيابُ، وَقَوله تَعَالَى: {وَطَلْحٍ مَّنضُودٍ} (سُورَة الْوَاقِعَة، الْآيَة: ٢٩) أَي بعضُه فَوق بعضٍ، فإِذا خَرَجَ مِن أَكمامه فَلَيْسَ بِنَضِيدٍ، وَقَالَ غَيره: الْمَنْضُود: هُوَ الَّذِي نُضِّد بِالحَمْلِ من أَوَّله إِلى آخرِه أَو بالوَرَقِ لَيْسَ دُونَه سُوقٌ بارِزَةٌ، وَفِي حَدِيث مَسْرُوق (شَجَرُ الجَنَّةِ نَضِيدٌ مِن أَصْلِها إِلى فَرْعِها) أَي

إذن فكولن ينتقد كل الفلاسفة الإسلاميين بدعوى تقليد ونقل الفكر اليوناني، ويطبق هذا الحكم على روادها الأوائل (الكندي) و(الفارابي) و(ابن رشد) ويستثني قليلا (ابن سينا) و هي ليست دعوى جديدة، فعبر التاريخ هناك من شكك في أصالة الفلسفة الإسلامية وخاصة المستشرقين الذي رأى بعضهم أن الفلسفة الإسلامية ما هي إلا تقليد لأرسطو، وزعم بعضهم أن هناك عقبات تقف في سبيل تكوين عقلية فلسفية إسلامية منها: حزب أهل السنة المستمسك بالنصوص، وطبيعة العرب التي تتأثر بالأوهام، ومن هؤلاء المشككين: (رينان) الذي بنى رأيه على التعصب الجنسي فقسم الناس إلى ساميين وآريين، وجعل السامي دون الآري في الفلسفة والبحث النظري وقرر أن فلسفته ما هي إلا تقليد لليونان أيضا[٢].

أما الرأي المنصف فليس في تاريخ الفكر الصحيح تقليد، فالفكر حلقة متصلة يبني الجديد على القديم، وقد اعترف بذلك بعض المنصفين من الغربيين، واعترف بذلك فلاسفة الإسلام، ثم إن هناك بحوثا في الفلسفة الإسلامية خاصة بالمسلمين إلى جانب النظر العقلي الذي اقتصر عليه فكر اليونان، وهي طريق التصفية الروحية(التصوف)، وعلم الكلام كما قال الدكتور (عبد الحليم محمود)، وضم بعضهم أصول الفقه كذلك كالشيخ (مصطفى عبد الرازق) [٣].

والرأي المنصف - في نظري- هو ما اختاره الدكتور (عبد الحليم محمود) متابعا في ذلك رأي (الفارابي) و(ابن سينا)، إذ يقول: " وموقف الإسلاميين من الفلسفات القديمة، نظروا فيها، فانتقدوا الباطل، واعتنقوا الحق، وساهموا في تكملة صرح الحق على قدر طاقتهم"[٤].

ولذا لا أوافق (كولن) في مسعاه في نقد الفلسفة الإسلامية واتهام روادها بالتقليد، ولا أنكر تأثرهم الشديد باليونان، إضافة إلى فكرهم الخاص الذي اعتنقوه وشيدوا صرحه، وكما استفادوا من اليونان استفاد منهم الغرب في القرون الوسطى فترجمت فلسفتهم ودرست في جامعات الغرب أيضا.

د- وكثيرا ما ينتقد (كولن) الفلسفة الغربية ذات الفكر المادي، ويرى ذلك سبب ضياع الغرب وحيرة إنسانه، وفي المقابل يبرز جمال الفكر الإسلامي المستند إلى أصول إلهية والكفيل بسعادة الإنسان، فيقول: "لقد تعرف الغرب على العشق في أبعاد تلون المادة من خلف الفلاسفة، وأجواء الدخان والضباب الفلسفية، فذاق طعمه وعاش الشبهات والتذبذبات على طول الطريق، أما نحن فننظر إلى الوجود ومصدر الوجود بعدسة الكتاب والسنة ...ذلك بأن منشأ الإنسان وموقعه في الكائنات، وغاية وجوده، والصراط الذي

لَيْسَ لَهَا سُوقٌ بارِزَةٌ ولِكنَّها مَنضودَةٌ بالوَرَقِ والثِّمَارِ مِن أَسْفَلِهَا إلى أَعلاها. أبو الفيض مرتضى الزبيدي: تاج العروس من جواهر القاموس باب (نضد) ص ٩/ ٢٢٥، ابن منظور: لسان العرب فصل النون ص ٣/ ٤٢٤.

١- ونحن نقيم صرح الروح ص ١٢٣.

٢- ينظر: الشيخ مصطفى عبد الرازق: تمهيد لتاريخ الفلسفة الإسلامية ص ١٠-١٧.

٣- ينظر: الشيخ مصطفى عبد الرازق: تمهيد لتاريخ الفلسفة الإسلامية ص ١٠-.١٧. د/ عبد الحليم محمود: التفكير الفلسفي في الإسلام ص ١٧٦- ١٩٧، دار المعارف، ط الثانية.

٤- د/ عبد الحليم محمود: التفكير الفلسفي في الإسلام ص ١٩٦.

يسير فيه، ونهاية هذا الصراط في هذين المصدرين منسجم انسجاما عجيبا مع فكر الإنسان وحسه وشعوره وتوقعاته"[١].

إذن الفكر المادي الذي بثه الفلاسفة الغربيون هو سبب شقاء الإنسان الغربي فقد زادت شكوكه وتخبطاته ولم تراعِ روحه ومطالبه ككل، بينما الفكر الإسلامي حقق التوازن المطلوب فنظر للإنسان ككلٍ جسدا وروحا؛ فتحققت سعادته وانسجامه مع سائر الكائنات وعموم الكون.

يقول كولن: "والواقع أن مجتمعنا يتحمل في مبناه أكثر من فكر وفهم وفلسفة معا، لذلك نرى في طريق مغامرتنا "الملية" الخاصة آثارا موضعية لفرنسا، وتوقفا عند المتلقيات الألمانية، ومجاراة لنمط الفكر الإنجليزي أحيانا، واليوم نجد نشوة مع الحرية الأمريكية، وفي كل الأحوال نضغط على السواتر الجانبية لطريقنا الرئيس هذه المفاهيم والتلقيات والفلسفات تؤثر تأثيرا سلبيا في ثقافتنا الملية، لكن يمكن تقييم مثل هذا التنوع في كل الأحوال بالغنى والثراء. المهم عندي أن يحافظ الشعب على قيمه الذاتية، ودورانه في الفلك الذاتي"[٢].

فهو يرى خطورة هذه الواردات على مجتمعنا، ومع ذلك يرى أنه يمكن تقييم وتقنين هذه الفلسفات للاستفادة منها، ولكن يأسى لعدم وجود من يقوم بذلك، فيقول:" لكن الباعث للأسى أن المقتدرين على التقويم المفيد لهذا التنوع الثقافي قد عجزوا عن التقويم والاستفادة ...وكم مرة حصلنا على مصادر للنور لم نستفد منها للتنوير، بل استحوذنا على النار واللهب منها، وسببنا حرائق حيث نريد التنوير، ومن العجائب أن فينا من إذا علم مقدار قطرتين استخف بالآخرين، أو استطاع أن يفكر مقدار قطرة ظن نفسه فيلسوفا"[٣].

إذن تقييم وتقنين الفلسفات الواردة من الحضارات الأخرى يحتاج لمخلصين من الفلاسفة والمفكرين .

هـ- نقده لبعض التيارات كالشيوعية، وبعض الفلسفات كالميكافيلية[٤]يقول كولن: "كان من المعلوم في السابق أن طريقة الدعاية للنفس، وللتعريف بها بواسطة الهجوم على الآخرين، وإدانتهم والتشنيع عليهم طريقة خاصة لجماعة نفاق في الشرق(الشيوعيين)، ولكن هذه العادة انتشرت الآن انتشارا كبيرا بحيث إن العديد من الذين نذروا أنفسهم

١- الموازين ص ٣٦.
٢- ونحن نقيم صرح الروح ص .١٣٧.
٣- السابق ص ١٣٧.
٤- الميكافيلية: تنسب إلى ميكافيللي(١٤٦٧- ١٥٢٧) فيلسوف سياسي من عصر النهضة، وفلسفته السياسية علمية وتجريبية، ومعنية بتقديم الوسائل على الغايات المحدودة بغض النظر في كون الغايات حسنة أم سيئة. أشهر مؤلفاته: (الأمير)، الذي وصف الحالة السياسية كما هي وليس كما ينبغي أن تكون، وصرح في هذه الرسالة بإنكاره للأخلاق المعترف بصحتها فيما يختص بسلوك الحكام. ينظر: برتراند رسل: تاريخ الفلسفة الغربية الكتاب الثالث الفلسفة الحديثة ص ٢٥، ترجمة: د/ محمد فتحي الشنيطي، الهيئة المصرية العامة للكتاب ٢٠١٢م. د/ مرفت عبد الناصر: موسوعة تاريخ الأفكار ج١ ص ٤٤.

للنضال في سبيل الحق بدأوا يشاركون في مثل هذه الأراجيف، فيا ويح من يبحث عن الحق بطرق باطلة، ويا ويح لجميع الميكافيليين"[١].

وبعد عملية النقد هذه يقوم (كولن) في كثير من المسائل بالمقارنة بين تلك الفلسفات والنظم وبين فلسفة الإسلام، فيبين ما يميز الإسلام عن غيره ومن أمثلة ذلك:

١- ربط كل الكائنات والحوادث بالله:

فمثلا في حديثه عن العلاقة بين الله، والإنسان، والكائنات يفرق بين نظرة الإسلام وغيره فنحن نربط كل الكائنات والحوادث بالله، فهو صاحب الصنعة والأثر، فهي معرض نعرف منه الذات الواجبة الوجود، بينما النظم الأخرى يرجعون كل المسائل إلى الأشياء والحوادث، فيقول: "أما المنطق الأوروبي الحديث- وهو ميراث يوناني تماما- فيربط ملاحظاته كلها بالإنسان، والأشياء، والحوادث؛ ولذلك لا يأخذ حقيقة الألوهية بنظر الاعتبار، أو يتناولها باعتبارها موضوعا تبعيا غير مهم ...فهناك في الفلسفة اليونانية والمنطق الغربي المعاصر المستمد منها عقل فعال، وبجانبه فهم لألوهية عاطلة[٢]، وأما في ثقافتنا فعلى النقيض من ذلك هناك مناسبة دائمة بين الصنعة والصانع، وبين الأثر وصاحب الأثر، وبين الخالق والمخلوق"[٣].

ومن ذلك أيضا: "أننا نربط المسائل بالكتاب والسنة والمصادر الأخرى التي يرشدنا إليها الكتاب والسنة إلى جانب العقل الفعال، أما أولئك فيرون العقل والمشاهدة سببا وحيدا للعلم فيضيقون سبل العلم والمعرفة"[٤].

إذن فمصادر المعرفة عند المسلمين تشمل الوحي، والعقل، والحواس، أما الغرب فيقتصر على العقل والحواس فقط.

٢- الاهتمام بكل جوانب الإنسان:

وفي حديثه عن الإنسان - وهو حديث طويل في سائر ما كتب- يرى أن النظم الأخرى أهملت الإنسان فلم تهتم إلا بجانب واحد فقط وهو الجسد، ولم تهتم بروحه ومشاعره فلم تزد الإنسان والبشرية إلا شقاء واضطرابا، ولم يشعر الإنسان حيالها إلا بالغربة والنفور، فإنه وإن ائتلف معها ظاهريا فلم يقبلها داخليا والإسلام حقق هذا التوازن، واهتم بالإنسان ككل مشبعا رغباته، يقول كولن: "إن كان هناك جو يسمح لبني الإنسان أن يتنفسوا منتشين فما هو إلا جو الإسلام، فلم تزد النظم المفروضة على الإنسان إبان القرن أو القرنين الأخيرين إلا اضطرابا وشقاء، وأول الداء أنها كانت غريبة عن

١- الموازين ص ١٢٠.

٢- يتصور أرسطو مراحل للفكر المرحلة العليا عنده يقسمها إلى قسمين: عقل منفعل وهو الذي يتقبل الصور الحسية الخارجية التي ترد إليه فهو بمثابة المادة، وعقل فعال ينقل هذه الصور من القوة إلى الفعل، ويجعله أرسطو في مرتبة الألوهية، ويصفه بأنه بسيط، خال عن المادة، خالد، غير قابل للفساد وكل صفات الإله يضيفها إلى العقل الفعال، أما الإله فهو المحرك الأول الذي لا يتحرك، أزلي، وينكر أرسطو إنكارا تاما تدخل الإله في الأحداث الجزئية، وعنايته بأي شيء في الوجود خلا ذاته. ينظر: د/ عبد الرحمن بدوي: موسوعة الفلسفة ج ١ ص ١٠٦، ١٢٠.

٣- كولن: ونحن نبني حضارتنا ص ٧٧.

٤- ونحن نبني حضارتنا ص ٧٧.

روح الإنسان ...إن نقص العلم بماهية الإنسان بل الجهل بها، وكذا إقصاء الحياة القلبية والروحية للإنسان إقصاء كليا هما من النواقص المهولة التي لا يملأ شيء الثغرات الحاصلة من جرائهما في هذه الأنظمة"[١].

ولم يتيسر لأي نظام وضع مثل هذ التوازن بين الله، والإنسان، والكائنات من غير ترك فراغات إلا للإسلام كما يرى (كولن).

٣- ربط القيم برضا الله وسعادة البشر:

في حديثه عن بعض القيم يربط الإسلام قيم الحق والعدالة وغيرها برضا الله مع سعادة البشر، أما النظم الأخرى فتجعلها وسيلة لتحقيق أهداف ومصالح معينة، يقول كولن: "لقد استغلت نظم معلومة قيما مثل الحق، والعدالة، والمساواة، والأمن العالمي كوسيلة للوصول إلى أهداف معينة أو لتحقيق بعض المبادئ والتعاليم، أما الإسلام فقد تطلع إلى هذه القيم العالمية في نقطة الالتقاء بين سعادة الناس ورضا الحق تعالى فحقق إرادة الله تعالى ومطالب البشر في آن واحد"[٢] .

٤- الفكر:

يرى (كولن) أن الفكر شعلة تنير الطريق أمام العقل، وتفتح له أفاقا جديدة، ويقرر أن: "مهمة الفكر هي البحث عن الصحيح، وعناصره عبارة عن المواهب الإلهية، وفي مختبره يتم تغيير درجة الصحة لكثير من الصحاح وهنا تكمن أصالة الفكر"[٣].

ويقول أيضا: "الفكر يعني التفكير، وهو لا يعني الإيمان بكل ما يخطر على البال من دون تمحيص وتدقيق، أو البحث عن قصور، وأخطاء الآخرين، وقضاء العمر في نقدهم، بل هو جهد مبارك للوصول إلى الحقيقة، حيث يأخذ قوته وقدرته من المنطق، والحكمة، والإلهام الإلهي"[٤].

وحيث إن الفلسفة في نظره هي الفكر فيدعو إلى إعمال الفكر، وعدم الجمود، وإهمال العقل، بل وليس الفكر المجرد وحده، بل ينبغي أن يعكس هذا الفكر على أرض الواقع، فيقول: "يعيش قسم من البشر من غير ممارسة للفكر، وقسم آخر منهم يفكر ولكن لا يعكس فكره على واقع الحياة قط، أما ما ينبغي فهو أن يعيش الإنسان، وهو يفكر، وأن يبتكر أنماطا فكرية جديدة إذ يعيش فينفتح على آفاق مركبات فكرية مختلفة، والذين يعيشون من غير فكرهم دمى تمثل فلسفة حياة الآخرين، هؤلاء يلهثون للتغير من شكل إلى شكل، ولا يملون تبديل قوالبهم ويضطربون ما عاشوا في الانحراف بين الشعور والفكر، والانزلاق في الشخصية، والتمسح بين الصورة والسيرة"[٥].

---

[١]- ونحن نبني حضارتنا ص ٩٦.
[٢]- السابق ص ٩٩.
[٣]- الموازين ص ١٦٤.
[٤]- السابق ص ١٦٤.
[٥]- ونحن نقيم صرح الروح ص ١٢١.

أما الفريق الذي يريده (كولن) فهم أهل الفكر" الذين يعيشون حياتهم مفكرين ويجعلون - حسب درجاتهم- كل يوم أو كل ساعة من حياتهم ميناء، أو مرسى، أو طريقا للأفكار المبتكرة، فهؤلاء يمضون أعمارهم في خوارق العيش ما فوق الزمان ومفاجآته وسحره "[١].

ويدعو كثيرا إلى حرية الفكر، ويدعو مفكرينا الفكر الحر، والتخلص من نظم التفكير البالية والمتعفنة في بعض جوانبها كما يقول [٢].

ويدعو (كولن) كذلك إلى احترام الأفكار الأخرى، والاستفادة من الجوانب الإيجابية بها، فيقول: "الإنسان العاقل ليس هو الإنسان الذي يدعي عدم وقوعه في الخطأ أو يدعي عدم حاجته إلى أفكار الآخرين، بل العاقل من يعرف أن الخطأ خصلة بشرية؛ لذا يتوجه إلى تعديل أخطائه، وتقييم الأفكار المختلفة ويستفيد منها"[٣].

وكذا عدم التسرع بالنقد والهدم قبل سماع الرأي المخالف فيقول: "الاعتراض على كل شيء، ونقد كل شيء حركة تخريبية، والإنسان عندما لا يعجب بشيء عليه أن يأتي وينجز الأحسن منه، فمن النقد والهدم نحصل على خرائب، ومن البناء نحصل على عمار"[٤].

ويقول أيضا: "اهتم بكل ما يقال في مجلسك من الأفكار المخالفة لفكرك، ولا تعجل برد من يخالفك في الفكر، بل اصبر حتى النهاية، وأنصت واستمع فقد يكون ذلك الفكر محصول ظروف وشروط أخرى"[٥].

وهو يؤكد كما سبق وأن أشرنا إلى وجوب استناد الفلسفة إلى الوحي، ويكرر ذلك فيقول في ذات الشأن أيضا: "إن نسقنا الفكري قائم على تفسير ذي تنزل من اللاهوت، والجبروت، والملكوت، والناسوت،[٦] ومعلوم المنشأ، ومنور، ومعتمد على حقيقة الخلق، فإذا استطعنا أن نتفهم هذا التفسير والتأويل بنكاته الذاتية نكون قادرين على إبراز نظامنا الفكري، وهذا يعني في الوقت نفسه افتتاح طرق واسعة تؤدي إلى تجديد جاد على مستوى العالم كله"[٧].

ويرى أنه رغم مساع كثيرة بذلت في سبيل إقامة نظام فكري إسلامي المصدر فإنها لم تأتِ بالثمرة المرجوة، وتوقفت عند جهود فلاسفة سابقين، فلم تبدع جديدا، ولم تواكب حركة العصر، بل راحت تقلد من جديد، أو تنبهر بفلاسفة الغرب[٨].

---

[١]- السابق.
[٢]- السابق ص ٩٨.
[٣]- الموازين أو أضواء على الطريق ص ١١٠.
[٤]- الموازين ص ٩٠.
[٥]- السابق ص ٩١.
[٦]- الناسوت (الإنسان أو الجانب الإنساني):لا أدري ما موقعها في كلام يتحدث عن وجوب ارتباط الفكر بالوحي بالوحي المنزل من الله .
[٧]- ونحن نقيم صرح الروح ص ١٢٣.
[٨]- ينظر: ونحن نقيم صرح الروح ص ١٢٣- ١٢٤.

وذكر (كولن) أمثلة كثيرة من واقع الدولة العثمانية منذ عهد (الفاتح) حاولوا تكوين هذا النسق الفلسفي منهم: (خوجه زاده)[١]، و(الملا زيرك)[٢]، و(مصطفى رشيد)[٣]، ولكن حدث جمود وركود لتلك الحركات، يقول كولن: "لكن بعضهم تعثر وتوقف عند "تهافت" (ابن رشد)، والإمام (الغزالي)، وبعضهم غرق في دوامات الثورة الفرنسية، و(أغست كومت)[٤]وبعضهم تلهى بهذيان (دركهايم)،[٥]ولم تكل الحركة أبدا لكن لم يحسبوا حساب

---

[١]- خوجه زاده: العلامة مصلح الدين مصطفى بن يوسف المعروف بخواجه زاده البرسوي، المتوفى بها سنة ثلاث وتسعين وثمانمائة وله تسع وسبعون سنة. كان أبوه من التجّار وسلك خلاف مسلك أبيه فأسقطه عن عينه، ثم وصل إلى خدمة ابن قاضي أياثلوغ، فقرأ عنده الأصلين والمعاني بمدرسة أغراس، ثم قرأ على المولى خضر بك، وحصَّل عنده كثيرًا وكان يكرمه إكرامًا عظيمًا لاستعداده، ثم أرسله إلى السلطان مراد خان وشهد له باستحقاقه فأعطاه المدرسة الأسدية ببروسا، فاشتغل هناك ست سنين وحفظ "شرح المواقف". ولما تسلطن السلطان محمد خان وشاع رغبته في العلم، جعله السلطان معلمًا لنفسه ونال جاهًا عظيمًا ، وتقرّب عنده إلى أن حسده الوزير فصيّره قاضيًا للعسكر سنة ٨٦٢ ، ثم إن السلطان أعطاه سلطانية بروسا بخمسين درهمًا وكان يفتخر بها فوق ما يفتخر بالقضاء والتعليم، فتباحث مع المولى زيرك في برهان التوحيد واستمرت المباحثة إلى سبعة أيام، ثم ظهر فضله وصار قاضيًا بأدرنة سنة ٨٧١ ثم بقسطنطينية سنة ٨٧٧ ثم قاضيًا بإزنيق مع تدريسه، يقال إنه صنّف "التهافت" حين صعد مع طلبته على الجبال لتبديل الهواء، وله "حاشية المواقف" كتبها بأمر السلطان بايزيد إلى مباحث الوجود، ورسالة في "باء البسملة"، و"حواشي شرح الهداية" لملّا زاده، و"حواشي التلويح"، و"شرح الطوالع". ينظر: حاجي خليفة: سلم الوصول إلى طبقات الفحول ص ٣٤٠/٣، وينظر: طاش كبرى زادة: الشقائق النعمانية في علماء الدولة العثمانية ص ١/ ٨٣.

[٢]- ملا زيرك (محمد) زيرك بالفارسية تعني: الفطن وهو عالم نحرير كان يشتغل بالتدريس في المدرسة المرادية، المرادية، ولما دخل الفاتح استانبول نقله إلى أخرى دار جدال بينه وبين خواجة زاده في حضرة السلطان الفاتح، فغضب عليه السلطان فأرجعه إلى بروسه، ثم رضي عنه بعد فترة واستقدمه إلى استانبول إلا أن نفسه عفت قدومه إليها. ينظر: دكتور/ حسين مجيب المصري: معجم الدولة العثمانية ص ١٣٩ الدار الثقافية للنشر ط الأولى ١٤٢٥هـ- ٢٠٠٤م.

[٣]- مصطفى رشيد باشا(١٢١٥هـ- ١٢٧٤هـ):سياسي عثماني شهير له قدرة كبيرة على حل المشكلات منذ صغره، ومساهمة في خدمة وطنه، تولى نظارة الخارجية، وعدة سفارات، وولاية أدرنة، أسس أول جريدة عثمانية، وأسس نظارة المعارف، ومجلس المعارف، وله إنجازات كبيرة في خدمة الدولة العثمانية. ينظر: جرجي زيدان: تراجم مشاهير الشرق في القرن التاسع عشر ج ١ ص ٢٤٧ ط الأولى ١٩٠٢م.

[٤]- أوغست كومت أو كونت(١٧٩٨م- ١٨٥٧م):فيلسوف فرنسي، مؤسس الوضعية، والمؤسس الحديث لعلم الاجتماع، تربى على الدين الكاثوليكي تأثر بسان سيمون فالتزم الفلسفة الوضعية التي ترفض الميتافيزيقا فلا تهتم بماهية الأشياء وأسبابها الأولى، ويرى أن الإنسانية مرت بثلاثة مراحل تطورية: الأولى:- المرحلة اللاهوتية: فسر الإنسان فيها الظواهر بفعل الإله أو الآلهة المتعددة .الثانية:- الميتافيزيقية: استبدلت العوامل الطبيعية بقوى مجردة هي هويات ميتافيزيقية يقر بها قبليا. الثالثة:- المرحلة الوضعية: يتخلى عما سبق ويكتفي بالبحث عن الأسباب المعقولة بمراقبة الظواهر والتجربة والتفكير والتحليل المنطقي. من مؤلفاته: التقويم الوضعي- بحث في العقل الوضعي- الوضعية على طريقة السؤال والجواب- محاضرات في الفلسفة الوضعية. ينظر: الأستاذ روني إيلي ألفا: موسوعة أعلام الفلسفة العرب والأجانب ج ٢ ص ٣٠١- ٣٠٣، ينظر: د/ عبد الرحمن بدوي: موسوعة الفلسفة ص ٣١٢.

[٥]- دور كهايم: فيلسوف اجتماعي ومن كبار مؤسسي مدرسة علم الاجتماع في فرنسا ولد ١٨٥٨م من أسرة يهودية بشرق فرنسا وتوفي ١٩١٧م في باريس بعد حصوله على الليسانس سافر إلى ألمانيا للدراسة ثم عاد وعين في مدرسة (تروا) ثم في جامعة (بوردو)وتوالت مؤلفاته منها: أصل الدين وطبيعته- العلم الاجتماعي- علم الأخلاق الوضعي في ألمانيا عين في السربون من عام ١٩٠٢ حتى وفاته ١٩١٧م، وتتلمذ عليه طه حسين وكان مشرفا على رسالته للدكتوراه(ابن خلدون وفلسفته الاجتماعية)، ولكنه توفي قبل المناقشة. يرى أن فكرة= =الله والخوارق ليست أمورا أساسية في الدين ويفضل الطوطم والطقوس البدائية .ينظر: د/ عبد الرحمن بدوي: موسوعة الفلسفة ج ١ ص ٤٨٠.

حساب العصر حينا، أو تراكضوا وراء الأحلام وحدها، أو اتخذت الأهواء والرغبات آلهة من دون الله، فتبدد في الحيرة والضياع ميراث ألف سنة من القيم الملية"[١].

ويأمل (كولن) في إقامة وتطوير نظامٍ فكريٍ وفلسفة ملية، تتغذى من مصادرنا الذاتية وذلك يتطلب - في نظره- قاعدة ووحدة فكرية راسخة تتمثل في وحدة المنطلق ووحدة الحس، ووحدة المنطق، ووحدة العقل والروح[٢] .

٤- المسائل أو القضايا التي بحثها كولن:

وقد تناول (كولن) القضايا والمشكلات الحديثة في العالم الإسلامي، ولم ينفصل عن العالم المعاصر، فتناول كثيرا من القضايا التي سبق وأن نادى بها الدكتور (حامد طاهر) وآخرون .

ومن ثم سيكون هذا الباب مقسما إلى عدة فصول:

الفصل الأول: المعرفة.

الفصل الثاني: الأخلاق.

الفصل الثالث : التصوف.

---

[١]- ونحن نقيم صرح الروح ص ١٢٤.
[٢]- ينظر: ونحن نقيم صرح الروح ص ١٢٤.

الفصل الأول

المبحث الأول: حقيقة المعرفة.

المبحث الثاني: مصادر المعرفة.

المبحث الثالث:

العلم والدين في فكر كولن.

الفصل الأول: المعرفة

تمهيد:

كانت الأبحاث الفكرية دائما لا تخلو - إن لم تبدأ- من مبحث المعرفة؛ إشارة لأهميتها ودورها في التأسيس لأي مجال، وكان ذلك واضحا في المباحث الكلامية القديمة التي عادة ما تبدأ بالنظر والمعارف كما عند القاضي (عبد الجبار) في المغني و عدد كبير من الأشاعرة مثل (الباقلاني) في التمهيد حيث قدم بابا في العلم وأقسامه، وكذا (الإيجي) في الموقف الأول،[١] والماتريدية كمقدمة كتاب التوحيد[٢] وتبصرة الأدلة في أصول الدين؛[٣] باعتبار النظر هو المقدمة الأولى للعلم أو الشرط والسبب في حصوله، وكذلك الاهتمام نفسه في المباحث الفلسفية حيث كان من مباحث الفلسفة الأساسية المعرفة إلى جانب مبحثي الوجود والقيم.

ومبحث المعرفة يبحث عن طبيعة المعرفة، ومصادرها، وإمكانها، وحدودها[٤].

والمعرفة هي أعلى وظيفة للإنسان في هذا الوجود، بل كان أول ما نزل في الكتاب هو الأمر بالقراءة كوسيلة وأداة للمعرفة چ ﭺ ﭻ ﭼ ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ چ[٥] وجعل القرآن الكريم التفاضل بين الناس بالعلم چ ﯧ ﯨ ﯩ ﯪ ﯫ ﯬ ﯭ ﯮ ﯯ ﯰ ﯱ ﯲ ﯳ ﯴ ﯵ ﯶ ﯷ ﯸ ﯹ ﯺ ﯻ ﯼ ﯽ ﯾ ﯿ چ[٦].

والقرآن مليء بالآيات التي تدعو إلى النظر، والتفكير، والفقه، والتدبر، والتعقل، والذكر، وقد امتثل المسلمون هذه الدعوة، فامتلأت الحياة الإسلامية بالعلوم والمعارف في شتى نواحي الحياة، فلم تكن للمسلمين عقدة تجاه أي فكر، فالإسلام يستطيع بقوته مقاومة أي انحراف بالحجة والبرهان[٧].

ومما يدل على تقدير الإسلام والمسلمين للمعرفة كذلك أنهم كانوا أسبق من بحثها واهتم بها: " فقد سبق علماؤنا من المتكلمين فلاسفة الغرب في محاولة لتناول نظرية المعرفة عموما بدراسة منفصلة عن مباحث الوجود، التي كانت المعرفة متفرقة في ثناياها حيث قدم علماؤنا الحديث عن العلم، والنظر، والمعرفة في أوائل كتبهم، وكانوا بذلك يؤكدون حقيقة أن المعرفة هي إحدى نظريات الاعتقاد، أو التصور، أو الفلسفة بوجه عام بجانب

١- السيد الشريف علي بن محمد الجرجاني : شرح المواقف لعضد الدين الإيجي ،ومعه حاشية السيالكوتي على شرح المواقف ص ٦٨ ..

٢- الإمام أبو منصور الماتريدي: كتاب التوحيد ص ٦٨ .

٣- أبي معين ميمون بن محمد النسفي : تبصرة الأدلة في اصول الدين ص ١٨ .

٤- زكي نجيب محمود : نظرية المعرفة ص ١٠ مطابع وزارة الإرشاد القومي ١٩٥٦م .

٥- سورة العلق الآية: ١.

٦- سورة الزمر الآية: ٩.

٧- ينظر: د/ راجح عبد الحميد الكردي : نظرية المعرفة بين القرآن والفلسفة ص ١٣- ١٤ مكتبة المؤيد- السعودية ط الأولى ١٤١٢هـ- ١٩٩٢م المعهد العالمي للفكر الإسلامي- الولايات المتحدة الأمريكية.

نظريتي الوجود والقيم، بل هي أحد فصول الوجود، وخادمة لمباحثه التي على رأسها مبحث معرفة الله سبحانه"[١].

ويعطي (كولن) أهمية كبيرة للمعرفة بأنواعها، ويحث دوما على الاهتمام بالتعليم ووضع المعلمين والارتقاء بهم؛ لأنهم من يبنون الأمة كلها، بل كان من أساسيات منهج (كولن) الذي سلكه وارتأه سبيلا لنهضة الأمة هو التعليم، ورفع الجهل، والتخلف عن كاهلها، والتزود بالمعارف المختلفة، ومواكبة العصر وعالم المعلومات.

ويرى أننا مقصرون تجاه البحث، وتجاه تراثنا العلمي والثقافي في مقابل اهتمام الأجانب به، فيقول: "بينما يقوم الأجانب بتدقيق كل شيء في بلدنا بدءا من سهولها وجبالها، والاستفادة من خزائننا في الفن والثقافة والعلم لا نقوم نحن بأي بحث في منابع تراثنا العلمي والثقافي أولا نستطيع قراءتها "[٢].

ويرى أن "كيان الأمة ووجودها، ومجدها متناسب تناسبا طرديا مع عمق الثقافة والفن الذي تمتلكه تلك الأمة، والأمة التي خلفت في مختلف أرجاء الأرض آثارا فنية تملك بعدد تلك الآثار ألسنة تقول: "أنا أيضا موجودة"[٣].

ويرى أن الرفعة والشرف بين الناس تكون بالعلم والعرفان لا بالغنى والمال؛ فذلك سهل أن يمتلكه أي وضيع وخسيس.

من ثم يعتبر (كولن) القراءة، والمطالعة، والمعرفة من أهم أغذية الروح، والحرمان منها حرمان خطير لا يمكن تلافيه[٤].

وسيكون هذا الفصل في عدة مباحث:

المبحث الأول: حقيقة المعرفة .

المبحث الثاني: مصادر المعرفة.

المبحث الثالث: العلم والدين في فكر كولن.

---

[١]- د/ راجح عبد الحميد الكردي : نظرية المعرفة بين القرآن والفلسفة ص ١٢ .
[٢]- كولن: الموازين ص ١٧٠.
[٣]- الموازين ص ١٧٠.
[٤]- ينظر: الموازين ص ١٧١.

المبحث الأول: حقيقة المعرفة

أولا: التعريف اللغوي:

١- عرفه معرفة وعرفانا وعِرفة :علمه[١].

٢- عرف الشيء عرفانا ومعرفة: أدركه بحاسة من حواسه.[٢].

٣- يدل على السكون والطمأنينة لأن من أنكر شيئا توحش منه ونبا عنه[٣].

أما معنى علم:

١- علمه علما عرفه، وعلم هو في نفسه[٤].

٢- علِم: تعلم – شعر – أتقن – خبر[٥].

إذن المعرفة ترادف العلم في الاستخدام اللغوي.

ثانيا :التعريف الاصطلاحي:

يرى بعض الباحثين أنه لم يرد في كلام الفلاسفة والمتكلمين تعريفا للمعرفة، بل كان كلامهم منصبا على بيان أنواع المعرفة أو درجاتها، والأشاعرة استخدموا كلمة علم بدلا من المعرفة، وقاموا بتعريف العلم وبيان أنواعه[٦].

ولكن عند مطالعة بعضٍ من كتب المتكلمين وجدت من يعرف العلم، ويبين أنواعه كالأشاعرة، ومنهم من سوى بين المعرفة والعلم وعرفهما تعريفا واحدا كالقاضي (عبد الجبار)، ومن الفلاسفة كذلك من سوى بين العلم والمعرفة، ولكن عرفهما بذكر الأنواع وبيانها كابن سينا وبيان ذلك كالآتي:

١- المعتزلة:

وأما حقيقة المعرفة عند المعتزلة، فيقول القاضي (عبد الجبار): "المعرفة والدراية والعلم نظائر، ومعناها: ما يقتضي سكون النفس، وثلج الصدر، وطمأنينة القلب"[١].

---

[١]- ينظر: محمد بن أبي بكر الرازي: مختار الصحاح باب(عرف) ج ١ ص ٢٠٦. الفيروز أبادي: القاموس المحيط ص ٧١٢ باب الفاء فصل العين. وينظر: ابن منظور: لسان العرب المجلد التاسع : ص ٢٣٦ باب الفاء فصل العين المهملة .

[٢]- ينظر: مجمع اللغة العربية: المعجم الوجيز ص ٤١٥– القاهرة ١٩٩٧م.

[٣]- ينظر: ابن فارس: مقاييس اللغة باب (عرف) ج ٤ ص ٢٨١.

[٤]- ينظر: القاموس المحيط ص ٩٧٣ باب الميم فصل العين .

[٥]- ينظر: جمال الدين ابن منظور : لسان العرب ص ٤١٧- ٤١٨ باب الميم فصل العين المهملة .

[٦]- ينظر: د/ محمود زيدان: نظرية المعرفة عند مفكري الإسلام وفلاسفة الغرب المعاصرين ص ١٨٣.مكتبة المتنبي ١٤٣٣هـ- ٢٠١٢م.

و قسم القاضي (عبد الجبار) العلم ثلاثة أقسام:

الأول: علم ضروري: يحصل فينا لا من قبلنا، ولا يمكننا نفيه عن النفس بوجه من الوجوه.

الثاني: علم مشاهدة: عن طريق الإدراك بالحواس، والأغلب بحاسة البصر.

الثالث: علم اكتسابي: بالنظر والاستدلال كمعرفة الله[٢].

إذن لا فرق بين المعرفة والعلم عند المعتزلة.

٢- الأشاعرة:

أ- مما جاء في تعريف العلم قول (الباقلاني): معرفة المعلوم على ما هو به[٣]وهو نفس اختيار الإمام (الجويني) أيضا[٤] .

وقسم (الباقلاني) العلوم إلى قسمين: علم قديم وهو علم الله تعالى، وعلم محدث وهو كل ما يعلم به المخلوقون، وينقسم إلى قسمين:

الأول: علم ضرورة: وهو علم يلزم نفس المخلوق لزوما لا يمكنه منه الخروج عنه ولا الانفكاك منه، ولا يتهيأ له الشك في متعلقه، ولا الارتياب به.

الثاني: علم نظر واستدلال: وهو علم يقع بعقب استدلال وتفكر في حال المنظور فيه. [٥]

ب- تعريف الآمدي للعلم: "عبارة عن صفة يحصل بها لنفس المتصف تمييز حقيقة ما، غير محسوسة في النفس - احترازا من المحسوسات- حصل عليها حصولا لا يتطرق إليه احتمال كونه على غير الوجه الذي حصل عليه"[٦].

إذن استعاض الأشاعرة عن لفظ المعرفة بالعلم أيضا.

واتفقوا كذلك على كون العلم اعتقادا جازما مطابقا للواقع، رغم تعدد التعريفات التي أوردوها.

٣- الماتريدية:

بعد نقد (النسفي) لتعريفات المعتزلة والأشاعرة للعلم اختار أن حقيقة العلم:

---

[١]- القاضي عبد الجبار بن أحمد : شرح الأصول الخمسة ص ٤٦ حققه وقدم له: د عبد الكريم عثمان .
٢- ينظر: شرح الأصول الخمسة ص ٤٨- ٥٣.
٣- القاضي أبي بكر محمد بن الطيب الباقلاني : كتاب التمهيد ص ٦ .
٤- إمام الحرمين الجويني :الإرشاد إلى قواطع الأدلة في أصول الاعتقاد ص ١٢ .
٥- ينظر: القاضي أبي بكر الباقلاني : كتاب التمهيد ص ٧- ٩.
٦- سيف الدين الآمدي : أبكار الأفكار في أصول الدين ج ١ ص ٧٨ تحقيق: أ د/ أحمد محمد المهدي، مطبعة دار الكتب والوثائق القومية- القاهرة، ط: الثانية ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٤م .

" أنه يوجب كون من قام به عالما، أو هو الوصف الذي من قام به كان عالما "، أو "العلم صفة ينتفي بها عن الحي الجهل والشك، والظن، والسهو "، أو "العلم صفة يتجلى بها لمن قامت هي به"[١].

واستخدم الماتريدية لفظ العلم أيضا دون المعرفة كالأشاعرة والمعتزلة.

٤- فلاسفة الإسلام:

العلم عند الفلاسفة الإسلاميين: "حصول صورة الشيء في العقل"[٢].

ويبدو أن العلم والمعرفة مترادفان عندهم فمثلا:

لا يفرق (ابن سينا) بين العلم والمعرفة، ويعرفهما بذكر أنواعهما، أو درجاتهما فيقول: "كل معرفة وعلم فإما تصور وإما تصديق، والتصور: هو العلم الأول ويكتسب بالحد وما يجري مجراه مثل تصورنا ماهية الإنسان، والتصديق: إنما يكتسب بالقياس، أو ما يجري مجراه مثل تصديقنا بأن للكل مبدأ"[٣].

إذن المعرفة عند الفلاسفة عقلية.

٥- المعرفة عند الصوفية:

هناك من رأى أنها ترادف العلم وهناك من فرق بينهما.

فالمعرفة ترادف العلم عند (القشيري)، ويعرفها بالقول: "صفة من عرف الحق سبحانه بأسمائه وصفاته، ثم صدق الله تعالى في معاملاته، ثم تنقى عن أخلاقه الرديئة وآفاته، ثم طال بالباب وقوفه ودام بالقلب اعتكافه، فحظي من الله تعالى بجميل إقباله، وصدق الله تعالى في جميع أحواله، وانقطع عنه هواجس نفسه، ولم يصغ بقلبه إلى خاطر يدعوه إلى غيره، فإذا صار من الخلق أجنبيا، ومن آفات نفسه بريا، ومن المساكنات والملاحظات نقيا، ودام في السر مع الله تعالى مناجاته وحق هناك في كل لحظة إليه رجوعه، و صار محدثا من قبل الحق سبحانه بتعريف أسراره فيما يجريه من تصاريف أقداره يسمى عند ذلك عارفا، وتسمى حالته معرفة"[٤].

إذن العارف هو العارف بالله، المستقيمة أحواله وأخلاقه مع الله، المفارق الناس والأهواء، ومن وراء هذا الإقبال يصير محدثا من قبل الله، وهو ما يسمى بالكشف.

وأما (ابن قيم الجوزية)، فيفرق بين المعرفة والعلم من وجوه ثلاثة:

أحدها: أن المعرفة لب العلم ونسبة العلم إليها كنسبة الإيمان إلى الإحسان، وهي علم خاص متعلقه أخفى من متعلق العلم وأدق.

١- النسفي: تبصرة الأدلة ص ١٨ – ١٩.
٢- الشريف الجرجاني : التعريفات المجلد الأول ص ١٥٥ ..
٣- ابن سينا: النجاة القسم الأول في المنطق ص ٣ مكتبة المصطفى .
٤- أبو القاسم محمد بن عبد الكريم بن هوازن القشيري : الرسالة القشيرية ص ٤١٧ .

الثاني: المعرفة هي العلم الذي يراعيه صاحبه بموجبه ومقتضاه، فهي علم تتصل به الرعاية .

الثالث: المعرفة شاهد لنفسها وهي بمنزلة الأمور الوجدانية التي لا يمكن لصاحبها أن يشكك فيها، ويرى أن كشف المعرفة أتم من كشف العلم[١].

فالمعرفة عند الصوفية إلهام بالبصيرة والكشف أو الحدس؛ ولذا كل نطق بما وقع له وأشار إلى ما وجده كما يقول (القشيري) تعليقا على التعريفات الكثيرة لمشايخ الصوفية للمعرفة.

٦- رأي فتح الله كولن:

يعطي (كولن) أهمية كبيرة للمعرفة والعلم. وورد عنه عدة تعريفات للعلم خاصة، منها :

أ- "العلاقة القائمة بين الإنسان والوجود، واستكشافه إياها، وإدراكه لها"[٢].

وهذا التعريف أساس لنظرية الكون التي ألمحنا إليها عند الحديث عن معرفة الله عند (كولن)، ويقصد بها أن هناك علاقة وارتباطا بين الكون والإنسان، فكلاهما من خلق الله ولمكانة الإنسان ومركزه في الوجود جعل خليفة فيه ووكل بعمارته، والبحث فيه واستكشاف أسراره وعلومه، وكل ذلك أساسٌ للعلم الحديث، وهذه النظرة الكونية ترتبط بنظرية المعرفة ارتباطا وثيقا فحيثما كان الإنسان والوجود من خلق الله فالله هو مصدر المعرفة أيضا كما هو مصدر الخلق مع الاعتداد بما يحصله الإنسان عن طريق الحواس والعقل والقلب فتلك وسائط من خلق الله .

ب- "تنظيم المعلومات المنفردة المستحصلة على طاولة الأشياء والحوادث، وضبطها وفقا لقواعد معينة"[٣].

ج- "هو النظام الذي يتناول الأشياء الداخلة في ساحة الحواس، والتي يمكن تجربتها"[٤].

والناظر للتعريفات يدرك تقاربها في المعنى، فتنصب جهود العلم في البحث في الوجود كله من أشياء وحوادث، ويعتمد على الحواس والتجربة والاستقراء للتأكد منها، وإقرارها كنظريات علمية.

وبناء على ما سبق يتفق (كولن) مع التعريفات السابقة في العلم الاكتسابي و المشاهدة الذي يعتمد على العقل والحس، ويتميز في ربطه بين الوجود والمعرفة فطالما الوجود مصدره الله فكذا المعرفة تستقى من نفس المنبع الإلهي.

---

[١]- أبو بكر بن أيوب ابن قيم الجوزية : مدارج السالكين المجلد الثاني: ص ١٧٣، تحقيق: عبد الله المنشاوي، دار المنار للنشر والتوزيع، ط الأولى ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٣م.

[٢]- سلسلة العصر والجيل ٦ص ١٨٥ نقلا عن فتح الله كولن ومقومات مشروعه الحضاري ص ٢٩٢

[٣]- علي أونال: فتح الله كولن ومقومات مشروعه الحضاري ص ٢٩٧. ترجمة: عبدالرازق أحمد محمد، دار النيل، ط الأولى ٢٠١٥م.

٤- علي أونال: فتح الله كولن ومشروعه الحضاري ص ٢٩٨..

إذن :هناك من سوى بين المعرفة والعلم كما رأينا، وهناك من فرق بينهما ومما جاء في الفرق بينهما أيضا:

أ- أن المعرفة إدراك الجزئي، والعلم إدراك الكلي.

ب- المعرفة تستعمل في التصورات، والعلم في التصديقات [١].

ج- المعرفة مسبوقة بجهل بخلاف العلم؛ ولذلك يسمى الحق تعالى بالعالم دون العارف[٢].

د- المعرفة أخص بالمحسوسات، أو بما يحصل من إدراك الحواس لملامح أو أمارات تبدو على الوجوه، وكذلك فعل الفاعل وصنعه الذي يدل على وجوده وإن كان لا يعرفنا حقيقته أو هويته، أما لفظ العلم فهو يطلق على ما يعلمه الإنسان بالعقل[٣].

١- د/ جميل صليبا : المعجم الفلسفي ج ٢ ص ٣٩٢ دار الكتاب اللبناني بيروت – لبنان ١٩٨٢م.
٢- الشريف الجرجاني: التعريفات ص ٢٢١.
٣- ينظر: أعمال غير منشورة محمد عبد الهادي أبو ريدة الجزء الأول الفلسفة الإسلامية وبعض قضايا الفلسفة ص ٦٩تحقيق: د فيصل بدير عون . الهيئة المصرية العامة للكتاب ٢٠١١م .

المبحث الثاني: مصادر المعرفة

تعددت مصادر المعرفة حسب رؤى كل مدرسة فكرية، فوسيلة المعرفة عند التجريبيين[١] هي الحواس، ووسيلتها عند العقليين هي العقل،[٢] وعند النقديين[٣] الحواس والعقل معا، أما المتصوفة فالحدس أو العيان المباشر أو البصيرة[٤].

ويتفق فلاسفة الإسلام والمتكلمون على أن مصدر المعرفة والعلم الحق هو التعليم الإلهي "الوحي" مع اعتبار وتقدير وسائل المعرفة الأخرى المكتسبة من الحواس والعقل، أما المعرفة عند الصوفية فهي بالكشف أو الإلهام عن طريق سلوك طريق الرياضة وتزكية النفس[٥].

وهي نظرة القرآن الكريم قبل كل شيء، فهو يقرر أن مصدر المعرفة هو الله تعالى، وأما وسائل المعرفة وطرقها، فهي العقل والحس والقلب والوحي[٦].

وأرى أن (كولن) متفق مع كل الإسلاميين في أن وسائل المعرفة ليست جانبا واحدا، فهو يبغي التوازن والتكامل؛ ولذا يراها في العقل، والقلب، والحس، والوحي معا، وهذه معا تحقق التوازن المطلوب في العالم الإسلامي[٧].

ويرى (كولن) كذلك أن هناك ثلاثة أصول للروح الإسلامية، وإهمال أي من هذه الأصول يؤدي إلى شلل القوى المحركة للأصلين الآخرين، وهي: "الحفاظ على التوازن بين المادة والمعنى، والجسد والروح، والدنيا والعقبى، والطبيعة، وما وراء الطبيعة، ففي عالم أهمل

---

[١]- المذهب التجريبي: يرى أن المعرفة بجميع أنواعها تعتمد على التجربة، أي أن الإحساس هو الأداة الوحيدة لتحصيل المعرفة، فقبل التجربة ليس هناك علم، والعقل صفحة بيضاء يسجل معلوماته من دراسة الظواهر في مجال التجربة؛ ولذا رفضوا الأفكار الفطرية والمبادئ العقلية والقواعد الخلقية التي لا تجيء اكتسابا .من أهم أعلامه: فرنسيس بيكون- جون لوك- ديفيد هيوم. ينظر: ا د/ أحمد السيد علي رمضان: الفلسفة الحديثة عرض ونقد ص ٦٨ مكتبة الإيمان- المنصورة .ينظر الموسوعة الفلسفية المختصرة ص ٥٣٨، نقلها عن الانجليزية: فؤاد كامل- جلال العشري- عبد الرشيد الصادق، راجعها وأضاف شخصيات إسلامية: الدكتور/ زكي نجيب محمود دار القلم- بيروت - لبنان.

[٢]- المذهب العقلي: يرى أن العقل هو الأداة الوحيدة للمعرفة المزودة بالمقدرة على تحصيل الحقيقة المطلقة وأن هذا العقل يتطابق مع الأشياء فيحصل منه على معرفة يقينية وأهم أعلامه: ديكارت- اسبينوزا- مالبرانش- ليبنتز- كانط. ينظر: الفلسفة الحديثة عرض ونقد ص ١١٢.

[٣]- الفلسفة النقدية: هي تأليف من النزعة العقلية والتجريبية؛ وذلك لأن كلتا النزعتين قدمت تفسيرا مشوها من جانب واحد لبناء المعرفة الإنسانية، فالعلم نتيجة اجتماع عاملين: صوري يرجع إلى طبيعة العقل ذاته والآخر مادي يتكون من الإحساسات الداخلية في الإدراكات الحسية، ويعتبر (كانط) هو أبرز رموزها .ينظر: د/ محمد السيد رمضان: الفلسفة الحديثة عرض ونقد ص ٣٠٨.

[٤]- ينظر: زكي نجيب محمود: نظرية المعرفة ص ٩٤.

[٥]- ينظر: أعمال غير منشورة/ محمد عبد الهادي أبو ريدة الفلسفة الإسلامية وبعض قضايا الفلسفة ص ١٠٥- ١١٠ .

[٦]- د/ راجح الكردي: نظرية المعرفة بين القرآن والفلسفة ص ٧٠- ٧٢.

[٧]- ينظر فتح الله كولن: سلسلة العصر والجيل-٦ص ١٨٥ نقلا عن علي أونال : فتح الله كولن ومقومات مشروعه الحضاري ص ٢٩٢.

فيه العقل، وجنب القلب، وأخمدت نار حب الحقيقة، وانطفأ لهب الشوق للمعرفة لا يمكن الحديث عن النخبة والمفكرين"[١].

ويقول أيضا في ذات الغرض: "إن العقل، والقلب، والفكر، وأحاسيس الإنسان، وكذا الوحي، بكل ثمراتها، وأمور أخرى غيرها لها جميعا في نظامنا الفكري أهمية بالغة وكأنها وحدة متنوعة لشيء واحد"[٢].

ويتحدث عن هذا التوازن، وكيف مُيز الإسلام عن غيره، فيقول: "إن هذا النظام أوسع وأرحب من غيره من حيث سعة المساحة التي استقر عليها؛ لأن الإسلام رعى دائما هذا الانفتاح والسعة في رسائله وتبليغاته إلى الإنسانية، فإنه إذا أقام مناسباته مع المخاطبين والمنتسبين إليه اتخذ في إطار مرجعية العقل سبيل حوار فكري البعد، متلون بالمشاعر مستندا إلى الوحي، ورحيب بالإلهام، وبنى أحكامه على أسس تربط بين الإنسان، والوجود، والخالق، متينة وملائمة للمحكمات القرآنية، ومعقولة، ومنطقية إن هذه المناسبة التي أسسها الإسلام على ضوء القرآن لهي الأشد قوة، والأفضل توافقا مع الحس الإنساني، والأقرب إلى محاكمته الفكرية، حتى إننا لا نجد في نظام قبله ولا بعده مثيلا له في رعاية التوازن بين العقل والقلب والروح"[٣].

ولذا ينتقد (كولن) من يؤثر جانب من هذا الجوانب ويرتضيه مصدرا للمعرفة، ويهجر سائرها، فمثلا نجده ينتقد المفكرين الذين يعتقدون أن الوجود مصدره الفكر- يقصد بهم المثاليون[٤]- فيقول: "فهناك من يسمون مفكرين يعتقدون أن الوجود مصدره الفكر ويعطون الأولوية للعقل دون الحدس والشعور والإرادة، ففقدهم لا يعد خسارة إنما نعده خسارة هو فقد أولئك الذين يتمتعون بدراية لوجودهم ويقدرون على قراءة الوجود، وفهمه بشكل صحيح"[٥].

ويرى (كولن) أنه ينبغي إقامة جسر بين العقل والقلب؛ لتأمين التناغم والتلاؤم، وإلا فإن الإنسانية ستستمر في النزاع والخصام إلى الأبد كما قاست في الماضي من جراء هذا الانفصال[٦].

وسنعرض كلام (كولن) عن مصادر المعرفة بصورة إجمالية:

أولا: الوحي:

الوحي مصدر مهم للمعرفة في أمور الاعتقاد والتشريع وغيرهما، ولا يقلل ذلك من قيمة العقل والحس، ولكن دورهما وميدانهما لا يتجاوز عالم الشهادة، أما الوحي فهو

---

[١]- حوار مع فتح الله كولن من كتاب السلام والتسامح ص ١٣٦.
[٢]- ونحن نبني حضارتنا ص ١٠٥.
[٣]- السابق.
[٤]- المثالية: غالبا تقال في مقابل الواقعية، والمثالي كل ما ينتسب إلى الفكرة، وتقال كذلك على المثالية النظرية أو الفلسفية التي تقابل الواقعية النظرية وتقوم في رد الواقع إلى أفكار أو تقرر أن معرفتنا تنحصر في الأفكار دون الأشياء. د/ عبد الرحمن بدوي: موسوعة الفلسفة ج٢ ص ٤٤٠.
[٥]- حوار مع فتح الله كولن من كتاب السلام والتسامح ص ١٣٥.
[٦]- كولن: ترانيم روح وأشجان قلب ص ١٤ .

الذي يختص بعالم الغيب[١].

و(كولن) في كثير من كتاباته يؤكد على مرجعية الوحي كأخص مصدر يميز الفكر الإسلامي عن غيره، فيقول: "ومن خصوصيات نظام الفكر الإسلامي اعتماده على مرجعية الكتاب والسنة أكثر من سائر مصادر العلم والمعرفة، فهو بهذا الوجه يتميز عن التنظيمات الدينية، والتيارات الفلسفية كلها، فالإسلام منذ ظهوره باعد بينه وبين الميراث القديم، والتنظيمات المتنوعة التي تظهر بصورة الدين وأراد أن يبقي بكيانه وذاتيته ومع أنه وقر ما هو غير محرف ومبدل منها وسماها (شرع من قبلنا) لكنه بقى في الأصل مستمدا من المصادر الأساسية التي تعتبر المنهل العذب المورود"[٢].

ثانيا: الحواس:

وقد اعتد الفلاسفة التجريبيون بالحواس، وقصروا طرق المعرفة عليها و(كولن) وإن كان يقدر أهمية الحواس في تحصيل المعارف، ولكنها ليست بمعزل عن الروح والعقل والوحي[٣] كما سبقت الإشارة.

إضافة إلى أن هناك ملكات نفسية تتجاوز ما تألفه الحواس، وقد اعتد بها عدد من العلماء لوقوعها ومشاهدتها، ولذلك لا يملكون القطع باستحالتها مثل التلباثي(الشعور عن بعد، أو تراسل الأفكار، أو البصر المغناطيسي)، والتنويم المغناطيسي، والاطلاع على المستقبل[٤].

ومن ثم فإن الموجودات أعم بكثير من المحسوسات، فيقول (العقاد) بعد القول بعدم إنكارها؛ لأنها أصبحت في دائرة الأبحاث العلمية الخاضعة للملاحظة والتجريب: "وستظل هذه الظواهر تفصيلا يجوز الشك فيه لقاعدة مقررة لا يجوز الشك فيها: ونعني بالقاعدة المقررة أن الموجودات أعم من المحسوسات، فهناك موجودات أكثر مما نحس، بل هناك موجودات قابلة للإحاطة بها من طريق الإحساس أكثر مما نحسه الآن بالآلات، ووسائل التقريب والتضخيم"[٥] .

وقد تحدث (كولن) عن بعض هذه الظواهر مثل التلباثي، والتنويم المغناطيسي[٦] ورآها من وسائل المعرفة التي انتشرت في العالم، ووافق (العقاد) في عدم القطع باستحالتها دون دليل أو بحث.

١- ينظر: د/ راجح الكردي: نظرية المعرفة بين القرآن والفلسفة ص ٧١١.

٢- كولن: ونحن نبني حضارتنا ص ١١٠.

٣- ينظر: كولن: سلسلة العصر والجيل-٦ص ١٨٥ نقلا عن علي أونال: فتح الله كولن ومقومات مشروعه الحضاري ص ٢٩٢ ترجمة: عبدالرازق أحمد محمد دار النيل ط الأولى ٢٠١٥م.

٤- ينظر: عباس محمود العقاد : الله ص ٢٦- ٣٠ ، مكتبة نهضة مصر ط الرابعة أغسطس ٢٠٠٥م.وينظر: محمود عبد الحكيم عتمان: الفكر المادي الحديث وموقف الإسلام منه ص ٥٠٩- ٥١٥ ،مكتبة الأنجلو المصرية.

٥- عباس محمود العقاد :الله ص ٣٠ .

٦- تكلمت عن تلك الظواهر سابقا في فصل السمعيات من الباب الأول .

ثالثا: العقل:

يعتبر العقل عند المثاليين وسيلة المعرفة دون غيره، ويعتبر عند فلاسفة الإسلام الجانب المدرك الذي تقوم عليه المعرفة مع طرق أخرى كالوحي، والحس، والبصيرة[١].

ويقيد (كولن) العقل بالعقل السليم، ويرى أن وظيفته إدراك الأشياء، وتقييمها بحالتها الأولى المجردة دون اتخاذ موقفٍ مسبقٍ تجاه أي شيء[٢].

فهو يريد الحكم على أي شيء، متحررا من الأهواء والرغبات والمعتقدات .

ويشيد (كولن) كثيرا بقيمة العقل وأهميته، ويركز على العقل كمناط للتكليف، وكعنصر أساسي للتفكر والمنطق، وكمميز أساسي للإنسان عن غيره .

وسأحاول أن أعرض وجهة نظره تلك من خلال أحد مقالاته، وهو (المعقولية ووجهان للعقل)كالتالي:

١- تعريف العقل:

ففي تعريفه للعقل يقول كولن: "العقل جوهر مجرد عن المادة، لكنه ملاصق لها، وامتداد نوراني للغيب في عالم الشهادة[٣].

وهو لا يخرج عن تعريفات الإسلاميين التي تصب في كون العقل جوهرا روحانيا وليس ماديا[٤].

وقال أيضا: "هو مركز حراسة الروح باعتباره موجها للإنسان إلى التفكر، والإدراك، والفهم، ومانعا له عن القبائح، وحاثا له على المحاسن "، وكذا تهتم به الفلسفة اهتماما كبيرا، وكذا علم الكلام يربط به كثيرا من مسائل أصول الدين[٥].

وذكر (كولن) عدة تسميات للعقل مثل:

أ- النفس الناطقة ، والأنا، وهو متأثر بالفلاسفة اليونان كما فعل الفلاسفة المسلمون في تلك التسميات.

ب- اسم من أسماء جبريل عليه السلام(عند الصوفية)، ويعرفه الصوفية: أنه جوهر إنساني يسمونه: العقل الجزئي أو العقل المجازي، وإذا تعلق بالأمور الآخروية

---

[١]- ينظر: د/ راجح الكردي: نظرية المعرفة بين القرآن والفلسفة ص ٣٦٣.
[٢]- علي أونال: فتح الله كولن ومقومات مشروعه الحضاري ص ٢٩٢.
[٣]- ونحن نبني حضارتنا ص ٦٢.
[٤]- ينظر: الجرجاني: التعريفات ص ١٥١- ١٥٢.
[٥]- ينظر: ونحن نبني حضارتنا ص ٦٢.

يسمى(عقل المعاد)، أو يقسمه الصوفية باعتباره خيرا، أو شرا، أو مفيدا، أو ضارا إلى: العقل السماوي والعقل الترابي.

٢- العقل في إطار وظائفه:

يتابع (كولن) النورسي في نفس الفكرة تماما، وما يفعله هو شرح لما قدمه النورسي سابقا، فيرى أن العقل: إما العقل المنشئ(المكون) الذي يتكاتف مع الوحي والإلهام والوجدان، وإما ضده، وهو العقل الضيق غير الملتفت إلى النواحي الروحية المنسلخ من العلائق السماوية نافيا عن تعرضه في هذا البحث لفرضيات العقل النظري والعقل العملي من مقترب (كانط)[١] أو العقل المنشئ والعقل المنشأ[٢] في ملاحظات (لالاند)[٣].

وهو ما ينم عن معرفة وثيقة بالفلسفة الحديثة والمعاصرة إلى الحد الذي يتيح له تقديم رؤية نقدية لاثنين من أعلامها، بل ويفضل عليها رؤية النورسي.

فهو يرى تبعا للنورسي ومفكرين مسلمين لم يسمهم أن العقل عين تقرأ كتاب الكائنات، وأذن داخلية منفتحة على اهتزازات واسعة و متنوعة، يربط المعاني المختلفة بإدراك شامل ومحيط، يتفحص الوجود كله ليكشف باطنه، ويكشف ما بعد الوجود[٤].

وأهم وظيفة للعقل هي اضطلاعه بمهمة التكليف فقال: "الإنسان بالعقل يقوم ما يراه بالعين ويسمعه بالأذن، فيصل إلى حكم، وبدلالته يسيح خلف أستار الوجود، بل يرتقي به إلى مقام مخاطبة الله(جل وعلا)، ويتأهل لحمل بعض مسؤولياته"[٥].

ومقصده أن العقل هو مناط التكليف للإنسان، والذي عن طريقه يتحمل تكاليف العبادة، والمعاملة، وكافة أحكام الإسلام .

وأشار (كولن) إلى إمكان الجمع بين العقل، والوحي في القواسم المشتركة، فيقول: "ففي الخير والأمور الحسنة يجمع العقل منطقنا، وتفكيرنا، مع الثراء الواسع للوحي والإلهام، ويصير مرجعا للنداءات الواردة من الماورائيات، أما في الشر والقبائح فيورد التفسير

---

[١]- العقل الإنساني عند (كانط)يشتمل على قانونين تعتمد إحداهما في تحصيل المعارف على الحس والتجربة، ويسميها (العقل العملي)، بينما تعتمد ثانيتهما على أفكار غير مكتسبة وقوانين فطرت عليها نفوسنا، ومتأصلة فينا، ويسميها (العقل النظري).ينظر د أحمد السيد علي رمضان : الفلسفة الحديثة عرض ونقد ص ٣٣٠.

[٢]- العقل عند لالاند: إما مكوِّن أو متكون، والمكون كالروح في الحقيقة فهو نزوع إلى الماهية ، بينما المتكون عقل عملي مكتسب وهو أقل ثباتا وأقل تماسكا والأول أفضل لأن الذات أفضل من الغير كما يقول. ينظر: لالاند: موسوعة لالاند المجلد الثالث ص ١١٦٨ .

[٣]- لالاند: صاحب المعجم الفلسفي المشهور فيلسوف وباحث في علم المناهج فرنسي، ولد ١٨٦٧م، وقد تولى تدريس الفلسفة في الجامعة المصرية على فترتين الأولى ١٩٢٦- ١٩٢٨م والثانية: ١٩٣٧- ١٩٤٠م، وكان يدرس مناهج البحث، وقد أشرف على رسالة الماجستير للدكتور/عبد الرحمن بدوي. كان من أشد خصوم مذهب التطور، ورد عليه في رسالته للدكتوراه التي طبعت فيما بعد تحت عنوان(الأوهام التطورية)، كان عضوا في معهد فرنسا(أكاديمية العلوم الأخلاقية والسياسية)، توفي ١٩٦٣م.ينظر: د/ عبد الرحمن بدوي: موسوعة الفلسفة ج ٢ ص ٣٤٥.

[٤]- ينظر: كولن: ونحن نبني حضارتنا ص ٦٣.

[٥]- كولن: ونحن نبني حضارتنا ص ٦٣.

المنطقي للحدود الإلهية، ويكبح جماح الرغبات المتفلتة للنفس، ويضع استراتيجيات ضد هجماتها، وفوق هذا يمنحنا خططا للتفلت من شباك الشيطان المختلفة، ويضرب على أهوائنا، ورغباتنا الجسمانية، قيودا وسلاسل مصنوعة من أفكار منصهرة في بوتقة المحاسبة والمراقبة ...فكأنه شرطي حارس أو موظف رقيب يحفظ القيم الإنسانية، وبدهي أن هذه من خصائص العقل السماوي أو عقل المعاد، ولا تمت إلى العقل الترابي أو عقل المعاش بصلة"[١].

٣- المعقول وغير المعقول:

أ- هناك في نظام التفكير الإسلامي عاقل وغير عاقل، وطبيعة وخلق، وأسباب وقدرة خالقة فوق الأسباب، هناك توحيد وشرك فكل من يربط الحوادث والأشياء بالخالق، ويدور في فلك التوحيد فهو في دائرة المعقول، وأما من يربطها بالأسباب أو الطبيعة أو الصدفة فهو يدور في فلك الشرك أو الإلحاد، وكلاهما ضمن دائرة غير المعقول.

هذا ما يريد (كولن) باختصار أن يقوله ضمن مقاله هذا، وهو هنا -أيضا- مقتفٍ أثر النورسي، ومتأثر بنفس فكرته، أو شارحا لها.

ب- ويؤكد - متابعا للنورسي- أن القرآن يدعونا دوما إلى المحاكمة العقلية والمنطقية كما في إثبات الوحدانية في قوله: چ ۋ ۋ ۅ ۅ ۉ ۉ ې ې ې ې ى ى ئا ئا ئه چ [٢]وكذا في جميع المسائل التي يتناولها ما عدا الأوامر التعبدية يدعو إلى العقل والمنطق، ولا يترك في توجيهاته ثغرات عقلية، أو قلبية، أو روحية.

ج- ومتى ما أهمل العقل والتفكير وقعت البشرية في مهاوي غير المعقول فجعلوا (زرادشت) أو (عزيرا) أو (المسيح) ابناء لله، ووقعوا في انحرافات مثل: (ثالث ثلاثة) وجمدوا على موروثات الآباء، أو عبدوا النور والظلمة كالمجوس، أو الشمس والقمر فكلما بعد الناس عن المعقول الواحد سقطوا في براثن الكثرة غير المعقولة[٣].

فالمعقول وغير المعقول يتحول في مفهوم (كولن)، إلى تعبير عن التوحيد والشرك، عن الإيمان والجمود على الموروث؛ ولذا دعا إلى اتباع طريق الأنبياء، ونبذ التقليد، و التفكر بقراءة كتاب الكون، واستشراف آفاقه، وعرض (كولن) لدعوة القرآن للتفكر في الكون من خلال آياته، فهو أكبر أنموذج للمعقولية كما يقول: "فهو مع حثه على استطلاع كتاب الكائنات أنموذج بمتانة تقديمه للقضايا الكبرى، وإثراء الفكر بمحتواه، وإحاطة رسالته، وسحر ألفاظه، وتأثير أسلوبه، ووقع صدقيته نعم إن مستند القرآن هو الوحي لكن طريقه لا يغادر فلك العقل، فهو يطرق باب المخاطبين مسجلا ومثبتا كل معانيه ومفاهيمه لدى العقل والمنطق، والتفكير، ويمضي إلى القلوب بأسلوب يحفز الانتباه، وينطق كابحا اعتراض العقل والحس والشعور، ويروض المتتلمذين عليه دوما بالمعقولية"[٤].

---

[١]- ونحن نبني حضارتنا ص ٦٤.
[٢]- سورة الأنبياء الآية: ٢٢.
[٣]- ينظر: ونحن نبني حضارتنا ص ٦٤- ٦٨.
[٤]- ونحن نبني حضارتنا ص ٧٣.

وبعد هذه الجولة في المعقول واللامعقول يمكن رد فكرة (كولن) إلى أمرين:

الأمر الأول: المعقول رد كل شيء إلى الله، وغير المعقول خلافه:

"المعقول هو قراءة الوجود والأشياء والتفكير بها وتقويمها، ومن بعد التقويم ربطها بوشائج الإيمان، والمعرفة، والخالق، واللامعقول: هو إسناد كل شيء من الأشياء وكل حادثة من الحوادث إلى الأسباب المختلفة، أو الطبيعة، أو أمور أخرى، المعقول: هو استغناء الخالق وجودا وتوحيدا عن الشريك، والنظير، والمعين، وغير المعقول: هو فكر الشرك والإلحاد بصوره وأشكاله"[١].

الأمر الثاني: أهمية العقل:

١-"العقل يعني الفهم، والإدراك، واستجماع الفكر، وهو بهذا المعنى وسيلة مهمة لتفهم الأمور الداخلة ضمن تعريفه، ومن المقومات الحيوية للروح، فبالعقل نفهم ما نفهم، وبه نعلم ما نعلم، ونقوم، ونستنبط الحاصل والناتج، وضده الحمق والغباء"[٢].

٢- العقل السماوي وثاقٌ توثق به الرغبات الجسمانية، والرغبات النفسية، فالعقل بهذا المعنى قفل حديدي لحفظ القيم الإنسانية، ومفتاح سحري للسعادة البشرية[٣].

من هنا يظهر تقدير (كولن) الشديد للعقل كمصدر من مصادر المعرفة، ويبدو واضحا أنه في مقاله عن المعقول واللامعقول يعد شارحا لوجهة نظر (النورسي)، وللحقيقة فهو لا يخفي أن تلك أفكار (النورسي) التي يستضيء بها في أغلب توجهاته.

رابعا: البصيرة :

تعتبر البصيرة هي مصدر المعرفة عند الصوفية؛ إذ المعرفة عندهم إلهامية ولا اعتبار للحواس والعقول؛ لأن الذي يستطيع أن يقبس - كما يقولون- من منهل رباني بعد أن يعد نفسه بالرياضة العملية والعبادة كيف يذهب لمعرفة الحس والعقل المحكوم عليهما بالعجز والمحدودية والظنية[٤].

ويعبر عنها أحيانا بالبصيرة، والإلهام، والقلب، والوجدان، والحدس، وتتضمن الفراسة، وتأويل الأحاديث كذلك.

وقد اعتد (كولن) بهذا المصدر، وبوجوب اعتباره من مصادر المعرفة مع غيره من المصادر، وأعطاه قيمة كبيرة في سائر كتاباته؛ لأنه ينحى منحا صوفيا في سائر أحواله إلى الحد الذي اعتبره بعضهم صوفيا.

---

[١]- ونحن نبني حضارتنا ص ٧٣.
[٢]- السابق ص ٧٤.
[٣]- السابق ص ٧٤.
[٤]- ينظر: نظرية المعرفة بين القرآن والفلسفة ص ٦٧٢.

وينظر إلى المعرفة عند الصوفية بأنها: "مرتبة توحد المعرفة بالعارف حتى تكون طبيعة عنده فتكون حالاته كلها ترجمانا للمعروف"[١].

أو "ظهور المعارف الوجدانية وانبساطها بحيث إن مثل هذا الظهور والانبساط في الوقت نفسه هو ظهور الإنسان بقيمه الذاتية وانبساطها، ولعل هذا هو مما يفهم من القول

"من عرف نفسه فقد عرف ربه"[٢].

ويرى(كولن) في هذا الأثر: "مَنْ عَرَفَ نَفْسَهُ فَقَدْ عَرَفَ رَبَّهُ"[٣] وجهتين من حيث المعنى، فيقول: "إن من يدرس نفسَه ويحلّلُها - بما فيها البنيَةُ الفسيولوجيّة والوجدان بأركانه الأربعة: الإرادة، واللطيفة الربانية (القلب)، والذهن، والحسّ- يعرف ربه بصورة أفضل وأحسن، وإن كان لهذه العبارةِ مفهومُ مخالفةٍ فهو على النحو التالي: (من لا يعرف نفسَهُ لا يعرفُ ربّه)، إذن يلزم الإنسانَ أن يعرف ماهيّة نفسه وكنهها كي يعرف ربَّه"[٤].

وكلام (كولن) عن معرفة النفس شبيه جدا إلى حد التطابق بكلام (ابن عربي) في الفصوص وهذا يتبين من مجرد النظر في نص (ابن عربي) في الفص السابع والعشرون (فص حكمة فردية في كلمة محمدية)الذي يقول فيه: "ومعرفة الإنسان بنفسه مقدمة على معرفته بربه، فإن معرفته بربه نتيجة عن معرفته بنفسه لذلك قال (عليه السلام)"من عرف نفسه عرف ربه" فإن شئت قلت بمنع المعرفة في هذا الخبر والعجز عن الوصول فإنه سائغ، وإن شئت قلت بثبوت المعرفة فالأول أن تعرف أن نفسك لا تعرفها فلا تعرف ربك، والثاني أن تعرفها فتعرف ربك"[٥].

إذن (كولن) متأثر بكتابات (ابن عربي) وهو لا يخفي تقديره له ودفاعه عنه وعن غيره من الصوفية كما سيتبين لاحقا في البحث

إذن النفس لها جانبان يشرحهما (كولن) على النحو التالي:

١- الجانب الجسدي:

فيرى (كولن) أن هناك تناسقا عجيبا في بنية الإنسان، ويستشهد (كولن) بكلام (النورسي) حيث يقرر أن الإنسان "مصنع متكامل" كلُّ جزء فيه متناسِبٌ مع الآخَرِ تناسبًا حقيقيًّا، وهذا المخلوقُ يتناسبُ في الوقتِ نفسِهِ مع الكون أيضًا تناسُبًا حقيقيًّا وثيقًا.

أما تناسب أجزاؤه:

---

[١]- فتح الله كولن: التلال الزمردية ص ٢٠٦.
[٢]- التلال الزمردية ص ٢٠٦.
[٣]- هذا الحديث ليس بصحيح، وقال النووي إنه ليس بثابت، وقال الزركشي ذكر السمعاني أنه من كلام يحيى بن معاذ الرازي، ينظر: جلال الدين السيوطي: الحاوي للفتاوى كتاب الفتاوى الصوفية ج ٢ ص ٢٨٨، دار الفكر- بيروت- لبنان ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٤م.
[٤]- كولن: مقال اكتشاف النفس والتعمق في العبودية. موقع herkul بالعربية بتاريخ: ٣/١٠/ ٢٠١٥م.
[٥]- الشيخ محيي الدين ابن عربي: فصوص الحكم ص ٢١٥ والتعليقات عليه بقلم د: أبو العلا عفيفي، دار الكتاب العربي- بيروت- لبنان.

فيشرح (كولن) هذا التناسب، فيقول: "فمثلًا هناك علاقةٌ وصِلَةٌ بينَ فم الإنسان، وبين ما سيأكله به من المأكولات، وكذلك ثمة علاقةٌ وصِلَةٌ بين عينيهِ، وما سيَرَاه بهما من أشياء ،إنها مناسَبَةٌ وصلةٌ يستطيع المرء في ظلِّها رؤية وتمييزَ الموجودات التي تتجلّى في أبعاد مختلفة"[١].

أما تناسبه مع الكون:

يرى (كولن) أن: " التناسب الموجود بين أعضاء الإنسان قائم أيضًا بينه وبين غيره من الموجودات في الكون الذي يعيش فيه؛ فبحسبِ قول علماءِ الفيزياء والفلكِ ثَـمّةَ علاقةٌ وصِلَةٌ حتى بين أبعدِ الأنظمةِ والأجرام السماوية، وبين الإنسان الذي يبدو مخلوقًا صغيرًا جدًّا على سطح الأرض، إلا أنه يجب البدء أوَّلًا من أقرب نقطة حتى يتسنّى إدراكُ هذه العلاقة وفهمُها، فمثلًا حين يُحَلِّلُ الإنسانُ نفسَه من زاوية العلاقة بين فمِهِ والموادِ التي سيأكلها وعينيهِ والأجسام التي تريانها لا بدَّ وأن يَصِلَ إلى الأدلَّةِ التي تؤكِّدُ وجودَ الخالِقِ الأعظَمِ و وحدانيَّته"[٢].

وحديث (كولن) هنا أيضا يبدو في إطار النظرية الكونية التي يتبناها وهي الترابط بين الله، والكون، والإنسان التي يفسر بها كل حدث أو موضوع.

٢- من بنية الجسد إلى أعماق الروح:

يرى (كولن) أن كتاب "الإنسان ذلك المجهول" الذي نشر ١٩٣٥م يعد عملا مهما، فقد لفتَ الانتباهَ إلى ما في جسم الإنسان من كمالٍ، وأنه حتمًا لا بدَّ وأن يكون له خالقٌ فيقول: " وبينما كان الناس ولا سيما الأطبّاءُ يُطالِعون تلك التحليلات التي أجراها هذا الكتاب؛ كانَ ينتهي بهم الحالُ مع كلِّ فصلٍ إلى قولِ: "لا إله إلا الله"؛ لأنه يستحيل بيانُ ذلك التناسبِ الخارقِ للعادةِ الكامنِ في جسمِ الإنسان مَا لَمْ تتدارَكْنا قدرةُ الله تعالى وعِنايَتُه"[٣].

وهناك بعد أعمق يجب أن يتعرف عليه الإنسان بعد الجسد وتكوينه الفسيولوجي ألا وهو الروح، فيقول (كولن): "بعد أن يتعرَّف على عالمه الخارجيّ ينبغي له أن يتَّجِهَ إلى معرفةِ نفسِهِ، وآليَّاتِهِ الوجدانيّة، وما يكتَنِفُ كنهَهُ من أحاسيسَ، وهو ما يمكننا أن نُطْلِقَ عليه كله اسمَ (العالَمِ الداخليّ)، وإن وقوعَ حوادثَ من قَبيلِ شعورِ الإنسانِ بشيءٍ ما قبلَ وقوعِهِ مما يُمْكِنُ وصفُهُ بأنه (الحدس أو التنبُّؤ الداخلي) ؛ كأن يلتقيَ الإنسانُ عصرًا شخصًا خطرَ ببالِهِ صباحًا، أو أن يَرى في رؤياه مشاهدَ من (عالم المثال) و (عالم البرزخ)، وأن تظهرَ بعضُ الأشياء التي رآها في منامه بعينِها أو بالشكل الذي أوَّلها به الواقفون على (تأويل الأحاديث)، كلُّ هذا ما هو إلَّا أحداثٌ يعيشها الإنسان في عالمه الداخلي، ولا يمكنُ إيضاحُ هذا في إطارِ دائرةِ الأسبابِ الحسِّيّة"[٤].

---

[١]- كولن: مقال اكتشاف النفس والتعمق في العبودية.
[٢]- مقال اكتشاف النفس والتعمق في العبودية.
[٣]- كولن: مقال اكتشاف النفس والتعمق في العبودية
[٤]- كولن: مقال اكتشاف النفس والتعمق في العبودية

ويخلص (كولن) إلى أن الإنسان حين يُواصِل رحلته في عالمه الداخلي يعرف نفسه إجمالًا ويصل إلى وجود الخالق الأعظم، ومن ثم يعرف ربه حق المعرفة.

ويرى (كولن) أن أولى مراتب المعرفة هي رؤية تجليات الأسماء الحسنى المحيطة بنا ومشاهدة إقليم الصفات الجليلة، ففي هذه السياحة تسيل الأنوار من عيون السالك وأذنه إلى لسانه ويشرع قلبه بالهيمنة على سلوكه، ويغدو سلوكه وأطواره لسانا ناطقا بتصديق الحق، ويتحول هذا اللسان كقرص مرن للكلمة الطيبة، وإذا بأنواع من أنوار مشعة تنعكس كل آن على شاشة الوجدان[١] .

وتحدث عن أمارات العارف :

وهي أنه لا يرجو توجها من غير المعروف سبحانه، ولا يختلي بغيره، فأقسى عذاب له توجهه إلى الآخرين، ودخول طيف الغير إلى عينه[٢].

ويقول (كولن) في التعريف الاصطلاحي للبصيرة: "انفتاح عين القلب، سعة الإدراك، استشفاف النتيجة، ورؤيتها من البداية، ملكة تقييم الأيام الآتية مع اليوم المعاش"[٣].

ويعرفها أيضا بأنها: "الوعي الكامل لكل الأمور التي تيسر المشاهدة بنور العلم، و والتجربة، والفراسة، والإحاطة بها إحاطة كاملة"[٤].

ولها عمق أكبر وأهمية كبرى عند أرباب الحقيقة، فيقول كولن: "البصيرة منبع العرفان الوحيد في دلالة الإلهام والتفكير، وهي المرتبة الأولى لإدراك الروح كنه الأشياء فهي شعور وجداني يشخص، ويرى القيم الروحية في المواضع التي يتعسر على العقل تجاوزها لتعلقه باللون، والشكل، والمظاهر، و الكيفيات"[٥].

وقد عد (كولن) البصيرة نعمة وملكة إلهية تتجاوز الفكر، فالإنسان المالك لمثل هذه البصيرة يكون منفتحا على العالم الآخر، و يعد بطلا من أبطال الحقيقة وشخصا، يحاول أن يصل إلى مرتبة الإنسان الكامل"[٦].

ويمكن إيراد تلك الأهمية ودورها في حياتنا من خلال كلام (كولن) في عدة نقاط:

أ- البصيرة منبع للمعرفة والعرفان:

فكما أن العقل منبع مهم للعلم كذلك البصيرة منبع للمعرفة والعرفان، فالذي يملك عقلا ولا يملك بصيرة قد يعرف أشياء كثيرة، ولكنه لا يستطيع أن يصل بمعلوماته إلى شيء.

١- ينظر: التلال ص ٢٠٦.
٢- التلال ص ٢٠٩.
٣- السابق ص ١٩٥.
٤- الموازين ص ١٥١.
٥- التلال الزمردية ص ١٩٥.
٦- كولن: الموازين ص ١٥١.

ب- البصيرة مصدرا للأمن والاطمئنان:

فالعقل المحروم من البصيرة يكون غارقا في التردد وعدم الاستقرار، أما عالم البصيرة فهو عالم دافئ ومستقر يشع طمأنينة وأمنا[١].

ج- البصيرة تنفذ إلى أسرار الأشياء:

فهناك فرق بين إدراك الوجود بعين البصر، وبين إدراكه بنور البصيرة، فالعيون ترى في الأشياء والحوادث وجوهها الظاهرية وجوانبها المادية، أما البصيرة فترى الوجوه الباطنية لها مثل: الحكمة، والغاية، والفائدة، والمحتوى، والعين ترى صور الأشخاص وسيماءهم، أما البصيرة فتحدس وراء كل هذه المظاهر، الأخلاق والفضيلة، ودرجة النضج الروحي فيهم، "فالذين ينظرون إلى الوجود بأعينهم فقط لا يدركون من الوجود إلا ما تراه أعينهم، أما أصحاب البصيرة، فهم ينقبون عن أسرار الأشياء؛ ليستخرجوا منها المعاني مثلما تقوم النحل بجمع رحيق الأزهار لصنع العسل"[٢].

ولذا فالبصيرة توصل الإنسان إلى عمق آخر وهو (تأويل الأحاديث) أي النفوذ إلى الجوانب الملكوتية للأشياء واكتناه الأحداث.

وكذا يمتلك الفراسة التي تعني الحدس والإدراك التي يطلعون معها على الوجه الحقيقي للوجود بما وراء الأستار يقول كولن عن أهل الفراسة: "لا ينخدعون بالظلال، ويرون بنور البصيرة بجلاء تام حتى في أشد الأمكنة عتامة، ويتجاوزون الالتباسات دون أن يعلقوا بالمتشابهات قطعا، ولا تأسرهم الجزئيات، فيدركون حالا، ويشاهدون السكر في قصبه، والأكسجين والهيدروجين في روح الماء"[٣].

فهذا هو حال أهل الفراسة عندهم من نور البصيرة ما يمكنهم من الغوص والكشف عن حقيقة الأشياء التي تخفى على الحواس، بل يدركونها على صورتها الأولى قبل أن تتحول إلى دائرة الحواس.

إذن مصادر المعرفة تتوزع بين الوحي، والعقل، والحس، والوجدان حسب مشرب كل فريق وطائفة، أما ميزة الإسلام فهي جمعه كل تلك المصادر وإحداث التوازن في الوجود بمزجها، فمصدر التلقي والمعرفة هو الوحي، وأما الحس، والعقل، والوجدان فوسائل، ووسائط للفهم والعمل لتحقيق الخلافة في الأرض.

١- السابق .
٢- الموازين ١٥٢.
٣- التلال الزمردية ص ١٩٦.

المبحث الثالث: العلم والدين في فكر كولن

المطلب الأول: موقف كولن من العلم الحديث:

مشكلة العلم والتكنولوجيا أصبحت من المشكلات المطروقة بقوة في ميدان الفلسفة الإسلامية الحديثة؛ لسيطرتها على حياتنا اليومية، وتبعاتها التي لم تنته ولن تنتهي حتى نلحق بركب الأمم التي سبقتنا .

فلقد توقفنا- أي المسلمين- عن الإبداع العلمي منذ عصر النهضة الغربية، وأصبح واقعنا الحالي هو التخلف العلمي عن ركب الحضارة، وشاع أن العلم صناعة غربية، وأصبحنا مستوردين ومستهلكين للعلوم والتكنولوجيا الغربية لا منتجين لها[١].

ويعد (كولن) من الفلاسفة المعاصرين المهتمين بتلك القضية؛ إذ أكد (كولن) كثيرا على أهمية العلم الحديث، ووجوب اقتناء وسائل المعرفة والتقنية الحديثة حتى لا نتخلف عن ركب الحضارة، وأما عن أهمية العلم الحديث لعالمنا المعاصر، فقد ذكر عدة وجوه يمكن إجمال بعضها على النحو التالي:

معرفة حقائق الأشياء :

يرى (كولن) أن العلم هو ما ميز الله به الإنسان، وفضله على كل المخلوقات، وهو الحكمة من سجود الملائكة لآدم -عليه السلام-، فلقد فضل الله (آدم) بتعليمه الأسماء أي أنه علمه الأسماء وحقائق الأشياء، وأعطاه الخلافة وهي الإذن بالتدخل في الوجود، ولا يمكن أن يتحقق هذا إلا بالعلمچ ڤ ڤ ڄ ڄ ڄ ڄ ڃ ڃ ڃ ڃ ڃ ڃ ڃ[٢] تعني: "إن ما أعطيه آدم -عليه السلام- هو إما العلم نفسه، وإما أصل العلم، وهو الحقائق الثابتة التي يصل إليها الإنسان ببحوثه، ودراساته، وذهابه، وإيابه الدائبين من السبب إلى النتيجة، ومن النتيجة إلى السبب"[٣].

إخضاع الوجود للبشر:

وهذا معنى الخلافة في الأرض أن يذلل الإنسان بعلمه وبحثه كل الوجود لخدمته وذلك لأداء دوره على هذه الأرض، فقد سخر الله الأشياء للإنسان، فأذعنت له كما أذعن الإنسان نفسه بها لخالقه تعالى[٤].

تعزيز وتأكيد لقضايا الدين:

هذا العلم الذي وهبه الله آدم توارثه الأنبياء حتى وصل ذروته إلى النبي -صلى الله عليه وسلم-، ومن ثم فإن الاكتشافات والنتائج الحديثة لا تعارض ما أنزل عليه من الكتاب أو السنة، فلا تعارض بين كتاب الكائنات الذي كتبه الله بقدرته وإرادته، وبين

---

[١]- ينظر: دكتور/ مصطفى النشار: مدخل جديد للفلسفة ص ١٩٩- ٢١٦، دار قباء، ط: الأولى ١٩٩٨م.
[٢]- سورة البقرة الآية:٣١.
[٣]- الموشور ص ٢١٥.
[٤]- ينظر: الموشور ص ٢١٨.

القرآن فقد أقام القرآن جسورا بين الإنسان والوجود نجا بها الإنسان من استيحاش الوجود؛ ولذا لن يأتي العلم - أي علم مهما تقدم وتطور- بما يعارض القرآن، أو يخالفه إلى يوم القيامة[١].

وليس المعنى أنه -ﷺ- أخبر بما تم اكتشافه من الفيزياء، والكيمياء، والرياضيات، والأحياء، والتشريح، وإنما المعنى أنه ليس في هذه العلوم ما يعارض ما جاء به النبي ﷺ-، بل إنها تعززه وتؤكده، وهذا يكشف أهمية العلم[٢].

وهذا هو المنهج الذي اتخذه (كولن) في بحثه دوما ألا وهو تعزيز قضاياه الدينية بالعلم الحديث.

مصير المستقبل بيد العلم:

فإذا أراد المسلمون امتلاك المستقبل أو بتعبير (كولن) احتضان المستقبل فلا بد من العلم، فيقول:" احتضان المستقبل لا يكون إلا من مجتمع المعرفة إن الأمر كذلك؛ لأن العلم هو استيعاب ما تنطق به الأشياء، والحوادث، والشعور بأثر الأوامر التكوينية، وما تعرضه وتكشفه لنا، وحدس مقاصد الخالق السامية، فالمخلوق المؤهل للحكم على الأشياء يرى، ويقرأ، ويدرك، ويتعلم، ثم يبحث بوسائل تذلل الحوادث لينظمها"[٣].

فإذا أردنا أن نكون في المستقبل فلابد من امتلاك العلم الحديث وخاصة في عصر العولمة وتسارع القوي للسيطرة على الضعيف، فلقد دفعنا ثمن تخلفنا عن الثورة الصناعية وثورة التكنولوجيا، وعجزنا عن بلوغ ركب الأمم المتحضرة مما أتاح الفرصة لأعدائنا ألا يسمحوا لنا برفع رؤوسنا، فالواجب علينا كما يقول (كولن): "أن نؤمن بالله تعالى إيمانا قويا، ونوقر سيدنا رسول الله (ﷺ) توقيرا عظيما، ونستوعب كل دقائق الإسلام الدين المبين، وأن نحيط بالحياة كلها أيضا أي ينبغي أن نملك أفضل مراكز البحوث، وأشهر المؤسسات العالمية مثل(ناسا)، وأن نبني المدن في الفضاء وإلا خرجنا صفر اليدين من ساحة التوازنات الدولية فتولد الأحداث العالمية وتتفاقم ضدنا"[٤].

وهو هنا يؤكد كما في كل مجال يطرقه على أهمية الالتزام بأصولنا الإسلامية قبل كل خطوة نخطوها نحو العلوم الحديثة وغيرها.

ويعترف أيضا بقصورنا ونقصنا - سواء الكوادر أو الهيئات- في مجال العلوم الإسلامية - كعلم الفقه- كما في مجال العلوم الحديثة، ويطالب بتجديدها لمواكبة العصر بحملها على الحواسيب وتنظيمها، ثم بابتكار آليات جديدة للاستفادة منها[٥] .

وقد تطرق (كولن) إلى مشكلة من مشاكل العلم الحديث، وهي: اعتقاد كثير من مجتمعاتنا أن العلم يسبب كوارث للإنسان، ومنها: أن يغدو الإنسان والمجتمع آليا بعيدا عن الإنسانية

---

[١]- ينظر: كولن: الموشور ص ٢١٦.
[٢]- السابق.
[٣]- الموشور ص ٢١٨.
[٤]- الموشور ص ٢١٦ .
[٥]- ينظر: الموشور ص ٢١٧.

والفضائل فيرد (كولن) على هذه الشبهة قائلا: " لا يتصور وجود مستقبل بلا علم كما لم يكن ماض بلا علم، ذلك أن نتائج كل شيء رهن بالعلم، ولا شيء يمكن أن يقدمه العالم للإنسان بدون علم، نعم، صار الإنسان مجرد آلة في بلاد كثيرة، فلا مشاعر إنسانية، ولا صحة، ولا فضائل إنسانية، كلها اندرست لكن من الجور تحميل هذا القصور على شماعة العلوم والتكنولوجيا، فوزره يعود إلى علماء تنصلوا من تحمل مسؤولياتهم، فلو أدى رجال العلم الذين وعوا المسؤولية الاجتماعية ما هو منتظر منهم لما وقعت اليوم معظم هذه الوقائع المقلقة"[١].

ومن هنا فالعلم الحديث والتكنولوجيا لا غنى عنهما في هذا العصر إذا أردنا اللحاق بركب الأمم المتقدمة ولا مشكلة في العلم في حد ذاته إنما هي مشكلة علماء غير مخلصين للإنسانية كمن يخترع النووي لغرض التدمير، أو كمن تنصل منهم عن مسؤلياته الاجتماعية تجاه تربية أمته.

---

[١]- الموشور ص ٢١٩.

المطلب الثاني: العلاقة بين العلم والدين في فكر كولن[١]:

في البداية يتمتع (كولن) بخلفية علمية متميزة تجمع بين العلوم الشرعية، والفلسفة والأدب الإسلامي، والغربي، والعلوم الغربية الحديثة - كما سبق أن ذكرت في سيرته الشخصية- وهذه الخلفية مهمة جدا في تكوين نظرته هنا في هذا المجال.

يرى (كولن) أن الدين والعلم ليسا متساويين، وأن العلم ينبغي أن يكون خادما للدين[٢] ومن المصادر التي أثرت في فكر كولن -هنا- في العلاقة بين الدين والعلم :القرآن الكريم، والسنة النبوية، والتصوف، مع تأكيده على أن الكون هو العالم الذي تتجلى فيه أسماء الله الحسنى، وأن الكون هو كتاب الله في الخليقة.

وتدل كتابات (كولن) على اطلاعه على الفكر الغربي الحديث، فقد استشهد بكثير منه لتأكيد وجهة نظره، فقد تعرض لآراء (كارل بوبر) [٣] العالم والفيلسوف البريطاني حيث إن (بوبر) يرى أن (نيوتن) و(اينشتاين) لا يمكن أن يكون كلاهما صوابا في نفس الوقت، فالعلم يمكنه أن يسعى إلى الاقتراب من الحقيقة فقط، لا أن يصل إلى الحقيقة بذاتها.

وكذا استشهد (كولن) بآراء (رينيه جونون)في القول بعدم قدرة العلم الحديث على معرفة الحقيقة المتعلقة بكنه الوجود[٤].

ومع ذلك يريد (كولن) التأكيد على حقيقة مهمة من خلال هذه المصادر، وهي أن العلم في حاجة إلى الدين.

وقد تناول (كولن) عدة قضايا تتعلق بالعلاقة بين الدين والعلم، فقد ركز بحث (الدين والعلم عند كولن) على ثلاث منها استنبطها من كتاب كولن في (ظلال الإيمان) وأضيف رابعة إليهم كالتالي:

١- العلاقة بين الحقائق العلمية والحقائق الدينية .

---

[١]- رجعت في هذا الجزء إلى بحث: (الدين والعلم عند كولن: وجهة نظر عالم) بقلم عثمان بكار أستاذ الدراسات الإسلامية بماليزيا ومركز التفاهم الإسلامي المسيحي جامعة جورج تاون- واشنطن؛ لأن كل البحث اعتمد فيه على كتاب مهم لكولن مترجم إلى الإنجليزية اسمه (في ظلال الإيمان)، ولم أحصل عليه بعد .وهذا المقال منشور في كتاب السلام والتسامح في فكر كولن الذي يحوي عدة مقالات لعدد من الأساتذة حول كولن أشرف عليه أ.د زكي ساري توبراك دار النيل ٢٠١٤م..

[٢]- السلام والتسامح ص ٦٨.

[٣]- كارل بوبر: ولد ١٩٠٢م في فيينا. من أنصار الليبرالية، ويهاجم الشمولية، وأنصار الفاشية والشيوعية، ومقولتهم بحتمية التاريخ، وثبات قوانينه، ويدافع عن الحرية، والديمقراطية، والمساواة على أسس أخلاقية. عمل محاضرا أول للفلسفة بجامعة نيوزيلندا من ١٩٣٧م إلى ١٩٤٥م، ثم أستاذا للمنطق، ومنهج العلم بمدرسة لندن لعلم الاقتصاد، وكانت إسهاماته الرئيسية في منطق العلم والاتجاه العام لفكره يماثل مذهب الظواهر، من كتبه: منطق الاستكشاف- المجتمع المفتوح وأعداؤه- فقر الاتجاه التاريخي. ينظر: فؤاد كامل – جلال العشري- عبد الرشيد الصادق. الموسوعة الفلسفية المختصرة ص ١٣٢.وينظر: أنطوني دي كرسبي- كينث مينوج: أعلام الفلسفة السياسية المعاصرة ص ٧٢ ترجمة ودراسة: د/ نصار عبد الله، سلسلة الف كتاب(الثاني) ٦٠ الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٨٨م.

[٤]- ينظر: السلام والتسامح هامش ص ٦٩.

٢- الفهم العلمي المعاصر للطبيعة.

٣- تناول القرآن للعلم، أو المدخل القرآني للعلم.

٤- أسلمة المعرفة.

أولا: العلاقة بين الحقائق العلمية والحقائق الدينية:

يرى (كولن) أن الحقيقة ليست من نتاج العقل البشري؛ إذ إن الحقيقة مستقلة عن ذات الإنسان ومهمته هي السعي للحصول عليها؛ وبهذا فإن (كولن) يؤمن بفكرة الحقائق الموضوعية التي طالما أكد عليها العلماء والفلاسفة، ولا يؤثر قصور الخبرات البشرية الفردية الذاتية على تلك الحقائق الموضوعية، ولكنها تنتظر من يكشف النقاب عنها[١].

١- أنواع الحقائق:

يقسم (كولن) الحقائق إلى نوعين:

النوع الأول: الحقائق المطلقة:

وتعني الحقائق الثابتة الدائمة التي لا تتغير، والتي تكمن في العالم الأسمى من العالم المحسوس، وتتعلق بجوهر الوجود الذي يمثل الميدان الذي يعجز العلم عن إدراك طبيعته، وذلك بسبب أوجه قصوره، ويرى أن الحقائق المذكورة في القرآن الكريم والسنة النبوية هي حقائق مطلقة[٢].

النوع الثاني: الحقائق النسبية:

تتصف بالتغير، وعدم الدوام، والاطراد، وبأنها ذات طبيعة مترددة، ويؤكد (كولن) أن الحقائق العلمية تنتمي إلى هذا النوع من الحقائق النسبية .

ويؤكد (كولن) على تلك الطبيعة للحقائق العلمية، فيقول: "إن العلوم تشهد تطورا مستمرا، وأن ما ينظر إليه اليوم على أنه صحيح ربما يتضح خطؤه في الغد، وعلى العكس فإن ما تراه اليوم خطأ ربما يثبت صوابه في المستقبل"[٣].

ومن هنا فالحقائق العلمية ذات طبيعة نسبية؛ لاعتماد العلم على المعطيات التجريبية وتفسيراتها المنطقية في معرفة الأشياء، أما حقائق القرآن فهي حقائق مطلقة[٤].

٢- التناقض بين الحقائق الدينية والعلمية:

هل هناك تناقض بين الحقائق الدينية والعلمية؟.

---

[١]- ينظر: السلام والتسامح ص ٧١.
[٢]- محمد فتح الله كولن : في ظلال الإيمان ص ٣٣٥ نقلا عن السلام والتسامح في فكر كولن ص ٧١.
[٣]- في ظلال الإيمان ص ٣٠٦نقلا عن السلام والتسامح ص ٧٢.
[٤]- ينظر: السلام والتسامح ص ٧٢.

يرى (كولن) أنه لا تناقض بينهما؛ لأن كلاهما من مصدر واحد، وهو المصدر الإلهي، يقول كولن: "فإن الكون الذي هو موضوع دراسة جميع العلوم يمثل العالم الذي تتجلى فيه أسماء الله (عز وجل)، ولهذا فإن هذا الكون يتمتع بنوع من القداسة، وكل شيء في هذا الكون يمثل رسالة من الله (عز وجل) يدعونا من خلالها إلى دراسة هذا الشيء كي نحصل على قدر من معرفته (عز وجل)، وبهذا فإن هذا الكون يمثل مجموعة من الرسائل، أو كما يقول حكماء المسلمين إنه كتاب الله في الخليقة الصادر بشكل أساس من الصفتين الإلهيتين : الإرادة والقدرة ؛ ولهذا يعتبر القرآن الصادر من صفة الكلام لله نظيرا لهذا الكون، ولكن على شكل كلمات ملفوظة، فكما أنه لا يمكن أن يكون هناك تعارض بين قصر ما، وبين الأوراق المكتوبة وصفا له، فلا يمكن كذلك أن يكون هناك تعارض بين الكون، وبين القرآن إذ أن كليهما تعبيران عن نفس الحقيقة"[١].

إذن الحقائق العلمية التي تتجلى في مرآة الكون، والحقائق الدينية التي تتجلى في بيان القرآن لا يمكن أن يتعارضا، فكلاهما من يد الخالق المدبر، ويظهران أسماءه وصفاته للعالمين.

٣- التوفيق بين الحقائق الدينية والعلمية:

إذا ظهر تناقض بين حقيقة علمية وحقائق دينية راسخة وفشلت محاولات التوفيق بينهما فما الرأي؟.

إذا تعذر التوفيق بين الحقيقة العلمية والحقائق الدينية يرى (كولن) حينئذ رفض هذه الحقيقة العلمية تأييدا للحقائق الدينية الراسخة، فحقائق الوحي المطلقة هي التي لها القول الفصل عند تحديد مصير الحقائق العلمية، وإن وجد أنها خاطئة، فلا بد أن العلم نفسه سيثبت بطلانها "وهو بموقفه هذا يتوافق مع اعتقاده الفلسفي بشأن القيمة النهائية للحقائق العلمية، فإن الحقائق العلمية عنده مجرد نظريات، فلو كانت حقيقة بالفعل لما كان هناك تعارض بين العلم والدين بخصوصها"[٢].

٤- دور العلم في خدمة الدين:

يصر (كولن) - كما سبق- إلى أن تظل الحقائق النسبية تابعة للحقائق المطلقة، ومع ذلك يؤكد على أهمية الحقائق العلمية، وعلى دورها في خدمة قضايا الدين، فإن كان رجال الدين التقليديون قد نظروا إلى الفلسفة باعتبارها خادمة للعلوم الإسلامية، فإن (كولن) يرى أن الذي يجب أن يؤدي دور الخادم للعلوم الدينية هي العلوم المادية[٣].

يقول كولن: "ينبغي استغلال العلم والحقائق التي يقدمها في شرح الحقائق الإسلامية"[٤]، ويستطرد أيضا: "ينبغي أن يكون هدفنا الأساس عند تقديم العلم والحقائق العلمية هو الفوز

---

[١]- كولن: في ظلال الإيمان ص ٣١٨- ٣١٩ نقلا عن السلام والتسامح ص ٧٣.
[٢]- الدكتور/ عثمان بكار :الدين والعلم عند كولن من كتاب السلام والتسامح ص ٧٣ .
[٣]- د/ عثمان بكار: الدين والعلم ص ٧٣- ٧٤.
[٤]- في ظلال الإيمان ص ٣٣٤ نقلا عن السلام والتسامح ص ٧٤.

برضا الله (عز وجل)"[١].

وقد سبق لنا - في مباحث علم الكلام- كيف أنه يستخدم العلوم الطبيعية في تأكيد القضية الدينية التي يتحدث عنها، وخاصة في مبحث الإعجاز العلمي ولكن بضوابط - كما سبقت الإشارة- .

ولكن (كولن) ينتقد في المقابل من يروم من المسلمين تأكيد الدين ومصداقيته من خلال الحقائق العلمية[٢]- وقد ذكرت ذلك سابقا-.

وقد أكد على هذه الملاحظة أيضا الدكتور (عثمان بكار)، فقال: "ويبدو أن (كولن) ينتقد بشدة الميل إلى النزعة العلمية (أي تطبيق المنهج العلمي المستخدم في العلوم الطبيعية في كل مجالات الأبحاث) بين المسلمين المعاصرين حيث تدعو هذه النزعة إلى اثبات الدين أو التأكيد على مصداقيته من خلال الحقائق العلمية الحديثة"[٣].

وردا على هذه النزعات التي تعتبر العلم المادي يفوق الدين بشكل ما يقول (كولن): "يجب أن يكون موقفنا واضحا، وهذا الموقف هو أن القرآن الكريم، والسنة النبوية هما حقيقيان ومطلقان، أما بالنسبة إلى العلم المادي والحقائق العلمية فإنهما صحيحان طالما أنهما يتوافقان مع القرآن والسنة، بل إنه لا يمكن اعتبار الحقائق العلمية التي ثبتت صحتها بصورة قطعية أعمدة تدعم حقائق الإيمان"[٤].

ومع وجود التوجهات الداعية إلى النزعة العلمية في العالم الإسلامي فإن (كولن) يتوجه بالنقد - ولاسيما في وطنه تركيا- إلى ثلاث مجموعات رآها خاطئة:

أولها: الملحدون الذين نبذوا الدين باسم العلم.

والثانية: المسلمون الذين يؤمنون بالدين والعلم معا، ولكنهم يميلون إلى وضع الدين في مرتبة أدنى من مرتبة العلم.

الثالثة: المسلمون الذين يعترضون على إعطاء مكانة للعلم من أجل دعم الحقائق الدينية[٥].

المجموعة الأولى: الماديون والمعادون للدين :

ففي نقده لهم يقول: "أنهم يحرصون على استغلال العلم باعتباره وسيلة لتحدي الدين، واستخدام مكانة العلم في بسط أفكارهم ونتيجة استغلالهم للعلم، فقد قاموا بتحريف وإفساد عقول عدد كبير من الناس"[٦].

---

[١]- في ظلال الإيمان ص ٣٣٤ نقلا عن السلام والتسامح ص ٧٤.
[٢]- ينظر: فتح الله كولن : شد الرحال لغاية سامية ص ١٢٤.
[٣]- عثمان بكار: الدين والعلم عند كولن من كتاب السلام والتسامح ص ٧٤.
[٤]- في ظلال الإيمان ص ٣٣٥ نقلا من كتاب السلام والتسامح ص ٧٥.
[٥]- كولن: في ظلال الإيمان ص ٣٣٥ نقلا عن السلام والتسامح ص ٧٥.
[٦]- في ظلال الإيمان ص ٣٣٣ نقلا عن السلام والتسامح ص ٧٦.

وفي مواجهة هذا الاستغلال للعلم من قبل هذه المجموعة يدعو (كولن) المسلمين إلى دراسة العلوم؛ ليواجهوا هذه المجموعة بنفس براهين العلم التي تدعم الدين، فالعلوم والتكنولوجيا لا تتعارض مع الدين[١].

المجموعة الثانية: المؤمنون بهما معا ولكن يضعون الدين في مرتبة أدنى:

فيرى كولن في نقده لطريقتهم أن توظيف العلم في خدمة الدين يختلف عن تسويغ الدين من خلال العلم، وهو الأمر الذي تقوم به هذه المجموعة ذات النزعة العلمية؛ لأن حقائق الدين لها من الأدلة ما يستقل عن العلم، بل إن الحقائق الدينية تسمو على الحقائق العلمية، وهذا ما أوضحناه سابقا عند عرض رأي (كولن) في الإعجاز العلمي للقرآن الكريم[٢].

المجموعة الثالثة: الرافضون إعطاء مكانة للعلم:

فإن (كولن) ينكر عليهم رأيهم في تجنبهم لهذا الارتباط بين العلم والدين، فليس ثمة ما يمنع هذا الارتباط من الناحية الدينية، فيقول: "إنني أعتقد أن العكس هو الصحيح؛ حيث أرى أنه يتعين على المؤمنين أن يكونوا على دراية تامة بمثل هذه الحقائق كي يقاوموا المادية والإلحاد "[٣].

وبناء على ما سبق:

١- لا تعارض بين الدين والعلم في الإسلام.

٢- حقائق الدين مطلقة أم الحقائق العلمية فمتغيرة، فإذا حدث تناقض بينهما فينبغي تقديم الحقيقة الدينية ورفض العلمية.

٣- ينبغي أن يكون العلم في خدمة الدين، ولا ينبغي وضعه في منزلة أقل، كمحاولة اثباته بالعلم.

٤- يرفض (كولن)التوجهات السائدة نحو النزعة العلمية، سواء نظرة الماديين الذين يحلون العلم محل الدين، أو من يؤمنون بالجانبين ولكن يجعلون الدين في وضع أقل، أو من يعادون العلم، ويقتصرون على النص الديني فقط .

ثانيا: الفهم العلمي الحديث للطبيعة:

يرى (كولن) أن المنهج العلمي هو المنهج الأنسب في دراسة الطبيعة بشرط ألا يتجاوز حدوده المنوطة به، فبإمكان العلم أن يدرس ظواهر الوجود، ولا يمكنه معرفة كنهها، وحقيقتها، وبواطنها، فتلك فوق قدراته وطاقته، وتلك من خصائص القدرة الإلهية .

---

[١]- السلام والتسامح ص ٧٦.
[٢]- ينظر: الفصل الثاني (النبوات) من الباب الأول ص ٣٨١ .
[٣]- في ظلال الإيمان ص ٣٣٤ نقلا عن السلام والتسامح ص ٧٦.

يقول الدكتور (عثمان بكار): "يرى كولن أن المناهج التجريبية هي أفضل وأنسب ما يمكن استخدامه عند التعامل مع العالم الذي يمكن إدراكه بالحواس المادية، وبالمثل فإن المناهج المنطقية القائمة على التفكير الاستقرائي[١] أو الاستدلالي[٢] أو التحليلي[٣]، والتي تشكل مع الأساليب التجريبية جوهر المنهجية التي يقوم عليها العلم الحديث هي مناهج صحيحة وفعالة فقط داخل مجالات قدرتها"[٤].

فالعلم - في رؤية (كولن)- عاجز عن معرفة الحقيقة فيما يخص جوهر الوجود، وخصوصا مع اعتبار القصور في المناهج التجريبية، فالعلم فقط يقوم بشرح كيفية حدوث الأشياء دون تفسير أصل الوجود، وقد تهرب من هذه العقبة عن طريق إرجاع أصل الوجود إلى الطبيعة، أو النشوء الذاتي، أو الحتمية، أو المصادفة، وغير ذلك[٥].

ويرى (كولن) أن العلم ينبغي أن يظل مخلصا لطبيعته كفرع من معرفة الله، وأن يعترف بأوجه قصوره المنهجية في إدراك الحقيقة بأكملها، وأن ميدان الحقائق العلمية يتجاوز اهتمامه واختصاصه[٦].

وبناء على ما سبق أستطيع القول:

١- المنهج العلمي ضروري في دراسة الطبيعة في الجانب المادي المحسوس منها.

٢- الدين ينبغي أن يكون مقدما على حقائق العلم، باعتباره وحيا إلهيا يفوق قدرة البشر.

٣- العلم له وظيفته ودوره في تفسير وشرح الحقائق دون التطرق إلى أصل الوجود.

٤- إذا حافظ العلم على هذا الدور المنوط به أمكن إقامة علاقة توافق بينه وبين الدين.

ثالثا: المدخل القرآني للعلم:

---

[١]- التفكير الاستقرائي أو التجريبي: هو المنهج المستخدم حين نبدأ من وقائع خارجة عن العقل لكي نصنف هذه الظواهر، ونفسرها، وفي تفسيرنا لها نهيب بالتجربة باستمرار، ولا نعتمد على مبادئ الفكر وقواعد المنطق الصورية وحدها، ويقوم على مبدأ العلية، ويبدأ من الخاص إلى العام .ينظر: الدكتور عبد الرحمن بدوي: مناهج البحث العلمي ص١٢٧، ١٢٨،١٧١وكالة المطبوعات- الكويت، ط: الثالثة ١٩٧٧م.

[٢]- المنهج الاستدلالي أو الرياضي أو المنطقي : يقوم أساسا على الانتقال من العام إلى الخاص وأحيانا يلتقي مع الاستقرائي في أنه يبدأ من الخاص إلى العام، ويعتمد على مبدأ ضروري هو الذاتية وقوامه هو العقل لا العالم الخارجي. ينظر: دكتور عبد الرحمن بدوي: مناهج البحث العلمي ص ١٧١.

[٣]- المنهج التحليلي : صورة من صور الاستدلال وهو إما تحليل محصل نبدأ بقضية، ونربطها بأخرى معلومة الصحة فإن لم تكن معلومة الصحة فنربط بقضية أخرى وهكذا إلى أن تنتهي إلى قضية مسلم بصحتها، وبهذا التحليل نصل إلى الربط بين القضية المعلومة أمامنا، وبين قضايا أخرى معلومة الصحة، فنثبت صحة القضية= =الأصلية. وقد نقوم بتحليل باحث وذلك بأن نفرض الفروض ونقوم بالتجريب شيئا فشيئا حتى نصل في النهاية إلى قضايا مسلم بها .دكتور عبد الرحمن بدوي: مناهج البحث العلمي ص ١٢٠.

[٤]- مقال (الدين والعلم عند كولن وجهة نظر عالم) من كتاب السلام و التسامح ص ٧٧ .

[٥]- السلام والتسامح ص ٧٨.

[٦]- أ د/ زكي ساري توبراك: السلام والتسامح في فكر كولن ص ٧٨.

يرى (كولن) أن المسلمين يرتكبون جرما كبيرا إذا ما نظروا إلى الدراسات العلمية باعتبارها نوعا من النشاط البشري الذي ينبغي أن يجري بشكل منفصل ومستقل عن القرآن الكريم إن العلم يجب أن يجري في ضوء مبادئ النظرية المعرفية، والمبادئ الخلقية، والقيم الواردة في القرآن الكريم، وما يعنيه (كولن) هو أنه ينبغي أن يكون القرآن هو إطار العمل الفلسفي لدراسة الطبيعة [١].

وتتلخص فكرة (كولن) في هذا الصدد في عدة عناصر:

١- القرآن والعلم:

هل يحتوي القرآن على كل شيء؟.

أ- : يجيب كولن بالإيجاب مستدلا بقوله تعالى: ﭽ ئه ئه ئو ئو ئۇ ئۇ ئۆئۆ ئۈ ئۈ ئې ئې ئىئى ئى ئى ی ی ی ئج ئح ئم ئى ئي بج بح بخ بم بى بي تج تح ﭼ[٢].

ومستشهدا كذلك بآراء (عبد الله بن مسعود)، وعبد الله بن عباس، وجلال الدين السيوطي[٣]، وقد أكد الثلاثة على أن القرآن يحوي كل شيء، يقول (ابن مسعود): "من أراد العلم فعليه بالقرآن فإن فيه خبر الأولين والآخرين"، ويقول (ابن عباس): "لو ضاع لي عقال بعير لوجدته في كتاب الله"، ويرى (السيوطي) أنه يشتمل على مبادئ كل العلوم أو فروع المعرفة[٤].

ب- أن الأشياء توجد في القرآن على مستويات مختلفة من الحقيقة، ولذلك فهي تتطلب منا مستويات مماثلة من الوعي كي نكون قادرين على رؤيتها، وهذا يعني أن البشر الذين يقرؤون كتاب الله سيجدون أنه يحتوى على كل شيء من حيث المبدأ أو الإمكانية "على هيئة بذور، أو نويات، أو على شكل خلاصة، أو مبادئ، أو علامات كما يمكن أن توجد إما على صورة صريحة، أو ضمنية، أو تلميحية، أو مبهمة، أو إيحائية، ويمكن تفضيل

---

[١]- ينظر: السلام والتسامح ص ٧٩.

[٢]- سورة الأنعام الآية:٥٩.

[٣]- السيوطي:(٨٤٩ - ٩١١ هـ = ١٤٤٥ - ١٥٠٥ م).
عبد الرحمن بن أبي بكر بن محمد ابن سابق الدين الخضيري السيوطي، جلال الدين: إمام حافظ مؤرخ أديب. له نحو ٦٠٠ مصنف. نشأ في القاهرة، ولما بلغ أربعين سنة اعتزل الناس، وخلا بنفسه في روضة المقياس، على النيل، منزويا عن أصحابه جميعا، فألف أكثر كتبه. وكان الأغنياء، والأمراء يزورونه، ويعرضون عليه الأموال والهدايا فيردها. وطلبه السلطان مرارا فلم يحضر إليه، وأرسل إليه هدايا فردها، وبقي على ذلك إلى أن توفي. من كتبه: الكتاب الكبير، والرسالة الصغيرة - العجاجة الزرنبية في السلالة الزينبية طبع في: الحاوي للفتاوي. لب اللباب في تحرير الأنساب - تحفة النابة بتلخيص المتشابه للخطيب البغدادي- الإتقان في علوم القرآن- ، والأشباه والنظائر في العربية، و الأشباه والنظائر في فروع الشافعية، و الاقتراح في أصول النحو، الألفية في مصطلح الحديث و (الألفية في النحو واسمها (الفريدة) وله شرح عليها. ينظر: الزركلي: الأعلام ج ٣ ص ٣٠١ . وينظر: بكر بن عبد الله أبو زيد بن محمد بن عبد الله بن بكر بن عثمان بن يحيى بن غيهب بن محمد (المتوفى: ١٤٢٩هـ) طبقات النسابين ص ١٥٩/١، الناشر: دار الرشد، الرياض، الطبعة: الأولى، ١٤٠٧ هـ - ١٩٨٧ م.

[٤]- ينظر: السلام والتسامح ص ٨٠.

إحدى هذه الصور، أو أخرى وفقا لأسباب النزول بحيث تناسب غايات القرآن مع الارتباط مع متطلبات السياق"[١].

ج- اكتشاف الحقائق الكامنة في القرآن مرتبط بالمعرفة، فكلما ازدادت معرفة الفرد ازداد ما سيراه في القرآن، ولهذا فسيكون من مهام العلم أن يساعد القارئ على رؤية المزيد مما يحتوي عليه القرآن.

د- أن القرآن يتصل بالمسلمين اتصالا وثيقا باعتباره مرشدا لدراساتهم وتطبيقاتهم العلمية؛ لأنه كما يقول (السيوطي) يشتمل على مبادئ كل العلوم أو فروع المعرفة بما في ذلك علوم الطبيعة؛ ولذا يؤكد (كولن) على قدرة القرآن الإرشادية على توجيه العلم الحقيقي إلى الإنسانية، فأحد الأهداف الرئيسة للقرآن هو نشر حب الحقيقة كما يقول (كولن) أي يعطي التوجيه الصحيح إلى الدراسات العلمية والتعامل مع الوجود دون اعتبار للامتيازات المادية أو المكاسب المادية.

هـ- ليس لدى (كولن) مشكلة في قبول الفكرة القائلة بأن القرآن به تلميحات إلى الكثير من الحقائق والتطورات العلمية، ولكنه في نفس الوقت يؤكد على أن القرآن لا يشير إليها بنفس الطريقة التي يشير إليها العلم، والفلسفات المادية، أو الطبيعية، فالقرآن على سبيل المثال لا يتكلم عن الظواهر الكونية والعلمية بطريقة مفصلة، ولكنه عندما يشير إلى مثل هذه الحقائق فإنه يهدف إلى تقديم التفسير الخالد لكتاب الكون، وكذلك تقديم تفسير روحي للعلوم التي تتعامل مع الظواهر الطبيعية.

إن الله تعالى في تقديم هذه الحقائق يريد أن يوضح للإنسان بعض الحقائق كأسمائه الحسنى، وصفاته العليا، وكذلك يريد أن يلقن الإنسانية هذه الدروس الروحية والعلمية كما يقول (كولن)[٢]

رابعا: أسلمة المعرفة:

إن العلوم التي ازدهرت الحضارة الغربية بفضل تقدمها منذ عصر النهضة قد جعلت العالم كله يتجه بإعجاب وتقدير للعلم الوضعي وقضاياه، ولقد تباهى الغربيون بأنهم وصلوا إلى هذا القدر من التقدم والمدنية بعد أن انفصل العلم عن الدين؛ حيث اعتقدوا أن الدين هو العائق والمانع لهم عن التقدم، وكان اضطهاد الكنيسة وتعذيبها للعلماء حافزا لتكوين جبهة تحد من العلماء ضد الدين ورجاله، وقد اندفع عدد من علماء البلاد الإسلامية وراء هذا التيار المعارض للدين متناسين أن هذه النهضة الغربية تدين للمسلمين حيث اقتبسوا أساسياتها من كتابات العلماء المسلمين في عصور النهضة الإسلامية عن طريق الأندلس وبغداد، أو إبان الحروب الصليبية، ومتناسين كذلك أن العلم الإسلامي علمٌ

---

[١]- كولن: في ظلال الإيمان ص ٣٠٣نقلا عن السلام والتسامح ص ٨١.
[٢]- السلام والتسامح ص ٨١- ٨٤.

شموليٌ قائمٌ على ضبط المناهج مع ارتباطه بقاعدة الإيمان، فالدين والعلم مرتبطان في الإسلام، وهذا هو سر النهضة الإسلامية في العصور الخوالي[١].

في ظل دعوات التقليد الأعمى للغرب، والانبهار بعلومه، ونقلها، ظهر في مقابل هذا الفريق من يدعو إلى أسلمة العلم.

وليس المعنى أنه علم ينفصل عن ركب العلم العالمي، بل إنه فضلا عن أنه علم يرتبط بالدين، فهو يعبر عن مدى إسهام المسلمين في حركة العلم العالمية[٢].

ومعنى إسلامية المعرفة: "المذهب القائل بوجود علاقة بين الإسلام، وبين المعارف الإنسانية، والرافض لجعل الواقع والوجود وحده المصدر الوحيد للعلم الإنساني والمعرفة الإنسانية"[٣] أو الذي يقيم المعرفة الإنسانية على ساقين اثنتين: الوحي وعلومه والكون وعلومه، وليس على ساق واحدة وهي الوجود [٤].

أما العلوم المراد أسلمتها فهي علوم الكون ومعارفه البشرية المدنية - لا الشرعية فهي إسلامية الموضوع والمنطلقات بالأصل-، ومعنى إسلاميتها: "إيجاد علاقة بينها وبين السنن الإلهية التي جاء بها الوحي في الكون، والإنسان، والاجتماع، وكذلك توظيف هذه العلوم والمعارف- عن طريق أسلمة فلسفتها- لتحقيق المقاصد والغايات الشرعية التي حددها الوحي "حكمة" لخلق الله سبحانه وتعالى الكون والإنسان"[٥].

وفي حديثه عن نهضة العالم الإسلامي كثيرا ما يدعو (كولن) إلى أسلمة المعرفة فيرى بدلا من كونها مصبوغة بالصبغة الغربية أن نضع عليها بصماتنا وتحليلنا، لا أن نتعطاها جاهزة من الغرب .

فهو يرى أن مشكلة عدم النهضة وعدم ظهور مفكرين في العالم الإسلامي مرده ومرجعه أن العلوم الوضعية الحديثة ليست من نتائج بحث وتحليل العلماء المسلمين، بل تعتمد على الفلسفة الوضعية والمذاهب الطبيعية والعقلية بالمعني الغربي فيجب - في رأيه- أن ينشأ عباقرة جدد في العالم الإسلامي راغبين في إعادة تفسير الوجود وفق معاييرهم الذاتية[٦].

فهو يرى أن المسلمين ملزمون بالبحث، والإسهام في الحياة الثقافية للإنسانية بتراثهم الثقافي، ومفهومهم الحضاري، فينبغي إنشاء الجامعات والمراكز البحثية ليقوم العلماء

---

[١]- ينظر: أ د محمد علي أبو ريان: أسلمة المعرفة العلوم الإنسانية ومناهجها من وجهة نظر إسلامية ص ٣ ، دار المعرفة الجامعية.

[٢]- السابق ص ٥.

[٣]- الأستاذ الدكتور/ محمد عمارة : إسلامية المعرفة ماذا تعني؟ سلسلة في التنوير الإسلامي(٧٤) ص ١٠ نهضة مصر ط الأولى يناير ٢٠٠٧م.

[٤]- السابق ص ١٠.

[٥]- إسلامية المعرفة ص ١٢.

[٦]- ينظر: حوار مع كولن ص ١٣٧ من كتاب السلام والتسامح في فكر فتح الله كولن. وينظر: فصل التجديد .

بالتحقيق والتفسير والتحليل لكل ما قيل في العلم حتى اليوم وصياغة العلم من جديد، وإلا فلن نتخلص من هذه الازدواجية[١].

ويؤكد أن العلوم الطبيعية بكل شعبها اليوم تستند إلى المادية الغربية، فالمادة هي الأساس عند الغرب، والانفجار الأول،[٢]ومبادئ الديناميكا الحرارية حقائق لا جدال فيها، ونحن عندما نقول شيئا فوق هذا مستندين على حقائق دينية نكون كأننا نرقع ثوبا خلقا .المطلوب هو أن تؤسس العلوم التطبيقية وفق أرضية سليمة من زاوية معاييرنا.

ولذا يرى (كولن) أن جهود بعض العلماء الذين يعتمدون على تحصيل العلم من الغرب أساسا ثم صبغه بصبغة إسلامية غير مجدية طالما ظل على أرضية مادية فيقول: "وأظن أنه لا يمكن (أسلمة العلم) طالما ظل على الأرضية التي هو عليها اليوم، وقد يصل المسلمون إلى نتيجة إيجابية يوما ما إذا ما فحصوا معايير الغرب وأخضعوا اكتشافاتهم للدراسة المعملية، والبحث والتدقيق من جديد، فالأرضية التي يبنى عليها العلم اليوم أرضية خاطئة، وبلوغ الصواب من طريق الخطأ أمر مستحيل، فالمقاصد الصحيحة لا بد لها من وسائل صحيحة"[٣].

وهذا واضح أيضا في حديثه الدائم للمسلمين بضرورة ربط المعرفة بالقرآن الكريم واتخاذ القرآن مرشدا في كل بحث؛ لأن فيه إشارات للعلوم وفروع المعرفة.

إذن أسلمة المعرفة عند (كولن) لا تعني تحصيل العلوم من الغرب ثم صبغها بالصبغة الإسلامية، بل البناء من جديد على أرضية إسلامية مع فحص ما توصل إليه الغرب فحصا علميا.

تعقيب:

هذه كانت أهم المسائل التي ناقشها (كولن) فيما يتعلق بالمعرفة، و من خلال هذا العرض يتبين أن:

المعرفة عند (كولن) ترتبط بنظرته إلى الوجود، فكلتاهما يستخدم فيها نفس المنهج في الربط بين الله، والإنسان، والكون.
نظرة (كولن) إلى مصادر المعرفة متوازنة تجمع بين عناصرها الوحي، والحس، والعقل، والبصيرة وهي نظرة الإسلام قبل كل شيء.
دور الدين يكمن في معاونة الإنسان على فهم ما وراء الحقائق العلمية من حقائق معنوية وروحية تبعث في النفس الأمن واليقين.

---

[١]- فتح الله كولن : الموشور ص ٧٢ ترجمة: د عبد الرازق أحمد محمد دار النيل ٢٠١٥م.
[٢]- الانفجار الأول: ويسمى الانفجار العظيم وهي النظرية المعتمدة حتى الآن لدى علماء الكونيات وهي نظرية تفترض أن الكون قد بدأ رحلته في الوجود من ذرة لانهائية ساخنة شديدة الكثافة، انفجرت بقوة هائلة ومروعة وشكلت المادة في الكون والكون يتمدد بقوة هذا الانفجار العظيم منذ حدوثه وحتى الآن، والعلماء لا يملكون أي معلومات عما كان سائدا قبل حدوث هذا الانفجار . ينظر: د/ أسامة أبو حليمة : تأملات علمية ص ٣١. د/ أحمد السيد رمضان: الإسلام وفلسفة العلم ص ٢٢٤، الدار الإسلامية للطباعة والنشر ١٤٢٢هـ- ٢٠٠١م.
[٣]- كولن: الموشور(١) ص ٧٤ .

ينبغي أن تظل حقائق الدين متعالية ومتسامية عن إخضاعها أو تأويلها للتوافق مع أي حقيقة علمية، فالدين أصل والعلم تابع وخادم للدين.
السبب الرئيس وراء اهتمام القرآن بعلم الطبيعة، والعلوم الأخرى، هو الرغبة في دعوة الإنسان لمعرفة الله خالقه سبحانه وتعالى.
عدم الفصل بين الدين والعلم التي يتبناها (كولن) هي دعوة ضد العلمانية الفكرية المنتشرة في العالم.
الدعوة إلى اهتمام المسلمين بالعلوم وربطها بالقرآن هي دعوة إلى أسلمة المعرفة، وهو ما دعا إليه (كولن) بالفعل، ولن يتقدم المسلمون إلا بتحقيق الذاتية، والوجود والكيان الخاص بهم، وليس الاستيراد للعلوم القائمة على المادة والفكر الغربي.
الدعوة إلى إبراز العلاقة بين الدين والعلم قد تكون نقطة انطلاق لحوار إسلامي مسيحي، وهو ما تبناه (كولن) بالفعل كما سنرى.

الفصل الثاني

الأخلاق

المبحث الأول: حقيقة الأخلاق ومصدرها

المبحث الثاني: الفضائل والرذائل

المبحث الثالث: إصلاح النفس

المبحث الرابع: أركان النظرية الخلقية.

الفصل الثاني: الأخلاق

تمهيد:

الأخلاق من العناصر المهمة للغاية في فكر (كولن) إذ هي أصل من أصول الإسلام، وعليها يعول في بناء الحضارة، وتقويم الإنسان، وإعادة الروح من جديد في هذه الأمة، وهي الفارق والمميز الحضاري لأمتنا عن حضارة الغرب المادية.

و كان حديث (كولن) عن الأخلاق حديث الفيلسوف المسلم الذي يستقي كل فضيلة، وكل خلق من مصادر الإسلام (الكتاب والسنة) إلى جانب الميراث الصوفي الإسلامي.

تحدث (كولن) عن الفضائل والرذائل، والنفس وسبيل تقويمها، وقواعد النظرية الخلقية، والممارسة السلوكية للأخلاق، والإنسان المثالي.

ومن ثم سينتظم الحديث في هذا الفصل في عدة مباحث على النحو التالي:

المبحث الأول: حقيقة الأخلاق ومصدرها.

المبحث الثاني: الفضائل والرذائل.

المبحث الثالث: إصلاح النفس.

المبحث الرابع: أركان النظرية الخلقية.

المبحث الأول: حقيقة الأخلاق ومصدرها

أولا: حقيقة الأخلاق:

أ- الخلق في اللغة:

الخلق: "بالضم وبضمتين السجية والطبع والمروءة والدين"[١].

وحقيقته: أنه صورة الإنسان الباطنة، وهي نفسه في مقابل صورته الظاهرة (الخَلْق).والثواب والعقاب يتعلقان بالصورة الباطنة أكثر من الظاهرة[٢] .

ب- الأخلاق في اصطلاح العلماء:

ورد في تعريف الأخلاق عدة تعريفات منها:

١- حال للنفس داعية لها إلى أفعالها من غير فكر ولا روية[٣]، وهذه الحال قسمان:

منها: ما يكون طبيعيا من أصل المزاج كالإنسان الذي يحركه أدنى شيء نحو الغضب، ويهيج من أقل سبب، ومنها: ما يكون مستفادا بالعادة والتدريب، وربما كان مبدؤه بالروية والفكر، ثم يستمر عليه أولا فأولا حتى يصير ملكة وخلقا[٤].

٢- "هيئة في النفس راسخة، عنها تصدر الأفعال بسهولة ويسر من غير حاجة إلى فكر وروية[٥] .

والتعريفان متقاربان في صدور الأفعال عن النفس دون فكر وروية .

٣- "صفة مستقرة في النفس - فطرية أو مكتسبة- ذات آثار في السلوك محمودة أو مذمومة[٦].

٤- تعريف فتح الله كولن :

"الخُلق هو المزاج، الطبع، السجية، فهو أهم غاية للخلق والبعد الحقيقي للخلق الجبلي، وتصرف إرادة الإنسان على حقيقة الخلق، مستهدفا الأخلاق الإلهية فمن أحسن

---

[١]- الخليل بن أحمد: العين باب (الخاء والقاف واللام خ ل ق، ق ل) ص ١٥١/٤. مجد الدين الفيروز آبادي : القاموس المحيط ص ٧٥٠باب القاف فصل الخاء .

[٢]- ينظر: الرازي: مختار الصحاح باب (خ ل ق) ص ٩٥/١. ابن منظور: لسان العرب ص ٨٦- ٨٧ المجلد العاشر باب القاف فصل الخاء ..

[٣]- أبو علي أحمد بن محمد بن يعقوب بن مسكويه: تهذيب الأخلاق وتطهير الأعراق ص ٤١، تحقيق: ابن الخطيب، مكتبة الثقافة الدينية، ط: الأولى.

[٤]- تهذيب الأخلاق ص ٤١.

[٥]- الإمام أبو حامد الغزالي : إحياء علوم الدين المجلد الثالث ص ٧٧ .

[٦]- عبد الرحمن حسن حنبكة الميداني : الأخلاق الإسلامية وأسسها ج ١ ص ١٠ ، دار القلم- دمشق، ط: الخامسة ١٤٢٠هـ- ١٩٩٩م.

استعمال هذا التصرف، وألبس الخَلق لباس الخُلق سهلت عليه جميع الأعمال الصالحة"[١].

وهو متوافق مع المعنى اللغوي، مشيرا إلى غاية الأخلاق في بلوغ المنزلة عند الله تعالى.

ثانيا: مصدر الأخلاق عند كولن:

مصادر (كولن) في دراسة الأخلاق ترجع إلى الإسلام؛ لأنه - كفيلسوف مسلم- يريد أن يربط المسلمين بدينهم في كل شيء، ولاسيما في جانب مهم مثل القيم الخلقية، ومن ثم كانت المصادر الأساسية التي يستقي منها تتمثل في:

القرآن الكريم:

يستقي (كولن) كل حديثه حول الأخلاق من آيات القرآن الكريم وقصصه؛ لأنه دائما يحاول ربط المسلمين بكتاب الله المقروء، وجعله مقياسا لحياتهم، فلا نجد له حديثا إلا مشفوعا بآية من القرآن، ولا عبرة إلا وقد استقاها من قصصه الكريمة[٢] .

السنة النبوية:

يستشهد في كل مقام وفضيلة بسنة النبي (ﷺ) القولية، والفعلية، وسيرته العطرة، ومواقفه في حياته الخاصة والعامة وغزواته؛ تأكيدا منه على أهمية السنة في حياة المسلمين، وأهمية القدوة في تمثيل الأخلاق، وأفضل من يقتدى به هو صاحب الخلق الكريم الذي مدحه ربه بقوله: چ گ گ گ گں چ[٣]، وقال هو عن نفسه ورسالته: "إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق"[٤].

التراث الصوفي:

كثيرا ما يستشهد (كولن) بآثار الصوفية وأقوالهم وأشعارهم، بل ودائما يميل إلى جانب تزكية النفس وتقسيمها كفعل الصوفية، ويهتم كثيرا بالقلب والوجدان - كمنهج الصوفية- إلى جانب حديثه عن أخلاق المحبة، والتسامح، والتضحية وغيرها من المعاني التي يطرقها الصوفية، أما أخلاق الصوفية فقد ذكر كثيرا منها في كتابه عن التصوف ضمن مقامات وأحوال التصوف[٥] .

---

[١]- كولن: التلال الزمردية ص ١١٨.

[٢]- ينظر : على سبيل المثال : إصلاح النفس والمجتمع ص ٢٠١٣-٢٠١٩من كتابه شد الرحال لغاية سامية .

[٣]- سورة القلم الآية :٤.

[٤]- أخرجه أبو بكر البيهقي : السنن الكبرى، باب بيان مكارم الأخلاق ومعاليها كتاب جُمَّاعُ أبواب من تجوز شهادته ومن لا تجوز من الأحرار البالغين العاقلين المسلمين(ج ١٠ ص ٣٢٣ رقم ٢٠٧٨٢)، تحقيق: محمد عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية- بيروت – لبنان، ط: الثالثة ٢٠٠٣م.وقال ابن عبد البر هو متصل من وجوه صحاح عن أبي هريرة وغيره إلى النبي -ﷺ-، ينظر: أبو عبد الله بدر الدين محمد بن عبد الله بهاء الزركشي : اللآلئ المنثورة في الأحاديث المشهورة المعروف بالتذكرة في الأحاديث المشتهرة باب الحديث التاسع والعشرون ٩٨/١ ..

[٥]- ينظر: كولن: كتاب التلال الزمردية نحو حياة القلب والروح، ترجمة: إحسان قاسم الصالحي، دار النيل ٢٠١١م.

ثالثا: موضوع الأخلاق:

موضوع علم الأخلاق هو الخير وهو: "الشيء الذي يتشوقه الكل"[١] على حد تعبير (أرسطو) أو هو "المقصود إليه من كل الناس"[٢] كتعبير (ابن مسكويه) [٣] .

فعلم الأخلاق يعني بالخير حين يستخدم غاية في ذاته لا وسيلة لغاية، ووظيفته أن يطبق المثل العليا للسلوك الإنساني، أو بتعبير آخر: يبحث فيما ينبغي أن تكون عليه تصرفات الإنسان[٤].

لم أجد تعريفا محددا للخير عند (كولن) ولكن الخير بما هو الموضوع الأساسي للأخلاق يقرر (كولن) عموميته وثباته، فالخير -عنده- متفق علي قيمته في الدين والحكمة والضمير، فيقول: "عمل الخير وظيفة من وظائفنا من وجهة نظر الدين والحكمة، وتصرف يستحق التقدير من زاوية الضمير، وعدم عمل الخير إثم من وجهة نظر الدين، وإسفاف من وجهة نظر الحكمة، وعدم مبالاة من وجهة نظر الضمير، وقد يكون الخير دون فائدة، بل مضرا على نحو ما، ولكنه لا يكون شرا أبدا؛ لأن الشر على نقيضه تماما"[٥].

إذن من التأمل في نهاية هذا النقل يتبين أن الخير - وكذا الشر- عند (كولن) مطلق وثابت وليس نسبيا، حتى ولو كان الخير مضرا أحيانا فهو خير .

ومنذ القدم وهناك اختلاف وانقسام بشأن الخير وسائر القيم فمنهم من يقول بثباتها وعدم تغيرها من فرد إلى فرد أو من مجتمع إلى مجتمع، وكان من هؤلاء سقراط وأفلاطون وأرسطو، ثم في العصر الحديث (كانط)، وهناك من قال بنسبية القيم وتغيرها من فرد إلى فرد فهي ذاتية فالإنسان مقياس الخير والشر وأوائل من ذهب هذا المذهب هم السوفسطائيون وتبناها حديثا كثيرون منهم (أوجست كونت) [٦].

والرأي القائل بعموم الأخلاق وثباتها هو الراجح بلا شك حتى تكون المعايير الأخلاقية ثابتة بين كل المجتمعات والأفراد فينجو الأفراد والمجتمعات من الحيرة والشك في واحد

---

[١]- أرسطو طاليس: الأخلاق ص ٥٣، ترجمة: إسحاق بن حنين، حققه وشرحه وقدم له: د/ عبد الرحمن بدوي الهيئة العامة لقصور الثقافة - القاهرة ٢٠٠٧م سلسلة الذخائر (١٦١).

[٢]- ينظر ابن مسكويه: تهذيب الأخلاق وتطهير الأعراق ص ٨٨..

[٣]- ابن مسكويه: أبو علي أحمد بن محمد بن يعقوب الملقب مسكويه ولد بالعراق ٣٢٠هـ الموافق ٩٣٢م درس التاريخ وعلوم الأوائل خاصة المنطق والطب والكيمياء وكان مشهورا بالفضل والعلم والأدب والبلاغة غير أنه في المسائل الأخلاقية كان يعلو كعبه ويرتفع اسمه فلا يكاد يذكر اسمه إلا وينصرف الذهن إلى جهوده في فلسفة الأخلاق. توفي بأصبهان ٤٢١هـ الموافق ١٠٣٠م عن عمر قارب المائة عام من مؤلفاته: تهذيب الأخلاق وتطهير الأعراق- الفوز الأصغر- الفوز الأكبر- تجارب الأمم. كتاب الطَّهارة" في الأخلاق. ينظر: حاجي خليفة : سلم الوصول إلى طبقات الفحول ص ١/ ٢٤٠ ينظر: الأستاذ الدكتور/عبد اللطيف محمد العبد موسوعة أعلام الفكر الإسلامي ص ١٠٥٥- ١٠٥٩.

[٤]- ينظر: د/ مصطفى عبده: فلسفة الأخلاق ص ٣٣ مكتبة مدبولي- القاهرة ط الثانية ١٩٩٩م. وينظر: د/ توفيق الطويل: أسس الفلسفة ص ٧٢، مكتبة النهضة المصرية الطبعة الثالثة.

[٥]- الموازين ص ١٧٩.

[٦]- ينظر: د/ توفيق الطويل: مذهب المنفعة العامة في فلسفة الأخلاق ص ٣٥-٤٣، مكتبة النهضة المصرية، ط: ط: الأولى ١٩٥٣م. د/ مصطفى عبده: فلسفة الأخلاق ص ٢٩- ٣٦.

من أهم أسس الإنسانية وهو القيمة الخلقية "فإن الدفع بالقيم الأخلاقية جميعا إلى دوامة التغير والنسبية لن يلبث أن يصيب الحقيقة الخلقية في الصميم، وبالتالي فإنه لن يلبث أن يؤدي إلى بلبلة الرأي العام الأخلاقي"[١].

من خلال ما سبق يتبين أن:

١- غاية الأخلاق عند (كولن) هي محاولة التشبه بالأخلاق الإلهية، وبذا يحصل الإنسان السعادة .

٢- مصدر الأخلاق هو الإسلام ذاته عبر القرآن الكريم، والسنة النبوية، وكذا التراث الصوفي.

٣- الخير والشر ثابت وعام بين جميع الأمم وجميع الأزمان والأماكن.

---

[١]- د/ زكريا إبراهيم: المشكلة الخلقية ص ٦٠ سلسلة مشكلات فلسفية (٦)مكتبة مصر- القاهرة..

المبحث الثاني: الفضائل والرذائل

أولا: حقيقة الفضائل والرذائل:

١- الفضائل:

الفضائل هي القيم الإيجابية أو الخير الأسمى الذي يطلب الإسلام من أتباعه التحلي به، وقد ورد عدة تعريفات في بيان حقيقتها منها:

أ- "حال معتادة موجودة في التوسط الذي هو متوسط محدود بالقول(أي بالعقل) كما يحدها العاقل، وهي متوسطة فيما بين خسيستين، أحدهما بالزيادة والآخر بالنقصان"[١].

ب- صفة ثابتة في النفس- فطرية أو مكتسبة- تدفع إلى سلوك إرادي محمود عند العقلاء[٢].

ج- وقيل: الرجل الفاضل هو الذي تتغلب عليه الميول الفاضلة باستمرار[٣].

فالفضيلة على التعريف الأول تكتسب بالعادة والتربية ؛ ولذا اشتق اليونانيون اسم الخلق من العادة وتكتسب أيضا بالطبع [٤]،

وأيضا الفضيلة وسط بين رذيلتين كما شاع وأخذه كل الأخلاقيين من الفلسفة اليونانية، فالشجاعة فضيلة، وهي وسط بين التهور والجبن الأولى(التهور) بالزيادة أي بإفراط، والثانية(الجبن) بنقصان وهو تفريط.

فخصائص الفضيلة التوسط، وخصائص الرذيلة الإفراط والتفريط، كما يقول أرسطو[٥].

والتعريف الثاني يرى أن الفضيلة منها ما يكون فطري، ومنها ما هو مكتسب من العادة والدربة .

والثالث يرد الفضيلة إلى تكرار الخلق الفاضل.

د- الفضيلة عند كولن:

يعرف (كولن) الفضيلة بقوله: "ما يحترمه الإنسان ويوقره من سلوك، والحيوانات لا تعرفها ولا تستسغيها"[٦].

وقال أيضا: "هي الحالة الروحية التي لا تهتم بجلب احترام الآخرين، مع أنها عملت عملا

---

[١]- أرسطو طاليس: الأخلاق ص ٩٦.

[٢]- عبد الرحمن حسن حنبكة : الأخلاق الإسلامية وأسسها ج ١ ص ١٦ .

[٣]- د/ محمود حمدي زقزوق : مقدمة في علم الأخلاق ص ٣٠ دار القلم - الكويت، ط: الثالثة ١٤٠٣هـ-١٩٨٣م.

[٤]- أرسطو طاليس: الأخلاق ص ٨٥.

[٥]- أرسطو طاليس: الأخلاق ص ٩٦.

[٦]- الموازين ص ٨٨.

يستحق الاحترام"[١].

إدن الفضيلة مرتبطة بالإنسان فقط دون غيره من الكائنات، وهي في الوقت نفسه غريزة يفعلها المرء لذاتها، لا لأجل جلب احترام الناس، أو دفع شرهم.
وقد ذكر (ابن مسكويه) أجناسا أربعة تحتوي على جمل الفضائل وهي:

١- الحكمة: وهي فضيلة النفس الناطقة.

٢- والعفة: وهي فضيلة الحس الشهواني.

٣- والشجاعة: وهي فضيلة النفس الغضبية.

٤- والعدالة: فهي فضيلة للنفس تحدث لها من اجتماع هذه الفضائل الثلاث[٢] ويرى (الغزالي) كذلك أن هذه الأربع أمهات الأخلاق وأصولها، ومن اعتدال هذه الأصول الأربعة تصدر الأخلاق الجميلة كلها[٣].

وكلا من (ابن مسكويه) و(الغزالي) قد تأثرا بأفلاطون في تقسيم النفس إلى ثلاث قوى تتولد منها فضيلة رابعة هي العدالة كما هو واضح[٤] .

بينما لا نجد عند (كولن) مثل هذا التأثير، فهو يدعو إلى فضائل إسلامية تتعلق بالسلوك، ويرى أن الفضيلة تنهض على أسس ثلاثة وهي: العلم والحلم والعبادة[٥].

وقد ذكر عدة فضائل في ثنايا كتبه منها:
أ- المحبة:

و تعني المحبة عند (كولن): "الميل نحو كل جمال مادي أو معنوي، محبة الأشياء المادية جسمية وبدنية، ومحبة الأمور المعنوية تكون روحية ووجدانية؛ لذا فمحبة الجمال الظاهري تولد ألما محضا؛ لأنه ليس خالدا، أما محبة الأمور المعنوية فخالدة وخالية من الألم"[٦].

٢- التسامح:
في تعريفه للتسامح يقول كولن: "التسامح هو سعة الصدر، وسعة الأفق في النظر وليس فيه معنى التنازل عن الدعوة ولا المداهنة قط"[٧] .

---

[١]- السابق ص ٨٨.
[٢]- ابن مسكويه : تهذيب الأخلاق وتطهير الأعراق ص ٢٧.
[٣]- إحياء علوم الدين المجلد الثالث ص ٧٩ .
[٤]- ينظر: د/ محمد عبد الستار نصار: دراسات في فلسفة الأخلاق ص ٤٠٧، دار القلم- الكويت، ط: الأولى ١٩٨٢م.
[٥]- الموازين ص ١٩٢.
[٦]- الموازين ص ١٧٦.
[٧]- كولن: طرق الإرشاد في الفكر والحياة ص ١٦٧، ترجمة: إحسان قاسم الصالحي، دار النيل، ط: الرابعة ١٤٣١هـ-٢٠١٠م .

و يدعو (كولن) إلى التسامح مع كل المخالفين وحتى مع المسيئين بأي صورة وهذا ما يجعل هذه الفضيلة مطلقة عند كولن وليست نسبية، ولعله متأثر في ذلك بأخلاق الصوفية ويستشهد على التسامح في تاريخ الإسلام بموقف الرسول- ﷺ يوم فتح مكة مع كفار قريش بعدما أذاقوه صنوف العذاب، فقد سأل - ﷺ: ما ترون أني فاعل بكم؟ فأجابوه: "خيرا، أخ كريم وابن أخ كريم" فقال لهم كما قال يوسف – عليه السلام – لإخوته: چ ے ے ۓ ۓ ڭ ڭ ڭ ۇ ۇ ۆ ۆ ۈ چ[1] فقد أظهر سيدنا يوسف التسامح على إخوته بينما الرسول- ﷺ- أظهره حتى لأعدائه[2].

إضافة إلى ذلك أن تلك الفضيلة كانت وراء دعوته العامة إلى الحوار والسلام مع الآخر . فمما اشتهر عنه قوله: "افتح صدرك للجميع، افتحه أكثر ما تستطيع ليكن كالبحر، لتمتلئ بالإيمان، وبمحبة الإنسان، لا تبق خارج اهتمامك أي قلب حزين لا تمد له يدك"[3].

ويدعو إلى لين الجانب تجاه المنكرين إلى درجة تذوب معها أحقادهم ونفورهم على حد قوله، وكذا مقابلة السيئة بالحسنة، وعدم مقابلة المسيء بالإساءة، بل على المرء أن يعكس أخلاقه وطبيعته في تصرفاته وسلوكه، ويتخذ طريق المسامحة وعلو النفس والكرم أمام الذين لا يعرفون قواعد السلوك والخلق، ومجمل القول ليكن شعار المرء هو حب الإنسان والإنسانية[4] .

وهنا ندرك مدى حرصه على الممارسة العملية للأخلاق كغاية أساسية .

ج- الشرف أو العفة:

يرى (كولن) أن العفة أسمى جانب عند الشجاع، وأهم صفة عنده، أما أكبر نقيصة فهي ألا يكون مباليا في دواعي العفة.

وأيضا هي أسمى قيمة عند المرأة، والعفة الشخصية لدى الرجل والمرأة تقود إلى الحفاظ على الوطن ومقدساته، يقول (كولن): "ومن البديهي أن الذين لا يبدون حرصا وحساسية في مسألة الحفاظ على عرضهم وعفة نسائهم لا يمكن أن يكونوا حريصين في الحفاظ على عرض أمتهم"[5].

د- الوفاء:

يتحدث (كولن) حديث الصوفي عن خلق الوفاء، فالوفاء لا ينمو إلا في مناخ المحبة والإخاء ويجف في جو التنافر والعداء فيقول: "فهو يطوف حول السعداء

---

[1]- سورة يوسف الاية:٩٢.

[2]- كولن: طرق الإرشاد في الفكر والحياة ص ١٦٧: ينظر: صفي الرحمن المباركفوري (المتوفى: ١٤٢٧هـ) الرحيق المختوم ص ٣٧٢/١الناشر: دار الهلال - بيروت (نفس طبعة وترقيم دار الوفاء للطباعة والنشر والتوزيع) الطبعة: الأولى، والحديث أخرجه أبو الوليد محمد بن عبد الله بن أحمد بن محمد بن الوليد بن عقبة بن الأزرق الغساني المكي المعروف بالأزرقي (المتوفى: ٢٥٠هـ) في أخبار مكة وما جاء فيها من الأثار باب تحريم الحرم وحدوده ومن نصب أنصابه، وأسماء مكة وصفة الحرم ص ١٢١/٢، المحقق: رشدي الصالح ملحس، الناشر: دار الأندلس للنشر - وقال الألباني: هذا الحديث على شهرته ليس له إسناد ثابت وهو عند ابن هشام معضل، وقد ضعفه الحافظ العراقي. ينظر: ناصر الدين الألباني: دفاع عن الحديث النبوي والسيرة ج ١ ص ٣٢.

[3]- الموازين ص ١٩.

[4]- ينظر: كولن: الموازين ص ٢٠.

[5]- الموازين ص ١٧٣.

المتوافقين فكرا وإحساسا. ورؤية طواف النسيم العليل يغمرهم بعطره الشذي، وينعشهم بنداه الطري فإذا لفته رياح الحقد والغيرة والكراهية جففت أوراقه، واقتلعت جذوره. في منابت المحبة والمروءة يولد ويسمو، وفي أرض العداوة والبغضاء ينطفيء ويخبو"[١].

وذكر من تعريف الوفاء: (أن يتحد الإنسان وقلبه) ويرى أنه تعريف في محله، ولكنه ناقص فلا يمكن الحديث عن الوفاء عند من لا يملك حياة قلبية، وغلب عليه الخواء الروحي كما يقول.

ولم يذكر تعريفا خاصا به ولكنه رسم الوفاء بصورة واسعة جعله يشمل حياة الفرد و الأسرة والأمة والدولة، فيقول: " وإذا فقدت أمة قيمة الوفاء فلا يمكن الحديث فيها عن الفرد الناضج المعطاء، ولا الأسرة العامرة بالأمن والسكينة، ولا الدولة المستقرة التي تنعم بثقة أبنائها. في مناخ كهذا، ينظر الأفراد بعين الشك والريبة إلى بعضهم، وتعاني الأسرة شقاء مضنيا، وتذيق الدولة أبناءها مرارات البؤس والنكبات، ويغدو كل شيء أجنبيا بعضه إلى البعض كالجمادات وإن تداخلت وتراص بعضها فوق بعض"[٢].

وعدد أهمية الوفاء ومنها: أنه يؤلف بين الأفراد ويدمجهم فيما بينهم متآخين متوافقين، وبالوفاء تصبح الأجزاء كلا متكاملا، وتتلاحم القطع المتناثرة.

وذكر عدة مواقف من تاريخ الأنبياء تبين قيمة الوفاء منها:

فتحت أبواب المغفرة لسيدنا (آدم)- عليه السلام- بالوفاء، بينما أوصدت في وجه إبليس وطرد من رحمة الله.
عاش سيدنا (نوح) -عليه السلام- لقرون يعاني، ولكنه ظل وفيا، نبه قومه وحذرهم فتحول ذلك الوفاء إلى سفينة نجاة له ولمن آمن معه.
عاش سيدنا (إبراهيم) -عليه السلام- وفيا طيلة حياته حتى يوم أن اصطلى بنار النمرود قال: "حسبي الله" فتحولت النار بردا وسلاما عليه.
بلغ سيدنا (محمد) - ﷺ- عوالم- لعله يقصد في ليلة المعراج- لم يسبق إليها ملك من قبل، ونال السعادة والتكريم بفضل وفائه، فوفاؤه لأمته وصحبه جعله يغادر عالم السعداء، ويعود أدراجه إلى الدنيا إلى صحبه ورفاقه؛ ليواجه العقبات ويتحمل التبعات.
ولعله يقصد أن كل نبي قام بمسئوليته تجاه ربه، وتجاه رسالته، وتجاه الأمة التي أرسل إليها فذلك ضرب من الوفاء.

إذن نستطيع القول إن الوفاء عند (كولن) يشمل الوفاء بالعهود مع الله، ومع الناس، وتحمل المسئولية المنوطة بالفرد تجاه من هو مسئول عنهم من خاصة وعامة.

ولذا رجا- في هذا الزمان الذي لم تراع فيه حرمة العهد، ولا الأمانة، وانتشر الفساد والخداع - أن يأتي أبطال يحملون المسئولية، ويرفعون قيمة الوفاء من جديد، وفي هذا سيكون طريق الانبعاث من جديد لهذه الأمة[٣] .

---

[١]- فتح الله كولن: مقال الوفاء مجلة حراء ص ٢-٤السنة الحادية عشر(مارس/ إبريل)٢٠١٦م.
[٢]- السابق.
[٣]- ينظر: فتح الله كولن: مقال الوفاء .

٢- الرذائل :

والرذيلة: هي صفة ثابتة في النفس - فطرية أو مكتسبة- تدفع إلى سلوك إرادي مذموم عند العقلاء[١].

والرذيلة حسب (كولن) هي: "ما يتجنبه الإنسان ويفر منه من سلوك وتصرف "[٢].
وهذا ما يميز الإنسان؛ لأن الحيوانات لا تملك مثل هذا القسطاس الأخلاقي[٣].

ومن الرذائل التي ذكرها (كولن):
أ- الكذب:

يرى (كولن) أن الكذب رفيق المداهنة والحقيقة رفيقة الجد .
ومن مظاهر الكذب الصخب، أما الحقيقة فهادئة، فالبروق تصل إلى أهدافها قبل الرعود على حسب تعبير (كولن)[٤].

ب- الطمع:

يرى (كولن) أن الطمع وحش يصرع أشجع الشجعان، وفخ خطير يقلب الأسد فأرا، ومن يقع بين فكيه لن يكتب له الخلاص، بل هو والحسد جهنم دنيوية للحاسد والطماع كما يقول (كولن)[٥].

ج- الأنانية:
يقول (كولن): "لما كانت الأنانية صفة شيطانية فإن مصير المنخدعين بها هو مصير الشيطان نفسه دون شك"[٦].

إشارة منه إلى ما حدث من إبليس من كبر وأنانية استحق بها اللعن في مقابل آدم -عليه السلام - الذي أطلق دموع التوبة والاستغفار فقبله الله واستخلفه.
ويرى (كولن) أن الأنانية لها أسباب وبواعث، فيقول: "وقد تنشأ الأنانية من العلم، أو من الثروة، والسلطة، أو تنبع من الذكاء، أو تضخم الجمال"[٧].

وقد تتحول الأنانية الفردية والشخصية إلى أنانية جماعية تتضخم وتأخذ شكلا عدوانيا، ومن هنا يحل الشر مكان الخير كما يقول (كولن).

وبعد حديث (كولن) عن بعض الفضائل التي يجب التحلي بها وبعض الرذائل الواجب التخلي عنها كان له حديث عن التطبيق العملي لتلك الفضائل وهو موضوع الحديث التالي.

١- عبد الرحمن حسن حنبكة: الأخلاق الإسلامية وأسسها ج ١ ص ١٦.
٢- الموازين ص ٨٧.
٣- الموازين ص ٨٧.
٤- ينظر: كولن: الموازين ص ١٧٤.
٥- ينظر: الموازين ص ١٩٥.
٦- الموازين ص ٤٢.
٧- الموازين ص ٤٢.

ثانيا: الممارسة السلوكية للأخلاق:

سبق الحديث عن الأخلاق وما ينطوي تحت لوائها من فضائل وما يجب تجنبه من رذائل وأهواء، وستظل تلك مجرد معلومات فكرية ما لم تتحول إلى واقع .

فالأخلاق شيء يتصل بباطن الإنسان، ولا بد من مظهر يدل عليه في الخارج، وهذا المظهر هو السلوك، فالسلوك دليل الخلق ورمز له وعنوان عليه [١]أو أن الأخلاق كما يقول العلماء تنقسم إلى:

١- أخلاق نظرية:

تتعلق بالقواعد أو المبادئ الكلية التي ترشد إلى الفضيلة وتمنع الرذيلة.

٢- أخلاق عملية:

تبحث في أنواع الملكات الفاضلة التي ينبغي على الإنسان أن يتحلى بها ويمارسها في حياته العملية اليومية، أو تعني بالتطبيق الفعلي على أرض الواقع لما يحمله كل فرد من فضائل[٢] .

بل إننا نستطيع أن نقيس مستوى الخلق النفسي عن طريق قياس آثاره في سلوك الإنسان، فالصفة الخلقية المستقرة في النفس إذا كانت حميدة كانت آثارها حميدة وإذا كانت ذميمة كانت آثارها ذميمة، وعلى قيمة الخلق في النفس تكون آثاره في السلوك إلا أن تكون هناك معوقات تمنع من ظهور آثار الخلق في السلوك[٣].

وأمر مهم وجدير بالتأكيد، وهو أن من قواعد السلوك الإنساني التي حددها القرآن:

١- قاعدة وحدة الأصل الإنساني.

٢- قاعدة الإخاء الإيماني.

٣- قاعدة الصالح العام قبل صالح الأفراد.

وهو يريد من ذلك إبراز غريزة الشعور بالآخرين وإعلاءها على غريزة الشعور بالذات والأنانية[٤].

إذن السلوك الإيجابي هو الذي يقوم على احترام الآخرين، وإعلاء صالح المجموع وهذا من أبرز ما يميز السلوك، وكذا الحرية الفردية فإنها حرية مضبوطة بما لا يضر الآخرين .

---

[١]- د/ محمود حمدي زقزوق: مقدمة في علم الأخلاق ص ٣٤.
[٢]- ينظر: د/ زقزوق: مقدمة في علم الأخلاق ص ١٨وينظر: الأخلاق في الإسلام النظرية والتطبيق ص ٣٩.
[٣]- عبد الرحمن حسن حنبكة/ الأخلاق الإسلامية وأسسها ج ١ ص ١٠ .
[٤]- ينظر: د/ نصار: دراسات في فلسفة الأخلاق ص ٣٧٤.

ويؤكد (كولن) على أن الممارسة العملية هي الغاية الأساسية من وراء الأخلاق والفضائل، فيدعو دوما إلى التمثل بها في حياتنا، وظهورها في تعاملاتنا وتصرفاتنا وقد أكد مرارا على أهمية الأخلاق والقيم، واستقامة السلوك في قيام الحضارات واسترجاع النهضة المنشودة للمسلمين، وأيضا أهميتها تكمن في تعرف العالم على الإسلام وتصحيح نظرتهم من خلال سلوكيات وتصرفات من يحملونه ، ويدينون به من المسلمين .

فعند حديثه عن قيم الحق، والعدالة، والمساواة، والأمن طالب المسلمين بالتمسك بها في حياتهم وربطها برضا الله تعالى، فهي كفيلة بتحقيق سعادة البشر[١].

وهذان هما غاية الخلق في الإسلام- رضا الله، وتحقيق السعادة للفرد والمجتمع .

ودعا (كولن) إلى وحدة المظهر والمخبر بأن ترتبط طهارة القلب بالسلوك والتصرف[٢] ونوه إلى أن الدين المعاملة، وأن سلوك الفرد وتصرفاته وتعاملاته مع الآخرين تبين مدى قوة علاقته بربه ودينه، يقول كولن: "كما يرتبط المطر بوجود الغيوم يوجد السلوك الجيد في القلوب المرتبطة بالله"[٣].

وهذا يدل على ارتباط مفهوم الأخلاق، ومفهوم الإيمان، فأي تقصير في أحدهما يكون له صدى في الجانب الآخر[٤].

وبعد الحديث عن الفضائل والممارسة السلوكية لها اللذين اعتبرهما كولن جناحين للأخلاق تحدث عن الإنسان المثالي، واعتبر الفضائل هي الممثلة للمثالية، وهذا الإنسان الفاضل هو من يطمح إليه في بناء، وتشييد مجد الأمة وكيانها. وسيكون هذا محور الحديث القادم- إن شاء الله-.

ثالثا: الإنسان المثالي عند كولن:

تطرح الفلسفات الإنسانية رؤى مختلفة للمثالية الإنسانية ففي بعضها تكون المثالية اجتماعية أو جمعية في طبيعتها، وتشمل السياسة والحكم والنظم الاجتماعية، وفي أخرى تركز على الفرد، وعلى كيفية تحقيق كل شخص لما هو أعلى وأفضل في الحياة.

وتبرز هذه الفلسفة شكلا مثاليا من الإنسان كمعيار للقياس أو كهدف يطمح إليه أي مسعى أو جهد بشري إما لذاته فقط أو لما يقول به من وجود حقيقة غيبية مطلقة مثل الذات الإلهية [٥].

وكان (الفارابي) أبرز من نادى من الفلاسفة المسلمين بفكرة الإنسان المثالي الفاضل كرئيس للمدينة الفاضلة التي ينشدها، فقد طَمَحَ برئيس أو إمام للأمة الفاضلة واشترط فيه اثنتى عشرة خصلة:

---

[١]- ينظر: ونحن نبني حضارتنا ص ٩٩.
[٢]- ينظر: الموازين ص ١٠٦.
[٣]- الموازين ص ١٨٤.
[٤]- د/ إيمان عبد المؤمن: الأخلاق في الإسلام النظرية والتطبيق ص ٣٨.
[٥]- ينظر: جيل كارول: محاورات حضارية ص ٦٩.

أن يكون تام الأعضاء، جيد الفهم والتصور، جيد الحفظ، جيد الفطنة، حسن العبارة محبا للتعليم والاستفادة، غير شره، محبا للصدق، كبير النفس محبا للكرامة، أعراض الدنيا هينة عنده، محبا للعدل وأهله مبغضا للجور والظلم، قوي العزيمة[١]، وقد تأثر (الفارابي) بجمهورية (أفلاطون) في تلك الفكرة الأخلاقية.

وقد قامت الدكتورة (كارول) بالمقارنة بين (كولن) واثنين من فلاسفة المثالية، وهما (كونفوشيوس) و(أفلاطون) ، فهم وإن اختلفوا في الزمان، والمكان، والمنطلق إلا أنهم يجمعهم رأي واحد حول المثالية من حيث كونها حقيقة غيبية، ومن حيث تحديدها في الفضائل على النحو التالي:

١- المثالية حقيقة غيبية :

فكونفوشيوس يقول بوجود حقيقة غيبية هي جوهر الوجود، وهو المبدأ والطاقة للواقع، أما الحقيقة الغيبية عند (أفلاطون) فهي العالم المثالي أو الحقيقي، وهو عالم العقل والروح، بينما العالم الفعلي أو عالم الظل هو عالم الجسد ورغباته، أما (كولن) فيتصور الحياة الإنسانية في إطار الإسلام فلا تكتسب الحياة كمالها إلا في ظل وجود الله تعالى.

٢- الإنسان المثالي هو الجامع للفضائل الخلقية والعقلية:

فكونفوشيوس يسميه الشخص النبيل في مقابل الوضيع الدنيوي، وله سمات كالبشاشة، والصدق، والتواضع، والتروي عند الغضب، والالتزام بالأخلاق والأدب مع الآخرين.

و(أفلاطون) يرى الإنسان المثالي هو الفيلسوف أو محب الحكمة[٢].

وهناك من يرى أن فلاسفة الإسلام قد تأثروا بأفلاطون في صفات الفيلسوف الحاكم مثل: (الفارابي) و(ابن رشد) و(إخوان الصفا)، ومزجوا بين الأفكار الأفلاطونية والفكر الإسلامي[٣].

أما (كولن) - وإن كنت لا أجزم بمثل هذا التأثير- فالإنسان المثالي عنده هو وارث الأرض، أو ممثل الروح، أو فدائي المحبة، أو جيل الأمل، أو مهندس الروح كما يذكر في كتاباته ، ويراه متصفا بعدة صفات:

الوصف الأول: الإيمان الكامل:

فيرى (كولن) أن الكفر نظام منغلق وخانق يظن الوجود فوضى، وأنه تطور في مجاهيل الصدفة وانزلق إلى غاية رهيبة، أما صاحب الإيمان بوجود الله وتدبيره لكل

---

[١]- ينظر: أبو نصر الفارابي : كتاب آراء أهل المدينة الفاضلة ص ١٢٧- ١٢٩ قدم له وعلق عليه: الدكتور ألبير نصري نادر، دار المشرق- بيروت ط السابعة ١٩٩٦م.

[٢]- ينظر: جيل كارول: محاورات حضارية ص ٧٠- ٧٣.

[٣]- د/ أحمد عرفات القاضي : صورة الحاكم الفيلسوف بين أفلاطون وبعض فلاسفة الإسلام ص ٨٧ الهيئة المصرية العامة للكتاب ٢٠١٢م.

شيء، فيعلم منشأه، وغاياته في الحياة، ومسؤولياته تجاه الأرض فيسعى بلا تشاؤم ولا سوداوية لتحدي كل القوى المادية متطلعا إلى النجاح والبناء، ويحيل (كولن) القراء إلى كليات رسائل النور في هذا الصدد[١].

وفي هذا ما يشير إلى أن (كولن) يتفق مع (النورسي) في قضيته الأساسية التي يدور عليها فكره في رسائل النور وهي: قضية إنقاذ الإيمان أو إيقاظ الإيمان وهي قضية كل المصلحين في الوقت ذاته.

الوصف الثاني: العشق:

يقصد به (كولن) حب البشر والوجود كله، وربطه بالله الذي هو مصدر الوجود، وجعل العمل بكلامه هو غايات الخلق كلهم، والكتاب والسنة هما فوارة العشق والشوق، وعليه فإنه يجب العمل وفقهما وعدم هجرهما .

يقول كولن: " لقد تعرف الغرب على العشق في أبعاد تلون المادة من خلف الفلاسفة وأجواء الدخان والضباب الفلسفية، فذاق طعمه، وعاش الشبهات والتذبذبات على طول الطريق، أما نحن فننظر إلى الوجود، ومصدر الوجود بعدسة الكتاب والسنة ونحقق حب الخالق الذي نذكي جذوته ولهيبه في قلوبنا، والعشق والحمى والعلائق التي نرتبط بها مع الوجود كله من أجله هو باللجوء إلى رحاب موازنة المصدرين مع الانفتاح على الميتافيزيقا"[٢].

وذلك لأن منشأ الإنسان وموقعه في الكائنات وغايته في هذين المصدرين منسجم انسجاما عجيبا مع فكر الإنسان، وشعوره، وتوقعاته كما يرى (كولن).

و(كولن) يحاول من جديد أن يجمع بين الأصالة والمعاصرة فينطلق من الكتاب والسنة إلى الوجود أو الميتافيزيقا، وله تعبير رائع في تصوير هذا الربط، فيقول: "والمفيد أن يلجأ اللاجئون بتعمق وإخلاص الإمام (الغزالي)، والإمام الرباني (السرهندي)، والشاه (ولي الله الدهلوي)[٣]، و(بديع الزمان النورسي)، وأن يقتربوا بحماس مولانا (جلال الدين الرومي)، والشيخ (غالب)[٤]، و(محمد عاكف)، وأن يتوجهوا بالحركية ل(خالد)، و(عقبة)،

---

[١]- ينظر: محمد فتح الله كولن: ونحن نقيم صرح الروح ص ٣٤.

[٢]- كولن: ونحن نقيم صرح الروح ص .٣٦.

[٣]- شاه وَليُّ الله (١١١٠ - ١١٧٦ هـ = ١٦٩٩ - ١٧٦٢ م): أحمد بن عبد الرحيم الفاروقي الدهلوي الهندي، أبو عبد العزيز، الملقب شاه وَليُّ الله: فقيه حنفي من المحدّثين. من أهل دهلي بالهند. زار الحجاز سنة ١١٤٣ - ١١٤٥ هـ. أحيا الله به وبأولاده وأولاد بنته وتلاميذهم الحديث والسنة بالهند بعد مواتهما، وعلى كتبه وأسانيده المدار في تلك الديار، وقيل في وفاته: سنة ١١٧٩ هـ. من كتبه (الفوز الكبير في أصول التفسير) ألفه بالفارسية، وترجم بعد وفاته إلى العربية والأرديّة ونشر بهما، و (فتح الخبير بما لابد من حفظه في علم التفسير) و (حجة الله البالغة) مجلدان، و (إزالة الخفاء عن خلافة الخلفاء) و (الإرشاد إلى مهمات الأسناد) و (الإنصاف في أسباب الخلاف) و (عقد الجيد في أحكام الاجتهاد والتقليد) و (المسوّى من أحاديث الموطأ) مجلدان و (شرح تراجم أبواب البخاري) و (تأويل الأحاديث) و (الخير الكثير) في الحكمة، و (الاعتقاد الصحيح) و (البدور البازغة) في التصوف والحكمة، و (القول الجميل في بيان سواء السبيل) تصوف، وترجم القرآن إلى الفارسية على شاكلة النظم العربيّ، وسمى كتابه (فتح الرحمن في ترجمة القرآن). ينظر: الزركلي: الأعلام ص ١/ ١٤٩ .

[٤]- الشيخ غالب: ولد بإسطنبول ١٧٥٧وتوفي ١٧٩٩ اسمه محمد بن مصطفى راشد وغالب اسمه الشعري على عادة الشعراء الأتراك. واحد من كبار شعراء المتصوفة. تعلم الفارسية على يد أبيه وانتسب إلى المولوية تدرج

و(صلاح الدين)، و(محمد الفاتح)، و(ياووز سليم)...، وخطوتنا الثانية: هي أن نمزج عشقهم وشوقهم الطافح غير المقيد بالأزمنة والأمكنة كلها بأصول عصرنا، وأساليبه، ورسائله في بيدر واحد؛ لنصل إلى روح القرآن الذي لا يحده زمان، ولا يبلى، وبالتالي إلى ميتافيزيقية كونية"[١].

فالإنسان إذن عليه أن يبدأ من الروح ويبني داخله على هدي الروحانيين من أمثال الغزالي والرومي وغيرهما، ثم يتحرك ويصبح فاعلا عاملا مجاهدا ضاربا في الأرض على هدي خالد بن الوليد وصلاح الدين والفاتح ثم نمزج هذا الفكر الجامع بين الروح والحركة بالعصر الذي نحياه أي بالنهاية الجمع بين الأصالة والمعاصرة.

الوصف الثالث: التوجه إلى العلم بميزان العقل والمنطق والشعور:

يرى (كولن) أن الخلل الذي نعيشه في عالمنا الإسلامي هو بسبب تنحية الفكر العلمي، ومن ثم سارع الأجانب بافتتاح مدارس أجنبية على أراضينا، وسلمناهم أدمغة أبنائنا تقدم لهم الثقافة الأمريكية، والأخلاق الفرنسية، والأعراف الإنكليزية على العلم والفكر العلمي؛ ولذا انزلق شبابنا إلى التيارات الغربية الهدامة كالماركسية، والوجودية، واتبعوا فرويد وغيره .

والخلاص كما يقول كولن: "لا بد من تحقيق تجددنا الذاتي في ظل الفكر العلمي، الذي نشحن شبابنا به، وبتمازجهم تمازجا كاملا بالعلم والفكر"[٢] .

وفي سبيل ذلك الهدف عمل (كولن) إلى الاهتمام بالتعليم، وسعى لإنشاء المدارس وقد ألفت المقالات، ودبجت الأبحاث عن التعليم، ومكانته، وفلسفته في فكر (كولن) بشكل يصعب حصره، ومنها تلك المحاورات الحضارية التي صاغتها (جيل كارول) للمقارنة بين كولن، وأفلاطون، و(كونفوشيوس)، فقد اشترك الثلاثة في اعتبار التعليم طريقا لتكوين الإنسان المثالي بمكوناته الجسدية والعقلية والروحية[٣].

فقد أولى (كولن) المدرسة[٤] شأنا عظيما وجعل لها سمات خاصة: "مدرسة فكرية أصيلة ذات منهج فكري وعلمي، ونظرة إلى مختلف العلوم من منظور القرآن والسنة بنظرة تواكب العصر وتنطلق منه، وهو أمر يتجلى كأوضح ما يكون في النشاط التربوي والتعليمي - داخل تلك المدارس- المنضبط بنظرة تزاوج بين تكوين العقل وتربية القلب"[٥].

في معارف الدين والتصوف والأدب حتى ارتقى إلى مشيخة التكية المولوية في غلاطة بإسطنبول له مصنفات في التصوف، وشروح على المثنوي ودواوين شعر أثر في شعراء التركية والفارسية. ينظر: هامش ونحن نبني حضارتنا ص ١٦٤ للمترجم عوني عمر لطفي أوغلو.

[١]- ونحن نقيم صرح الروح ص ٣٦.

[٢]- السابق ص ٣٨.

[٣]- ونحن نقيم صرح الروح ص ١٢١.

[٤]- تحدثت عن نشاطه التعليمي داخل تركيا وخارجها في الباب الأول.

[٥]- د/ سمير بودينار: بحث فلسفة التعليم : السباحة في المجال الحيوي ص ٣٤٠.

ومن هنا جاءت رؤية (كولن) للمستقبل في الجمع بين أفضل ما في الثقافة الغربية وهو التطور العلمي والتكنولوجي، وأفضل ما في الثقافة الشرقية وهو القيم الروحية والأخلاقية[١].

وكما انتقد المدرسة التقليدية وعجزها عن مواكبة العصر انتقد المدرسة الحديثة الأوربية بسبب إغراقها في الوضعية، وإبعاد النظرة الدينية، وقد تأثر في ذلك بالنورسي الذي رأى الحل الأمثل في إنشاء (مدرسة الزهراء)لتجمع بين العلوم الشرعية والعقلية، وقد حالت ظروف (النورسي) دون ذلك، فقام (كولن) بتحويل هذا الفكر إلى منجز حقيقي[٢].

وعلى ذلك اعتبر (كولن) أن المشكلة المركزية في تركيا وسائر العالم العربي هي التربية والتعليم، فقام ودعا رجال الأعمال، والمتطوعين إلى إنشاء المدارس المتكاملة التي تجمع بين علوم الدين وعلوم العصر.

ويعتمد النجاح في هذه المدارس على ثلاثة عناصر:

الأول: المدرس، أو المعلم الذي يعشق العلم والقيم والذي اختار طوعا الغربة والترحال في أصقاع الأرض للتعليم والتربية.

الثاني: المناهج: وهناك خبرات واسعة في وضع المناهج الحديثة والاستفادة من خبرات جامعات عريقة كأكسفورد وطباعة الكتب المدرسية التي تحمل القيم المطلوبة باحترافية.

الثالث: نظام تقويم مستمر لتحصيل التلميذ، وتقييم الأستاذ، واكتشاف مكامن الضعف وتكوين علاقات منتظمة مع أسر الطلاب[٣] .

ومن الملاحظات التي أبدتها (جيل كارول) عند حديثها عن فلسفة التعليم عند (كولن) أنه اهتمامه لم يقتصر على المدارس، بل سعى بكافة السبل لتعليم الشباب - أيضا- عن

طريق الأسر، والمجتمعات، والإعلام[٤].

الوصف الرابع: إعادة النظر في ملاحظاته عن الكائنات والإنسان والحياة:

تكلم (كولن) عن هذا الربط بين العناصر الثلاثة كثيرا، ووجوب التفكر في كتاب الكون والكائنات؛ لأنها مصدر العلم والمعرفة، وتحويل هذا العلم إلى واقع حركي في الحياة، فالعلم الطبيعي كما نعلم قائم على الكون ومحتواه من كائنات وأشياء وحوادث، فهذا مسرح عمل عالم الفلك، والجيولوجيا، والكيمياء، والفيزياء، وكذا مجال عمل الفيلسوف وعالم الاجتماع وغيرهما من العلوم الانسانية.

---

[١]- محاورات حضارية ص ١٢٢.
[٢]- د/ محمد جكيب: أشواق النهضة والانبعاث قراءات في مشروع الأستاذ فتح الله كولن ص ٢٩٦.
[٣]- د سمير بودينار : بحث فلسفة التعليم : السباحة في المجال الحيوي ص ٣٤٦- ٣٤٩ ضمن أبحاث مؤتمر مستقبل الاصلاح في العالم الإسلامي.
[٤]- محاورات حضارية ص ١٢٦.

وهنا ثلاث ملاحظات حول هذه الصفة:

١- يرى (كولن) أنه كما يجب قراءة القرآن وفهمه وطاعته، يجب معرفة الحق بدلالة الأشياء والحوادث جميعا، ثم رؤية طرق التوفيق بينهما، فالفرقان العظيم من صفة كلامه هو المصدر الأوحد لسعادة الدنيا والعقبى، وكتاب الكائنات هو جسد تلك الحقيقة وحركية مهمة مؤثرة في حياة الدنيا مباشرة باعتبار تمثيلها لفروع العلم المتنوعة إذن فإدراك معنى الكتابين وتحويل فهمهما إلى الواقع العملي ثم نسج الحياة كلها بمقتضى فهمها هو السبيل للسعادة في الدنيا والعقبى[١] .

يقول كولن: "إن الكائنات كتاب أشهره الله ليراجع باستمرار، والإنسان منشور بلوري مؤهل لرصد الأعماق في الوجود، وفهرست شفاف للدنى جميعا، والحياة ترشح هذا الكتاب، وهذا الفهرست، وتمثل المعاني في انعكاس صدى البيان الإلهي وما دامت الكائنات والإنسان والحياة باعتبار تلوناتها أوجها متنوعة لحقيقة واحدة- وهي كذلك حقا-، فإن تفريقها عن بعضها البعض، وتقطيعها ظلم وازدراء للوجود والإنسان لما فيه من إخلال بانسجام الحقيقة"[٢].

وهو هنا يحاول أن يربط الوجود والإنسان معا، ثم يربطهما بالله بعد ذلك، فبين الوجود والإنسان علاقة كعلاقة الرحم فالوجود كتاب الله أظهره للخلق لقراءته واستغلاله والإنسان هو المخلوق الوحيد المؤهل لقراءته، وفهمه، والغوص في أعماقه لأنه يجمع إلى جانب الجسد مؤهلات الروح.

٢- يرى (كولن) أنه ينبغي تقييم الإنسان وفقا لأعماقه الإنسانية في الشعور، والفكر، والشخصية فإن الخصال الإنسانية وسلامة الفكر والشخصية بطاقة اعتماد مطلوبة في كل زمان ومكان، أما من يكدر إيمانه بأوصاف وأفكار كفرية فلن يحظى بتأييد الحق تعالى وعنايته ولا احترام الناس وثقتهم يقول كولن: "لا يتصور أن يتحقق نجاح عظيم أو الحفاظ على نجاح قد تحقق على يد أناس فقراء في قيمهم الإنسانية وضعفاء في شخصياتهم وإن ظهر عليهم مظاهر المؤمنين الصالحين "[٣].

إذن فإنه يؤكد على الروح من جديد، على القيم الإنسانية، على دور الفكر في بناء الإنسان ومن ثم الحضارات.

٣- ينبغي أن تكون الوسائل إلى الهدف المشروع والحق شرعية كذلك وحقا، يقول كولن: "إن السائرين في الخط الإسلامي يتحرون في كل عمل مشروعية الحق في آمالهم وغاياتهم كلها، والتزام مشروعية الوسائل إلى ذلك الحق أيضا واجب عليهم، فلا يمكن تحصيل رضا الحق تعالى من غير الإخلاص والصدق الذاتي، ولا يمكن خدمة الإسلام، وتوجيه المسلمين إلى مراميه الحقيقية بوسائل شيطانية ألبتة"[٤].

---

[١]- ينظر: كولن: ونحن نقيم صرح الروح ص ٣٩.
[٢]- السابق.
[٣]- السابق ص ٤٠.
[٤]- ونحن نقيم صرح الروح ص ٤٠.

إذن الوسيلة ينبغي أن تكون مشروعة مهما كانت الغاية سامية.

الوصف الخامس: أن يكون حرا في التفكير وموقرا لحرية التفكير.

فإن التحرر وتذوق حس الحرية عمق مهم لإرادة الإنسان، فلا يمكن أن نجدد أو نتقدم، ونحن ما زلنا في أسر داخلي وخارجي، وتضييق على معتقدات وأفكار الآخرين، ولجوء إلى القوة لفرض الرأي يقول كولن: "علينا أن نكون أفسح في حرية الفكر وحرية الإرادة في مسيرتنا نحو عوالم مختلفة، سواء في سلوكنا مع الآخرين، أو من زاوية أنانيتنا الذاتية، وتمسكنا برغباتنا، فالحاجة ماسة اليوم إلى صدور متسعة تحيط بالتفكير الحر، وتنفتح على العلم والبحث العلمي، وتستشعر التوافق بين القرآن وسنة الله على الخط الممتد من الكائنات إلى الحياة"[١].

إذن الحرية في الفكر هي شرط أساسي في البحث العلمي وفي مسيرة الحضارة كلها.

الوصف السادس: الدهاء:

يرى (كولن) أنه فيما مضى كان موجود في تاريخنا أفرادا عظماء دهاة، أما الآن نتيجة للتوسع والتفريعات الكثيرة في الحياة قد يعجز الفرد عن حمل الأمر بمفرده؛ ولذا يمكن أن تحل الشخصية المعنوية والتشاور والشعور الجمعي محل الدهاء[٢].

والشخصية المعنوية والوعي الجمعي بمعنى واحد في فكر (كولن)، ومعنى الارتباط بالشخصية المعنوية: "قيام الفرد بإذابة نفسه في الجماعة، وتوحده معها، أما الجماعة فتظهر التحام أفراد حول فكرة واحدة وهدف واحد "[٣].

وكذا الوعي الجمعي أو الشعور الجمعي هو توحد الأمة حول أحلام وأفكار مشتركة وهوية واحدة وثقافة ذاتية موحدة، واتجاهها نحو غاية موحدة، وذلك بالتخطيط والتعقل والسلوك الواعي .

ويرى (كولن) أن الحاجة ماسة لذلك الوعي؛ لأن الأمم في أوقات الأزمات، وفي أوقات التغير الاجتماعي، ومحاولة البناء الذاتي من جديد قد تسلك أحد أمرين: إما نمط سيكولوجية الجماهير، فتسير مع الجموع الحاشدة نحو تحقيق غاياتها دون تبصر، جارفة كل شيء في طريقها، فتحدث الفوضى والهدم، وإما تلجأ إلى الوعي الجمعي، وهو المنوط به وجودنا وتشبثنا بالبقاء كأمة "إذ يسقي مادة حياته من منبع ثقافتنا الدينية، وهويتنا الذاتية، وبفضله تتناغم مكارم الأخلاق مع الحياة الاجتماعية إن الأفعال التي تصدر عن الأفراد ذوي (الوعي الجمعي) تنسجم فيها العاطفة الجياشة مع السلوك الواعي المنظم، والحيوية المتدفقة مع الإقدام المتبصر المتزن"[٤].

---

[١]- ونحن نقيم صرح الروح ص ٤٢.
[٢]- ينظر: ونحن نقيم صرح الروح ص ٤٢.
[٣]- فتح الله كولن جذوره الفكرية واستشرافاته الحضارية ص ٣٢٩.
[٤]- فتح الله كولن: مقال الوعي الجمعي موقع فتح الله كولن ١٧ فبراير ٢٠١٤م ترجمة: نوزاد صواش.

إذن فنمط (سيكولوجية الجماهير) تطغى عليه عواطف غير منضبطة وحماس غير متزن، وذلك يثير الجماهير نحو تصرفات عشوائية غير محمودة العواقب، أما (الوعي الجمعي)، فينبي على التعقل، والتمحيص، والتثبت، وملاحظة الحاضر والمستقبل معا في التقدير والتدبير، ومعاينة الجزء مع الكل جنبا إلى جنب في آن واحد، وذلك ما نحتاجه إذا أردنا بناء صرح الحضارة [١] .

والشورى لها نصيب كبير في فكر (كولن) فقد اعتبرها قاعدة أساسية لربانيي اليوم كما كانت للورثة الأولين، فهي في القرآن أبرز علامات المجتمع المؤمن، وأهم خصوصيات الجماعة التي تهب قلبها للإسلام[٢].

الوصف السابع: الفكر الرياضي:

لقد حقق الأوائل في آسيا في الزمن الماضي، ثم الغربيون نهضتهم بفكر القوانين الرياضية، وكشفت الكثير من المجاهيل والأسرار عن طريقه لكن العالم بالأشياء المتعلقة بالرياضيات لا يعني أن العالم بها رياضي.

يقول كولن: "الرياضي يجمع بين الرياضيات وقوانينها فكريا، ويصاحبها دائما في الطريق الممتد من الفكر الإنساني إلى أعماق الوجود يصاحبها دائما من الفيزياء إلى الميتافيزيقا، ومن المادة إلى الطاقة، ومن الجسد إلى الروح، ومن الشريعة إلى التصوف، إننا مضطرون إلى قبول الأسلوب المزدوج لفهم الوجود فهما شاملا، وأعني الفكر التصوفي والبحث العلمي"[٣].

لأن الغرب نجح في الثانية، وأحدث فراغا كبيرا في الأولى فإنه يحاول سد هذه الفجوة ولكن دون جدوى، أما في الإسلام فلدينا طاقتنا الذاتية الروحية مع الانفتاح على الكون والبحث العلمي.

الوصف الثامن: الفكر الفني:

يرى (كولن) أنه ينبغي أن يتصف وارث الأرض بالفكر الفني لكن بناء على ملاحظات معينة وقرر أن بعض الأوساط ليست على استعداد حتى الآن للانخراط في هذه المسيرة بمقاييسنا[٤].

وقد أولى (كولن) الفن عناية فائقة فتكلم عن الفن ومجالاته المختلفة، ونعى التفريط والإفراط في النظر إلى الفن، فلم يرتض قول القائلين بالتحريم، والمنع وقول المجيزين دون قيود، ولكن وافق عليه بضوابط وملاحظات معينة وهي:

أن يكون الفن وفقا لمقاييسنا من إحلال الحلال، وتحريم تصوير الباطل والحرام يقول (كولن): "يجب تناول المسألة من ناحية البحث عن ماهية الأنواع الأدبية، وليس تناولها

---

[١]- ينظر: مقال الوعي الجمعي .
[٢]- ينظر: ونحن نقيم صرح الروح ص ٤٥.
[٣]- ونحن نقيم صرح الروح ص ٤٣.
[٤]- ينظر: ونحن نقيم صرح الروح ص ٤٤.

بالنظر إلى وجودها أو عدمه ويوافق الجميع على أن عدم تجويز تصوير الباطل مسألة ضرورية، وهذا باتفاق الكل إلى جانب أنه يستحيل قبول أي تصوير، أو قصة، أو عرض من شأنه أن يعني التشويق أو الترويج لما حرمه الإسلام من أمور تحريما قاطعا كالزنا، والفاحشة، والخمر، والمخدرات، والقمار، والسرقة، وقتل النفس، وإلا فإنه ليس من الصحيح معارضة الرواية والقصة ولا غيرها "[١].

ويرى أيضا عدم جواز تمثيل الأنبياء، والصحابة، والقدوات في الأعمال الفنية، ولا حتى استخدام الشخصيات في الحديث عنهم، وتقديمهم للناس، ويرى في مؤثرات الضوء واللون والإمكانات التقنية عوضا عن ارتكاب ذلك الفعل[٢] .

ويرى (كولن) أن الفن من أهم الطرق المؤدية إلى سمو الروح والمشاعر، فبفضل الفن ندرك الجمال الموجود في السموات، وفي البحار، ونرى قدرة الإنسان، وأعماقه، وأفكاره محفوظة على مر السنين، ولكن يرى (كولن) أن الفن ينبغي أن يرافق الإيمان في مسيرته، بل يذهب مذهبا متطرفا في أمر الفن، فيقول: "الأرواح الخالية من الفن والمنغلقة دونه يستوي وجودهم وعدم وجودهم؛ لأنهم ليسوا إلا أفرادا لا يستطيعون تقديم أي نفع لأنفسهم ولا لعوائلهم ولا لأمتهم، بل قد يكونون ضارين أيضا"[٣].

أما (مالك بن نبي)[٤] فقد تحدث وأسهب عن الذوق الجمالي كرديف في اتجاه الحضارة مع الأخلاق والصناعة(الفن التطبيقي)، والمنطق العملي، فهذه العناصر هي مكونات الثقافة في أي مجتمع يريد النهوض .

فالذوق الجمالي عند (مالك بن نبي) يؤثر في أفكار المجتمع ومساعيه، وأعماله فيجد في نفسه نزوعا إلى الإحسان في العمل، وتوخيا للكريم من العادات، ولكن يشير أن المبدأ الأخلاقي مرتبط بالذوق الجمالي. في الغرب مثلا يمارسون فن التصوير وتصوير المرأة عارية بدافع الجمال بينما ينأ الفن الإسلامي عن ذلك برادع الأخلاق وليس معنى هذا أن الثقافة الإسلامية تفقد عنصر الجمال، وإنما تضعه في مكان آخر في سلم القيم[٥].

ومن باب إيمان (كولن) بأهمية الفن تتبنى حركة الخدمة تقديم أعمال فنية كالمسلسلات عبر قنواتها كتليفزيون حراء، والإنشاد والشعر وغيره في المسابقات والمؤتمرات المحلية

---

[١]- فتح الله كولن: سلسلة الفصول -٢ ص ٣٣٠نقلا عن فتح الله كولن ومقومات مشروعه الحضاري ص ٣٣٤.

[٢]- فتح الله كولن: سلسلة الفصول-٢ ص ٣٣٢نقلا عن فتح الله كولن ومقومات مشروعه الحضاري ص ٣٣٥.

[٣]- كولن: الموازين ص ١٥٤..

[٤]- مالك بن نبي(١٩٠٥-١٩٧٣م): أحد المفكرين المغاربة، ولد بالجزائر إبان احتلالها، وتعلم في المدارس الفرنسية حتى حصل على الثانوية، ثم شد الرحال إلى باريس، فالتحق بكلية الهندسة، وتخرج فيها مهندسا كهربائيا، وأكب على دراسة العلوم الاجتماعية، والتاريخية، والأنثروبولوجيا، وقام بمهمة الدفاع عن الإسلام فيما يؤلف ناله الاعتقال والسجن كغيره من المناضلين، من مؤلفاته: الظاهرة القرآنية- شروط النهضة- وجهة العالم الإسلامي. توفي ١٣ أكتوبر ١٩٧٣م. ينظر: أ د/ عبد الصبور شاهين: مالك بن نبي، موسوعة أعلام الفكر الإسلامي، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية ٢٠١٤م.

[٥]- ينظر: مالك بن نبي: شروط النهضة ص٨٧، ٩١، ١٠٢ترجمة: د/ عبد الصبور شاهين – عمر كامل مسقاوي، بإشراف: ندوة مالك بن نبي- دار الفكر – دمشق.

والعالمية، ولا يجدون غضاضة في الموسيقى والغناء كذلك- مع اختلاف العلماء في حكمهما-.

ومن ثم يرى (كولن) أن هؤلاء المثاليين الذين سبقت أوصافهم هم المنوط بهم نهضة العالم الإسلامي وإيقاظه من غفلته.

ولم يشترط (كولن) كونهم حكاما أو ساسة كما فعل (كونفوشيوس) و(أفلاطون) للقيام بالتغيير[١]، بل هم أناس عاديون ربوا بطريقة تؤهلهم لحمل المسؤولية، و رأى (كولن) أن التعليم هو الوسيلة لإخراج هذا الجيل الفريد متفقا في ذلك مع (كونفوشيوس) و(أفلاطون) كما تقول (كارول)[٢].

وسبقه عدد من المصلحين المسلمين أيضا في هذا الطرح، فقد وضع (الكواكبي)[٣] خطة للإصلاح كان أهم أغراضها العاجلة تعميم التعليم بين المسلمين، والترغيب في العلوم والصنائع النافعة، وإنشاء المدارس العليا التي يتخصص بها شباب المسلمين[٤]، وكذا كانت رؤية (النورسي) في تركيا [٥] إلا أن ما يميز (كولن) أنه طبق منهجه النهضوي على أرض الواقع فأصبحت المدارس والجامعات ومراكز البحث والمواقع في تركيا وخارجها مثالا شاهدا على هذا الفكر الذي تحول إلى عمل .

وفي هذا إشارة إلى اعتداد (كولن) بالفضائل الفكرية المتحصلة من العلم جنبا إلى جنب مع الفضائل الخلقية، وقديما جعل اليونان الفضائل قسمين فضائل فكرية كالحكمة والفهم والعقل- وجعلوها أرفع قدرا-، وفضائل خلقية كالحرية والعفة والفكرية كالخلقية تكتسب بالتعليم وتحتاج إلى دربة وزمن كما يقول أرسطو[٦].

إذن المثالية عند كولن :

أ- تنبع من اتصال المسلم بربه، فلا مثالية بدون إيمان بالله والتزام بما أوجبه تعالى .

ب- الإنسان المثالي هو الإنسان الفاضل .

---

[١]- محاورات حضارية ص ٩٤.

[٢] محاورات حضارية ص .١٠١.

[٣]- الكَوَاكِبي(١٢٦٥ - ١٣٢٠ هـ = ١٨٤٩ - ١٩٠٢ م): عبد الرحمن بن أحمد بن مسعود الكواكبي، ويلقب بالسيد الفراتي: رحالة، من الكتاب الأدباء، ومن رجال الإصلاح الإسلامي. ولد وتعلم في حلب، وأنشأ فيها جريدة (الشهباء) فأقفلتها الحكومة، وجريدة (الاعتدال) فعطلت، وأسندت إليه مناصب عديدة. ثم حنق عليه أعداء الإصلاح، فسعوا به، فسجن وخسر جميع ماله، فرحل إلى مصر. وساح سياحتين عظيمتين إلى بلاد العرب وشرقي إفريقية وبعض بلاد الهند. واستقر في القاهرة إلى أن توفي. له من الكتب (أمّ القرى) و (طبائع الاستبداد)، وكان لهما عند صدورهما دويّ. وكان كبيرا في عقله وهمته وعلمه، من كبار رجال النهضة الحديثة. ولسامي الدهان، كتاب (عبد الرحمن الكواكبي) في سيرته. الزركلي: الأعلام ص٢٩٨/٣ .

[٤]- د/ حامد طاهر: الفلسفة الإسلامية في العصر الحديث ص ١٥٤، .

[٥] ينظر: أ د عمار جيدل: مقال التعلم طريقا للتحضر قراءة في رسائل النور مجلة النور للدراسات الحضارية والفكرية العدد ٢ السنة الأولى يوليو ٢٠١٠م.

[٦]- ينظر: أرسطو طاليس: الأخلاق ص٨٣- ٨٥.

ج- المثالي شخص من عامة الشعب، ويحمل سمات خاصة، وعلي يديه يكون انبعاث حضارة الإسلام ونهضتها من جديد .

د- التعليم هو الوسيلة المثلى عند كولن لتربية جيل ورثة الأرض، وهذا واضح من منهجه الذي اختطه طيلة حياته؛ من اهتمام بالتعليم، ونشر دور العلم من مدارس، وجامعات في أنحاء الأرض.

المبحث الثالث: إصلاح النفس

يرى (كولن) أن للإنسان جانبين هما: الملك والملكوت، أو الملائكي والشيطاني، أو الجسد والروح، أو المادي والمعنوي. والجانب المادي هو آلية النفس، والجانب المعنوي هو آلية الوجدان.

وآلية النفس تشكل الغرائز، والنزوات، والأهواء، والحقد، والبغض، والغضب والعناد؛ وذلك لحكم معينة، كما أنها مهيأة لتلقي وساوس الشيطان وإيحاءاته وكأنها تعمل مركز اتصالات له، ولكن هذه الآلية من الممكن أن تكون وسيلة لرقي الإنسان.

وأداء هذه المهمة بإيجابية متوقف على تزكيتها وتربيتها تحت رقابة القوانين السماوية كما يكبح المرء جماح حصان إذا أراد اتخاذه مطية، وإلا لو تركت على حالها لانغمست في الشهوات والرغبات والشرور وكان مصيرها الهلاك[١].

ومن ثم فكولن مع الرأي القائل بإمكان تغيير الأخلاق وإعادة التوازن إلى النفس عن طريق التهذيب والرياضة، وهو الرأي الذي اختاره غير واحد من المحققين مثل (ابن مسكويه، والإمام (الغزالي)[٢].

أولا: أهمية إصلاح النفس:

وقد أشار (كولن) إلى أهمية إصلاح النفس وتهذيبها على الوجه التالي:

١- أعظم الجهاد:

قد ذكر (كولن) أن أعظم الجهاد هو جهاد النفس مصداقا لحديث النبي لغزاة رجعوا من غزوة "قدمتم من الجهاد الأصغر إلى الجهاد الأكبر قال: مجاهدة العبد هواه" [٣] فهو هنا يقارن بين جهاد النفس ومحاربة العدو في وقت يشعر الجميع فيه بنشوة النصر والغلبة، ولكن النبي -ﷺ- لعله قال ذلك لحكمة وهي الوقوف منذ البداية في وجه بعض الأفكار السلبية التي قد تتسلل إلى نفوسهم ؛ لأنهم بشر وهو القائم بتربيتهم وتزكيتهم، فقد اغتر المسلمون بعددهم، وهم في الطريق لغزوة حنين فمنوا بالهزيمة المؤقتة، ثم تحول الأمر إلى النصر بعدما بث فيهم الرسول الشجاعة والأمل.

إذن الانتصار على النفس وإبعاد المشاعر السلبية أولا قبل النصر المادي فالإنسان بنفسه لا بجسمه كما يقول (كولن) مستدلا بقوله: "إن الله لا ينظر إلى صوركم وأموالكم

---

[١]- شد الرحال ص ٢١٣ الموشور ص ٨٨.

[٢]- ينظر: الغزالي: إحياء علوم الدين المجلد الثالث ص ٨٥.

[٣]- أخرجه البرهان فوري في كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال، باب: من لواحق الجهاد كتاب الجهاد من قسم الأفعال(ج ٤ ص ٦١٦ رقم ١١٧٧٨. قَالَ الْبَيْهَقِيّ: هَذَا إِسْنَاد ضَعِيف، قَالَ الْحَافِظ ابْن حجر: هُوَ من رِوَايَة عِيسَى بن إِبْرَاهِيم عَن يَحْيَى بن يعْلى عَن لَيْث بن أبي سليم، *والثلاثة* ضعفاء. ينظر زين الدين محمد المدعو بعبد الرؤوف بن تاج العارفين بن علي: الفتح السماوي بتخريج أحاديث القاضي البيضاوي باب ٢٢ سورة الحج(ص ٨٥١/٢ رقم ٧٢٨) تحقيق: أحمد مجتبي، دار العاصمة- الرياض.

ولكن ينظر إلى قلوبكم وأعمالكم"[١] فعندما يخشع القلب ينعكس على الأحوال والفعال كما أشار النبي - ﷺ-: "لو خشع قلبه لخشعت جوارحه"[٢].

٢- فطام النفس عن الشهوات:

وقد شبه (كولن) النفس غير المزكاة بالطفل الذي لم ينفطم، وقد أخذ ذلك التشبيه من قول (البوصيري) :

والنفس كالطفل إن تهمله شب على
حب الرضاع وإن تفطمه ينفطم[٣].

فإن لم تلجم رغبات النفس وشهواتها في أوانها صعب قيادها فيظل الإنسان أسير نفسه .
وعبر (كولن) عن تلك النفس بالبهيمية، وهو تعبير استخدمه علماء الأخلاق منذ القدم ك(ابن مسكويه) الذي قسم النفس ثلاثة مراتب وجعل أدناها النفس البهيمية، وأوسطها النفس السبعية، وأشرفها النفس الناطقة[٤]وهو أيضا كان من نتاج الفكر اليوناني.

وقد عرض (كولن) علاجا للشهوات واحدة تلو الأخرى بصبغها بصبغة الله كما فعل الصحابة حتى قضوا على المشاعر السلبية فمثلا الشهوة التي تبدو منبعا للشر فإذا وجهت ووضعت في الحلال أثيب عليها الإنسان، فالإنسان يثاب حتى في علاقته مع أهله، وقد عجب الصحابة من ذلك، فقالوا يا رسول الله: أيأتي أحدنا شهوته ويكون له فيها أجر فأجابهم: "أرأيتم لو وضعها في حرام أكان عليه وزر ؟ فكذلك إذا وضعها في الحلال كان له أجر"[٥].

ومثال آخر، وهو الغضب إنه شعور يفسد الإنسان، وقد يحوله إلى فرعون جان، أما إذا استخدمه الإنسان في غاية نبيلة أي إن دخل في نزاع من أجل الدفاع عن دينه، وعرضه، وشرفه، ووطنه، وقتل من أمامه فهو غاز، وإن قتل فهو شهيد، أي يمكن كما يقول كولن: "يمكن للإنسان بلوغ مستوى الملائكة في أي وقت شاء، ولو بخصائصه الترابية"[٦].

فعلى الإنسان التصدي لرغبات نفسه وأهوائها، والاكتفاء بالملذات والمتع المتاحة في الدائرة المشروعة، حتى لا تنزلق النفس إلى الحرام، وهكذا تتخلص النفس من مرتبة (الأمارة بالسوء)إلى اللوامة التي تجعل الإنسان يلوم نفسه ويحاسبها ،ثم إلى أفق المطمئنة التي يطمئن فيها ضمير الإنسان إلى العلاقة بينه وبين ربه[٧].

---

[١]- أخرجه مسلم، ينظر: صحيح مسلم، باب: تحريم ظلم المسلم، وخذله، واحتقاره، ودمه، وعرضه، وماله (كتاب البر والصلة) (ج ٤ ص ١٩٨٧ رقم ٢٥٦٤).

[٢]- ينظر: شد الرحال ص ٢١٥- ٢١٦.وقوله: " لو خشع قلبه لخشعت جوارحه" ورد في مصنف عبد الرازق الصنعاني ج ٢ ص ٢٦٦ برقم ٣٣٠٨ على أنه قول ابن المسيب الناشر المجلس العلمي- الهند، وورد كحديث للنبي ﷺ- في نوادر الأصول للإمام الترمذي ج ٢ ص ١٧٢ وج٣ ص ٢١٠ تحقيق: عبد الرحمن عميرة الناشر: دار الجيل .

[٣]- البيت لشرف الدين البوصيري من قصيدة البردة ينظر: البوصيري: بردة المديح ص ٨ منشورات دار التراث البوديلمي .

[٤]- تهذيب الأخلاق وتطهير الأعراق ص ٥٦.

[٥]- والحديث أخرجه في صحيحه ، باب (بيان أن اسم الصدقة يقع على كل نوع من المعروف)، كتاب الزكاة (ج ٢ ص ٦٩٧ رقم ١٠٠٦) .

[٦]- ينظر: الموشور (١) ص ٨٩ -٩٠.

[٧]- شد الرحال لغاية سامية ص ٢١٤.

نعم تصبح نقما:

يريد (كولن) أن يحذر من أن النفس كما تخدع الإنسان بالذنوب والمعاصي وتزينها له فقد تخدعه بالنعم، فينقلب رأسا على عقب بسبب وفرة النعم بأشكالها، وقد ضرب مثالين من القرآن على ذلك:

الأول: قارون فرغم كونه من قوم موسى -عليه السلام- إلا أن الثروة والإمكانيات التي امتلكها قلبته رأسا على عقب، ولم يكن له إيمان صحيح فعجز أن يحل مشكلة نفسه وما تسنى له أن يحول المعلومات النظرية إلى عمل فقال:چ ٱ ٻ ٻ ٻ ٻ پپ پ پ پ ڀ ڀ ڀ ڀ ٺ ٺ ٺ ٺ ٿ ٿ ٿ ٿ ٹ ٹ ٹ ٹ ڤ ڤ ڤ ڤ ڦ ڦ ڦ چ[١] فأصبح من الخاسرين.

والثاني: السامري من قوم سيدنا (موسى) أيضا، وكان إنسانا يجيد الحديث، وله مهارات مختلفة، لكنه استخدمها في صنع صنم على صورة عجل لقومه فانقلب وخسر وعاش حياته حتى آخرها منفيا شريدا كما جاء في القرآن: چ ۆ ۆ ۈ ۈ ۇٴ ۋ ۋ ۅ ۅ ۉ ۉ ې ې ى ى ئا ئا ئە ئە ئو ئوئۇ ئۇ ئۆ ئۆ ئۈ ئۈ ئې ئېئې ئى ئى ئى ی ی ی ی چ[٢].

فالإنسان إذا لم يحل مشكلات نفسه تتحول النعمة بذاتها إلى مصيبة، ونقمة عليه، فالمعرفة تصبح نقمه والسلطة والمنصب والمال وغيرها من الإمكانيات الموهوبة للإنسان تشرد به عن طريق الله فيسلك طرق الخاسرين[٣].

"والطريق للوقاية من كل هذه المخاطر هو عدم التخلي في أي وقت عن الجهاد الأكبر، أي مجاهدة النفس، والتنبه، والتيقظ الدائم في مواجهة حيل النفس ومكائدها"[٤].

ثانيا: مراتب النفس:

تكلم (كولن) عن النفس ومراتبها المختلفة حتى تصل إلى مقام النفس الزكية، فتحدث عن إصلاح النفس؛ لأنها منبع للخصال الذميمة ومهيئة على الدوام للاستجابة لوسواس الشيطان ولاهثة وراء الشهوات والرغبات، فينبغي فطامها كالطفل عن تلك النوازع، وتزكيتها بالأخلاق، وتقويم اعوجاجها[٥].

وعن مراتب النفس يجملها في عدة مراتب وهي:

١- النفس الأمارة:

---

[١]- سورة القصص الآية: ٧٨.

[٢]- سورة طه الآية: ٩٧.

[٣]- ينظر: شد الرحال ص ٢١٧- ٢١٨.

[٤]- شد الرحال لغاية سامية ص ٢١٩.

[٥]- ينظر: شد الرحال لغاية سامية ص ٢١٤.

يتحدث (كولن) عن وجوب مجاهدة النفس وتقويمها، وتلك المجاهدة تكون لأُولى مراتب النفس وهي "النفس الأمارة بالسوء": ﭽ ﭼ ﭽ ﭽ ﭽ ﭽ ﭽ ﭽ ﭽ ﭽ ﭽ ﭽ ﭽ ﭽ ﭽ[1] حتى تستقيم على الجادة .

٢- النفس اللَّوَّامة:

يرى (كولن) أن النفسَ التي هي ألدّ أعداء الإنسان، وإن كان من شأنها أن تأمر بالسوء إلا أنّها مهيّأةٌ أيضًا للتبدّل والترقّي، ،ولو أنّنا أحسنّا تربيتها وتزكيتها لتحوّلت إلى مطيّةٍ تقرّب الإنسانَ من الله وتجرّه نحو الفلاح، ومثالُ تبدُّلِ ورقيِّ النفس قوله سبحانه وتعالى: ﭽ ﭼ ﭽ ﭽ ﭽ ﭽ[2].

ويعرفها بقوله: "وهي التي تلوم صاحبَها على ما أصابه من خطأ أو ارتكبه من معاصٍ، فتحاسبه وتجعله يبحث عن سبلٍ للخلاص ممّا تردّى فيه من دركات اللوثيات، أو عن أسبابٍ أخرى للكفاح حتى لا يتكرّر سقوطه في نفس الأخطاء والمعاصي مرّة أخرى، وتسوقه إلى التوبة والاستغفار"[3].

وإنّ تخلُّصَ الإنسانِ من أسارة نفسه الأمارة، وانتقالَه إلى مرتبة النفس اللوامة له أهميةٌ بالغة في تزكية النفس كما يرى (كولن)؛ لأن هذه الخطوة هي نقطة انطلاقٍ أُولى على سلّم مراتب النفس الأخرى، فلا يتحقق ارتقاء الإنسان تدريجيًّا إلى النفس المُلْهَمة، ومنها إلى النفس المطمئنة، وإلى النفس الراضية، فالنفس المرضية، وصولًا إلى النفس الصافية أو الزكيّة إلا بالانتقال أوّلًا من النفس الأمارة إلى النفس اللوامة.

٣- النفس المُلْهَمة:

يقول (كولن): "والنفس الملهمة هي التي قطعت كلّ السبل أمام أنواع الشرور متوجّهةً إلى ربها (عزّ وجلّ) في حركاتها وسكناتها، وتتجلّى فيها المواهب الإلهيّة بقدر ما فيها من الصفاء والنقاء والطهارة، وإن الله ليُلهِمُها الحسنى والطيّبات وما يُفضي إلى رضوانه (جلّ جلاله)، وهو القائل:

ﭽ ﭼ ﭽ ﭽ ﭽ ﭽ ﭽ ﭽ ﭽ ﭽ[4] ، ﭽ ﭽ ﭽ ﭽ ﭽ[5].

٤- النفس المطمئنّة:

يقول (كولن)عن النفس المطمئنة: "هي التي بلغت أوجَ الكمالات في أفق الإيمان والعرفان، وأغلقت الأبواب وأوصدَتْها دون كلِّ الأشياء ما عدا رضا الله تعالى ومرضاته،

---

[1]- سورة يوسف: ٥٣.
[2]- سورة القيامة الآية:٢.
[3]- كولن: مقال النفس المطمئنّة بتاريخ ٢٠١٥/٢/٢٦م بموقع herkul.
وينظر: اشراقات الأمل ص ١٦١.
[4]- سورة العنكبوت الآية:٦٩.
[5]- سورة الشمس الاية: ٧.

فلم يكن لها أيّ تشوُّفٍ آخر، يقول جل وعلا: ﭽ ﭞ ﭟ ﭠ ﭡ ﭢ ﭣ ﭤ ﭥ ﭦ ﭧ ﭨ ﭩ ﭪ ﭫ ﭬ ﭭ ﭮ ﭯ ﭼ[1].

ويذكر من صفات هذه النفس :

أ- تعيش دائمًا في توجّهٍ إلى الله، وتستغلّ كلَّ دقيقةٍ أو ثانيةٍ من عمرها في سبيل الفوز برضا الله.

ب- وترضى دائمًا بقضاء الله تعالى وقدره؛ إذ إنّ إحساس الإنسان بالرضا في نفسه عن الإجراءات الإلهية لهو مؤشِّرٌ على رضا الله تعالى عنه أيضًا؛ وعلى ذلك يرى بعضُ المحقّقين أن النفس الراضية والنفس المرضية بمثابة جناحين مفتوحين للنفس المطمئنة، فمثل هذا الشخص الذي يرضى عن الله ويرضى الله عنه لا يُفرّقُ بين الجفاء إن كان من جلاله والوفاء إن كان من جماله، فكلاهما صفاء بالنسبة له.

ج- يحاول صاحب هذه النفس، ويسعى أن يزيد معرفته دائمًا بالله، وأن يكون قريبًا من ربه بناءً على قربه تعالى منه، وذلك بتخطّي المسافات التي تبعده عنه[2].

٥- النفس الراضية:

يقول النبي "اللهم إني أسألك نفسا مطمئنة، تؤمن بلقائك، وترضى بقضائك"[3].

وبعدَ أن طلب النبيُّ -ﷺ- من ربه "نفسًا مطمئنّةً" أعقبَ ذلك مباشرةً بِطَلَبِ عدة صفات لها وهي:

أ- "تُؤْمِنُ بِلِقَائِكَ": "؛لأن إيمانَها بأن الطريق الذي تسيرُ فيه سيُوصلُها إلى الذات الأبدية لا محالة، وتحرُّقَها رغبةً في لقاء الله وشوقًا إليه، وانشغالَها بذلك سيُلقي في أعماق الإنسان طمأنينةً راسخة لا تتزعزع"[4].

ب- "وَتَرْضَى بِقَضَائِكَ": أن تملكَ النفسُ المطمئنّة صفةَ الرضا بقضاء الله تعالى، فالحوادث التي يتعرّض لها الإنسان طوال حياته قد تكون حسنة، وقد تكون سيّئةً بالنظر إلى ظاهرها، إلّا أنّ الإنسان - كما يقول كولن- يستطيع بِنِيّتِه أن يُحوّلَ كلَّ ما قَدَّره الله تعالى له إلى خير كامل؛ فإن استقبلَ -مثلًا- المحنَ والمصائبَ بالصبرِ والرضى، وقرن كلّ نعمةٍ ونجاحٍ بالحمدِ والشكرِ، فقد نجح في توجيه هذا كله إلى ما يعود بالنفع عليه.

٦- النفس المرضيّة:

---

[1] سورة الفجر الآيات:٢٧- ٣٠.

[2]- مقال النفس المطمئنة .

[3]- أخرجه الطبراني في معجمه الكبير ج ٨ ص ٩٩ رقم ٧٤٩٠بلفظ مقارب ينظر: سليمان بن أحمد بن أيوب بن مطير اللخمي الشامي أبو القاسم الطبراني: المعجم الكبير، تحقيق: حمدي بن عبد المجيد السلفي، مكتبة ابن تيمية – القاهرة، ط: الثانية. وذكره السيوطي في الجامع الصغير ج ٢ ص ١٤٨، رقم ٦٢٣٦، ورمز له بالصحة ج ٢ ص ٣٨٢، ينظر: الإمام جلال الدين السيوطي: الجامع الصغير في أحاديث البشير النذير، دار الكتب العلمية- بيروت- لبنان .

[4]- كولن: مقال النفس المطمئنّة بتاريخ ٢٠١٥/٢/٢٦م بموقع herkul.وينظر: اشراقات الأمل ص ١٦١.

يقول (كولن) عن هذه المرتبة: " يطلب سيدُنا رسول الله ﷺ من الله تعالى بقوله: "وَتَقْنَعُ بِعَطَائِكَ" القناعةَ والقبولَ بكلّ شيءٍ قدّرَه له، ومَنَّ بِهِ عليه، وثمّةَ موضعٌ يجدرُ بالإنسان ألا يقنع عنده، بل عليه أن يحرص عليه ويستزيد منه، ألا وهو الإيمانُ بالله تعالى، وطلبُ رضاه سبحانه؛ ويلزمه أن يتصرّف بشغفٍ وهوسٍ وحرصٍ شديدٍ طلبًا لرضا الله تعالى، وألا يقنع أو يتوقّف عن طلب المزيد من ذلك"[١].

٧- النفس الزكيّة أو الصافية:

وهي عند (كولن) ذروة سنام الأمر وغايته، وهي مرتبة المقرّبين، قال تعالى:

چ ڤ ڤ ڤ ڤ ڦ چ[٢]، فيقول: "وإن السالك حينما يتدرّج على سلّم مراتب النفس مرورًا بالمطمئنة وغيرها، ويصل إلى هذه المرتبة العالية فإنه يُحسّ بخفقان أجنحة الملائكة من حوله حتى لكأنه يتجوّل في الآفاق الملائكيّة، ولن نتعدّى الحقيقة إن قلنا: إن الإنسان حينما يبلغ هذه القمّة يغدو مخلوقًا أعلى من الملائكة"[٣].

لأنه حينئذ خلع النفس الكثيفة المرتبطة بالأرض والجسم وشهواتها، وصفت نفسه ورقت فأشبه الملائكة في النقاء وعدم التفكير في الشهوات ومن جهة أخرى وكما يرى أهل السنة أن الإنسان أفضل؛ لأنه مأسور بالشهوات فانعتاقه عنها رضا لله أوجب لرفعته عن الملائكة المعصومة عن الشهوة والنزوات.

إذن من الواجبات حتى يكون المسلم أخلاقيا على الحقيقة أن يتعهد نفسه بالتربية والتهذيب، ويبدأ معها مرحلة تلو مرحلة من الأمارة بالسوء إلى اللوامة، ثم يتابع حتى يزكيها، وتصبح من النفوس الزكية، فيسهل قيادها فتنطبع فيها الخيرات والفضائل بيسر دون تكلف.

---

[١]- مقال النفس المطمئنة.
[٢]- سورة الشمس الآية:٩.
[٣]- كولن: مقال النفس المطمئنّة بتاريخ ٢٠١٥/٢/٢٦م بموقع herkul.
وينظر: اشراقات الأمل ص ١٦١.

المبحث الرابع: أركان النظرية الخلقية

من المبادئ التي تقوم عليها فلسفة الأخلاق الإسلامية هي الإيمان بأن النظرية الخلقية لا تكتمل إلا إذا حددت فيها خمسة جوانب رئيسة هي:
الضمير الخلقي، الإلزام الخلقي، الحكم الخلقي، المسؤولية الخلقية، الجزاء الخلقي[١]، وبيانها على الوجه التالي:

أولا: الضمير أو الوجدان:

ويستخدم (كولن) الضمير بمعنى الوجدان، وقد أشار (كولن) كما سبق إلى أن الإنسان تتقاسمه آليتان هما النفس والوجدان، والنفس تشكل الغرائز والأهواء، أما الوجدان فيشكل القلب والروح والسر والخفي و الأخفى واللطائف الربانية المتعلقة بعالم الأمر، والإرادة، والإدراك، والشعور، والحس، والمشاعر[٢].

أي أنها متعلقة بالجانب المعنوي من الإنسان، و هو هنا أيضا يستخدم المصطلحات الصوفية كما هو واضح.

ويعرف (كولن) الوجدان بقوله: "هو عنوان وعي الإنسان لنفسه ولكيانه، وهو آلية روحية تحدس، وتدرك، وتنشر أشرعتها على الدوام نحو اللانهاية"[٣].

أهمية الضمير:

ومن خلال كتابات (كولن) نستطيع أن نتبين أهمية الضمير كالتالي:
١- ميزان ومقياس للحقيقة:

يعطي (كولن) أهمية كبيرة للضمير، بل يعتبره مقياسا للفضيلة، وحاكما لا يخطئ على سلوك الفرد وأخلاقه.

فيقول: "الضمير العام هو إدراك وحس وحدس السواد الأعظم، ولذا كان خطؤه نادرا لا سيما إن كان الإلهام نفسه من منابع معلوماته ومكتسباته"[٤].

وحيثما كان حاكما لا يخطئ وجب على الجميع الانقياد لأحكامه وقبولها والرضا بها، وهذا يعني أن يكون المرجع الأخير في بعض المسائل كما يرى (كولن).

فالضمير عند (كولن) مفتٍ حاد البصر، عندما يقوم بالإفتاء يكون دائما بجانب الحقيقة، ولا يخدع في فتواه أحدا، فموازين الضمير متينة وصافية وبريئة براءة الملائكة كما يقول كولن[٥].

---

[١]- د/ إيمان عبد المؤمن سعد الدين : الأخلاق في الإسلام ص ١٢٢ مكتبة الرشد- السعودية ط الأولى ١٤٢٤هـ- ٢٠٠٢م.
[٢]- الموشور ص ٨٨.
[٣]- الموازين ص ١٦٨.
[٤]- السابق ص ١٦٩.
[٥]- ينظر: السابق ص ١٦٩.

٢- طريق للسعادة الأبدية:

إضافة إلى كون الضمير حاكما في الدنيا، فهو سبيل الكمال والسعادة في الآخرة، يقول كولن: "الإرادة، والشعور، والذهن، والقلب هي أدوات الإحساس للروح، ووسائطه، وهي في الوقت نفسه أهم أسس الضمير، والتي يقوم بإيصال الإنسان إلى الكمالات الإنسانية، ثم إلى السعادة الأبدية، وسعادة النظر إلى الله تعالى ومشاهدته في الدار الآخرة"[١].

٣- دليل على وجود الله:

ويرى (كولن) أن الوجدان له أهمية كبيرة، فبالوجدان يجد الإنسان ذاته وربه، وأشار (كولن) أن مئات من عظماء الإسلام أشادوا بأهمية الوجدان كالإمام الرباني، والغزالي، والرومي، والنورسي، إضافة إلى كثير من المفكرين الغربيين تناولوا الوجدان إما بالكشف أو الحدس، فالأولياء يعلمون خصائص الوجدان كشفا، أما الفلاسفة فحدسا، وقد اتفق الفريقان على أن الوجدان لا يكذب، وقد استخدمه بديع الزمان دليلا على وجود الله تعالى غير أنه لا يراه دليلا موضوعيا واضحا بالقدر الذي يفهمه الجميع؛ لذا اقتصر على براهين ثلاثة في إثبات وجود الله فيما بعد وهي الرسول، والقرآن، وكتاب الكون[٢].

ورغم إقرار (كولن) أيضا بأنه ليس دليلا موضوعيا إلا أنه يرى أنه أقوى دليل عند من يفهم لغته، ففي الوجدان نقطة استناد واستمداد بهما يدرك الإنسان عجزه وفقره ويعتمد بهذا الإدراك على الله[٣].

ويقول أيضا: "إن الوجدان صوت إلهي سماوي يصدع ويجهر وحده دائما بالحق والحقيقة، مثله في ذلك مثل كل شواهد وجود الحق التي لا تصمت في أي وقت أبدا[٤].

وهذا منوط بالوجدان الصافي الذي لم تسيطر عليه النفس، ولم يخضع لها كما يرى كولن.

ويذكر (كولن) بقول (كانط) في (نقد العقل المحض)إن الله يعرف بالعقل العملي لا بالعقل النظري، ويرى (كولن) أن هذا يعني تطبيق مفهوم الصالحات في الحياة من تصرفات وأعمال خيرة، فمن حرم التطبيق والعمل يعجز قطعا عن الإحساس بما يجب الإحساس به في ضميره، وهنا يرى كولن أن آلية الوجدان واستثمارها قريب جدا من تطبيق مفهوم الصالحات في الحياة[٥].

وهو هنا يربطنا ثانية بالممارسة السلوكية والتطبيق العملي، سواء بما نحسه في الوجدان أو بما نعلمه من أخلاق، فليست الأخلاق مجرد معلومات أو معارف نظرية.

ثانيا: الإلزام الخلقي:

---

[١]- الموازين ص ١٦٩.
[٢]- كولن: الموشور ص ٩١ - ١٩٩٥م..
[٣]- الموشور ص ٩٢.
[٤]- الموشور ص ٩٢.
[٥]- ينظر الموشور ص ٩٣.

والمعنى أنه لا بد من قوة تدفع الناس إلى الالتزام بالخلق القويم واجتناب القبيح.

وفكرة الإلزام ترتبط بالعقيدة "وإذا كان الإيمان بصحة العقيدة أمرا إراديا فإن مقتضى ذلك أن يكون لهذه العقيدة من السلطان والإلزام ما يترجم عن صحة هذا الإيمان، وذلك بتنفيذ موجباتها في شكل الأوامر والنواهي، وليس لأحد أن يعترض هنا بفكرة الجبر؛ ذلك لأن الإلزام هنا مبعثه الالتزام من جانب المعتقد، فإذا تصورنا أن إنسانا لم يلتزم بعقيدة ما، فليس من حق أية قوة أن تلزمه -حينئذ- بالنزول على مقتضيات تلك العقيدة"[١].

إذن إلزام الناس بالأخلاق وتنفيذها مصدره الأول والحقيقي هو الله - سبحانه وتعالى- وهو ما يراه (فتح الله كولن) كذلك.

وفي الحقيقة فإن القرآن يوسع دائرة الإلزام مع بقاء محوره ومركزه وهو الله تعالى ليشمل الرسول - ﷺ- وسبيل المؤمنين أي (الإجماع)[٢]ولم يشذ (كولن) عن هذه القاعدة أيضا[٣].

ثالثا: الحكم الخلقي:

ويعني "تقدير القيمة الخلقية للفعل الإنساني على قدر ما يحمله في طياته أو يتضمنه من مقومات الخير والشر" [٤].

ولا بد لنا عند الحكم الخلقي من مقياس أو معيار نزن به الأعمال، وهناك مقاييس كثيرة للحكم الخلقي منها:

مقياس الشرع، ومقياس العقل، ومقياس النية الحسنة، ومقياس الواجب [٥].

وهناك من قسمها إلى :

أ- مقاييس عملية: تتمثل في القوانين السماوية، والوضعية، والعرف والتقاليد، والرأي الشخصي .

ب- ومقاييس نظرية: تتمثل في قواعد ومبادئ عامة تنبع من الفكر والنظر، وكل النظريات الأخلاقية تنتمي إلى هذا النوع من المقاييس[٦] .

وهنا أمران بحثهما كولن:

الأول: هل يحكم على الفعل بالشرع أم بالعقل؟.

---

[١]- د/ محمد عبد الستار نصار : دراسات في فلسفة الأخلاق ص ٣٦٥ ..
[٢]- السابق ص ٣٦٧.
[٣]- ينظر: حديث كولن عن الإجماع في مبحث الشورى..
[٤]- د/ إيمان عبد المؤمن: الأخلاق في الإسلام ص ١٢٨.
[٥]- ينظر: د/ إيمان عبد المؤمن: الأخلاق في الإسلام ص ١٢٨.
[٦] - ينظر: د/ زقزوق: مقدمة في علم الأخلاق ص ٦٣.

يرى (كولن) أن مقياس الفضيلة هو الدين والشرع، فيقول: "من يبحث عن الفضيلة فعليه أن يبحثها في الدين، ففضيلة دون دين أو دين دون فضيلة من أندر الأمور، فبالدين يستطيع الإنسان أن يدرك معنى الإنسانية فيتميز عن سائر الأحياء، أما الملحد أو اللاديني فهو لا يتميز بشيء عن الحيوان"[١] .

والثاني: هل الحكم حسب نية الفاعل أم حسب نتائج الفعل؟.

والقرآن يؤكد على أن الحكم ينبغي أن ينصب على ما يتعلق بالقلب وهو " النية" وهو مذهب غالبية الأخلاقيين في اعتبار أن الحكم الخلقي يكون باعتبار نية العامل وقصده بصرف النظر عن نتائجه، في مقابل من يرى أن الحكم الخلقي مناطه هو نفس العمل فمادام حسنا ونتائجه حسنة كان خيرا والعكس[٢].

و(كولن) ممن يرى أن الحكم الخلقي باعتبار نية العامل وقصده، فيرى أن النية تغير ماهيات الأشياء فتقلب السيئات حسنات، والحسنات سيئات، فالرياء مثلا: يغير العبادة فيحيلها سيئة، والإنسان قد يثاب بالنية وإن أخطأ استنادا لقول النبي - ﷺ-: "إذا حكم الحاكم فاجتهد ثم أصاب فله أجران وإذا حكم فاجتهد ثم أخطأ فله أجر"[٣].

فلعل النية الخالصة هي سبب إثابة المجتهد، إذا أخطأ، فقد أثيب على بذل الجهد والوسع لاستخراج الحكم، فهو مثاب على نيته إذن، وقد يعاقب المرء على نيته أيضا، وهو يحسب أنه يحسن صنعا بدليل حديث النبي -ﷺ- :" إن أول الناس يقضى يوم القيامة عليه رجل استشهد فأتي به فعرفه نعمه فعرفها، قال: فما عملت فيها؟ قال: قاتلت فيك حتى استشهدت قال: كذبت، ولكنك قاتلت؛ لأن يقال جريء فقد قيل، ثم أمر به فسحب على وجهه حتى ألقي في النار"[٤]، وكذلك من تعلم وعلم ليقال عالم، ومن تصدق ليقال جواد[٥] جواد[٥] وذلك؛ لأن النية لم تكن لله، بل للشهرة ونيل الثناء من الناس، إذن هو معاقب - وإن حسن عمله- بنيته.

رابعا: المسؤولية:

ترتبط فكرة المسؤولية بالإلزام بمعنى أن الالتزام يعقبه ناتجان، وهما: فكرة المسؤولية وفكرة الجزاء.

---

[١]- الموازين ص ٩٥.

[٢]- دكتور محمود حمدي زقزوق: مقدمة في علم الأخلاق ص ٤٤- ٤٥.وينظر: محمد عبد الستار نصار: دراسات في فلسفة الأخلاق ص ٣٧٢- ٣٧٣.

[٣]- الحديث أخرجه البخاري ومسلم، ينظر: صحيح البخاري، باب أجر الحاكم إذا اجتهد فأصاب أو أخطأ (ج ٩ ص ١٠٨رقم ٧٣٥٢). وصحيح مسلم، باب بيان أجر الحاكم إذا اجتهد (ج ٣ ص ١٣٤٢رقم ١٧١٦) .

[٤]- الحديث أخرجه مسلم في صحيحه. ينظر: صحيح مسلم، باب من قاتل للرياء والسمعة استحق النار(ج ٣ ص ١٥١٣رقم ١٩٠٥).

[٥]- ينظر: شد الرحال لغاية سامية ص ١٠٤- ١٠٥ .

والمسؤولية قبل كل شيء استعداد فطري، وهي: " القدرة على أن يلزم المرء نفسه أولا، والقدرة على أن يفي بعد ذلك بالتزامه بوساطة جهوده الخاصة"[١].

وحرية الإرادة هي أساس المسؤولية الخلقية، إلى جانب شروط أخرى كالعقل السليم والقدرة البدنية، والعقلية، والنفسية على القيام بالعمل[٢]"فالحرية شرط أساسي لكل الأفعال الخلقية وما يتعلق بها من مقاصد ونوايا ومواقف إرادية خلقية، فلا يمكن أن نتحدث عن أخلاقيات إلا إذا كان يتمتع بالحرية التي تمكنه من عمل الخير وترك الشر، ولو لم نكن أحرارا، فلا يمكن أن نحاسب على تصرفاتنا كما لا يمكن أن نمدح أو نلام عليها"[٣].

وفكرة المسؤولية موجودة في كل الفلسفات والأديان: "وقد كانت مسؤولية الإنسان -عن العالم، وعن حياته الخاصة، وحياة الآخرين كذلك، وعن المجتمع، وعن المستقبل- موضوعا ثابتا عبر القرون في الفلسفة الإنسانية وفي جزء كبير من الخطاب الديني فالمبادئ الأساسية للفلسفة الإنسانية الخاصة بما في البشر من قوة، وقدرة، وجمال فردي وجمعي لا يكون لها أي معنى- أو على الأقل تكون عرضة للاتهام بالفراغ الاخلاقي- ما لم يصحبها إيمان قوي بالمسؤولية الإنسانية"[٤].

وقد قامت الدكتورة (جيل كارول) بعقد مقارنة في المسؤولية بين (كولن) و(سارتر)[٥] ورغم أن (كولن) يهاجم (سارتر) والوجودية إلا أنهما يتفقان كما تقول (جيل) في فكرة المسؤولية غير أن (كولن) ينطلق من وجهة نظر إسلامية [٦].

يستخدم (كولن) في معالجة هذه القضية كلمة الخليفة أو الخلافة التي تعني الإدارة والحكم والمسؤولية، ويحاول أن يوفق بين التدبير الإلهي والإرادة الإنسانية الحرة فيقرر أن الله هو المالك لكل شيء، وقد اصطفى الله البشر وجعلهم خلفاء له على الأرض؛ لاكتشاف أسرارها، وتسخيرها، وتعميرها؛ ومن ثم تكون مرآة أيضا تريهم تجليات الخالق (سبحانه وتعالى).

ويشرح (كولن) دور الخلافة الإنسانية، فيقول: "وتتسع خلافة الإنسان للخالق في مجال واسع جدا لتشمل أفعالا تتدرج من الإيمان بالله وعبادته إلى فهم الأسرار الكامنة في الأشياء والحوادث، ومن ثم امتلاك القدرة على التدخل في مجريات الطبيعة، فالإنسان الحقيقي ينظم مشاعره وأفكاره طوال حياته كلها في إطار إيمانه ويبرمج حياته الفردية

---

[١]- د/ إيمان عبد المؤمن: الأخلاق في الإسلام ص ١٣٠.

[٢]- السابق ص ١٣٢ .

[٣]- د/ زقزوق: مقدمة في علم الأخلاق ص ٣٥ .

[٤]- الدكتورة/ جيل كارول : محاورات حضارية ص ١٣٥ حوارات نصية بين فتح الله كولن وفلاسفة الفكر الإنساني د تقديم البروفيسور: أكبر أحمد ترجمة: إلهام فتحي – أحمد سعيد دار النيل ط الأولى ٢٠١١م.

[٥]- يرى (سارتر) أن قوله أن الإنسان مسئول عن نفسه لها دلالة أعمق من الدلالة على الذاتية، فهي تعني أنه ليس مسئولا عن شخصه فقط، ولكن مسؤول عن كل الناس أيضا، فاختيارنا لأمر ما تأكيد لقيمته وخلق صورة لما يجب أن يكون عليه الإنسان، وكأننا نقول لكل الناس اختاروا مثلما اخترنا، فما أقوم به لا يلزمني أنا وحدي، ولكنه هو إرادتي لكل الناس، وعملي هذا هو إلزام لكل البشرية. ينظر جان بول سارتر: الوجودية مذهب إنساني مع مناقشة بين سارتر والكاتب الماركسي م. نافيل ص ١٦-١٨ ترجمة عن الفرنسية: عبد المنعم الحفني مطبعة الدار المصرية- القاهرة ط الأولى ١٩٦٤م.

[٦]- ينظر: محاورات حضارية حوارات نصية بين فتح الله كولن وفلاسفة الفكر الإنساني ص ١٣٥.

والاجتماعية في ظل أنواع مختلفة من العبادات، ويوازن بين معاملاته العامة، وعلاقاته الأسرية، والاجتماعية، ويجعل رايات أبناء جنسه ترفرف في كل مكان بدءا من تخوم الأرض إلى أعماق الفضاء"[١].

ويقدر دور الإرادة والأسباب في مهمة الخلافة فيقول: "فيقوم بمقتضى الخلافة الحقة، ويعطي الإرادة حقها، وبذلك يقوم بإعمار الأرض، والحفاظ على التناغم الموجود بين البشر وباقي عناصر الوجود، وجني خيرات الأرض والسماوات لنعيم البشرية وسعادتها، ومحاولة تحسين مستوى المعيشة وشكلها ومضمونها؛ لتصبح أكثر إنسانية في حدود ما أنزله الله من شرائع وقوانين"[٢].

يشير (كولن) في هذا النص إلى :

١- عنصري أو نوعي المسؤولية وهما:

أ- المسؤولية الفردية: متمثلة في الإيمان بالله وعبادته وأداء التكاليف.

ب- المسؤولية الاجتماعية: متمثلة في تحقيق السعادة للبشرية بإعمار الأرض وجني خيراتها وتحسين مستوى المعيشة.

٢- وأيضا يشير إلى الالتزام بالشرع، وقوانينه كأساس ومصدر للخليفة الحق.

٣- ارتباط المسؤولية بالحرية، وهذا يعني أن كل فعل يصدر من الفرد دون حرية لا تترتب عليه أي مسؤولية، وهذا رأي كثيرين[٣].

أما أمر الإرادة الحرة وكيفية التوفيق بينها وبين التدبير الإلهي فيرى (كولن) أن الإرادة أمر اعتباري، وجعل هذا الأمر وسيلة وأساسا للتكليف والجزاء، وشرطا وسنة حتى لا يسقط الإنسان في درك الجماد أو يبطل التكليف[٤]، وقد شرحنا وجهة (كولن) سابقا في حديثنا عن القدر .

فأهم شيء وأشده ضرورة هو الحركية والعمل لتحمل مسؤولياتنا تجاه أنفسنا وتجاه الآخرين، فالعمل هو المكون الرئيسي للحياة الإنسانية، وبالعمل يصبح الإنسان من ورثة الأرض كما يقول (كولن)[٥].

ومجال المسؤولية عند (كولن) يشمل كل أحد، وكل شيء كما تقول الدكتورة(كارول) بناء على نص لكولن يقول فيه: "ويبلغ من مسؤوليتهم أن كل ما يدخل في نطاق فهم الفرد وإرادته الواعية لا يظل أبدا خارج نطاق شؤونهم: مسؤولية عن الخلق والأحداث، عن

---

[١]- كولن: نحو حضارة عالمية من المحبة والتسامح ص ١٢٤، نقلا عن محاورات حضارية ص ١٥٦حيث إن كتاب كولن هذا لم يترجم للعربية بعد.

[٢]- كولن: نحو حضارة عالمية من المحبة والتسامح ص ١٢٤، نقلا عن محاورات حضارية ص ١٥٦حيث إن كتاب كولن هذا لم يترجم للعربية بعد.

[٣]- ينظر: د/ زقزوق: مقدمة في علم الأخلاق ص ٣٩ .

[٤]- ينظر: كولن: ونحن نقيم صرح الروح ص ٢١ .

[٥]- محاورات حضارية ص ١٥٩- ١٦٠.

الطبيعة والمجتمع، عن الماضي والمستقبل، عن الموتى والأحياء، عن الصغار والكبار، عن المتعلمين وغير المتعلمين، عن الإدارة والأمن، مسؤولية عن كل أحد وكل شيء، وهم بالطبع يشعرون بكل هذه المسؤوليات وآلامها في قلوبهم فتجعل فيها غصة قوية، وتبعث شعورا بالضيق في أرواحهم محاولة استثارة انتباههم "[١].

إذن المسؤولية عند (كولن) اجتماعية تشمل كل أحد، بل وكل شيء في الوجود.

ويرى (كولن) كذلك أن المسؤولية تستتبع الألم، والضيق، والمعاناة، وهو شعور طبيعي ينبع من الوعي بالمسؤولية، ولكنها محفز لبذل المزيد من الجهد[٢].

ويؤكد (كولن) أخيرا على أن الشعور بالمسؤولية، وتحملها - ببث الإيمان وحب الإنسان، والحرية، وتجهيز البيئة- هما أساس النهضة لأمتنا، وهذا العمل مرتبط أساسا، أو هو منوط بأبطال أو ورثة الأرض المرابطين على أداء واجباتهم من منطلق المسؤولية [٣].

خامسا: الجزاء الخلقي:

الجزاء الخلقي في نظر الإسلام يعتبر أمر مكملا للمسؤولية والحكم الخلقي، فإذا تحققت شروط المسؤولية أمكن الحكم عليها بالخيرية أو الشرية، ومن ثم توقيع الجزاء ثوابا أو عقابا، فالجزاء الخلقي يعني: " ما يترتب على العمل الخلقي من ثواب أو عقاب، وذلك حسب ما يتسم به العمل من خيرية أو شرية"[٤].

فيرى كولن - كما سبق- أن الإرادة التي هي شرط أولي للمسؤولية جعلها الله وسيلة للإثم والثواب، وأساسا للجزاء عقابا ومكافأة، وقبله فاعلا في إسناد الخير والشر[٥].

إذن كانت هذه عناصر وأركان النظرية الخلقية أسسها (كولن) على إسلامية خالصة اهتم بالضمير في بناء الأخلاق.

وجعل مقياس الحكم الخلقي الشرع، وبهذا لا يبعد عما قرره أهل السنة في اعتبار الشرع هو مصدر الأحكام.

وأكد على المسؤولية الخلقية العامة التي تشمل كل شيء وكل شخص ثم ما يتبعها من جزاء ثوابا أو عقابا على مقتضى الشرع أيضا

---

[١]- د/ جيل كارول: محاورات حضارية ص ١٦٢.
[٢]- ينظر: محاورات حضارية ص ١٦٢.
[٣]- ينظر: ونحن نقيم صرح الروح ص ٩١- ٩٣.
[٤]- د/ إيمان عبد المؤمن: الأخلاق في الإسلام النظرية والتطبيق ص ١٣٩.
[٥]- ينظر: ونحن نقيم صرح الروح ص ٢١.

تعقيب:

من خلال ما سبق في فصل الأخلاق يتبين أن:

١- الخير عند(كولن) مطلق وثابت، وفي هذا ضمان لمبادئ ومعايير واحدة بين الأمم في كل زمان ومكان.

٢- الفضائل مصدرها الشرع، فلا يمكن أن يقوم بنيانها على غير دين ترتبط به، وهو في هذا متوافق مع منهجه العقدي في جعل الشرع مقياس كل شيء، إضافة إلى أنه مذهب أهل السنة وخاصة الأشاعرة.

٣- النفس في حاجة إلى تقويم وتهذيب وتعهد؛ حتى تسمو فوق الغرائز، وتتوجه إلى السعادة، وتزاول الخير.

٤- السلوك أهم منتج نخلص إليه من الأخلاق سواء الفطرية أو المكتسبة، فهو الآلية المعبرة عن وجودها وتحققها.

٥- الإنسان المثالي عند (كولن) هو الإنسان الفاضل المستمسك بالفضائل الخلقية.

٦- التعليم هو الآلية المثلى في بناء الإنسان الفاضل وإعداده لخلافة الأرض وتعميرها. إذن فهناك جمع بين الفضائل الفكرية - كالعلم - جنبا إلى جنب مع الفضائل الخلقية.

٧- قواعد وأركان النظرية الخلقية عند (كولن) منبعها ومصدرها القرآن وتعاليمه.

الفصل الثالث
التصوف

المبحث الأول: هل فتح الله كولن صوفي؟

المبحث الثاني: مفهوم التصوف في فكر كولن

المبحث الثالث: المنازل الروحية عند كولن

المبحث الرابع:

موقف كولن من مظاهر التصوف ونظرياته

الفصل الثالث: التصوف

تمهيد:

إن التصوف الإسلامي علم وفن؛ علم باعتبار قواعده وآدابه التي ينبغي أن يتحلى بها السالكون دروبه، وفن باعتبار أن كل سالك له ذوق ووجد وحال يتميز بها عن غيره، وهو عموما يحاول أن يضع وسائل عملية لتزكية النفس، وتطهيرها؛ للوصول بها من خلال مدارج عدة إلى حسن الصلة بالله - تعالى-، وتحقيق السعادة في الدارين .

تحدث (كولن) عن التصوف أو الحياة الروحية في الإسلام نظريا فجمع كل ما يحيط بها من معاني، ومقامات، وأحوال، ومصطلحات، إضافة إلى أنه وضعها موضع التطبيق في حياته التي أشار من كتبوا عنه، ومن عاشروه إلى بساطتها وزهادتها في الملبس والمأكل والمشرب، إلي جانب رقة القلب، وكثرة البكاء، ومداومة الذكر والفكر.

بالنسبة للتأليف في التصوف، فقد وضع (كولن) في التصوف عدة كتب منها: (التلال الزمردية)، وهو عدة أجزاء لم يترجم منها للعربية غير الجزء الأول، وكتاب (ترانيم روح وأشجان قلب)، و(كتاب القلوب الضارعة) المحتوي على أدعية وأوراد، إلي جانب كتب ومقالات عديدة، تتناثر في ثناياها معاني التصوف المختلفة، فلن تعدم في كل كتاب أو مقال أو درس شفهي[١]مما يلقيه على تلاميذه معنى من معاني التصوف الروحية بغية تربية النفوس وتهذيبها.

أما التصوف النظري فقد وضع (كولن) كتابه (التلال الزمردية) تعبيرا عن هذا الجانب كعادة كثير من المؤرخين والباحثين والدارسين لجانب الحياة الروحية. تكلم فيه عن تعريف التصوف، ومنشأ الكلمة، ومقامات وأحوال الصوفية، ومصطلحاتهم، وآدابهم وأخلاقهم، ولكن الملاحظ أنه لم يسمها بأي اسم كالمقامات أو الأحوال، أو المنازل، ويذكر المقامات متناثرة دون مراعاة ترتيب معين مخالفا في ذلك بعض المؤرخين للتصوف مثل(الطوسي) [٢] في اللمع، و(أبو طالب المكي) [٣] في قوت القلوب، وكذا الأخلاق والأحوال متناثرة لا تجمعها وحدة، وكأنها مقالات مبعثرة جمعت على غير هدى

---

[١]- له دروس شفهية يلقيها على تلاميذه مرة كل أسبوع ترفع كلها على موقع herkulمترجمة إلى عدة لغات منها العربية.

[٢]- الطوسي: أبو نصر عبد الله بن علي بن محمد السراج، يعرف بطاووس الفقراء، ولد بطوس خراسان، وقد تدرج في الطريق الصوفي حتى أصبح شيخا كبيرا له مريدون، واتخذ خانقاه له في طوس، ليس له مؤلفات بين أيدينا إلا كتابه(اللمع)، وقد أثر في كل ما جاء بعده من كتب صوفية كالرسالة القشيرية، وطبقات الصوفية، وكشف المحجوب. توفي ٣٧٨هـ الموافق ٩٨٨م. ينظر: إسماعيل بن محمد أمين بن مير سليم الباباني البغدادي (المتوفى: ١٣٩٩هـ) : هدية العارفين أسماء المؤلفين وآثار المصنفين ص ١/ ٤٤٧.ا د عبد الحميد مدكور: موسوعة أعلام الفكر الإسلامي ص ٥٦٩- ٥٧٠..

[٣]- أبو طالب المكي: محمد بن علي بن عطية، أبو طالب المكي، الزاهد الواعظ، نزيل بغداد، صاحب القوت، كان مجتهدا في العبادة .قال الخطيب : ذكره في القوت أشياء منكرة في الصفات، وكان من أهل الجبل ونشأ بمكة. قال لي أبو طاهر العلاف: إن أبا طالب وعظ ببغداد، وخلط في كلامه، وحفظ عنه أنه قال: ليس على المخلوقين أضر من الخالق، فبدعوه وهجروه، فبطل الوعظ. مات ببغداد سنة ست وثمانين وثلثمائة. من مصنفاته: قوت القلوب في معاملة المحبوب ووصف طريق المريد إلى مقام التوحيد في الأخلاق والتصوف- مشكل إعراب

وهو متأثر كثيرا ب(القشيري) [1] مستنبطٌ منه في الجانب النظري، ومتأثرٌ شديد التأثر ب(الرومي) كثير الاستشهاد من أقواله وأحواله، وكذا بالطريقة النقشبندية وبرجالها كالإمام (السرهندي) و (خالد الكردي)[2]، وبأقوال وأفعال (سعيد النورسي).

فهل كان (فتح الله كولن) صوفيا بمعنى أنه صاحب ذوق ومشرب، وله أتباع ومريدون، أما أنه صاحب علم بقواعد التصوف، وآدابه كحال كثير ممن بحث في التصوف وألم بقواعده ومقاماته وأحواله؟.

سيكون البحث حول هذه القضية، إضافة إلى ذلك سنناقش أيضا رؤاه حول مفهوم التصوف، والنظريات الصوفية، وكذا المقامات والأحوال الصوفية، ومعانيها المتعددة.

ومن ثم سيدور الحديث في هذا الفصل في عدة مباحث:

المبحث الأول: هل فتح الله كولن صوفي؟.

المبحث الثاني: مفهوم التصوف عند كولن.

المبحث الثالث: المنازل الروحية عند كولن.

المبحث الرابع: موقف كولن من مظاهر التصوف ونظرياته.

القرآن الكريم. ينظر: الذهبي: ميزان الاعتدال في نقد الرجال ج ٣ ص ٦٥٥ تحقيق: علي محمد البجاوي، دار= =المعرفة للطباعة والنشر، بيروت- لبنان الطبعة: الأولى، ١٣٨٢ هـ - ١٩٦٣ م. ينظر: إسماعيل بن محمد أمين بن مير سليم الباباني البغدادي: هدية العارفين أسماء المؤلفين وآثار المصنفين ص ٢/ ٥٥.

[1]- القشيري: أبو القاسم عبدالكريم بن هوازن عبد الملك بن طلحة بن محمد النيسابوري القشيري الملقب بزين الإسلام، أحد أئمة المسلمين علما وعملا. ولد في(استوا) إحدى قرى نيسابور ٣٧٦هـ، كان علامة في الفقه، والتفسير، والحديث، والأصول، والأدب، والشعر، والكتابة، وعلم التصوف، جمع بين الشريعة والحقيقة، وكان يعرف الأصول على مذهب الأشعري، والفروع على مذهب الشافعي، تلقى الفقه على يد الاسفراييني، وأصول الفقه على ابن فورك، والمذهب الشافعي على يد الطوسي، إلى جانب مجالس اللغة، والأدب، والنحو، ثم اتجه إلى مجالس التصوف على يد أبي علي الدقاق، وكان له في الفروسية، واستعمال السلاح ، وأما مجالس الوعظ والتذكير فهو إمامها، من كتبه: التيسير في التفسير- في رجال الطريقة- الرسالة القشيرية في علم التصوف وتوفي ٤٦٥هـ الموافق ١٠٧٢م، ودفن إلى جوار شيخه الدقاق. انظر: ابن خلكان: وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان ص ٣/ ٢٠٧.. تاج الدين عبد الوهاب بن تقي الدين السبكي (المتوفى: ٧٧١هـ) طبقات الشافعية الكبرى ص ٥/ ١٥٤المحقق: د. محمود محمد الطناحي د. عبد الفتاح محمد الحلو، الناشر: هجر للطباعة والنشر والتوزيع، الطبعة: الثانية، ١٤١٣هـ. ا د/ علي جمعه محمد: موسوعة أعلام الفكر الإسلامي ص ٨٣٦- ٨٣٨.

[2]- خالد الكردي: هو الإمام العلامة خاتمة أئمة الطريقة النقشبندية في الشام أبو الضياء مولانا خالد بن حسن النقشبندي العثماني المجددي الكردي الشهرزوري الشهير بالحضرة، دفين دمشق الشام، المتوفى بها سنة ١٢٤٢هـ . ينظر: عبد الحي بن عبد الكبير الكتاني : فهرس الفهارس والثبات ومعجم المعاجم والمشيخات والمسلسلات ج ١ ص ٣٧٣ تحقيق: إحسان عباس دار الغرب الإسلامي- بيروت ط الثانية :١٩٨٢م.

المبحث الأول: هل فتح الله كولن صوفيٌ؟

يرى بعض الباحثين أن (كولن) هو "رومي تركيا الحديث" إشارة إلى تقارب (فتح الله كولن) الروحي من مولانا (جلال الدين الرومي) المدفون في "قونية" بتركيا، فكل منهما عاشا حياة الزهد، والروح، إلى جانب توافقهما في المنهج وهو الدعوة إلى السلام، والمحبة بين الناس جميعا، ومحاولة احتضان البشرية[١]، فيقول: "نعم كولن امتداد للرومي في الدعوة للسلام والتوافق العالمي من أجل البشر جميعا على أساس فهم أعمق للمبادئ الإسلامية"[٢].

وهذا ما يؤيده شارح المثنوي الرومي، فيقول عن سمات (الرومي): "تشيع روح الحنو على البشر، والنظر بعين الإشفاق، بل وأحيانا الفهم إلى ألوان ضعفهم"[٣].

ومع ذلك يؤكد بعض الباحثين أن (كولن) ليس صوفيا، أو صاحب طريقة كالطرق الصوفية المعروفة[٤].

ومما يؤكد ذلك:

نفي (كولن) نفسه ذلك الأمر، إذ يقول: "إن هذه الطرق الدينية هي مؤسسات ظهرت باسم تمثيل الصوفية بعد ستة قرون من عهد نبينا (ﷺ)، ولها نظمها، وقواعدها الخاصة بها، وكما أنني لم أنضم قط لأية طريقة صوفية فلم تربطني أيضا أية علاقة بأي منها قط "[٥].

وبالنسبة للقب "خوجه" بمعنى الشيخ، أو السيد، أو الأستاذ الذي يطلقه عليه تلاميذه، وهو اللقب الذي كان يطلقه الصوفية على معلمهم في العهد العثماني أشار (كولن) أن هذا ليس له أي دلالة وإنما هو نوع من التوقير[٦].

ولكن هل عدم انتماء (كولن) لأي من الطرق الصوفية ينفي عنه التصوف؟.

يرى بعض الباحثين في حياة (كولن) وحركة (الخدمة) خلاف ذلك، فالدكتور (ساري توبراك) وصفه ب" الصوفي على أسلوبه الخاص"؛ لأن كثيرا من الصوفية لا ينتمون لطريقة صوفية معينة مثل: (رابعة)[٧]، و(الجنيد)،

١- ينظر: مايمول حسن خان: فتح الله كولن الرؤية والتأثير تجربة فاعلة في المجتمع المدني ص ٣٠ ترجمة: أحمد سعيد عبد الوارث- محمود علي جمعة، دار النيل- القاهرة ٢٠١٥م.

٢- فتح الله كولن الرؤية والتأثير ص ٤٨.

٣- مثنوي مولانا جلال الدين الرومي ص ٨ ، ترجمة وشرح وتقديم: د: ابراهيم الدسوقي شتا، المجلس الأعلى للثقافة ٢٠٠٢م طبع بالهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية١٩٩٧م.

٤- ينظر: فتح الله كولن الرؤية والتأثير ص ٤٨.

٥- أ.د زكي ساري توبراك : السلام والتسامح في فكر فتح الله كولن ص ٣٨ .

٦- المصدر السابق ص ٣٩.

٧- رابعة العدوية أم الخير أو أم عمرو رابعة بنت اسماعيل البصرية مولاة آل عتيك الصالحة المستورة، المشهورة بالتأله والزهد، من أعيان عصرها فضلها مشهور صحبت سفيان الثوري ورياح القيسي وعددا من الصالحين، كانت كثيرة البكاء، والحزن، وإذا سمعت ذكر النار غشي عليها، وكان موضع سجودها كهيئة الماء

و(المحاسبي)[١]، و(العطار)[٢]، و(الرومي) مع أن الغالبية العظمى من الصوفية تمنع اتباع شخص للطريق الصوفي دون أن يكون له معلم أو شيخ، وأقلية منهم ترى أنه لا يجب أن يكون المرشد على قيد الحياة أما (كولن) فيصرح دائما أن مرشده الكتاب والسنة، ويوافق (توبراك) في هذا الرأي الباحث (إحسان يلماز) في كتابه (الاجتهاد والتجديد عن طريق السلوك حركة كولن)[٣].

وترى الدكتورة(اليزابيث أوزالجان) أن هناك ثلاث نقاط مرجعية شكلت فكر (كولن) وهي:

الإسلام السني، والتقاليد الصوفية للطريقة النقشبندية، والحركة النورية (وهي تسمية تطلق على الذين تأثروا بكتابات سعيد النورسي)[٤].

وأرى أن رأي الدكتورة على جانب كبير من الصواب والأهمية؛ لأن (كولن) دائما ما يؤكد على مرجعية الكتاب والسنة في كل أحاديثه، وكثير الاستنباط والشرح والتقدير لفكر النورسي، وشديد التقدير للطريقة النقشبندية، إلي جانب أن (النورسي) ذاته كان متأثرا بهذه الطريقة، وإن نفى عن نفسه أيضا أنه صوفي[٥]، كما فعل (كولن)، ورغم ذلك يصر جميع من بحثوا في حياته أنه وإن نفى انتسابه لشيخ وطريقة إلا أنه ليس

المستنقع من دموعها، من أقوالها: استغفارنا يحتاج إلى استغفار، وقولها لسفيان: إنما أنت أيام معدودة فإذا= =ذهب يوم ذهب بعضك، ويوشك إذا ذهب البعض أن يذهب الكل وأنت لا تعلم فاعمل. ذكر ابن الملقن وفاتها سنة ١٣٥هـ، والذهبي (١٧١- ١٨١هـ). ودفنت بظاهرة القدس على رأس جبل يسمى الطور. ينظر: جمال الدين أبي الفرج بن الجوزي(المتوفى ٥٩٧): صفة الصفوة المجلد الثاني ص ٢٤٩ تحقيق: حامد أحمد طاهر، الفجر للتراث – القاهرة ١٤٢٦هـ- ٢٠٠٥م.والذهبي(المتوفى ٧٤٨هـ): تاريخ الإسلام ص ٤/ ٦١٧ وسير أعلام النبلاء ص ٨/ ٢٤١ وابن الملقن: طبقات الأولياء ص ١/ ٤٠٨.عبد الوهاب الشعراني: الطبقات الكبرى ١١٣/١.

١- المحاسبي: أبو عبد الله الحارث بن أسد المحاسبي اشتهر في زمانه علما، وورعا، ومعاملة، وحالا، من علماء القوم بعلوم الظاهر، وعلوم الأصول، والمعاملات، ومرجع أولياء عصره في كل فن، وله تصانيف كثيرة في أنواع العلوم، وهو أستاذ أكثر البغداديين، بصري الأصل، مات ببغداد سنة ٢٤٣هـ. من أقواله: من صحح باطنه بالمراقبة والإخلاص زين الله تعالى ظاهره بالمجاهدة، واتباع السنة، وقال: خيار هذه الأمة الذين لا تشغلهم آخرتهم عن دنياهم ولا دنياهم عن آخرتهم، وشهد له الإمام أحمد، ولم ينكر من أحواله شيئا. ينظر: أبو القاسم القشيري: الرسالة القشيرية في علم التصوف ص ٧٢، والإمام عبد الوهاب الشعراني: الطبقات الكبرى ١/ ١٢٩.أبو حامد محمد بن ابي بكر بن إبراهيم الشهير بفريد الدين العطار النيسابوري: تذكرة الأولياء المجلد الأول ص ، ٤٦٩ترجمة وتعليق: د/ منال اليمني عبد العزيز، الهيئة المصرية العامة للكتاب ٢٠٠٦م.

٢- محمد العطار (..- ٦٢٧ هـ) (..- ١٢٣٠ م): محمد بن ابراهيم العطار النيسابوري، الهمداني (فريد الدين) صوفي، شاعر، طبيب، صيدلي. ولد بنيسابور، وقضى طفولته في المشهد الرضوي، وسافر إلى ما وراء النهر، والهند، والعراق، والشام، ومصر. له جواهر اللذات، ومنطق الطير. وحج، ورجع إلى نيسابور، وتوفي بها. ينظر: عمر بن رضا بن محمد راغب بن عبد الغني كحالة الدمشقي (المتوفى: ١٤٠٨هـ) معجم المؤلفين ص ٢٠٩/٨، مكتبة المثنى - بيروت، دار إحياء التراث العربي- بيروت.

٣-د/ زكي توبراك: السلام والتسامح في فكر كولن ص ٣٩.

٤- إليزابيث أوزلجان : الزهد الدنيوي في الطرح الإسلامي إلهام التقوى والفعالية لدى فتح الله كولن مقال نقدي ص ٩١ عام ٢٠٠٠م نقلا عن السلام والتسامح ص ٤٢.

٥- من أقواله: "أيها السادة إني لست شيخا صوفيا". ينظر: المكتوب الحادي عشر من رسالته المكتوبات ص ٧٩، وكذا يقول: "أنا لست صوفيا". رسالة اللمعات ص ٢٤٦.

منقطعا عن معاني التصوف وممارساته من تزكية، ومجاهدة، وزهد[١] كما هو الحال مع (كولن).

ولكن (كولن) كما يرى (توبراك) يختلف عن النقشبندية في أنه لا يلتزم ببرنامج خاص بالتطور الروحي تحت إشراف شيخ، بل يؤكد على الأعمال الصالحة التي لا حد لها، أو الخدمة الإنسانية المتواصلة في سبيل الإنسانية أكثر من تأكيده على الرياضات الروحية كما فعل (النورسي) الذي اختار العمل والتعليم خارج حدود طريقة ثابتة.

إذن كما يرى (ساري توبراك) أن الشخص لا يكون صوفيا بانتسابه إلى طريقة مستشهدا بكلام (الرومي): "كيف يكون المرء صوفيا ؟إنه نقاء القلب وليس الرداء المرقع"، إذن كولن صوفي في الروح على الأقل، وإن لم يكن بالاسم[٢].

يرى (محمد أنس أركنه) -الباحث الاجتماعي، وأشهر من كتبوا عن الشيخ وحركة الخدمة- أن حركة (فتح الله كولن) ليست حركة صوفية رغم تناوله في دروسه ومقالاته مفاهيم التصوف وشرح مصطلحاته، فيمكن بالمعنى الفردي أن يعد (كولن) "زاهدا معاصرا"، إلا أن تصوفه محدد ومحصور في النطاق الفردي، فكولن في رأيه لا يشجع على الزهد الرهباني؛ لأنه ليس فضيلة يحث عليها الإسلام؛ لأن الإسلام دين اجتماعي، ولكن (كولن) في المقابل لا يرى من الصحيح الانغماس في الدنيا، فالقرآن يرشدنا إلى التوسط والاعتدال؛ لذا فأمر ترك الدنيا عند (كولن) يجب أن يكون قلبيا -لا كسبيا- كمفهوم الصحابة الكرام، فكولن يؤكد على العمق الصوفي من الناحية الفردية، أما من الناحية الاجتماعية فيؤكد على الفعاليات، والنشاطات الجماعية، وعلى نذر النفس للحق تعالى وللخلق[٣].

ويؤكد الدكتور(محمد جكيب) أن الخدمة ليست جماعة صوفية، وأن (فتح الله كولن) أبعد ما يكون من ادعاء الولاية الصوفية[٤].

يقول (على أونال) - وهو أيضا من أحد الكتاب المقربين لحركة كولن-: "من الضروري بمكان أن نعلم بأن (فتح الله كولن) لم يزعم في أي وقت قط أنه مرشد أو شيخ لا من حيث المفهوم، ولا من حيث المقام الخاص بالتصوف، إنه ليس منتسبا بأية طريقة من الطرق الصوفية غير أن هذا لا يعني أنه أدان الطريقة والتصوف ورفضهما، والنقطة التي يجب الانتباه إليها هنا هو أنه بالرغم من أن تربية النفس أساس في الإسلام إلا أنه لا يلزم الانتساب إلى طريقة ما بشكل قطعي كي يتحقق هذا"[٥]؛ ولذا أخذ (فتح الله كولن) على عاتقه مهمة تربية النفس، فاهتم بالقلب والوجدان؛ لأن الإنسان له جانب مادي

١- ينظر: للأستاذ الدكتور/ مصطفى بن حمزة: بحث بعنوان: أهمية روحانية النورسي المتبصرة في عالم مادي متأزم، مجلة النور للدراسات الحضارية والفكرية، ص ١٥٠ السنة الرابعة / يناير ٢٠١٢م / العدد ٧.

٢- ينظر: السلام والتسامح ص٤٣- ٤٥.

٣- ينظر: محمد أنس أركنه : فتح الله كولن جذوره الفكرية واستشرافاته الفكرية ص ٣٢٣- ٣٢٧ .

٤- الدكتور/ محمد جكيب : أشواق النهضة والانبعاث ص ٢٥١.

٥- علي أونال : فتح الله كولن ومقومات مشروعه الحضاري١٨٤ ترجمة: الدكتور عبد الرازق أحمد محمد دار النيل- القاهرة ط الأولى ٢٠١٥م.

وجانب معنوي، فيلزم أن يعطي كل واحد منهما غذاءه؛ ولذا ركز على الصلة بالله، ومكانة العبادات، والبعد عن الذنوب والمعاصي كأساس لحياة القلب[١].

إضافة إلى ما ذكره الباحثون، فإن (كولن) نفسه تظهر عليه كثير من سمات الصوفية منها:

١- الزهد في الدنيا وعدم الزواج:

فتتسم حياة (كولن) الخاصة بالزهد والبساطة كما يشيع عنه أصحابه، وكذا كلماته تمتلأ بالدعوة إلى الزهد في الدنيا، وقد امتنع أيضا عن الزواج وعلل (كولن) ترك الزواج بالانشغال بالدعوة إلى الله.

وفي هذا مخالفة للسنة النبوية فقد تزوج النبي وهو يحمل على أكتافه حمل الرسالة بأكملها، وهو القائل-ﷺ-: "أما وَاللَّهِ إني لأخشاكم لِلَّهِ وأتقاكم لَهُ، لَكِنِّي أَصُومُ وَأُفْطِرُ، وَأُصَلِّي وَأَرقد، وأتزوج النساء، فَمَنْ رَغِبَ عَنْ سنتي فَلَيْسَ مني"[٢]، وقد تزوج صحابته وسلف الأمة، بل رأوا في النكاح قربة بإخراج نشء يعبد الله تعالى، ولكن بعض أرباب التصوف امتنع عن الزواج، وهذا من بدعهم التي استحدثوها وليس لها أصل في الدين.

٢- البكاء والنحيب:

فقد سار البكاء سمة لكولن حتى لقب بالبكّاء، فلا يكاد يلقي درسا، أو محاضرة، أو خطبة إلا ويعلو بكاؤه وتلاميذه من بعده حتى يرتج المكان من بكائهم، يقول الدكتور (إبراهيم البيومي غانم) عنه: "لقبه العائلي (كولن) ومعناه بالعربية "البسام"، ولكن فتح الله "البسام" يكاد لا يبتسم إلا نادرا، وجل أحاديثه وخطبه مبللة بالدموع، عيناه اللتان أجهدهما طول السهر والبكاء تمتلآن بكثير من العطف والإشفاق على ما آلت إليه أحوال الإنسان التركي، وإنسان الأمة الإسلامية، وإنسان العصر الحديث عامة"[٣].

والبكاء هو سمت للصوفية منذ القدم، فلقد تسمت جماعة في التاريخ الإسلامي بالبكائيين منذ القرن الأول والثاني الهجريين[٤] .

١- علي أونال: فتح الله كولن ومقومات مشروعه الحضاري ص١٨٥.

٢- والحديث في صحيح البخاري : "جاء ثلاثة رهط إلى بيوت أزواج النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، يسألون عن عِبادة النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فلما أخبروا كأنهم تقالوها، فَقَالُوا: وَأَيْنَ نَحْنُ مِنَ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؟ قد غفر له ما تقدم من ذَنبه وما تأخر، قَالَ أَحَدُهُمْ: أما أنا فإني أصلي الليل أبدا، وقال آخر: أنا أصوم الدهر ولا أفطر، وَقَالَ آخَرُ: أنا أعتزل النساء فلا أتزوج أبدا، فَجَاءَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَيْهِمْ، فَقَالَ: «أَنْتُمُ الَّذِينَ قُلْتُمْ كَذَا وَكَذَا، أما والله إني لأخشاكم لله وأتقاكم له، لكني أصوم وَأُفْطِرُ، وأصلي وَأَرْقُدُ، وأتزوج النساء، فمن رغب عن سنتي فليس مني". أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب النكاح، باب الترغيب في النكاح، ص ٢/٧ رقم ٥٠٦٣.

٣- الدكتور ابراهيم البيومي غانم : بحث (معالم في سيرة خوجه أفندي محمد فتح الله "البسام" الأناضولي) ص مؤتمر دولي(مستقبل الاصلاح في العالم الاسلامي خبرات مقارنة مع حركة فتح الله كولن التركية) ص ٢١٩.

٤- ينظر: د/ علي سامي النشار : نشأة الفكر الفلسفي في الاسلام ج ٣ ص ١٤٠ ، دار المعارف- القاهرة، ط التاسعة.

٣- الحِكَم :

ومن تلك السمات أيضا الحكم المنثورة في ثنايا أحاديثه وكتبه[١] مثل: كتاب الموازين، وكتاب ألوان وظلال، والتلال الزمردية، وغيرها، وهي في روحانيتها وعمقها مما يميز الصوفية وأرباب القلوب من ذلك: "صلاة التهجد مشعلة في يد الإنسان ضد ظلام البرزخ"، وقوله: "نبضات القلب هي لحن الموت البادئ مع الولادة"[٢]، وكذا التعريفات التي سنوردها له في مقامات وأحوال الصوفية لاحقا، مثل قوله عن الرضا: "هو عدم اهتزاز الإنسان للبليات التي تصيبه، ومقابلة تجليات القدر بارتياح ضمير"[٣]، وغيرها الكثير.

٤-المعالجة الروحية:

فقد عالج كثير من القضايا والمسائل معالجة روحية وجدانية كما يقول الدكتور (عبد الحليم عويس)[٤]أو يعالج القضايا الإيمانية بأسلوب أدبي رشيق كتعبير الأستاذ (إبراهيم الدباغ) [٥] مثل: حديثه عن سحر الإسلام، وأفق القرآن الساحر، وحديثه عن المسجد الأقصى، والكعبة، والصلاة، والدعاء والحج، وأيا صوفيا، وغيرها[٦] فمثلا يقول عن المسجد الأقصى: "وبينما كان بالأمس محرابا مقدسا ينفح في نفوسنا نفحات ربانية، ومنبرا مبجلا نراه اليوم وقد قلع من جذوره، وتكسرت أجنحته، وأطفئت أنواره التي كانت تشع على العالم ...إذ بنا نتذكر فجأة حاله الحاضر من الأسر المرير فنحس كأن نصلا حادا ينغرس في أرواحنا أو كأن يدا قطعت وسلخت منا رئتنا، وهو بوضعه هذا يبدو كضحية مظلومة قطعت أوصالها إربا إربا يبدو كإنسان حزين قد حصر بين جحود الأصدقاء وبين غدر الأعداء وظلمهم"[٧].

إلى جانب تأثره بفن الشعر أو الانشاد الصوفي[٨] فيورد في كل مقام يتحدث فيه من أشعار هؤلاء الصوفية مثل: (جلال الدين الرومي)، و(محمد عاكف)، و(نجيب فاضل) وآخرين.

إذن (كولن) ليس صوفيا بمعنى أنه يتبع شيخا وطريقة، ولكن سمات وخمائل التصوف في حياته، وكتاباته بادية وظاهرة.

١- ينظر: الأستاذ الدكتور/ عبد الحليم عويس: فتح الله كولن رائد النهضة الراشدة في تركيا المعاصرة ص ٢١٩، دار النيل، ط الأولى ١٣٣٤هـ- ٢٠١٣م.

٢- الموازين ص ٢٠٤، ٢٠٥.

٣- كولن: التلال الزمردية نحو حياة القلب والروح ص ١٥٨ .

٤- ينظر: فتح الله كولن رائد النهضة الراشدة ص ٢٣٠.

٥- ينظر: مقدمة ترانيم روح وأشجان قلب للأستاذ ابراهيم أديب الدباغ ص ٥.

٦- ينظر: فتح الله كولن: ترانيم روح وأشجان قلب ترجمة: أورخان محمد علي، دار النيل- القاهرة .

٧- كولن: ترانيم روح ص ٤٢.

٨- يتحدث ماسينيون عن هذا اللون فيقول: "ينشد الصوفية في حلقاتهم أشعار خاصة، وقد ترعرع هذا الأدب الذي هو من خصائص الإسلام في كل مكان، وغزر انتاجه إلى حد بعيد، ولكنه لا يخلو من جفوة وإملال فهو يتوسل بفنون البلاغة إلى إحداث ضرب من التواجد في نفوس المستمعين إليه". ينظر: ماسينيون ومصطفى عبد الرازق: التصوف كتب دائرة المعارف الإسلامية ص ٤٦- ٤٧ الناشر: دار الكتاب العربي- مكتبة المدرسة ١٩٨٤م.

تقدير كولن للتصوف:

(كولن) وإن نفى كونه صوفيا - بمعنى الانتساب إلى شيخ وطريقة- إلا أنه لم يرفض التصوف، بل أعطاه قدرا كبيرا من الأهمية والتقدير ليس معنويا فقط، بل إنه اهتم به في انتاجه ومؤلفاته، فقد ألف في التصوف النظري كتاب (التلال الزمردية)، وكذا كتب في معاني التصوف عدة كتب منها (ترانيم روح وأشجان قلب)، و(القلوب الضارعة)، و(أضواء قرآنية في سماء الوجدان)، [١] وفي جل كتبه تقريبا لن تعدم حديثا عن مفاهيم التصوف الروحية عن حياة القلب، وعن الذكر، والدعاء، والفكر، والعبادة إلى غير ذلك حتى وهو يتحدث في قضايا كلامية أو فلسفية يمزجها بالطابع الروحي.

بل يرى (كولن) أن من المؤيدات والمعينات على الحفاظ على حيوية ونشاط الحياة الدينية للأفراد أمرين:

الأول: الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والثاني: متابعة ومطالعة كتب الرقائق، وعلل الأمر الأخير بالقول: "فإنها تلين القلوب، وترققها لممارسة حياة دينية سليمة خالية عن النقائص والعيوب، وتحرك روح الإنسان، وتوجه الأنظار إلى الآخرة، وتثير القلق في القلوب استعدادا للحساب والميزان، وهي في الوقت نفسه تشتمل على الأمور التي تجيش مشاعر الأمل والرجاء في القلوب"[٢].

وانتهى إلى القول: "إن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والتذكير الدائم بالموضوعات المتعلقة بالرقائق يشبهان الشرايين والأوردة بالنسبة للإنسان"[٣].

وقد وجه تلاميذه إلى بعض من كتب الرقائق مثل: تنبيه الغافلين بأحاديث سيد الأنبياء والمرسلين لأبي الليث السمرقندي، وإحياء علوم الدين رغم ما فيهما - كما يقول- من روايات ضعيفة ذكرت لغرض الترغيب والترهيب، وكذا التذكرة بأحوال الموتى وأمور الآخرة للإمام القرطبي، وأشار كذلك إلى مؤلفات (أبي حيان الأندلسي) (٧٤٥هـ) [٤].

بل هو في حلقاته يعتمد على بعض تلك الكتب، وكذا في مواعظه، وخطبه، فمنذ أول عهده بالخطابة اعتمد على كتاب تنبيه الغافلين، وكتاب درة الواعظين، وأشار كثيرا إلى جهود الصوفية أمثال:(الحسن البصري) و(الجيلاني)[٥]

١- وهو كتاب خواطر وليس تفسيرا حول آيات متفرقة من كتاب الله يفسرها تفسيرا روحانيا وجدانيا. ولذا أراه شبيه بفكرة كتاب في ظلال القرآن لسيد قطب، وخاصة أنه متأثر بالظلال حيث كان موردا أساسيا في حلقاته، وشديد الاعجاب بصاحبه كما يذكر الدكتور محمد صفار. ينظر للدكتور محمد صفار : بحث بعنوان (مفهوم الحوار دراسة لفتح الله كولن وسيد قطب) ص ٣٩٤ضمن مؤتمر مستقبل الإصلاح في العالم الإسلامي خبرات مقارنة مع حركة فتح الله كولن التركية .

٢- مقال (ثنتان من المؤيدات للحفاظ على نشاط الحياة الدينية) مقال على موقع herkulبتاريخ ٦/١٠/ ٢٠١٦. ٢٠١٦.

٣- المقال السابق.

٤- مقال ثنتان من المؤيدات للحفاظ على نشاط الحياة الدينية .

٥- عبد القادر الجيلاني(٤٧١-٥٦١هـ- ١٠٧٨- ١١٦٦) وقيل: مولده ٤٧٠هـ ووفاته ٥٩١هـ: عبد القادر بن أبي صالح الجيلي، قطب العارفين، مؤسس الطريقة القادرية، من كبار الزهاد والمتصوفة. ولد في جيلان

(وأبي الحسن الشاذلي)[١]، و(بديع الزمان النورسي)[٢].

وأما تقديره للتصوف فيقول: "التصوف روح الإسلام، ولا يمكن تصور الإسلام دونه، والطرق الصوفية هي التي تنظم هذا الأمر"[٣].

وهذا الكلام يؤيده (كولن) في كتابه "ونحن نبني حضارتنا" إذ يجعل التصوف أحد المصادر الأساسية لميراثنا الثقافي[٤].

ويرى أن التصوف زاد في طريق الوصول إلى الله تعالى، فيقول: "إن طرق الوصول إلى الحق تعالى لا تعد ولا تحصى. التصوف، وعلوم الحقيقة زاد في تلك الطرق للسالكين، وذخيرتهم، ونورهم، ودليلهم، وثكنات التصوف أروقة انتظار وموانئ مفتوحة للإبحار إلى الخلود، ومدارس تؤدى مهمة التعليم والتربية لهذا السفر الطويل"[٥].

وطرق الوصال هذه والتي هي بعدد أنفاس المخلوقات يعزوها (كولن) إلى طريقين رئيسيين:

الأول: الطريق الذي يلقن فيه السالك الرياضة: من قلة الأكل، والنوم، وكثرة التفكر، والذكر، وكثير من طرق التصوف تقوم على هذه الأسس، وما وراءها من انضباط السلوك والنظام، وأهم ورد للسالك هو الأسماء السبعة: (لا إله إلا الله، الله، هو، الحق، الحي، القيوم، القهار)، وأمثالها، وقد يضيف أسماء جلالية مثل: (القدير والجبار، والمالك)، وقد يضيف آخرون أسماء جمالية مثل: (الفرد، الواحد، الأحد الصمد)[٦].

(وراء طبرستان)، وانتقل إلى بغداد شابا، فاتصل بشيوخ العلم، والتصوف، وبرع في أساليب الوعظ، وتفقه، وسمع الحديث، وقرأ الأدب، وتصدر التدريس والإفتاء ببغداد سنة ٥٢٨هـ وتوفي بها. من مؤلفاته: الغنية لطالب طريق الحق- الفتح الرباني- فتوح الغيب. ينظر: ابن الملقن أبو حفص عمر بن علي بن أحمد الشافعي= =المصري(المتوفى ٨٠٤هـ): طبقات الأولياء ج ١ ص ٢٤٦ تحقيق: نور الدين شريبه، مكتبة الخانجى ١٤١٥هـ- ١٩٩٤م.وينظر: الزركلي: الأعلام ج ٤ ص ٤٨.

١- أبو الحسن الشاذلي(٥٩١- ٦٥٦هـ) هو علي بن عبد الله بن عبد الجبار بن يوسف الهذلي الشاذلي، - وشاذلة قرية من أفريقية-، الضرير، الزاهد، نزيل الإسكندرية، وشيخ الطائفة الشاذلية، وانتسب في بعض مصنفاته إلى الحسن بن علي بن أبي طالب، كان كبير المقدار له نظم، ونثر، وعبارات فيها رموز، ويدعو إلى التمسك بالكتاب والسنة ، من أصحابه الشيخ أبي العباس المرسي، حج مرات، وكانت وفاته بصحراء عيذاب، وهو قاصد الحج، فدفن هناك عام ٦٥٦هـ. ينظر: الإمام عبد الوهاب الشعراني: الطبقات الكبرى ج ٢ ص ٣٦٣. وينظر: ابن الملقن: طبقات الأولياء ص ١/ ٤٥٩.

٢- ينظر: مقال: (ثنتان من المؤيدات للحفاظ على نشاط الحياة الدينية).

٣- كولن: الموازين ص ١٢٢ ترجمة: أورخان محمد علي، دار النيل، ط السابعة ٢٠١٢م- ١٤٣٣هـ.

٤- ينظر: كولن: ونحن نبني حضارتنا ص ٩١.

٥- كولن: التلال ص .٢١٦.

٦- كان النورسي أكثر صراحة في مهاجمة مخالفات الصوفية من (كولن) فينعى على بعضهم ترجيحهم أورادهم وأذكارهم التي كتبوها بأيديهم على المأثور من أذكار السنة الشريفة ويجافون أذكار النبي وأدعيته. ينظر: للأستاذ: عبد الرزاق الغول: بحث "بديع الزمان سعيد النورسي والتصوف " ص ١٤٥ مجلة النور للدراسات الحضارية والفكرية، السنة الرابعة/ يناير ٢٠١٣م/ العدد: ٧.

الثاني: الطريق الذي يتقيد بالكتاب والسنة، فسالكو هذا الطريق يتحرون السنة النبوية في كل مسألة فبدلا من الاقتصار على أسماء حسنى مخصوصة وردا لهم يتحرون عن أصول عبادة النبي (ﷺ) دعاء، وذكرا، وفكرا فيذكرون الله بجميع أسمائه الحسنى[1].

وبناء على ما سبق:

ففتح الله كولن ليس صوفيا بمعنى انتسابه إلى طريق من الطرق الصوفية ولكنه صوفي في مظهره، ومخبره، وحاله، وفكره فقد امتزج التصوف بحياته وفكره بشكل ملحوظ حتى عد من الصوفية وذلك ما يتبين في كل أجزاء البحث والدراسة.

١- ينظر: كولن: التلال ص ٢١٦-٢١٧.

المبحث الثاني: مفهوم التصوف في فكر كولن

المطلب الأول: تعريف التصوف:

أولا: أصل كلمة(صوفي):

يرى (كولن) أن الاختلاف في استعمال هذه الكلمة ناشئ من أصل الكلمة نفسها فبعضهم يردها إلى: الصوف، وصوفس، وصفاء، وصفوة، ومن يدعي أنها نابعة من: سوفان، وسوفانة[١]، وصُفة[٢].

وبذلك لا يخرج (كولن) عما ذهب إليه الصوفية ومؤرخو التصوف كالقشيري خاصة إلا أن (القشيري) انتهى إلى عدم وجود جذر لغوي معلوم تنسب إليه هذه الكلمة، فقال: " إن هذه التسمية غلبت على هذه الطائفة فيقال: رجل صوفي وللجماعة صوفية، ومن يتوصل إلى ذلك يقال له(متصوف)، وللجماعة(المتصوفة)، وليس يشهد لهذا الاسم من حيث العربية قياس ولا اشتقاق، والأظهر فيه أنه كاللقب"[٣].

إلا أن (كولن) أحيانا يستخدم مصطلح (المتصوفة) لأدعياء التصوف أو من يشتغلون بنظريات التصوف ومصطلح(صوفية)لأرباب الحقيقة[٤].

وقد ناقش (كولن) كل أصل ورد لكلمة الصوفي، وعلة نسبته للصوفي كما فعل سائر الباحثين فمثلا:

أ- الصفاء: نسبة لصفاء القلب.

ب- الصفوة: لاختيار الله له وانتقائه لنفسه.

ج- الصوف: إضافة إليهم؛ لكونه ظاهر حالاتهم، وأطوارهم؛ ولأنه لبس الأنبياء والعباد.

د- الصُّفة: تشبها بأهل الصُّفة[٥].

هـ- الصَف: فتعني بقاؤهم المستمر في عبودية خاشعة، ويرى أن هذه النسبة مخالفة لقواعد اللغة في الاشتقاق[٦].

---

[١]-الصوفانة: بقلة زغباء قصيرة، المرأة الرعناء القصيرة. وصوفةُ اسم حي من تميم، وآل صوفان الذين كانوا يُجيزون الحُجّاج من عرفات، يقوم أحدُهم فيقول: أجيزي صوفة، فإذا أجازَتْ أُذِنَ للناس في الإفاضة. الخليل بن أحمد: العين باب الصاد والفاء معهما(ص و ف، و ص)ص ١٦٢/٧.ابن فارس: مجمل اللغة باب الصاد والياء ص ١/ ٥٤٦.والهروي: تهذيب اللغة باب الصاد والفاء ص ١٢/ ١٧٣.

[٢]- التلال الزمردية ص ٢٤.

[٣]- الرسالة القشيرية ص ٣٨٥ تحقيق: هاني الحاج.

[٤]- ينظر: كولن: نحو عقيدة صحيحة ص ١٦٣.

[٥]- أهل الصفة كانوا أضياف الإسلام، كانوا يبيتون في مسجده -ﷺ- والصفة موضع مظلل من المسجد. ينظر: القاموس المحيط ص ٧٠٤

[٦]- التلال الزمردية ٢٤.

وهو هنا يردد قول (القشيري) في رسالته إذ يرى (القشيري) أن اللغة لا تقتضي هذه

النسبة للصف، وإن كان المعنى صحيحا[١].

و- نسبة الصوفي إلى صوفس أو سوفيا: التي تعني الحكمة فيرى (كولن) أن هذا ادعاء، وتلك التسمية من اختلاق الأجانب على الرغم من أن أكثر الصوفية من أرباب الحكمة[٢]، وهو هنا يوافق عددا من الباحثين الذين يهاجمون هذه الفكرة والنسبة كالدكتور عبد الحليم محمود[٣].

ثانيا:- التصوف في الاصطلاح:

يرى (كولن) أن التصوف: "اسم يطلق على الطرق الموصلة إلى الحق تعالى يسلكها الصوفي والمتصوفة، فالتصوف يعبر عن الجانب النظري لطريق الحقيقة والتنسك(التدروش)يعني بجهته العملية"[٤].

وقد ساق عددا من التعريفات لرجال التصوف مثل(الجنيد) و(الشبلي)، وغيرهما وكلها مستقاة من الرسالة القشيرية[٥]، وانتهى إلى نتيجة مفادها أن التصوف هو: "الانسلاخ من الصفات البشرية في معيار، والتدثر بالأوصاف الملكية، والأخلاق الإلهية، والعيش في مدار معرفة الله، ومحبته تعالى، والتذوق الروحاني"[٦].

أي التخلية عن الصفات البشرية والتحلية بالصفات الإلهية، ومعرفة الله تعالى، وسلوك طريق الذوق للوصول إليه .

ويرى (كولن) أن أصل التصوف: هو الاعتصام بأسس الدين بقوة، ومراعاة أوامره ونواهيه بدقة، ومجانبة حظوظ النفس قدر المستطاع بملازمة الجوع واليقظة.

أما موضوع التصوف فهو: رفع الإنسان إلى مستوى الحياة القلبية، والروحية وتصفية القلب، وتوجيه اللطائف إلى مرجعها الأصلي.

وأما فائدته: تحفيز الإنسان لتنمية جوانبه الملكية، واستشعار الإيمان الإجمالي والبدائي كرة أخرى كشفا وذوقا والعيش به[٧].

ثالثا: أركان التصوف :

---

[١]- الرسالة القشيرية ص ٣٨٥.
[٢]- التلال ص .٢٥
[٣]- ينظر: الدكتور عبد الحليم محمود: قضية التصوف المنقذ من الضلال ص ٣٠-٣٥ دار المعارف ط الخامسة
[٤]- كولن: التلال الزمردية ص ١٣.
[٥]- ينظر: الرسالة القشيرية ص ٤٦٥.
[٦]- التلال الزمردية ص ١٤.
[٧]- السابق ص ١٥.

يرى (كولن) وجود عدة أركان يقوم عليها التصوف وهي:

١- بلوغ التوحيد الحقيقي بطرق نظرية وعملية.

٢- قراءة أوامر حضرة القدرة والإرادة الإلهية، ومعاينتهما بجنب الاستماع إلى حضرة الكلام الإلهي وفهمه.

وهنا لا يصح القول إن القدرة أو الإرادة هي التي تأمر، بل الله سبحانه وتعالى هو الآمر الحاكم، قال تعالى: چ ئا ئا ئه ئه ئو ئو ئۇ ئۇ ئۆ ئۆ چ ں ں ڻ ڻ ڻ ۀ ۀ ہ ہ چ[1]

٣- الامتلاء بمحبة الحق سبحانه.

٤- العمل بروح الإيثار في كل وقت وحين.

٥- تقديم المراد الإلهي على مراده هو، والسعي إلى الفناء في الله، والبقاء بالله.

٦- الانفتاح على العشق، والوجد، والجذب، والانجذاب.

٧- استشفاف ما في الصدور من سيماء الوجوه، وقراءة الأسرار الإلهية على وجه الأحداث.

٨- تنظيم رحلات إلى مواضع تذكر بالأخرويات.

٩- الاكتفاء بالأذواق واللذائذ ضمن الدائرة المشروعة.

١٠- المجاهدة المتواصلة.

١١- تذكير النفس باستمرار أن النجاة لا تكون إلا بطريق اليقين، والإخلاص، والرضا الإلهي .

١٢- التزود بالعلوم الظاهرة والباطنة.

١٣- الاحتماء بريادة إنسان كامل وإرشاده.

وذكر أن هذين الأمرين الأخيرين يمثلان أهمية كبرى لدى النقشبنديين[2].

وهما كذلك بالفعل، فهم يهتمون ويتقيدون بالشريعة كما علوم الباطن، ويرون وجوب طاعة الشيخ فهو الذي يحدد اجتماعهم وأورادهم، وغير ذلك كما سبق أن ذكرت في ترجمتهم.

رابعا: أقسام الصوفية:

---

[1]- الآية الأولى سورة يس الآية: ٨٢ والثانية سورة الأعراف الآية: ٥٤ .
[2]- التلال الزمردية ص ١٥-١٦ .

يقسم (كولن) الصوفية إلى مجموعتين:

الأولى: المنطلقون في مدار العلم بحثا عن الوصال بأجنحة المعرفة، وهو طريق أصحاب الولاية الكبرى .

المجموعة الثانية: السالكون لتحري الذوق، والوجد، والكشف فحسب، وهو طريق من يبحثون عن الرغبات والترقيات، وهو طريق أقل أمنا من الأول[١].

ويذكر أيضا أن الصوفية يقسمون الناس فيما بينهم إلى ثلاثة أقسام:

الصنف الأول: ويطلقون عليهم اسم الكاملون والواصلون، وهؤلاء ينقسمون فيما بينهم إلى قسمين:

القسم الأول: السادة الأنبياء والرسل الكرام.

القسم الثاني: الكُمّلون: الذين يصلون إلى الحق باتباعهم وانقيادهم للأنبياء العظام يقول عنهم: "فهؤلاء يمثلون(الإنسان الكامل)من حيث سماء استعداداتهم ،ولكن رغم أن بعضهم واصل وكامل في نفسه قد لا يكون مرشدا لغيره، بل قد لا يقدر بعض الواصلين منهم بعد أن حظى بالوصال على النجاة من أمواج بحر الجمع[٢] والحيرة فيبقى مستهلكا مشاعره وأفكاره؛ لذا تنقطع علاقته كليا عن عالم الناسوت (الطبائع البشرية)، ولا يقدر على الإرشاد"[٣].

و(كولن) هنا يعتذر عن الصوفية فيما يصدر عنهم، وينسب إليهم الفضل، ويؤول ظاهر كلامهم المخالف بغلبة الحال، ولكن من باب الحق لا يرى صلاحيتهم لإرشاد الناس.

وهذا القول شبيه جدا بقول (النورسي) إذ يرى أن (ابن عربي) مهتد، ولكنه ليس بمرشد، وأن أقواله ظاهرها الضلالة غير أنه بريء من الضلالة.

الصنف الثاني: يطلق عليهم اسم السالكون، وهم قسمان:

القسم الأول: يطلبون الله وحده دون أن يفكروا في الدنيا ولا في الآخرة.

القسم الثاني: يطلبون الدنيا مع طلبهم للآخرة، والجنة، فهؤلاء هم الزهاد، والعباد، والفقراء إلى الله.

---

[١]- التلال ص ٢٨.

[٢]- الجمع: يطلق في اصطلاح الصوفية على عدة معان: منها: يشيرون بالجمع إلى حق بلا خلق، وبالفرق رؤية خلق بلا حق، فالجمع هو الاشتغال بالحق، أو إقبال النفس على العالم القدسي مشتغلة به عن العالم الحسي، ومنها: اجتماع همتها على عبادة الحق بحيث لا تلفت إلى الخلق، ومنها: الاشتغال بشهود الله عما سواه تعالى أو شهود ما سوى الله قائما بالله، أو حال من أثبت نفسه وأثبت الحق ولكن شاهد الكل قائما به، وأحيانا يطلقون على ذلك اسم: (جمع الجمع) . ينظر: القاشاني: لطائف الإعلام في إشارات أهل الإلهام ص٣٩٢/١.

[٣]- التلال ص ٢٩.

الصنف الثالث: الذين يحصرون نظرهم في الدنيا، ويطلق عليه الصوفية اسم (المقيمين)، وهم الأشرار، والأشقياء من أصحاب الشمال[1].

إذن من خلال ما سبق يتبين أن:

١- تعريف كولن لأصل كلمة الصوفي لا يخرج عما قرره السابقون أما التعريف الاصطلاحي فله معنى خاص به .

٢- في أركان التصوف التي ذكرها يقر بكل المعاني القديمة والجديدة في التصوف، فإلى جانب التوحيد، والحب، والعمل وهي معاني موجودة منذ العهد الأول للإسلام هناك أحوال الصوفية التي استجدت كالفناء، والجذب، والوجد، والتزود بعلوم الباطن والظاهر على السواء، وصحبة شيخ .

٣- في تقسيمه للصوفية إلى أهل الولاية الذين لا يريدون إلا الله ومعرفته، ومن يبحثون عن الأذواق والترقيات هو إقرار بأن الطريق الصوفي منازل وأذواق، وكل على حسب درجته من الفهم والذوق.

---

[1]- ينظر: التلال ص ٢٩.

المطلب الثاني: التصوف من حيث المنشأ:

يرى (كولن) أن أصل الحياة الروحية بدأ مع الإسلام وحياة النبي - صلى الله عليه وسلم- فقد كان من وظائف الرسول الكريم إعداد بيئة تقام فيها الشعائر بحرية، واطمئنان، وتزويد المسلمين بمقومات مادية ومعنوية تجعلهم حكاما في الأرض لا محكومين، وهذا يقتضي أن تسري الحياة القلبية والروحية في كل شيء، فأقام الدين، وفرائضه، وآدابه، ودعا المسلمين إلى ذلك، وبحث عن كل ما يرضاه الله، وواظب على أدعية وأذكار كثيرة، فالولاية الصوفية طريقها هي القيام بما كان يقوم به النبي- ﷺ-.

وبعد قرن أو قرنين عرض لهذا المسلك النبوي عقبات وجفت الأرواح، فظهر مجددون أرادوا أن يعودوا بالمسلمين إلى أصلهم كالإمام (أبي حنيفة) و(الشافعي) و(أحمد) فأنشأوا المدارس، والمجالس للعودة بالناس إلى السنة، ثم ظهر الزهاد أمثال: (إبراهيم بن أدهم) و(الفضيل بن عياض) [١]، فعادت القلوب تتجه إلى الله، وتحلق الناس حولهم، وتتابعت نشأة المدارس الصوفية، ثم ظهرت الطرق الصوفية فأنارت ربوع العالم الإسلامي كالنقشبندية، والمولوية، وغيرها[٢].

وسأبحث ثلاث مسائل تتصل بهذا العنوان كالتالي:

أولا: تاريخ الكلمة(الصوفي):

يرى (كولن) أن أول من لقب بالصوفي في التاريخ الإسلامي هو الزاهد الكبير (أبو هاشم الكوفي)[٣] والذي توفي ١٥٠هـ [٤]؛ لذا يؤكد (كولن) أن كلمة صوفي ظهرت في القرن الثاني للهجرة قبل المائتين من الهجرة أي بعد عهد الصحابة الكرام وتابعيهم (رضوان الله عليهم).

---

[١]- الفضيل بن عياض: بن مسعود بن بشر التميمي اليربوعي الخراساني. ويكنى أبا علي. ولد بسمرقند ببلاد فارس، ونشأ بكورة أبيورد من بلاد التركستان، وقدم الكوفة وهو كبير فسمع الحديث من منصور بن المعتمر وغيره. ثم تعبد وانتقل إلى مكة فنزلها إلى أن مات بها في أول سنة سبع وثمانين ومائة في خلافة هارون. وكان ثقة ثبتا فاضلا عابدا ورعا كثير الحديث. من أقواله: من جلس مع صاحب بدعة لم يعط الحكمة. ينظر: أبو عبد الله محمد بن سعد بن منيع الهاشمي بالولاء، البصري، البغدادي المعروف بابن سعد (المتوفى: ٢٣٠هـ) الطبقات الكبرى ص ٤٣/٦، تحقيق: محمد عبد القادر عطا، الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤١٠ هـ - ١٩٩٠ م. أبو عبد الرحمن السلمي: الطبقات الصوفية ص ١١ .

[٢]- ينظر: نحو عقيدة صحيحة ص ١٦٤-١٦٦.

[٣]- أبو هاشم عثمان بن شريك الكوفي، ويقول أبو نعيم: أبو هاشم فديم، وفي موضع آخر أبو هاشم الزاهد، وذكر أنه من متقدمي البغداديين وعرف بالنسك والتصوف. وقيل في سبب تسميته بالصوفي:" إنه كان يلبس لباسا طويلا من الصوف كما تفعل الرهبان"، وقيل: الصوفي اسمه كما كان الصوفي اسم جابر بن حيان، ومن الآراء الأخرى: إن الكوفة كانت تشتهر بصناعة الصوف، وأن اسم الصوفي – لذلك- كان مساويا لاسم الكوفي ومن أقواله في ذم الدنيا والإعراض عنها:" إن الله (عز وجل) وسم الدنيا بالوحشة؛ ليكون أنس المريدين به دونها، وليقبل المطيعون له بالإعراض عنها، وأهل المعرفة بالله منها مستوحشون وإلى الآخرة مشتاقون" وقال أيضا: "لو أن الدنيا قصور وبساتين، والآخرة أكواخ؛ لكانت الآخرة أهلا أن تؤثر على الدنيا؛ لبقاء تلك ونفاد هذه. أبو نعيم الأصفهاني: حلية الأولياء المجلد العاشر ص ٢٤٠ ٢٠٥ .عبد المنعم الحفني: الموسوعة الصوفية ص ٥٩٤ مكتبة مدبولي ط الأولى ٢٠٠٣م.

[٤]- التلال الزمردية ص ٢٥.

وهذا القول اتفق عليه كثير ممن كتب وأرخ للحياة الروحية في الإسلام مثل: (الكلاباذي)[١]، و(القشيري)، و(ابن الجوزي)[٢]، و(ابن خلدون)، ومن المستشرقين (نيكلسون)[٣] و (ماسينيون) [٤].

وهو من أول ظهوره - كما يرى (كولن)- مسلك لذوي الأرواح والقلوب يسير وفق البساطة التي كانت عليها حياة النبي والصحابة الكرام، ويأخذ موقفا حازما من الدنيا مع الارتباط الوثيق بالرقائق وحوادث ما بعد الموت، وعلى هذا ظل التصوف منقادا لمقتضى الحياة الروحانية.

وانتهي (كولن) إلى ما انتهى إليه (القشيري)، واستشهد بقوله :"إن المسلمين بعد رسول الله لم يتسم أفاضلهم في عصرهم بشيء سوى صحبة رسول الله (ﷺ) إذ لا فضيلة فوقها فقيل لهم الصحابة، ولما أدركهم العصر الثاني سمي من صحب الصحابة التابعين، ورأوا في ذلك أشرف سمة، ثم قيل لمن بعدهم أتباع التابعين، ثم اختلف الناس وتباينت المراتب، فقيل لخواص الناس ممن له شدة عناية بأمر الدين الزهاد والعباد، ثم لما ظهرت البدع وحصل التداعي بين الفرق، فكل فريق ادعى أن فيهم زهادا، فانفرد خواص أهل السنة المراعون أنفسهم مع الله تعالى الحافظون قلوبهم من طوارق الغفلة باسم التصوف، واشتهر هذا الاسم لهؤلاء الأكابر قبل المائتين من الهجرة "[٥].

وبهذا التاريخ المتقدم(القرن الثاني) لظهور كلمة الصوفي ينفي (كولن) أي علاقة للتصوف بالفلاسفة، والروحانيين النصارى، واليوغا[٦] -إشارة إلى من ينسبون التصوف

---

[١]- الكَلاباذي(٠٠٠ - ٣٨٠ هـ = ٠٠٠ - ٩٩٠ م): محمد بن إبراهيم بن يعقوب الكلاباذي البخاري، أبو بكر: من حفاظ الحديث. من أهل بخارى. من مؤلفاته: " بحر الفوائد" ويعرف بمعاني الأخبار، جمع فيه ٥٩٢ حديثا "، و " التعرف لمذهب أهل التصوف . ينظر: الزركلي: الأعلام ص ٥/ ٢٩٥.

[٢]- أبو الفرج ابن الجوزي: جمال الدين عبدالرحمن بن علِي البغدادي الحنبلي ينتهي نسبه إلى أبي بكر الصديق- رضي الله عنه- ، الإمام، الحافظ، المفسر، الواعظ، صاحب التفاسير العديدة. ولد: سنة تِسع -أَو عشر- وَخمس مائة وتوفي ٥٩٧هـ . ومن تصانيفه: المغني فِي عِلم القرآن، كتاب زاد المسير في علم التفسير، تذكرة الأريب في شرح الغريب، نزهة النواظر فِي الوجوه والنظائر، عيون علوم القرآن، النّاسخ والمنسوخ، منهاج الوصول إِلَى علم الأُصول، كتاب نفي التّشبيه، جامع المسانيد، الحدائق، نفي النّقْل، الْمُجْتَبَى، النزهة، عيون الحكايات، التحقيق في أحاديث التّعليق. ينظر: الذهبي: تاريخ الإسلام وَوَفيات المشاهير والأعلام، ص ١٢/ ١١٠٠، سير أعلام النبلاء، ص ٣٦٦/٢١. ينظر: حاجي خليفة: سلم الوصول إلى طبقات الفحول، ص ٢/ ٢٥٦.

[٣]- نيكلسون أو نيكولسن رينولد ألين (١٨٦٨- ١٩٤٥م): مستشرق انجليزي يعد من أكبر الباحثين في التصوف الإسلامي بعد ماسنيون، وكذا اهتم بالأدب القديم، ثم مال إلى اللغات الشرقية، فتعلم لغات الهند والعربية، والفارسية، واهتم بالأدب العربي، والشعر الفارسي. أعظم أعماله نشره لديوان المثنوي للرومي، وله مقالات عدة في التصوف الإسلامي نشرها في دائرة معارف الدين والأخلاق، ودائرة معارف الإسلام، وجمع بعضها في مجلد بعنوان(دراسات في التصوف الإسلامي)وكذلك من مصنفاته: الصوفية في الإسلام- الصوفية- أهداف التصوف الإسلامي، وحقق اللمع، وتذكرة الأولياء- دراسة عن رسالة الغفران لأبي العلاء- منتخبات من ديوان شمس تبريز لجلال الدين الرومي. ينظر: الدكتور عبد الرحمن بدوي: موسوعة المستشرقين ص ٥٩٣. وينظر: نجيب العقيقي: المستشرقون ص ١/ ٥٢٥- ٥٢٧، دار المعارف ١٩٦٤م.

[٤]- ينظر: للباحثة نوسه السيد محمود: التصوف في القرن الثاني الهجري مدارسه ورجاله، ص ٤٨ رسالة ماجستير بجامعة الأزهر بكلية الدراسات الإسلامية والعربية للبنات بالقاهرة ٢٠١٢م .

[٥]- التلال ص ٢٦والرسالة القشيري ص ٦٣.

[٦]- اليوجا أو اليوغا: نظام من التمرينات غايته السيطرة على الجسم والنَّفس والعقل، مَذْهَب فَلْسفيّ هِنْدُوسيّ يهدف إلى السيطرة التامَّة على الجسد وضبط القوى الحيويَّة وبُلوغ الكمال وتدريب الضمير ليصل إلى حالة من

إلى مصدر أجنبي بعيدا عن المصدر الإسلامي- يقول كولن: "التصوف لا علاقة له بالفلسفة ولا بالروحانية النصرانية ولا باليوغا من قريب ولا من بعيد"[١].

ويقرر أنه بالفعل سار فلاسفة اليونان والهند في طريق تصفية النفس قبل ظهور الإسلام ولكن عملهم يختلف عن مجاهدة الصوفية، فيقول: "ولكن الطريقين مختلفان اختلافا كليا من حيث الأصل والأساس ذلك؛ لأن الصوفيين يحققون التصفية بالتمسك بأسس الذكر والعبادة والطاعة ومحاسبة النفس والتواضع والمحوية، ومن ثم يسعون للمحافظة على هذا الخط إلى نهاية العمر، بينما تصفية الفلاسفة إن كانت تسمى تصفية فهي تصفية اعتباطية ليس فيها عبادة، ولا طاعة، ولا مراقبة نفس، ولا تواضع، ولا إنكار ذات، بل فيها دوما الغفلة، وتضخيم الأنانية إلى حد الوقاحة والطيش"[٢].

وإذا كان من نتيجة هنا، فهي أن التصوف مصدره الإسلام لم يقتبس من أي حضارة أخرى، وهو قول سبقه به السابقون، وأفاضوا بذكر الشواهد والبراهين، فقد أكدوا إسلامية المصدر، فلم يأتنا من فارس، ولا الهند، ولا اليونان، ولا المسيحية شيءٌ وإنما مصدره القرآن، وحياة النبي(ﷺ) وأخلاقه، وأقواله، وحياة الصحابة وأقوالهم[٣].

ثانيا: تدوين العلوم:

يرى (كولن) أن الأحكام الشرعية لم تدون في العهود الأولى للإسلام، فالكثيرون كانوا يحفظونها عن ظهر قلب، وتعزز بالمزاولة والتطبيق العملي، ولما جاء أوان التدوين لم يجدوا صعوبة في تدوين ما استقر في أذهانهم، ومن هؤلاء الفقهاء، والمتكلمين، وكذا الصوفية ركزوا اهتمامهم على الجوانب الروحية للحقيقة المحمدية كذات الإنسان وأساس الوجود معتمدين على المصادر نفسها، فأضافوا رياضتهم الذاتية، وحياتهم الروحية، وتصفيتهم القلوب وتزكيتهم النفوس إلى تفسير المفسرين، وروايات المحدثين، واجتهادات المجتهدين فطوروا مدارس ومسالك صوفية متعدد علاوة على تذوقهم له [٤].

يقول كولن :"وهكذا كسبت حياة الإسلام الروحية ماهية علمية تلك هي الحياة المستندة إلى أسس علمية بحتة متعلقة بأحوال القلب كزهد الزهاد، وعبادة العباد، ودقة الإحساس الديني عند أرباب الورع، ورهافة الحس لدى المخلصين، وعشق المحبين وشوقهم، ورؤية الفقراء لعجزهم وفقر هم إلى الله، فظهرت على صورة علم التصوف بما يخصه من منهج، ومسلك، ومشرب، وموضوع، وقواعد واصطلاحات"[٥].

البصيرة الرُّوحيَّة والسَّكينة، ومن ثمّ الاتِّحاد مع الرُّوح عن طريق التصوُّف والتنسُّك وممارسات فنيَّة تقنيَّة= =متنوِّعة كالجلوس طويلاً دون حركة والتأمُّل. ينظر: مجمع اللغة العربية: معجم اللغة العربية المعاصرة، باب ٥٧٦٤، مادة(ي و ج ا) ص ٣/ ٢٥٢٠.

[١]- التلال ص ٢٧.

[٢]- التلال ص ٢٧.

[٣]- ينظر: رسالة الماجستير: التصوف في القرن الثاني الهجري مدارسه ورجاله ص ١١- ٢٤..

[٤]- التلال الزمردية نحو حياة القلب والروح ص ١٨.

[٥]- التلال الزمردية ص ١٩.

ثالثا: الظاهر والباطن:

الظاهر أو علم الظاهر أو علم الشريعة: هو العلم الذي يتعلق به تكميل الهيئات من الأفعال، والأقوال، ولوازمها، وتحسين هيئاتها مثل: الصلاة، والصوم، وغير ذلك مما يتعلق بالسير الجسماني المتعلق بالأعمال البدنية.

أما الباطن أو علم الحقيقة أو علم الطريقة: هو العلم المتعلق بتكميل الهيئات النفسانية والروحانية، وما يتعلق بالسير الروحاني من التوبة، والورع، وأمثال ذلك من تعديل الأخلاق، ومعرفة آفات النفس، ونحوها[١].

ومنهج الصوفية – كما يقول كولن- قائم على أن لهم علما خاصا بهم ويستندون في ذلك أن سيدنا (أبا بكر) أخذ عن النبي يوم الهجرة في الغار دروسا معنوية وكذا سيدنا (عليا) أخذ عنه درسا خاصا في مجالس خاصة.

وقد رد (كولن)هذا الزعم برواية عن (علي بن أبي طالب) نفسه، فقد سئل سيدنا (علي) هل عندكم شيء من الوحي إلا ما في كتاب الله؟ فقال: لا ، والذي فلق الحبة، وبرأ النسمة ما أعلمه إلا فهما يعطيه الله رجلا في القرآن، وما في هذه الصحيفة قال السائل: وما في الصحيفة؟ قال: العقل أي(الدية)، وفكاك الأسير، وأن لا يقتل مسلم بكافر"[٢].

ويقول أيضا في رده: " ونحن لا نعلم أمرا اختص به (علي) دون غيره بنقله عن رسول الله –ﷺ- أما الأحاديث الخاصة بين رسول الله- ﷺ- وأبي بكر في غار ثور فصعب إثباتها. أجل، لنا أن نقول: ليس في الكتاب، والسنة، وآثار السلف ما يدل أن سيدنا رسول الله – ﷺ- خص سيدنا أبا بكر – رضي الله عنه- بعلم خفي لا يعلمه غيره"[٣].

في العصور الأولى لم تكن هناك مشكلة بين الظاهر والباطن فالجميع بمن فيهم الزهاد كانوا يلتزمون أحكام الشريعة، ولما ظهر من يفرق بينهما، ويرى علو علوم الباطن أو الحقيقة والاستهانة بأحكام الشريعة ظهر من مؤرخي التصوف، ومن الصوفية من يرد الأمور إلى نصابها كالإمام (القشيري) الذي يقول: "فكل شريعة غير مؤيدة بالحقيقة فغير مقبول، وكل حقيقة غير مقيدة بالشريعة فغير محصول "[٤]، ورغم أن (أبا طالب المكي) فضل علوم الباطن على علوم الظاهر إلا أنه لم ينبذ علوم الشريعة وأحكامها[٥].

---

[١]- عبد الرازق القاشاني : لطائف الإعلام في إشارات أهل الإلهام ج ٢ ص ١٥٦ تحقيق: سعيد عبد الفتاح الهيئة المصرية العامة للكتاب ٢٠٠٥م.

[٢]- أخرجه البخاري في صحيحه، باب (فكاك الأسير) كتاب (الجهاد) ص ٤/ ٦٩ رقم الحديث ٣٠٤٧.

[٣]- نحو عقيدة صحيحة ص ١٦٣، ١٦٤.

[٤]- الرسالة القشيرية ص ١٥٥ تحقيق: هاني الحاج.

[٥]- ينظر: أبو طالب المكي محمد بن علي بن عطية : قوت القلوب ج ١ ص ٣٨٩، تحقيق: دكتور/ محمود إبراهيم إبراهيم محمد الرضواني ، مكتبة دار التراث، ط: الأولى ٢٠٠١م- ١٤٢٢هـ .

ويرى (النورسي) كذلك أنه يجب أن تؤول الحقيقة إلى الشريعة في كل نتائجها فتلتزم بالأوامر الشرعية المحكمة، ولا تخالف السنة المطهرة، فيقول: "أعلى مراتب الطريقة ودرجات الحقيقة ليست إلا أجزاء من كلية الشريعة"[١].

يقول (كولن): "إن أساس التصوف هو الرعاية لآداب الشريعة ظاهرا والوقوف على تلك الآداب باطنا، فالسالك الذي يحسن استعمال هذين الجناحين يرى من الباطن ما في الظاهر من الأحكام، ويشعر، ويعيش في الظاهر بالأحكام التي في الباطن وبفضل هذه المشاهدة والشعور يسير دوما بأدب نحو الهدف ويجول قريبا منه ويحوم حوله"[٢].

ومن ثم يرى (كولن) أن الشريعة الغراء لها حقيقة واحدة، وليس لها باطن وظاهر كما هو الحال عند الصوفية، والحقيقة في نظر (كولن) أن هذا نشأ من الخلاف بين الفقهاء والصوفية، فظن الصوفية أن أحكام الشريعة تختلف عن روحها (الباطنة)كالمراقبة، والرياضة، والمجاهدة، وتشبث الفقهاء بجانب الشريعة النظري بينما حقيقة الأمر أن كل جهة تقدم المسلك الذي اعتادت عليه وتميل إليه.

يقول (كولن): "إن قصد كلا الطرفين هو الوصول إلى الله بمراعاة أوامره ونواهيه ولكن لعدم تأصيل ميزان يوزن به طريق الوصول أحيانا وفق مقاييس شرعية أدى إلى الإفراط والتفريط ...والحال لا سبب للاختلاف في المنشأ والأساس، وكما أن تدوين أقسام مختلفة من الدين بشكل مستقل والامتثال بها لا يعني اختلافا، كذلك ليس اختلافا قط اهتمام علم الفقه بأحكام العبادة والمعاملات أي تنظيم حركات الإنسان الفكرية والعملية، وتنسيقها، وكذا جهود التصوف؛ لرفع حياة الإنسان إلى مستوى القلب والروح بسلوك تربية الروح، وتصفية القلب وتزكية النفس، فلا اختلاف، ولا افتراق، بل قد تعهد كل من الجانبين بالحفاظ على ناحية مهمة من الشريعة"[٣].

ويرى (كولن) أن بعض الناقصين قد جاوزوا الحد فأطلقوا على المشتغلين بالفقه والسنة اسم (أرباب الظاهر) و(علماء الرسوم) إلا أن الكاملين من الصوفية - كما يقول (كولن)- اتخذوا دائما قواعد الشريعة مصدرا لهم فما طرحوه من أصول ومناهج موافقة للكتاب والسنة، واستدل على ذلك بكتاب (الوصايا والرعاية للمحاسبي)، و(التعرف لمذاهب أهل التصوف للكلاباذي)، و(اللمع للطوسي)، و(الرسالة القشيرية)، و(قوت القلوب لأبي طالب المكي)، ثم جاء أخيرا حجة الإسلام الإمام (الغزالي)، وألف (إحياء علوم الدين)، فآلف بين التيارين المختلفين أرباب الظاهر وأرباب الباطن كما يقولون.

ويرى (كولن) أن تعريف التصوف بعناوين مختلفة كعلم الباطن، وعلم الأسرار، وعلم الأحوال والمقامات، وعلم السلوك، وعلم الطريقة لا يعني افتراقه عن العلوم الشرعية، فهذه الأسماء والعناوين نابعة من تذوق أمزجة متباينة ومشارب مختلفة للحياة القائمة على الشريعة طوال عصور مديدة، ورغم أنه يوجد في كل عصر متعصبون من الصوفية، ومتشبثون بظاهر أحكام الشريعة من الفقهاء إلا أن أرباب الصراط المستقيم هم الأكثرية.

---

[١]- النورسي: المكتوبات ص ٥٨٣ بديع الزمان .
[٢]- التلال الزمردية ص ١٤.
[٣]- التلال الزمردية ص ٢٠.

ويؤكد (كولن) مرارا- ضمن منهجه للتقريب بين التيارات المختلفة- على أن الأسس التي يتبناها الصوفية لا تختلف كثيرا عن مسلك الفقهاء فكلاهما يؤكد على العمل الصالح والمعاملة الصادقة[١].

وبناء على ما سبق يتبين الآتي:

١- يرى(كولن) أن الحياة الروحية بدأت مع حياة الرسول، وصحابته، ثم بمرحلة الزهاد والعباد، ثم التصوف ومدارسه المتعددة، ثم الطرق الصوفية وهو بذلك لا يختلف عن السابقين في هذا التأريخ.

٢- يتفق (كولن) مع كثير من المؤرخين في أن نشأة التصوف كانت في أواخر القرن الثاني الهجري، ولم يدون كعلم إلا في مرحلة متأخرة .

٣- مشكلة الظاهر والباطن لم يكن لها أساس في العهود الأولى، وإنما استجدت بعد ذلك نتيجة اختلاف المشارب بين المسلمين، فصار لكل علم وطائفة منهج خاص، وينبغي تفهم تلك الحقيقة، ومع ذلك لا خلاف بينهما على الحقيقة فعلوم الشريعة وعلوم الحقيقة مكملان لبعضهما لا متناقضان.

---

[١]- ينظر: التلال الزمردية ص٢١- ٢٣.

المبحث الثالث: المنازل الروحية عند كولن

من أهم معالم الطريق الصوفي هو السير في منازل الصوفية من مقامات وأحوال تدرجا من البسيط إلى المركب حتى يتخلص الصوفي من الأوصاف، والأهواء البشرية وتصفو نفسه ويرتقي درجات في القرب من الله تعالى.

وقد ذكر (كولن) المقامات والأحوال الصوفية في كتابه(التلال الزمردية) دون ترتيب، كل منها بعنوان مستقل عن الآخر لا يجمعهم وحدة واحدة- ولم يسمها باسم المقامات والأحوال-، وقال عن تلك المصطلحات في مقدمة كتابه المذكور: "هي بمثابة إشارات بلورية لماعة للسير والسلوك الروحاني، وتتضمن المعنى الإجمالي لروح الدروشة(التنسك)، وتعد أساسا لكتب الأخلاق والأدب والزهد، بل عدت نقطة التقاء القلوب - بمعنى من المعاني- بالحقيقة الأحمدية"[١].

ولكنه ذكر من بينها تعريف الحال والمقام على المعنى الشائع عند الصوفية ومؤرخي التصوف.

واخترت أن أسمي هذه الإشارات منازل روحية، لأن (كولن) يستخدم لفظ المنزل أحيانا كما استخدمه في التعبير عن مقام التوبة.

تعريف المقامات والأحوال:

وهي من الأسس التي ينبني عليها التصوف، فالمريد ينبغي أن يترقى في المقامات من مقام إلى آخر، ولا يجاوزه الى غيره حتى يتعلمه ويعمل به، والأحوال مواهب ترد على الصوفي من غير كسب منه، وتحت كل منهما كثيرٌ من المعاني الصوفية ومن هنا تأتي أهميتهما.

وقد عرف (كولن) كلا منهما، وفرق بينهما بشكل لا يخرج عما قاله مؤرخو التصوف وخاصة (القشيري).

عرف كولن الحال فقال: "هو عيش الإنسان في أعماق ذاته بنفحات ترد من عالم الغيوب ...فالذين فهموا الحال بما يحيط بقلب الإنسان من طرب أو حزن أو بسط أو قبض من غير جهد وسعي منهم عبروا عن دوامه واستقراره بالمقام، وعن زواله بالنفسانية "[٢].

ويحاول أن يفرق بينهما بأكثر من لفظ وإن كان المعنى واحدا منها: أن الحال هبة إلهية، والمقام: بلوغ الإنسان فطرة ثانية باستنشاقه هذه النفحات بإرادته وعزمه حتى يملكها[٣].

ومن ذلك قوله: "إن الحال هو التجليات التي ترد تترى في أوقات موافقة لمراد الإرادة الإلهية المطلقة ...ومن أجل هذا فالمقام الذي هو مرتبة قد سكنت موجاته واستقرت يقابله الحال الذي هو في شبكة التأرجح بين المد والجزر والمرتبط بالمقدرات العالية، فكل

١- كولن: التلال ص ١٦.
٢- كولن: التلال الزمردية ص ٥٤.
٣- كولن: التلال الزمردية ص ٥٤.

ظهور وورود يأتي في إطار آخر يختلف عما قبله يظهر ويختفي باستمرار كالحزم الضوئية المختلفة الأطوال والألوان الآتية من الشمس"[١].

إذن المقام يتسم بالاستقرار وهو أمر كسبي بجهد العبد أما الحال فهو فيض رباني موهبة وفضل من الله دون كسب وجهد، وهذا التعريف والفرق بين المعنيين لا يختلف عما قدمه السابقون من أهل التصوف -غير أنه يفسره بمثال علمي يفقهه أهل العصر- فقد جاء في تعريف المقام عند (الطوسي): " مقام العبد بين يدي الله -عز وجل- فيما يقام فيه من العبادات والمجاهدات، والرياضات، والانقطاع إلى الله -عز وجل-"[٢].

وقيل: "المقام ما يتحقق به العبد بمنازلته من الآداب مما يتوصل إليه بنوع تصرف ويتحقق به بضرب تطلب ومقاساة تكلف"[٣].

أما الحال: "ما يحل بالقلوب، أو تحل به القلوب من صفاء الأذكار"[٤]، وعند الإمام القشيري: "معنى يرد على القلب من غير تعمد منهم، ولا اجتلاب، ولا اكتساب لهم من طرب، أو حزن، أو بسط، أو قبض، أو شوق، أو انزعاج، أو هيبة، أواحتياج "[٥].

ومن الواضح أن تعريف (كولن) شبيه تماما بالقشيري حتى نفس الأحوال التي عددها من طرب وحزن إلى غير ذلك، ويمكن أن يكون أخذه عنه؛ لأنه كثيرا ما يرجع إليه، وهذا سيتضح أكثر في تفرقة (القشيري) بين المقام، والحال.

يقول (القشيري): "فالأحوال مواهب، والمقامات مكاسب، والأحوال تأتي من عين الجواد، والمقامات تحصيل ببذل المجهود، وصاحب المقام ممكن في مقامه وصاحب الحال مترق عن حاله"[٦].

فكلاهما وصف المقام بالثبات والحال بالتغير، والأول بكسب ومشقة، والثاني موهبة من الله مباشرة، وكلاهما اتفق أيضا في ذكر بعض الأحوال .

ويبدو جليا أن (كولن) أيضا متأثر بالقشيري في بعض المقامات كالتوبة والإنابة كما سيأتي.

و(كولن) يذكر المقامات والأحوال تترى دون فصل بينهم، وهو نفس ما فعله القشيري.

لكن (القشيري) يتفق مع (الطوسي) في أن السالك ينبغي ألا يجاوز مقاما حتى يحسن أحكامه وشروطه فقال : "فمقام كل أحد موضع إقامته عند ذلك، وما هو منشغل بالرياضة له، وشرطه: ألا يرتقي من مقام إلى آخر ما لم يستوف أحكام ذلك المقام، فإن ما لا قناعة

١- التلال ص ٥٥.
٢- الطوسي: اللمع في تاريخ التصوف الإسلامي ص ٤٥ ،تحقيق: عماد زكي البارودي.
٣- الرسالة القشيرية ص ١١٨.
٤- الطوسي: اللمع ص ٤٦.
٥- الرسالة القشيرية ص ١١٩.
٦- السابق .

له لا يصح له التوكل، ومن لا توكل له لا يصح له التسليم، وكذلك من لا توبة له لا تصح له الإنابة، ومن لا ورع له لا يصح له الزهد"،[١]وهذه النقطة غير واضحة عند (كولن).

وليس كل المحققين متفقين في المقامات والأحوال، فالطوسي مثلا يرتب المقامات كالتالي: التوبة- الورع- الزهد - الفقر- الصبر- التوكل- الرضا[٢]، - وهو نفس ترتيب القشيري-، والأحوال يرتبها كالتالي: المراقبة - القرب- المحبة- الخوف- الرجاء- الشوق- الأنس- الطمأنينة- المشاهدة- اليقين"[٣]، ويسير على هذا الترتيب في كتابه مقام بعد مقام وحال بعد حال، وكما هو واضح الأحوال عنده تختلف عن الأحوال التي ذكرها (القشيري) .

وأيضا يختلف عنهما (أبو طالب المكي)، وإن كان قد راعى ترتيبها كما فعل (الطوسي) إذ يقول (أبو طالب المكي): "أصول مقامات اليقين التي ترد إليها فروع أحوال المتقين تسعة أولها التوبة، والصبر، والشكر، والرجاء، والخوف، والزهد، والتوكل، والرضا، والمحبة "[٤].

وأما الإمام (الغزالي) فتلك المقامات والأحوال سماها المنجيات، وقال عنها إنها خصال وأخلاق للمقربين والصديقين، وهي أيضا تختلف عن ترتيب السابقين، وهي: التوبة، والصبر، والشكر، والخوف، والرجاء، والفقر، والزهد، والتوحيد، والتوكل، والمحبة، والشوق، والأنس، والرضا، إلى آخر تلك الخصال[٥].

وأما (ابن القيم) فيذكر المقامات والأحوال، والتي يسميها(منازل) ، ولا يفرق بين حال ومقام، وهو في منازله يختلف عن ترتيب هؤلاء السابقين، فيبدأ باليقظة، فالبصيرة، فالقصد، فالعزم، ثم الفكرة، ثم المحاسبة، ثم التوبة والإنابة إلى آخر هذه المنازل[٦].

وسأعرض بعض تلك المقامات والأحوال التي تكلم فيها (كولن)، وهو دائما في عرضه يعرف المعنى الذي يتكلم فيه لغويا واصطلاحيا قبل أن يذكر المعنى عند أربابه من الصوفية، فكأنه يتدرج من البسيط إلى المركب حتى يفهم الجمهور؛ لأن للصوفية معاني خاصة لا يفهمها العامة[٧] .

وأما المنازل التي تكلم عنها (كولن) فهي:

١- الرسالة القشيرية ص ١١٨.
٢- اللمع ص ٤٦.
٣- ينظر: اللمع ص ٤٦.
٤- أبو طالب المكي: قوت القلوب في معاملة المحبوب ووصف طريق المريد إلى مقام التوحيد ج ٢ ص ٤٩٩، ٤٩٩، تحقيق: د/ محمود إبراهيم الرضواني، مكتبة دار التراث، ط: الأولى ١٤٢٢هـ- ٢٠٠١م.
٥- ينظر: الإمام أبو حامد الغزالي: إحياء علوم الدين المجلد ١ ص ١٠، تحقيق: الشحات الطحان- عبد الله المنشاوي مكتبة الإيمان- المنصورة- مصر، ط: الأولى ١٤١٧هـ- ١٩٦م
٦- ينظر ابن قيم الجوزية: مدارج السالكين ج ١ ص ١٠٨، تحقيق: عبد الله المنشاوي دار المنار- القاهرة، ط: الأولى ١٤٢٤هـ- ٢٠٠٣م.
٧- يقول القشيري: "وهذه الطائفة مستعملون ألفاظا فيما بينهم قصدوا بها الكشف عن معانيهم لأنفسهم والإجمال والإجمال والستر على من باينهم في طريقتهم لتكون معاني ألفاظهم مستبهمة على الأجانب غيرة منهم على أسرارهم أن تشيع في غير أهلها إذ ليست حقائقهم مجموعة بنوع تكلف أو مجلوبة بضرب تصرف، بل هي معان أودعها الله تعالى قلوب قوم واستخلص لحقائقها أسرار قوم". الرسالة القشيرية ص ١١٧.

التوبة- الإنابة- المحاسبة- التفكر- الفرار والاعتصام- الخلوة والعزلة- الحال- القلب- الحزن - الخوف والخشية - الرجاء- الخشوع- الزهد- التقوى- الورع- العبادة- المراقبة- الإخلاص- الاستقامة- التوكل والتسليم والتفويض والثقة- الخلق- التواضع الفتوة- الصدق- الحياء- الشكر- الصبر- الرضا- الانبساط - القصد والعزم- الإرادة، المريد، المراد- اليقين- الذكر- الإحسان - البصيرة والفراسة- السكينة والطمأنينة- القرب والبعد - المعرفة - المحبة - العشق- الشوق والاشتياق- الجذبة والانجذاب- الدهشة والحيرة- القبض والبسط - الفقر والغنى.

هذا ما ذكره (كولن) في الجزء الأول من كتاب التلال الزمردية- وهو الذي ترجم فقط إلى العربية- وبقية المعاني فيما يليه من أجزاء وهي: الرياضة، الحرية، الاحترام، العلم، والحكمة، الهمة، الغيرة، الولاية، السير، الغربة، الاستغراق، الغيب، القلق، الوقت، الصفاء، السرور، التلوين، التمكين، المكاشفة، المشاهدة، التجلي، الحياة، السكر، الصحو، الفصل، الوصل، الفناء، البقاء، التحقيق، التلبيس، الوجود، التجريد، التفريد، الجمع، جمع الجمع، التوحيد.

وسوف أعرض بعضا من المنازل التي جاءت في الجزء الأول كنماذج توضح منهجه:

١- التوبة، الإنابة، الأوبة:

وقد تكلم (كولن) عن تعريف التوبة، وعن التوبة النصوح، وعن أقسام التوبة وشروطها، والفرق بين الألفاظ الثلاثة مستشهدا بالقرآن، والحديث، وكلام (جلال الدين الرومي)، راجعا إلى (القشيري) كشأن كل الباحثين في التصوف، كما هو واضح في المراجع، وهو لا يخفي ذلك فدائما يعبر بقوله تناول الباحثون كذا وعرفوا كذا.

ويعرف التوبة بقوله: "التوجه إلى الله تعالى بلم الشعث مجددا مع الاعتراف بالأخطاء، وتجرع غصص الندم، والعزم على تلافي ما فات "، ويتابع : "هذه التوبة لدى أهل الحقيقة هي معاودة بذل الجهد لبلوغ الموافقات والمطابقات في ضوء أوامر الله ونواهيه سبحانه وتعالى؛ نجاة من مخالفات وقعت تجاه الذات الإلهية في الشعور، في التفكير، في التصور، في السلوك"[١].

أقسام التوبة باعتبار التائبين وأوضاعهم:

يقسم (كولن) التوبة باعتبار أحوال التائبين إلى ثلاثة أقسام:

أ- توبة عوام الناس: وهم المحجوبون عن الحقائق: هي الشعور بغموم مخالفة أمر الحق سبحانه، وأساها في القلب، فيتوجه إلى بابه تعالى بالتوبة والاستغفار.

ب- توبة الخواص: رجوع الخواص الذين بدأوا بالتنبه إلى حقائق ما وراء الأستار؛ إذ عقب كل حركة، وفكرة، أو أي غفلة تخالف أدب المعية يستنجدون برحمة الله وعنايته.

١- التلال ص ٣٠.

ج- توبة أخص الخواص: الذين يديمون حياتهم في أفق "إن عيني تنامان ولا ينام قلبي"[١] حيث يقتلعون كل ما يتعلق بما سواه تعالى.

شروط التوبة أو مكوناتها:

أ- الندم من أعماق القلب.
ب- تذكر الأخطاء السابقة بارتعاش ورعدة.
ج- إزالة المظالم، ونصرة الحق.
د- إيفاء التكاليف والواجبات الفائتة حقها.
هـ- ملء الخواء الذي أحدثته الأخطاء والزلات في الروح بالعبادة والطاعة.
و- بالنسبة للخواص وأخص الخواص: التحسر، والبكاء على الحياة التي تمضي دون ذكر، وفكر، وشكر[٢].
الفرق بين التوبة والإنابة والأوبة:

يرى (كولن) أن التوبة هي أول منزل للسالك، وأول مقام للطالب- مع أنه في أول كتابه وهو يتحدث إجمالا عن المنازل ذكر أن أولها اليقظة وتعقبها التوبة وعندما استعرضها تفصيلا لم يذكر اليقظة إطلاقا، وبدأ بالتوبة وأشار بكونها أول منزل وأول مقام -، وهو هنا متأثر ب(الطوسي) في أن التوبة أول المقامات الصوفية[٣] وكذا (القشيري)[٤] و(أبي طالب المكي)[٥].

والمقام الثاني للسالك: الإنابة متأثرا في ذلك بالقشيري أيضا[٦]، ويفرق بينهما وبين الأوبة بقوله :"إن الالتجاء إلى الله خوف العقوبة هو التوبة، والفناء في الله برغبة الحفاظ على المقامات والدرجات هو الإنابة، والانغلاق تجاه كل ما سواه تعالى هو الأوبة"[٧] .

وجعل الأولى: صفة جميع المؤمنين؛ لقوله: ﴿ وَتُوبُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ ﴾[٨] والثانية: صفة الأولياء والمقربين من حيث المبدأ: ﴿ وَتُوبُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ ﴾[٩]، والثانية: صفة الأولياء والمقربين من حيث المبدأ: ﴿

١- أخرجه مسلم، ينظر: صحيح مسلم، باب [صلاة الليل وعدد ركعات النبي ﷺ في الليل كتاب صلاة المسافرين وقصرها] ج ١ ص٥٠٩ رقم ٧٣٨.
٢- ينظر: التلال ص ٣٢، وينظر الموشور ص ١٤٦.
٣- ينظر: الطوسي: اللمع في تاريخ التصوف الإسلامي ص ٤٥.
٤- ينظر : الرسالة القشيرية ص ١٦٣ .
٥- ينظر: قوت القلوب ج ٢ص ٤٩٩.
٦- ينظر: الرسالة القشيرية ص ١٦٧.
٧- التلال ص ٣٣- ٣٤.
٨- سورة النور الآية:٣١.
٩- سورة النور الآية:٣١.

﴿ وَأَنِيبُوٓاْ إِلَىٰ رَبِّكُمۡ وَأَسۡلِمُواْ لَهُۥ مِن قَبۡلِ أَن يَأۡتِيَكُمُ ٱلۡعَذَابُ ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ ﴾[١]، ، والمنتهي: ﴿ وَجَآءَ بِقَلۡبٖ مُّنِيبٍ ﴾[٢] ، والثالثة: خاصية الأنبياء والمرسلين وشعارهم:

چ ڈ ڈ ڑ ڑ ک ک ک ک ڱ ڱ چ[٣] .

وهو في التفريق بين الثلاثة آخذ من القشيري بالنص[٤]إذن هو هنا متأثر وناقل وليس مبدعا ومبتكرا.

٢- الخلوة والعزلة:

وقد تكلم (كولن) عن تعريف الخلوة، والعزلة، وأبعاد الخلوة، وتاريخها، وثمراتها.
فيقول في تعريفهما: الانفراد بالنفس، وفي تعريف آخر: الانزواء تحت إشراف أي مرشد أو دليل للتعبد.
يقصد أن تكون تحت إشراف شيخ من شيوخ الطرق الصوفية.
أو : "هي عنوان آخر للمحاورة والصحبة مع الحق تعالى بلسان اللطائف منغلقا كليا تجاه جميع ما سواه تعالى، وذلك بتصفية القلب من الاعتقادات الباطلة والأحاسيس المظلمة، والتصورات السيئة، والتخيلات التي تبعد عن الله سبحانه"[٥].
أبعاد الخلوة:
يرى (كولن) أن للخلوة بعدان: العزلة والرياضات.
أولا: العزلة: بعدما أشار (كولن) إلى تعريف الخلوة والعزلة بتعريف موحد ذكر أن العزلة هي بعد من أبعاد الخلوة .
ومن هنا يظهر أنه يستعملهما مترادفين أحيانا، وتارة أخرى يجعل الخلوة هي الأصل والعزلة بعد لها أو من أبرز مظاهرها.
ويرتبط بمعنى الخلوة لفظ (الأربعينية): وتعني أن المرتبة الأولى للخلوة أربعين يوما حيث يصحب المرشد المريد، ويصحبه إلى باب الغرفة التي يعتزل فيه أربعين يوما منفردا معتكفا مقللا من حاجاته الجسدية، منشغلا بالذكر، والفكر ليل نهار دون توقف فهذه الخلوة باب للتقرب إلى الله[٦].
ويرى (كولن) أن الخلوة جذورها ضاربة في القدم وذلك بمعناها العزلة عن الخلق، وأخذ النفس بالرياضات، وهي موجودة في جميع الطرق الصوفية، وتمتد إلى عصور الأنبياء (عليهم السلام) منهم سيدنا (إبراهيم)، وما عرف بأربعينات سيدنا (موسى)، ورياضات سيدنا عيسى(عليهم السلام)، وخلوات سيدنا محمد (ﷺ).

١- سورة الزمرالآية:٥٤.
٢- سورة ق الآية:٣٣.
٣- سورة ص آية: ٤٤، وينظر: التلال ص ٣٤.
٤- ينظر: الرسالة القشيرية ص ١٦٧.
٥- التلال ص ٤٨.
٦- ينظر: التلال ص ٤٨.

وكذا استشهد - كما يفعل دائما- ب(الرومي) فقد زاول كثيرا من الأربعينات في عهوده الأولى، ولكن لما وجد مرشده ترك الخلوة، واختار الجلوة، وقد سار الكثيرون قبله وبعده في هذا الطريق.

ثانيا: الرياضات:

وهي تهذيب الأخلاق النفسية بمجاهدة النفس بترك مألوفاتها؛ لتزكو بترك المألوفات، ورفع العادات، ومخالفة المرادات، والأهواء المرديات، ورياضة النفس عن الالتفات إلى ما سوى الله، وأعظم أركانها المداومة على الذكر[١].

وإذا ما اعتادت النفس هذه الرياضات صارت خلقا كما يقول (ابن القيم)[٢].

وهي بعد آخر للخلوة عند (كولن)، ويعرفها بقوله:" إلجام النفس تجاه الرغبات البدنية، وحث الروح المشتاقة إلى المعالي نحو سماء الكمالات الإنسانية"[٣].

ومن ثمرات الرياضات :

أ- إلجام النفس وترك ما افتتنت به من الأحاسيس.

ب- تعويدها التسليم والانقياد .

ج- تعويد النفس على التواضع.

د- عن طريق الرياضات يمكن أن ينال كل فرد ألطافا معينة منهم الذين يهذبون الأخلاق بالعلم، والعمل بالإخلاص، ويبلغون شعور الأدب في معاملاتهم، إلى غير ذلك[٤] .

ولعل قول (كولن) هذا عن الألطاف المرجوة من الرياضة هو شرح لما قال به (ابن القيم) سابقا في المدارج إذ يرى أن رياضة العامة هي: تهذيب الأخلاق بالعلم، وتصفية الأعمال بالإخلاص، وتوفير الحقوق في المعاملة[٥].

وما ذكره (ابن القيم) من رياضة الخاصة وخاصة الخاصة التي تعني حسم التفرق، وعدم الالتفات إلى المقام، وتجريد الشهود، ورفض المعارضات[٦] أشار إليه (كولن) بالقول إنه الانسلاخ من غلافه الصلب متهيئا لتوجه منه تعالى دون أن ترتد عين القلب نحو الأغيار[٧].

وهذا ما يؤكد أن (كولن) استقى من تراث السابقين، ونقل عنهم، ومنهم (ابن قيم الجوزية).

١- ينظر: عبد الرزاق القاشاني: لطائف الإعلام ج ١ ص ٥٠٢- ٥٠٣.
٢- ينظر: مدارج السالكين، ص ج ١ص ٣٨٩.
٣- التلال ص ٤٩.
٤- ينظر: التلال ص ٤٩-٥٠.
٥- ينظر: مدارج السالكين ج ١ ص ٣٨٩ .
٦- ينظر: مدارج السالكين ج ١ص ٣٩٠.
٧- ينظر: التلال ص ٥٠..

اعتزال الخلق:

ومن المسائل التي تعرض لها (كولن): هل الخلوة تعني اعتزال الخلق"؟.
فقال: "وفي الحقيقة ليس في الخلوة الماورائية تجرد عن الخلق واعتزالهم وحسب تعبير مولانا (الرومي) إن الإنسان في مثل هذه الخلوة كالفرجال إحدى ساقيه في أفق اللاهوت، والأخرى في قطب الناسوت يعيش في كل آن عروجا ونزولا وهذه هي الخلوة المعروفة لدى الأنبياء والأصفياء"[١].
إذن الخلوة لا تعني اعتزال الخلق ومفارقتهم، بل الجمع بين الخلوة والمخالطة هو طريق الأصفياء.

٣- القلب:

وهو من المباحث المهمة التي أولاها الصوفية عناية كبيرة، فهو محور جهادهم، وسعيهم، وهو مركز المعرفة، ومحل الأحوال والواردات .

ومن ثم اهتم به (كولن) اهتماما كبيرا في جميع كتبه ومقالاته وأحاديثه؛ لأن بصلاحه تصلح الجوارح وتستقيم، وفي كتابه التلال الزمردية الذي يناقش فيه مسائل التصوف النظري أفرد له مكانا بالتعريف وبيان أهميته، وماء حياته، مستشهدا بالقرآن والسنة، وحياة نبي الله (يوسف) (عليه السلام)، وأشعار (جلال الدين الرومي) .

ذكر (كولن) أن القلب أو الفؤاد يستعمل بمعنيين:

الأول: هو العضو الحيوي الجليل المودع في الجانب الأيسر من الصدر تحت الثدي الأيسر الشبيه بالمخروط الصنوبري.

الثاني: هو نظير الأول ومثيله وبعده الملكوتي، وهو حركة الشعور، والإدراك والتحسس، والعقل، وقوة الإرادة، وهو لطيفة روحانية يسميها المتصوفون: "الحقيقة الإنسانية"، والفلاسفة: "النفس الناطقة"، وحقيقة الإنسان هو هذا القلب ويطلق على الإنسان بهذا البعد المعنوي اسم "العالم" و"العارف" و"المدرك".

والمعنى الثاني هو المراد على الأغلب حيثما جاء القلب في القرآن، والعلوم الدينية، والأخلاق، والآداب، والتصوف[٢].

وهذا التقسيم الثنائي للقلب هو نفس تقسيم الإمام (الغزالي) للقلب تماما مما يثبت تأثر كولن بالغزالي في هذا الباب[٣].

ويرى (كولن)أن هذا الجوهر النوراني وثيق الصلة بالقلب الجسماني و هذه العلاقة الغامضة هي التي حيرت الفلاسفة وحكماء الإسلام منذ القدم.

١- التلال ص ٥٢.
٢- التلال ص ٥٨.
٣- يقول الغزالي: لفظ القلب وهو يطلق لمعنيين: أحدهما: اللحم الصنوبري الشكل المودع في الجانب الأيسر من من الصدر...والمعنى الثاني: هو لطيفة ربانية روحانية لها بهذا القلب الجسماني تعلق وتلك اللطيفة هي حقيقة الإنسان وهو المدرك العالم العارف من الإنسان وهو المخاطب والمعاقب والمعاتب والمطالب". إحياء علوم الدين المجلد الثالث ص ٤.

أما الروح: فيرى أنها أساس هذه اللطيفة(القلب) وباطنها، أما الروح البيولوجية فمَرْكبُها.

وأما عن أهمية القلب الروحاني فيرى له أهمية كبري تتمثل في:

أن هذه اللطيفة هي موضع خطاب الله والمطالبة بتحمل المسئولية، وهي المعاقبة والمكافأة كذلك، وهي المتعالية بالهداية، والمتردية بالضلالة، فتصبح عزيزة أو تبدو مهانة، وهي المرآة المجلوة للمعرفة الإلهية.
القلب يؤدي وظيفة جسر مهم في بلوغ جميع الخيرات والبركات إلى الإنسان، كما يمكن أن يكون وسيلة خطرة تسمح لجميع النزعات الشيطانية والخواطر النفسانية، وكلما أمكن توجيه القلب إلى الحق سبحانه أصبح مصباحا منيرا ينير أجزاء الجسد كله بجميع زواياه.
وأما عن حياة القلب فيقول: "والإيمان روح القلب، وحياته، والعبادة دمه الجاري في عروقه، أما التفكر والمراقبة والمحاسبة فأسس بقائه"[١].

٤- الخوف والخشية:

وقد قام (كولن)بتعريف الخوف، واستشهد أيضا بتعريف القشيري، وبين فائدة الخوف ومراتبه، وأقسام الخوف عند الصوفية.

يقول (كولن) في تعريف الخوف: "يرد الخوف بمعان عدة في اللغة العربية منها: الرهبة، الوجل، الهيبة، وفي المعنى الاصطلاحي: اجتناب العمل بما هو أدنى من الحرام من الممنوعات ناهيك عن الحرام"[٢].

وأشار (كولن) إلى أن القرآن كثيرا ما يلفت الأنظار إلى عاقبة الأعمال مستهدفا دنيا تقوم على وفق المستقبل فهو يغرس في نفوس المسلمين شدة الخوف من العقبى طوال حياتهم حتى لا ينحرفوا خشية تغير الأحوال: ﴿ وَلَوْ أَنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا وَمِثْلَهُ مَعَهُ لَافْتَدَوْا بِهِ مِن سُوءِ الْعَذَابِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ۚ وَبَدَا لَهُم مِّنَ اللَّهِ مَا لَمْ يَكُونُوا يَحْتَسِبُونَ ﴿٤٧﴾ ﴾[٣]، ﴿ قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُم بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمَالًا ﴿١٠٣﴾ الَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا ﴿١٠٤﴾ ﴾[٤].

ومن ثمار الخوف:

الخوف سوط الله تعالى يجلبنا به إلى حضوره ومعيته، ومن جهة أخرى الوجدان الخائف من الله والخاشع له ينجو من خوف الآخرين ﴿ إِنَّمَا ذَٰلِكُمُ الشَّيْطَانُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَاءَهُ فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴾[٥].

١- التلال ص ٦١.
٢- التلال ص ٦٩..
٣- سورة الزمر الآية:٤٧.
٤- سورة الكهف الآية: ١٠٣ -١٠٤.
٥- سورة آل عمران الآية : ١٧٥.

مراتب الخوف:

والخوف على مراتب ثلاث:

- فأدنى مراتبه: هو الخوف الذي هو من شروط الإيمان ومقتضياته﴿ إِنَّمَا ذَٰلِكُمُ ٱلشَّيۡطَٰنُ يُخَوِّفُ أَوۡلِيَآءَهُۥ فَلَا تَخَافُوهُمۡ وَخَافُونِ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ ﴾ .
- وأعلى منها مرتبة: الخشية ذات الطابع العلمي: ﴿ إِنَّمَا يَخۡشَى ٱللَّهَ مِنۡ عِبَادِهِ ٱلۡعُلَمَٰٓؤُاْۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ ﴾[1].
- وأعلى منها: الهيبة المطبوعة بالمعرفة كما في قوله:﴿ وَيُحَذِّرُكُمُ ٱللَّهُ نَفۡسَهُۥ ﴾[2].

والناظر في رسالة (القشيري) يجد هذه المراتب الثلاثة والتمييز بينها من كلام (أبي علي الدقاق) بالنص[3].

إذن (كولن) - هنا أيضا- ناقل ومقلد للقشيري، وتابع لرسالته، وليس مبتكرا.

ومن هنا فقد قسم الصوفية الخوف إلى: الهيبة والخشية، يقول (كولن): "وكلتاهما نابعتان من الخوف، ولكن الهيبة هي مدار الفرار، بينما الخشية تدور حول الالتجاء فصاحب الهيبة في سيره وسلوكه يعيش دوما بمفهوم الفرار وبه يتحرك ويسكن ويتخيل، بينما صاحب الخشية يعيش كل لحظة بمفهوم آخر بحثا عن وسائل الالتجاء إليه تعالى"[4].

وتلك الأخيرة بمعناها الكامل من خواص الأنبياء (عليهم السلام) كما يقول (كولن) وضرب مثلا بذلك بخشية سيدنا موسى(عليه السلام): ﴿ وَلَمَّا جَآءَ مُوسَىٰ لِمِيقَٰتِنَا وَكَلَّمَهُۥ رَبُّهُۥ قَالَ رَبِّ أَرِنِيٓ أَنظُرۡ إِلَيۡكَۚ قَالَ لَن تَرَىٰنِي وَلَٰكِنِ ٱنظُرۡ إِلَى ٱلۡجَبَلِ فَإِنِ ٱسۡتَقَرَّ مَكَانَهُۥ فَسَوۡفَ تَرَىٰنِيۚ فَلَمَّا تَجَلَّىٰ رَبُّهُۥ لِلۡجَبَلِ جَعَلَهُۥ دَكّٗا وَخَرَّ مُوسَىٰ صَعِقٗاۚ فَلَمَّآ أَفَاقَ قَالَ سُبۡحَٰنَكَ تُبۡتُ إِلَيۡكَ وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ﴾[5]، وخشية سيد الخاشعين (ﷺ)بقوله: "إني أرى ما لا ترون وأسمع ما لا تسمعون أطت السماء وحق لها أن تئط ما فيها موضع أربع أصابع إلا وملك واضع جبهته ساجدا لله والله لو تعلمون ما أعلم لضحكتم قليلا، و لبكيتم كثيرا، وما تلذذتم بالنساء على الفرش، و لخرجتم إلى الصعدات تجأرون إلى الله"[6].

١- سورة فاطر الآية:٢٨.
٢- سورة آل عمران الآية: ٣٠.
٣- ينظر: الرسالة القشيرية ص ٢٣٥.
٤- التلال ص ٧١.
٥- سورة الأعراف الآية:١٤٣.
٦- ينظر: التلال الزمردية ص ٧٢، والحديث أخرجه الترمذي، وقال: حسن غريب، ينظر: سنن الترمذي، باب باب في قول النبي – ﷺ- لو تعلمون ما أعلم لضحكتم قليلا (ج ٤ ص ١٣٤رقم ٢٣١٢).

٥- الزهد:

عرفه (كولن) بقوله: "هو ترك المتع الدنيوية ومقاومة الميول الجسمانية، ويرد لدى الصوفية على الأكثر: العزوف عن لذائذ الدنيا، وإمرار العمر بعيش أشبه ما يكون بالحمية، مع اتخاذ التقوى أساسا للسلوك، والحزم باستغناء واستنكاف تجاه وجه الدنيا المتوجه إليها وإلى النفس الإنسانية"[١].

وأشار (كولن) إلى أن أولى خطوات الزهد هي الحساسية المرهفة تجاه الحلال والحرام، أما الخطوة الثانية: - وهي المرحلة الكاملة- فهي العيش بدقة متناهية، وحساسية شديدة تجاه المباحات والأمور المشروعة.

وقد ذكر (كولن) عدة تعريفات للزهد من أقوال الصوفية مثل: (سفيان الثوري)، و(الرومي)، وأورد في ذلك شعر للإمام (علي) - رضي الله عنه- ، وللبوصيري في وصف زهد النبي (ﷺ)[٢].

وقد سبق التعرض- لموقف (كولن) من الزهد، فبعضهم يراه زهدا فرديا، فهو لا يرى أبدا البعد عن الدنيا وترك إعمارها، وبعضهم يرى تطبيق ذلك في حركة (الخدمة) التي تسعى سعيا دؤوبا في سبيل إعمار الأرض بالتقدم العلمي والتقني، ونشر العلوم الدنيوية، واتخاذ كافة الأسباب المادية[٣].

إذن هو زهد إيجابي وليس سلبيا، غرضه أن تكون الدنيا في أيدينا وليس في قلوبنا.

٦- التوكل، التسليم، التفويض، الثقة:

يرى (كولن) أن التوكل هو مبدأ الأحوال التي تخص عالم الأمر أو السير الروحاني بالاعتماد على الله، والثقة به، والذي يلي التوكل التسليم، وبعده بجولة التفويض ومنتهاه الثقة.

ذكر (كولن) للتوكل تعريفات كثيرة منها: "رعاية الأسباب دون خلل ضمن دائرة الأسباب، ومن ثم انتظار تصرف القدرة المطلقة علينا إذ بعده بخطوتين هي مرتبة التسليم التي وصفها كثير من أولياء الحق "كالميت بيد الغسال"، وبعدها بأقدام يأتي مقام التفويض الذي هو إحالة كل شيء إلى الله تعالى، وانتظار كل شيء منه فالتوكل مبدأ والتسليم نتيجته والتفويض ثمرته"[٤].

١- التلال ص ٨٠.

٢- ينظر: التلال ص ٨١- ٨٤.

٣- ينظر: الشريف حاتم عوني: فكر ودعوة فتح الله كولن والتصوف مقال على موقع فتح الله كولن بتاريخ ١٠ يونيو ٢٠١٤م.

٤- التلال ص ١١٢.

مسألة ترك التدبير عند الصوفية:

وهي من الأمور الدقيقة التي كانت موضع احترام من بعض الصوفية، وانتقاد من غيرهم من الصوفية ومن أرباب الشريعة كذلك؛ لمخالفتها سنة وحال النبي (ﷺ).

في الحقيقة التوكل لا ينافي العمل، والتكسب، والحركة، وتدبير المعاش، يقول القشيري: "واعلم أن التوكل محله القلب، والحركة بالظاهر لا تنافي التوكل بالقلب، بعد ما تحقق العبد أن التقدير من قبل الله تعالى، وإن تعسر شيء فبتقديره، وإن اتفق فبتيسيره"[١].

وقد دفع (الغزالي) هذه الشبهة أيضا بقوله: "اعلم أن العلم يورث الحال، والحال يثمر الأعمال، وقد يظن أن معنى التوكل ترك الكسب بالبدن، وترك التدبير بالقلب، والسقوط على الأرض كالخرق الملقاة، وكاللحم على الوضم[٢] ، وهذا ظن الجهال؛ فإن ذلك حرام في الشرع، والشرع قد أثنى على المتوكلين، فكيف ينال مقام من مقامات الدين بمحظورات الدين؟"[٣].

أما (كولن) فيفسر ترك التدبير لا على أنه ترك الأسباب كلية - وهو ما ورد عن عدد من الصوفية واشتهر عنهم-، ولكن بمعنى التعلق بالله، وعدم إعطاء التأثير الحقيقي للأسباب- وهو ما ورد عند بعضهم- فيقول:

" فإن ترك التدبير الذي يعني التجرد من جلبة الأسباب، وعدم فسح المجال للوسائط في القلب عمق عظيم لا يطاله عامة الناس، ولا يقدر عليه إلا الرواد الأفذاذ الذين يستمسكون بعلاقتهم مع الحق سبحانه، وهم بين الخلق، إن عدم إعطاء التأثير الحقيقي للأسباب مع التوسل بها هو (توكل) لعامة الناس (وتسليم) لمن انتبه إلى ما وراء حجب الأشياء (وتفويض وثقة)لأهل السكينة والأمان كل حسب درجته"[٤].

فهو لا يدعو إلى أبدا إلى ترك الأسباب؛ لأن ذلك يتناقض مع واقع (كولن) وحركته، وقد دفع هذه التهمة عن (كولن) وحركته كثيرون، فيرى أحد الباحثين أن أكبر دليل على ذلك هو السعي والتنظيم والتخطيط لدى حركة الخدمة، فيقول: "فهي قد أخذت من الباب بأكبر نصيب تخطيطا وإتقانا وطموحا، حتى فاقت في ذلك عبدة الأسباب في شدة الحرص عليها، ولكن فارقوهم في النظر إليها على أنها مجرد أسباب لا تغني شيئا بغير اعتماد واستناد إلى مسبب الأسباب وهو الله تعالى"[٥].

إذن يعني (كولن) بترك التدبير عدم إعطاء التأثير الحقيقي للأسباب، وهو موقف أهل السنة جميعا إلا أنه لم يبد رأيا صريحا في معنى ترك التدبير بمعنى ترك الأسباب كلية الذي هو فهم وفعل بعض الصوفية من ترك الزاد، والراحلة، وهجر العمل والتكسب، وغير ذلك .

---

١ الرسالة القشيرية ص٢٣٨ .

٢- الوضم: ما وقيت به اللحم عن الأرض من خشب وحصير. ينظر: القاموس المحيط. ص ٩٩٦ .

٣- إحياء علوم الدين ص ٣٦٨ الجزء الرابع الإمام أبو حامد الغزالي.

٤- التلال ص ١١٤.

٥- الشريف حاتم العوني : (فكر ودعوة فتح الله كولن والتصوف) مقال على موقع فتح الله كولن بتاريخ ١٠ يونيو ٢٠١٤م.

وأما قوله (ﷺ): "لو أنكم توكلون على الله حق توكله لرزقتم كما يرزق الطير تغدو خماصا وتروح بطانا"[١]، فيرى (كولن) أن كل فرد يأخذ حظا من فهم هذا الكلام النبوي حسب درجته[٢]كالتالي:

أ- فالعوام يفهمون منه الاعتماد على الله بمعناه العام الذي تشير إليه الآية: ﴿ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴾[٣]، ويذكر (كولن) من أشعار (الرومي) بالفارسية ما يشير أنه "مهما كان التوكل مرشدا ودليلا فرعاية الأسباب سنة نبوية، فقد نادى الرسول (ﷺ)اعقلها وتوكل"[٤].

ب- أما الذين يمضون حياتهم في سفوح القلب والروح، ويتبرؤون من حولهم وقوتهم مستسلمين إلى حول الله وقوته فيفهمون منه: حال الميت بيد الغسال وتذكرنا به الآية الكريمة: ﴿ قَالَ رَجُلَانِ مِنَ ٱلَّذِينَ يَخَافُونَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمَا ٱدْخُلُواْ عَلَيْهِمُ ٱلْبَابَ فَإِذَا دَخَلْتُمُوهُ فَإِنَّكُمْ غَٰلِبُونَ وَعَلَى ٱللَّهِ فَتَوَكَّلُوٓاْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴾[٥].

ج- "أما الذين يجولون في ذرى الفناء في الله، والبقاء بالله، فهؤلاء يفهمونه (تفويضا)كسيدنا إبراهيم (عليه السلام)الذي قال: "حسبي الله ونعم الوكيل" حين ألقي في النار أي علمه بحالي يغني عن سؤالي، أو يفهمونه (ثقة)كما هو الحال لدى مفخرة الإنسانية (ﷺ)الذي قال: "لا تحزن إن الله معنا"[٦].

ومن ثم يرى (كولن) أن (التفويض) هو أسمى المراتب والثقة أعلى المقامات وجعل لهذه المرتبة أمارات منها: السكون والطمأنينة برؤية التدبير ضمن التقدير، والعلم بأن إرادته ظل للإرادة الحقيقية والتوجه إلى الأصل، واستواء القهر واللطف لديه، وإبداء الرضا بجميع كيانه بالقضاء.

٦- التواضع:

الأخلاق عند الصوفية لبنة جوهرية في طريقهم، يقول كولن : "إن أوثق معيار للتصوف هو الخلق الحسن، فمن زاد عليك في الخلق زاد عليك في التصوف، أما

١- أخرجه النسائي أحمد بن شعيب بن علي الخراساني النسائي: السنن الكبرى كتاب الرقائق(ج ١٠ص ٣٨٩ رقم ١١٨٠٥)، تحقيق: حسن عبد المنعم شلبي، إشراف: شعيب الأرناؤوط تقديم: عبد الله بن عبد المحسن التركي، مؤسسة الرسالة – بيروت، ط: الأولى ١٤٢١هـ- ٢٠٠١م.والحديث حسن صحيح، ينظر: جمال الدين أبو الحجاج يوسف بن عبد الرحمن المزي (المتوفى: ٧٤٢هـ): تحفة الأشراف بمعرفة الأطراف(ص ٨/ ٧٩ رقم ١٠٥٨٦)، المحقق: عبد الصمد شرف الدين، طبعة: المكتب الإسلامي، والدار القيّمة، الطبعة: الثانية: ١٤٠٣هـ، ١٩٨٣م.

٢- ينظر: التلال ص ١١٤.

٣- سورة إبراهيم:١٢.

٤- ينظر: التلال ص .١١٥والحديث أخرجه الترمذي في الجامع الكبير أو سنن الترمذي باب ٦٠ ، وقال: حديث غريب من حديث أنس لا نعرفه إلا من هذا الوجه، (ص ٤/ ٢٤٩ رقم ٢٥١٧) .

٥- سورة المائدة آية :٢٣..

٦- سورة التوبة آية :٤٠، ينظر: التلال ص ١١٦، وينظر: شد الرحال لغاية سامية ص ١٨.

الحالات الخارقة، والمقامات المحيرة، والتصرفات الفائقة على طاقة البشر حتى لوعدت أزاهير الخلق الحسن وثمراته، فلا قيمة لها مالم تقترن بالأخلاق الحسنة"[١].

وهو في هذا يشير إلى تعريف (الكتاني) للتصوف الذي أورده(القشيري): "التصوف خلق فمن زاد عليك في الخلق زاد عليك في الصفاء"[٢].
وقد ذكر (كولن) جملة من الأخلاق الصوفية في منازله تلك وقد استتبع كل خلق منها ببيان مفهومه وفضله ومنها: التواضع.
وقد عرف (كولن) التواضع كمنزلة من منازل السالكين بقوله: "شعور الإنسان بموقعه الحقيقي أمام الحق سبحانه والسلوك، وفقه وتقييم مكانته لدى الخلق من زاوية هذا الفهم، وعد نفسه كأحد من الناس أو كأي جزء من أجزاء الوجود[٣].

ويرى (كولن) أن التواضع مفتاح لجميع السجايا الحميدة، والذي يمتك تلك السجية يستطيع امتلاك السجايا الحميدة جميعا، ومن يحرم منها يحرم من السجايا الحميدة الأخرى، وضرب مثلا بآدم -عليه السلام- فقد استطاع بتواضعه أن يسترجع ما فقده من نفائس، وأصبح الشيطان الذي تورط في الذنب معه ضحية لغروره وكبريائه.

ويقول عن قيمة التواضع: "الذين يلصقون خدودهم بالأرض هم أصحاب المراتب العليا عند الحق تعالى، وعند الناس كذلك، أما الذين يشمخون بأنوفهم ويستعلون على الناس ويحتقرونهم، فلا يجدون سوى البغض من الناس والعذاب من الله تعالى"[٤].

ولذا - وفقا لكولن- لم يسمُ في التكايا والزوايا سوى من وضع خده على التراب، وكذا لم يستفد في المدارس وحلق العلم سوى المتواضعين خلقا[٥].

وقد استشهد (كولن) بكثير من الشواهد من القرآن، منها: قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَن يَرۡتَدَّ مِنكُمۡ عَن دِينِهِۦ فَسَوۡفَ يَأۡتِي ٱللَّهُ بِقَوۡمٖ يُحِبُّهُمۡ وَيُحِبُّونَهُۥٓ أَذِلَّةٍ عَلَى ٱلۡمُؤۡمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى ٱلۡكَٰفِرِينَ يُجَٰهِدُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوۡمَةَ لَآئِمٖۚ ذَٰلِكَ فَضۡلُ ٱللَّهِ يُؤۡتِيهِ مَن يَشَآءُۚ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴾ [٦]وقوله:﴿ مُّحَمَّدٞ رَّسُولُ ٱللَّهِۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلۡكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيۡنَهُمۡۖ تَرَىٰهُمۡ رُكَّعٗا سُجَّدٗا يَبۡتَغُونَ فَضۡلٗا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضۡوَٰنٗاۖ سِيمَاهُمۡ فِي وُجُوهِهِم مِّنۡ أَثَرِ ٱلسُّجُودِۚ ذَٰلِكَ مَثَلُهُمۡ فِي ٱلتَّوۡرَىٰةِۚ وَمَثَلُهُمۡ فِي ٱلۡإِنجِيلِ كَزَرۡعٍ أَخۡرَجَ شَطۡـَٔهُۥ فَـَٔازَرَهُۥ فَٱسۡتَغۡلَظَ فَٱسۡتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِۦ يُعۡجِبُ ٱلزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ ٱلۡكُفَّارَۗ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِنۡهُم مَّغۡفِرَةٗ وَأَجۡرًا عَظِيمَۢا ﴾[٧].

١- التلال ص ١١٩.
٢- الرسالة القشيرية ص ٤٦٥.
٣- كولن: التلال الزمردية ص ١٢٣..
٤- الموازين ص ٤٢.
٥- ينظر: الموازين ص ٤٤.
٦- المائدة الآية : ٥٤.
٧- الفتح الآية: ٢٩.

ومن الحديث: "ألا أخبركم بمن يحرم على النار، أو بمن تحرم عليه النار على كل قريب هين سهل"[١]، إضافة إلى كثير من المواقف في سيرة النبي - ﷺ- وتعامله مع الصبيان والعبيد والضعفاء، إضافة إلى كثير من القصص على سبيل القدوة، والنماذج للمسلمين من حياة الصحابة والتابعين.

واستدل بأقوال لشيخه (الإمام آلوارلي) و(بديع الزمان النورسي)، ومواقف من حياة الصحابة والتابعين أمثال(أبي هريرة)، و(زيد بن ثابت)، و (أبي ذر الغفاري) و(بلال الحبشي)، و(عروة بن الزبير)، و(الحسن بن علي)، وغيرهم[٢].

وفي حديثه عن التواضع عند الصوفي ذكر عدة صفات لأهل التواضع من الصوفية:
أ- أنهم في تواضع ومحوية تجاه الدين، فلا إشكال لهم لا بمنقوله، ولا بمعقوله فهم في استسلام تام للقرآن والسنة.

ب- منغلقون كليا على ما هو خارج عن بيان الشارع الجليل، وإذا ما عرضت لأذواقهم ملاحظات مختلفة يؤولونها بقصر باعهم في الأمر.

ج- ويؤمنون أنه لا خلاص في السبل المخالفة للكتاب والسنة، والعبودية لله أعظم منابع قوتهم.

د- أنهم لا يكلون ثمرات سعيهم لأنفسهم قطعا، فهي فضل الله تعالى، ولا يجعلون بذل الجهد وسيلة للتكبر على الآخرين، ولا ينتظرون عوضا[٣].

إذن تواضع الصوفية محوية لذاتهم في التعامل مع الله، ومع الشرع، ومع الناس، وهو بلا شك يزيد عن تواضع سائر الناس.

٧- الحياء:

عرفه (كولن) بقوله: "الحياء هو الخجل، الحشمة، وفي الاصطلاح الصوفي: اجتناب ما لا يرضاه سبحانه خشية منه، ومخافة، ومهابة"[٤].

أنواع الحياء:

قسم (كولن) الحياء قسمين:

الأول: الحياء الفطري: الذي يمنع الإنسان من اقتراف ما يعيبه أو يستعار منه.

الثاني: الحياء الناشئ من الإيمان الذي يشكل عمقا مهما للإسلام.

يقول كولن: "إن ما في طبيعة الإنسان من حس التضايق والتحرج لا يدوم إن لم يربى بالشعور الإيماني الذي توضحه الآية الكريمة: ﴿ أَلَمْ يَعْلَم بِأَنَّ ٱللَّهَ يَرَىٰ ﴾[٥]، وبمفهوم الإحسان

١- أخرجه الترمذي، وقال: حديث حسن غريب. ينظر: صحيح الترمذي باب ٤٥ من أبواب صفة القيامة والرقائق والورع(ج ٤ ص ٢٣٥ رقم ٢٤٨٨) .

٢- ينظر: التلال ص ١٢٣-١٢٧.

٣- ينظر: كولن: التلال ص ١٢٧-١٢٩.

٤- التلال ص ١٤٠.

٥- سورة العلق الآية:١٤.

الذي تعبر عنه الآية الكريمة: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً ۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴾[١].

وذكر عدة أقوال في الحياء لعدد من الصوفية أمثال: (الجنيد)، و(ذي النون المصري)[٢]، وذكر تقسيمات أخرى للحياء منها:

حياء الزلة كحياء آدم، وحياء التقصير كحياء الملائكة، وحياء الإجلال لأرباب المعرفة القائلين: ما عرفناك حق معرفتك مع عمقهم في التعظيم، وحياء الهيبة لأرباب الروح و القلب الذي يستشعرون به، وحياء المنة لأصحاب اليقين[٣].وهذه الأقسام موجودة بالتفصيل في كتب الصوفية كالرسالة القشيرية[٤].

٨- الصبر:

يعني عند (كولن): "احتمال الأذى والألم أمام الحوادث، والوقائع، التي يصعب تحملها ويتعسر تجنبها"[٥].

وقد أمر القرآن به في آيات كثيرة منها: ﴿ وَٱسْتَعِينُواْ بِٱلصَّبْرِ وَٱلصَّلَوٰةِ ۚ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى ٱلْخَٰشِعِينَ ﴾[٦]، وقوله: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱصْبِرُواْ وَصَابِرُواْ وَرَابِطُواْ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾[٧].

وقد شبه (كولن) الصبر بالدواء المر الذي لا بد منه للشفاء، فقال: "الصبر مثل عشب مر يهدئ الآلام أي مع أنه يؤلم النفس إلا أنه يداويها"[٨]، ولكن يبشر الصابرين فيؤكد فيؤكد أن كل عسر يحمل يسرا، وأن الصبر مبدؤه سم ومنتهاه عسل[٩] .

أقسام الصبر:

وقد قسم (كولن) الصبر من عدة وجوه، الأول: من حيث ما يصبر عليه إلى ستة أقسام:

أ- الصبر عن اجتناب المعاصي.

ب- الصبر على البلايا الأرضية والسماوية.

ج- الصبر على نهج الاستقامة.

١- سورة النساء الآية: ١.

٢ - ذو النون المصري: أبو الفيض ثوبان بن إبراهيم المصري الأخميمي مولى لقريش توفي ٢٤٥ وقيل ٢٤٨هـ سئل عن المحبة فقال: أن تحب ما أحب الله، وتبغض ما أبغض الله، وترفض كل ما يشغل عن الله، وألا تخاف في الله لومة لائم، مع العطف للمؤمنين، والغلظة على الكافرين، واتباع رسول الله (ﷺ) في الدين. أبو عبد الرحمن السلمي: الطبقات الصوفية ص ١٢. تحقيق: د/ أحمد الشرباصي، دار الشعب، ط الثانية ١٤١٩هـ-١٩٩٨م.

٣- ينظر: التلال ص ١٤٢- ١٤٣.

٤- ينظر: الرسالة القشيرية ص ٣٧٥.

٥- التلال الزمردية ص ١٥٢ .

٦- سورة البقرة الآية: ٤٥.

٧- سورة آل عمران آية: ٢٠٠.

٨- الموازين ص ١٨٢.

٩- ينظر: الموازين ص ١٨٢.

د- الصبر على الزمن فيما يحتاج إلى زمن ووقت.

هـ- الصبر على لواعج شوق الوصال لحين بلوغ أمر "ارجعي"[١].

والأنواع الثلاثة الأولى تكلم فيها (بديع الزمان النورسي) في كلياته، وجاء (كولن) وزاد عليها أنواعا أخرى[٢].

الثاني: الصبر من حيث كيفيته وتحققه إلى:
أ- الصبر بالله: أي العلم بأنه تعالى هو المصبر.
ب- الصبر على الله: بعدم الاستعجال تجاه التجليات الجمالية و الجلالية للحق تعالى قائلا: "لله في كل شيء أسرار وحكم.

ج- الصبر في الله: أي استواء القهر واللطف في الطريق إلى الله (لا يفرق بين حال النعمة والمحنة).

د- الصبر مع الله: أي البقاء معه تعالى مع مراعاة أسرار المقام.

هـ- الصبر عن الله: وهو صبر عشاق الحقيقة، الذين عزموا على التحمل عن الوصال وهم بين الخلق.

إضافة إلى ذلك فقد ذكر (كولن) تعريفات كثيرة للصبر من كلام أرباب الحقيقة.

هل الشكوى إلى الله تنافي الصبر:

الشكوى إلى الله من المسائل التي ناقشها (كولن) كما الصوفية قبله، ورأي أن: " ليس من الشكوى عرض الإنسان حاله على الله تعالى عند نزول المصائب التي لا يمكن دفعها، أو عند القيام بالتكاليف الشاقة، أو عند الخوف من ارتكاب الآثام التي وقع فيها الكثيرون، فهذه كلها تضرع وتوسل وتوكل وتسليم كل حسب نيته[٣] .

واستشهد (كولن) بسيدنا (أيوب) -عليه السلام- :﴿ وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥٓ أَنِّى مَسَّنِىَ ٱلضُّرُّ وَأَنتَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴾[٤]، وبسيدنا (يعقوب) عليه السلام-:﴿ قَالَ إِنَّمَآ أَشْكُواْ بَثِّى وَحُزْنِىٓ إِلَى ٱللَّهِ ﴾[٥] كل ذلك دعاء وتضرع؛ ولذا أثنى الله تعالى على سيدنا (أيوب) بقوله: ﴿ إِنَّا وَجَدْنَٰهُ صَابِرًا ۚ نِّعْمَ ٱلْعَبْدُ ۖ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٌ ﴾[٦].

١- ينظر: كولن: التلال ص ١٥٣وينظر: اشراقات الأمل في دياجي الحزن والأسى ص ٢٧١، وينظر: مقال العلاقة بين أنواع الصبر على موقع herkul بتاريخ ٢٦/ ١٢/ ٢٠١٤م.
٢- ينظر: كولن: مقال العلاقة بين أنواع الصبر على موقع herkul بتاريخ ٢٦/ ١٢/ ٢٠١٤م.
٣- التلال ص ١٥٣-١٥٥.
٤- سورة الأنبياء الآية: ٨٣.
٥- سورة يوسف الآية:٨٦.
٦- ينظر: التلال ص ١٥٥.والآية من سورة ص الآية: ٤٤.

فالمعتبر شرعا أن الله - تعالى - تعبدنا بالدعاء، وقد سار على ذلك أنبياء الله ورسله (عليهم وعلى رسولنا السلام)، وهم في أعلى المقامات من الصبر.

٩- الفتوة:

الفتوة كما يقول (السلمي)[١]: "اسم أطلق على مجموعة من الفضائل أخصها الكرم، والسخاء، والمروءة، والشجاعة تميز المتصف بها عن غيره من الناس وقوامها الإيثار"[٢]، وكانت الفتوة معروفة قديما في الجاهلية، ثم صارت خلقا لزهاد المسلمين، وكانت الكوفة من أوائل مواطن الفتوة[٣]، ثم صارت الفتوة طائفة منظمة معروفة باسم (طائفة الفتيان) منذ القرن الثاني الهجري وكان أشهر رجالها (الفضيل بن عياض) الذي لقبه بعض الباحثين بشيخ الطائفة أو أول الفتيان[٤].

وكلام (كولن) في الفتوة لا يخرج عن كلام مؤرخي التصوف ك(السلمي)، و(القشيري) فقد ذكر أيضا معاني عديدة للفتوة منها:

أ- "الفتوة تعني الشباب، البسالة، ومعناها العرفي جامع لمزيج من المعاني والفعاليات كالكرم، والسخاء، والعفة، والأمانة، والوفاء، والرحمة، والعلم، والتواضع، والتقوى"[٥].

ب- "الانقطاع التام على خدمة الآخرين، وتحمل أنواع الأذى، والآلام دون إبداء أي ضجر"[٦].

وذكر معاني كثيرة أيضا من كلام (الجنيد) و(المحاسبي)، وأرجع هذه المعاني إلى أربعة أسس استقاها من سيدنا (علي) كرم الله وجهه ومن حياته:

العفو عند المقدرة.

الحلم والأناة عند الغضب والحدة.

ج-الإحسان والإنصاف حتى مع الأعداء.

د- الإيثار ولو في الخصاصة[٧].

إذن الفتوة هي جماع عدة أخلاق كلها تصب في المروءة، ومساعدة الضعيف، وهي وإن كانت مطلبا من جميع الناس إلا أنها كانت ألصق بالصوفية طيلة تاريخهم.

١- السلمي: محمد بن الحسين بن محمد بن موسى، أبو عبد الرحمن السلمي النيسابوري.
شيخ الصوفية وصاحب تاريخهم وطبقاتهم وتفسيرهم. كان رأسا في أخبارهم، صنف لهم " سننا " و " تفسيرا " و " تاريخا "، وله بنيسابور دويرة معروفة .روى عن الأصم، وطبقته، وعنى بالحديث ورجاله. وقال الحافظ عبد الغافر الفارسى في تاريخ نيسابور: جمع من الكتب ما لم يسبق إلى ترتيبه حتى بلغ فهرست تصانيفه مائة أو أكثر، وكتب الحديث بمرو، ونيسابور، والعراق، والحجاز. ومولده سنة ثلاثين وثلاثمائة. وتوفي ٤١٢ للهجرة. ينظر: الذهبي: ميزان الاعتدال في نقد الرجال ص ٣/ ٥٢٣. وينظر: ابن الملقن: طبقات الأولياء ص ١/ ٣١٥.

٢- أبو عبد الرحمن السلمي : أصول الملامتية وغلطات الصوفية ص ٨٨ تحقيق: د/ عبد الفتاح أحمد الفاوي محمود ١٤٠٥هـ- ١٩٨٥م.

٣- ينظر: د/ كامل مصطفى الشيبي: الصلة بين التصوف والتشيع ص ٤٩٠، دار المعارف، ط: الثانية ١٩٦٩م.

٤- ينظر: أبو عبد الرحمن السلمي: أصول الملامتية ص ٨٩ .

٥- التلال ص ١٣٠.

٦- السابق ص ١٣٠.

٧- ينظر: التلال ص ١٣١- ١٣٢.

١٠- اليقين:

عرفه (كولن) بقوله: "النجاة من الشك، والشبهة، وتمليك الروح علما قاطعا وصائبا وصحيحا، لا تردد ولا ريب فيه قط"[١].

ولدى أهل الحقيقة: "هو العلم بأسس الإيمان، ولا سيما قطبه الأعظم(التوحيد) بعلم لا احتمال لنقيضه قطعا، وقبوله وإدراكه واستشعاره، وجعله جزءا لا يتجزأ من ذات الإنسان بلوغا إلى أفق العرفان"[٢].

ويرى أن اليقين كسبي في بدايته؛ لأنه يحتاج إلى المعرفة في سيره، وفي نهايته لطفي وبديهي[٣].

أقسام اليقين عند الصوفية:

علم اليقين: هو الوصول إلى أقوى إيمان، وأقطع إذعان فيما يتعلق بأمور مستهدفة بوصاية الأدلة الواضحة والبراهين الساطعة.
عين اليقين: هو مرتبة الوصول إلى معرفة تفوق التعريف تكسبها الروح بالكشف، والمشاهدة، والادراك، والاستشعار.
حق اليقين: وهو الحظوة بمعية ذات أسرار من دون ستار، ولا حائل تتجاوز التصورات، ومن دون كمية ولا كيفية"[٤].
ويفرق بين ثلاثتهم بقوله: "وعلى هذا فأي علم قاطع اكتسبه الإنسان بطريق الاستدلال العلمي في أي موضوع كان هو علم اليقين .وبلوغه ببصره وسمعه وحواسه السليمة الأخرى إلى المعرفة هو عين اليقين .والعرفان الذي يرد وجدانه مباشرة وينبعث منه حتى يغشى جميع حواسه الظاهرة والباطنة مستغنيا عن الأدلة والبراهين هو حق اليقين"[٥].

ويشرح المراتب الثلاثة بمعاني كثيرة لا تخرج عما سبقها: إن علم اليقين يعني إخضاع الأشياء والحوادث وتحليلها تحت أطياف العلم المنيرة، واستنباط الحكم والمعاني الكامنة عبر التفكر والتأمل، وعين اليقين مشاهدة ما نعتقده من معلومات نظرية بأدلة وبراهين مشاهدة مباشرة وحين يتخلى الإنسان عن نفسه ووجوده يفتح الباب أمام حق اليقين ومثل لتلك المراتب بمثال محسوس، فالأولى: كحال من يعلم أن النار حارقة و منضجة للطعام، والثانية: كمن شاهد بعينه أنها مصدر للحرارة والثالثة: كحال احمرار ملقاط في مدفئة متأججة بالنار فلا يميز بينه وبين النار، والمعنى لا وجود حقيقي لي ولا لك وإنما لا أحد سوى الله[٦].

١- التلال الزمردية ص ١٨١.
٢ - السابق.
٣- السابق ص ١٨٣.
٤- السابق ص ١٨٤.
٥- التلال ص ١٨٥.
٦- ينظر: فتح الله كولن: مقال: التعمق في الشعور والفكر الديني على موقع herkul بالعربية بتاريخ: ٢٥/ ٩/ ٩/ ٢٠١٥م.

وتفسير(كولن) لحق اليقين يشتم منه وحدة الوجود وهو ما لم يرتضه (كولن) كما سيتبين لاحقا.

وهذه التفرقة شبيهة بما قاله القشيرى إذ يقول: "فعلم اليقين لأرباب العقول، وعين اليقين لأصحاب العلوم، وحق اليقين لأصحاب المعارف"[١].

١١- الذكر:

ويعرفه (كولن) بقوله: "هو التخطر، الاستذكار، ولدى الصوفية هو تكرار اسم الله وصفاته واحدة واحدة أو بضع منها معا، ويؤدى الذكر منفردا أو جماعة بأي اسم كان، وفي أخرى يذكر "لا إله إلا الله"، وفي أخرى يذكر أسماء أخرى، وصفات أخرى، وذلك حسب تعيين المرشد والدليل"[٢].

أنواع الذكر:

والذكر كالشكر يكون باللسان، وبالقلب، وبالبدن، وبالوجدان.

أ- ذكر اللسان: ذكر الله بجميع أسمائه الحسنى، وصفاته الجليلة، والحمد والثناء عليه، وقراءة كتاب الله الكريم، والترنم بآيات الله التكوينية في كتاب الكائنات بمعناها الحرفي[٣].

أي النظر في كتاب الله الذي يسميه (الأوامر الشرعية)، والنظر والتفكر في الكون والكائنات، والذي يسميه ب(الآيات التكوينية أو الفطرية)، وتلك التسمية استقاها (كولن) من كليات رسائل النور لبديع الزمان النورسي[٤]، وأيضا استخدامه لفظ (المعنى الحرفي)؛ ليدل على العجز والافتقار، و(المعنى الاسمي)؛ ليدل على الاستغناء والاستقلال هي من تعبيرات النورسي أيضا[٥].

ب- ذكر الوجدان:

هو ذكره تعالى قياما وقعودا بأخذ الدلائل على وجوده سبحانه، والتفكر في أسمائه الحسنى، وصفاته الجليلة التي تتلمع في كتاب الوجود، والتفكر في أحكام ربوبيته التي تسع العالم، ومسؤوليتنا تجاه هذه الأحكام.

والباحثون عن أسرار الوجود من خلال هذه المنافذ يتذوقون أذواقا روحانية جمة، وفي بعض الأحيان يصل الذاكر إلى حالة الاستغراق فيداوم بعضهم على كلمة التوحيد: (لا موجود إلا هو) وآخرون: (لا مشهود إلا الله)، وفي هذا الجو تنفتح على الإنسان البركات والواردات[٦].

١- القشيري: الرسالة القشيرية ص ١٥٧.

٢- التلال ص ١٨٦.

٣- أصل دلالة الحرف نحويا أنه غير مستقل بنفسه في حاجة مستمرة إلى غيره فقراءة الكائنات بالمعنى الحرفي يعني: أنها غير مستقلة بنفسها، بل هي في حاجة مستمرة إلى خالقها مفتقرة في بقائها إلى إرادته سبحانه. التلال الزمردية هامش ص ١٨٦ .

٤- ينظر: المثنوي العربي النوري(٦) ص ٣١١، .

٥- ينظر: المثنوي العربي النوري(٦) ص ١٠٥.

٦- ينظر: التلال ص ١٨٨.

ج- الذكر البدني: تحويل الأوامر الإلهية ونواهيها إلى حياة تمارس وتعاش فيأتمر بأوامره بشوق عظيم، وينتهي بنواهيه مع الشعور العميق بالمسؤولية[١].

وتكلم (كولن) عن فضل الذكر للسالك، وأنه لا وقت معين له كالصلاة، بل هو عبادة مطلقة ﴿ ٱلَّذِينَ يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ قِيَـٰمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِى خَلْقِ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَـٰذَا بَـٰطِلًا سُبْحَـٰنَكَ فَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ﴾[٢].

١٣- القرب والبعد:

جاء في تعريف (كولن) للقرب بأنه: "تقرب الإنسان إلى الله سبحانه، بتخطيه قيود الجسمانية، متحولا إلى الماورائية"[٣].

وهناك من فهم أن معنى القرب قرب الله لعباده، ويرى (كولن) أن هذا المعنى لا يستحسن وغير لائق؛ لما فيه من إشمام لمعاني إضافة المكان والمسافة إليه تعالى مع أن قرب الحق هو فوق الكينونة والصيرورة[٤].

وأشار إلى أن هناك نوعين من القرب:

أولهما: القرب العمومي الذي يضم كل الناس تحت مظلته ، ﴿ هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ ۚ يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنزِلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا ۖ وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ ۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴾[٥] .

والثاني :القرب الخصوصي: الذي يستند إلى الإيمان ويتحقق بمعايشة واتباع أحسن ما أمر الله سبحانه به ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوا۟ وَّٱلَّذِينَ هُم مُّحْسِنُونَ ﴾[٦].

معنى البعد: "انقطاع فيوضات الحق سبحانه، والابتعاد عن الله من حيث المبدأ، وخذلان وحرمان من حيث النتيجة"[٧] .

١٤- الجذبة والانجذاب:

عرف (كولن) الجذبة، وفرق بينها وبين الانجذاب، وذكر أنواعها.

فقال: "الجذبة هي الجلب وشد الشيء إلى غيره، الغيبة عن النفس والنشوة الروحية وفي اصطلاح التصوف: أخذ الله السالك إلى حضرته وحال الوجد الناشئ منه واتصاف السالك

١- ينظر: التلال ص ١٨٨.
٢- سورة آل عمران الآية: ١٩١ وينظر التلال ص ١٩٠.
٣- التلال ص ٢٠٢.
٤- ينظر: التلال ص ٢٠٢.
٥- سورة الحديد الآية :٤.
٦- سورة النحل الآية: ١٢٨.
٧- التلال ص ٢٠٤.

بالصفات الإلهية- أي بالأخلاق الإلهية- منسلخا من الصفات البشرية، وإدراكه الوحدة من وراء التجليات الجلالية واستشعارها، أو مشاهدتها"[١].

ويفرق بين الجذبة والانجذاب بأن الجذبة شد للسالك بقوة قدسية إلى المركز نحو غاية خلقه، أما الانجذاب هو استجابة الروح لهذه الدعوة الواردة طوعا دون مقاومة بقوله:

چ ئو ئو ئۇ چ[٢].

ويرى (كولن) أن الجذبة موهبة إلهية لا اكتساب للعبد فيها، ويستشهد بأشعار لعدد من الشعراء الأتراك، وكلمات لبديع الزمان النورسي[٣].

ويرى (كولن) أن الجذبة على نوعين:

أ- خفية: "وهي أن المجذوب يحب الحق سبحانه، ويتلذذ بلذة غامرة، وهو يأتمر بأوامره، ويشعر دوما أن ينجذب ليغترف من أعمق منافع اللذات"[٤].

ب- جلية: "وهو أن المجذوب في كل آن ينبسط أكثر، ويتسع ويكسب حالا أكثر سحرا، ويشعر بإدراك عميق، وحدس مبصر أنه منجذب بجذب ذلك الجاذب المطلق إلى دنيا ذات أسرار تفوح بعطر الأنس، والحضور، والاطمئنان"[٥].

إذن الجذبة والانجذاب حال للسالك؛ لأنها موهبة من الله وليست باكتساب منه، والجذبة بفعل الله، والانجذاب استجابة الروح لها .

١٥- القبض والبسط:

القبض والانقباض: "هو الانطواء والانكماش، وحالة انتزاع الروح أو انقطاع الفيوض المعنوية للإنسان، ارتخاء علاقته الوثيقة مع منبع الفيض الأبدي لما في ماهيته من ثغرات وبقاؤه في فراغ إلى حد ما، في حين ينبغي أن تكون رابطته وثيقة معه"[٦].

البسط: "مد، انفتاح، عرض، انشراح وابتهاج، أو ارتفاع الإنسان إلى نقطة يكون وسيلة رحمة في الوجود إلى حد استيعابه الأشياء "[٧].

ويرى (كولن) أن الخوف والرجاء يسبقان القبض والبسط، ويفرق بين الجميع بقوله:

---

١ - التلال ص ٢٢٣.
٢- سورة فصلت الآية: ١١.
٣- ينظر: التلال ص ٢٢٥-٢٢٦.
٤- التلال ص ٢٢٦.
٥- التلال ص ٢٢٦.
٦- التلال ص ٢٣٢.
٧- السابق ص ٢٣٢.

أ- إن كلا من الخوف والرجاء طور إرادي، و منزل أولي ونقطة بداية لسالك الحق، أما القبض والبسط فهما معاملة ذات أسرار في الحدود النهائية بعيدا عن بعض الأسباب الإرادية، فإما يقطعان السبيل على سالك الحق، أو يرفعانه ويحلقان به.

ب- الخوف والرجاء هو إحساس بالقلق أو نشوة أمل مما يحب أو يكره فيما يخص المستقبل، أما القبض والبسط فهو نبض القلب بالنشوة أو انكماشه بالقسوة فيما يخص الحاضر.

ج- "إن ما يفيده القبض لمن يجولون في ربوع المعرفة، يفيده الخوف للذين ما يزالون في الطريق، وما يفيده البسط لأولئك يفيده الرجاء لهؤلاء"[١].

أى إن الخوف والرجاء للمبتدئين في الطريق، يقابلهما القبض والبسط لأهل المعرفة.

وهي نفس المعاني التي أوردها (القشيري) في رسالته فيرى (القشيري) أن القبض للعارف بمنزلة الخوف للمستأنف، وكذا البسط للعارف بمنزلة الرجاء للمستأنف وكذا بتعلق الخوف والرجاء بالمستقبل، بينما القبض والبسط بالحاضر[٢].

ويفرق (كولن) بين القبض والبسط بأن القبض جلالي، والبسط جمالي، ففي الأول: تظهر العظمة والكبرياء بسر الواحدية، وفي الثاني: تتبين الرحمة وتجلي التنزل وفي الأول: اقشعرار الأبدان أمام القدرة التي تدبر الوجود، وفي الثاني: نفحات الأنس إلا أنهما رغم هذا الفرق يجمعهما عنوان واحد أن كليهما بيد الله تعالى يقول (كولن): "القبض والبسط بيد الله تعالى كما في قوله:چ ۋ ۅ ۅ ۉ ۉ ې ې ې ې ى ى ئا ئا ئه ئه ئو ئو ئۇ ئۇ ئۆ ئۆ چ[٣] بغض النظر عن التأثير النسبي للإرادة

الإنسانية التي لها ماهية اعتبارية"[٤].

وهو هنا كما سبق يؤكد على نسبية الإرادة الإنسانية وكونها اعتبارية[٥].

هذه كانت بعض المنازل التي ذكرها (كولن)، وهي تجمع بين المقامات، والأحوال، والرياضات، والأخلاق الصوفية كما هو واضح، وهي بالفعل إشارات روحية للأدب والسلوك كما أشار كولن.

أخذ فيها من القشيري وغيره من مؤرخي التصوف، واعتنق تعريفات جديدة أو على الأقل شرح التعريفات بلغته العصرية والقلبية، فما من معنى يتحدث فيه إلا وهو ينبض بالحياة نتيجة إحساس صاحبه به، وكأنه ينبعث من بين جوانحه وليس من بين فكيه فقط مما يدل على عمقه الروحي واهتمامه بالتربية الصوفية إلى أبعد مدى.

١- التلال ص ٢٣٢-٢٣٣.
٢ - ينظر: الرسالة القشيرية ص ١٢٠.
٣- سورة البقرة: ٢٤٥.
٤- ينظر: التلال ص ٢٣٤.
٥- ينظر: مبحث القدر من الباب الأول.

المبحث الرابع: موقف كولن من مظاهر التصوف ونظرياته

بعد ما أشرت إليه سالفا من مفهوم التصوف عند (كولن)، وبيان المنازل الصوفية يبقى عدة تساؤلات حتى يتم فهم كل أبعاد فكر (كولن) الصوفي، وهي:

أولا: ما رأي (كولن) في التصوف من ناحية الانضمام إلى طريقة، والاهتمام بالشكل، والأوراد الخاصة، وغيرها؟.

ثانيا: ما رأي كولن في نظريات التصوف المختلفة، كوحدة الوجود، والحقيقة المحمدية، والولاية الصوفية؟.

والإجابة على هذه التساؤلات سيكون موضع الحديث القادم في هذا المبحث على النحو التالي:

المطلب الأول: رأي كولن في مظاهر التصوف:

سبق وأن عرضت كيف كانت حياة (كولن) الروحية وتقديره للتصوف، ورغم ذلك كان له موقف ونقد لبعض جوانبه ومظاهره التي تستحق النقد من ذلك:

أولا: الاهتمام بالشكل:

يؤكد (كولن) على معنى التصوف الحقيقي بالاهتمام ورعاية الباطن لا التصوف الشكلي القائم على لبس الصوف، أو الانتساب لشيخ وطريقة صوفية، فيقول في أحد مقالاته: "إن الإسلام ليس مجرد شكل، وصورة، ومنظر، وصخب، وكلام جزاف، ولا قيام بمجموعة من الأمور الشكلية، بل على العكس من ذلك إنه أمر قلبي، أي إن الأهم والأساس إلى جانب الشكل هو الجوهر والمعنى، وقد لفت رسول الله(ﷺ)الانتباه إلى تلك الحقيقة بقوله: "إن الله لا ينظر إلى صوركم وأموالكم ولكن ينظر إلى قلوبكم وأعمالكم"،[1] ومستشهدا بقول الشاعر التركي (يونس أمره) [2]في أحد أشعاره:

ليس التصوف بارتداء الخرق والتيجان

فمن يجعل قلبه درويشا لا يحتاج خرقا على الأبدان[3].

وهو هنا متوافق مع فكر (بديع الزمان) الذي يرى أن رعاية الإيمان في القلوب هو الأولى وهو طريق الجنة، فيقول: "لا يمكن دخول الجنة دون إيمان، بينما يدخلها

---

[1]- أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب البر والصلة والآداب، باب تحريم ظلم المسلم وخذله واحتقاره ودمه وعرضه وماله، ص (٤ / ١٩٨٧ رقم ٢٥٦٤).

[2]- يونس أمره البولوي: كَانَ من أصحاب الشَّيْخ طابدق امْرَهْ، وَقد نقل الْحَطب إلى زَاوِيَة شَيْخه مُدَّة كَثِيرَة، وَلم يُوجد فِيهَا حطب معوج أصلا، فسأله الشَّيْخ عَن ذَلِك، فَقَالَ: لَا يَلِيق بِهَذَا الْبَاب شَيْء معوج، وَله كرامات ظَاهِرَة، وَكَانَ صَاحب وجد وَحَال، وَله نظم كثير بالتركية يفهم مِنْهُ أَن لَهُ مقَاما عَالِيا فِي التَّوْحِيد وَمَعْرِفَة عَظِيمَة بالأسرار الالهية، توفى في حدود سنة ٨٤٣ وثمانمائة(ولما توفي في حميد دفن بقرية قاري من قرى كجي بورلي وقبره يزار الآن). حاجي خليفة: سلم الوصول إلى طبقات الفحول ج ٣ ص ٤٤٦. وينظر: عصام الدين طاشْ كُبْري زاده: الشقائق النعمانية في علماء الدولة العثمانية ج ١ ص ٣٧ .

[3]- من مقال (الإسلام الحقيقي والإسلام الشكلي)بموقع HERKULبالعربية بتاريخ ٢٠١٦/٣/١١م.

الكثيرون جدا دون تصوف"[١].

ثانيا: اتباع طريقة صوفية:

أما عن دعوى وجوب إتباع مرشد أو طريقة محددة كما ينادي عامة الصوفية فيردها (كولن).

فتعليقا عما ينسب للشيخ (أبي يزيد البسطامي)[٢] من قوله: "الشيطان مرشد من لا مرشد له وشيخ من لا شيخ له"، يرى (كولن) أن من الخطأ تفسير هذا القول بوجوب الانتساب إلى شيخ أو مرشد ذي طريقة صوفية، ويراه كذلك تفسيرا ضيقا فيقول: "أرى أن هذا القول ذو مغزى واسع يشير إلى أهمية المرشد الكامل وضرورته، بيد أن تفسيره تفسيرا ضيقا كهذا يجعله قولا قبيحا يغلب عليه سوء الظن وأنانية الجماعة، ويتعارض مع عالمية الإسلام وشموله؛ لأن بين أيدينا المبادئ الأساسية للكتاب والسنة، وهي تتسم بالسعة والشمول بحيث تشمل كل القلوب المؤمنة...والخلاصة أن من الخطأ الصرف الاعتقاد بأن النجاة لا تتأتى إلا بالانتساب إلى حركة، أو جماعة، أو طريقة، أو أنه من الضروري الاقتداء بمرشد معين ذي طريقة صوفية، وأن كل من لا ينتسب إليه ضال هالك، إن من يعتقد ذلك فد خسر حيث يؤمل الفوز"[٣].

ودائما ما يؤكد هذا المعنى في عدة مواضع ويردد قول الشاعر (نيازي المصري)[٤](مترجما):

لا تركنن إلى كل مرشد فقد ينقلب الفسيح أمامك ضيقا .

أما من استرشد بالمرشد الكامل سهل عليه اجتياز وسلوك الطريق[٥].

---

[١]- بديع الزمان النورسي : المكتوب الخامس المكتوبات ص ٢٧ .

[٢]- البسطامي: أبو يزيد طيفور بن عيسى بن سروشان(وكان سروشان مجوسيا فأسلم)(١٨٨- ٢٦١ أو أو٢٦٤أو ٢٣٤هـ)، ولطيفور أخوان هما آدم وعلي، والثلاثة كانوا زهادا، وعبادا، وأصحاب أحوال، وهو من أهل بسطام بلد على الطريق إلى نيسابور، ومات سنة إحدى وستين ومائتين، وقيل: سنة أربع وثلاثين ومائتين عن ثلاث وسبعين سنة. ومن كلامه: قعدت ليلة في محرابي فمددت رجلي فهتف بي هاتف: من يجالس الملوك ينبغي أن يجالسهم بحسن الأدب، من عرف الله فإنه يزهد في كل شيء يشغله عنه .أبو عبد الرحمن السلمي: الطبقات الصوفية ص ٢٦- ٢٧. ابن الملقن: طبقات الأولياء ص ١/ ٣٩٨ .

[٣]- كولن: شد الرحال لغاية سامية ص ١٦٧.

[٤]- نيازي المصري [... - ١١٠٥ هـ / ... - ١٦٩٤ م]: محمد بن علي الملاطي، الملقب بنيازي المصري صوفي، مفسر، من مشايخ الخلوتية. توفي بجزيرة (لمنى). من كتبه: أسئلة وأجوبة في التصوف- تعبير الرؤيا- رسالة التوحيد- شرح أسماء الله الحسنى- ديوان الإلهيات- "تفسير سورة الفاتحة" و "تفسير سورة يوسف". ينظر: إسماعيل بن محمد أمين بن مير سليم الباباني البغدادي (المتوفى: ١٣٩٩هـ): هدية العارفين أسماء المؤلفين وآثار المصنفين ص ٢/ ٣٠٥. طبع بعناية وكالة المعارف الجليلة في مطبعتها البهية استانبول ١٩٥١، أعادت طبعه بالأوفست: دار إحياء التراث العربي بيروت – لبنان. وينظر: عادل نويهض : معجم المفسرين «من صدر الإسلام وحتى العصر الحاضر» ج ٢ ص ٥٩٢ .

[٥]- مقال محور أصول الدين /سلسلة الجرة المشروخة من موقع herkul بتاريخ: ٢٩/٤/ ٢٠١٦م.

ثالثا: الزوايا والتكايا الصوفية:

أما عن الزوايا والتكايا والمدارس، فقد أشار (كولن) إلى أنها عندما أدت وظائفها من تعليم وتربية روحية خرجت لنا مجددين عظاما من أمثال (الغزالي) وكانت سببا في نهضة الأمة، وعندما تخلت عن وظيفتها، وسارت مكانا لإقامة المراسيم، ودب فيها التقليد صارت بلاء على الأمة كلها، فيقول: "لقد امتزجت التكايا والزوايا مع المدارس وتعاونتا في ترقية الإنسان، وقلبه، وعقله، ولطائفه كافة، ودفعه ليصل إلى مرتبة الإنسان الكامل"[١].

ثم يقول: "إن الزوايا والتكايا أدت وظائفها كاملة طوال(١٠-١٢) عصرا ونشرت النور في أرجاء الأناضول، وملأت صدور وقلوب الناس بالشوق، والوجد، وكانت تلك عهودا ذهبية...أما في العهود التي عجزت عن أداء دورها ووظائفها، فقد أصبحت هذه المدارس مثل كل شيء آخر بلاء لأمتها ولدولتها ولحكامها"[٢].

إذن (كولن) كان منصفا في نظرته للتصوف، فهو وإن أعطاه التقدير المناسب كزاد لحياتنا الروحية، إلا أنه انتقد فيه ما يستحق النقد، من الاهتمام بالمظاهر وترك الجوهر.

---

[١]- أسئلة العصر المحيرة ص ٢٥٧ .
[٢]- السابق ص ٢٥٧ .

المطلب الثاني: موقف كولن من بعض النظريات الصوفية:

هناك بعض النظريات الصوفية كان لكولن رأي فيها ما بين القبول بها وما بين الرد عليها مع تبرئة ساحة أصحابها، ومحاولة التبرير والاعتذار عنهم أيضا، وهي على النحو التالي:

أولا: نظرية وحدة الوجود:

كان (ابن عربي) هو أول من صاغ أصول مذهب وحدة الوجود كما يرى (ماسينيون)، ويذهب الدكتور (عفيفي) إلى نفس الرأي، فيقول: "ولم يكن لمذهب وحدة الوجود وجود في الإسلام في صورته الكاملة قبل (ابن عربي)[١].

وهذا المذهب يحل الألوهية من الوجود المحل الأول، فالله هو الحقيقة الأزلية والوجود المطلق الذي هو أصل كل ما كان، وما هو كائن أو سيكون، فإن نسب إلى العالم وجودا، فهو كوجود الظلال بالنسبة إلى أشخاصها، وصور المرايا بالنسبة للمرئيات، أما العالم نفسه فليس إلا خيالا وحلما، والوجود الحقيقي هو وجود الله وحده؛ ولذا لم يحتج إلى دليل فهو عين الدليل، وبه تظهر جميع الموجودات، وإنما خفي الحق لشدة ظهوره كالشمس تحتجب عن الناظر إليها لشدة ما يبهر ضوؤها بصره[٢].

يقول (ابن عربي) في فص حكمة قدوسية في كلمة إدريسية: "وهو من حيث الوجود عين الموجودات، والمسمى محدثات هي العلية لذاتها، وليست إلا هو، فهو العلي لا علة إضافة؛ لأن الأعيان التي لها العدم الثابتة فيه ما شمت رائحة من الموجود فهي على حالها مع تعداد الصور في الموجودات، والعين واحدة من المجموع في المجموع فوجود الكثرة في الأسماء وهي النسب وهي أمور عدمية وليست إلا العين الذي هو الذات"[٣].

فالوجود الذي يعترف به، هو وجود الله تعالى، والموجودات ما هي إلا نسب وصور عدمية لا وجود لها، ويقول أيضا:

"إن الحق المنزه هو الخلق المشبه وإن كان قد تميز الخلق من الخالق فالأمر الخالق المخلوق، والأمر المخلوق الخالق كل ذلك من عين واحدة، لا، بل هو العين الواحدة وهو العيون الكثيرة"[٤]، إذن فالخلق هم عين الحق فلا تعدد ولا كثرة في الوجود فلا وجود حقيقي إلا للحق تعالى، وهو ما عبر عنه بقوله:

فالحق خلق بهذا الوجه فاعتبروا وليس خلقا بذاك الوجه فاعتبروا

من يدر ما قلت لم تخذل بصير ته وليس يدريه إلا من له بصر

---

[١]- ابن عربي: فصوص الحكم ص ٢٥.
[٢]- ينظر: تعليقات دكتور أبو العلا عفيفي على فصوص الحكم ص ٢٧ .
[٣]- ابن عربي: فصوص الحكم ص ٧٦.
[٤]- السابق ص ٧٨.

جمع وفرق فإن العين واحدة   وهي الكثرة لا تبقي ولا تذر[١].

فكل النصوص تشير إلى إثبات عين واحدة في الوجود، وهي الذات الإلهية، أما الموجودات فتعد في عرفه صور ونسب عدمية لا اعتبار ولا وجود لها على الحقيقة.

رأي فتح الله كولن:

يفرق (كولن)بين الصوفية والمتصوفة في هذه المسألة، (فالمتصوفة هم من يشتغلون بنظريات التصوف، أما الصوفية فهم أرباب الحقيقة حقا)، فيرى أن أصحاب وحدة الوجود هم المتصوفة، أما الصوفية، فيقولون بوحدة الشهود[٢]وهذا المفهوم مرده إلى الاستغراق وتغلب الحال عليهم والقصور في التعبير عما يجدونه في أفئدتهم[٣].

ويقرر أن هناك ثلاث مراتب للتوحيد عند أصحاب وحدة الوجود وهي:

١- توحيد الأفعال: ومعناه إسناد كل فعل في الكون إلى الله تعالى، فالأفعال كلها أيا كان سببها هي أفعال الله مباشرة، ولا داعي هنا للحديث عن مسألة الخلق والكسب، ويستدلون بآيات منها: ﭽ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜﭼ [٤].

٢- توحيد الصفات: الاعتقاد بأن القوة كلها قدرة الله، والعلم كله علم الله، وكذا كل القوى بمختلف أنواعها مصدرها قوة الله تعالى.

٣- توحيد الذات: ليس هناك إلا وجود واحد وهو وجود الله، وما سواه ليس سوى ظهور وتجليات منه.

وإذا انحصر هذا المفهوم في الذوق والحال- كما يقول كولن- فلا مجال لنقده أو الاعتراض عليه فهم يعترفون بالكثرة ولكن في حال الاستغراق يتلاشى في نظرهم كل ما سوى الله[٥] .

فكثير من أقوال الصوفية، وإن كان ظاهرها وحدة الوجود مثل: (ابن عربي) و(الرومي) ولكنها كانت مسألة ذوق وحال، وهو ما يسمى "بالفناء في التوحيد"[٦] بدليل أنهم يعترفون يعترفون بالاثنينية في كلمات أخرى، وبالكثرة في الوجود، وفي الحقيقة هي وحدة شهود.

١- ابن عربي: فصوص الحكم ص ٧٩.

٢- وحدة الشهود: "مصطلح صوفي يعني حالة أو تجربة تصل بالصوفي العارف إلى مقام الشهود في نهاية طريق المعرفة وذلك بشهود الله والتعرف عليه والانقطاع عمن سواه بل وفقدان التمييز بين نفسه وبين ذات الله ..طابعها شخصي.. وتثبت الثنائية بين الخالق والمخلوق". الندوة العالمية للشباب الإسلامي: الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة، إشراف: دكتور/ مانع بن حماد الجهني، المجلد الثاني ص ١١٧٨ الناشر: دار الندوة العالمية للطباعة والنشر والتوزيع، ط الثالثة:١٤١٨هـ.

٣- ينظر: كولن: نحو عقيدة صحيحة ص٢٤ ، ١٦٣.

٤- سورة الصافات الآية: ٩٦.

٥- ينظر: كولن: نحو عقيدة صحيحة ص١٣- ١٤.

٦- الفناء: "عبارة عن ذهاب تمسك العبد لاستهلاكه في حضرات القرب بحيث يفنى عن كل ما سوى مشهوده". القاشاني: لطائف الإعلام ج ٢ ص ٢٢١، .

يقول كولن: "صحيح أن (ابن عربي) قال بوحدة الوجود إلا أنه بدلا من معنى: "لا وجود لأي موجود سوى الله" كان يعني: "لا وجود حقيقي وقائم بذاته سوى الله" أي كان يومئ إلى وحدة الشهود من بعيد"[١].

أما المتصوفة فمبنى كلامهم فكرة فلسفية غربية، فالوجود عندهم واحد وهو وجوده تعالى، ويستدلون على ذلك بالآيات والأحاديث التي ترد كل شيء إلى الله مثل قوله: چپ پ پ پ پ پ پ پت چ[٢]، وحديث: " يا ابن آدم مرضت فلم تعدني"[٣] ونحوه[٤].

أما وحدة الوجود فحالة تقع من الصوفية أثناء الوجد وتغلب الحال، ولكن لم يقولوا بوحدة الموجود ذلك المذهب الفلسفي المادي، ويرى أن خطأ الصوفية هو حكمها على الأشياء بالشعور، والمشاهدة، وإهمال موازين السنة، فيقول: " أما وحدة الوجود فعبارة عن حال واستغراق فلا صلة لها بالمادية ألبتة، بل هي بخلافها فهي إنكار ونفي للموجودات لإثبات وجود الله؛ وخطؤها هو حكمها على الأشياء بالشعور والمشاهدة، وإهمال موازين السنة"[٥].

ويرى أن الخطأ الذي اقترفه (ابن عربي) وغيره أنهم في حالة الصحو واليقظة لم يصححوا ما ذكروه في حالة الاستغراق؛ لأنهم يرون أن العالم الحقيقي هو العالم الذي يعيشون فيه بسكرهم واستغراقاتهم ويعدون العودة إلى عالمنا عودة إلى النوم كما يعلل (كولن) فيقول: "إن (محيي الدين بن عربي) لطالما كتب عن مواجيده واستغراقاته، فليته في الصحو واليقظة صحح ما ذكره في حالة الاستغراق...هؤلاء العظماء أمثال (محيي الدين بن عربي) عندما تأتيهم تجليات ربانية في خلوتهم ينجذبون إليها، ويرون ذلك العالم هو العالم الحقيقي، فتفكر عقولهم، وتسطر أقلامهم بموازين ومقاييس ذلك العالم الذي هو حقيقة عندهم حلم عندنا، ثم يصوغون ما كتبوه، ولا يحاولون التوفيق بين ما كتبوه وبين خصائص عالمنا هذا، ولو أنهم علموا أن هذا العالم هو العالم الحقيقي لصححوا أخطاءهم وهم في ذلك العالم"[٦].

ويعتذر عنهم باعتذار آخر أن بعض ما ورد في كتبهم مثل كتب (الرومي) مدسوس عليهم، دسها أعداء الإسلام لتشويه الإسلام، وعلى كل ينبغي الحذر من رمي الاتهامات بهؤلاء الأصفياء، فغاية قولهم اعتبار عالمنا خيال بالنسبة لهم، ونفي الموجودات لإثبات وجود الله.

إضافة إلى ذلك يورد قول (ابن عربي): "حرام على غيرنا قراءة كتبنا"[٧].

١- أسئلة العصر المحيرة ص ١٤٦.
٢- سورة الأنفال: الآية ١٧ .
٣- أخرجه مسلم في صحيحه، باب فضل عيادة المريض، كتاب البر والصلة والآداب (ج ٤ ص ١٩٩٠رقم ٢٥٦٩).
٤- ينظر: نحو عقيدة صحيحة. ص ٢١- ٢٤.
٥- ينظر: نحو عقيدة صحيحة. ص ١٦٧.
٦- نحو عقيدة صحيحة ص ١٦٨.
٧- ينظر: نحو عقيدة صحيحة ص ١٦٩.

وهو موقف أرى أنه الحل المناسب للتعامل مع فكر وشطحات الصوفية فما كتبه هؤلاء خاص بالطائفة وبلغة لا يفهمها إلا هؤلاء، أما العامة فلا يجوز لهم الاطلاع على كتبهم لعدم اللبس والتهمة.

وبعد الاعتذار عن الصوفية في قولهم في وحدة الوجود قام (كولن) بالرد على أصحاب هذه النظرية، ودحضها بعدة أدلة:

١- "الاعتقاد بأن الإله يسري في الكون كله في كل مكان وفي كل شيء، يعني أن كل شيء إله ثمينا كان أم خسيسا، وهذا ما يرفضه العقل والنقل قطعا"[١].

٢- يبرهن القرآن بالأشياء أحيانا على وجود الله ووحدانيته، وهذا دليل على أن حقائق الأشياء ثابتة. وهو ما ذهب إليه أهل السنة جميعا[٢].

٣- في القرآن آيات كثيرة تنص على أن كل شيء هالك إلا وجهه، ثم تبشر بالعوالم الجديدة المعقبة لهذا الهلاك، فالهلاك فناء شيء موجود، والكلام عن هلاك ما لم يوجد أصلا عبثا، والقرآن منزه عن العبث.

٤- الأنبياء والمرسلون كلهم علموا أممهم أن كل شيء كبيره وصغيره أوجد وخلق بعد عدم، وأن علاقته بمن أوجده علاقة مخلوق بخالقه، فما يقوله المتصوفة حول وحدة الوجود يكذب الأنبياء وما أوحي إليهم.

٥- في القرآن آيات ترغيب وترهيب فهذه الآيات لن تكون لها دلالة على شيء وفقا لمفهوم وحدة الوجود، فالقول بوحدة الوجود يستحيل أن نجيب معه عن الأسئلة التالية "من المطيع ؟وأين الثواب؟ ومن المجرم ؟وأين العقاب؟.

٦- "لو عدت الأشياء هي هو والحوادث الجارية مظهرا من مظاهره، فلا معنى لذم الشرك والمشركين والأصنام وعبدة الأصنام ..لكن القرآن والسنة أثبتا عقيدة التوحيد وهما أعظم خصم للشرك وعبادة الأصنام"[٣].

يقصد أنه طالما كل الأشياء متساوية في كونها هي الله إذن لا فرق بين الكفر والإيمان، وهذا يناقض القرآن والسنة.

٧- مفهوم وحدة الوجود الفلسفي يستلزم قدم المادة، وهذا كفر بالإجماع وأولياء الله برآء من ارتكابه[٤].

إذن فهذه العقيدة باطلة عقلا ونقلا، ومتناقضة مع الإسلام ومصدريه القرآن والسنة، ومستحيلة في حق الله؛ ومن ثم يجب تنزيهه عن ذلك، ورفض ذلك المذهب.

١- نحو عقيدة صحيحة ص ٢٤.
٢- ينظر: سعد الدين التفتازاني: شرح العقائد النسفية ص ١٢- ١٤. وينظر: حاشية الإمام الباجوري على جوهرة التوحيد ص ٣١٦ .
٣- نحو عقيدة صحيحة ص ٢٥.
٤- السابق.

وأخيرا يرى (كولن) أن وحدة الوجود عند الصوفية، وعند الفلاسفة، وإن تشابها في الظاهر، ولكن بينهما فروق عدة، وهي:

أن الفلاسفة ترى أن الله والعالم شيء واحد، وهذا يحتمل معنيين:

الأول: "أن الموجود الحقيقي الوحيد هو الله، أما العالم فمجموعة مظاهر أو أشكال وفيوضات، وهذا ما ذهب إليه (سبينوزا) [١][٢]".

الثاني: "الموجود الحقيقي الوحيد هو العالم والله - حاشا لله- هو مجموع الكائنات، وهذا مذهب الوجودية الطبيعية أو الوجودية المادية وعليه هيجل وأنصاره[٣]؟"، وعلى ذلك يمكن حصر عدة فروق :

١- يعبر الصوفية عن فنائهم في واجب الوجود بإنكار العالم، أما هؤلاء فيحاولون إنكار خالق العالم .

٢- تستلزم وحدة الوجود عند الصوفية وحدة الشهود، أما الآخرين فتستلزم وحدة الموجود.

٣- في كلام الصوفية متشابهات؛ لقصور في التعبير عن أحوالهم ومشاهداتهم، أما كلام الآخرين فهو مسلك للتفلسف.

٤- الصوفية ينطلقون من اعتقادهم بالله، ثم ينظرون إلى الأشياء والحوادث في ضوء هذا، أما الآخرون فيجعلون الله تابعا للكائنات.

---

[١]- باروخ سبينوزا(١٦٣٢م وقيل ١٦٣٤- ١٦٧٧م) فيلسوف هولندي، قيل عنه: أعلى الفلاسفة قدرا في الجانب الأخلاقي، ولد يهوديا ولكنه لم يكن محافظا على تعاليم اليهودية، وتهيمن على فلسفته فكرة الله ومع ذلك حرم من الانتماء إلى اليهودية ومقت من قبل المسيحية لنقده الإنجيل ، تطرق إلى كل ميادين المعرفة فبحث في الميتافيزيقا، والأخلاق، والسياسة، وكانت له آراء سديدة في اللاهوت، على المستوى السياسي نادى بالتسامح، وتأمين التفكير الحر للمواطنين، وإفساح المجال لممارسة الفضائل المسيحية، وأنشأ مذهبا أخلاقيا مؤسسا على معرفة الله. من مؤلفاته: تأملات ميتافيزيقية- رسالة في الأخلاق- في إصلاح العقل – الرسالة اللاهوتية السياسية. ينظر: برتراندرسل: تاريخ الفلسفة الغربية الكتاب الثالث الفلسفة الحديثة ص ١٠٩. وينظر: موسوعة أعلام الفلسفة العرب والأجانب ج ١ ص ٥٤٨ .

[٢]- يعتقد اسبينوزا بوجود جوهر واحد فقط "الله أو الطبيعة"، وليس ثمة شيء متناه موجود بذاته والنفوس الفردية والأجزاء المنفصلة للمادة هي عند اسبينوزا نعتية هي ليست أشياء، بل محض مظاهر للكائن الحي، وتتثمل في أن تغدو شيئا فشيئا مع الله، والأشياء المتناهية كلها نفي ليس لها حدود تعرف بها ولا يمكن أن يكون هنالك إلا كائن واحد يكون إيجابيا لا متناهيا على الإطلاق. ينظر: برتراند رسل: تاريخ الفلسفة الكتاب الثالث، الفلسفة الحديثة ص ١١١.

٣- كان هيجل أميل إلى الأخذ بوجهة النظر الإنسانية إلى الدين تلك التي تستغرق الحياة الإلهية في الحياة الإنسانية، ولكن مع ذلك يؤكد أن الروح المطلق عال على الروح الطبيعي مع اعترافه بأنه لا قيام للواحد بدون الآخر؛ ولذا يرى هيجل ضرورة تحقيق الوحدة بين الروح المتناهي والروح اللامتناهي عن طريق هبوط اللامتناهي إلى مستوى المتناهي وارتفاع المتناهي إلى مستوى اللامتناهي، والحق- عنده- أن الروح المتناهي ليس هو شيئا آخر سوى الروح المطلق حين يصبح واعيا بذاته؛ حيث يرى أن الإنسان لما أله الصور الجزئية المتعددة تفتت اللامتناهي إلى مجموعة لا حصر لها من الأرواح وكأن الأشياء المتناهية نفسها قد أصبحت هي الله، وحين عبد النبات والحيوان كان يرى المطلق في كل شيء وكأن وحدة الروح المطلق قد انقسمت إلى كثرة من الأرواح. ينظر: د/ زكريا إبراهيم: هيجل أو المثالية المطلقة سلسلة عبقريات فلسفية، ص ٤١٠- ٤١٤، مكتبة مصر- القاهرة.

٥- إن ما عند الصوفية ذوق، وما عند الفلاسفة نظرية صرفة.

٦- مسلك الأولين قائم على التواضع، وإنكار الذات، وأما مسلك الآخرين فقائم على التشبه بواجب الوجود[١].

إذن ينفى كولن عن الصوفية أي انجراف إلى نظرية وحدة الوجود ويلصقها بالمتصوفة أو الفلاسفة.

وانتقد هذه الفكرة أيضا (بديع الزمان) بشكل أكثر تصريحا إذ يذكر رأي الصوفية، ثم يرد قائلا: "الموجودات ليست أوهاما كم يدعي أصحاب وحدة الوجود، بل هذه الأشياء الظاهرة هي من آثار الله سبحانه وتعالى، إذن فليس صحيحا قولهم لا موجود إلا هو، وإنما الصحيح لا موجود إلا منه"[٢]، بل وينتقد (ابن عربي) بأنه لا يخدع ولكن ينخدع وهو مهتد لكن لا يكون هاديا لغيره في ما كتبه[٣].

وقديما انتقدها ابن تيمية ورأى أقوال (ابن عربي) كفرا ولكن لم يحكم عليه بالكفر فقال عن مقالة (ابن عربي) في فصوص الحكم: " وهي مع كونها كفرا فهو أقربهم إلى الإسلام لما يوجد في كلامه من الكلام الجيد كثيرا؛ ولأنه لا يثبت على الاتحاد ثبات غيره، بل هو كثير الاضطراب فيه، وإنما هو قائم مع خياله الواسع الذي يتخيل فيه الحق تارة والباطل أخرى، والله أعلم بما مات عليه"[٤].

ثانيا: الحلول[٥] والاتحاد[٦]:

لم يميز بعض الباحثين بين المصطلحين وبحثوهما كمترادفين ومنهم من فرق بينهما، ولكن مآلهما إلى نفس الحقيقة وهي خلع الألوهية عن الله تعالى بحلوله في الأجسام البشرية أو اتحاده معها، وفي هذا أو ذاك إخلال بتنزيه الله وتقديسه، ونزول به إلى درك البشرية ونقصانها.

---

[١]- نحو عقيدة صحيحة ص ٢٦- ٢٧.
[٢]- النورسي: المكتوب الثامن عشر من رسالة المكتوبات ص ١٠٦. .
[٣]- ينظر: النورسي: اللمعات كليات رسائل النور ص ٥٢ .
[٤]- ابن تيمية: مجموع الفتاوى ج٢ ص ١٤٣، تحقيق: عبدالرحمن بن محمد بن قاسم، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف ١٤١٦هـ- ١٩٩٥م. .
[٥]- الحلول: الحلول يلزم منه الافتقار والحاجة إلى محل، والمماسة، والانتقال، وهذه صفات الأجسام، والحلولية: من يزعمون أن الحق تعالى اصطفى أجساما حل فيها بمعاني الربوبية وأزال عنها معاني البشرية .ينظر: د/ رفيق العجم: موسوعة مصطلحات التصوف ص ٦، مكتبة لبنان ناشرون، ط الأولى ١٩٩٩م.
[٦]- الاتحاد: له عدة معاني عند الصوفية، منها: تصيير الذاتين ذاتا واحدة، وهذا محال فإن كان فهو حال أما كونه محالا؛ فلأنه إن كان عين كل واحد منهما موجودا في حال الاتحاد، فهما اثنان لا واحد، وإن عدمت العين الواحدة فقط، فليس باتحاد بين شيئين، وإن عدما كان عدم الاتحاد أظهر، وأما أنه حال فلما يعرض لأصحاب المواجيد حالة الاستغراق في حضرة المحبوب بحيث لا يجد غير محبوبه، ومنها: أن يراد اتحاد جميع الموجودات في الوجود الواحد من غير أن يلزم من ذلك انقلاب الحقائق أو حلول شيء في شيء، بل المراد أن كل ما سوى الحق لا حقيقة له إلا بالحق ، ومنها: رؤية الأشياء بعين التوحيد ، ومنها: حالة من يكون الحق سمعه وبصره ولسانه ويده على المعنى الذي يليق به تعالى نتيجة التقرب بالنوافل كما أشار الحديث. ينظر: عبد الرازق القاشاني: معجم المصطلحات والإشارات الصوفية لطائف الإعلام في إشارات أهل الإلهام المجلد الأول ص ١٥٩- ١٦٣.

وأول من صاغ نظرية الحلول هو (أبو الحسين منصور الحلاج) مفرقا بين ناحيتين مختلفتين في الطبيعة الإنسانية هما اللاهوت والناسوت، وهما في نظره طبيعتان لا تتحدان أبدا، بل تمتزج إحداهما بالأخرى كما تمتزج الخمر بالماء[١].

وقد عبر (الحلاج) عن الحلول والاتحاد في أبيات كثيرة من ديوانه منها:

مزجت روحك في روحي كما تمزج الخمرة بالماء الزلال

فإذا مسك شيء مسني فإذا أنت أنا في كل حال[٢]

ويقول أيضا:

أنا من أهوى ومن أهوى أنا نحن روحان حللنا بدنا

نحن مذ كنا على عهد الهوى تضرب الأمثال للناس بنا

فإذا أبصرتني أبصرته وإذا أبصرته أبصرتنا

أيها السائل عن قصتنا لو ترانا لم تفرق بيننا

روحه روحي وروحي روحه من رأى روحين حلت بدنا[٣].

وله غير ذلك الكثير من النظم في التأكيد على هذه النظرية التي تقرر أن لا فواصل أو تمييز بينه وبين الله، فالناظر إلى أحدهما كأنه ناظر إلى الآخر، فقد امتزجت روحهما كالماء والخمر، أو كأنهما روحان حلا في بدن واحد.

أما عن رأي (كولن) في هذه النظرية فيرى وجوب التزام الصوفية بظاهر الشريعة وعدم مخالفتها، ولكن ما يصدر عنهم من أقوال تدل على الحلول و الاتحاد فهي أمور مردودة، ولكن لا ينبغي التسرع في إصدار الأحكام على قائلها بالكفر، أو الزندقة، أو ما شابه ذلك، وحملها على محمل آخر؛ لأنها تكون وقت غلبة حال أو ذوق.

فنجده وهو يتحدث عن أعلى درجات المحبة، والتي أسماها: (محبة خواص الخواص) حيث إن المحب الذي نال هذه الحظوة، قد يتمتم بما يستشعره ويتحدث به بكلمات مشوبة بالحلول والاتحاد، فيقول (كولن) عن هذا الحال: "ففي أمثال هذه المواقف فالحذر واليقظة وموازين السنة النبوية هي الأساس، أما رجال الحق الذين غلب عليهم الحال وهم مخمورون بحظوظ المشاهدة فقد يتلفظون بأمور مخالفة لهذه الحقيقة ففي أمثال هذه المواقف ينبغي البحث بإنصاف عن نياتهم، وعدم الاستعجال في إصدار الحكم عليهم، وإلا سيضمر العداء للكثيرين من دون شعور ممن نالوا المعية الإلهية بمضمون الحديث

---

[١]- ينظر: تعليقات الدكتور أبو العلا عفيفي على فصوص الحكم ص ٣٦.
[٢]- قاسم محمد عباس: الحلاج الأعمال الكاملة، رسالة الديوان ص ٣١٠ ، الناشر: رياض الريس للكتب والنشر- بيروت- لبنان، ط: الأولى مارس ٢٠٠٢م .
[٣]- الحلاج: الديوان ص ٣٣٠.

الشريف: "المرء مع من أحب"[١]، ويكون قد أعلن الحرب على الله وفق مضمون الحديث القدسي: "من عادى لي وليا فقد آذنته بالحرب"[٢] .

ومع إنكاره لتلك النظريات (الحلول والاتحاد)، واضطلاعه بالرد عليها كما سبق في رده على وحدة الوجود، فهو لا يرتضي تكفير أصحابها، ويتبنى تأويل كلامهم كما فعل مع (ابن عربي)، وهو موقف كثير من العلماء قديما وحديثا كابن تيمية[٣].

ثالثا: الإنسان الكامل والحقيقة المحمدية:

كان للحلاج أكبر الأثر في وضع أساس هذه النظرية الفلسفية التي اشتهرت فيما بعد عند (ابن عربي) و(الجيلي) [٤] بالإنسان الكامل إذ هو أول من تنبه إلى الأثر القائل: "إن الله خلق آدم على صورته"[٥]،وبنى على هذا نظريته في الحلول مفرقا بين ناحيتين مختلفتين في الطبيعة الإنسانية هما اللاهوت والناسوت، وهما في نظره لا تتحدان أبدا، بل تمتزج إحداهما بالأخرى، وأخذ (ابن عربي) هذه الفكرة (فكرة تأليه الإنسان) من الحلاج، ولكنه اعتبر اللاهوت والناسوت مجرد وجهين لا طبيعتين منفصلتين لحقيقة واحدة؛ ولذا يتجلى فيه الحق في أعلى صور الوجود وأكملها [٦].

أما عن (الحلاج) فقد عرض لفكرته في كتابة (الطواسين) تحت طاسين السراج إذ يقول: "أنوار النبوة من نوره برزت، وأنوارهم من نوره ظهرت، وليس في الأنوار نور أنور وأظهر وأقدم من القدم سوى نور صاحب الكرم، همته سبقت الهمم ووجوده سبق العدم، واسمه سبق القلم لأنه كان قبل الأمم"[٧].

---

[١]- الحديث أخرجه البخاري في صحيحه ينظر: صحيح البخاري باب علامة حب الله عز وجل(ج ٨ ص ٣٩رقم ٦١٦٨).

[٢]- التلال الزمردية ص ٢١٣، والحديث أخرجه البخاري، ينظر: صحيح البخاري باب التواضع (ج ٨ ص ١٠٥ رقم ٦٥٠٢).

[٣]- يقول ابن تيمية: "فإن كلام المشايخ المصرح بِأَن الله فَوق الْعَرْش كثير منتشر فَإِذا وجد عَن بَعضهم مَا يُخالف ذلك كان ذلك خلافا لهم، والصوفية يوجد فيهم المصِيب والمخطئ كما يوجد فِي غيرهم وَليسوا فِي ذَلِك بِأَجل من الصحابة والتابعين وليس أحد مَعْصوما فِي كل ما يقوله إِلا رسول الله- ﷺ- نعم وقوع الغلط فِي مثل هذا يوجب ما نقوله دائما إن المجتهد في مثل هذا من المؤمنين إن استفرغ وَسعه فِي طلب الْحق فَإِن الله يغْفر لَهُ خطأه وَإِن حصل مِنْهُ نوع تقصير فهو ذنب لَا يجب ان يبلغ الْكفْر ... فإن التكفير المطلق مثل الوعيد المطلق لا يستلزم تكفير الشخص المعين حتى تقوم عليه الحجة التي تكفر تاركها". و كذا أنكر في الفتاوى ما نسب إلى رابعة العدوية من أقوال تقتضي الكفر وقال هذا كذب وباطل عليها، وكذا نفي ما نسب إلى أبي سليمان الداراني من قول يقتضي الكفر وأثنى عليه. ابن تيمية: الاستقامة ص ١/ ١٦٣، ص ٢/ ٦٥. مجموع الفتاوى ص ٢/ ٣١٠. المحقق: عبد الرحمن بن محمد بن قاسم، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، المدينة النبوية، المملكة العربية السعودية، ١٤١٦هـ/١٩٩٥م.

[٤]- الجيلي [٧٦٧ - ٨٣٢ هـ / ١٣٦٥ - ١٤٢٨ م]:عبد الكريم بن إبراهيم بن عبد الكريم الجيلي، القادري، قطب الدين، ابن سبط الشيخ عبد القادر الجيلاني. من علماء المتصوفين. من مؤلفاته: "تفسير القرآن" و "الكهف والرقيم في شرح بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ"، و "الغايات في معرفة معاني الآيات والأحاديث المتشابهات. عادل نويهض : معجم المفسرين «من صدر الإسلام وحتى العصر الحاضر» ج ١ ص ٢٩٦.

[٥]- أخرجه مسلم في صحيحه بلفظ: "إذا قاتل أحدكم أخاه، فليجتنب الوجه، فإن الله خلق آدم على صورته": باب النهي عن ضرب الوجه كتاب البر والصلة والآداب(ص ٢٠١٧/٤.رقم ٢٦١٢).

[٦]- ينظر: التعليقات على فصوص الحكم ص ٣٥- ٣٦.

[٧]- قاسم محمد عباس: الحلاج الأعمال الكاملة، (كتاب الطواسين) ص ١٦٢ .

وهذا النص يقرر قدم النور المحمدي وأنه الأصل، والنور الأول الذي استمدت الأنبياء والأولياء والأكوان منه.

ويقول أيضا: "العلوم قطرة من بحره، والحكم غرفة من نهره، الأزمان كلها ساعة من دهره، الحق به، وبه الحقيقة، هو الأول في الوصلة، هو الآخر في النبوة، والباطن بالحقيقة والظاهر بالمعرفة"[١].

وهنا يشير إلى حقيقتين للنبي- ﷺ- حقيقة قديمة حيث كان الأول في الوجود، وحقيقة حادثة وهي كونه آخر الأنبياء- عليهم السلام-.

أما عن (ابن عربي)فالإنسان الكامل والحقيقة المحمدية جزء من نظرية أوسع وأعمق هي نظرية الكلمة الإلهية، وقد قسمها إلى ثلاث مسائل:

١- الكلمة من الناحية الميتافيزيقية، ويسميها حقيقة الحقائق، وهي مرادفة للعقل الإلهي، أو العلم الإلهي.

٢- الكلمة من الناحية الصوفية وهي الحقيقة المحمدية.

٣- الكلمة بمعنى الإنسان الكامل[٢].

ترى هذه الفكرة أن الله تعالى لما شاء أن يتجلى للوجود بأسمائه وصفاته جعل الإنسان الكامل مرآة لظهوره وتجليا لأسمائه وصفاته، فخلق آدم وجنسه البشري فالإنسان الكامل إذن هو المرموز إليه بآدم، هو الجنس البشري في أعلى مراتبه لم تجتمع كمالات الوجود العقلي والروحي والمادي إلا فيه، وأعلى مراتب الإنسان هي مرتبة الأنبياء والأولياء، وأكمل هؤلاء هو محمد (ﷺ)لا محمد النبي المبعوث، بل الحقيقة المحمدية أو الروح المحمدي، فإنه هو المظهر الكامل للذات الإلهية والأسماء والصفات، وهو للحق بمنزلة إنسان العين من العين، وسيظل العالم محفوظا مادام فيه هذا الإنسان الكامل[٣].

فالله تعالى لما أراد أن يعرف بين خلقه جعل الإنسان الكامل مرآة لظهوره فخلق آدم وكل من بلغ الكمال من جنسه فهو الإنسان الكامل وأعلى مراتبه الأنبياء والأولياء وأكملهم محمد - ﷺ- ومحمد له حقيقتان: حقيقة قديمة باعتباره أول الخلق، ومنه انبثقت سائر أنوار الكاملين، وله حقيقة حادثة باعتباره خاتم الأنبياء والمرسلين.

ويقول (ابن عربي) عن الحقيقة المحمدية في فص حكمة فردية في كلمة محمدية: "إنما كانت حكمته فردية؛ لأنه أكمل موجود في هذا النوع الإنساني ولهذا بُدئ به الأمر وختم، فكان نبيا وآدم بين الماء والطين، ثم كان بنشأته العنصرية خاتم النبيين"[٤].

---

[١]- قاسم محمد عباس: الحلاج الأعمال الكاملة ص ١٦٣ .

[٢]- ينظر: الشيخ محيي الدين ابن عربي: فصوص الحكم تعليقات الدكتور أبو العلا عفيفي عليها ص ٣٨، دار الكتاب العربي- بيروت - لبنان.

[٣]- ينظر: الشيخ/ محيي الدين ابن عربي: فصوص الحكم ص ٤٨- ٥٠، وتعليقات الدكتور: أبو العلا عفيفي عليها ص ٣٧ .

[٤]- الشيخ محيي الدين ابن عربي: فصوص الحكم ص ٢١٤.

إذن فمحمد أكمل مراتب الإنسان الكامل، وله حقيقتان: أزلية، وهي الحقيقة المحمدية، وحادثة باعتباره النبي المبعوث خاتم الأنبياء.

وجاء من بعد (ابن عربي) الشيخ عبد الكريم الجيلي، واعتبر هو صاحب فلسفة الإنسان الكامل في التصوف الإسلامي[١]فيرى أن الإنسان الكامل هو القطب الذي تدور عليه أفلاك الوجود من أوله إلى آخره، وهو واحد منذ كان الوجود إلى أبد الآبدين، وله تنوع في صور شتى، ويسمى باعتبار لباسه وصورته هذي، ولكن اسمه الأصلي محمد (ﷺ)، و الله خلق محمدا من كماله، وجعله مظهرا لجماله، وكماله، والأنبياء والأولياء كمل، وهو الأكمل(ﷺ)[٢].

وتقوم فكرة الحقيقة المحمدية على أن للنبي محمد (ﷺ) وجود قبل وجود الخلق، وقبل وجوده الزماني في صورة النبي المرسل، وأن هذا الوجود قديم غير حادث، وهو مما يعبر عنه بالنور المحمدي.

وهذا النور المحمدي ينتقل في الزمان من جيل إلى جيل، وأنه هو الذي ظهر بصورة آدم، ونوح، وإبراهيم، وموسى، وغيرهم من الأنبياء، ثم ظهر أخيرا بصورة خاتم النبيين محمد (عليه الصلاة و السلام)، ويتصور في كل زمان بصورة أكملهم ليعلي شأنهم فهم خلفاؤه في الظاهر، وهو في الباطن خليفتهم[٣] .

وبهذا أ رجعوا جميع الأنبياء من آدم إلى محمد، - وكذلك الأولياء- إلى أصل واحد وهو النور المحمدي أو الحقيقة المحمدية.

رأي فتح الله كولن :

دائما ما يردد (كولن) مصطلح الإنسان الكامل كمرتبة يصل إليها الإنسان الذي ترقي في مراتب ودرجات الطريق الصوفي حتى تأهل لهذه المرتبة، فمثلا من أقواله تلك: "لقد امتزجت التكايا والزوايا مع المدارس وتعاونتا في ترقية الإنسان، وقلبه، وعقله، ولطائفه كافة، ودفعه ليصل إلى مرتبة الإنسان الكامل"[٤].

وعند تقسيمه للصوفية أشار إلى أن الصوفية يقسمون الناس إلى ثلاثة أقسام:

الكاملون – السالك- المقيم ، والكاملون قسمان: الأول : الأنبياء والرسل، والثاني: الكملون: الذين وصلوا إلى الحق باتباعهم الأنبياء وانقيادهم لهم، فيقول عنهم: "فهؤلاء يمثلون حقا الإنسان الكامل من حيث سماء استعدادتهم "[٥].

وكثير ما يطلق على النبي (ﷺ)مسميات من هذا القبيل مثل (الإنسان الأفق)، وهو الذي

---

[١]- ينظر: مقدمة كتاب الإنسان الكامل في معرفة الأواخر والأوائل للشيخ عبد الكريم الجيلي ص ٥ ضبطه وعلق عليه: الدكتور: عاصم ابراهيم الكيالي الحسيني الشاذلي الدرقاوي.
[٢]- ينظر: الجيلي: الإنسان الكامل ص ٢٠٧.
[٣]- ينظر: الجيلي: الإنسان الكامل في معرفة الأواخر والأوائل ص ٢٢٤.
[٤]- كولن: أسئلة العصر المحيرة ص ٢٥٧.
[٥]- كولن: التلال ص ٢٩.

تسنم الذرى في كل شيء حسن وجميل، و(الرسول القطب) [1]- ﷺ- و(سلطان الأنبياء)[2].

وقد أطلق على النبي -ﷺ- أيضا مصطلح (الإنسان الكامل) وجعله الجوهر الأول للعوالم الجسمية والروحية إذ يقول: " هو الإنسان الكامل الحقيقي المستودع الأمين على علم الذات، والصفات، والأسماء هو منذ التعين الأول مهاجر أفق الإنسان بعنوان " أحمد"، وضيف المدينة من مكة باسم "محمد"، وصاحب لواء الحمد من البرزخ باسم "محمود" وقيم أستار الجنة، وجمال الله، ومنهل فيض العوالم الروحانية، والجوهر الأصل لعالم الجسمانية بأسمائه الشريفة كلها"[3].

وأما لفظ ومصطلح الحقيقة المحمدية فقد جاء في عدة مواضع في كتابات (كولن) :

فعند حديثه عن نبوة محمد (ﷺ)اقتصر على القول "إن نبوة محمد (ﷺ) ورسالته كانت قبل جميع الأنبياء والمرسلين، فقد ورد في أحد الأحاديث: "أول ما خلق الله نوري"، وفي حديث آخر: "كنت نبيا وآدم منجدل في طينته "[4] أي أن تخطيط إرساله نبيا كان قبل الجميع، وقد تناول المتصوفة هذ الأمر تحت عنوان (الحقيقة الأحمدية)، ووقفوا عندها كثيرا، وهم يرون أن الحقيقة الأحمدية هي في الوقت نفسه حقيقة الكون، وأرادوا بها إظهار عظمة الرسول وأنه مظهر لأعظم رسالة"[5].

إذن المعنى الذي يقول به (كولن) في هذا النص ويفسر به الحقيقة المحمدية ليس هو مراد الصوفية فالمعنى عنده أن تقدير إرسال محمد رسولا كان قبل كل الأنبياء -عليهم السلام- لا أنه خلق قبلهم حقيقة، أو أن له حقيقتين قديمة وحادثة كما يرى الصوفية، ومع ذلك نجد في كلامه أيضا دفاعا عن الصوفية بهذا التأويل، إضافة إلى القول أن غاياتهم من هذه النظرية كانت إظهار عظمة النبي ورسالته، ولا نجد له نقدا أو ردا عليها، أو أنه يريد أن له بالفعل حقيقة قديمة هي الحقيقة المحمدية؛ حيث إن هناك نصوصا أخرى كاملة تشرح فكرة (كولن) عن الحقيقة المحمدية بشكل أكثر تفصيلا ووضوحا، وتبين اعتقاده حقيقة بهذه النظرية الصوفية ومنها:

١- قوله: "إن الله تعالى خلق نور سيدنا محمد، ثم أتبعه بخلق سائر الكائنات على التوالي...وهكذا فالله تعالى ألقى نور محمد (ﷺ) كبذرة إلى أرض العدم وهذا الوجود نشأ من ذلك النور ومن تلك البذرة، وإن شئت فقل: الإلكترونات قد تشكلت منه وعالم الذرة انبثق عنه"[6].

٢- ويقول أيضا: " هو الأول والأقرب إلى الحق جل وعلا من جهة والأخير والأعظم أمانة من وجهة أخرى. الملائكة انتظرته، والأنبياء بشروا به، والأولياء ثمراته التي تقتبس منه النور. مشكاة النبوة اتقدت به بداية، وبه ظهرت زبدة معناها ومحتواها في

---

[1]- ينظر التلال ص٤٠، ٢١٩.
[2]- ينظر كولن: ترانيم روح وأشجان قلب ص ٤٣ .
[3]- ينظر كولن: ونحن نبني حضارتنا ص ١٦٥
[4] سبق تخريج الحديثين في المبحث الرابع(بعثة النبي-ﷺ-)من فصل النبوات في الباب الأول.
[5] كولن: أضواء قرآنية ص ١٣٥.
[6]- فتح الله كولن : خواطر من وحي سورة الفاتحة ص ١٠٨ .

أبهى صورة، وأنورها نوره الأول سباق الأنوار، وطوفان ضوئه الأخير هو ظهوره في العالم الخارجي"[١].

٣- ويقول أيضا عن النبي- ﷺ-: "إن ماهيته أرفع علوية من الملائكة، وتعينه أول الموجودات وأقدمها فكونُ وجوده أولَ الأنوار ونواةً أمرٌ بدهي. وبه تحرك أولا تسطير القلم المقدس، وبه تحقق البرنامج البشري وهو البرهان الصريح الأبهى لسلسلة النبوة على الوجود الحق، وهو أول مرآة مجلاة لحضرة ذاته سبحانه وتعالى، فهو أصفى وأشف محل لتظاهر الصفات الإلهية، وهو أفصح ترجمان قالي وحالي للحق سبحانه وتعالى"[٢].

وهنا توافق تام مع نظرية الحقيقة المحمدية بشكلها الحقيقي الذي تقول به الصوفية من وجود حقيقة أزلية للنبي- ﷺ- وهو ما يسمى كذلك بالنور المحمدي، ومن نوره ووجوده انبثقت أنوار الأنبياء، بل والأكوان كلها، بل كان مرآة مجلوة لذاته وصفاته تعالى، وهو ما يقوله (ابن عربي) وهو يتكلم عن الحكمة من خلق آدم، وخلافته لله في الأرض.

من خلال النصوص السالفة يتبين عدة أمور :

١- هذه الفكرة الصوفية كانت بذورها الأولى في فكر (الحلاج) ثم اكتملت عند (ابن عربي)، ثم أصبحت نظرية متكاملة عند الجيلي من بعده، ورددها الصوفية لاحقا معتمدين على أحاديث مثل قوله: "أول ما خلق الله نوري"، وقوله: "كنت نبيا وآدم منجدل في طينته"، وهذه الأحاديث اتخذها الصوفية تكأة للقول بقدم النور المحمدي، وأنه أصل الموجودات، بينما آخرون أولوا الحديث بأن النبوة وجبت له في الكتاب منذ الأزل ردا على سؤال متى وجبت لك النبوة؟[٣]والبعض نفى صحة الأحاديث المذكورة، وأشار أنها موضوعة[٤]، وأشار بعض الباحثين إلى أن هذه الفكرة مستمدة من عناصر شيعية أو مسيحية[٥].

٢- النصوص السابقة التي أوردتها تدل على أن (كولن) - في نص واحد فقط- يريد معنى آخر غير المعنى الصوفي، وهو أن التخطيط لنبوته كان قبل جميع الأنبياء، فما أفهمه من التخطيط أنه التقدير في علم الله- فيما أظن- لا أن له حقيقة قديمة، وعلى هذا فهو موافق لبعض علماء الشريعة.

أما ظاهر النصوص التالية فتشير إلي إيمانه بفكرة الحقيقة المحمدية كما يقدمها الصوفية تماما.

إذن فكولن معتقد مع الصوفية بنظرية النور المحمدي؛ لأن النصوص واضحة صريحة - مع أن هناك اضطرابا بسبب عدم وضوح معنى التخطيط في نصه الأول-.

---

[١]- ونحن نبني حضارتنا ص ١٤٣.
[٢]- ونحن نبني حضارتنا ص ١٦١.
[٣]- ينظر: الإمام حافظ بن أحمد حكمي: معارج القبول بشرح سلم الوصول إلى علم الأصول ج ٣ ص ١٠٩٦، تحقيق: عمر بن محمود أبو عمر، دار ابن القيم – الدمام، ط: الأولى ١٤١٠هـ- ١٩٩٠م.
[٤]- إحسان إلهي ظهير: التصوف المنشأ المصدر ص ٢٢٦. الناشر: إدارة ترجمان السنة- لاهور- باكستان، ط: الأولى ١٤٠٦هـ- ١٩٨٦م.
[٥]- ينظر: إحسان إلهي ظهير: التصوف المنشأ والمصدر ص ٢٢٦ .

٣- رغم تأكيد(كولن) المستمر على مرجعية الكتاب والسنة، فهو هنا قد خالف هذه المرجعية حيث إن هذه النظرية مخالفة للشريعة؛ إذ ما ورد من أحاديث يعتمد عليها الصوفية ليست صحيحة.

رابعا: الولاية الصوفية:

غالى أرباب التصوف في الولاية الصوفية - كما فعل الشيعة مع أئمتهم- واعتقدوا تقديس الولي، وعلو شأنه حتى على مكانة النبي، واعتقدوا عصمته كالأنبياء، واطلاعه على الغيب، وسأعرض رأي (فتح الله كولن) في هذه المسألة حسب ما جاء في كتاباته على النحو التالي:

١- النبوة والولاية:

ما العلاقة بين النبوة والولاية؟، وهل يجوز تفضيل الولي على النبي؟ .

وإن كان قد اشتط بعض الناس في تقديس الولي فهو لا يعدو - حقيقة- أن يكون فردا من أفراد أمة النبي- ﷺ- ويؤكد هذه الحقيقة بعض محققي الصوفية، فيقول (النصراباذي)[١] : "نهايات الأولياء بدايات الأنبياء"[٢].

إذن فمنتهى وغاية ما وصل إليه الولي بعد طول عبادة ومجاهدة هو أول درجات يخطوها النبي فالفرق عظيم بينهما كما الفرق بين الفتى اليافع والرضيع الزاحف .

ويقرر (القشيري)هذه الحقيقة بالتأكيد على أن كرامات الأولياء لاحقة بمعجزات الأنبياء- عليهم السلام-، فيقول: "و كل نبي ظهرت كرامة على واحد من أمته فهي معدودة من جملة معجزاته؛ إذ لو لم يكن ذلك الرسول صادقا لم تظهر على يد من تابعه الكرامة، فأما رتبة الأولياء فلا تبلغ رتبة الأنبياء -عليهم السلام- للإجماع المنعقد على ذلك"[٣]، ويضرب لذلك مثلا بالصورة التي رسمها (البسطامي) للتفريق بين المنزلتين فيقول (أبو يزيد البسطامي): "مثل ما حصل للأنبياء -عليهم السلام- كمثل زق فيه عسل ترشح منه قطرة فتلك القطرة مثل ما لجميع الأولياء، وما في الظرف مثل نبينا -ﷺ-"[٤].

وأيضا (النورسي) إذ ذكر أن من مزالق بعض الصوفية ممن لا يبتغون السنة على الوجه الصحيح اعتقادهم بأرجحية الولاية على النبوة، ومثّل لانطباع المعارف في قلب الولي والفرق بينه وبين النبي بمثال أيضا وهو: كمن يتلقى نور الشمس بواسطة مرآة

---

[١]- النصر اباذي: أبو القاسم إبراهيم بن محمد النصر اباذي أو آبادي، شيخ خراسان في وقته كان في الورع ، والمجاهدة والتقوى والمشاهدة بلا مثيل، صحب الشبلي، وأبا علي الروذباري، والمرتعش، جاور بمكة سنة ٣٦٦هـ، وقيل: حج أربعين حجة ومات بمكة سنة ٣٦٩هـ، وكان عالما بالحديث، كثير الرواية، من أقواله: أصل التصوف ملازمة الكتاب والسنة، وترك الأهواء والبدع، وتعظيم حرمات المشايخ، ورؤية أعذار الخلق، والمداومة على الأوراد، وترك ارتكاب الرخص والتأويل. ينظر: القشيري: الرسالة القشيرية في علم التصوف ص ١١٤.فريد الدين العطار: تذكرة الأولياء المجلد الثاني ص ٥١٥ ترجمة وتعليق وتقديم: د/ منال اليمني، الهيئة المصرية العامة للكتاب ٢٠٠٧م.

[٢]- الرسالة القشيرية ص ٥٢٩.

[٣]- السابق ص ٥٢٩.

[٤]- السابق ص ٥٢٩.

فيقع له من النور بقدر سعة المرآة؛ لأنه لا يستطيع أن يباشر نور الشمس بنفسه؛ لأن ما لديه من نور ليس أكثر من انعكاس نور الشمس لا غير[١]، بل وأشار أن أعظم الأولياء لا يستطيع أن ينال مرتبة أحد الصحابة، فقال: "إن أعظم ولي من الأولياء لا يستطيع أن ينال مرتبة صحابي كريم لرسول الله، حتى لو أن هذا الولي كان يرى النبي -ﷺ-عيانا مرات عديدة؛ لأن الصحابي لقى النبي (ﷺ)حال كونه نبيا ورسولا، أما الأولياء فإنما كانت رؤيتهم له بعد وفاته أي بعد انقطاع نور النبوة، فهي صحبة بنور الولاية"[٢].

أما (فتح الله كولن) فيعد الولي ظل حقيقة النبوة، ولكن هناك مسافة بين النبي والولي كما المسافة بين الولي والإنسان العادي في الشعور، والفهم، والانفتاح على المواهب العالية السامية ، فيقول:" أصحاب المقامات السامقة من أمثال هؤلاء المتفوقين على الناس العاديين من ناحية الإدراك، والشعور، والفهم، والمنفتحين على مواهب عالية وسامية، وأمثال هؤلاء يمثلون ظل حقيقة النبوة، والمسافة بين النبوة والولاية هي هذه المسافة"[٣].

بل ويتفق مع (القشيري) في أن كرامة الولي تأييد للنبي ولرسالته فيقول: "الكرامة حدث غير اعتيادي لدى الأولياء، وهي بالتالي تؤيد معجزات النبي وتؤيد نبوته كذلك"[٤].

٢- عصمة الأولياء:

يتفق أهل السنة جميعا على عصمة الأنبياء (عليه السلام) دون غيرهم من البشر مهما بلغ مقامهم.

ويرون أن الولي هو: "العارف بالله تعالى، وبصفاته حسب الإمكان، المواظب على الطاعة المجتنب للمعاصي بمعنى أنه لا يرتكب معصية بدون توبة، وليس المراد أنه لا تقع منه معصية بالكلية إذ ليس معصوما ...وسمي وليا؛ لأن الله تولى أمره فلم يكله إلى نفسه، ولا إلى غيره لحظة؛ ولأنه يتولى عبادة الله على الدوام من غير أن يتخللها عصيان"[٥].

و(كولن) يؤكد صراحة على وجوب عصمة الأنبياء، ولا عصمة خارج الأنبياء ويؤيد ذلك بحديث النبى (ﷺ): " كل بنى آدم خطاء وخير الخطائين التوابون"[٦]، ولكن بالنسبة للأولياء يرى أنهم محفوظون من اقتراف الذنب، وينفى أن يكون ذلك له أي علاقة بما تقول به الاثنا عشرية من عصمة الأئمة[٧]، ويضرب لذلك مثلا يوضح فكرته فيقول: "فمثلا إن سأل أحدهم ، أيمكن أن يقترف الإمام الرباني (أحمد السرهندي) الذنب ؟ نقول

---

[١]- النورسي: الكلمة الواحدة والثلاثون: الكلمات ص ٦٦٩ .
[٢]- السابق ص ٥٧٤.
٣- كولن: الموازين ص ١٧٨.
٤- كولن: الموازين أو أضواء على الطريق ص ١٧٨.
٥- حاشية الباجوري على جوهرة التوحيد ص ٢٥٣.
٦- أخرجه ابن ماجه، ينظر: محمد بن يزيد القزويني : سنن ابن ماجه، باب ذكر التوبة، كتاب الزهد(ص ١٤٢٠ ١٤٢٠ ج ٢ رقم ٤٢٥١)، وقال الألباني في تعليقه وحكمه على الحديث: حسن.
[٧]- يرى الشيعة جميعا ثبوت عصمة الأنبياء والأئمة وجوبا عن الكبائر والصغائر. ينظر: الشهرستاني: الملل والنحل ص ١٦٩.

له : أجل يمكن ذلك؛ لأن الإمام الرباني ليس نبيا؛ لذا يمكن من الناحية النظرية اقترافه للذنب، ولكن هل اقترف الإمام الرباني ذنبا في حياته لا يمكن إعطاء الجواب نفسه؛ لأنه ما من أحد يستطيع إثبات أنه اقترف ذنبا أو إثما، أي أن احتمال وقوع الذنب لا يعنى وجوب تحققه فعليا، فمن المحتمل أن الله تعالى يحفظ عباده المقربين من الوقوع في الآثام"[١].

ويعود ويؤكد من خلال ذلك: "أن الله تعالى يحفظ الذين يسيرون فى طريقه والقرآن يشير إلى هذا فيقول:[٢]ﭽ ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ ﮇ ﮈ ﮉ ﮊ ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ ﮏ ﮐ ﭼ[٣] ...فهناك حفظ وصيانة من الله تعالى للمؤمنين المتقين إذ زودهم بخاصية وبحاسة يميزون بها الخبيث من الطيب؛ فيبتعدون عن مواطن الإثم "[٤] .

ولفظ الحفظ أيضا استعمله (القشيري)، فيقول: "ومن شرط الولي أن يكون محفوظا، كما أن من شرط النبي أن يكون معصوما، فكل من كان للشرع عليه اعتراض فهو مغرور مخدوع"[٥].

وفي نص آخر يذكر أن معنى الحفظ: "فلا يخلق له الخذلان الذي هو قدرة العصيان وإنما يديم توفيقه الذي هو قدرة الطاعة "[٦].

وهذا النص يحتمل كونه مع الرأي القائل إن الموفق لا يعصي؛ إذ لا قدرة له على المعصية، وهو خلاف رأي جمهور أهل السنة الذين يرون المؤمن العاصي موفق يقول (البيجوري): "المؤمن العاصي موفق، - وهو الحق- خلافا لمن قال: الموفق لا يعصي إذ لا قدرة له على المعصية كما أن المخذول لا يطيع إذ لا قدرة له على الطاعة، ولك أن تقول الموفق لا يعصي من حيث ما وفق فيه، والمخذول لا يطيع من حيث ما خذل فيه، وقد سئل (الجنيد): أيعصي الولي فأطرق ثم رفع رأسه وقال:

ﭽ ﯖ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﭼ[٧].

ولكن هناك نصا صريحا يوافق فيه القشيري أهل السنة في الولاية، فيقول القشيري جوابا عن: هل يكون الولي معصوما؟: "أما وجوبا كما يقال في الأنبياء فلا، وأما أن يكون

١- ينظر: كولن: النور الخالد اص ٥١٩.

٢- يقول القشيري: "الفرقان ما به يفرق بين الحق والباطل من علم وافر، وإلهام قاهر، فالعلماء فرقانهم مجلوب برهانهم، والعارفون فرقانهم موهوب عرفانهم فأولئك مع مجهود أنفسهم، وهؤلاء بمقتضى جود ربّهم. العرفان تعريف من الله، والتكفير تخفيف من الله، والغفران تشريف للعبد من الله". عبد الكريم بن هوازن بن عبد الملك القشيري (المتوفى: ٤٦٥هـ): لطائف الإشارات = تفسير القشيري ص ١/ ٦١٩المحقق: إبراهيم البسيوني، الناشر: الهيئة المصرية العامة للكتاب- مصر، الطبعة: الثالثة.

٣- الأنفال الآية:٢٩.

٤- كولن: النور الخالد ص ٥١٩.

٥- الرسالة القشيرية ص ٣٦٥.

٦- الرسالة القشيرية ص ٦٣٠.

٧- سورة الأحزاب الآية :٣٨ حاشية الباجوري على جوهرة التوحيد ص ١٦٩ .

محفوظا حتى لا يصر على الذنوب إن حصلت هنات أو آفات أو زلات، فلا يمنع ذلك في وصفهم"[١]، وهو بهذا النص متفق مع أهل السنة في أن المؤمن العاصي موفق.

إذن حفظ الله للأولياء بمعنى دوام الطاعات، وإن حصلت زلات فالمسارعة إلى التوبة لا الإصرار، وهذا منتهى رأي أهل السنة والقشيري، أما الحفظ عند (كولن) فغير واضح، هل يقصد عدم ارتكاب معاصي ألبتة، أو يذهب إلى مقصد أهل السنة .

إذن هنا أمران حول هذه المسألة:

الأول: الولي عند أهل السنة العارف بالله تعالى، المواظب على الطاعة المجتنب للمعاصي بمعنى أنه لا يرتكب معصية بدون توبة، وليس المراد أنه لا تقع منه معصية بالكلية إذ ليس معصوما[٢].

ويتفق الصوفية في هذين الأمرين، ولكن يسمون ذلك حفظا كما فعل (القشيري) و(فتح الله كولن)[٣].

الأمر الثاني: إذا قيست المسألة ضمن التوفيق والخذلان، فالموفق قد يعصي؛ فمذهب أهل السنة أن المؤمن العاصي موفق، إذن الولي ليس معصوما فقد يعصي، ولكن سرعان ما يتوب، ويعود فهو المواظب على العبادة المتولي الله أمره على الدوام.

يقول الدكتور (الجليند): "وليست العصمة شرطا في الولاية وليس من شرط الولي أن يكون معصوما لا يخطئ، بل يجوز عليه الخطأ مثل بقية البشر، ويجوز أن يخفى عليه من أمور الشريعة ما يخفى على غيره ...ولم يقل بعصمته أحد من علماء أهل السنة، بل لم تثبت العصمة لأحد غير رسل الله المبلغين عنه "[٤].

٣- مقام الخضر-عليه السلام-:

اختلف المسلمون في كون الخضر نبيا أم وليا، وقد نسب (ابن تيمية) القول بكونه نبيا إلى الجمهور[٥].

واختلفوا أيضا في حياته وموته، فاعتقد الصوفية بوجوده وحياته، ونفى السلفية وبعض المحدثين ذلك وأكدوا موته.

١- الرسالة القشيرية ص ٥٣٠.
٢- حاشية الباجوري على جوهرة التوحيد ص ٢٥٣.
٣- أبو القاسم القشيري: الرسالة القشيرية في علم التصوف ص ٣٦٥ .
٤- الأستاذ الدكتور : محمد السيد الجليند: موسوعة التصوف الإسلامي ص ٧٩٠، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية (٨)- القاهرة ١٤٣٧هـ- ٢٠١٦م.
٥- محمد بن علي بن أحمد بن عمر بن يعلى، أبو عبد الله، بدر الدين البعليّ (المتوفى: ٧٧٨هـ): مختصر الفتاوى الفتاوى المصرية لابن تيمية ج ١ ص ١٩٨، المحقق: عبد المجيد سليم - محمد حامد الفقي، الناشر: مطبعة السنة المحمدية - تصوير دار الكتب العلمية.

فيعتقد الصوفية بوجود (الخضر)، وحياته، وإمكان اللقاء به ولهم مقام في الولاية يسمى (مقام الخضر) ، يقول النورسي: "إن في مقامات الولاية مقاما يعبر عنه بمقام الخضر، فالولي الذي يبلغ هذا المقام يجالس الخضر- عليه السلام- ويتلقى عنه الدرس"[١].

ويرى (كولن) أن من وثق صلته بالله خلص إلى نتائج تفوق كل ما يمكن أن يبلغه بالطرق الأخرى فيكسب المرء معارف من علوم الظاهر وعلوم الباطن، ومنها الاطلاع على الغيب، ورؤية الخضر، فيقول: "فمن وثق عرى صلته بالله - جل وعلا- قد يطلعه الله على الغيب، فيجتمع بالملائكة الكرام، ويتصل بالجن والروحانيين، ويرى الخضر - عليه السلام-، بل يرقى إلى (مقام الخضر)" [٢].

ثم يقول لمن يستبعد رؤية (الخضر): "يمكن لأي فرد أن يرى الخضر-عليه السلام- ومن يدري فقد يصلي معكم، أو يوجد في مساجدنا من كان سيره وسلوكه الروحاني في ظل سيدنا الخضر-عليه السلام- "[٣].

ويدلل (كولن) على إمكان رؤية الخضر-عليه السلام- بإخبار بعض الأصفياء أنهم اجتمعوا بالخضر، وبالملائكة، والروحانيين، وهؤلاء يخشون الله حق الخشية، فيستحيل أن يذكروا أمرا موهوما لا أصل له.

ويقرر(كولن) أن أهل الكشف والفقهاء يرون أن (الخضر) حي - وبعض العلماء يقول بوفاته كالإمام (البخاري)- وإنما يجتمع بالخضر-عليه السلام- من بلغ مقام الخضر وماتت نفسه وغلب هواه ما يقول كولن[٤] .

وهنا وقفة عند هذه المسألة:

الغيب لا يعلمه إلا الله حقيقة يقررها القرآن الكريم والسنة النبوية وجميع أهل السنة چ ئۇ ئۆ ئۈ ئې ئى ئى ئى ئى ى ى ى ى ئج ئح ئم ئى ئي بج بح بخ بم بى بي چ[٥] .

أما ما يخص الله به بعض الصالحين والأولياء من أمور تغيب عن أنظارنا فهو من باب الكرامات وتلك أجازها أهل السنة كما سبق في فصل النبوات من الباب الأول.

أما لقاء (الخضر) فقد فتح ذلك باب النقد على الصوفية من السلف وغيرهم؛ فها هو أحد السلفيين المحدثين يشنع على الصوفية في موضوع (الخضر) فيقول: بأنهم جعلوا (الخضر) كسوبرمان يطير في كل مكان وزمان، فالخضر نبي، عبد، موحد، عاش، ومات لوقته وزمانه، وفعل ما فعل موافقا للحق والشريعة[٦].

١- النورسي: المكتوب الأول من المكتوبات ص ٥.
٢- كولن: نحو عقيدة صحيحة ص ١٣٢.
٣- كولن: نحو عقيدة صحيحة ص ١٣٢ .
٤- السابق.
٥- السابق.
٦- عبد الرحمن عبد الخالق: الفكر الصوفي في ضوء الكتاب والسنة. ص ٣٧..الكويت ١٤٠٦هـ- ١٩٨٦م .

ومن قبله سئل (ابن تيمية) عن (الخضر) فقال: "والصواب أن الخضر مات، فلو كان موجودا في زمن النبي - ﷺ- لآمن به وجاهد معه، ثم ليس للمسلمين به حاجة، فإنهم أخذوا دينهم من المعصوم النبي الأمي الذي علمهم الكتاب والحكمة...، وعامة ما يحكى عن (الخضر) إما كذب، وإما مبني على الظن، مثل الذي رأى شخصا فقال له: إنه (الخضر) "[١].

وهناك اتجاه آخر أيده الإمام (النووي) فيقول تحت باب فضائل الخضر(عليه السلام):"جمهور العلماء على أنه حي موجود بين أظهرنا، وذلك متفق عليه عند الصوفية، وأهل الصلاح، والمعرفة، وحكايتهم في رؤيته والاجتماع به، والأخذ عنه، وسؤاله وجوابه، ووجوده في المواضع الشريفة، ومواطن الخير أكثر من أن يحصر، وأشهر من أن يستر قال الشيخ (أبو عمرو ابن الصلاح): هو حي عند جماهير العلماء، والصالحين، والعامة معهم في ذلك قال: وإنما شذ بإنكاره بعض المحدثين "[٢].

إذن الأمر فيه اجتهاد بين العلماء و(كولن) ممن اختار طريق الصوفية المقر بوجود الخضر وحياته وإمكان اللقاء به.

إذن من خلال دراسة الولاية الصوفية يظهر جليا:

١- أن الولي أدنى درجة من النبي، بل سائر كراماته تأييد لرسالة النبي، وهو بالتالي ليس معصوما عصمة الأنبياء، وقد يكون محفوظا .

٢- الولي الذي توثقت علاقته بالله قد يعلم بعض الغيب، ويرى بعض الكائنات الروحية وقد يلتقي بالخضر- عليه السلام- فذلك مقام من مقامات الأولياء قال به الصوفية، وأنكره بعض العلماء كما سبق.

١- ينظر: محمد بن علي بن أحمد بن عمر بن يعلى، أبو عبد الله، بدر الدين البعليّ (المتوفى: ٧٧٨هـ): مختصر الفتاوى المصرية لابن تيمية ج ١ ص ١٩٨، المحقق: عبد المجيد سليم - محمد حامد الفقي الناشر: مطبعة السنة المحمدية - تصوير دار الكتب العلمية.

٢- ينظر: صحيح مسلم بشرح النووي باب (٤٦) من فضائل الخضر- عليه السلام-. ص ١٢٤ ج ٨ حديث رقم ٢٣٨٠. مكتبة الإيمان- المنصورة .

تعقيب على فصل التصوف:

من خلال بحث آراء (فتح الله كولن) في التصوف يمكن الانتهاء إلى عدة أمور منها:

١- مفهوم التصوف عند (كولن) موافق لمعاني التصوف عند مؤرخي التصوف والصوفية، ولكنه على أي حال انتهى إلى تعريف خاص به يتلاءم مع لغة العصر.

٢- المنازل الروحية عند كولن هي نفسها ما قرره القشيري في مقاماته وأحواله ولكن مع بسط بلغة تناسب العصر، فيحاول تبسيط المفاهيم الصوفية للجمهور، فمثلا عندما يأتي بمعنى من المعاني الصوفية يعرفها في اللغة، وفي عرف السامعين قبل أن يعرفها عند أربابها من الصوفية، ويقوم بشرحها وإيراد معاني مختلفة لتوضيحها.

٣- يهتم بالثمار العملية من وراء دراسة التصوف؛ ولذا في كل معنى يذكر ثمرات الموضوع ونتائجه العملية.

٤- يهتم بالقلب كثيرا وبالوجدان وسبيل حياته في كل كتبه ومقالاته؛ حتى يحدث توازن بين الروح والبدن .

٥- كولن ليس صوفيا كما يؤكد هو بنفسه والدارسين لحركته من الداخل والخارج، ولكن يمكن أن يقال عليه صوفيا بالمعنى، لتلبسه بمعاني التصوف المختلفة، واهتمامه بحياة القلب وتزكية النفس .

٦- كولن بكتابه التلال الزمردية يعتبر دارسا أو باحثا في التصوف - وليس مجددا أو مجتهدا- على غرار القدامى والمحدثين في تنسيقه، وموضوعاته، ويختلف عنهم فقط في العرض واللغة السهلة المناسبة للعصر، أما التجديد الحقيقي فهو مزجه روح التصوف في سائر فكره حيث مزج بين العقل والقلب، وركز على الثمار المعنوية، وأمكنه التأثير في الوجدان، وهذا غاية ما يؤمل من طريق التصوف.

٧- من مميزات العرض أنه جمع في كتابه بين القديم والحديث، فاستشهد بقدامى الصوفية وبالمحدثين، وخاصة الأتراك.

٨- متابع ومتأثر كثيرا بالقشيري، وسائر على نفس طريقته في المقامات والأحوال .

٩- متأثر جدا بالرومي فقل أن تجد معنى يتحدث عنه إلا ويورد من كلام (الرومي) أو من المثنوي الفارسي له، وكذا متأثر ببديع الزمان النورسي.

١١- يظهر حسه الفني والأدبي في جميع ما يكتب؛ حيث يظهر تأثره الشديد بفن الشعر، فيورد كثيرا من أشعار القدامى والمحدثين يؤيد بها فكرته، فمن القدامى: (الشافعي)، و(البوصيري)، و(زهير بن أبي سلمى)، و(علي بن أبي طالب)، و(رابعة)، ومن المحدثين: (نجيب فاضل)، و(يونس أمره).

١٢- يؤمن ببعض النظريات الصوفية كالإنسان الكامل والحقيقة المحمدية، وينتقد بعضها كوحدة الوجود، والحلول والاتحاد.

١٣- يلجأ إلى تأويل أقوال الصوفية المخالفة للشريعة مثل قول (ابن عربي) في وحدة الوجود، وأقوال غيره في الحلول، وموقف التأويل هذا وعدم رمي الصوفية بالكفر والخروج عن الشريعة موقف لبعض رجالات الإسلام عبر العصور مثل: (الجنيد) و(ابن تيمية).

١٤- وتأكيده كل حين على عدم تكفير الصوفية بظاهر اقوالهم هو موقف أصيل في فكره تجاه جميع المخالفين، وهو ما نحتاجه في زماننا المعاصر الذي صار التكفير فيه كالماء والهواء على ألسنة المتخالفين، وتنبيه على خطورة الأمر، وأرى أن يتبنى علم الكلام الجديد التأكيد على خطورة التكفير وأنه ليس من أمر العامة- ولا طلبة العلم- إطلاق الأحكام، وإنما يسعنا ما وسع سلفنا من الاعتذار والتأويل للمخالف وسلامة الصدر للجميع.

الخاتمة

النتائج والتوصيات

الخاتمة

وبعد هذه الرحلة الماتعة - رغم مشقتها- يتبادر إلى الذهن بعض الأسئلة ما الجديد الذي قدمته هذه الأطروحة؟ ما النتائج والتوصيات التي توصلت إليها ؟.

وللإجابة أقول:

أولا: الجديد الذي قدمته:

يعتبر هذا البحث أول بحث علمي يكتب عن آراء كولن الكلامية والفلسفية، وهذا الجديد الذي نقدمه للباحثين وللمكتبة العربية .

فأما في علم الكلام فقد بدا جليا أن لكولن منهجا جديدا يتسم بالوضوح والواقعية، وأما في الفلسفة فقد انشغل بقضايا العصر ومستجداته.

وأما الجديد الذي قدمه في منهجه ورؤاه الإصلاحية - رغم تأثره بالنورسي ومالك بن نبي- أنه حول الفكرة والرؤية إلى واقع؛ فتبني القضاء على الجهل، والفقر، والفرقة فتحولت هذه المثل العليا (القضاء على الفقر، والقضاء على الجهل، والقضاء على الفرقة) إلى واقع بجهود من تبنى فكرته من رجال الأعمال، والمتطوعين، والناشطين.

ثانيا: النتائج:

١- يتميز (كولن) في عرضه لقضايا العقيدة بالوضوح والبساطة، إضافة إلى إلمام بالقديم والحديث من هذا التراث وصبغه بصورة عصرية تناسب العصر والجيل وبذا يمكن أن يعد من رواد التجديد ولا سيما في علم الكلام، أو ما يسمى الآن علم الكلام الجديد.

أ- فقد جدد في اللغة فكانت سهلة واضحة علمية؛ لتناسب العصر ومنطقه، وأفهام أهله.

ب- جدد في الأسلوب والعرض، فكان يجمع بين الروح والعقل (التأثير على الوجدان مع الإقناع العقلي)، فأكثر من استخدام العلم ومنجزاته- كما فعل في الإعجاز العلمي، والرد على المنكرين لوجود الله، وفي المنكرين لاستئثار الله تعالى بالغيب وغيرها الكثير-[١]؛ لخدمة قضايا العقيدة، وأكثر من ضرب الأمثلة العقلية والمنطقية، والشواهد من داخل تراثنا وخارجه .

ج- أما عن موضوعات العقيدة فلم يقسمها تقسيم المتكلمين، وكانت له مسمياته الخاصة[٢].

---

[١]- ينظر: المنكرون لوجود الله والرد عليهم ص ١٠٣، والإعجاز العلمي في القرآن الكريم ص ٣٥٨، في الغيب والسمعيات ص ٣٧٧.

[٢]- وذلك مثل أدلة وجود الله فإن كان اشترك مع المتكلمين في بعض المفاهيم إلا أن له مسميات جديدة وأدلة مستقاة من الآثار الكونية إلى جانب أدلة الوجدان والعقل ينظر مبحث : الاستدلال على وجود الله تعالى ، أدلة وجود الله عند كولن ص ٩٣من هذا البحث.

د- إضافة إلى أنه لم يتحزب لفريق أو مذهب، فساقها بصفائها معتمدا على الكتاب والسنة كسند أول، ثم وافق الجمهور كثيرا، وأحيانا وافق الماتريدية وآخر الأشاعرة، وثالث استقل برؤية واجتهاد خاص .

٢- يقتصر (كولن) على ما له صلة، وأثر في العمل، وفي حياة الناس، ولا يبحث القضايا الجدلية المذمومة، أو التي لا ينبني عليها عمل، وهذا واضح في قضايا الإلهيات، والنبوات، والسمعيات التي ركز عليها.

٣- في الإلهيات ركز على إثبات كمال الله، وتنزيهه، وإثبات الصفات دون الجدل في مسمياتها، وأقسامها، وفي أسمائه الحسنى ركز على فعاليتها في الكون لا على المعنى الحرفي لها، والاختلاف حولها، وفي الإيمان والإسلام ركز على ربطهما بالعمل ومفهوم التدين.

٤- في النبوات ركز الحديث عن شخصية النبي وعصمته، ودفع الشبهات عنه وعن رسالته، وهذا ما يحتاجه المسلم المعاصر الذي يعيش في وسط غبار الإلحاد والتيارات المنحرفة، وما نحتاجه للرد على الغرب الذي ينشر كبراؤه الأباطيل حوله - ﷺ- فلا بد من إيجاد من يتصدى لها، ويجلي مرآة الحقيقة.

٥- اهتمام كبير بالقرآن حيث هو المعجزة الخالدة الباقية، التي هي نور وحجة في أيدينا لإحياء الإسلام، ودعوة الآخرين إلى اعتناقه، وقد أبرز قضية الإعجاز العلمي كداعم لبيان عظمة القرآن، لا أن يتخذ العلم ونظرياته أساسا، ونؤول القرآن وفقا له، بل العلم خادم تابع للقرآن ويقينياته.

٦- في السمعيات اقتصر على ظاهر النصوص، ولم يخض في قضايا جدلية؛ ولذا جاء كلامه مقتضبا يركز على ما له أثر ينفع الناس، وانفرد بفلسفته للموت والساعة والبعث بصورة تحمل على الارتياح، وليس الخوف والفزع .

٧- دائما ما يربط قضايا العقيدة بالجانب الروحي، والوجداني؛ للتأثير على الفرد وتعزيز اقتناعه وإقباله على العمل، مع التأكيد على الأدلة العقلية والعلمية، وهذا ما يميز منهجه أيضا، فهو يعزز القضية بجميع صور الأدلة؛ لإقناع كافة الناس وكافة المستويات.

٨- من خلال عرضه لكل شبهة من الشبهات التي أثيرت حول الرسول والرسالة كان يأتي في معرض رده على كل شبهة بكل ما يتعلق بها من أدلة عقلية ونقلية، ومن خلفية تاريخية، ومن آراء لبعض المستشرقين، وهذا يبين ثقافة (كولن) الموسوعية.

٨- من خلال مطالعة ما كتب في القضايا الفكرية أستطيع القول إنه موسوعي يلم بالتراث القديم، ويطالع الحديث في جميع المجالات العلمية والفكرية .

٩- جمع بين الأصالة والمعاصرة فقد أسس منهجه على الذاتية أو (التراث) مع مواكبة العصر ومتطلباته وتقنياته؛ ومن أجل ذلك دعا إلى أن نجدد ذواتنا في كل شيء في الفكر، والعلوم، وغير ذلك حتى نلحق بركب الحضارة .

١٠- تبنى الدعوة إلى إقامة فلسفة خاصة بالمسلمين بعيدا عن فلسفة اليونان والغرب وغيرهم، فلسفة تستمد طريقها ونظرتها من قيمنا وأصولنا، لا تقليدا وترقيعا من تراث غيرنا

ثالثا: التوصيات:

١- ضرورة تجديد علم الكلام وفقا لمتطلبات العصر وعلومه الحديثة، وهذه دعوة لأهل الاختصاص جميعهم، ولتكن البداية من أعضاء هيئة التدريس بالجامعات في المقررات الدراسية؛ حتى نخرج جيلا يؤمن بعقيدته إيمانا يقينيا، وليس حافظا مرددا لقضايا جدلية تنفصل عن حياته بعدما ينتهي من الدراسة ومقاعد البحث والطلب.

٢- مناقشة المسائل والمشكلات الفلسفية المعاصرة التي تهم واقع المسلمين والاقتصاد في بحث الشخصيات الفلسفية، والفلسفة ومقدماتها- رغم أهميتها- أو على الاقل لا تكون هي كل الفلسفة، وهذه دعوة للمختصين وأعضاء هيئة التدريس في الجامعات حتى لا ننعزل عن العصر، ونخرج جيلا لا يعلم عن واقعه شيئا، ويكون عرضة للانحراف والتخبط؛ بسبب عدم تكون رؤى واضحة صحيحة لديه عن الواقع المعيش والقضايا المعاصرة.

٣- على الباحثين الجدد طرق وبحث قضايا التجديد، والقضايا المعاصرة؛ حتى نسد الفجوة في هذا المجال، ونجلي صورة الإسلام المشرقة حيالها .

٤- بحث دلالة المعجزة على صدق الرسول دراسة مستفيضة؛ حيث اعتد المعاصرون بالقرآن دون المعجزات الحسية فكان ذلك مدخلا لبعضهم لإنكار المعجزات الحسية.

٥- البحث والتوسع في تفسير الإسلام وقضاياه بالعلوم الحديثة؛ فذلك باب من أبواب التجديد للعلوم ومواكبة العصر؛ وبغية تقبل النشء الجديد العلوم الإسلامية والإقبال عليها وقد صارت في حلة معقولة ومناسبة لعقله وعصره.

٦- الاهتمام بأي محاولة معاصرة للتجديد؛ فذلك فوق أهميته لمواكبة العصر فهو من جانب آخر إحياء للتراث وبيان لأصالته؛ لأن الجديد مهما بلغت جدته فلن يبني رؤاه على سراب، بل سيؤسس ويشيد على التراث لا محالة.

٧- البحث عن الشخصيات الحديثة والمعاصرة التي تناولها البحث فقد كان لبعضهم إسهامات ملموسة في التصوف الإسلامي والفكر الإسلامي عامة؛ فلربما نقدم رؤى جديدة للمكتبة العربية والإسلامية، ونبرز جوانبا كانت في طي النسيان لم تتناولها أيد الباحثين.

وها هنا أكون قد وصلت إلى نهاية الرحلة في عالم فتح الله كولن وفكره الكلامي والفلسفي وكان هذا غاية جهدي ومبلغ علمي، فما كان من توفيق فمن فضل الله تعالى، وما كان من زلل فالله ورسوله منه براء.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين

الفهارس

ثبت بأهم المصادر والمراجع

فهرس الأعلام

فهرس الفرق والمذاهب

فهرس الموضوعات

فهرس الأعلام

م	اسم العلم	رقم الصفحة
١	ابن تيمية	٩٢
٢	ابن الجوزي	٥٦٨
٣	ابن حجر	٣٥٥
٤	ابن خلدون	٤٨
٥	ابن رشد	٨٨
٦	ابن سينا	٩٠
٧	ابن عربي	٤٢٦
٨	ابن قيم الجوزية	٩٣
٩	ابن مسكويه	٥١٩
١٠	أبو الحسن الأشعري	٥١
١١	أبو سعيد الخراز	٣٥٤
١٢	أبو العلاء المعري	٤٢٦
١٣	أبو ريدة(عبد الهادي)	٤٦٦
١٤	أبو طالب المكي	٥٥٢
١٥	أبوعبدالرحمن السلمي	٥٩٠
١٦	أبومنصورالماتريدي	٥١
١٧	أبو هاشم الصوفي	٥٦٧
١٨	أبو الهذيل العلاف	٢٦٣
١٩	أتاتورك	٢٠
٢٠	أحمد الفاروقي	٣٩
٢١	اسبينوزا باروخ	٦٠٣

٢٢	إسماعيل مظهر	١٢٤
٢٣	الألباني	١٤٩
٢٤	ألكسيس كاريل	٧٤
٢٥	ألوارلي أفه	٤
٢٦	أوغست كونت	٤٨١
٢٧	الإيجي	٤٨
٢٨	أينشتاين	١٢٤
٢٩	آرثر جيفري	٧٠٦
٣٠	الباجوري	١٣٥
٣١	الباقلاني(القاضي)	٧٠
٣٢	برتراند راسل	٨
٣٣	برجسون: هنري لوي	٦٦
٣٤	البسطامي(أبو يزيد)	٥٩٧
٣٥	بسكال بليز	٩
٣٦	بشر بن المعتمر	٢٦٣
٣٧	بوبر كارل	٥٠٥
٣٨	بوذا	٢٨٠
٣٩	البوصيري	٣
٤٠	بيجوفيتش(علي عزت)	٩٧
٤١	التفتازانى(سعد الدين)	١٦٧
٤٢	تولستوى	٨
٤٣	توماس أرنولد	٦٥١
٤٤	الجاحظ	١٠٧

٤٥	الجبائي(أبو علي)	١٦٤
٤٦	الجرجاني	١٣٥
٤٧	الجنيد(أبو القاسم)	٣٥٤
٤٨	جلال الدين الرومي	٧
٤٩	جمال الدين القاسمي	٨٨
٥٠	الجويني	٨٩
٥١	الجيلاني(عبد القادر)	٥٥٣
٥٢	الجيلي(عبد الكريم)	٦٠٦
٥٣	حامد طاهر	٤٦٤
٥٤	حسين الجسر	٣٤٦
٥٥	الحلاج	٤٢٥
٥٦	خالد الكردي	٥٥٣
٥٧	خواجة زاده	٤٨١
٥٨	دارون(تشارلس)	٩٦
٥٩	دانتي	٤٢٦
٦٠	الدردير	٢٨٢
٦١	دوركهيم	٤٨١
٦٢	درمنهيم(إميل)	٣٧٢
٦٣	ديكارت رينيه	١٢٣
٦٤	ذو النون المصري	٥٨٨
٦٥	رابعة العدوية	٥٥٤
٦٦	الرازي(فخر الدين)	٦٣
٦٧	راسل	٩

٦٨	رحمت الله الهندي	٣٤٦
٦٩	رشيد رضا	١٣٥
٧٠	روسو جان جاك	٨
٧١	ريتشارد بل	٣٧٠
٧٢	رينان(أرنست)	١٢٩
٧٣	زرادشت	٤٢٤
٧٤	زغلول النجار	٣٦٣
٧٥	سارتر	٧
٧٦	سفيان الثوري	٣٥٤
٧٨	سقراط	٢٨٠
٧٩	سليمان توناهان	٢٤
٨٠	السهروردي	٤٢٦
٨١	السيوطي	٥١١
٨٢	الشاذلي(أبو الحسن)	٥٦٠
٨٣	الطبري	٣٦٢
٨٤	طنطاوي جوهري	٣٦٣
٨٥	الطوسي	٥٥٢
٨٦	عبد الجبار(القاضي)	٦٩
٨٧	عبد الحليم محمود	٤٦٥
٨٨	عبد الرحمن الجامي	٨
٨٩	عياض(القاضي)	٣٥٥
٩٠	غالب(الشيخ)	٥٣٠
٩١	الغزالي	١٠٦

٩٢	الفارابي	٩٠
٩٣	فرويد	١٠٥
٩٤	فريد الدين العطار	٥٥٥
٩٥	الفضيل بن عياض	٥٦٧
٩٦	فولتير	٨
٩٧	فيثاغورس	٤٢٥
٩٨	القادياني	٤٤٤
٩٩	القشيري	٥٣٧
١٠٠	كانط	٨
١٠١	الكلاباذي	٥٦٨
١٠٢	الكواكبي	٥٣٦
١٠٣	كونفوشيوس	٢٨٠
١٠٤	كوستاف لوبون	٣٥٩
١٠٥	لالاند	٤٩٥
١٠٦	لامارك(جان)	١١٤
١٠٧	لينين	٣٢
١٠٨	ماسنيون	٥٦٨
١٠٩	مالك بن نبي	٥٣٥
١١٠	المحاسبي	٥٥٥
١١١	محمد حسين هيكل	١٢٣
١١٢	محمد عاكف أرضوى	٩
١١٣	محمد عبده	٩١
١١٤	محمد فريد وجدي	١٠٣

١١٥	مسروق	٦٨٠
١١٦	مصطفى رشيد	٤٨١
١١٧	مصطفى صبري	٩١
١١٨	مصطفى عبد الرازق	٤٦٤
١١٩	مصطفى محمود	٢٧٨
١٢٠	مصطفى النشار	٤٩٦
١٢١	ملا زيرك(محمد)	٥١٠
١٢٢	نجيب فاضل	٧
١٢٣	النسفي(أبو معين)	٢٢٥
١٢٤	النسفي(أبو البركات)	١٤٦
١٢٥	النصر آباذي	٦١١
١٢٦	النظام	٢٦٣
١٢٧	نور الدين طوبجو	٤٠
١٢٨	النورسي	٤
١٢٩	نيازي المصري	٥٩٧
١٣٠	نيكلسون	٥٦٨
١٣١	هتلر	٣٣
١٣٢	هورتن	٤٦٥
١٣٣	هيجل	٩
١٣٤	واصل بن عطاء	٢٦٣
١٣٥	ولي الدين الدهلوي	٥٣٠
١٣٦	يونس أمره	٥٩٦

فهرس الفرق والمذاهب

م	الفرقة والمذهب	رقم الصفحة
١	الاثنا عشرية	١٥٠
٢	الأشعرية	٥٣
٣	الباطنية	٤٣٣
٤	البراهمة	٢٧٣
٥	البكتاشية	٢٢
٦	البوذية	٤٤٤
٧	الجبرية	٢٠١
٨	الحشوية	١٣٦
٩	الداروينية	٣٢
١٠	السامرة	٤٥٩
١١	السلفية	١٤٨
١٢	السمنية	٢٧٤
١٣	الشيوعية	١٢١
١٤	الصفويين	١٩
١٥	الطورانية	٣١
١٦	العلمانية	٢١
١٧	العلويون	٢١
١٨	القادرية	٤
١٩	الليبرالية	٣١

٢٠	الماتريدية	٥٣
٢١	الماركسية	٣٠
٢٢	المرجئة	١٧٩
٢٣	المعتزلة	٥٦
٢٤	المولوية	٢٣
٢٥	الميكافيلية	٤٧٨
٢٦	النقشبندية	٢٢
٢٧	الهاشمية	٣٨٦
٢٨	الهشامية	١٦٤
٢٩	الوجودية	٣٢
٣٠	يهود الدونمة	١٩

فهرس المصادر والمراجع[1]

أولا: القرآن الكريم وعلومه:

١. **ابن كثير**: أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي (المتوفى: ٧٧٤هـ): تفسير القرآن العظيم، تحقيق: سامي سلامة، دار طيبة للنشر والتوزيع، ط الثانية: ١٤٢٠هـ- ١٩٩٩م.

٢. **أبو حيان الأندلسي**: أبو حيان محمد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حيان أثير الدين الأندلسي (المتوفى: ٧٤٥هـ): تفسير البحر المحيط، تحقيق: عادل احمد عبد الموجود- علي محمد معوض، دار الكتب العلمية- لبنان- بيروت ٢٠٠١م.

٣. **أبو منصور الماتريدي**(محمد بن محمد بن محمود المتوفى ٣٣٣هـ): تأويلات أهل السنة، تحقيق: د/ مجدي باسلوم، دار الكتب العلمية- بيروت- لبنان ١٤٢٦هـ- ٢٠٠٥م.

٤. **البيضاوي**: ناصر الدين أبو سعيد عبد الله بن عمر بن محمد الشيرازي البيضاوي (المتوفى: ٦٨٥هـ): أنوار التنزيل وأسرار التأويل، تحقيق: محمد عبد الرحمن المرعشي، دار إحياء التراث العربي، ط الأولى ١٤١٨هـ.

٥. **الثعالبي:** أبو زيد عبد الرحمن بن محمد بن مخلوف الثعالبي (المتوفى: ٨٧٥هـ):تفسير الجواهر الحسان في تفسير القرآن، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات – بيروت.

٦. **الرازي:** أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي الرازي الملقب بفخر الدين الرازي خطيب الري (المتوفى: ٦٠٦هـ): التفسير الكبير أو مفاتيح الغيب، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع – لبنان- بيروت، ط الأولى ١٤٠١هـ- ١٩٨١م.

٧. **الزمخشري**: أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، الزمخشري جار الله (المتوفى: ٥٣٨هـ): الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، الناشر: دار الكتاب العربي – بيروت الطبعة: الثالثة - ١٤٠٧ هـ، الكتاب مذيل بحاشية (الانتصاف فيما تضمنه الكشاف) لابن المنير الإسكندري (ت ٦٨٣) وتخريج أحاديث الكشاف للإمام الزيلعى].

٨. **الطبري**: محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، أبو جعفر الطبري (المتوفى: ٣١٠هـ): جامع البيان في تأويل القرآن ،تحقيق: أحمد محمد شاكر مؤسسة الرسالة ط الأولى ٢٠٠م.

٩. **عبد الجبار بن أحمد(القاضي)**: تنزيه القرآن عن المطاعن.تحقيق: د/ أحمد عبد الرحيم السايح- المستشار/توفيق علي وهبة، مكتبة النافذة، ط: الأولى ٢٠٠٦م.

١٠. **القرطبي:** أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي شمس الدين القرطبي (المتوفى: ٦٧١هـ): الجامع لأحكام القرآن أو تفسير القرطبي، تحقيق: أحمد البردوني- إبراهيم أطفيس، دار الكتب المصرية - القاهرة ١٩٦٤م.

---

[1]- رتبت المصادر بذكر مؤلف الكتاب بما اشتهر به من اسم أو لقب - مع حذف الألف واللام من الاسم - حسب الترتيب الهجائي ثم ذكر الاسم، فالكتاب، فالمحقق أو المترجم ، ودار النشر، والطبعة، وسنة النشر.

١١. **القشيري**: عبد الكريم بن هوازن بن عبد الملك القشيري (المتوفى: ٤٦٥هـ): لطائف الإشارات = تفسير القشيري، تحقيق: إبراهيم البسيوني، الناشر: الهيئة المصرية العامة للكتاب- مصر، الطبعة: الثالثة.
١٢. **محمد عبده**: تفسير سورة الفاتحة وجزء عم، تقديم: د مصطفى لبيب عبد الغني، سلسلة الذخائر ١٦٢، الهيئة العامة لقصور الثقافة-القاهرة ٢٠٠٧م
١٣. **محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي** (المتوفى : ١٣٩٣هـ): التحرير والتنوير «تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد»، الناشر: الدار التونسية للنشر- تونس، سنة النشر: ١٩٨٤ هـ.
١٤. **النسفي:** أبو البركات عبد الله بن أحمد بن محمود حافظ الدين النسفي (المتوفى: ٧١٠هـ): تفسير النسفي (مدارك التنزيل وحقائق التأويل)، حققه وخرج أحاديثه: يوسف علي بديوي راجعه وقدم له: محيي الدين ديب مستو، الناشر: دار الكلم الطيب، بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤١٩ هـ - ١٩٩٨م.

ثانيا: الحديث وعلومه:

١٥. **الأزرقي:** أبو الوليد محمد بن عبد الله بن أحمد بن محمد بن الوليد بن عقبة بن الأزرق الغساني المكي المعروف بالأزرقي (المتوفى: ٢٥٠هـ): أخبار مكة وما جاء فيها من الأثار، المحقق: رشدي الصالح ملحس، الناشر: دار الأندلس للنشر.
١٦. **ابن أبي شيبة**: أبو بكر بن أبي شيبة، عبد الله بن محمد بن إبراهيم بن عثمان بن خواستي العبسي (المتوفى: ٢٣٥هـ): مسند ابن أبي شيبة، تحقيق: عادل بن يوسف العزازي- أحمد بن فريد، دار الوطن- الرياض، ط: الأولى ١٩٩٧م.
١٧. **ابن الأثير:** (مجد الدين أبو السعادات المبارك بن محمد بن محمد بن محمد ابن عبد الكريم الشيباني الجزري ابن الأثير (المتوفى : ٦٠٦هـ): جامع الأصول في أحاديث الرسول، تحقيق: عبد القادر الأرناؤوط التتمة، تحقيق: بشير عون مكتبة الحلواني - مطبعة الملاح- مكتبة دار البيان١٩٦٩م- ١٣٨٩هـ.
١٨. **ابن الجارود**: أبو محمد عبد الله بن علي بن الجارود النيسابوري المجاور بمكة (المتوفى: ٣٠٧هـ): المنتقى من السنن المسندة ، تحقيق الشيخ/ عبد الله عمر البارودي، الناشر: مؤسسة الكتاب الثقافية- بيروت، ط الأولى ١٤٠٨هـ- ١٩٨٨م.
١٩. **ابن حبان**: محمد بن حبان بن أحمد بن حبان بن معاذ بن مَعْبدَ، التميمي، أبو حاتم، الدارمي، البُستي (المتوفى: ٣٥٤هـ): صحيح ابن حبان بترتيب ابن بلبان، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة، ط الثانية ١٩٩٢م.

ابن حجر العسقلاني: أبو الفضل أحمد بن علي بن محمد بن أحمد بن حجر العسقلاني (المتوفى : ٨٥٢هـ):

٢٠. المطَالبُ العَاليَةُ بِزَوَائِدِ المسَانيد الثّمَانِيَةِ تحقيق: مجموعة من الباحثين في ١٧ رسالة جامعية تنسيق: د/سعد بن ناصر بن عبد العزيز الشَّثري، الناشر: دار العاصمة للنشر والتوزيع- دار الغيث للنشر والتوزيع، الطبعة: الأولى.
٢١. فتح الباري شرح صحيح البخاري، دار المعرفة- بيروت ١٣٧٩هـ.

٢٢. **ابن ماجه**: أبو عبد الله محمد بن يزيد القزويني، وماجة اسم أبيه يزيد (المتوفى: ٢٧٣هـ) :سنن ابن ماجه، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء الكتب العربية – بيروت.
٢٣. **ابن الملقن**(سراج الدين أبو حفص عمر بن علي بن أحمد الشافعي المصري المتوفى ٨٠٤هـ): "البدر المنير في تخريج الأحاديث والأثار الواقعة في الشرح الكبير، تحقيق: مصطفى أبو الغيط، وعبد الله بن سليمان، وياسر بن كمال، الناشر: دار الهجرة للنشر والتوزيع - الرياض-السعودية، الطبعة: الاولى، ١٤٢٥هـ-٢٠٠٤م .
٢٤. **أبو الشيخ الأصفهاني**: أبو محمد عبد الله بن محمد بن جعفر بن حيان الأنصاري المعروف بأبِي الشيخ الأصبهاني (المتوفى: ٣٦٩هـ): العظمة، تحقيق: رضاء الله المباركفوري، دار العاصمة- الرياض، الطبعة الأولى ١٤٠٨هـ.
٢٥. **أبو العباس شهاب الدين الكناني**: أبو العباس شهاب الدين أحمد بن أبي بكر بن إسماعيل بن سليم بن قايماز بن عثمان البوصيري الكناني الشافعي (المتوفى: ٨٤٠هـ): "إتحاف الخيرة المهرة بزوائد المسانيد العشرة" تحقيق: دار المشكاة للبحث العلمي بإشراف أبو تميم ياسر بن إبراهيم دار النشر: دار الوطن للنشر، الرياض الطبعة: الأولى، ١٤٢٠ هـ - ١٩٩٩ م.
٢٦. **أبو داود** (سليمان بن الأشعث بن إسحاق بن بشير بن شداد بن عمرو الأزدي السِّجِسْتاني (المتوفى: ٢٧٥هـ): سنن أبي داود .دار الكتاب العربي- بيروت.
٢٧. **أبو عبد الرحمن محمود بن محمد الملاح**: الأحاديث الضعيفة والموضوعة التي حكم عليها الحافظ ابن كثير في تفسيره، قدم له: فضيلة الشيخ عبد الله بن مانع الروقي، الناشر: مكتبة العلوم والحكم، المدينة المنورة - المملكة العربية السعودية. الطبعة: الأولى، ١٤٣١ هـ - ٢٠١٠م.

أبو نعيم (أحمد بن عبد الله بن أحمد بن إسحاق بن موسى بن مهران الأصبهاني (المتوفى: ٤٣٠هـ):

٢٨. " المسند المستخرج على صحيح الإمام مسلم" ،تحقيق الشيخ: محمد حسن إسماعيل الشافعي الناشر: دار الكتب العلمية- بيروت- لبنان الطبعة: الأولى، ١٤١٧هـ - ١٩٩٦م.
٢٩. دلائل النبوة تحقيق: د/محمد رواس قلعه جي عبد البر عباس، دار النفائس- بيروت، ط: الثانية١٤٠٦هـ- ١٩٨٦م.
٣٠. "حلية الأولياء وطبقات الأصفياء" الناشر السعادة - بجوار محافظة مصر، ١٣٩٤هـ - ١٩٧٤م.ثم صورتها عدة دور منها: دار الكتاب العربي- بيروت- دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت- دار الكتب العلمية- بيروت (طبعة ١٤٠٩هـ بدون تحقيق).
٣١. **أحمد بن حنبل:** أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد الشيباني (المتوفى: ٢٤١هـ): مسند الإمام أحمد بن حنبل، تحقيق: شعيب الأرنؤوط- عادل مرشد وآخرون، إشراف: د/ عبد الله بن عبد المحسن التركي، مؤسسة الرسالة، ط: الأولى ١٤٢١هـ- ٢٠٠١م.

٣٢. **أحمد بن محمد بن الصدِّيق** بن أحمد، أبو الفيض الغُمَارِي الحسني الأزهري (المتوفى: ١٣٨٠ هـ): المداوي لعلل الجامع الصغير وشرحي المناوي الناشر: دار الكتبي، القاهرة - جمهورية مصر العربية ،الطبعة: الأولى، ١٩٩٦م.

الألباني(أبو عبد الرحمن محمد ناصر الدين، بن الحاج نوح بن نجاتي بن آدم، الأشقودري) (المتوفى: ١٤٢٠هـ):

٣٣. إرواء الغليل في تخريج أحاديث منار السبيل ،إشراف: زهير الشاويش، الناشر: المكتب الإسلامي – بيروت ،الطبعة: الثانية ١٤٠٥ هـ - ١٩٨٥م.

٣٤. تخريج العقيدة الطحاوية لأبي جعفر أحمد بن محمد بن سلامة بن عبد الملك بن سلمة الأزدي الحجري المصري المعروف بالطحاوي (المتوفى: ٣٢١هـ)، المكتب الإسلامي - بيروت، الطبعة: الثانية، ١٤١٤ هـ.

٣٥. التعليقات الحسان على صحيح ابن حبان وتمييز سقيمه من صحيحه، وشاذه من محفوظه، الناشر: دار با وزير للنشر والتوزيع، جدة - المملكة العربية السعودية، الطبعة: الأولى، ١٤٢٤ هـ - ٢٠٠٣ م.

٣٦. سلسلة الأحاديث الصحيحة وشيء من فقهها وفوائدها، الناشر: مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، الرياض، الطبعة: الأولى١٤١٦هـ- ١٩٩٦م.

٣٧. السلسلة الضعيفة، مكتبة المعارف- الرياض.

البخاري: محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة البخاري، أبو عبد الله (المتوفى: ٢٥٦هـ):

٣٨. الأدب المفرد، تحقيق: سمير بن أمين الزهيري مستفيدا من تخريجات وتعليقات الشيخ الألباني، مكتبة المعارف- الرياض ط الأولى ١٤١٩هـ - ١٩٩٨م.

٣٩. صحيح البخاري، تحقيق: محمد زهير ناصر الناصر، دار طوق النجاة، الطبعة: الأولى ١٤٢٢هـ.

٤٠. **البزار:** أبو بكر أحمد بن عمرو بن عبد الخالق بن خلاد بن عبيد الله العتكي المعروف بالبزار (المتوفى: ٢٩٢هـ): مسند البزار، تحقيق: محفوظ الرحمن زين الله، مكتبة العلوم والحكم- المدينة المنورة، ط الأولى.

البيهقي (أبوبكر أحمد بن الحسينبن موسى الخسروجردي الخراساني المتوفى ٤٥٨هـ):

٤١. شعب الإيمان، تحقيق: د/ عبد العلي عبد الحميد حامد، مكتبة الرشد- الرياض، الطبعة: الأولى ٢٠٠٣م.

٤٢. السنن الكبرى، تحقيق: محمد عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية- بيروت، لبنان، ط الثالثة ٢٠٠٢م.

٤٣. دلائل النبوة ومعرفة أحوال صاحب الشريعة، الناشر: دار الكتب العلمية- بيروت، الطبعة: الأولى - ١٤٠٥ هـ.

٤٤. دلائل النبوة، د/عبد المعطي قلعجي، الناشر: دار الكتب العلمية، دار الريان للتراث، الطبعة: الأولى - ١٤٠٨ هـ - ١٩٨٨ م.

٤٥. **التبريزي**(محمد بن عبد الله الخطيب العمري، أبو عبد الله، ولي الدين (المتوفى: ٧٤١هـ): مشكاة المصابيح، المحقق: محمد ناصر الدين الألباني الناشر: المكتب الإسلامي- بيروت ،الطبعة: الثالثة، ١٩٨٥ م.

٤٦. **الترمذي**: (محمد بن عيسى بن سَوْرة بن موسى بن الضحاك، الترمذي، أبو عيسى (المتوفى: ٢٧٩هـ): سنن الترمذي، تحقيق: بشار عواد معروف، الناشر: دار الغرب الإسلامي- بيروت، سنة النشر: ١٩٩٨ م
٤٧. **تمام**(أبو القاسم تمام بن محمد بن عبد الله بن جعفر بن عبد الله بن الجنيد البجلي الرازي ثم الدمشقي (المتوفى: ٤١٤هـ): الفوائد، تحقيق: حمدي عبد المجيد السلفي مكتبة الرشد - الرياض، الطبعة: الأولى .
٤٨. **الدار قطني**: أبو الحسن علي بن عمر بن أحمد بن مهدي بن مسعود بن النعمان بن دينار البغدادي الدارقطني (المتوفى: ٣٨٥هـ): سنن الدار قطني ، تحقيق: السيد عبد الله هاشم يماني المدني، دار المعرفة- بيروت ١٩٦٦م.
٤٩. **الدارمي**(أبو محمد عبد الله بن عبد الرحمن بن الفضل بن بهرام بن عبد الصمد الدارمي التميمي السمرقندي): سنن الدارمي. تحقيق: حسين سليم أسد دار المغني للنشر والتوزيع، المملكة العربية السعودية، ط: الأولى ١٤١٢هـ- ٢٠٠٠م.
٥٠. **الزرقاني**(أبي عبد الله محمد بن عبد الباقي بن يوسف بن أحمد بن شهاب الدين): شرح الزرقاني على المواهب اللدنية بالمنح المحمدية، دار الكتب العلمية، ط: الأولى ١٤١٧هـ- ١٩٩٦م.
٥١. **الزركشي:** أبو عبد الله بدر الدين محمد بن عبد الله بن بهادر (المتوفى ٧٩٤هـ): اللآليء المنثورة في الأحاديث المشهورة المعروف بالتذكرة في الأحاديث المشتهرة، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية- بيروت- لبنان، ط: الأولى ١٤٠٦هـ- ١٩٨٦م.
٥٢. **الزيلعي:** جمال الدين أبو محمد عبد الله بن يوسف بن محمد الزيلعي (المتوفى: ٧٦٢هـ): تخريج الأحاديث والآثار الواقعة في تفسير الكشاف للزمخشري، تحقيق الشيخ : عبد الله بن عبد الرحمن السعد، الناشر: دار ابن خزيمة - الرياض الطبعة: الأولى، ١٤١٤هـ.
٥٣. **السخاوي**: شمس الدين أبو الخير محمد بن عبد الرحمن بن محمد السخاوي (المتوفى: ٩٠٢هـ):المقاصد الحسنة في بيان كثير من الأحاديث المشتهرة على الألسنة، تحقيق: محمد عثمان الخشت، الناشر: دار الكتاب العربي- بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤٠٥ هـ - ١٩٨٥م.

السيوطي: (عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي (المتوفى: ٩١١ هـ)-:
٥٤. الجامع الصغير في أحاديث البشير النذير دار الكتب العلمية – بيروت- لبنان.
٥٥. الحاوي للفتاوى، دار الفكر - بيروت- لبنان ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٤م.
٥٦. الدرر المنتثرة في الأحاديث المشتهرة، تحقيق: محمد بن لطفي الصباغ ، عمادة شؤون المكتبات- جامعة الملك سعود- الرياض.
٥٧. **الشوكاني (محمد بن علي بن محمد الشوكاني (المتوفى: ١٢٥٠هـ)** الفوائد المجموعة في الأحاديث الموضوعة، تحقيق: عبد الرحمن بن يحيى المعلمي اليماني، دار الكتب العلمية- بيروت- لبنان.

الطبراني: **سليمان بن أحمد بن أيوب بن مطير اللخمي الشامي، أبو القاسم الطبراني (المتوفى: ٣٦٠هـ):**

٥٨. المعجم الكبير، تحقيق: حمدي بن عبد المجيد السلفي، مكتبة ابن تيمية، ط: الثانية .
٥٩. المعجم الأوسط، تحقيق: طارق بن عوض الله بن محمد- عبد المحسن بن إبراهيم الحسيني، دار الحرمين- القاهرة.
٦٠. **الطحاوي**(جعفر أحمد بن محمد بن سلامة بن عبد الملك الأزدي): مشكل الآثار تحقيق: شعيب الأرناؤوط، مؤسسة الرسالة، ط: الأولى ١٤١٥هـ- ١٩٩٤م.
٦١. **العجلوني**(إسماعيل بن محمد بن عبد. الهادي الجراحي العجلوني الدمشقي، أبو الفداء (المتوفى: ١١٦٢هـ): كشف الخفاء ومزيل الإلباس، الناشر: المكتبة العصرية، تحقيق: عبد الحميد بن أحمد بن يوسف بن هنداوي، الطبعة: الأولى، ١٤٢٠هـ - ٢٠٠٠م.
٦٢. **القضاعي**: أبو عبد الله محمد بن سلامة بن جعفر بن علي بن حكمون القضاعي المصري (المتوفى: ٤٥٤هـ): مسند القضاعي، تحقيق: حمدي عبد المجيد السلفي، مؤسسة الرسالة- بيروت، ط: الثانية ١٠٧هـ- ١٩٨٦م.
٦٣. **اللكنوي**(عبد الحي بن محمد عبد الحليم الأنصاري): الآثار المرفوعة في الأخبار الموضوعة ، تحقيق: محمد السعيد بسيوني زغلول، مكتبة الشرق الجديد- بغداد.
٦٤. **المتقي الهندي:** علاء الدين علي بن حسام الدين ابن قاضي خان القادري الشاذلي الهندي البرهان فوري ثم المدني فالمكي الشهير بالمتقي الهندي (المتوفى: ٩٧٥هـ): كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال، تحقيق: بكري حياني- صفوة السقا، مؤسسة الرسالة، الطبعة: الخامسة ١٩٨١م

مسلم بن الحجاج: (أبو الحسن القشيري النيسابوري (المتوفى: ٢٦١هـ):
٦٥. صحيح مسلم بشر ح النووي .مكتبة الإيمان- المنصورة.
٦٦. صحيح مسلم، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي- بيروت.

النسائي(أبو عبد الرحمن أحمد بن شعيب بن علي الخراساني، النسائي (المتوفى: ٣٠٣هـ):
٦٧. السنن الكبرى، تحقيق: حسن عبد المنعم شلبي، إشراف: شعيب الأرنؤوط، تقديم: عبد الله بن عبد المحسن التركي، مؤسسة الرسالة - بيروت، ط: الأولى ٢٠٠١م.
٦٨. السنن الصغرى أو المجتبى من السنن، تحقيق: عبد الفتاح أبو غدة مكتب المطبوعات الإسلامية- حلب، ط: الثانية ١٤٠٦هـ- ١٩٨٦م.
٦٩. **الهيثمي:** (أبو الحسن نور الدين علي بن أبي بكر بن سليمان) (المتوفى: ٨٠٧هـ)**:** مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، المحقق: حسام الدين القدسي، الناشر: مكتبة القدسي، القاهرة ، عام النشر: ١٤١٤هـ- ١٩٩٤م .

ثالثا: اللغة والمعاجم :

ابن فارس: أحمد بن فارس بن زكرياء القزويني الرازي، أبو الحسين (المتوفى: ٣٩٥هـ) :

٧٠. مجمل اللغة، دراسة وتحقيق: زهير عبد المحسن سلطان، دار النشر: مؤسسة الرسالة - بيروت، الطبعة الثانية - ١٤٠٦ هـ - ١٩٨٦ م
٧١. معجم مقاييس اللغة، المحقق: عبد السلام محمد هارون، الناشر: دار الفكر، عام النشر: ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م .
٧٢. **ابن منظور**(محمد بن مكرم بن علي أبو الفضل جمال الدين): لسان العرب، دار صادر- بيروت، ط: الثالثة ١٤١٤هـ.
٧٣. **أبو بكر محمد بن الحسن بن دريد الأزدي** (المتوفى: ٣٢١هـ): جمهرة اللغة، المحقق: رمزي منير بعلبكي، الناشر: دار العلم للملايين - بيروت، الطبعة: الأولى، ١٩٨٧م.
٧٤. **أبو هلال العسكري**: الفروق اللغوية، حققه وعلق عليه: محمد إبراهيم سليم، دار العلم والثقافة- القاهرة.
٧٥. **أحمد بن محمد بن علي الفيومي الحموي**(المتوفى ٧٧٠هـ): المصباح المنير في غريب الشرح الكبير، المكتبة العلمية- بيروت.
٧٦. **أحمد مختار عبد الحميد عمر** : معجم اللغة العربية المعاصرة، عالم الكتب، ط: الأولى ١٤٢٩هـ- ٢٠٠٨م.
٧٧. **أحمد رضا** :معجم متن اللغة ،الناشر: دار مكتبة الحياة- بيروت ١٣٨٠ هـ - ١٩٦٠م.
٧٨. **جميل صليبا:** المعجم الفلسفي، دار الكتاب اللبناني- مكتبة المدرسة بيروت- لبنان ١٩٨٢م.
٧٩. **الخليل بن أحمد**: أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد بن عمرو بن تميم الفراهيدي البصري (المتوفى: ١٧٠هـ): العين، المحقق: د/ مهدي المخزومي- د إبراهيم السامرائي، الناشر: دار ومكتبة الهلال.
٨٠. **الخوارزمي:** محمد بن أحمد بن يوسف، أبو عبد الله، الكاتب البلخي (المتوفى: ٣٨٧هـ) مفاتيح العلوم، المحقق: إبراهيم الأبياري، دار الكتاب العربي، الطبعة: الثانية ١٩٨٩م.
٨١. **رينهارت بيتر آن دُوزِي** (المتوفى: ١٣٠٠هـ) : تكملة المعاجم العربية نقله إلى العربية وعلق عليه: جـ ١ - ٨: محمَّد سَليم النعَيمي، جـ ٩، ١٠: جمال الخياط، الناشر: وزارة الثقافة والإعلام، الجمهورية العراقية، الطبعة: الأولى، من ١٩٧٩ - ٢٠٠٠ م.
٨٢. **الشريف الجرجاني** :التعريفات، المطبعة الخيرية-الجمالية- مصر ١٣٠٦هـ.
٨٣. **عبد الرازق القاشاني**: معجم المصطلحات والإشارات الصوفية (لطائف الإعلام في إشارات أهل الإلهام)، تحقيق ودراسة: سعيد عبد الفتاح، الهيئة المصرية العامة للكتاب ٢٠٠٥م .
٨٤. **الفيروز أبادي**(مجد الدين محمد بن يعقوب): القاموس المحيط، تحقيق: عبد الخالق السيد عبد الخالق، مكتبة الإيمان - المنصورة ٢٠٠٩م .
٨٥. **مجمع اللغة العربية**: المعجم الوجيز عام ١٤١٨هـ- ١٩٩٧م.
٨٦. **مجمع اللغة العربية:** المعجم الفلسفي، تصدير: د/ إبراهيم مدكور، الهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية ١٩٨٣م.

٨٧. مجمع اللغة العربية (إبراهيم مصطفى- أحمد الزيات- حامد عبد القادر- محمد النجار): المعجم الوسيط، الناشر: دار الدعوة- القاهرة
٨٨. **محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الحنفي الرازي** (زين الدين أبو عبد الله المتوفى: ٦٦٦هـ) مختار الصحاح ، المحقق: يوسف الشيخ محمد، المكتبة العصرية - الدار النموذجية، بيروت- صيدا، الطبعة: الخامسة، ١٤٢٠هـ / ١٩٩٩م.
٨٩. **محمد بن أحمد بن الأزهري الهروي**، أبو منصور (المتوفى: ٣٧٠هـ) تهذيب اللغة، المحقق: محمد عوض مرعب، الناشر: دار إحياء التراث العربي - بيروت.
٩٠. **محمد عميم الإحسان المجددي البركتي**: التعريفات الفقهية، دار الكتب العلمية، ط: الأولى ١٤٢٤هـ- ٢٠٠٣م.
٩١. **مراد وهبة:** المعجم الفلسفي، دار قباء الحديثة- القاهرة ٢٠٠٧م.
٩٢. **ياقوت الحموي**: شهاب الدين أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله الرومي الحموي المتوفى(٦٢٦هـ): معجم البلدان ، دار صادر- بيروت، ط: الثانية ١٩٩٥م.

رابعا: التاريخ والتراجم:

٩٣. **ابن الجوزي:** جمال الدين أبي الفرج بن الجوزي(المتوفى ٥٩٧): صفة الصفوة، تحقيق: حامد أحمد طاهر، الفجر للتراث- القاهرة، ١٤٢٦هـ- ٢٠٠٥م.
٩٤. **ابن حجر:** محمد بن أحمد بن علي، تقي الدين، أبو الطيب المكي الحسني الفاسي (المتوفى: ٨٣٢هـ) ذيل التقييد في رواة السنن والأسانيد ص ١/ ٣٥٧.المحقق: كمال يوسف الحوت، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، الطبعة: الأولى، ١٤١٠هـ/١٩٩٠م.
٩٥. **ابن خلكان**: (أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن إبراهيم بن أبي بكر ابن خلكان البرمكي الإربلي (المتوفى: ٦٨١هـ): وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، المحقق: إحسان عباس الناشر: دار صادر- بيروت، ط: الأولى ١٩٧١م .
٩٦. **ابن عساكر:** أبو القاسم علي بن الحسن بن هبة الله المعروف بابن عساكر (المتوفى: ٥٧١هـ) تاريخ دمشق، المحقق: عمرو بن غرامة العمروي، الناشر: دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع١٤١٥ هـ - ١٩٩٥م.
٩٧. **ابن العماد:** عبد الحي بن أحمد بن محمد ابن العماد العَكري الحنبلي، أبو الفلاح (المتوفى: ١٠٨٩هـ): شذرات الذهب في أخبار من ذهب حققه: محمود الأرناؤوط، خرج أحاديثه: عبد القادر الأرناؤوط، الناشر: دار ابن كثير، دمشق - بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤٠٦ هـ - ١٩٨٦م.
٩٨. **ابن كثير:** أبو الفداء اسماعيل بن عمر بن كثير اقرشي البصري ثم الدمشقي: قصص الأنبياء، تحقيق: مصطفى عبد الواحد، مطبعة دار التأليف – القاهرة ط: الأولى ١٣٨٨هـ- ١٩٦٨م.

٩٩. **ابن الملقن** سراج الدين أبو حفص عمر بن علي بن أحمد الشافعي المصري(المتوفى ٨٠٤هـ): طبقات الأولياء، تحقيق: نور الدين شريبه ، مكتبة الخانجى ١٤١٥هـ- ١٩٩٤م.
١٠٠. **أبو سهل محمد بن عبد الرحمن المغراوي**: موسوعة مواقف السلف في العقيدة والمنهج والتربية، المكتبة الإسلامية للنشر والتوزيع- القاهرة- مصر والنبلاء للكتاب- مراكش-المغرب، ط: الأولى.
١٠١. **أبو عبد الرحمن السلمي**: الطبقات الصوفية، تحقيق: د/ أحمد الشرباصي، كتاب الشعب، سلسلة دار الشعب ١٤١٩هـ- ١٩٩٨م.
١٠٢. **أحمد عبد العزيز محمود**: تركيا في القرن العشرين، المكتب الجامعي الحديث ٢٠١٢م.
١٠٣. **أحمد نوري النعيمي**: النظام السياسي في تركيا ، دار زهران للنشر والتوزيع- الأردن، ط: الأولى ٢٠١١م.
١٠٤. **أحمد بن يحيى المرتضى**: طبقات المعتزلة، تحقيق: سوسنه ديفلد- فلزر، بيروت- لبنان ١٣٨٠هـ- ١٩٦١م سلسلة النشرات الإسلامية يصدرها لجمعية المستشرقين الألمانية: هلمرت ريتر-ألبرت ريتريش، الناشر: فرانز شتاينز.
١٠٥. **إسماعيل بن محمد بن مير سليم الباباني البغدادي**(المتوفى ١٣٩٩هـ): هدية العارفين أسماء المؤلفين وآثار المصنفين طبع بعناية وكالة المعارف الجليلة باستانبول ١٩٥١م- دار إحياء التراث العربي، بيروت - لبنان.
١٠٦. **أكمل الدين إحسان أوغلي**: الدولة العثمانية تاريخ وحضارة بقلم البروفسور: أكمل الدين إحسان أوغلي، نقله إلى العربية: صالح سعداوي، تأليف: عدد كبير من الأساتذة، وبإشراف وتقديم: أكمل الدين إحسان أوغلي، مركز الأبحاث للتاريخ والفنون والثقافة الإسلامية باستانبول(إرسيكا) ١٩٩٩م..
١٠٧. **أنطوني دي كرسبي- كينث مينوج:** أعلام الفلسفة السياسية المعاصرة سلسلة ألف كتاب(الثاني) ٦٠، ترجمة ودراسة: د/ نصار عبد الله، الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٨٨م.
١٠٨. **بكر بن عبد الله أبو زيد بن محمد بن عبد الله بن بكر بن عثمان بن يحيى بن غيهب بن محمد** (المتوفى: ١٤٢٩هـ): طبقات النسابين ، الناشر: دار الرشد، الرياض، الطبعة: الأولى، ١٤٠٧ هـ - ١٩٨٧م.
١٠٩. **البوطي(محمد سعيد رمضان):** فقه السيرة النبوية مع موجز لتاريخ الخلافة الراشدة، دار الفكر المعاصر- بيروت- لبنان- دار الفكر- دمشق-سورية، ط: العاشرة ١٤١١هـ- ١٩٩١م.
١١٠. **تاج الدين عبد الوهاب بن تقي الدين السبكي** (المتوفى: ٧٧١هـ) : طبقات الشافعية الكبرى المحقق: د/ محمود محمد الطناحي- د/ عبد الفتاح محمد الحلو، الناشر: هجر للطباعة والنشر والتوزيع، الطبعة: الثانية، ١٤١٣هـ.
١١١. **جرجي زيدان:** تراجم مشاهير الشرق في القرن التاسع عشر ط الأولى ١٩٠٢م.

١١٢. **حاجي خليفة**: مصطفى بن عبد الله القسطنطيني العثماني المعروف بـ «كاتب جلبي» وبـ «حاجي خليفة»: سلم الوصول إلى طبقات الفحول، المحقق: محمود عبد القادر الأرناؤوط، إشراف وتقديم: أكمل الدين إحسان أوغلي، تدقيق: صالح سعداوي صالح، إعداد الفهارس: صلاح الدين أويغور، مكتبة إرسيكا، إستانبول - تركيا ٢٠١٠ م .
١١٣. **حسن الضيقة**: الدولة العثمانية الثقافة المجتمع والسلطة، دار المنتخب العربي- بيروت، ط: الأولى ١٩٩٧م.
١١٤. **حسين مجيب المصري**: معجم الدولة العثمانية، الدار الثقافية للنشر، ط الأولى ١٤٢٥هـ- ٢٠٠٤م
١١٥. **الخطيب البغدادي**(أبو بكر أحمد بن علي بن ثابت بن أحمد بن مهري): تاريخ بغداد، تحقيق: دكتور/ بشار عواد، دار الغرب الإسلامي- بيروت، ط: الأولى ١٤٢٢هـ- ٢٠٠٢م.
١١٦. **الذهبي**: (شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قَايْماز) (المتوفى : ٧٤٨هـ) :
١١٧. سير أعلام النبلاء، المحقق: مجموعة من المحققين بإشراف الشيخ: شعيب الأرناؤوط، الناشر: مؤسسة الرسالة، الطبعة: الثالثة ١٤٠٥هـ- ١٩٨٥م.
١١٨. ميزان الاعتدال في نقد الرجال، تحقيق: علي محمد البجاوي، الناشر: دار المعرفة للطباعة والنشر، بيروت- لبنان، الطبعة: الأولى، ١٣٨٢ هـ - ١٩٦٣م.
١١٩. تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام، تحقيق: د/ بشار عواد معروف، دار الغرب الإسلامي- بيروت ٢٠٠٣م.
١٢٠. **رضا هلال**: السيف والهلال تركيا من أتاتورك إلى أربكان الصراع بين المؤسسة العسكرية والإسلام السياسي، دار الشروق، ط: الأولى ١٤١٩هـ - ١٩٩٩م.
١٢١. **الزركلي**: خير الدين بن محمود بن محمد بن علي بن فارس، الزركلي الدمشقي (المتوفى: ١٣٩٦هـ): الأعلام، الناشر: دار العلم للملايين، الطبعة: الخامسة عشر - أيار / مايو م.٢٠٠٢م.
١٢٢. **سمير ذياب اسبتيان**: تركيا في عهد رجب طيب أردوغان، الجنادرية للنشر والتوزيع، ط: الأولى ٢٠١٢م.
١٢٣. **السيوطي**: عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين (المتوفى : ٩١١ هـ): حسن المحاضرة في تاريخ مصر والقاهرة، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، الناشر: دار إحياء الكتب العربية - عيسى البابي الحلبي وشركاه- مصر، الطبعة : الأولى ١٣٨٧ هـ - ١٩٦٧ م.
١٢٤. **شوقي أبو خليل** : أطلس دول العالم الإسلامي، دار الفكر- دمشق، ط الثانية ١٤٢٤هـ- ٢٠٠٣م.
١٢٥. **الصفصافي أحمد المرسي :** أوراق تركية حول الثقافة والحضارة، الناشر: جواد الشرق للنشر والتوزيع- القاهرة ٢٠٠٢م

١٢٦. **طاش كبرى زاده**: أحمد بن مصطفى بن خليل، أبو الخير، عصام الدين: الشقائق النعمانية في علماء الدولة العثمانية، الناشر: دار الكتاب العربي - بيروت١٣٩٥هـ- ١٩٧٥م.
١٢٧. **عادل نويهض**: معجم المفسرين من صدر الإسلام وحتى العصر الحاضر ، تقديم مفتي لبنان الشيخ: حسن خالد، مؤسسة نويهض الثقافية للتأليف والترجمة والنشر- بيروت- لبنان، ط : الثالثة ١٤٠٩ هـ- ١٩٨٨م.
١٢٨. **عبد الحميد(السلطان)**:(مذكرات السلطان عبد الحميد)، تقديم وترجمة: د/ محمد حرب دار القلم- دمشق ط الثالثة ١٤١٢هـ- ١٩٩١م.
١٢٩. **عبد الحي بن عبد الكبير الكتاني**: فهرس الفهارس والثبات ومعجم المعاجم والمشيخات والمسلسلات ، تحقيق: إحسان عباس، دار الغرب الإسلامي- بيروت ط الثانية :١٩٨٢م..
١٣٠. **عبد الرحمن بن عبد اللطيف** بن عبد الله بن عبد اللطيف بن عبد الرحمن بن حسن بن محمد بن عبد الوهاب: مشاهير علماء نجد وغيرهم . طبع على نفقة المؤلف بإشراف: دار اليمامة-الرياض، ط: الأولى ١٣٩٢هـ- ١٩٧٢م.
١٣١. **عبد الرحمن بن أحمد بن رجب بن الحسن، السَلامي، البغدادي، ثم الدمشقي، الحنبلي**(زين الدين) (المتوفى: ٧٩٥هـ): ذيل طبقات الحنابلة المحقق: د/ عبد الرحمن بن سليمان العثيمين، الناشر: مكتبة العبيكان-الرياض، الطبعة: الأولى، ١٤٢٥ هـ - ٢٠٠٥ م.
١٣٢. **عبد الرزاق بن حسن بن إبراهيم البيطار الميداني الدمشقي** (المتوفى: ١٣٣٥هـ): حلية البشر في تاريخ القرن الثالث عشر، حققه وعلق عليه حفيده: محمد بهجة البيطار - من أعضاء مجمع اللغة العربية، دار صادر، بيروت، الطبعة: الثانية، ١٤١٣ هـ - ١٩٩٣ م.
١٣٣. **عبد الوهاب الشعراني:** الطبقات الكبرى، المكتبة التوفيقية- القاهرة.
١٣٤. **علي بن أنجب** بن عثمان بن عبد الله أبو طالب، تاج الدين ابن السَّاعي (المتوفى: ٦٧٤هـ) : الدر الثمين في أسماء المصنفين، تحقيق وتعليق: أحمد شوقي بنبين - محمد سعيد حنشي، الناشر: دار الغرب الإسلامي، تونس الطبعة: الأولى، ١٤٣٠ هـ - ٢٠٠٩م.
١٣٥. **عمر بن رضا بن محمد راغب بن عبد الغني كحالة الدمشقي** (المتوفى: ١٤٠٨هـ) معجم المؤلفين، الناشر: مكتبة المثنى - بيروت، دار إحياء التراث العربي - بيروت.
١٣٦. **فريد الدين العطار**: أبو حامد محمد بن ابي بكر بن إبراهيم الشهير بفريد الدين العطار النيسابوري: تذكرة الأولياء، ترجمة وتعليق: د/ منال اليمني عبد العزيز الهيئة المصرية العامة للكتاب ٢٠٠٦م.
١٣٧. **فؤاد كامل**: أعلام الفكر الفلسفي المعاصر دار الجيل- بيروت، ط الأولى ١٩٩٣م - ١٤١٣هـ- .
١٣٨. **القفطي:** جمال الدين أبو الحسن علي بن يوسف القفطي (المتوفى: ٦٤٦هـ): إنباه الرواة على أنباه النحاة، المحقق: محمد أبو الفضل

إبراهيم، الناشر: دار الفكر العربي - القاهرة، ومؤسسة الكتب الثقافية - بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤٠٦ هـ - ١٩٨٢م.
١٣٩. **الماوردي:** أبو الحسن علي بن محمد بن محمد بن حبيب البصري البغدادي، الشهير بالماوردي (المتوفى: ٤٥٠هـ): أعلام النبوة، الناشر: دار ومكتبة الهلال - بيروت، الطبعة: الأول - ١٤٠٩ هـ.
١٤٠. **المباركفوري(صفي الرحمن):** (المتوفى ١٤٢٧هـ) الرحيق المختوم ، الناشر: دار الهلال- بيروت(نفس طبعة وترقيم دار الوفاء للطباعة والنشر والتوزيع)الطبعة: الأولى.
١٤١. **المجلس الأعلى للشئون الإسلامية**: كتاب الإسلام في عيون المنصفين نماذج لفكر يحمل مشاعر التنوير، سلسلة قضايا إسلامية، العدد ١٦٦ المجلس الأعلى للشئون الإسلامية- وزارة الأوقاف القاهرة ١٤٢٩هـ -٢٠٠٨م.
١٤٢. **محمد أحمد درنيقة:** معجم أعلام شعراء المدح النبوي، تقديم: ياسين الأيوبي، الناشر: دار ومكتبة الهلال، الطبعة: الأولى.
١٤٣. **محمد بن شاكر بن عبد الرحمن بن شاكر بن هارون الملقب** بصلاح الدين: فوات الوفيات، تحقيق: إحسان عباس، دار صادر- بيروت، الطبعة: الأولى ١٩٧٤م.
١٤٤. **محمد بن محمد بن سالم مخلوف:** شجرة النور الذكية في طبقات المالكية، علق عليه: عبد المجيد خيالي، دار الكتب العلمية- لبنان، ط: الأولى ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٣م.
١٤٥. **محمد بن أحمد بن علي، تقي الدين، أبو الطيب المكي الحسني الفاسي** (المتوفى: ٨٣٢هـ): ذيل التقييد في رواة السنن والأسانيد، المحقق: كمال يوسف الحوت، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان، الطبعة: الأولى،١٤١٠هـ/١٩٩٠م.
١٤٦. **محمد حرب** : العثمانيون في التاريخ والحضارة المركز المصري للدراسات العثمانية وبحوث العالم التركي- القاهرة ١٤١٤هـ- ١٩٩٤ م.
١٤٧. **محمد خير بن رمضان بن إسماعيل يوسف**: تَكملَة مُعجم المُؤلفين، وَفيات (١٣٩٧ - ١٤١٥ هـ) = (١٩٧٧ - ١٩٩٥ م)، دار ابن حزم للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت - لبنان، الطبعة: الأولى، ١٤١٨ هـ - ١٩٩٧ م.
١٤٨. **محمد فريد بك المحامي**(الأستاذ) : تاريخ الدولة العلية العثمانية ، تحقيق: إحسان حقي، دار النفائس، ط : الأولى ١٤٠١هـ- ١٩٨١م.
١٤٩. **محمد مهدي علام**: المجمعيون في خمسين عاما، مجمع اللغة العربية – القاهرة، الهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية ١٤٠٦هـ- ١٩٨٦م.
١٥٠. **الواقدي**(محمد بن عمر بن واقد السهمي الأسلمي بالولاء، المدني، أبو عبد الله، الواقدي (المتوفى: ٢٠٧هـ: المغازي تحقيق: مارسدن جونس الناشر: دار الأعلمي - بيروت ،الطبعة: الثالثة - ١٩٨٩/١٤٠٩م.
١٥١. **ياقوت الحموي:** شهاب الدين أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله الرومي الحموي المتوفى(٦٢٦هـ): معجم الأدباء = إرشاد الأريب إلى معرفة

الأديب، المحقق: إحسان عباس ، الناشر: دار الغرب الإسلامي- بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤١٤ هـ - ١٩٩٣م.

خامسا: الدوريات:

١٥٢. **إبراهيم البيومي غانم** : مقال الخدمة في خدمة عالمية الإسلام، مجلة حراء السنة التاسعة العدد (٤٢) لعام ٢٠١٤م.

١٥٣. **ابراهيم ليل العلاف** : بحث بعنوان: الحركة النورسية في تركيا المعاصرة مركز الدراسات الإقليمية - جامعة الموصل، مجلة علوم إنسانية السنة الرابعة العدد ٣٢.

١٥٤. **عبد الرزاق الغول**: بحث: بديع الزمان سعيد النورسي والتصوف، مجلة النور للدراسات الحضارية والفكرية، السنة الرابعة/ يناير ٢٠١٣م/ العدد: ٧.

١٥٥. **عمار جيدل**: التعلم طريق للتحضر قراءة في رسائل النور، مجلة النور للدراسات الحضارية والفكرية، العدد ٢ السنة الأولى يوليو٢٠١٠م.

فتح الله كولن

١٥٦. مقال الإنسان الجديد ، مجلة حراء، عدد ١١ عام ٢٠٠٨م

١٥٧. مقال الإنسان الذي نتوق إليه، مجلة حراء، السنة التاسعة العدد ٤١ لعام ٢٠١٤م.

١٥٨. مقال الروح الباعثة، مجلة حراء السنة الحادية عشر العدد ٥٢ لعام ٢٠١٦م

١٥٩. مقال الوفاء مجلة حراء، السنة الحادية عشر(مارس/ إبريل)٢٠١٦م.

١٦٠. محمد بابا عمي: مقال نموذج الرشد النموذج الحضاري البديل السنة التاسعة-حراء، العدد ٤٢لعام ٢٠١٤م.

١٦١. محمد جكيب: مقال التغيير الناجح لمحات من المنجز في رؤية فتح الله كولن، السنة التاسعة - حراء، العدد ٤٢لعام ٢٠١٤م

١٦٢. **مصطفى بن حمزة**: بحث بعنوان: أهمية روحانية النورسي المتبصرة في عالم مادي متأزم، مجلة النور للدراسات الحضارية والفكرية، السنة الرابعة / يناير ٢٠١٢م / العدد ٧.

سادسا: الموسوعات ودوائر المعارف:

١٦٣. أبو سهل محمد بن عبد الرحمن المغراوي: موسوعة مواقف السلف في العقيدة والمنهج والتربية ،المكتبة الإسلامية للنشر- القاهرة- مصر، النبلاء للكتاب - مراكش-المغرب، الطبعة: الأولى.

١٦٤. **د/ رفيق العجم:** موسوعة مصطلحات التصوف، مكتبة لبنان ناشرون، الطبعة: الأولى ١٩٩٩م.

١٦٥. **روني إيلي ألفا**: موسوعة أعلام الفلسفة العرب والأجانب ، تقديم: الرئيس شارل حلو مراجعة: دكتور/ جورج نخل ، دار الكتب العلمية بيروت- لبنان، الطبعة: الأولى ١٤١٢هـ- ١٩٩٢م.

١٦٦. **سميح دغيم:** موسوعة مصطلحات علم الكلام الإسلامي، مكتبة لبنان ناشرون، ط: الأولى ١٩٩٨م

عبد الرحمن بدوي:

١٦٧. موسوعة الفلسفة، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، الطبعة: الأولى ١٩٨٤م.
١٦٨. موسوعة المستشرقين، دار العلم للملايين، ط الثالثة ١٩٩٣م.
١٦٩. **عبد المنعم الحفني**: الموسوعة الصوفية، مكتبة مدبولي، ط: الأولى ٢٠٠٣م.
١٧٠. **عبد الوهاب الكيالي** : موسوعة السياسة، دار الهدى- المؤسسة العربية للدراسات والنشر.
١٧١. **فؤاد كامل- جلال العشري- عبد الرشيد الصادق :** الموسوعة الفلسفية المختصرة: راجعها وأضاف شخصيات إسلامية: د/ زكي نجيب محمود، دار القلم- بيروت – لبنان.
١٧٢. **لالاند:** (أندريه لالاند): موسوعة لالاند الفلسفية، تعريب: خليل أحمد خليل، إشراف:أحمد عويدات، منشورات عويدات بيروت- باريس، ط: الثانية ٢٠٠١م.
١٧٣. **ما سينيون- مصطفى عبد الرازق** : التصوف – دائرة المعارف الإسلامية (١٦) بقلم: لجنة ترجمة دائرة المعارف: إبراهيم خورشيد- د: عبد الحميد يونس- حسن عثمان، دار الكتاب اللبناني- مكتبة المدرسة، ط: الأولى ١٩٨٤م

المجلس الأعلى للشئون الاسلامية:

١٧٤. سلسلة الموسوعات الإسلامية المتخصصة(٣) موسوعة أعلام الفكر الإسلامي، وزارة الأوقاف- المجلس الأعلى للشئون الإسلامية- القاهرة ١٤٣٥هـ- ٢٠١٤م.
١٧٥. موسوعة العقيدة الإسلامية (١٠)، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية ١٤٣٧هـ- ٢٠١٦م.
١٧٦. موسوعة الفرق والمذاهب في العالم الإسلامي، وزارة الأوقاف- المجلس الأعلى للشئون الإسلامية- مصر ٢٠١٥م.
١٧٧. موسوعة أعلام الفكر الإسلامي، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية- مصر ٢٠١٤م.
١٧٨. موسوعة التصوف الإسلامي (٨)، وزارة الأوقاف - المجلس الأعلى للشئون الإسلامية ١٤٣٧هـ- ٢٠١٦م.
١٧٩. الموسوعة الإسلامية العامة، وزارة الأوقاف، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية القاهرة ١٤٣٦هـ- ٢٠١٥م.
١٨٠. موسوعة الفلسفة الإسلامية (٩) إشراف وتقديم: الأستاذ الدكتور: محمود حمدي زقزوق، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية، وزارة الأوقاف ١٤٣٧هـ- ٢٠١٠م .
١٨١. **مرفت عبد الناصر**: موسوعة تاريخ الأفكار ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ٢٠١٧م.
١٨٢. **محمد التهانوي**: موسوعة كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم ، تقديم وإشراف ومراجعة: د/ رفيق العجم، تحقيق: د/ علي دحروج، نقل

النص الفارسي إلى العربية : د/ عبد الله الخالدي، الترجمة الأجنبية: د/ جورج زيناتي ، مكتبة لبنان ناشرون ، ط: الأولى ١٩٩٦م.
١٨٣. **نجيب العقيقي**: المستشرقون موسوعة في تراث العرب مع تراجم المستشرقين ودراساتهم عنه منذ ألف عام حتى اليوم. دار المعارف، ط: الثالثة ١٩٦٥م.
١٨٤. **الندوة العالمية للشباب الإسلامي:** الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة، إشراف وتخطيط ومراجعة: د/ مانع بن حماد الجهني، الناشر: دار الندوة العالمية للطباعة والنشر والتوزيع، الطبعة: الرابعة، ١٤٢٠ هـ.

سابعا:المواقع الإلكترونية:

HERKUL. ARAB

١٨٥. فتح الله كولن: مقال اثنتان من المؤيدات للحفاظ على نشاط الحياة الدينية بتاريخ ١٠-٦- ٢٠١٦م
١٨٦. مقال (يمام العالم الميتافيزيقي والانبعاث المرتقب) سلسلة (الجرة المشروخة) بتاريخ ٢٠١٥/٤/٢٣م.
١٨٧. مقال النفس المطمئنّة بتاريخ ٢٠١٥/٢/٢٦م .
١٨٨. مقال دعاء لا يغلبه الإلف والغفلة بتاريخ ٢٠١٥/٤/١٠م
١٨٩. مقال محور أصول الدين بتاريخ ٤/ ٢٠١٦م.
١٩٠. مقال أسباب الإصرار على الإلحاد بتاريخ ٢٠١٣/١١/١٣م
١٩١. مقال تكامل الطبيعة الإنسانية والإسلام بتاريخ ٢٠١٥/٥/٧م .
١٩٢. مقال التعمق في الشعور والفكر الديني بتاريخ: ٢٥/ ٩/ ٢٠١٥م.
١٩٣. مقال (الإسلام الحقيقي والإسلام الشكلي) بتاريخ ٢٠١٦/٣/١١م.
١٩٤. شبكة تداول الإقتصادية www.tdwl.net.

تركيا بوست:

١٩٥. مقال تركيا زيادة الإنفاق على البحوث العلمية لريادة مستمرة بقلم: سامية السيد بتاريخ ٢٦يناير ٢٠١٦م.
١٩٦. مقال (محمد عاكف أرضوى شاعر تركيا الأول) بتاريخ ٢٧ ديسمبر ٢٠١٦م.
١٩٧. **دار الإفتاء المصرية** الرقم المسلسل ٣٧٤٨ تاريخ الإجابة ٣ /٢٠٠٧/٢م الجواب الشيخ علي جمعة محمد.
١٩٨. دار المعرفة، سيرة د/ زغلول النجار بتاريخ ١٩نوفمبر ٢٠١٧م .
١٩٩. **دكتور زغلول النجار** www.elnaggarzr.com. بتاريخ ١٩ نوفمبر ٢٠١٧م.
٢٠٠. **رئاسة الجمهورية التركية** ٢٩ / ١٠/ ٢٠١٧م.
٢٠١. **صحيفة العرب: هنادي الشوا**: مقال (غوستاف لوبون المستشرق الذي أنصف العرب)نشر في ٢٠١٤/١١/٩م العدد ٩٧٣٣صحيفة العرب (أول صحيفة عربية تأسست في لندن ١٩٧٧م).
٢٠٢. **صحيفة اليوم** على شبكة الأنترنت(وفاة الرئيس البوسني السابق علي عزت بيغوفيتش) بتاريخ ٢٠ أكتوبر ٢٠٠٣م.

موقع(فتح الله كولن):http//fgulen.com/ar
٢٠٣. الشريف حاتم عوني، فكر ودعوة فتح الله كولن والتصوف، موقع فتح الله كولن بتاريخ ١٠ يونيو ٢٠١٤م.
٢٠٤. مقال فتح الله كولن: (الوعي الجمعي) .
قناة TRTبالعربية..
٢٠٥. تصريح لرئيس الجمهورية التركية في ٢٠ مارس ٢٠١٦م عن البحث العلمي في تركيا.
٢٠٦. مقال (نجيب فاضل سلطان الشعراء الأتراك) على موقع TRTالعربية بتاريخ ٢٠١٦/٢/١٢م.
٢٠٧. الموقع الرسمي لسماحة الشيخ عبد العزيز بن باز.
ثامنا :*الكتب العلمية*:
٢٠٨. **إبراهيم مدكور(الدكتور):** في الفكر الإسلامي، الهيئة العامة للكتاب ٢٠٠٨م.
٢٠٩. **ابن إسحاق:** (محمد بن إسحاق بن يسار المطلبي بالولاء، المدني (المتوفى: ١٥١هـ): سيرة ابن إسحاق (كتاب السير والمغازي)، تحقيق: سهيل زكار، الناشر: دار الفكر- بيروت، الطبعة: الأولى ١٣٩٨هـ /١٩٧٨م
ابن تيمية (شيخ الإسلام: تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم بن محمد ابن تيمية الحراني الحنبلي الدمشقي (المتوفى: ٧٢٨هـ):
٢١٠. الاستقامة، المحقق: د/ محمد رشاد سالم، الناشر: جامعة الإمام محمد بن سعود - المدينة المنورة، الطبعة: الأولى، ١٤٠٣هـ.
٢١١. اقتضاء الصراط المستقيم لمخالفة أصحاب الجحيم، تحقيق: ناصر عبد الكريم العقل، دار عالم الكتب- بيروت- لبنان، ط: السابعة ١٤١٩هـ - ١٩٩٩م.
٢١٢. الجن، مكتبة الإيمان.
٢١٣. درء تعارض العقل والنقل ، تحقيق: الدكتور محمد رشاد سالم، الناشر: جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، المملكة العربية السعودية، الطبعة: الثانية، ١٤١١ هـ - ١٩٩١ م.
٢١٤. رسالة التدمرية في التوحيد والأسماء والصفات والقضاء والقدر مكتبة التراث الإسلامي- القاهرة.
٢١٥. العبودية، تحقيق: محمد زهير الشاويش، الناشر: المكتب الإسلامي- بيروت، الطبعة: الطبعة السابعة المجددة ١٤٢٦هـ - ٢٠٠٥م.
٢١٦. الفتاوى الكبرى .الناشر: دار الكتب العلمية، الطبعة: الأولى، ١٤٠٨ هـ - ١٩٨٧م.
٢١٧. الفرقان بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان ، حققه وخرج أحاديثه: عبد القادر الأرناؤوط، الناشر: مكتبة دار البيان، دمشق، عام النشر: ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥ م.
٢١٨. قاعدة جامعة في توحيد الله وإخلاص الوجه والعمل له عبادة واستعانة، تحقيق: عبد الله بن محمد البصيري، الناشر: دار العاصمة، الرياض، المملكة العربية السعودية، الطبعة: الأولي، ١٤١٨ هـ/١٩٩٧م

٢١٩. قاعدة جليلة في التوسل والوسيلة تحقيق: ربيع بن هادي المدخلي، دار الفرقان، ط: الأولى ١٤٢٢هـ - ٢٠٠١م..
٢٢٠. الكلم الطيب، تحقيق: محمد ناصر الدين الألباني، الناشر: المكتب الإسلامي - بيروت، الطبعة: الثالثة - ١٩٧٧م.
٢٢١. مجموع الفتاوى، المحقق: عبد الرحمن بن محمد بن قاسم، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، المدينة النبوية، المملكة العربية السعودية، ١٤١٦هـ/١٩٩٥م.
٢٢٢. نقض المنطق، حقق الأصل وصححه: الشيخ/ محمد عبد الرازق حمزة والشيخ سليمان بن عبد الرحمن الصنيع، صححه: محمد حامد الفقي، مكتبة السنة المحمدية.
٢٢٣. **ابن حزم الأندلسي الظاهري** : الفصل في الملل والأهواء والنحل تحقيق: أحمد السيد سيد أحمد علي، المكتبة التوفيقية.
٢٢٤. **ابن رشد** :مناهج الأدلة في عقائد الملة تقديم وتحقيق: دكتور محمود قاسم، مكتبة الأنجلو المصرية، ط: الثانية١٩٦٤م.

ابن سينا(أبي علي الحسين بن عبد الله):

٢٢٥. أحوال النفس، تحقيق و دراسة: د/ أحمد فؤاد الأهواني، دار بيبليون- باريس.
٢٢٦. رسالة أضحوية في أمر المعاد ضبطها وحققها: سليمان دنيا، دار الفكر العربي، طبعة: الأولى ١٣٦٨هـ - ١٩٤٩م
٢٢٧. الشفاء (الإلهيات) راجعه: د/ابراهيم مدكور، تحقيق: الأب قنواتي والأستاذ/ سعيد زايد، منشورات ذوي القربى، ط: الأولى .
٢٢٨. النجاة في المنطق والإلهيات، تحقيق: :د/ عبدالرحمن عميرة، دار الجيل، بيروت، ط: الأولى ١٩٩٢م.
٢٢٩. الطبيعيات من عيون الحكمة من رسائل في الحكمة والطبيعيات ترجمه من اليوناني: حنين بن اسحاق، مطبعة الجوائب- القسطنطينية، طبعة: الأولى ١٢٩٨.
٢٣٠. **ابن عربي** (الشيخ محيي الدين ابن عربي): فصوص الحكم، تعليقات: الدكتور أبو العلا عفيفي عليها، دار الكتاب العربي- بيروت- لبنان.
٢٣١. **ابن فورك(محمد بن الحسن):** مقالات الشيخ الأشعري، تحقيق: ا د/ أحمد عبد الرحيم السايح، مكتبة الثقافة الدينية، ط: الأولى ١٤٢٥هـ- ٢٠٠٥م.

ابن قيم الجوزية:

٢٣٢. إغاثة اللهفان من مصايد الشيطان، تحقيق وتعليق: مجدي فتحي السيد، دار الحديث - القاهرة ١٤٢٥هـ - ٢٠٠٤م.
٢٣٣. مدارج السالكين، تحقيق: عبد الله المنشاوي، دار المنار- القاهرة، ط الأولى ١٤٢٤هـ- ٢٠٠٣م.
٢٣٤. **أبو البركات النسفي(المتوفى ٧١٠هـ):** شرح العمدة في عقيدة أهل السنة والجماعة المسمى بالاعتماد في الاعتقاد، دراسة وتحقيق: د/ عبد

الله محمد عبد الله إسماعيل، المكتبة الأزهرية للتراث- الجزيرة للنشر، ط: الأولى ٢٠١٢م- ١٤٣٢هـ).
٢٣٥. **أبو عذبة**(الحسن بن عبد المحسن): الروضة البهية فيما بين الأشاعرة والماتريدية، ط الأولى، مطبعة مجلس دائرة المعارف النظامية في الهند ١٣٢٢هـ.

أبو الحسن الأشعري :

٢٣٦. الإبانة في أصول الديانة، تقديم وتحقيق وتعليق: دكتورة فوقية حسين محمود، دار الأنصار، ط : الأولى ١٣٩٧هـ- ١٩٧٧م.
٢٣٧. رسالة إلى أهل الثغر، تحقيق ودراسة: عبد الله شاكر محمد الجنيدي مكتبة العلوم والحكم- المدينة المنورة، ط : الثانية ١٤٢٢هـ- ٢٠٠٢م.
٢٣٨. اللمع في الرد على أهل الزيغ والبدع، صححه وعلق عليه: د/ حموده غرابه، مطبعة مصر ١٩٥٥م.
٢٣٩. مقالات الإسلاميين واختلاف المصلين، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، مكتبة النهضة المصرية، ط: الأولى ١٣٦٩هـ- ١٩٥٠م.
٢٤٠. **أبو العز الحنفي**: شرح العقيدة الطحاوية وبحاشيتها تعليقات العلامة محمد ناصر الدين الألباني، تحقيق: عبد الرحمن فهمي الزواوي، دار الغد الجديد، ط: الأولى ١٤٣٠هـ- ٢٠٠٩م.
٢٤١. **أبو الفرج بن الجوزي**: في تلبيس إبليس، دار الفكر- بيروت- لبنان، ط: الأولى ١٤٢١هـ- ٢٠٠١م.
٢٤٢. **أبو المظفر الأسفراييني**: التبصير في الدين وتمييز الفرقة الناجية عن الفرق الهالكين، تحقيق: كمال يوسف الحوت، عالم الكتب، الطبعة: الأولى ١٤٠٣هـ- ١٩٨٣م..
٢٤٣. **أبو الوفا التفتازاني:** مدخل إلى التصوف الإسلامي، دار الثقافة للطباعة والنشر – القاهرة ١٩٧٤م.
٢٤٤. **أبو بكر محمد الكلاباذي** : التعرف لمذهب أهل التصوف، تحقيق: محمود أحمد النواوي، مكتبة الكليات الأزهرية، ط: الثانية ١٤٠٠هـ - ١٩٨٠م .
٢٤٥. **أبو طالب المكي** محمد بن علي بن عطية: قوت القلوب، تحقيق: دكتور/ محمود إبراهيم محمد الرضواني ، مكتبة دار التراث، ط: الأولى ٢٠٠١ م- ١٤٢٢هـ.

أبو معين النسفي:

٢٤٦. بحر الكلام في أصول الدين، تحقيق: د/ عبد الله محمد عبد الله إسماعيل- د/ محمد السيد أحمد شحاتة، المكتبة الأزهرية للتراث، ط الأولى ٢٠١١م- ١٤٣٢هـ.
٢٤٧. التمهيد لقواعد التوحيد، تحقيق: جيب الله حسن أحمد، تقديم: د. محمد ربيع الجوهري، دار الطباعة المحمدية- القاهرة، ط: الأولى ١٤٠٦هـ- ١٩٨٦م.
٢٤٨. **أبو منصور محمد بن محمد بن محمود الماتريدي السمرقندي**(متوفى ٣٣٣هـ): كتاب التوحيد، تحقيق: الأستاذ الدكتور/ بكر طوبال أوغلي

والأستاذ المساعد الدكتور/محمد آروشي، دار صادر- بيروت، مكتبة الإرشاد- استانبول.
٢٤٩. **أبو البركات أحمد بن محمد بن أحمد الدردير**(المتوفى ١٢٠١هـ) : شرح الخريدة البهية، تحقيق: ا.د/ فتحي أحمد عبد الرازق، قطاع المعاهد الأزهرية، ط: الثانية ٢٠١٣- ٢٠١٤م. .

أبو حامد الغزالي(حجة الإسلام أبو حامد محمد بن محمد الغزالي الطوسي المتوفى: ٥٠٥هـ):

٢٥٠. المقصد الأسنى في شرح أسماء الله الحسنى، دراسة وتحقيق: محمد عثمان الخُشْت، مكتبة القرآن- القاهرة..
٢٥١. معراج السالكين، مجموعة رسائل الغزالي، بإشراف، مكتب البحوث والدراسات المكتبة التوفيقية.
٢٥٢. معيار العلم، تحقيق: د سليمان دنيا، دار المعارف- مصر ١٩٦١م.
٢٥٣. تهافت الفلاسفة، تحقيق وتقديم: دكتور سليمان دنيا، دار المعارف، ط الثامنة.
٢٥٤. قانون التأويل، مجموعة رسائل الإمام الغزالي، بإشراف: مكتب البحوث والترجمة، المكتبة التوفيقية- القاهرة.
٢٥٥. الاقتصاد في الاعتقاد، دار الكتب العلمية- بيروت- لبنان، ط: الأولى ١٤٠٣ هـ - ١٩٨٣م.
٢٥٦. إحياء علوم الدين، تحقيق: الشحات الطحان- عبد الله المنشاوي مكتبة الإيمان – المنصورة، ط: الأولى ١٤١٧هـ - ١٩٩٦م
٢٥٧. **إحسان إلهي ظهير**: التصوف المنشأ المصدر، الناشر: إدارة ترجمان السنة- لاهور- باكستان، ط: الأولى ١٤٠٦هـ- ١٩٨٦م.
٢٥٨. **أحلام إبراهيم الصياد**: أفعال الله تعالى في ضوء تحسين العقل وتقبيحه عند المعتزلة وأهل السنة ، مكتبة الفرسان.

أحمد السيد رمضان:

٢٥٩. نظرية النسبية والفلسفة، مكتبة الإيمان- المنصورة.
٢٦٠. الفلسفة الحديثة عرض ونقد، مكتبة الإيمان- المنصورة .
٢٦١. الإسلام وفلسفة العلم ، الدار الإسلامية للطباعة والنشر١٤٢٢هـ- ٢٠٠١م.
٢٦٢. **أحمد الفاروقي السرهندي**: المكتوبات، التعريب: محمد مراد المترلوي، دار مكتبة الحقيقة- استانبول - تركيا ١٤٢٣هـ- ٢٠٠٢م.
٢٦٣. **أحمد فؤاد باشا**: فلسفة العلم الإسلامية من خلال رؤية كونية حضارية، المعهد العالمي للفكر الإسلامي- دار السلام للطباعة والنشروالتوزيع والترجمة، ط: الأولى ١٤٣٥هـ - ٢٠١٤م
٢٦٤. **أحمد محمد سالم**: تجديد علم الكلام قراءة في فكر بديع الزمان النورسي، دار سوزلر، ط: الأولى ٢٠١٠م.
٢٦٥. **أديب إبراهيم الدباغ**: الضاربون في الأرض، دار النيل، ط : الأولى ١٤٣٣هـ- ٢٠١٢م.

٢٦٦. **أرسطو طاليس**: الأخلاق، ترجمة: إسحاق بن حنين، تحقيق: د/ عبد الرحمن بدوي، الهيئة العامة لقصور الثقافة- القاهرة ٢٠٠٧م، سلسلة الذخائر(١٦١).
٢٦٧. **أرطغرول حكمة** : فتح الله كولن قصة حياة ومسيرة فكر، ترجمة: عبد المولى علي جربيع- خالد جمال عبد الناصر، دار النيل، ط: الأولى ٢٠١٣ م
٢٦٨. **أسامة أبو حليمة**: تأملات علمية، الهيئة المصرية العامة للكتاب ٢٠١٥م.
٢٦٩. **الألباني**(محمد ناصر الدين):التوسل أنواعه وأحكامه، بحوث نسقها وآلف بينها: محمد عيد عباسي المكتب الإسلامي- بيروت، ط: الرابعة الخامسة ١٤٠٤هـ - ١٩٨٣م، توزيع رئاسة إدارة البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد.

الآمدي (سيف الدين أبو الحسن سيد الدين علي بن أبي علي بن محمد بن سالم الثعلبي (المتوفى: ٦٣١هـ):

٢٧٠. أبكار الأفكار في أصول الدين، تحقيق: أ د/ أحمد محمد المهدي، مطبعة دار الكتب والوثائق القومية- القاهرة، ط : الثانية ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٤م.
٢٧١. غاية المرام في علم الكلام، المحقق: حسن محمود عبد اللطيف، الناشر: المجلس الأعلى للشئون الإسلامية – القاهرة.
٢٧٢. **ألكسيس كاريل**: الإنسان ذلك المجهول، تعريب: شفيق اسعد فريد ، مؤسسة المعارف- بيروت، ط: الثالثة ١٩٨٠م.
٢٧٣. **انتصار إبراهيم أحمد**: آراء كمال الدين البياضي وأثره في تطور المدرسة الماتريدية، عرض ونقد، رسالة دكتوراه، كلية الدراسات الإسلامية والعربية للبنات بالقاهرة- جامعة الأزهر ٢٠٠٩م.
٢٧٤. **أندرو ديكسون وايت**: بين الدين والعلم تاريخ الصراع بينهما في القرون الوسطى إزاء علوم الفلك والجغرافيا، ترجمة: إسماعيل مظهر، الهيئة المصرية العامة للكتاب ٢٠١٢م.
٢٧٥. **إياد كريم الصلاحي**: مشكلة المعاد في الفكر الفلسفي دراسة تحليلية، بيت الحكمة- بغداد ٢٠١١م- ١٤٣٢هـ.

الباقلاني(القاضي أبي بكر) :

٢٧٦. التقريب والإرشاد، قدم له وحققه وعلق عليه: الدكتور/ عبد الحميد بن علي أبو زنيد، مؤسسة الرسالة، ط: الأولى ١٤١٣هـ - ١٩٩٣م.
٢٧٧. كتاب التمهيد، صححه ونشره: الأب رتشرد يوسف مكارثي، المكتبة الشرقية- بيروت ١٩٥٧م.
٢٧٨. **برتراند رسل**:

تاريخ الفلسفة الغربية، الكتاب الثاني(الفلسفة الكاثوليكية)، ترجمة: د/ زكي نجيب محمود. الكتاب الثالث (الفلسفة الحديثة)، ترجمة: د/ محمد فتحي الشنيطي، الهيئة المصرية العامة للكتاب ٢٠١٢م.

٢٧٩. **برجسون**: منبعا الأخلاق والدين، تعريب: سامي الدروبي، وعبد الله عبد الدائم. الهيئة لعامة للكتاب ٢٠١٠م.

٢٨٠. **بركات محمد مراد** : ظاهرة العولمة رؤية نقدية، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية- قطر سلسلة كتاب الأمة العدد ٨٦ السنة الحادية والعشرون، ط : الأولى ١٤٢٢هـ- ٢٠٠١م.
٢٨١. **البغدادي(أبي منصور عبد القاهر)** : أصول الدين، نشره وطبعه مدرسة الإلهيات بدار الفنون التركية باستانبول، ط :الأولى- استانبول مطبعة الدولة ١٩٢٨م.
٢٨٢. **البوصيري**(شرف الدين): بردة المديح، منشورات دار التراث البوديلمي .
٢٨٣. **الباجوري**(برهان الدين إبراهيم): حاشية الإمام الباجوري على جوهرة التوحيد المسمى تحفة المريد على جوهرة التوحيد، تحقيق: د/ علي جمعه محمد الشافعي، دار السلام، ط: الأولى ١٤٢٢هـ- ٢٠٠٢م.
٢٨٤. **بيجوفيتش**(علي عزت بيجوفيتش): الإسلام بين الشرق والغرب تقديم: عبد الوهاب المسيري، ترجمة: محمد يوسف عدس، دار الشروق ط: الثالثة ٢٠١٣م.
٢٨٥. **البيضاوى** : طوالع الأنوار من مطالع الأنظار، تحقيق: عباس سليمان دار الجيل- المكتبة الأزهرية، ط: الأولى ١٤١١هـ - ١٩٩١م .
٢٨٦. **توفيق الطويل:**
٢٨٧. أسس الفلسفة، مكتبة النهضة المصرية، الطبعة الثالثة.
٢٨٨. مذهب المنفعة العامة في فلسفة الأخلاق، مكتبة النهضة المصرية، ط: الأولى ١٩٥٣م.
٢٨٩. **الجاحظ**(أبو عثمان عمرو بن بحر): الدلائل والاعتبار على الخلق والاعتبار، مكتبة الكليات الأزهرية- دار الندوة الإسلامية ١٩٨٧-١٩٨٨م.
٢٩٠. **الجرجاني**: شرح المواقف للقاضي عضد الدين الإيجي، ومعه حاشية السيالكوتي والحلبي، ضبطه وصححه: محمود عمر الدمياطي، دار الكتب العلمية- بيروت- لبنان١٩٩٨م- ١٤١٩هـ.
٢٩١. **جلال الدين الدواني** (محمد بن سعد الدين الصديقي): حقيقة الإنسان والروح الجوال في العوالم، تعليق: الشيخ محمد زاهد الكوثري، المكتبة الأزهرية للتراث- القاهرة ٢٠٠٦م.
٢٩٢. **جلال الدين الرومي:** مثنوي مولانا جلال الدين الرومي، ترجمة وشرح وتقديم: د: ابراهيم الدسوقي شتا، المجلس الأعلى للثقافة ٢٠٠٢م ،طبع بالهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية١٩٩٧م
٢٩٣. **جمال الدين القاسمي** : دلائل التوحيد، دار الكتب العلمية بيروت- لبنان ط: الأولى ١٤٠٥ه- ١٩٨٤م..

الجويني(إمام الحرمين أبو المعالي) :

٢٩٤. لمع الأدلة في قواعد عقائد أهل السنة والجماعة، تحقيق: د/ فوقية حسين محمود عالم الكتب – بيروت، ط: الثانية ١٤٠٧هـ- ١٩٨٧م.
٢٩٥. العقيدة النظامية في الأركان الإسلامية، تحقيق: محمد زاهد الكوثري، دار المشرق- بيروت.

٢٩٦. الإرشاد إلى قواطع الأدلة في أصول الاعتقاد، تحقيق: د. محمد يوسف موسى- علي عبد المنعم عبد الحميد، مكتبة الخانجى ١٣٦٩هـ - ١٩٥٠م.
٢٩٧. **جيل كارول** : محاورات حضارية حوارات بين فتح الله كولن وفلاسفة الفكر الإنساني، تقديم: البروفيسور أكبر أحمد، ترجمة: إلهام فتحي ، أحمد سعيد، دار النيل، ط: الأولى ١٤٣٢هـ- ٢٠١١م.
٢٩٨. **الجيلي(العارف بالله عبد الكريم) :** الإنسان الكامل في معرفة الأواخر و الأوائل، ضبطه وعلق عليه الدكتور: عاصم ابر اهيم الكيالي الحسيني الشاذلي الدرقاوي.
٢٩٩. **حافظ بن أحمد حكمي**: معارج القبول بشرح سلم الوصول إلى علم الأصول، تحقيق: عمر بن محمود أبو عمر، دار ابن القيم- الدمام ط الأولى ١٤١٠هـ- ١٩٩٠م.
٣٠٠. **حامد علي الخولي:** النبوة بين المتكلمين والفلاسفة الإسلاميين، ط الثالثة، الدار الإسلامية للطباعة والنشر.
٣٠١. **حامد طاهر**: الفلسفة الإسلامية في العصر الحديث، مكتبة نهضة مصر، الطبعة الثانية ٢٠٠٩م

حسن الشافعي:

٣٠٢. الآمدي وآراؤه الكلامية، دار السلام للطباعة والنشر، ط: الأولى ١٤١٨هـ- ١٩٩٨م.
٣٠٣. المدخل لدراسة علم الكلام. كراتشي- باكستان .
٣٠٤. **دار الكتاب المقدس**- مصر: الكتاب المقدس، الطبعة التاسعة ٢٠١٥م.
٣٠٥. **دار النيل- القاهرة :** مؤتمر دولي: مستقبل الإصلاح في العالم الإسلامي خبرات مقارنة مع حركة فتح الله كولن التركية، ٢٠٠٩م ط: الأولى ٢٠١١م
٣٠٦. **الذهبي**: شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قَايْماز الذهبي (المتوفى: ٧٤٨هـ): العرش تحقيق: محمد بن خليفة بن علي التميمي، الناشر: عمادة البحث العلمي بالجامعة الإسلامية، المدينة المنورة، المملكة العربية السعودية، ط الثانية، ١٤٢٤هـ/٢٠٠٣م.
٣٠٧. **راجح عبد الحميد الكردي** : نظرية المعرفة بين القرآن والفلسفة، مكتبة المؤيد- السعودية ط الأولى ١٤١٢هـ- ١٩٩٢م، المعهد العالمي للفكر الإسلامي- الولايات المتحدة الأمريكية .

الرازي(الإمام فخر الدين):

٣٠٨. أصول الدين، سلسلة قضايا إسلامية(١٩٩٠) يصدرها المجلس الأعلى للشئون الإسلامية- وزارة الأوقاف- القاهرة ١٤٣٢هـ- ٢٠١١م.
٣٠٩. المباحث المشرقية في علم الإلهيات والطبيعيات، ط: الأولى، مطبعة مجلس دائرة المعارف - حيدر آباد.
٣١٠. النبوات وما يتعلق بها، تحقيق: د/أحمد حجازي السقا، مكتبة الكليات الأزهرية.

٣١١. **الرازي**: تحرير القواعد المنطقية قطب الدين الرازي شرح الرسالة الشمسية لنجم الدين عمر بن علي القزويني المعروف بالكاتبي وبأسفله حاشية على تحرير القواعد المنطقية للشريف الجرجاني، مطبعة مصطفى البابي الحلبي - مصر ط الثانية ١٣٦٧هـ- ١٩٤٨م.
٣١٢. **رايموند ليفشيز** : تكايا الدراويش الصوفية والفنون والعمارة في تركيا العثمانية، ترجمة: عبلة عودة، مراجعة: د/ أحمد خريس، هيئة أبو ظبي للثقافة والتراث، ط: الأولى ٢٠١١م.

زكريا إبراهيم:

٣١٣. هيجل أو المثالية المطلقة، سلسلة عبقريات فلسفية، مكتبة مصر- القاهرة.
٣١٤. المشكلة الخلقية، سلسلة مشكلات فلسفية (٦)مكتبة مصر- القاهرة.
٣١٥. **زكي ساري توبراك** : السلام والتسامح في فكر فتح الله كولن، دار النيل- القاهرة ٢٠١٤م.
٣١٦. **زكي نجيب محمود** : نظرية المعرفة مطابع وزارة الإرشاد القومي ١٩٥٦م .

سعد الدين التفتازاني(مسعود بن عمر) :

٣١٧. شرح العقائد النسفية، تحقيق: د/ أحمد حجازي السقا، مكتبة الكليات الأزهرية ١٩٨٨م .
٣١٨. شرح المقاصد، تقديم وتعليق: إبراهيم شمس الدين، دار الكتب العلمية- بيروت – لبنان، ط: الثانية ٢٠١١م.
٣١٩. **السفاريني**(شمس الدين، أبو العون محمد بن أحمد بن سالم السفاريني الحنبلي (المتوفى: ١١٨٨هـ): لوامع الأنوار البهية وسواطع الأسرار الأثرية لشرح الدرة المضية في عقد الفرقة المرضية، الناشر: مؤسسة الخافقين ومكتبتها- دمشق، الطبعة: الثانية - ١٤٠٢ هـ - ١٩٨٢ م.
٣٢٠. **سمر عبد الفتاح حسب الله**: رسالة دكتوراه بعنوان: الزمان المقدر بين المثبتين والنافيين بكلية الدراسات الإسلامية والعربية للبنات بالقاهرة- جامعة الأزهر ١٤٣٤هـ- ٢٠١٣م.
٣٢١. **السنندجي(عبد القادر)**: تقريب المرام في شرح تهذيب الكلام دار السعادة للطباعة ٢٠٠٤م/٢٠٠٥م..
٣٢٢. **سليمان الشواشي:** واصل بن عطاء وآراؤه الكلامية، الدار العربية للكتاب- ليبيا ١٩٩٣م.
٣٢٣. **الشرقاوي**: (الإمام الشيخ عبد الله): حاشية الشرقاوي على شرح العلامة الهدهدي على السنوسية، دار إحياء الكتب العربية.
٣٢٤. **شمس الدين السمرقندي:** الصحائف الإلهية، تحقيق: أ د/ أحمد عبد الرحمن الشريف.

الشهرستاني : (أبو الفتح محمد بن عبد الكريم):

٣٢٥. الملل والنحل تحقيق: أمير علي مهنا- علي حسن فاعود، دار المعرفة- بيروت- لبنان، ط: التاسعة ١٤٢٩هـ- ٢٠٠٨م.

٣٢٦. نهاية الأقدام في علم الكلام، حرره وصححه: ألفريد جيوم، مكتبة الثقافة الدينية- القاهرة، ط الأولى ١٤٣٠هـ- ٢٠٠٩م.
٣٢٧. **شيخ زاده: (الشيخ عبد النعيم بن علي)** : نظم الفرائد وجمع الفوائد في بيان المسائل التي وقع فيها الاختلاف بين الماتريدية والأشعرية من العقائد، رسالة ماجستير من إعداد الباحث: جميل إبراهيم السيد إبراهيم، أصول الدين القاهرة – قسم العقيدة والفلسفة ١٩٩٤م
٣٢٨. **طلعت رضوان:** العلمانية والعلاقة بين الدين والسياسة، الهيئة العامة لقصور الثقافة، ط: الأولى ٢٠١٢م.
٣٢٩. **الطوسي(أبو نصر السراج):** اللمع، تحقيق: عماد زكي البارودي المكتبة التوفيقية.
٣٣٠. **عباس محمود العقاد** : الله ، نهضة مصر، ط: الرابعة أغسطس ٢٠٠٥م.
٣٣١. **عبد الجبار بن أحمد(القاضي)** :
٣٣٢. الأصول الخمسة المنسوبة للقاضي عبد الجبار، تحقيق: دكتور فيصل بدير عون، جامعة الكويت- لجنة التأليف والتعريب والنشر، ط: الأولى ١٩٩٨م.
٣٣٣. شرح الأصول الخمسة، تعليق: الإمام أحمد بن حسين بن أبي هاشم حققه وقدم له: الدكتور عبد الكريم عثمان، مكتبة وهبة، ط: الثالثة ١٤١٦ هـ- ١٩٩٦م.
٣٣٤. المجموع في المحيط بالتكليف من جمع الشيخ الإمام ابن متويه عني بتصحيحه ونشره: الب جين يوسف هو بن اليسوعي، المطبعة الكاثوليكية٠ بيروت.
٣٣٥. المغني في أبواب التوحيد والعدل، تحقيق: محمد علي النجار- د/ عبد الحليم النجار، مراجعة د/إبراهيم مدكور، إشراف د/ طه حسين، المؤسسة المصرية العامة للتأليف والأنباء والنشر، والدار المصرية للتأليف والترجمة.
٣٣٦. المختصر في أصول الدين رسائل العدل والتوحيد تحقيق: محمد عمارة دار الشروق.
٣٣٧. **عبد الحليم عويس:** فتح الله كولن رائد النهضة الراشدة في تركيا المعاصرة، دار النيل، ط: الأولى ١٣٣٤هـ- ٢٠١٣ م

عبد الحليم محمود:

٣٣٨. قضية التصوف المنقذ من الضلال، دار المعارف، ط: الخامسة.
٣٣٩. التفكير الفلسفي في الإسلام، دار المعارف ط: الثانية.
٣٤٠. **عبد الرحمن بدوي:** مناهج البحث العلمي، وكالة المطبوعات- الكويت، ط: الثالثة ١٩٧٧م
٣٤١. **عبد الرحمن بن حسن حبنكة الميداني:** البلاغة العربية، دار القلم- دمشق الدار الشعبية- بيروت، ط: الأولى ١٤١٦هـ- ١٩٩٦م
٣٤٢. **عبد الرحمن بن خلدون** : مقدمة ابن خلدون وهي الجزء الأول من تاريخ ابن خلدون المسمى ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب

والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر، ضبط المتن والحواشي والفهارس: خليل شحادة، مراجعة: د/ سهيل زكار، دار الفكر- بيروت- لبنان ١٤٣١هـ - ٢٠٠١م.
٣٤٣. **عبد الرحمن عبد الخالق:** الفكر الصوفي في ضوء الكتاب والسنة. الكويت ١٤٠٦هـ- ١٩٨٦م .

عبد العزيز سيف النصر:

٣٤٤. مفهوم وحقيقة النبوة عند الفلاسفة ، كلية الدراسات الإسلامية والعربية بنات بالقاهرة.
٣٤٥. القدر وحرية الإرادة الإنسانية في الفكر الإسلامي – مصر للخدمات العلمية- ٢٠٠٦م.
٣٤٦. **عبد القادر الجزائري(الأمير):** المواقف في التصوف والوعظ والإرشاد، الهيئة العامة لقصور الثقافة - القاهرة ٢٠١١م.
٣٤٧. **عبد القادر الإدريسي**: نور وفتح قراءة في فكر سعيد النورسي وفتح الله كولن، دار النيل، ط: الأولى ٢٠١٤م.
٣٤٨. **عبد المتعال محمد الجبري:** الاستشراق وجه للاستعمار الغربي، دراسة في تاريخ الاستشراق، وأهدافه، وأساليبه الخفية في الغزو الفكري للإسلام، مكتبة وهبة، ط: الأولى١٤١٦هـ- ١٩٩٥م.
٣٤٩. **عدنان محمد أمامة:** التجديد في الفكر الإسلامي، دار ابن الجوزي، ط الأولى ١٤٢٤هـ.
٣٥٠. **عزالدين فراج**: نبي الإسلام في مرآة الفكر الغربي، تقديم: د/ محمد عمارة، هدية مجلة الأزهر لشهر ربيع الأول ١٤٣٤هـ.
٣٥١. **عصمت برهان الدين عبد القادر** : الطريقة السليمانية في تركيا المعاصرة، مركز الدراسات الإقليمية ٥ (١١) جامعة الموصل.
٣٥٢. **علي سامي النشار** : نشأة الفكر الفلسفي في الاسلام، دار المعارف- القاهرة، ط: التاسعة.
٣٥٣. **علي أونال:** فتح الله كولن ومقومات مشروعه الحضاري، ترجمة: عبدالرازق أحمد محمد، دار النيل، ط: الأولى ٢٠١٥م.
٣٥٤. **عمر بن إبراهيم رضوان**: آراء المستشرقين حول القرآن الكريم وتفسيره دراسة ونقد، دار طيبة للنشر- الرياض .
٣٥٥. **عياض بن موسى اليحصبي**: الشفا بتعريف حقوق المصطفى، دراسة وتقديم وتعليق: أ.د/ محمد عمارة، هدية مجلة الأزهر لشهر ربيع الآخر ١٤٣٦هـ.
٣٥٦. **الفارابي**: فصوص الحكم/رسائل الفارابي، مكتبة الأسرة ٢٠٠٧م.

فتح الله كولن:

٣٥٧. **الاستقامة في العمل والدعوة**، سلسلة أسئلة العصر المحيرة (٣) ترجمة: أورخان محمد علي- د/ عبد الله محمد عنتر، دار النيل، ٢٠١٥م.
٣٥٨. **إشراقات الأمل في دياجي الحزن والأسى**، ترجمة: د/عبد الرازق أحمد – د/عبد الله محمد عنتر، ط: الأولى ٢٠١٥م.

٣٥٩. **أضواء قرآنية في سماء الوجدان**، ترجمة: أورخان محمد علي، دار النيل- مصر، ط :الرابعة ١٤٣٠هـ - ٢٠٠٩م.
٣٦٠. **ألوان وظلال في مرايا الوجدان**، ترجمة: هيئة حراء للترجمة تعريب: أديب الدباغ، دار النيل، ط: الأولى ١٤٣١هـ - ٢٠١٠م.
٣٦١. **ترانيم روح وأشجان قلب**، ترجمة: أورخان محمد علي، دار النيل، ط: الرابعة ١٤٣١هـ- ٢٠١٠م.
٣٦٢. **التلال الزمردية نحو حياة القلب والروح**، ترجمة: إحسان قاسم الصالحي، دار النيل، ط: الرابعة ٢٠١١م.
٣٦٣. **حقيقة الخلق ونظرية التطور**، ترجمة: أورخان محمد علي، دار النيل، ط: الرابعة ١٤٣٠هـ-٢٠٠٩م.
٣٦٤. **خواطر من وحي سورة الفاتحة**، ترجمة: أجيير إشيبوك، دار النيل- القاهرة ٢٠١٥م.
٣٦٥. **الرد على شبهات العصر**، ترجمة: أورخان محمد علي- عبدالله محمد عنتر، دار النيل، ط : الأولى ٢٠١٣م.
٣٦٦. **روح الجهاد وحقيقته في الإسلام**، ترجمة: إحسان قاسم الصالحي، دار النيل ،الطبعة: السابعة ٢٠١٢م .
٣٦٧. **شد الرحال لغاية سامية**، ترجمة: عبد الله محمد عنتر- د/ عبد الرازق أحمد، دار النيل ١٠١٤م.
٣٦٨. **طرق الإرشاد في الفكر والحياة.** ترجمة: إحسان قاسم الصالحي، دار النيل، ط: الرابعة ١٤٣١هـ- ٢٠١٠م.
٣٦٩. القدر في ضوء الكتاب والسنة. ترجمة: إحسان قاسم الصالحي، دار النيل، ط: السابعة ٢٠١٢م- ١٤٣٣هـ.
٣٧٠. **الموازين أو أضواء على الطريق**، ترجمة: أورخان محمد علي، دار النيل، ط: السابعة ١٤٣٣ه- ٢٠١٢م.
٣٧١. **الموشور**(١) تقديم: أحمد قوروجان، ترجمة: عبد الرازق أحمد محمد، دار النيل ٢٠١٥م.
٣٧٢. **نحن نبني حضارتنا** المترجم: عوني عمر لطفي أوغلو، دار النيل، ط الثانية ٢٠١٢م.
٣٧٣. **نحو عقيدة صحيحة**، ترجمة: أورخان محمد علي- عبد الله محمد عنتر سلسلة أسئلة العصر المحيرة(٢) دار النيل ٢٠١٤م.
٣٧٤. **نفخة البعث شواهد الحياة بعد الموت**، ترجمة: نور الدين صواش، دار النيل، ط: الأولى ٢٠١٥م.
٣٧٥. **النور الخالد محمد ﷺ مفخرة الإنسانية**، ترجمة: أورخان محمد علي، دار النيل- القاهرة- ط الثامنة ١٤٣٤هـ - ٢٠١٣م
٣٧٦. **ونحن نقيم صرح الروح**، ترجمة: عوني عمر لطفي أوغلو، دار النيل- القاهرة، ط: الخامسة ٢٠١١م- ١٤٣٢هـ.
٣٧٧. **فرج محمد الوصيف** : بديع الزمان سعيد النورسي عصره ودعوته، دار نور الإسلام، ط: الأولى ١٩٩٦م.

٣٧٨. **فريد الأنصاري**: رواية عودة الفرسان سيرة محمد فتح الله كولن، دار النيل، ط: الثالثة ١٤٣٣هـ- ٢٠١٢م.
٣٧٩. **فيصل عون**: أعمال غير منشورة /محمد عبد الهادي أبو ريدة، الجزء الأول الفلسفة الإسلامية وبعض قضايا الفلسفة.
٣٨٠. **قاسم محمد عباس**: الحلاج الأعمال الكاملة ، رياض الريس للكتب والنشر- بيروت- لبنان، ط الأولى مارس ٢٠٠٢م.
٣٨١. **القشيري**: (أبي القاسم عبد الكريم بن هوازن) الرسالة القشيرية في علم التصوف، تحقيق: هاني الحاج، المكتبة التوفيقية.
٣٨٢. **الكلاباذي**: أبو بكر محمد التعرف لمذهب أهل التصوف، مكتبة الكليات الأزهرية، ط: الثانية ١٩٨٠م.
٣٨٣. **الكلنبوي**: (الشيخ اسماعيل) : حاشية الكلنبوي على شرح جلال الدين الدواني الصديقي وعلى هامشه حاشية للمولى المرجاني والخلخالي، در سعادت (مطبعة عثمانية) ١٣١٦هـ.
٣٨٤. **الكندي**(أبو يوسف يعقوب بن إسحاق): كتاب الفلسفة الأولى من رسائل الكندي الفلسفية، تحقيق: محمد عبد الهادي أبو ريدة، مطبعة حسان- القاهرة، ط الثانية.
٣٨٥. **لبيد بن ربيعة** بن مالك أبو عقيل العامري الشاعر، معدود من الصحابة: ديوان لبيد بن ربيعة العامري، اعتنى به: حمدو طماس، دار المعرفة، ط: الأولى ١٤٢٥هـ- ٢٠٠٤م.
٣٨٦. **اللالكائي**: شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة، دار طيبة- السعودية ١٤٢٣هـ- ٢٠٠٣م..
٣٨٧. **مالك بن نبي:** شروط النهضة، ترجمة: د/ عبد الصبور شاهين – عمر كامل مسقاوي، بإشراف: ندوة مالك بن نبي- دار الفكر – دمشق.
٣٨٨. **مايمول حسن خان**: فتح الله كولن الرؤية والتأثير تجربة فاعلة في المجتمع المدني، ترجمة: أحمد سعيد عبد الوارث- محمود علي جمعه، دار النيل ٢٠١٥م
٣٨٩. **محمد أبو زهرة**: تاريخ المذاهب الإسلامية. دار الفكر العربي ٢٠٠٩م.
٣٩٠. **محمد أنس أركنه**: فتح الله كولن جذوره الفكية واستشرافاته الحضارية، ترجمة: أورخان محمد علي ، دار النيل ط الثانية ١٤٣٢هـ- ٢٠١١م.

محمد البهي :

٣٩١. الفكر الإسلامي الحديث وصلته بالاستعمار الغربي، مكتبة وهبة، ط: الرابعة عشر ١٤٢٦هـ- ٢٠٠٥م
٣٩٢. العلمانية والإسلام بين الفكر والتطبيق، تقديم: ا د/ محمد رجب البيومي، هدية مجلة الأزهر لشهر ذي الحجة ١٤٢٨هـ .
٣٩٣. تهافت الفكر المادي التاريخي بين النظرية والتطبيق ، سلسلة قضايا إسلامية يصدرها المجلس الأعلى للشئون الإسلامية العدد(١٨٣)القاهرة ١٤٣١هـ - ٢٠١٠م.
٣٩٤. **محمد عبد الهادي أبو ريدة** تجديد الخطاب الديني والفلسفي/الفلسفة الإسلامية تحقيق: د/ فيصل بدير الهيئة العامة للكتاب ٢٠١١م..

٣٩٥. **محمد الهادي زيان**: من أجل طرح جديد لقضايا علم التوحيد، جمعية الدعوة الإسلامية العالمية - طرابلس، ط: الأولى ١٤٢٧هـ- ١٩٩٨م.
٣٩٦. **محمد أنس أركنه** : فتح الله كولن جذوره الفكرية واستشرافاته الفكرية، دار النيل، ط: الثانية ٢٠١١م.
٣٩٧. **محمد بابا عمي:** أرباب المستوى الأكاديميا باعتبارها جماعة علمية . دار النيل، ط: الأولى: ١٤٣٣هـ- ٢٠١٢م.
٣٩٨. **محمد باقر المجلسي** : بحار الأنوار الجامعة لدرر أخبار الأئمة الأطهار، دار إحياء التراث العربي- بيروت - لبنان، ط: الثالثة المصححة ١٤٠٣هـ- ١٩٨٣م .
٣٩٩. **محمد جكيب** : أشواق النهضة والانبعاث، دار النيل- القاهرة، ط : الأولى ١٤٣٤هـ- ٢٠١٣م.
٤٠٠. **محمد حسنين مخلوف**: المطالب القدسية في أحكام الروح وآثارها الكونية ، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده، ط الثانية ١٣٨٢هـ- ١٩٦٣م.

محمد حسين هيكل:

٤٠١. الإيمان والمعرفة والفلسفة. دار المعارف، ط: الثانية .
٤٠٢. حياة محمد، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ط: السادسة ٢٠١٢م.
٤٠٣. **محمد رشيد رضا**: الوحي المحمدي، مؤسسة اقرأ للنشر والتوزيع ٢٠١٤م.
٤٠٤. **محمد سيد أحمد المسير**: الروح في دراسات المتكلمين والفلاسفة، دار المعارف، ط: الثالثة.
٤٠٥. **محمد شلبي شتيوي- د/ أحمد محمد علي حسين:** علم الملل والنحل مصطلحات علمية وتطبيقات واقعية .دار القدس.
٤٠٦. **محمد عبده**: رسالة التوحيد، تحقيق: د/ محمد عمارة، دار الشروق، ط: الأولى ١٤١٤هـ- ١٩٩٤م.
٤٠٧. **محمد بن علي بن أحمد بن عمر بن يعلى، أبو عبد الله، بدر الدين البعليّ (المتوفى: ٧٧٨هـ):** مختصر الفتاوى المصرية لابن تيمية، المحقق: عبد المجيد سليم - محمد حامد الفقي، الناشر: مطبعة السنة المحمدية - تصوير دار الكتب العلمية.
٤٠٨. **محمد علي أبو ريان**: أسلمة المعرفة العلوم الإنسانية ومناهجها من وجهة نظر إسلامية ، دار المعرفة الجامعية.

محمد عمارة :

٤٠٩. إسلامية المعرفة ماذا تعني؟ سلسلة في التنوير الإسلامي(٧٤)، نهضة مصر، ط الأولى يناير ٢٠٠٧م.
٤١٠. **محمد محمد حسين**: الروحية الحديثة دعوة هدامة تحضير الأرواح وصلته بالصهيونية العالمية، مؤسسة الرسالة.
٤١١. **محمود حمدي زقزوق**:
٤١٢. الاستشراق والخلفية الفكرية للصراع الحضاري، دار المعارف.
٤١٣. مقدمة في علم الأخلاق دار القلم - الكويت، ط: الثالثة ١٤٠٣هـ- ١٩٨٣م.

٤١٤. **محمود زيدان** : نظرية المعرفة عند مفكري الإسلام وفلاسفة الغرب المعاصرين، مكتبة المتنبي- المملكة العربية السعودية ١٤٣٣هـ - ٢٠١٢م.
٤١٥. **محمود عبد الحكيم عتمان**(الدكتور): الفكر المادي الحديث وموقف الإسلام منه، مكتبة الأنجلو المصرية - القاهرة .

مصطفى النشار :

٤١٦. مدخل جديد للفلسفة، دار قباء، ط: الأولى ١٩٩٨م.
٤١٧. ضد العولمة، دار قباء، ط: الأولى ١٩٩٩م.
٤١٨. **مصطفى بن حمزة**: مقال فلسفة الموت عند بديع الزمان سعيد النورسي ضمن كتاب سعيد النورسي عملاق الفكر الديني في العصر الحديث، تحرير: إحسان قاسم الصالحي- أديب الدباغ- أجير إشيوك، دار النيل- القاهرة، ط: الأولى ١٤٣٢هـ- ٢٠١١م.
٤١٩. **مصطفى الشكعة:** إسلام بلا مذاهب، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مكتبة الأسرة ٢٠١٧م.
٤٢٠. **مصطفى صبري**: موقف العقل والعلم والعالم من رب العالمين وعباده المرسلين، دار إحياء التراث العرب بيروت- لبنان، ط: الثانية ١٤٠١ هـ- ١٩٨١م.
٤٢١. **مصطفى عاشور** : عالم الملائكة أسراره وخفاياه مكتبة القرآن- القاهرة.
٤٢٢. **د/ مصطفى عبده:** فلسفة الأخلاق، مكتبة مدبولي- القاهرة، الطبعة: الثانية عام ١٩٩٩م.

مصطفى عبد الرازق:

٤٢٣. الدين والوحي والإسلام، تقديم أ.د / محمود حمدي زقزوق. هدية مجلة الأزهر لشهر محرم ١٤٣٧هـ.
٤٢٤. تمهيد لتاريخ الفلسفة الإسلامية، تقديم: محمد حلمي عبد الوهاب، دار الكتاب العربي القاهرة - دار الكتاب اللبناني- بيروت ٢٠١١م.
٤٢٥. **مصطفى لبيب**: التصور الإسلامي للطبيعة (دور التأسيس) الهيئة العامة لقصور الثقافة ٢٠١٥م.

مصطفى محمود:

٤٢٦. اينشتاين والنسبية. دار المعارف ، الطبعة السابعة.
٤٢٧. حوار مع صديقي الملحد تقديم/ د/محمد عمارة، هدية مجلة الأزهر جمادى الأولى ١٤٣٦هـ- مارس ٢٠١٥م .
٤٢٨. **المقريزي**: أحمد بن عدلي بن عبد القادر، أبو العباس الحسيني العبيدي، تقي الدين المقريزي (المتوفى: ٨٤٥هـ): إمتاع الأسماع بما للنبي من الأحوال والأموال والحفدة والمتاع، المحقق: محمد عبد الحميد النميسي، الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤٢٠ هـ - ١٩٩٩ م.
٤٢٩. **منقذ بن محمود السقار:** الله جَلَّ جلالَهُ واحد أم ثلاثة؟ ، دار الإسلام للنشر والتوزيع، الطبعة: الأولى، ١٤٢٨ هـ - ٢٠٠٧ م.

٤٣٠. **نخبة من العلماء الأمريكيين** بمناسبة السنة الدولية لطبيعيات الأرض: الله يتجلى في عصر العلم، أشرف على تحريره: جون كلوفر مونسيما، ترجمة: الدكتور الدمرداش عبد المجيد سرحان، راجعه وعلق عليه: الدكتور/ محمد جمال الدين الفندي، الناشر: دار القلم، بيروت - لبنان.

النورسي(بديع الزمان سعيد):

٤٣١. سيرة ذاتية، كليات رسائل النور، إعداد وترجمة: شركة سوزلر- القاهرة ط الثالثة ٢٠٠٠م.

٤٣٢. الشعاعات (٤) كليات رسائل النور ترجمة: إحسان قاسم الصالحي سوزلر للنشر – القاهرة ط الثانية ١٤١٤ه- ١٩٩٣م

٤٣٣. الكلمات- كليات رسائل النور، ترجمة: احسان قاسم الصالحي، شركة سوزلر للنشر، ط: الثانية بمصر ١٤١٢هـ- ١٩٩٢م.

٤٣٤. اللمعات (٣)كليات رسائل النور بديع الزمان النورسي، ترجمة: إحسان قاسم الصالحي سوزلر- القاهرة، ط: الثانية بمصر ١٣١٣هـ- ١٩٩٣م.

٤٣٥. المثنوي العربي النوري، سلسلة كليات رسائل النور(٦) ترجمة: إحسان قاسم الصالحي، دار سوزلر للنشر- القاهرة، ط: الأولى ١٤١٥ هـ- ١٩٩٥م.

٤٣٦. المكتوبات (٢) كليان رسائل النور، ترجمة: إحسان قاسم الصالحي سوزلر، ط: الثانية بمصر ١٤١٣هـ- ١٩٩٢م

٤٣٧. **نوسه السيد محمود**: التصوف في القرن الثاني الهجري مدارسه ورجاله، رسالة ماجستير، جامعة الأزهر بكلية الدراسات الإسلامية والعربية للبنات بالقاهرة ٢٠١٢م .

٤٣٨. **يمنى طريف الخولي**: الطبيعيات في علم الكلام من الماضي إلى المستقبل، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة.

فهرس
الموضوعات

المقدمة	ح
التمهيد(التعريف بفتح الله كولن)	١
أولا: حياة فتح الله كولن	٢
١- أصوله	٢
٢- مولده ونشأته	٢
٣- رحلته العلمية	٥
٤- عمله ووظائفه	١٤
٥- شبهات حول فتح الله كولن	١٥
ثانيا: عصر فتح الله كولن	١٨
ا- نظرة عامة على تركيا قديما وحديثا	١٨
أ- تركيا قديما	١٩
ب- تركيا الحديثة	٢٠
٢- الحالة الدينية والسياسية	٢٢
أ- الدين	٢٣
ب- العلمانية	٢٥
ج- الصراع بين الدين والعلمانية	٢٨
٣: الحالة الفكرية والعلمية	٣٠
أ- الحالة الفكرية	٣٠
ب- التعليم	٣٤
ج- الجامعات والبحث العلمي	٣٧
د- الثقافة واجهزة الاعلام	٣٨
ثالثا: مصطلحات فتح الله كولن	٣٩

الباب الاول : آراء فتح الله كولن الكلامية	**٤٦**
تمهيد: فتح الله كولن وعلم الكلام	٤٧
الفصل الاول : الالهيات	**٥٩**
المبحث الاول : ذات الله تعالى	٦١
المطلب الاول: معرفة الله تعالى	٦٢
الطريق الأول: الفطرة	٦٣
حقيقة الميثاق	٦٣
الطريق الثاني : النظر	٦٨
حقيقة النظر	٦٨
حكم النظر معرفة الله تعالى	٧٦
أهل الفترة	٨١
أولا : حقيقة اهل الفترة وحكمهم	٨٢
ثانيا : مسألة نجاة والدى المصطفى(ﷺ)	٨٤
ثالثا : الفترة في العصر الحديث	٨٥
رابعا: مسئوليتنا تجاه أهل الفترة في العصر الحديث	٨٥
المطلب الثاني : الاستدلال على وجود الله تعالى	٨٨
المسألة الأولى: أدلة وجود الله في الفكر الإسلامي	٨٨
المسألة الثانية: أدلة وجود الله عند كولن	٩٣
المطلب الثالث: المنكرون لوجود الله والرد عليهم	١٠٣
اولا : تعريف الإلحاد	١٠٤
ثانيا : شبهات الإلحاد	١٠٥
ثالثا : نظرية التطور	١١٣
رابعا : مقاومة الإلحاد وعلاجه	١٢٧

المبحث الثاني: صفات الله تعالى	١٣٠
المطلب الاول : الصفات عند كولن	١٣١
أولا: صفة البقاء	١٣٢
ثانيا: صفة الكلام	١٣٣
ثالثا: صفة التكوين	١٣٨
رابعا: صفة القدرة والإرادة	١٣٨
خامسا: الوحدانية	١٣٩
المطلب الثاني : التوسل	١٤٥
أولا: تعريف التوسل	١٤٦
ثانيا: حكم التوسل	١٤٧
المطلب الثالث : تنزيه الله تعالى	١٥٦
المبحث الثالث: الأسماء والأحكام	١٦١
المطلب الأول: أسماء الله الحسنى	١٦٢
المسألة الأولى: معنى أسماء الله الحسنى	١٦٢
المسألة الثانية أسماء الله الحسنى توقيفية	١٦٤
المسألة الثالثة: تجليات الأسماء الإلهية	١٦٦
المطلب الثاني: الإسلام والإيمان	١٧٥
المسألة الأولى: معنى الإسلام والإيمان	١٧٥
المسألة الثانية: العلاقة بين الإسلام والإيمان	١٧٨
المسألة الثالثة: علاقة الإيمان بالعمل	١٧٩
المبحث الرابع : القدر	١٨٩
المطلب الأول: مقدمات في القدر	١٩٠
المسألة الأولى: معنى القضاء والقدر	١٩٠

المسألة الثانية: القدر في ضوء الكتاب والسنة	١٩٥
المسألة الثالثة: ثمرات الإيمان بالقدر	٢٠٠
المسألة الرابعة: علاقة القضاء بالقدر	٢٠٢
المطلب الثاني: أفعال الله تعالى	٢١٣
المسألة الأولى: الهداية والضلال	٢١٦
المسألة الثانية: الآجال	٢٢٢
المسألة الثالثة: التوفيق واللطف	٢٢٥
المسألة الرابعة: المنح والمنع	٢٢٦
أولا: حكمة المنع	٢٢٧
ثانيا: الغنى والفقر(الرزق)	٢٢٧
ثالثا: الصحة والسقم	٢٢٩
المطلب الثالث: أفعال العباد	٢٣٢
المسألة الأولى: آراء العلماء في أفعال العباد	٢٣٢
المسألة الثانية: معنى الكسب	٢٣٤
المسألة الثالثة: علاقة العلم بأفعال العباد	٢٤١
المسألة الرابعة: السببية وعلاقتها بأفعال العباد	٢٤٣
المبحث الخامس: رؤية الله تعالى	٢٤٩
الفصل الثالث : النبوات	٢٥٥
تمهيد	٢٥٦
المبحث الأول:- النبوة حكمها وغايتها	٢٥٧
المطلب الأول: تعريف النبي والرسول	٢٥٧
المطلب الثاني: حكم النبوة للنساء	٢٦١
المطلب الثالث :النبوة هبة أم اكتساب؟	٢٦٣

المطلب الرابع: الحكمة والغاية من البعثة	٢٦٨
المطلب الخامس: حكم البعثة	٢٧٣
المبحث الثاني: عدد الأنبياء والرسل وصفاتهم	٢٧٦
أولا: عدد الرسل والأنبياء	٢٧٦
ثانيا: ترتيب الأنبياء	٢٧٩
ثالثا: صفات الأنبياء والرسل	٢٨١
رابعا: خصائص دعوة الأنبياء	٢٨٧
المبحث الثالث: عصمة الأنبياء	٢٩٠
المطلب الأول: معنى العصمة وحكمها	٢٩٠
أولا: معنى العصمة	٢٩١
ثانيا: حكم العصمة	٢٩١
ثالثا: الأدلة على عصمة الأنبياء	٢٩٣
رابعا: الافتراءات الشنيعة في الكتب السابقة حول الأنبياء	٢٩٥
المطلب الثاني: شبهات حول عصمة الأنبياء	٢٩٦
أولا: دفع هذه الشبهات إجمالا	٢٩٦
ثانيا: دفع هذه الشبهات تفصيلا	٢٩٧
أ- ما نسب إلى آدم -عليه السلام-	٢٩٧
ب- ما نسب إلى نوح- عليه السلام-	٢٩٩
ج- ما نسب إلى إبراهيم- عليه السلام-	٢٩٩
د- يوسف رمز العفة	٣٠٢
المطلب الثالث: عصمة سيدنا محمد (ﷺ)	٣٠٥
أولا: التنبيهات الواردة في حقه- ﷺ- في القرآن الكريم	٣٠٥

ثانيا: شبهات حول الرسول- ﷺ-	٣١٣
المبحث الرابع :بعثته (صلي الله عليه وسلم)	٣١٩
أولا: أبعاد رسالته - ﷺ-	٣١٩
ثانيا: عموم رسالته (ﷺ)	٣٢٢
ثالثا: ختم النبوة	٣٢٦
رابعا: أفضلية محمد (ﷺ) علي سائر الأنبياء	٣٢٧
المبحث الخامس: دلائل نبوته (صلي الله عليه وسلم)	٣٣٢
المطلب الأول: المعجزة والكرامة	٣٣٣
اولا :تعريف المعجزة والكرامة	٣٣٣
المسألة الثانية: وقوعهما والفرق بينهما	٣٣٥
المطلب الثاني: رأي العلماء قديما وحديثا في دلائل نبوته (ﷺ)	٣٣٨
المطلب الثالث: دلائل النبوة عند فتح الله كولن	٣٤٥
أولا :علامات سبقت نبوته(ﷺ)	٣٥٤
ثانيا: بشارات الأنبياء والكتب السماوية به :	٣٥٤
ثالثا: أخلاق الرسول دليل نبوته	٣٤٨
رابعا: أثر النبوة في تغيير العالم دليل صدقه	٣٥٠
خامسا: معراجه - ﷺ-	٣٥٠
سادسا: القرآن الكريم	٣٥٧
المسألة الأولى: وجوه الإعجاز في القرآن الكريم	٣٥٨
المسألة الثانية: القرآن من حيث مضامينه	٣٦٠
المطلب الرابع: شبهة بشرية القرآن	٣٧٠
الفصل الثالث : السمعيات	٣٧٦

تمهيد	٣٧٧
المبحث الأول: الروح	٣٨٢
أولا: تعريف الروح	٣٨٢
ثانيا: نشأة الروح	٣٨٤
ثالثا: موقف كولن من التناسخ	٣٨٥
المبحث الثاني: الموت والقبر	٣٩١
المطلب الأولى: الموت	٣٩١
المطلب الثاني: القبر	٣٩٩
المبحث الثالث: علامات الساعة	٤٠٢
أولا: وقت الساعة	٤٠٢
ثانيا: كيفية قيام الساعة	٤٠٢
ثالثا: علامات الساعة	٤٠٣
المبحث الرابع: اليوم الآخر	٤٠٦
المطلب الأول: البعث والنشر	٤٠٩
المطلب الثاني: الشفاعة	٤٢٩
المطلب الثالث: الجنة والنار	٤٣٣
المطلب الرابع: الأعراف	٤٣٧
المبحث الخامس: الروحانيون	٤٣٩
المطلب الأول: الملائكة	٤٤٠
المسألة الأولى: تعريف الملائكة	٤٤٠
المسألة الثانية: وظائف الملائكة	٤٤١
المسألة الثالثة: النورانية والتمثل عند الملائكة	٤٤٢
المطلب الثاني: الجن	٤٤٨

المسألة الأولى :تعريف الجن	٤٤٨
المسألة الثانية: وجود الجن	٤٤٨
المسألة الثالثة: التصور والتشكل(التمثل)	٤٥٠
المسألة الرابعة: الاتصال بالجن	٤٥١
المطلب الثالث: الشياطين	٤٥٦
الباب الثاني: فتح الله كولن وآراؤه الفلسفية	٤٦٢
تمهيد فتح الله كولن والفلسفة	٤٦٣
الفصل الاول : المعرفة	٤٨٣
تمهيد	٤٨٤
المبحث الاول : حقيقة المعرفة	٤٨٦
المبحث الثاني: مصادر المعرفة	٤٩١
المبحث الثالث: العلم والدين في فكر كولن	٥٠٢
المطلب الأول: موقف كولن من العلم الحديث	٥٠٢
المطلب الثاني: العلاقة بين العلم والدين في فكر كولن	٥٠٥
الفصل الثاني: الأخلاق	٥١٥
المبحث الأول: حقيقة الأخلاق ومصدرها	٥١٧
المبحث الثاني: الفضائل والرذائل	٥٢١
اولا: حقيقة الفضائل والرذائل	٥٢١
ثانيا: الممارسة السلوكية للأخلاق	٥٢٦
ثالثا: الإنسان المثالي عند كولن	٥٢٨
المبحث الثالث: إصلاح النفس	٥٣٨
المبحث الرابع: أركان النظرية الخلقية	٥٤٤
الفصل الثالث: التصوف	٥٥١

المبحث الأول: هل فتح الله كولن صوفي؟	٥٥٤
المبحث الثاني: مفهوم التصوف في فكر كولن	٥٦٢
المطلب الأول: تعريف التصوف	٥٦٢
المطلب الثاني: التصوف من حيث المنشأ	٥٦٧
اولا: تاريخ الكلمة(الصوفي)	٥٦٧
ثانيا: تدوين العلوم	٥٦٩
ثالثا: الظاهر والباطن	٥٧٠
المبحث الثالث: المنازل الروحية عند كولن	٥٧٣
تعريف المقامات والأحوال	٥٧٣
المبحث الرابع: موقف كولن من مظاهر التصوف ونظرياته	٥٩٦
المطلب الأول: رأي كولن في مظاهر التصوف	٥٩٦
المطلب الثاني: موقف كولن من بعض النظريات الصوفية	٥٩٩
الخاتمة	٦٢٠
الفهارس	٦٢٣
فهرس المصادر والمراجع	٦٢٤
فهرس الأعلام	٦٥٥
فهرس الفرق والمذاهب	٦٦٠
فهرس الموضوعات	٦٦٣